دمون

قراءة في ماضيها والحاضر

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت / ٢٠١٩م

عنوان الكتاب : دمون.. قراءة في ماضيها والحاضر

تأليف : عمر عبداللَّه بامطرف

حجم الكتاب : ١٧ × ٢٤ سم
عنوان الكتاب : دمون.. قراءة في ماضيها والحاضر

تأليف : عمر عبداللَّه بامطرف

حجم الكتاب : ١٧ × ٢٤ سم
الإخراج الفني : حسن أحمد بلجعد

التنفيذ الطباعي: مطبعة وحدين الحديثة للأوفست

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع

والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي

دمون

قراءة في ماضيها والحاضر

عمر عبدالله بامطرف

مستهل القراءة

[يَا أَيُّها الناسُ اتَّقوا ربَّكُم الذي خَلَقَكم مِن نَفسٍ واحِدةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوجَها وبَثَّ مِنهُما رِجالا كثيراً ونِساءً واتقواللهَ الذي تَسَاءَلونَ بِه والأرْحامَ إن اللهَ كان عَليكُم رَقيبا] (سورة النساء الآية ١)

[قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب....] (من خطبة الوداع في صحيح مسلم)

ندعي وخالقنا يعاون من تقبَّض واعتصم
بحبله الأقوى وبئس التفرقة أس النقم

(المعلم سعيد عبد الحق)

الإهداء

إلى روح والدي ووالدتي يرحمهما الله . .

و إلى كل من أحبني وأعانني وساعدني . .

و إلى كل أبناء بلدتي . . قريتي . . حيى . .

إليهم بكل مودة وحب صادق . .

إلى كل من نشأ على أرضية هذه البلدة . .

اذكرهم بأننا نشأنا على هذه الأرضية، ومن ترابها تغذينا، وفي أزقتها وساحاتها لعبنا، وفي مدارسها تعلمنا، وفي مساجدها اصطففنا معا خاشعين لله في صلاتنا . .

في أفراحها احتدت أهازيجنا ورقصاتنا، وفي أتراحها تعالت عبراتنا، وانسابت في مآقينا دموعنا، وفي كوارثها توحدت الجهود وتعاضدت الهمم، وتشابكت الأيادي لإنقاذ غريق، وإطفاء حريق . .

تلاحم أخوة في السراء والضراء . . أكرمها عند الله اتقاها . .

لنعد للوئام والإخاء، والترابط والتعاضد . .

وكل نفس بما كسبت رهينة . .

شكر وتقدير

أرى لزاما علي أن انوه لأهل الفضل فيما كتبت، بعدالله سبحانه وتعالى وتوفيقه..

وما أعجز قلمي عن تجسيد شكري وامتناني..امتناني الذي لا يقف عند حد الشكر والذكر، ففي القلب من المودة الخالصة للأخ الكريم الدكتور سالم محمد بامؤمن، الذي بذر بذرة في الوجدان من نبله وكرمه وحسن خلقه، سترها صيانة المعروف والحياء، ولم يكن يدركها غيري، فلما حانت الفرصة، وتوفرت لها أسباب الظهور، كان لزاما علي إبراز جزء منها وإشهاره، فقد أثرى مكتبتي المتواضعة بكثير من الكتب والمجلات، كان فيها المصدر والمرجع للكثير مما سطر في هذا الكتاب، والمتابعة الحثيثة منه لتوفير بعض المراجع النادرة مع ذوي الأختصاص، إضافة إلى التوجيهات المتكررة لمنهجية البحث، والمراجعة والتصحيح والتبويب لمحتوى الكتاب.

واثني بشكري وتقديري لاستاذ عظيم القدر جم التواضع، بدماثة خلق ورحابة صدر: الدكتور محمد يسلم عبدالنور استاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك بجامعة حضرموت، والذي كانت له عناية خاصة بما سطر في هذا الكتاب، رغم مشاغله الكثيرة، مما لا أستطيع المكافأة عليها إلا بالدعاء له بالتوفيق في كل مهامه في الدراسة والبحث والتحقيق، سائلا المولى عزوجل أن يعينه في كل مهامه.

كما أشكر واطلب المسامحة من كل الذين ألححت عليهم بالأسئلة وتكرارها.. تكرار محقق بالحاف سائل، ومن أرشدني إلى مرجع، أو أسدى إلي معلومة، أو صحح نقلا فيما كتبت.. اذكر منهم:

الوالد عوض كرامه بن حميدان.

الأخ خميس سالم باخريصه.

الوالد رجب عاشور بامزروع.

الأخ عبدالله عيسى الزبيدي رحمه الله.

والوالد سعيّد رجب بن حيمد سعد رحمه الله.

الأخ علي حسن التميمي.

الأخ عبد الله عمر بن حيمد سعد.

الأخ صالح العبد باشامخه.

الأخ علوي بن أحمد بن مشهور بن شهاب.

الأخ علوي أحمد ضياء بن شهاب.

الأخ حسن أحمد الحامد.

وكل الإخوة الذين شاركوا بصورة أو بأخرى في تجميع ما تم جمعه في هذا الكتاب، والذين كانوا جزءا في إنجازه.

تقديم

بامطرف قارئًا حصيفًا... وباحثًا جاداً

عرفتُ الأخ عمر بامطرف عن قربٍ وارتباطٍ وثيقٍ، وأخوةٍ صادقةٍ، وزمالةٍ مخلصةٍ، منذ تسعينيات القرن الماضي، حينما كنا ندرسُ في كلية التربية بالمكلا، وكنا لا نراه في غرفته المتواضعة بالمكلا عندما نزورُ ونيس غربتنا الأخ عبدالكريم باشعيوث إلا وهو خاطفٌ، سريعٌ، يحمل كتاباً من مكتبته، أو يسأل عن معلومة وهو على سرعة بحكم عمله، فقد لمسناه طيلة السنوات الأربع عاشقاً ولعاً بالقراءة، ولكن هذا العشق مع الكتاب والقراءة كما يحدثني عنه أستاذنا القدير أحمد عابد مقرم كان قديماً مع بامطرف -بحكم ارتباط صداقتهما-، فأشار إليَّ أنه منذ وقت صغره والقراءة ديدنه اليومي، بل قال لي إنه يفرح كثيراً عندما يشاهد مكتبة، أو يسمع عن إقامة معرض للكتاب في مدينة المكلا، ولعلَّ هذا السلوك العلمي ميزةٌ اتصف بها، وسمةٌ ميزته عن كثير من الناس.

ولقد شرفني أخي المفضال-وهو تشريفٌ وتكليفٌ أعتزُّ به أيما اعتزاز- عندما خصني بقراءة هذه الدراسة، وكتابة مقدمتها. والحقيقة أنني استمتعتُ بقراءتها مرات عدة، مستذكراً ومتلقياً ومتعلماً لكثير من حقائق التاريخ والتراث؛ بل كنتُ أجهلُ بعضها، فأسأل من حولي من كبار السن فيجيبونني بما قرأته في هذه الدراسة، فيسألونني من أين جئت بهذه الأقوال والحوادث والعادات؟ فأخبرهم أنني أتشربُ كل هذا من منهلٍ حوى التاريخ والتراث في صفحة

متكاملة من التأليف العلمي المتميز، وتتجلى منها البنية التكاملية والزاد العلمي الذي يتمتع به الباحث بامطرف.

وجسَّد الباحث بامطرف من خلال هذه الدراسة (دمون قراءة في ماضيها والحاضر) علاقة الارتباط والالتحام والوفاء والمحبة والعرفان لبلدته، التي نشأ وتربى وترعرع وتعلم فيها، فلقد كان وفياً لهذا الموطن، ويصدق فيه قول امرئ القيس:

دمون إنا معشر يمانون وإننا لأهلنا محبون

فقد كان بامطرف محباً لأرومته، ومهد طفولته وصبابته وشبابه، وتجلى الارتباط والوفاء عنده لبلدته عندما قام بهذه الدراسة؛ لتكون شهادةَ حبٍ منه لهذا الموطن، وعنواناً للوفاء الإنساني الخارق والرائع تجاه الأرض والموطن، فخلَّد هذا الارتباط بينه وبين بلدته عبر هذه الكتابة التاريخية الأصيلة والجادة.

ومن خلال هذه الدراسة التي بين أيدينا يمكن القول إنَّ مفهوم القراءة الناجحة في وقتنا المعاصر يُعَدُّ بمنزلة البذر الذي ينبت غرساً مثمراً، فيتجلى في الأبحاث والدراسات العلمية الهادفة؛ وقد كانت دراسة بامطرف واحدةً من الدراسات الجادة والناجحة التي استثمرتْ عصارة قراءتها للكتب والدراسات، واستقرائها لحوادث التاريخ ومظاهر التراث والسلوك الإنساني؛ مما جعلها تكون في مصاف الدراسات العلمية الناجحة، التي اختمرت فيها تجربتا الحياة والقراءة؛ لتكون أداةً واعيةً لقراءة التاريخ، وتحليل حوادثه بطريقة منهجية، وأسلوب علمي رصين؛ لترسم معالم الحياة بأوجهها المختلفة في البلدة (دمون).

إنني كنتُ وما زلتُ أُؤمنُ إيماناً مطلقاً بأن العناية والرعاية للتاريخ والتراث تشكل اتجاهاً علمياً سليماً، يعيد لهما سماتهما الأصلية، ويضعهما في المكان الذي قُدِرَ أن يكونا فيه للتفكر والفائدة والاعتبار، وبهذا تكون مصادرهما مهيئة للدراسين والباحثين.

ومن هذا المنطلق صار الاتجاه إلى التاريخ اتجاهاً عالمياً؛ لأن ابتعاث التاريخ والتراث يرمي في الغالب إلى استلهامه، وتحويله إلى آلة فاعلة محركة لوجدان الشعوب، باعثة روح القوة والاعتزاز، والعمل والتجدد، واستشراف المستقبل الحي المتحضر، من خلال ركيزة معطاءة مرتبطة بالتاريخ والتراث، وهذا ما ألحَّ عليه الباحث بامطرف، فترجم التلازم القائم بين (التاريخ والتراث)، ليرسم الارتباط القوي بين (الماضي والحاضر)، وهذا في رأينا ما استلهمته هذه الدراسة، فجعلت الماضي انطلاقة لقراءة الحاضر، والحاضر ارتداد للماضي في بعض صوره وأحداثه وسلوكياته.

وإنَّ من دواعي الغبطة والسرور والحبور أن نجد الباحث بامطرف في دراسته هذه ينبري للاهتمام بالتاريخ والتراث، والاتكاء والانصراف لهما، وإنفاق الوقت في جمعهما وتحقيقهما وتدوينهما وتقديمهما للآخرين بأسلوب يتسم بالاستقصاء المعمق للوقائع والحوادث والسلوكيات. وعلى العكس من ذلك فإنَّ الذهول الفكري الذي ابتلى به بعض المؤرخين حملهم على إهمال مظاهر التاريخ القديم والتراث، والانصراف عنهما، غير أننا في دراستنا هذه نجد الجهد المبذول، والتعب الهائل الذي بدأ على الباحث وهو يسلك هذا المسلك نحو

الاهتمام بالتاريخ والتراث، وهو عمل رائع، يُعَدُّ من مزايا هذه الدراسة. ومن هذا المنطلق فإنني أعدُّ هذا العمل الهادف الذي سنقرأه في الصفحات اللاحقة إحياءً لتراث الحضارة الإنسانية والإسلامية، وبعثاً مشرفاً من مظاهر النشاط الحضاري والعلمي، ساهمت في بنائه القوافل الأولى الرائدة من الآباء والأجداد في البلدة، فأضاءت لنا دروباً معتمةً، وفتحت لنا مسالك موحشة، وأقامت أسساً سليمة للحضارة، وقواعد للتعايش بين الناس كافةً على أساس من التكافل والتعاون والاحترام وقبول الآخر في إطار مجتمع البلدة.

إنَّ عملية الجمع والتدوين والكتابة التي اضطلع بها الباحث بامطرف في تدوين تاريخ البلدة (دمون) كانت شاقةً ووعرةً، في ظل شحة المصادر والمراجع والمخطوطات عن تاريخ البلدة، فضلاً عن قلة الأفراد الذين يستقصي منهم الوقائع والأحداث والمسميات، وإنَّ تنظيم هذا العمل عبر الجمع والتدوين والتحقيق للحقائق والأحداث والمظاهر السلوكية الإنسانية من مظانها واستقصائها ولمِّ شتاتها محاولةٌ صعبةٌ، ولكن الباحث بامطرف كان على قدرٍ واعٍ لهذه المهمة الصعبة، وهو بجدارة يُعَدُّ قارئاً حصيفاً، وباحثاً جاداً، صبوراً مخلصاً، ويصدق فيه ما قاله الشاعر أبو الطيب المتنبي:

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائِمُ وتأتي على قدرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

ولهذا يمكن القول إن الباحث بامطرف محبٌ ومخلصٌ لبلدته، وهذا يشهد له به القاصي والداني من أبناء البلدة ومن غير أبناء البلدة، فتناغم الإخلاص والمحبة للاثنين معاً في نفسه: البلدة والبحث الذي دوَّنه عنها.

إنَّ ملامح الإخلاص المتجلية في هذه الدراسة تنمُ أيضاً عن مشاعر الصدق والمحبة والمكانة التي يكنها بامطرف لبلدته، ولسان حال يردد ما قاله الشاعر حسن الحامد عن بلدته (دمون):

أنتِ العمده وعليك العمد أنتِ في فؤادي أنتِ في العين النون

فالباحث كان واثقاً ومؤمناً ومتحمساً للأهداف والقيم التي رسمها لدراسته فاستقامت وتكاملت له الأضواء، ولهذا سوف تتضح لدراسته المسالك النيِّرة والمشرقة عند المتلقين لهذا العمل التاريخي المتميز.

ومن هذا المنطلق يمكنني أن أقفَ في عجالة على أبرز ما يميز هذه الدراسة كدراسة تستحق الوقوف والثناء عليها ومن هذه المميزات:

- المنهجية: المنهج ضرورة مهمة في البحث بعامة؛ لأنَّ المسألة الأساسية في أي بحث علمي ناجح لا تكمن في موضوع البحث فحسب، وإنما في المنهج الذي يسلكه الباحث، ويحلل به موضوعه، ويمكِّنه من الغوص في أعماق بحثه، وتَكَشُّفِ أبعاده ورؤاه، وقد كانت عناية الباحث بامطرف في دراسته تتجه إلى تشكيل قاعدة منهجية واضحة تجلت من خلالها شخصيته البحثية المتمكنة من منهجها.
- الحس التاريخي المتيقظ لقراءة الأحداث والوقائع، وهذا ما برز في قراءته المتعددة لأحداث البلدة قديماً وحديثاً.
- التأصيل العلمي الصحيح للتراث، واستلهام موروثه وتطبيقه واستنطاقه في مجتمع البلدة، وقد تجلى في تناوله لفنون الرقص الشعبي المختلفة والألعاب

التراثيـة لمختلـف شرائـح المجتمـع، ومظـاهر العـادات الدينيـة والتقاليـد الاجتماعية والفلكلورية.

- الدقة في التصوير والوصف، واستقصاء المعلومات من مظانها، وقد تجلت دقة التصوير والوصف في تبيان الصناعات والحرف والمهن وطريقة العمل فيها، ووصف الألعاب التراثية وطريقة أدائها ومراسيمها المعتادة طوال السنة، ولهذا فإنَّ الباحث بامطرف قد استقصى صور البلدة استقصاءً عميقاً، صاحبه الدقة والتصوير للأحداث والأفراد والجماعات والمسميات؛ بحيث يجعل القارئ يعيش أحداث الزمان السابق اجتماعياً وفلكلورياً بصورته الحية، يشاهدها جيل اليوم، ويتخيلها أمامه، وهذه ميزة خارقة للباحث، فقد استنطقنا مجتمع البلدة بكل ظواهره وأحداثه، وكأنه حدثٌ يظهر لقارئه اليوم.
- تقصي الحقائق من مظانها ومن ذوي الشأن، والخروج إليهم إلى مواقعهم لتلقي المعلومة، فقد حدثني أحد أفراد المهن أن الباحث جاء إليه بمذكراته وأوراقه يستكشف كيف يشكل صنعته وحرفته، وهذا حسنة تلصق بهذه الدراسة، وقد أشارت كثيرٌ من كتب الأدب والنقد والتراث إنَّ الجاحظ تفرد عن كتاب عصره ومن سبقه في أسلوبه الفني الممتع؛ لأنه كان يعايش الناس ويراقب حركاتهم وأفعالهم مراقبة الفنان الذي يحاول أن يكشف عن عالمهم الداخلي بقدر ما يرصد مظهرهم الخارجي، وهذا ما سيتجلى للقارئ لهذه الدراسة، فقد كان الباحث يعرض صنوفاً شتى من الناس وحياتهم وطبائعهم وحرفهم، وهو في هذا يتميز عن كثير من الباحثين الذين يتجهون للوصف المبسط دون السبر في أغوار النفس البشرية ومحيطها الاجتماعي المتعدد.

- تفرد لغة الباحث التاريخية والتراثية من الأخطاء النحوية والصرفية والمعجمية، وفي رأينا أن هذه الميزة محمدةٌ تحسب للباحث، وإنَّ أعظم ما أُبتلِيَتْ به كتابات كثيرٌ من الباحثين والدارسين اليومَ اللغة الغثة القريبة إلى العامية والعُجمة منها إلى البيان والفصاحة.
- تنوع مصادر الدراسة ومراجعها، فقد اشتملت على المخطوطات والمصادر القديمة، والمراجع الحديثة، والرسائل الأكاديمية، والدوريات المحكمة، والمجلات، فضلاً عن مدونة الباحث المكتوبة والمسموعة.
- المهارة الفنية المتقنة في طباعة البحث، فقد تبيَّن لي اعتماد الباحث على قدراته ومهاراته في الطباعة واستخدام الحاسب الآلي بكل تقنياته التي تعدُّ اليوم من ضروريات الباحث وأدواته الناجعة لإخراج البحث بصورة مرضية للباحث والقراء، فكثيراً ما يعتمد بعض الباحثين على غيرهم في إخراج البحث وطباعته، فتكثر الأخطاء وفاقد الشيء لا يعطيه حقه من الإتقان.

وقد اقتضت هذه الدراسة أن تتكون من مقدمة وستة فصول وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

وقد اشتملت المقدمة على أسباب اختيار الباحث لموضوع الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج البحث المستخدم في الدراسة.

وفي الفصل الأول من هذه الدراسة ناقش الباحث الخلفية الجغرافية للبلدة، متناولاً الآراء ووجهات النظر التي قيلت في موقع البلدة (دمون) القديم والحديث والمعاصر، والمواقع المحاذية لها كقرية بريح والغبرة، كما تناول في هذا

الفصل أيضاً الخلط الواقع بين دمون (تريم)، ودمون (الهجرين)، محللاً آراء كثير من المؤرخين والجغرافيين وعلماء الآثار في التسمية المشتركة.

وفي الفصل الثاني تناول الباحث الأوضاع السياسية في البلدة، فتناول الوضع السياسي للبلدة في تاريخها القديم في إطار العهد الإسلامي، ثم وضع البلدة في سلطة آل راشد وآل يماني، وفي عصر السلطنة الكثيرية الأولى، ثم انتقل بالحديث عن واقع البلدة السياسي في القرن الحادي عشر الهجري، حيث عرَّج بالحديث عن سلطة قبيلة آل سلمة، فالدولة القعيطية، ثم واقع البلدة السياسي في مرحلة الثورة ضد الاستعمار البريطاني والسلاطين، وقيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وما ظهر فيها من تشكيلات وتكتلات سياسية، وتغييرات مرحلية الإيجابية منها والسلبية التي تجلت في مفاصل الدولة وانعكاساتها على مجتمع البلدة، ثم ختم الفصل بالحديث عن واقع البلدة في عهد الوحدة اليمنية وقيام الجمهورية اليمنية، محللاً وقارئاً الواقع السياسي في هذه الحقبة الزمنية من تاريخ البلدة، وانعكاساته على ما ظهر من سلوكيات إيجابية، وأخرى سلبية هدامة تجلت على صعيد واقع الحياة الاجتماعية في مجتمع البلدة.

وفي الفصل الثالث تناول الباحث الحياة الاقتصادية والمعيشية في البلدة، وقد ارتسمت في معالم الحياة الاقتصادية عددٌ من المهن والحرف التي كانت سائدة في البلدة ومنها: مهنة التجارة، والزراعة، والبقارة، والحمالة، والبناء والتشييد، والحدادة، والنجارة، والدباغة، والخياطة، والصياغة، والسقاية، والطباخة، والنقل، والنحالة، فضلاً عن المهن المرتبطة بالكتابة والعمل الإداري

كالوظائف الحكومية المدنية ومهنة التوثيق. كما تناول في هذا الفصل الصناعات الحرفية اليدوية السائدة في البلدة ومنها: صناعة الخزف والجير، والخوص والسلال، والحياكة.

كما أشار في خاتمة الفصل إلى الصناعات الحديثة التي انتشرت في البلدة ومنها: صناعة الثلج والآيسكريم، والمكيفات والبرادات، والورش الحديدية، والمياه الصحية، والكسارات، وتربية الدواجن.

وفي الفصل الرابع تناول الباحث الأوضاع الاجتماعية في البلدة، فقد درس سكان البلدة في تركيبه الاجتماعي بمختلف شرائحه الطبقية وألقابهم السائدة- وقتئذ-، كما تناول الصراعات التي نشأت بين طبقات مجتمع البلدة في إطار ثقافة السلاح وارتباطها بالقوة القبلية، كما أفرد بالبحث والدراسة حالات السطو والتعدي بين الطبقات المختلفة في البلدة، فضلاً عن إبراز شهامة المواقف وشجاعتها عند طبقات مجتمع البلدة.

وفي إطار دراسة الحالة الاجتماعية تناول الباحث بالدراسة المعمقة صوراً من التكافل والمودة عند أبناء البلدة بين الماضي والحاضر التي تمثلت في: المجلس القروي، ونظام الحافة، والزواجات الجماعية.

كما درس الباحث العادات والتقاليد السائدة في مجتمع البلدة، فتناول بالبحث والاستقصاء دراسة عادات الاحتفالات الدينية منذ مدخل السنة الهجرية إلى آخر شهر في السنة (شهر ذي الحجة).

كما تناول أيضاً بالبحث المفصل احتفالات العادات الاجتماعية وما يصاحبها من نظام وترتيب وعهود ومواثيق، وقد تمثلت هذه الاحتفالات في عادات: القناصة، ومداد الحضر، ومداد البقارة، وعادات الزواج والولادة، والختان، والوفاة.

كما تناول في إطار الدراسة الحالة الأنثروبولوجيا لمجتمع البلدة التي تجلت في مظاهر اللباس وصوره المختلفة لدى شرائح البلدة، ونمط بناء المساكن وتركيبتها العمرانية، ونظام الأكل ووجباته المعتادة في البلدة، فضلاً عن دراسة واقع المرأة الاجتماعي في البلدة.

وفي نهاية الفصل عرَّج الباحث لدراسة ظاهرة المجاعة والهجرة وما صاحبهما من آثار إنسانية واجتماعية ضجت بواقعهما الأليم على مجتمع البلدة.

وفي الفصل الخامس تناول الباحث الأوضاع التعليمية والدينية والثقافية في البلدة، ففي الأوضاع التعليمية تناول الباحث تاريخ تطور التعليم في البلدة ابتداءً بالمعلامات المتعددة، وفصول محو الأمية، إلى التعليم النظامي والحكومي.

أما الأوضاع الدينية فقد تناول الباحث فيها مساجد البلدة ومصلياتها مبتدئاً بالمساجد التي أسست أولاً، ثم المساجد التي أسست مؤخراً، كما تناول في أثناء حديثه عن المساجد تاريخ تأسيس المسجد، وما يعتمل فيه من جُمَعٍ ومجالس الدرس والذكر والرواتب والسنن والنوافل والحزب اليومي والأوراد وحلقات تعليم القرآن وتحفيظه. كما تناول الباحث في أثناء حديثه عن المساجد السقايات والمنازح المرتبطة بالمساجد ودورها في جلب المياه إلى البيوت في وقت سابق من تاريخ البلدة.

وفي الإطار الثقافي تناول الباحث تاريخ الحركة الرياضية منذ القدم إلى الوقت المعاصر، والأندية الرياضية في البلدة، ودورها في الأنشطة التي كانت تعتمل على صعيد البلدة، والمنافسات خارج البلدة، كما أفرد الباحث رأيه الشخصي في توحيد الأنشطة الرياضية في البلدة في الوقت الحاضر ودورها في لم الشمل وجمع الكلمة في البلدة.

وفي إطار الأنشطة الثقافية في البلدة استعرض الباحث الحركة الأدبية في البلدة، مستعرضاً شعراء البلدة على مستوى الشعر الشعبي وشعر الدان، محللاً نماذج منهما. كما أبرز أنماط الفن في البلدة الذي تجلى في الفن التشكيلي، والفن الغنائي والمسرحي.

وأفرد الباحث بالدراسة والاستقصاء أنماط الرقص الشعبي السائد في البلدة المتمثل في: الرزيح، وبني مغراه، والشبواني، ورقصات القنيص، والظاهري (القطني)، والزربادي، والقفزان، والمخدرة.

وفي إطار دراسته للألعاب التراثية اليدوية قام الباحث بتقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهي:

- الألعاب التراثية اليدوية لكبار السن من الرجال وتمثلت في ألعاب: الورقة، والطيبان، والضمنة، والكنستا.
- الألعاب التراثية اليدوية للصغار من الأولاد وتمثلت في ألعاب الصوب، والكعارير، والقِله، وعظيم سرى، ريس بيد، وقفز العوشر، والصونج، والخِيِّه، والراوندس، ورمي المخابيط، والمريكوزة، وحامل أمه (التبن)، ويا قريب مقعد، ودخلنا مره وخرجنا مره، والفرفارة.

- الألعاب التراثية اليدوية للنساء والبنات وتمثلت في ألعاب: النقيلة، الكورت، طب طاب العطب، وأول ثاني، والحفيرة.

وأبرز الباحث في خاتمة الفصل عرضاً للمنتزهات في البلدة وتجلت في موقع مولى لوسط، عين الغبرة، رزم ناصر. كما أشار إلى مواقع النزهة الحديثة في البلدة التي تمثلت في المسابح المتعددة.

وفي الفصل السادس تناول الباحث الشخصيات الخالدة من أبناء البلدة، فقد وقف على الشخصيات التي كان لها عظيم الأثر في مجتمع البلدة في إطار ما قدمته للإنسانية من أعمال الإصلاح الاجتماعي، وبناء المدارس والمساجد والزوايا والأربطة، ونشر التعليم، ومآزرة أبناء البلدة في الشدائد والمحن، والاعتزاز بالانتماء للبلدة موطناً عزيزاً ومهداً كريماً، فضلاً عمن كان منهم مفخرةً للبلدة دمون، ولحضرموت، واليمن بعامة، وشغلوا من صفحات التاريخ ما لم يشغله غيره من أبناء البلدات الأخرى، وأضحى أولئك النفر من أبناء البلدة علماء في عصرهم وامتداداً لما بعد عصرهم، وبقيت آثارهم العلمية نوراً يستضئ منها علماء وباحثين، يشرحون غوامضها، ويفندون أسرارها من بعدهم.

ومن هذه الشخصيات الخالدة: السيد علي بن شيخ بن شهاب، والمعلم سعيد عبد الحق، والسيد أحمد بن محمد بن شهاب، والشيخ سعيد بن سعد بن نبهان، والسيد أبوبكر بن علي بن شهاب، والشيخ عبد الله بن سعيد باغوث، والسيد عمر بن أحمد المشهور، والسيد أحمد بن ضياء بن شهاب، ورجل مرحلة عبد الله بن سعيد التميمي، والمقدم خميس بن سعيِّد بن محفوظ.

وتضمنت الدراسة خاتمة، وكانت قراءة استنتاجية عرض فيها الباحث تحليلاً للسلوك والقيم والمفاهيم التي سادت في البلدة في تاريخها القديم والمعاصر، كما تضمنت توصية من الباحث لإجراء دراسات أخرى عن البلدة في مجال الآثار لتحديد الموقع الأول للبلدة، وتحليل التراث الذي كان سائداً في البلدة.

وختم الباحث دراسته بقائمة المصادر والمراجع التي كانت متنوعة بين المصدر القديم والمراجع والدراسات الأكاديمية الحديثة، والدوريات والمجلات العلمية، والمخطوطات، ومدونة الباحث التي تميزت بالمدونة المسموعة والمكتوبة من ذوي الشأن والاختصاص.

في الأخير فإنني أعدُّ هذه الدراسة من أجود وأمتع ما قرأتُ من الدراسات والبحوث، وأضعها في مصاف الدراسات البحثية والأكاديمية الناجحة والهادفة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بقلم: د. سالم محمد بامؤمن

أستاذ الأدب والنقد المساعد- جامعة حضرموت

نائب عميد كلية التربية- سيئون للدراسات العليا والبحث العلمي

دمون في: ١١/ ١١/ ١٤٣٩هـ - الموافق: ٢٤/ ٧/ ٢٠١٨م

المقدمة

أسباب اختيارالموضوع القراءة:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، شاء الله وشاءت قدرته، أن ألبي طلبا لبعض الزملاء بأن أكتب شيئا عن تاريخ البلدة دمون.

ومن السهل أن تلبي وتعطي وعدا، لكن من الصعب – أحيانا- الوفاء بهذا الوعد، خاصة إذا كان هذا الوعد يتطلب الرجوع إلى الوراء مئات السنين، على شحة المصادر وندرتها وتضاربها.

غير أن هناك رغبة تجتاحني منذ زمن، في أن أعرف المزيد عما عرفته، وما عرفته لا يبعد كثيرا عن أصداء مرددة من شيوخنا وعقالنا عما قيل عن هذه البلدة، وقد بدأت أجمع شيئا عنها من بعض المصادر المكتوبة، والمروية دون مصطلح التدوين.

وحين بدأت أدون من المصادر، وأنتقي منها ما يكون، تلبية لمطلب الزملاء، وتحقيقا لرغبتي، شعرت بأنني في مأزق حرج بوعد أوعدته، قد لا أستطيع أن انجز منه شيئا، كما طلب مني ورغبت فيه، ربما لأنني لا امتلك ادوات البحث ولامصادره التي تعينني على انجاز ماوعدت، أو أن المهمة بدت لي بحجم أكبر مما تصورته، لوعورة المسلك وتشعب مساراته، وضبابية الرؤية لهذا المسلك، لاعن التعريف بالبلدة وحدها، وانما بكل ما يتصل بمدن وقرى حضرموت، في

مرحلة أومراحل معينة، في تاريخها الموغل في القدم، أو في الذي يليه، بحيث لا يكاد الباحث يظفر بما يريد من معرفة، أو رد على تساؤل تفرضه المرحلة، فلقد خيّل لي وأنا بين الإحجام والإقدام عن تنفيذ ما وعدت ومارغبت فيه، أن إنجازه أشبه بالمستحيل..استحالة التعريف بهذه البلدة في ماضيها البعيد والقريب، وحتى في حاضرها، والاطمئنان للمعلومة التي تناقلها الرواة.. خلفا عن سلف، وحسب المصادر الموجودة، لإقتضابها من ناحية، ولتشعب وتعصب وعمومية ما في هذه المصادر من ناحية أخرى، وبالزيادة والتحريف والتشويه وبالخلط وبالظن. وفي حاضرها الذي لاترى منه إلا الظاهر بمدلولات المظاهروحسب، وكل يرى بعينيه، ويخمن بحدسه وعاطفته وتقييمه الشخصي-، قصد ذلك أو لم يقصده، ودافع عن تقييمه دفاع الموقن، فتعددت الرؤى، وتعددت المظان، دون تحقيق وتمحيص في الأغلب.

ولا أخفي سرا أن قلت أنه عندما بدأت الكتابة.. تملكتني رهبة وتهيّب، وخوف لما أزمعت القيام به، وكلما استرسلت في البحث أو القراءة ووضع نقاط البحث، زاد تهيبي وأردت من جديد أن أعفي نفسي- وأعتذر لمن وعدت، فقد صعب علي الأمر بانغلاق السبل والغموض والملاوي التي تثبط الهمة نحوما رمت وأردت.

مع هذا كله جد عزمي وتوكلت على الله، في أن أتابع ما بدأت به، وأنا لاأجزم بقراءة صحيحة وسليمة فيما أقدمت عليه، سواء النقل من المصادر، أو قراءة سرد الوقائع والأحداث المروية، وكذا المشاهدة ومعايشة الواقع، لأن

مشاهدة الأحداث المنظورة قد تخدع النظر بتشابكها وتلونها بألوان متقاربة متباينة في مواقع الحدث، وفي المنظور مايستتر وما يخفى على الناظر في لحظته وحينه، وهو مما قد يعطي للحدث قراءة ورؤية قد تكون قاصرة أو مبتورة، أومبالغ فيها، حيث لا تجد المصدر الذي تركن إليه في القراءة.

والمعروف أن التاريخ كله نقل، وإذا كان النقل عن رواة ففيه التزيّد، وفيه التنقص، تبعا لأهواء الراوي وانتمائه.

منهج البحث أو القراءة:

ولقد انتهجت المنهج الوصفي التاريخي المتمثل في النقل والسرد والوصف، لقراءة الأحداث من مصادرها المدونة المعنية بتاريخ حضرموت، دون تخطي ذلك في الأغلب، رغم التباينات الواضحة في بعض المصادر، إلا فيما يفرضه النقل والسرد أو القراءة للحدث، ولم اسجل- من غير المصادر تلك، إلا ما اتفق عليه أكثر من راوٍ من المسنين حول حدث ما في البلدة، وما بقي في الذاكرة من سماع شيوخ وعقلاء قد توفاهم الله، وتركت ما اختلف حوله الرواة، وماتفرد به واحد من رواية مع معاصرته للكثيرمنهم. وما عاصرته من أحداث في زمننا الراهن.

هي قراءة سريعة، قد يكون في ماحوته هذه القراءة دروس وعبر من معترك الحياة في مجتمع البلدة، كما هو حال كل المجتمعات البشرية، فلا شيء اسمه الثابت ولا المستحيل.. إنما هي دورة زمن، فيها من التباينات، وتقلبات من في دورتها من خيروشر، وطموح وخمول، ومحامد ومذام، وقوة وضعف، وصعود وانتكاس.

ولقد انتهجت - أيضا- في هذه القراءة أو هذا البحث - على قصره وبدائيته- النقل والسرد والتسجيل بحيادية للأحداث التي رافقت مجتمع البلدة في بعض من مراحلها، وليس لي إنتماء سياسي أو مذهبي أو حزبي، ولا تعصب لفئة، لكن هناك عاطفة في الإنسان تبعده عن الحيادية في بعض المواقف والسرد، خاصة إذا تناولت أحداث مرحلة ما موضوع العقيدة وشعائرالدين، وما أحل وماحرم بالنكران أو الرفض، وإنتهاك المحارم، والظلم والجور، ومن يعين الظالم، فالإنسان السوي بطبعه يمقت الظالم لظلمه، ولا يمكنه التزام الحياد فيما يمس العقيدة وانتهاك المحارم.

ولغير ذلك من أوجه الخلاف والإختلاف بين أفراد المجتمع وتركيبته، انتهجت فيه السرد للوقائع كماهي.

وللتنويه أن بعض الحقائق مُرّه سواء كانت من الماضي أو في الحاضر، يشق على البعض استساغتها وقبولها، ولكنها في الوقت نفسه حقائق لا يغيّرها التزويق، ولا يمحيها التجاهل، وإن إشهارها أجدر من إخفائها.

وهذه القراءة تألفت من المقدمة وهي هذه، وتمهيد، وفصول ستة، وخاتمة، وقائمة المصادر.

تمهيد: ومن خلاله عرّفت بالبلدة في موقعها الحالي فقط.

الفصل الأول: عن الخلفية الجغرافية للبلدة، وقد تناولت القراءة موقع البلدة القديمة من كتب التاريخ والنقوش، ومآثر البلدة في حاضرها، كما تناول الفصل، الربط بين دمون تريم، ودمون الهجرين، أي دمون التي في غرب حضرموت، ودمون التي عناها أمرؤ القيس في شعره.

الفصل الثاني: قراءة الأوضاع السياسية في البلدة من حكم العشائر، والسلاطين، والسلطنة القعيطية، وحكومات مابعد الاستقلال، ومارافق ذلك من سلبيات وإيجابيات في تلك المراحل حتى الوقت الحاضر.

الفصل الثالث: قراءة الحالة الاقتصادية، والمعيشية، والمهن والحرف والصناعة في مجتمع البلدة.

الفصل الرابع: التعريف بقبائل سكان البلدة وألقابهم، والحالة الاجتماعية والأمنية وسطوة ذوي النفوذ في مراحل من تاريخها، والعادات، والعوائد والسوارح سواء الدينية أو الشعبية وغيرها مما يندرج تحت مكونات المجتمع.

الفصل الخامس: الأوضاع التعليمية والدينية والثقافية والسياحية، وهي قراءة طريقة التعليم في مراحله في البلدة، ومساجد البلدة، والسقايات، والأندية والفرق الرياضية، وشعراء البلدة وفنانيها، والرقصات والألعاب الشعبية، والمنتزهات السياحية.

الفصل السادس: ترجمة لشخصيات من البلدة

الخاتمة: تلخيص لبعض القراءة

المراجع والمصادر.

ومهما يكن من تقصير أو نقص، فأنا أعتقد أن الجهد الذي بذل لم يذهب عبثا، فلقد استطعت – حسب تقديري-أنني أبرزت شيئا لم يعرفه الكثيرون، وظهرت أشياء لم تكن في الحسبان للكثير من أبناء البلدة، وأن قيمتها تكمن في أن تشد عزم أولى العزم في البحث والتنقيب والتحليل لما خفي وما ظهر من سلبيات كل مرحلة وايجابياتها.

سبب اختياري اسم البلدة:

وقد اخترت لدمون اسم "البلدة"، وهي التي تعني القطعة من البلد، أو المكان المحدود من الأرض، تستوطنه جماعات معينة، واسم البلدة يحتمل الوصف للمدينة والقرية.

هذه البلدة، أو المدينة، أو القرية، كما هي في وصفها القديم، أو هي الشِّعب، وهي الشعب الورب، والشعب النوير، والشِّحره، كما وصفها المعلم سعيد عبد الحق في تاريخها القريب، هي اليوم، حي من أحياء مدينة تريم، وربما كانت جزءا من مدينة تريم في وقت ما من تاريخها، كحالها اليوم، لكن لم تسعفني المصادر الموثوقة التي تؤكد ذلك، على الأقل بما استطعت الاطلاع عليه منها في تاريخها القديم، ولقد أشرت إلى من تناول موضوع جزئيتها أو تبعيتها لمدينة تريم بمصادره المروية وبدون مصدر سوى قول الثقات على حد تعبير الراوي.

موقع البلدة:

مصادر المؤرخين تؤكد قدم المدينة وانفصالها عن مدينة تريم واستقلالها بصورة أو بأخرى، سواء مصادر مدونات النقوش، أو التاريخ المكتوب، حيث إنني لم أعثر على أثر ما لتلك البلدة القديمة التي تردد ذكرها كثيرا في مدونات التاريخ القديم إلا القول إنها قرب تريم أو المجاورة لتريم.

وهو السؤال الذي ظل مهيمنا على قراءتي أو بحثي، والذي لم أجد له ردا شافيا..أين موقع البلدة- دمون- في تاريخها القديم.

وكثير من البلدات بقي اسمها وربما موقعها أيضا، ولم تترك لها أثرا، مع ما كان لها من مجد غارب، ومآثر وحصون وقصور نياف في التاريخ.

ولعل هناك تساؤلاً يفرض نفسه حول موقع مسجد الشيخ علي بن أبي بكر السكران المسمى(مسجد الشيخ علي الشرقي) بين الغويضه والبلدة- رغم حداثته- ومع أنني لم أحصل على تاريخ بناء المسجد إلا أن مؤسسه توفي عام ٨٩٥هـ، وبداهة أنه أسس مسجده قبل وفاته بسنوات، وذلك بعد أن بنى البلدة- دمون- محمد أحمد الصبرات عام٨٩٣هـ، وقد خربها آل كثير عام٨٩٠هـ. وهناك في الجانب الجنوبي من المسجد، مسجد "مشيّخ" حفيد الشخ علي بن أبي بكر السكران المتوفي عام ٩٧٦هـ.

وفي الجانب الجنوبي من المسجد توجد مزرعة "الدكين"، وما عرفناه عن الدكين أنها كانت قرية من اقطاعيات سالم غرامه في القرن الثالث عشر الهجري، وفيها حصن الدكين فوق هضبة الجبل، وحصن الدكين ثغر دمون أي الواجهة، ومعنى "دكين" اللغوي هو اللون المائل للغبرة، أو إلى السواد، فلعلها كانت الأرض الخصبة للمدينة دمون بكثرة أشجارها ونخيلها، وعندنا في البلدة الحالية الاستعارة للكلمة موجودة في مزارع (سواده-الغبرة) ويقال أنها سميت سواده لكثرة مافيها من أشجار مثمرة بظل لها في منتصف النهار المشرق كالغسق، وكذا الغبره.

وخصب الأرض هو الدافع القوي لغارات الطامعين، ومقر الولاة والسلاطين.

فهل كانت دمون في تلك الناحية، أي بين "الدكين"- المزرعة حاليا- و"الغويضه"، أو حواليها، شرقا أو غربا؟.. مجرد تساؤل لادليل ولا مصدر يرفده.

وتساؤل آخر، حين عرّف بعض المؤرخين قرية "بريح" بأنها شرقي تريم، وتعريف آخر بأنها – أي قرية بريح-بين دمون وتريم، فأين تكون دمون؟..أقصد دمون القديمة.. ومع ان من عرّف لم يعزو لنا تعريفه بمصدر نرجع إليه، ولعل التعريف بدمون الحالية هو ما وصفه ابن عبيد اللاه بأنها على يسار الخارج من تريم إلى المشرق.

غير أن الحوادث والأحداث التاريخية في حضرموت عامة، وسواء كانت تلك الحوادث والأحداث طبيعية، أو انتقامية، التي عصفت بالمدن والقرى الحضرمية وجردتها من سكانها، وغيرت من مواقعها ولم تبق لها أثراً يذكر ليست غريبة على الباحث. فعلى سبيل المثال قرية "بريح" التي لم يعد لها أثرا إلا ماذكر عنها في كتب التاريخ، وأنها تقع شرقي تريم، ولو لم تبق مقبرتها إلى عهد قريب لم تعرف، كما لم يعرف لها موقع في الوقت الحاضر، رغم تحديدها بشرقي مدينة تريم.

ويذكرالمؤرخ السيد علوي بن طاهر الحداد في تاريخه الشامل، أنه كانت لحمير- كما كانت دمون لحمير- مدينة عظيمة تسمى "مخا" بين مشطه والعجز، قد خربت ولا أثرلها.

ومعروف عن دمون إضافة إلى تدوين النقوش، قد حل فيها صحابي أو من له شبه صحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولايمكن أن يحل مثل من حل فيها إلا أن يكون فيها مسجدٌ وسكنٌ وسكانٌ، ثم يأتي بعدئذ سلاطين آل راشد وآل يماني وغيرهم، واستيلاؤهم عليها والسكن فيها، وأياكانت سيرتهم في ذلك العهد فإنهم ملتزمون بشعائرهم في المساجد، ومساكنهم في الحصون، ولهم شعب ولهم جند.ولا أثر بقي من ذلك في الموقع الحالي.

ولعل من واقع القراءة والبحث الذي لم نجد غيره أن دمون القديمة هي في موقع من المواقع التي أشرنا إليها دون تحديد موقع بذاته.

ولم نستطع الحصول على أي مصدر يشير إلى البلدة القديمة في القرن الحادي عشرالهجري، أو إلى سكانها، بل لم نستطع الحصول على مصير حكامها وسكانها بعد أن أخربها آل كثير، وعمرها محمد أحمد الصبرات في القرن التاسع الهجري. وربما كان في نهاية القرن التاسع وقد تشتَّتَ سكانها وتفرقوا، فكان الإنتقال إلى الموقع الحالي للبلدة في نهاية القرن العاشر الهجري حيث كانت السكنى او الإستبدال، وهو مجرد وجهة نظر خاصة.

أما موقع البلدة الحالية، وآثارها هو حصن أو قلعة آل سلمة، في وسط البلدة معروف، ومع أننا لم نجد مصدرا موثوقا لتاريخ بنائه، إلا أنه لا يتعدى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، شأنه شأن حصن غرامه(الدكين) وحصن بلغيث، وعين الغبره في القرن العاشر، ومسجد الشيخ علي في القرن التاسع الهجري.

تاريخ حضرموت العام:

في الواقع يوجد فراغ كبير في تاريخ حضرموت العام، لا تجد ما يسده من المصادر الموجودة، لترجيح رأي من الآراء التي تناقلها الرواة عن البلدة، لبعدها عن واقع البلدة التاريخية، لكن هذا لا يعني نهاية البحث، فنحن على قلة الخبرة، وشحة المصادر، وعدم التخصص، نأمل من الاكاديميين أن يدلوا بدلوهم في البحث والتنقيب عن موقع البلدة التاريخي، خاصة وأن هناك من يؤكد أن دمون – هذه– هي التي عناها امرؤ القيس، مع أن أغلب المؤرخين يرون أنها دمون الهجرين.

ولعل تحديد الموقع القديم بمسماه وما يمكن أن يوجد فيه من آثار يتطلب دراسة وبحث يقوم بها المتخصصون في علم ألآثار والتاريخ. واعتقد أنهم اليوم قادرون على أن يحققوا ويستيقنوا ويسيروا في البحث على بصيرة، بحكم التقدم العلمي وآلياته المتعددة، خلاف ما يقال وتم نقله بالظن والتخمين.

والذي يعرف بالبداهة عند كل باحث أن لكل دورة زمن حوادث وملامح عصرها، تخلف وراءها تغييرات في كثير من المواقع، كما يطرأ على السكان تغيير ظاهر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، عُرفت أو لم تعرف، فلكل مرحلة أو عصر طوارىء ومستجدات تخالف ما قبلها من أطوار سواء أكانت حسنة أم سيئة.

كما أن لكل مجتمع في مرحلة من عصره أو طور من عصر، فيه من اختلاف بين أفراده، واختلاف في العادات والتجارب، واختلاف في الوسائل والمقاصد ودرجة الوعي، ولكل فئة أو طبقة لها مزايا وصفات عرفت بها، ولا يمنعها مانع

أن تأخذ من بعض صفات ومزايا غيرها مانع، إلا عوائد البيئة. وهذه المجتمعات – على إختلافها وتباينها- تكوّن وحدة متماسكة مترابطة متصلة بعضها البعض، وكل طبقة من طبقاته مكملة للأخرى، والفضل لأهل الفضل.

من مزايا هذه القراءة:

ولعل من مزايا وخواص هذا البحث، أو هذه القراءة – إن كانت له شيء من ذلك- أنني أثبت ما اطلعت عليه من المصادر التي أشارت إلى البلدة، ومارافق الإشارة من أحداث، لأكثر من عصر من عصورها القديمة حتى الوقت الحاضر، ولكل عصر مرحلة أو أكثر من مرحلة، ولكل مرحلة عادات وعوائد تختلف عما قبلها، واعتقد انه لم يسبقني غيري فيما دونت.

ولقد رضيت عن المحاولة، وليس كل الرضا، فأنا أعتقد أنه شابها شيء من القصور، والعجزعن ادراك كثير من خبايا الظواهر التي قد تتطلب جهدا وسعيا وصبرا وأناة لكشفها، وأن الأسئلة تتعاظم وتتشكل كلما التقطنا معلومة عنها من هنا أو هناك، دون الحصول على رد مقنع، وأنني أرجو من كل من لديه معلومة من مصدر ما عن البلدة- دمون- أو تصحيح معلومة وردت في المسطور، أن يفيدنا مشكورا.

ولعل أصعب سؤال بقي، وربما سيبقى حتى يقيض الله له من يرد عليه، هو أين تقع دمون التاريخية، وأين آثارها..!!؟.

عمرعبد الله بامطرف

الفصل الأول

١- الخلفية الجغرافية للبلدة.

٢- بين دمون تريم ودمون الهجرين.

١- الخلفية الجغرافية للبلدة

تمهيد:

الموقع والتاريخ

البلدة (دمون) هي اليوم حي من أحياء مدينة تريم، ولم تكن في سابق عهدها جزءا من مدينة تريم، سواء كان هذا موقعها أو كان لها موقعا آخر، إذ لم يرد ذكرلها في المصادرالموثوقة أن البلدة كانت جزءا من مدينة تريم في وقت من الأوقات، على الأقل بما استطعت الإطلاع عليه، بقدر ما تؤكده تلك المصادر أنها مدينة مستقلة عن مدينة تريم في كل أدوارتاريخها إلى ماقبل الإستقلال، في نهاية ستينيات القرن الميلادي الماضي.

تقع البلدة في موقعها الحالي شمالي مدينة تريم على يسار الخارج من تريم إلى الشرق، و إلى عهد قريب كانت في حيز محدود يبدأ من شِعِب متاش من الناحية الجنوبية شمالي السور – الفاصل بين مدينة تريم والبلدة– الذي ظل ردحا من الزمن أطلالا وبقايا آثار بناء، – قبل استحداث العمران فيه– إلى مسجد بلفقيه، وتبدأ مساكن البلدة من بيت آل بن سهيل التميميين، ودار سعد(حاليا بعد تجديد بنائه بيت سليمان عمر التميمي)، مرورا بشِعِب "ماقص" الواقع فيه مسجد جامع مشهور، ومسجد السكران، ثم حارة " بامشيطر" الواقع فيها مسجد شهاب الدين والقارة، وانتهاء بشِحْرة آل عقيل، وحاليا بعد التوسع العمراني في البلدة حيث يلي شحرة آل عقيل منطقة "باحميد"، ثم من الناحية الشرقية الشمالية: "المشروخة"، و"كديّد"، و"باصاع"، و"لوسط"، و"الحَرْيِة". و"كشف الغبرة" من الناحية الغربية لتلك المحال، وفي الجانب الجنوبي: "الجزء الشمالي من حافة المطار"، ومن الناحية الشرقية منطقة الفجير.

سور دمون

في نهاية القرن الثالث عشرأو بداية القرن الرابع عشر الهجري، حصّن آل سلمه التميميين دمون بسور يمتد من الناحية الجنوبية ومن نهاية ذبر آبار الجبالي الجنوبية ببوابة إلى الشرق في موقع الطريق المؤدية الآن إلى بيت السيد عمر المشهور، ثم يمتد- يفصله منفذ إلى جهة الشرق شمالي بيت المقدم سالم بن عوض- وبيت ورثة آل بكورة التميمين، ثم سور جرب مسجد جامع مشهور والمدرسة(مدرسة الإقبال الأهلية)، ومن المدرسة من الناحية الشمالية إلى بوابة (سدة) سميت بأسم حارسها (سدة عاطف) ببوابة إلى الشرق إلى بيوت آل شهاب، وكانت تحوي على بيت أشبه بالحصن في الجانب الجنوبي من السدة سكنا للحارس، ويتصل السور من الشمال بسور جرب مسجد شهاب الدين، وقد تم مسح الدور والبيت (الحصن) في العقود الثلاثة الماضية.

دمون القديمة

بالرجوع إلى المصادرالتاريخية، التي تؤكد قدم المدينة، سواء مصادرمدونات النقوش الأثرية، أو التاريخ المكتوب، لم يحدد موقع البلدة في تلك المدونات إلا انها قرب مدينة تريم أو بجوارمدينة تريم.

وتاريخ البلدة جزء من التاريخ العام لحضرموت، الذي طاله الإهمال المقصود وغير المقصود في كثير من أدواره. لهذا فالباحث كالمؤرخ يلاقي معوقات جم وصعوبة في ربط بعض الأحداث التاريخية وتحديد مواقعها، ناهيك عن أسبابها وأهدافها، وما آلت إليه.

وعلى رأي الأستاذ المؤرخ سعيد عوض باوزير، وهو يسجل أسفه الشديد لفقدان المصادر التاريخية لأجزاء مهمة جدا من ماضي حضرموت بقوله:"لا نستطيع حتى الآن أن نبدي رأيا قاطعا في الموضوع حتى تتجمع لدينا الأدلة الكافية" (١)، وإذا كان يقصد بهذا الأسف ظاهرة غريبة معينة، فما أكثر الظواهر الغريبة في تاريخنا.

"وحضرموت – أو وادي الأحقاف كما عبرعنه إبن هاشم- كغيره من البقاع، يجري على سنن الإنتخاب الطبيعي، فتتطور حالاته، وتتبدل أسماء محاله، وتتفرع قبائله، فتنتسب إلى فروع أخرى تتجدد، وتندغم بطون في آخرين، وتبيد عشائر وتحل محلها غيرها، وربما استبدلت اسما للمحل الذي تحله بالاسم السابق فينمحي هذا ويثبت ذاك، وتحفظ لنا سجلات الأجيال الغابرة من الأسماء ما لا يعرف اليوم." (٢).

ومن مقدمة لكتاب تاريخ الدولة الكثيرية كتبها الأستاذ محمد علي الجفري يقول:" والواقع الذي يحز في النفس ويملأها مرارة وغصصا أن تاريخ هذا الجنوب العربي مبهم غامض لايكاد ما وصلنا منه يبل غليلا أو يروي ظامئا، والمراجع الموجودة على قلتها وندرتها لا تكفي لتسليط ضوء ساطع يكشف الغامض ويوضح المبهم، وانما هي شتات من معلومات متفرقة هنا وهناك، هي في مجموعها لا تقدم لنا إلا صورة غير واضحة المعالم ولا محددة الهيكل" (٣).

(١) صفحات من التاريخ الحضرمي صـ ٨٧.

(٢) أنيس علي الكاف: مختارات من كتابة شيخ الصحافة الحضرمية صـ ٧٥.

(٣) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية جـ١ صـ ١٣.

ودمون على أية حال لم أجد من حدد موقعها القديم، أهي هذه الرقعة من الأرض التي نسكنها، شمالي مدينة تريم، أو كان لها موقع آخر غير هذا قريبا من تريم، ففي إدام القوت للسيّد العلامة ابن عبيداللاه يقول:" إن قرية "بريح" كانت بين دمون وتريم، ولا أثر لشيء منها إلا المقبرة"[٤].و"بريح" موضع شرقي تريم كانت قرية ثم خربت [٥]، ولا أثر لها اليوم. وفي المشرع الروي:"قرية بريح قرية صغيرة قريبة من مدينة تريم" [٦].

ويعرّف ابن عبيداللاه موقع دمون- في موضع آخر من الكتاب فيقول:"إنها أول ما يكون على يسار الذاهب من تريم إلى المشرق" [٧].

وعن حصن الدكين يقول ابن عبيد اللاه:"وهو ثغر دمون" [٨]، وحصن دكين أو الدكين معروف، والدكين اليوم مزرعة على انقاض قرية، وموقعها شرقي دمون.

وقد استعصى على المحقق المؤرخ عبد الله محمد الحبشي في تحقيقه لكتاب تاريخ حضرموت المسمى " العدة المفيدة" للشيخ سالم بن محمد بن حميد في التعريف بالبلدان الموجودة في كتاب العدة المفيدة، إلا أنه وقف على كتاب في

(٤) عبدالرحمن بن عبيداللاه السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت صـ٥٣٧.

(٥) ابن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية صـ ٥٣.

(٦) محمد ابي بكر الشلي: جـ٢ صـ ١٣٦.

(٧) السقاف: إدام القوت صـ٥٥١.

(٨) المصدر السابق صـ٥٥٢.

أسماء بلدان حضرموت وهو كتاب" إدام القوت" للمؤرخ العلامة عبدالرحمن بن عبيداللاه السقاف فانتقى منه المعلومات، وعرّف دمون بأنها مدينة يقع شرقيها حصن النجير" [٩]، ولقد أخطأ في النقل، وأخطأ في التعريف، فلقد ذكر ابن عبيداللاه:" أن حصن الدكين هو الواقع شرقي دمون"، كما جاء في إدام القوت [١٠]وليس حصن النجير، وهذا الخطأ في التعريف نقله عن العدة الأستاذ أحمد بن محمد ضياء بن شهاب في كتابه الاعتراف بالإحسان[١١] على اعتبار أن دمون كانت تقع في غرب النجير وانتقل سكانها إلى موقعها الحالي.

وحصن النجير يقع على بعد أربعة أميال شرقي تريم. [١٢].

وتعريف بالبلدة دمون جاء في كتيب" بغية من تمنى في توضيح بعض معالم تريم الغناء" للسيد العلامة القاضي عمربن أحمد المشهور يقول:

"شِعب ماقص"، ويسمى الآن شِعب دمون، وقد كان هذا الشعب خاليا عن العمران والسكان والديار، ولم يوجد به إلا أشجار السلم، وأكواخ صغيرة تابعة لبعض البدو الرحل، ولعلهم آل عمران من قبيلة تميم الذين يعيشون في الأكواخ وتحت الأحجار الكبيرة.

(٩) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي جـ٢ صـ٤١٨.

(١٠) صـ ٥٣٩.

(١١) صـ ٢٢.

(١٢) عبد القادر محمد الصبان: تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت صـ ١٥.

وقد كان الحبيب الفاضل الإمام أحمد بن محمد بن شهاب الدين الأصغر المتوفي سنة ١١١٣هـ بتريم الذي حل النويدره، كثير التردد إلى وادي دمون الذي يسكنه قبائل من آل عمران، وهم أول من سكن وادي دمون الأعلى، ويرِد إلى هذا الوادي كثير من البدو الرحل الذين يحملون بضائعهم من سعَف وصخر وأغنام وغيرها إلى تريم، غير أنهم يرتاحون قليلا في وادي دمون حيث آل عمران، فيأتي السيد أحمد لتذكيرهم وتعليمهم الإسلام والدعوة إلى الله. ثم أنه تزوج عند آل عمران وأنجب ابنه محمد صاحب المسجد الآن- مسجد مشهور- وسار محمد على اثر والده في الدعوة إلى الله، ولما توفي والده، قويت أواصر الصلة بينه وبين أخواله آل عمران، فطلب منهم تلك البقعة(الأرض) وبنى مسجدا وحفر بئرا سماها(بئر الجميلة)، وعمل أحواض للبهائم الواصلة إلى تلك الأرض فرغب البادية فيها، ثم تكاثرت الناس إلى جانب مسجده." ويؤكد بعد ذلك بقوله:" ليعلم أنه كان ذلك الشعب خاليا عن السكان، ثم أنه إبان الفتن التي تقع بين يافع بعضهم ببعض، أيام التجزئة في السلطة بينهم، انتقل كثير من الناس إلى ذلك الشعب وسكنوا به، كما انتقل إليه المزارع الفلاحون، لأنه كان لا يسكن ذلك الوادي إلا الفلاحين فقط. وكانوا ساكنين في مزارعهم، ثم انتقلوا إلى ذلك الشعب خوف الفتن، وسكنوا فيه وبنو ديارا وسكنا وأصبح آهلا بالسكان، واختص بالسلطة والولاية المنفردة عن البلدة آل سلمه." [١٣].

(١٣) بغية من تمنى صـ ٢٧ .

وأترك هذا التعريف بدون تعليق كغيره من المعلومات التي استقيناها من مصادرها رغم الاختلاف والتباين في بعضها. لأن دمون موجودة قبل ذلك، وكانت آهلة بالسكان قبل هذه المدة بقرون عديدة سواء كان هذا موقعها أو غيره، وأن هذا الشعِب- ماقص- اليوم من شعاب دمون، خاصة وأنه قد أورد في كتيبه أنه اختطها – أي دمون- وسميت بأسمه دمون بن الصدف. وأن مسجد الشيخ علي الشرقي بدمون تأسس قبل عام ٨٩٥هـ، كما ذكره أيضا في كتيبه.

ومع هذا فإننا نكاد نجزم أن موقع دمون القديمة غير هذا الموقع، وربماكان قريبا منه، للدلائل التاريخية التي أوردناها في هذه القراءة، وانتحل هذا الشّعب اسم دمون وحل فيه من حل سواء كان من سكان دمون القديمة أو من غيرها.

وبما حصلت عليه من تاريخ البلدة- دمون-، مما يؤكد أن دمون كانت كيانا مستقلا في أغلب أدوار تاريخها، أكان هذا موقعها وطمست آثارها أو كان لها موقع آخر، وهو ما تجده في إشارات المؤرخين بمقولة والي تريم، ووالي دمون، أو والي تريم والعجز ودمون وغيرها، وأن من اعتبرها واديا من أودية تريم، أو شعبا من شعابها، أو مصيفا من مصايفها، ربما لموقع مدينة دمون القريب من شعابها، أو لمدة زمنية مؤقتة، كانت كذلك لمن عاش فيها، أو يكون بعد تغيير موقعها. وقد عدد ابن عبيد اللاه السقاف القرى حول تريم ذكر منها: عيديد، والحاوي، والمحيضرة، وقرية بريح. وذكر أودية تريم ومنها: النعير، وخيله، وثبي. ولم ينسب دمون إلى قرى تريم ولا إلى أوديتها [١٤].

(١٤) إدام القوت صـ ٥٣٧، ٥٢٥.

والشاطري يقول عن دمون:" هي سابقا إحدى ضواحي تريم" [١٥]، ولم يذكر أية سابقة كانت دمون من ضواحي تريم.

ولا ننكر التداخل الطبيعي والاجتماعي- في تاريخها الحديث- بين مدينة تريم وبلدة – حي- دمون اليوم، فربما دمون هي أقرب من عيديد لوسط تريم – مثلا-، وأن آخر سور يفصل بين تريم ودمون ومازالت آثاره موجودة، هو الفاصل الذي لا يتعدى المتر أو الاقل في بعض مواقعه، وهناك أسوار كانت للمدينة – تريم- مختلفة الأبعاد والحدود، لكن لم تبيّن لنا أن دمون كانت داخلة فيها، وإن ذكرت بعض أسوار تريم من قارة العز إلى الحدر [١٦]، بدون تحديد.

ويفند الشاطري مسار السور بقوله:" وقارة العز معروفة جنوب تريم، وأما حدر فلم يعرف موقعه بالضبط، ويؤخذ من اسمه أنه في ناحية الشرق من تريم." [١٧].

هذا مع اعتقادنا أن دمون كانت في موقع غير موقعها الحالي.

ولعل في المستقبل تظهر أبحاث ومصادر أخرى ترجح بعض المصادر، أو تفسر بعض التباينات في المصادر.

ولقد احتفظت دمون بكيانها المستقل مع ما مر من محاولات يافع، وآل كثير في دوري السلطنتين الأولى والثانية، وغيرهما فأخفقا. ولا يعني بأي حال من

(١٥) محمد أحمد الشاطري: أدوارالتاريخ الحضرمي جـ١ صـ٦٠.

(١٦) أحمد عبد الله شنبل: تاريخ حضرموت صـ ٦٣.

(١٧) أدوارالتاريخ لحضرمي جـ١ هامش صـ ٢٠٨.

الأحوال أننا نسعى أو سعينا للتشرذم، أو نباركه، ولكننا نقرأ واقعا مرت به البلدة، وفي كل الأحوال المواطنون هم ضحايا التشرذم والتفرقة، وتريم بالنسبة لسكان دمون، هي مركز علمهم، وهي تسوقهم، وهي مصدر عيشهم، وعوائدهم وعاداتهم، وبالتالي هي مقر مثواهم الأخير.

قرية بريح

وعن قرية بريح يقول العلامة ابن عبيداللاه: "كانت قرية بين دمون وتريم ولا أثر لشيء منها إلا المقبرة" (١٨).

والمقبرة، وكانت فيها قبة تزار، ولم يكشف عن هوية المقبور فيها، وموقعها خلف السور الفاصل بين دمون وتريم بالقرب من سدة محبوب في الجانب الجنوبي، أي في نويدرة تريم، وكانت حتى بداية السبعينيات من القرن الميلادي الماضي ظاهرة للعيان رغم تدثرها، وقد بنيت على أنقاض تلك المقبرة بعد أن تم مسح السور والمقبرة - من قبل السلطة المحلية حينها- مدرسة الفلاحين الإبتدائية، من طابق واحد عام ١٩٧٦م، وفي عام ١٩٨٦م استكمل البناء للطابق الثاني. ومن بعد تسمت بأسم مدرسة دمون، وذكر لي المعلم عاشور سالم باشامخه، أحد معالمة البناء الذين قاموا ببناء المدرسة بشغل تطوعي بالإكراه، أنه مع حفر خنادق الأساسات للمدرسة وجدنا كثيرا من جثث المقبورين بأكفانهم مازالت بهيئتها.

(١٨) السقاف: إدام القوت صـ٥٣٧.

غيل دمون (الغبره)

ويقال لها غبرة باحميد، "ففي عام ٩١٧هـ أخرج عبد العظيم باحميد، غيل دمون وزرع عليه"(الغبره) [١٩].

"وكان الشيخ العارف بالله تعالى عبد الكبير باحميد يتعبد في هذا الشِّعب وانعزل فيه عن الناس، فأظهرالله له عينا تجري على الأرض واستمرت إلى هذا الزمان" [٢٠].

وقد عد صاحب "المشرع الروي" شِعب الغبره من شِعاب تريم، وقال:" شعب الغبرة بفتح المعجمة وسكون الموحدة وفتح الراء آخرها، والظاهر أن أصلها ألف لأنها لغة أرض كثيرة الأشجار، وهذه كانت كذلك، لأنها كانت ذات عيون جارية، وإنما سدها معن بن زائدة." [٢١].

ونسب صاحب المشرع أيضا وادي دمون من أودية تريم فيقول:" الوادي الميمون الذي حل فيه الصالحون والأولياء العارفون، وهو أيضا متسع البساتين والأراضي، يسقي سيله نخيلا شاسعة وأرضا واسعة" [٢٢].

ويروى عن الحبيب محمد بن سميط صاحب شبام أنه قال: البركة في حضرموت في ثلاثة وديان: في وادي دمون، ووادي بيت جبير، وفي وادي عمد [٢٣].

---

(١٩) شنبل: تاريخ حضرموت صـ ٢٥٠.

(٢٠) الشلي: المشرع الروي جـ١ صـ ١٥١.

(٢١) الشلي: جـ١ صـ ١٥١، وللمؤرخ طاهر علوي الحداد في كتابه: الشامل من تاريخ حضرموت تعريف بالغبره يقول:" والمراد بالغبرة بفتحات، عين قليلة الماء كأن اسمها مأخوذ من غبر وهو بقية الماء. وهذا التعريف هو الأقرب والأنسب لغبرة دمون.

(٢٢) المصدر السابق ج ١صـ ١٥١/ ١٥٢.

(٢٣) حلاوة القرطاس في بعض مناقب الحبيب ابي بكر بن عبد الله العطاس صـ ٣٠٤.

ومن كتاب "الغرر" عن الشريف محمد بن عبد الرحمن باحسن أنه قال حججت بيت الله الحرام، وجلست عند الشيخ عبد الكبير عبد الله باحميد فقال في مجلسه ذلك أن [آل باعلوي] [٢٤] !! هذه السنة يحملون السلاح، فخرجت إلى حضرموت، فخرج ابنه برهان الدين واشتروا "مدوده "..

قرية خربة بحضرموت من السلطان بدر بن عبد الله الكثيري، وبناها وحفر بها بئرا ومنعه آل كثير فقامت الحرب بينهم فحمل آل باحميد السلاح [٢٥].

ومن كتاب" الجامع" [٢٦]: "عبد الكبير عبد الله بن محمد باحميد الأنصاري الحضرمي(٧٩٤-٨٦٩هـ) من العلماء، ولد ببلدة مدودة!، وسافر إلى زبيد لطلب العلم بها، ومنها إلى مكة المشرفة، وكان أول قدومه إلى مكة سنة ٨٤٩هـ.عاد إلى بلده مدودة سنة ٨٥٠هـ وابتنى بها مسجدا هو جامع البلد الآن، ثم عاد إلى مكة وتوفي بها".

وفي كتاب "الإعتراف بالإحسان" [٢٧] ما يفيد:" أن قبور المشايخ آل باحميد لا تزال موجودة إلى الآن في المحل يقال له باحميد- بدمون- وفيها قبر الشيخ عبد الكبير باحميد وبعض أصحابه!".

والمعروف أن عبد الكبير عبدالله باحميد مات وقبر بالشبيكة بمكة المكرمة[٢٨].

(٢٤) المقصود حسب سياق الحديث آل باحميد، وليس آل باعلوي.

(٢٥) محمد علي خرد: غرر البهاء الضوي صـ ٤٥١، ٤٥٢.

(٢٦) محمد عبد القادر بامطرف صـ٣٢٥.

(٢٧) أحمد بن محمد ضياء بن شهاب صـ ٢٠.

(٢٨) مدونة الشيخ سالم زين باحميد.

وذكر ابن عبيداللاه [٢٩]: "ان عبد الكبير عبد الله باحميد مقبورٌ في الشبيكة من مكة المشرفة".

ويذكر أبوبكر العطاس بن عبد الله بن علوي الحبشي في كتابه: "التذكير المصطفى لأولاد المصطفى وغيرهم ممن اجتباه الله واصطفى":"وذكر ابن ظهيرة في كتابه" نشر العبير في مناقب الشيخ عبد الكبير بن عبد الله بن محمد المعروف بأبي حميد الصحابي أنه ولد سنة ٧٩٤هـ بحضرموت في عصر الشيخ عبد الرحمن السقاف، وذكر عنه أنه كان يصوم الدهر، وأنه ساح في البراري والقفار نحوا من عشرين سنة، ثم جاور بمكة حتى مات سنة ٨٦٩هـ ودفن في تربة الشبيكة.

ولم أتوفق في معرفة الصلة بين الشيخ عبد العظيم باحميد، والشيخ عبد الكبير باحميد، لكن "مسجد باحميد" ينسب إلى الشيخ عبد العزيزبن عبد العظيم باحميد، ويقع غربي رباط تريم" [٣٠].

ومسجد باحميد موجود في وقت الشيخ عمر (المحضار) بن الشيخ عبد الرحمن السقاف المتوفي سنة ٨٣٣ هـ حسب ماأشارت اتفاقية آل بني علوي على تأسيس النقابة ورئاسة الشيخ عمر المحضار لها، والمسجد من ضمن المساجد الذين تراضواعلى إخراج صدقاتها [٣١].

(٢٩) إدام القوت صـ ٣٥٧.

(٣٠) خالد سعيد باغوث: الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم صـ ١٣٠.

(٣١) صالح علي الحامد:تاريخ حضرموت جـ٢ صـ ٧٥٤.

وقد أشكل على من أشكل الإسم بين عبد العظيم وعبد الكبير، حيث إن عبد العظيم هوالذي أخرج غيل دمون (الغبرة)، وجاء بعد عبد الكبير بأكثر من مائة عام.

وقد تعذرعلي معرفة تاريخ ميلاد ووفاة كل من عبد العظيم وعبد العزيز، فضلا عن تكرار اسم عبد الكبير في شجرة آل باحميد.

ومنطقة باحميد معروفة من دمون في الجزء الشمالي منها، وقد استكملت أراضيها بالمباني وتجاوزت المقبرة، وقد سورت المقبرة في الفترة الأخيرة بسور قصير جدا.

والمقبرة استحدثت في وقت المجاعة الأخيرة (عام ١٩٤٥-١٩٤٨ م) حيث تم دفن بعض الموتى فيها من المعسرين، كما تم دفن بعض قتلى الحرب الدائرة بين العشائر، وبين آل سلمه وآل كثير بتريم وغيرهم قبل ذلك. والمعروف أن قبور سكان دمون في ترب تريم.

وكانت مقبرة أخرى لقتلى " جماعة نهابة" يقودها علي بن ذياب في الناحية الجنوبية من البلدة، شمالي مقبرة بريح التي بنيت على بقايا آثارها المدرسة، في موقع من شمالي بيت عمر وعبد الشيخ عبد الله باني إلى بيت علي سعيد باني)، وكانت بعض القبور ظاهرة قبل بناء تلك البيوت، وقد ذكرها المعلم عبد الحق في قصيدة من ديوانه، ومطلعها:

يا الله ياراباه ياجـزل الـعـطا يا مكـتـفـل بالـرزق يا وهـا بـه

وفيها يقول:

هـذا علـي كـم ناس قـد عـذبهم وكل فـقـري وحـش قـلـبـه ذابـه

ينـهـب فـقـيرا وحـش ماله وقعه ما هاب مـن رب السما وعـقـابـه [٣٢]

وفي إدام القوت يقول ابن عبيداللاه:" وكان في دمون عيون جارية تسقي كثيرا من مزارع والنخيل والبساتين، فشملها ما كان من تعدي معن بن زائدة بسكرها، وكان الشيخ عبد الكبيرباحميد يتعبد في هذا الوادي، وأنبط الله له عينا تجري على الأرض باقية إلى اليوم، إلا أنها قلت فلا يصل ماؤها إلى المزارع، ولا إلى قريب منها، وإنما ينتفع بالشرب والسقي منها المنتجعون إذا جدبت نجودهم، وبقربها نخيلات تسقيها وماؤها يتقاطر من شقي حجر أحدهما حار والآخر بارد، كذا يقال لكن المشاهدة الآن لا تصدقه"[٣٣].

ولتصحيح المعلومة، فإن العين، وهي عين الغبره، ولعل مصدر من أرّخ وعرّف بها هو شنبل في تاريخه، الذي يقول: " أخرج عبد العظيم باحميد غيل بدمون"، وفي المشرع الروي يقول: " أنبط الله له- أي لعبد الكبيرباحميد- عينا!!"، وهو ما أخذه عنه العلامة ابن عبيداللاه. وينقل- ابن عبيداللاه- عن شنبل: وفي حوادث ٦١٧هـ (والأصح كما في تاريخ شنبل ٩١٧هـ) أن عبدالعظيم باحميد أنبط غيل دمون وزرع عليه(أي غيل الغبرة).

(٣٢) ديوان الوقائع صـ ١٧، ١٩.

(٣٣) السقاف: إدام القوت صـ ٥٥٢.

وقد اختلط الإسم على من ذكر عين(غيل) الغبرة بين عبد العظيم وعبد الكبير، والفارق الزمني بينهما ليس هينا كما أشرنا سابقا.

والواقع الذي نعرفه نحن أبناء المنطقة أن العين..عين(غيل) الغبرة، ظاهر للعيان الحفر فيها لجريان الماء، وفي صغرنا كنا نترقد إلى النبع الذي يتدفق منه الماء ويجري مختفيا تحت الأحجار الكبيرة، ليبرز بعدئذ في ساقية(عتم) صغيرة مكشوفة معمولة من الجير(النوره) والرماد إلى الجابية(البركة) الكبيرة التي يتجمع فيها الماء، وما زالت على هيئتها السابقة ليسقي الزرع فيما بعد، إلا أنه في الفترة الأخيرة – حاليا– استبدلت بأنابيب بدلا من الساقية(العتم). وكنا نرى في صغرنا بقايا جذوع نخل موات مبعثرة، ولم نر فيها زراعة، وإن كانت آثارها موجودة، لكن من هم أكبرمنا سنا يؤكدون أنها كانت عليها زراعة قوية، وهي من أملاك آل شهاب، وقد اعتنى بها في الفترة الأخيرة نفر من الناس وزرع عليها وإن كانت الزراعة محدودة.

وقد أخطأ من ذكر أن السيّد على بن شيخ بن شهاب اشترى الغبرة من آل باحميد [٣٤]، فلقد اطلع حفدة علي بن شيخ بن شهاب – ملاك الغبره– على نذر شرعي من آل باموذن لعبدالله باحسانه العفاري في شهر صفر من سنة١١٣٠هـ بما يخصه في الغبره المشهورة بغبرة باحميد[٣٥].

(٣٤) عمر أحمد المشهور: بغية من تمنى صـ٣٠.

(٣٥) كانوا يتخذون النذر الشرعي مع الصيغة الشرعية للبيع لسد أي خلل في صيغة البيع.

وما ذكره ابن عبيداللاه أن ماءها يتقاطر من شقي حجر، فإنما ذلك في موقع آخر يقال له "القطّار"، والموقع في الجانب الغربي الأعلى من العين، والمواقع هنا كلها جبلية، وكان تحت الحجر الكبير الذي تتقاطر منه قطرات ماء إلى حوضين صغيرين أحدهما في الجانب الشرقي، والآخر في الجانب الغربي، ومايقال عن أحدها حارة والأخرى باردة، فالواقع أن الحوض الشرقي يتعرض لأشعة الشمس، والحوض الغربي في ظل الجبل والحجر. وكنا إلى عهد قريب قبل أن يسقط ذلك الحجر الكبير وتختفي معالم الحوضين تحته، نسمع خوي الماء بين تلك الصخور الكبيرة، ولا نرى له منفذا، إلا تلك القطرات، أو الأصح الدمعات التي تنساب من الحجر إلى الحوضين.

ولقد بقيت الغبرة كمنتجع للاستجمام أو النزهة لأهالي دمون وغيرها إلى اليوم. ومن كتاب [بهجة الزمان] ذكر أن الشيخ ابوبكر بن عبد الله بافضل يقول: أن السيد عبد الله بن علوي الحداد أنشأ قصيدته:

يارب ياعالم الحال اليك وجهت الآمال

فامنن علينا بالإقبال وكن لنا واصلح الحال الخ..

المسماه بالنفحة العنبرية. أملاها علينا في محجر دمون، ونحن وإياه رائحون إلى الغبرة التي في ذلك الوادي أو راجعون منها.

وكان السيد الحداد يخرج إلى ذلك الوادي والغبرة التي فيه على سبيل التنزه والتروح بمن معه من الأولاد والأصحاب والفقراء، تصفية للخاطر عن ثقل الخلق ومشاهدتهم[٣٦].

(٣٦) محمد بن زين بن سميط : بهجة الزمان وسلوة الأحزان صـ ٢٩٠.

وقد وصف الدكتورعلي حسين البار وادي دمون، بالوادي الواسع الذي تصطف عليه أشجار النخيل وتتخلله الأراضي الزراعية المنتجة للحبوب كالقمح والذرة وأنواع الخضروات والتمور التي تسقى بماء العيون المنتشرة في الجبال المحيطة بالمدينة من الشمال والغرب!![٣٧]، وباستثناء عين الغبرة الذي ذكر آنفا، لا يوجد بالوادي ولا الجبال المحيطة به من شماله أو غربه عيون أو معايين، وإنما تسقى مزارعه في السابق بطريقة المَسنا المعروفة، وحاليا بالمضخات الارتوازية.

(٣٧) ابحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي: بحث بعنوان مدى استجابة تجمعات تريم وعيديد ودمون صـ ٢٧٤.

٢- بين دمون تريم ودمون الهجرين

هناك خلط في بعض المصادر بين البلدة دمون، وبين دمون الغربية- الهجرين-، وهناك تعريف عام بدمون، دون تحديد أي من المدينتين.

ومع أنني اكتفيت بالنقل من المصادر التاريخية بدون تعليق. لكون التباين بين الآراء والاجتهادات، والنقولات، متشعبة المسالك والمصادر، دون تمحيص في كثير منها، بحيث لا تتفق الكثيرمن الروايات في تقرير ووصف لحادث أو موقع أو حال، ومن حيث ندرة المصادر التي يمكن أن يستعين بها القارى أو الباحث في وجهة نظره، وهو ما خشيت أن يكون فيه استعجال للنتائج، أوتسرع في إبداء وجهة النظر، فاكتفيت بالنقل فقط من المصدر، لكنه في الوقت نفسه لا يعفيني من قصرإطلاع، والإلتجاء إلى الموقف السلبي.

ولقد عانينا من هذا الخلط في سبيل الحصول على معلومة نركن إليها عن مدينة دمون امرىء القيس..أهي دمون التي قرب تريم، أو دمون الغربية القريبة من مدينة الهجرين، وأي دمون عناها امرؤ القيس في أشعاره، وأيهما انتحلت الإسم.. وأي موقع كان للبلدة- دمون- أهو موقعها الحالي انطمست آثارها وانمحت، أو موقع آخر لم يحدد موقعه بعد.

فعن- دمون- مدينة امرىءالقيس – مثلا- هناك مفارقات ومضاربات حول الموقع مع الإتفاق على الإسم، فغياب المصدر العلمي الذي يمكن الركون إليه ويقنع الناظر أو الباحث حول هذه المدينة، أو تلك البلدة، سواء كانت في غرب حضرموت أو شرقها، كان الظن وكان التخمين، وكان الخلط والخبط.

لكن الذي عليه إجماع المؤرخين – تقريبا- أن دمون التي عناها امرؤالقيس هي تلك القريبة من الهجرين، لكن هذا لايعني إغلاق البحث، فلتعدد الآراء وتباينها، أو تضاربها، يشحذ الهمم، ويكثف الجهد من أولى المعرفة لغربلة الموجود وتصحيحه.

فكل ما تحصلنا عليه، وواقع البلدة يثير التساؤل بل تساؤلات كثيرة، ومن الصعب جدا ترجيح بعض الآراء حول الموقع، والمشكلة التي تبرز حول موقعها الجديد(حاليا)، هو عدم وجود ملامح أو آثار تؤكد قدمها حسب الموجود في المصادر التاريخية الموثقة، لكن هذا لا يعني حداثتها أو عدم قدمها، فلعله قد تم طمس آثارها وملامحها القديمة لسبب أو آخر، وهو ما يمكن حدوثه في كثير من البلدات والمدن، وكذا التنقل من موقع إلى آخر قريب منه لأكثر من سبب، وهي حالة من حالات سنن الانتخاب الطبيعي للبلدان- كما عبر عنه ابن هاشم-.

يقول المؤرخ علوي طاهر الحداد:" وفي التاريخ ذكر لقرى من حضرموت لا يعلم اليوم مواضعها، إلا أن يشار إليها على توهم واجمال، مثل قارة جشيب وقرية الحسيسة...

ويضيف – بعد أن ذكر الكثير من القرى-:" وبعض المواضع يحتاج إلى استعمال المسحاة والقدوم ليتبيّن حدود القرية وأساسات المنازل ولا يكتفي بمجرد الطواف."[٣٨] .

(٣٨) جني الشماريخ-دراسة وتحقيق الدكتور محمد يسلم عبد النور صـ ٨١.

ومدينة أو بلدة دمون التي أصبحت منذ التقسيم الإداري بعد الإستقلال حي من أحياء مدينة تريم، سمي حينها بحي الفلاحين، ثم استعادت الإسم التاريخي – دمون – بعد الوحدة، وهي- مع دمون الغربية لاتفاق الإسم- محور وموضوع البحث أو التعريف الذي استطعنا نبشه من بين المصادروالمراجع التي وفقنا للحصول عليها رغم قلتها، وما تلقيناه من ذاكرة الشيوخ في تاريخها المتأخر، وما عشناه في حاضرنا الذي نحن فيه.

ودمون هي قاعدة ملوك كندة [٣٩]، وكنده لقب لثور بن عفير بن الحرث بن مره ومدينة ملكهم دمون[٤٠].

"وعفير أول من لقب كندة لأنه كند أباه نعمته، أي جحدها وكفر بها، أجلوا من البحرين والمشقر بعد مقتل إبن الجون، وكان الذي نقل منهم إلى حضرموت نيفا وثلاثين ألف، أقاموا في الشحر ودوعن والكسر وعندل والهجرين ورخيه ودهر وسدبه وحوره ومنوب ودمون"[٤١].

ويؤكد بعض المؤرخين أن – دمون- أي دمون الواقعة قرب مدينة تريم كانت لحمير، أي تابعة للسكان الأصليين في المنطقة ولم تكن تابعة لكندة[٤٢]،

(٣٩) عبدالرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ٤ صـ ٢٨٦.

(٤٠) المصدر السابق جـ٢ صـ ٣٣١.

(٤١) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي جـ١ صـ ٥٩.

(٤٢) د.سرجيس فرانتسوزوف تعريب د. عبد العزيز جعفر بن عقيل: تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده صـ ٧٨.

ويقول الصبان:"دمون هي القرية التي هي الآن تابعة لمدينة تريم كانت عامرة، وقد أثبتت النقوش الأثرية قدم المدينة، وأنها كانت عامرة وذات قيمة تاريخية ومن قبل الميلاد بقرون عدة، وكانت دمون لحمير قبل الميلاد ونزحت إليها كندة بعد مقتل ابن الجون"(٤٣).

ويقول صاحب كتاب:"عادات وتقاليد حضرموت الغربية": " وبعض باحثي المنطقة اعتبروا أنه كان يقع في الغرب (في الهجرين) مركز كنده الرئيسي دمون التي أضحت في العصر الإسلامي مقرا للوالي الأموي الذي أقصاه فيما بعد الأباضيون(٤٤).

ويضيف صاحب الكتاب:" ومع أن سكان دمون التريمية حسب كلام الهمداني كانوا حميريين، فإن اخلاف حجر آكل المرار قد استوطنوا بين قبيلة الصدف في دمون الهجرين"(٤٥).

وفي بحث بعنوان: الجديد في تاريخ تريم القديم، يقول الأستاذ: أحمد صالح الرباكي:" في نهاية القرن السادس الميلادي وبداية القرن السابع كانت كنده بحضرموت مقسمة إلى العديد من القبائل والبطون التي لم تستطع أية منها أن تبرز الأخريات وتفرض زعامتها واقعيا للسيطرة على بقية الفروع، ولكن في بدايات القرن السابع الميلادي لم تكن سكنى كنده في غربي حضرموت فقط،

(٤٣) الصبان: تعريفات تاريخية صـ ٢٤.

(٤٤) ميخائيل روديونوف ترجمة: د.علي صالح الخلاقي صـ٦٠، وهناك رواية تشكك في مقر الوالي الأموي تلك كما هي في صـ (٣٨).

(٤٥) المصدر السابق صـ ٦١.

ولكن كانت لها أيضا مثاوي في شرقيها مبعثرة على طول الوادي، فقرى قبائل بني هند تقع في النهاية الشرقية لوادي حضرموت حتى وادي برهوت، وكذلك تريم التي كانت مقرا لملوك بني عمرو بن معاوية في الجزء الرئيس مـن وادي حضرموت، فيما كانت دمون المجاورة لها لحمير ولم تكن تابعة لكندة."[٤٦] .

وعن التعريف بالمعلم الشاعر سعيد عبد الحق الدموني يقول عنه روبرت سرجنت:" وهو من أهالي دمون على مقربة من تريم وهي البلدة التي ينتسب إليها امرؤ القيس"[٤٧].

وفي إدام القوت لابن عبيداللاه: " أن دمون من حصون حمير بحضرموت، وفي جبل الهجرين ساقية دمون يأتيها السيل من أودية دوعن"[٤٨].

ويؤكد المعلومة لتصحيح ماذكره الهمداني حول دمون بقوله:" وما ذكره- الهمداني- عن دمون

مخالف لما أسلفناه -عنه- فيها، ما لم يرد دمون الشرقية."[٤٩] .

وذكر ابن عبيداللاه أيضا:" أن قال بعضهم- أي كنده- أصلهم من البحرين، وأنهم أجلوا إلى حضرموت وعددهم ثلاثين ألف، وأقاموا في موضع يشرف على حضرموت وتصب أوديته لها، ثم إلى مهره، واسم قصبته الكبرى دمون."[٥٠] .

(٤٦) أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي صـ ١٦٤.

(٤٧) نثر وشعر من حضرموت ترجمة: سعيد محمد دحي صـ١٣١.

(٤٨) إدام القوت صـ ٢٠٣.

(٤٩) إدام القوت صـ ٤٩٠.

(٥٠) بضائع التابوت ج١ صـ ١٢٧.

والحامد في تاريخه يقول: "الصدف وفي معناهم السكون والسكاسك من بني الأشرس من كنده، من القبائل التي توطنت حضرموت من قبل أن تفد إليها كندة، ومن مواطنهم عندل وقد زارها امرؤ القيس بن حجر وفيها يقول:

كأني لم ألهُ بدمون ليلة ولم أشهد الغارات يوما بعندل

"وعندل وخودن ودمون وهدون مدن الصدف، وقد نزل دمونا فيما بعد بنو آكل المرار من كنده.

والهجران مدينتان في رأس جبل حصين يقال لواحدة خيدون وخودن، والثانية دمون تثنية لهجر، وهي القرية بلغة حمير والعرب العاربة ". وينقل عن المشرع الروي أن الهجران قريتان في رأس جبل حصين قرب حضرموت يقال لأحدهما خيدون والأخرى دمون." [٥١]، ويظهر أن هذا التعريف منقول عن الهمداني، ففي صفة جزيرة العرب للهمداني:" عندل مدينة عظيمة للصدف، وكان امرؤ القيس بن حجر قد زار الصدف إليها وفيها يقول:

كأني لم أله بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوما بعندل

وعندل وخودون وهدون ودمون مدن للصدف بحضرموت، ثم الهجران، وهما مدينتان مقتبلتان(متقابلتان) في رأس جبل حصين يطلع إليه في منعة من كل جانب يقال لواحدة خودون وخودن كله يقال ودمون وهي تثنية الهجر". وفي الهامش لمحقق الكتاب محمد بن علي الاكوع الحوالي:" ودمون بفتح الدال

(٥١) الحامد: تاريخ حضرموت جـ١ صـ ١٧.

وتشديد الميم أوردها ياقوت في حرف الدال المهملة وأورد كلام الهمداني ورسمها أيضا في حرف الذال المعجمة، وبعد أن ضبطها بالحرف قال هو الموضع الذي كان امرؤالقيس يشرب فيه، فجاءه الوصاف ينعي أباه فقال امرؤ القيس:

تطاول الليل عليك دمون دمون انا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون

والمشهور المعروف الذي ينطق به اليمانون دمون بالدال المهملة، وهذه المدن لا تزال عامرة بالأهل والسكن، وفي الأكليل خودون من الهجرين مدينة بحضرموت عظيمة على جبل منيف فالجبل بين القريتين كالجمل البارك وفيهما يقول القائل:

خودون ودمون كفه بكفه والنخل والذبر بهما محفة. "[٥٢] .

والملاحظ فيه من قول المحقق عن هذه المدن ومنها دمون الغربية عامرة بالأهل والسكن!!، ولم تعد أي منها عامرة إلا دمون التي بقرب تريم.

وقد صحح المؤرخ الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه:" ملاحظات على ما ذكره الهمداني من جغرافية حضرموت يقول: " أما خودن – وهذا اسمها الصحيح، وليست خودون أو خيدون، ودمون فإنهما خراب الآن، وكانتا في القديم تشكلان جزءين لمدينة واحدة، واحدة يقال لها المنيظرة(تصغير منظرة) وتقع بأسفل السفح الشرقي لجبل الهجرين ويقول الأستاذ بامطرف، ونحن

(٥٢) صفة جزيرة العرب صـ ١٦٧، ١٦٨.

نقول: إن مدينة الهجرين(كان الحضارم ينطقونها هجرن) مدينة عامرة إلى يومنا هذا، ولا علاقة لها البتة بمدينة المنيظرة سالفة الذكر التي يشكل جزئيها كل من خودن ودمون(٥٣).

ويشبه ابن عبيداللاه الهجرين بالجمل البارك- على وفق التشبيه السابق- ويقول:" وفي جانب ذلك الجبل الشبيه بالجمل من جهة الشمال آثار دمون المذكورة في شعر امرىء القيس، تطل رسومها على ضواحيها المزدانة بالنخيل، وقد بقي اسم دمون يطلق على الضواحي إلى اليوم. وفيه يقرب قول القاموس: والهجران قريتان متقابلتان في رأس جبل حصين قرب حضرموت يقال لأحدهما خيدون والأخرى دمون" (٥٤).

وامرىءالقيس كما يقول صالح الحامد- "لم يأت حضرموت إلا ضيفا وافدا على بني الاشرس من كنده، الذين جاوروا حضرموت، ومولده ببني سعد وأمه فاطمة أخت كليب ومهلهل من نجد"(٥٥).

"وكان حجر والد امرىءالقيس قد طرده، وآلى ألا يقيم معه أنفة من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب، فإذا صادف غديرا أو روضة، أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج للصيد فتصيد، ثم عاد فأكل وأكلوامعه وشرب الخمر

(٥٣) ملاحظات على ماذكره الهمداني صـ ١٣.

(٥٤) السقاف: بضائع التابوت مخطوط جـ ٢صـ ١٢٣.

(٥٥) صالح الحامد تاريخ حضرموت جـ ١ صـ٤٨.

وسقاهم وغنتهم قيانه، ولا يزال كذلك حتى ينفذ ماء ذلك الغدير، ثم ينتقل إلى غيره، فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون، فلما أتاه الخبر قال:

تطاول علينا الليل دمون دمون إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون

ثم قال ضيّعني صغيرا وحملني دمه كبيرا..لا صحو اليوم ولا سكر غدا..اليوم خمر وغدا أمر فذهبت مثلا."[٥٦] .

يقول ابن عبيداللاه:" وذكر الميداني في مجمع الأمثال في شرح اليوم خمر وغدا أمر، أن أمرأ القيس لما طرده ابوه من أجل الشعر لحق بدمون، فلم يزل بها حتى جاءه الأعور العجلي فأخبره مقتل أبيه، فقال: تطاول الليل.... الخ، ثم بقي يشرب سبعة أيام ثم قال:

أتاني وأصحابي على رأس صيلعٍ حديث أطار النوم عني وأفعما.. الخ.

وصيلع قرية صغيرة على أنف جبل محاذ للهجرين من جهة الجنوب."[٥٧] .

يقول ابن عبيداللاه: " إن كل من ذكر طرد حجر لولده امرؤ القيس، ممن يقول السبب في ذلك هو الشعر، وليس بمعقول، لأن الشعر عندهم من الفضائل التي يتنافسون فيها سوقة وملوكا، ولكن السبب الصحيح أنه كان يتشبب بهرّ وكنيتها أم الحويرث، وكانت زوجة والده، فلذلك طرده وهم بقتله"[٥٨].

(٥٦) أبوالفرج الأصبهاني: الأغاني جـ ٨ صـ ٦٥.

(٥٧) بضائع التابوت ج١ صـ١٣٦.

(٥٨) إدام القوت هامش صـ ٢٠٣.

وفي تاريخ الشعراء الحضرميين:" أن امرؤ القيس، قد نشأ في كنف أبيه نشأة أبناء الملوك، وكان جميلا أصفر اللون مشوبا ببياض، ولما راهق جمحت نفسه للنساء ومغازلتهن وإلى اللهو والطرب ومعاقرة الخمور، فأنف أبوه من هذه الحياة الشاذة التي لا يعرفها قومه فأقصاه إلى ديار طي، ولما لم تكن حياته بها أقل من حياته في "مرات"، فقد أبعده إلى حضرموت بين أهله وعشيرته بمدينة دمون(القزه) موطن أبيه وقاعدة مملكة آبائه في أيام الملك مرتع بن ثور، وهو في حدود سن العشرين، ودمون هذه التي يعنيها بقوله:

تطاول الليل علينا دمون دمون انا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون

فسكنها قيّما على أموال أبيه ومتوليا حكم دمون السياسي والمدني، ويظهر أنه أقام بدمون نحو خمسين سنة، وكان في أثنائها يتردد إلى نجد.

وفي ربوع دمون ومنتزهاتها وجبالها وأوديتها كان مبعث شعره ومثار عواطفه." [٥٩] .

ومن كتاب: [الحركة الأدبية في حضرموت] " وفي حضرموت عاش امرؤاالقيس ونشأ بها..كانت هوايته الأولى الآداب والقنص والغزل والنساء، حتى أفرط، فسمته العرب الملك الضليل. كان بحضرموت أيام شبابه وتفجرت له في تلك الأيام..أيام زهرة عمره وربيع عيشه ينابيع الشعر، فكرع منها وجاء بالخالدات.

(٥٩) عبد الله بن محمد السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين جـ١ صـ ١١.

داهمته الأحداث فلم ينس وطنه بحضرموت ولا ليالي صفوه قال:

كأني لم أسمر بدمون ليلة ولم أشهد الغارات يوما بعندل

دمون قرب تريم. يقول مرة أخرى:

تطاول الليل علينا دمون وقلص دمون إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون[٦٠].

"وقد كانت الشحر وهينن ودمون أشبه بأسواق عكاظ والمربد والمجنة، حيث كانوا يجتمعون هناك في مواسم معلومة يلقي كل شاعر شعره، وكل خطيب خطبته ويصف كل شاعر وكل خطيب ما عمله هو، أو غيره من خير وإصلاح.

حتى إن كثيرا من أهل البلاد النائية كدوعن وغيرها يشدون الرحال إلى دمون ليشاهدوا مباراة أصحاب الكلام من الكنديين، فيتعلم أولئك النزلاء شيئا من ذلاقة لسانهم وحلاوة لهجتهم في مجتمعات دمون، ووضوح معاني أشعارهم وخطابهم، يقول امرؤ القيس:

كأني لم أسمر بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوما بعندل[٦١].

ويذكر السلطان غالب بن عوض القعيطي:" أن مدينة دمون التي أسست – كنده- فيها مقرها السياسي رمزا لنفوذ سيادتها القبلية، ولئن أصبحت دمون مدينة صغيرة في أنظارنا اليوم مقارنة ببعض المدن الأخرى لهذا العصر، فلقد

(٦٠) الصبان: الحركة الأدبية في حضرموت صـ ١٥.

(٦١) البكري:تاريخ حضرموت السياسي جـ١ صـ٤٠.

كانت في يومها مصدرا وموضعا للمدح والثناء من قبل "الملك الضليل" الشاعر امرؤ القيس الكندي (المتوفي ٥٤٠م) صاحب إحدى المعلقات السبع، الذي خلد ذكراها بما يلي، ولو أن هناك من يزعم بأن الإشارة هنا لموقع في البحرين التاريخية- أي شرق الجزيرة العربية-:

كأني لم اله بدمون ليلة ولم أشهد الغارات يوما بعندل"[٦٢].

وعن أي دمون تحدث السلطان!!.

وفي دائرة المعارف الإسلامية: "كان امرؤالقيس من العشاق الذين يميلون إلى العبث، ويقال إن أباه طرده لتشببه بفاطمة بنت العبيد من قبيلة بني عذره، ويروى أيضا أن أباه أمر مولى له يدعي ربيعة أن يقتله، ولكن ربيعة ذبح جؤذرا صغيرا وأتاه بعينيه"[٦٣]، ولعل من عبث امرؤ القيس ومجونه، أنه سئل ما أطيب عيش الدنيا؟ قال: "بيضاء رغبوبة بالطيب مشبوبة بالشحم مكروبه"، والرغبوبة البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة، والمشبوبة قد ظهر حسنها وأشرق لونها، والمكروبة المفتولة المشدودة"[٦٤].

وينفي الحامد أن تكون دمون / تريم هي المعنية في شعر امرؤالقيس وفي نفيه نكتة، حيث قال "إنها – أي دمون التي بالقرب من تريم- في الظاهر حديثة"[٦٥]،

(٦٢) تأملات عن تاريخ حضرموت صـ ١٨.

(٦٣) مجلد دائرة المعارف الإسلامية جـ٤ صـ ٤٠٦.

(٦٤) الجاحظ: البيان والتبيين جـ٢ صـ ١٧٧، ١٧٨.

(٦٥) تاريخ حضرموت جـ ١ هامش صـ ٣٦.

وأيضا ينقل الأستاذ أحمد بن ضياء بن شهاب في كتابه الإعتراف بالإحسان عن المؤرخ سعيد عوض باوزير في كتابه معالم الجزيرة العربية عند ذكر بني معاوية فيقول: "ومن منازلهم قبل الإسلام وبعده دمون، وهي إحدى مدينة الهجرين، وليست دمون التي تقع بجانب تريم فإن هذه بناها محمد أحمد الصبرات عام ٨٩٣ هـ، ومن منازلهم (أي بني معاوية من كنده) النجير وهو حصن يبعد عن تريم شرقا نحو أربعة أميال تقريبا، ويضيف صاحب كتاب الإعتراف بالاحسان[٦٦] الأستاذ بن ضياء نقلا عن المؤرخ سالم بن محمد بن حميد في تاريخه المسمى بالعدة المفيدة"، ويقول صاحب العدة المفيدة في تاريخه: " وفي سنة ٨٩٣ هـ بنيت دمون بناها أحمد بن محمد(بن سلطان بن يماني) بعد أن خربها آل كثير"[٦٧]، وسيأتي ذكر من خربها ومن بناها.

والواقع أن النقوش الأثرية اليمنية القديمة التي عثر عليها الأثريون تنفي حداثتها، فقد وجدوا نقشا- لسعد تالب- يتلف الجدني- يصف حملة سبئية في نهاية القرن الثالث للميلاد بأنهم – أي السبئيون- أغاروا على تريم وحاصروها ونهبوا كرومها، وأغاروا على دمون جوار تريم مباشرة ومشطه"[٦٨]، ويتحدث نقش (ارياني(32)) عن قطع ألفي عريشه من عرائش العنب في ضواحي مدينة تريم، مما أرغم سكانها على الإستسلام"[٦٩]، وفي نقش أرياني يعود لبداية القرن

(٦٦) صـ ٢١.

(٦٧) جـ ١صـ١٥٢.

(٦٨) محمد عبد القادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم صـ ١٤٥.

(٦٩) د.سرجيس: تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي صـ ٤٢.

الرابع الميلادي وفيه:" أنهم – أي السبئيون- أغاروا على تريم فاكتسحوا مدينتهم بعد حصار دام اثني عشر يوما، عن قطع ألفي عريشه من عرائش العنب في تريم وحدها، وبعد ذلك أغار على دمون الواقعة بالقرب من مدينة تريم، ومشطه، وحصن كليب فاستسلمت له هذه المدن"[٧٠].

ولعل في هذا ما حدا بقول من قال أن دمون / تريم هي التي عناها امرؤالقيس، والذي عاش في القرن السادس الميلادي، فلقد أحاط بدمون الغدر التي تحتفظ بمياه الأمطار والسيول لأيام وأسابيع، ولأشهر مثل "غدير ناصر"(رزم ناصر)، و"باعجلان"، و"الفراشه"، و"المقود" و"الركبان"[٧١] وغيرها، وهي بانعزالها عن التجمعات السكنية وقربها من مواقع صيد قنص الوعول ومراعيها في تلك الهضاب والشعاب، فضلا عن مجاورتها لمدينة تريم، وهي معروفة برياضها وبساتينها وطيب هوائها وعرائش العنب فيها، وهي- دمون- مصدر الشرب(الخمر)، حيث يوجد بها معامل الخمر، مما يعني أن مواقع اللهو والعبث مستكملة حلقاتها في دمون هذه، على وفق وصف امرؤالقيس وما جبل عليه من حبه للهو والعبث أكثر من غيرها، وفارق الزمن ليس مشكلة، فلعل البلدة حافظت على الموروث إلى أن جاء الإسلام. لكن الذي أجمع عليه غالبية المؤرخين أن دمون التي عناها امرؤ القيس هي دمون الغربية، وهو ما نعتقده رغم التضارب في موقعها.

(٧٠) المصدر السابق صـ ٢٤٥.

(٧١) هذه المواقع جبلية قريبة من البلدة وهي مواقع لقناصة الوعول تحتفظ بمياه الأمطار والسيول في الغدر لأشهر.

لكن اختلاف وجهات النظر والتضارب والتباين في الآراء مهدت السبل للطرح بدلائل من مدونات التاريخ بأن تكون دمون تريم هي التي عناها امرؤ القيس في شعره.

ويبقى الفصل في التضارب وجود المراجع والمصادر العلمية أو النقوش الأثرية التي يمكن الركون إليها.

ولنلق نظرة أخرى على عبث- امرؤالقيس- ولهوه كما يصفه باحنان في كتابه جواهر الأحقاف:" عن الملك حجر بن الحارث بن عمرو الكندي والد امرؤ القيس أنه لما رآه أبوه قد شب وهو لاه، لا تقف نزواته الشهوية عند حد، أبغضه إلى حد أن أمر بقتله، ثم ندم فاسترد أمره وأقصاه، وأنف من هذه الحياة الشاذة التي لا يعرفها قومه، فأقصاه أولا إلى بلاد طي بنجد، فلم يتحول عما كان عليه، ثم أقصاه وأبعده إلى حضرموت بين أهله وعشيرته بمدينة دمون، وهي إحدى قريتي الهجرين، والأخرى يقال لها خيدون، والأولى قاعدة مملكة آبائه من لدن جده الملك مرتع بن معاوية بن كنده، فلما أقام بها تهذبت أخلاقه واشتاق إلى أبيه فأنشأ معلقته المشهورة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل

ولما أتاه خبر مقتل أبيه وهو بصيلع- إحدى القرى القريبة من الهجرين- قال يذكر ذلك:

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني فانعما[٧٢]

(٧٢) محمد علي باحنان جواهر الأحقاف صـ ٧٣.

ومن كتاب: "حضرموت" لدبليو اتش انجرامس يقول: "لقد كان حجر بن عقيل(والأصح عفير) المرار يسكن دمون شرقي الهجرين، وكان شجاعا مشهودا له بالإقدام، وحين سمع بنبأ تقسيم مملكة أبيه وعرف نصيبه منها، ترك ابنه امرؤالقيس في دمون وعاد إلى نجد"(٧٣).

"وكان حجر- والد امرؤ القيس- قاسيا في حكمه، سيء السيرة، قبيح المعاملة، فتنكر عليه بنو أسد، فقاتلهم حتى قهرهم، ثم هجموا عليه وقتلوه غيلة في دمون"(٧٤).

"وكان حكام كنده يراسلون ملوك الروم واليمن ويغمرونهم بالهدايا النفيسة التي كان أحسنها الخيل الذي كان يوجد بكثرة في حضرموت الشرقية، حيث الحشائش والأعشاب، وكانوا ولعين بشرب عصارة الأعناب، وكانت لهم معامل للخمر في دمون عاصمة مملكتهم بحضرموت الوسطى" (٧٥).

"وحضرموت الوسطى من الفرط غربا إلى قبر نبي الله هود عليه السلام"(٧٦).

ولعل الاستطالة النسبية في ذكر امرىء القيس، وهي أقل من القليل فيما روي عنه، لاعتقادنا أنه لولا شاعريته الفذة وذكره لدمون في قصائده، ربما لم يخلد لها ذكر بهذه التباينات والأطروحات المختلفة سواء في سيرته ومواقع لهوه وعبثه، وسواء كانت دمون التي بقرب تريم(موضوع القراءة) هذه أو تلك التي هناك- في الغرب/ الهجرين على اختلاف الرؤى في الموقع، فلكل منهما نصيب في التاريخ القديم.

(٧٣) حضرموت -ترجمة د.سعيد عبد الخير النوبان صـ ٢٥.

(٧٤) البكري: تاريخ حضرموت السياسي جـ١ صـ ٦٠.

(٧٥) المصدر السابق جـ١ صـ٦٠.

(٧٦) المصدر السابق جـ١ صـ٨٧.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أنه لم يرد ذكر دمون الغربية في أي من النقوش الأثرية التي اطلعنا عليها من المصادرالتي أشرنا إليها.

وفي وادي عمد توجد رواية أخرى عن دمون تقول: "إن دمون لم تكن في الهجرين وإنما في القزه البلدة الواقعة في وادي الغبر في الرافد الغربي بدوعن، وأن ترعة مياه الهجرين القريبة من القزه تسمى إلى الآن دمون" (٧٧).

ويعرّف السقاف بالملك معدي كرب الكندي:" ملك قيس، وسلالة ملوك كندة، وقد اشتهر بغلفا مولده بمدينة دمون المعروفه اليوم بالقزه"(٧٨) !.

وينقل باحنان من "الهدية السنية":" ان دمون سميت بأسم دمون بن الصدف الكندي"(٧٩)، وهي المعنية بدمون الهجرين.

وقال شارح قصيدة السيّد عبد الله بن علوي الحداد، حفيده أحمد حسن الحداد الذي يقول فيها:

أيام كـنا بـدال مـيـم بالـــوادي الـمـــنور

بجانب السفح من تريم والعيش غض أخضر

قال: "دال ميم هو وادي دمون بتريم، سمي بأسم دمون بن الصدف، واسم الصدف: مالك بن مرتع من كنده الحضرمي، أصاب دما من قومه أي دمون فلحق بثقيف وبنا بها سورا طائفا بهم فسمي حينئذ الطائف، البلد المعروف والذي يوجد فيه قبر حبر الأمة الإمام عبد الله بن العباس"(٨٠).

(٧٧) ميخائيل روديونوف: عادات وتقاليد حضرموت الغربية صـ ٦١.

(٧٨) تاريخ الشعراء الحضرميين ج١ صـ ٤.

(٧٩) جواهر تاريخ الأحقاف صـ ٣٥٨.

(٨٠) المشهور: بغية من تمنى في توضيح بعض معالم تريم الغناء صـ ٣.

وإبن عبيداللاه يقول:" وذكر سيدي أحمد بن عبد الله الحداد بفوائده السنية في دمون-هذه- ماقيل في دمون الهجرين، فإما أن يكون انتقال فكر، وإما أن يكون السبب متحدا في التسمية!"[٨١].

وعن كتاب"الروض الآنف" في شرح السيرة النبوية لإبن هشام للإمام المحدث عبدالرحمن السهيلي (٥٠٨-٥٨١هـ) تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمن الوكيل يقول عن إبن الصدف:" إن الدمون بن الصدف، واسم الصدف ملك بن مالك بن مرتع من كنده من حضرموت، اصاب دما من قومه فلحق بثقيف فاقام فيهم، وقال لهم: الا ابني لكم حائطا يطيف ببلدكم، فبناه، فسمي به الطائف، وذكره البكري (في معجم ما استعجم) هكذا قال: وإنما هو الدمون بن عبيد بن مالك بن دهقل، وهو من الصدف وله ابنان ادركا النبي صلى الله عليه وسلم وبايعاه، اسم احدهما الهميل والآخر قبيصه"[٨٢].

وفي معجم لسان العرب مادة "دمن"، ودمُّون (بالتشديد) موضع وقيل أرض.(حكاه ابن دريد) وأنشد لامرىء القيس:

تطاول الليل علينا دمون دمون إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون[٨٣]

(٨١) إدام القوت صـ٥٥٢.

(٨٢) الروض الآنف جـ ٧ صـ٢٦٣.

(٨٣) ابن منظور: لسان العرب جـ٢ مادة (دمن) صـ ١٤٢٨.

شخصيات سكنت البلدة وزارتها

"وقد سكن دمون طريف بن مجالد الهيجمي، يكنى بأبي نميمة، اختلف العلماء في صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان من حضر قتال المرتدين باليمن، ودخل حضرموت مع المهاجر بن أبي أمية فسكن دمون/ تريم، ثم خرج منها وتحول إلى البصرة"[٨٤].

وزار دمون السلطان صالح بن غالب القعيطي مع ولي العهد الأمير عوض بن صالح ونزل في بيت السيد حامد بن ابي بكربن شهاب.

كمازارها الأميرين غالب وعمر ابني السلطان عوض بن صالح القعيطي ونزلا في بيت السيد حسين بن شهاب الدين.

وزار دمون وزير السلطنة القعيطية أحمد بن محمد العطاس في عام١٩٦٤م.

وفي عام ١٩٦٨م زارها الأديب علي أحمد باكثير ونزل في بيت آل بن نبهان.

(٨٤) سالم أحمد بن جندان: نقش التابوت في من حل من الصحابة في حضرموت.

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية في البلدة

١- الوضع السياسي في تاريخها القديم

٢- الوضع السياسي في عصر السلطة الراشدية

٣- الوضع السياسي في عصر سلطة آل يماني

٤- الوضع السياسي في عصر السلطة الكثيرية الأولى

٥- البلدة في القرن الحادي عشر الهجري

٦- الوضع السياسي في عصر سلطة قبيلة آل سلمه

٧- الوضع السياسي في عصر سلطة القعيطي

٨- الوضع السياسي في عصر التحرير والجمهورية

٩- الوضع السياسي في عصر الجمهورية اليمنية

١- الوضع السياسي للبلدة في تاريخها القديم

"كانت كندة صاحبة الحول والطول والتاج والصولجان عندما جاء الإسلام، وكانت أربع طوائف تحكم الشواطىء من حدود ظفار إلى المكلا التي كانت إذ ذاك أكواخا للصيادين، وعاصمة هذه الولاية الشحر، وطائفة تحكم جميع دوعن، وطائفة تحكم الكسر كله والعجلانية وحوره وسدبه والهجرين وعندل ولحروم وحريضة، ومركز هذه الولاية حوره، وطائفة تحكم كل البلاد الواقعة بين منوَب وقبر نبي الله هود عليه السلام وعاصمة هذه الولاية دمون"(٨٥).

"في عام ١٢٩ هـ أعلن عبد الله بن يحي الكندي(طالب الحق) ثورته الأباضية ضد الأمويين، وقام بالاستيلاء على دارالإمامة، وهي مقر الوالي الأموي على حضرموت والتي تقع على الارجح في دمون تريم، وليست بدمون الهجرين كما ذ هب إلى ذلك المؤرخ الحضرمي المعاصر الشاطري"(٨٦)، "وكان على حضرموت من قبل الأمويين إبراهيم بن جبله بن مخرمه الكندي، - وكان مقره مدينة دمون- فاعتقله أنصار طالب الحق ردحا من الزمن ثم أخلوا سبيله"(٨٧).

"وبعد انتصار ابن عطيه قائد جيش الأمويين وقتل عبد الله بن يحي(طالب الحق)، وانتصاره على الأباضيين في حضرموت، واحتلاله شبام عام ١٣٠هـ أراد

(٨٥) البكري: تاريخ حضرموت السياسي جـ ١ صـ ٦١.

(٨٦) د. سرجيس: تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي صـ ١٥٠.

(٨٧) محمد عبد القادر بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت صـ ٥٦.

أن يرسل جيشه إلى سيون وتريم ودمون، ولكن مروان بن محمد بعث إليه كتابا يأمره بالتعجل إلى مكه ليحج بالناس"[٨٨].

في أواخر العهد العباسي، وبعد انكماش دولة كندة وقتل داعيتها طالب الحق، "هب جميع السكان يصلحون ويعمرون وخضعوا لولاة أمورهم كل الخضوع وانتشر الرخاء ورخصت الأسعار، وتنشطت أسواق العروض وهينن وشبام وتريم ودمون وزادت حركتها وعادت إليها حياتهاالأولى" [٨٩].

(٨٨) البكري: تاريخ حضرموت السياسي جـ١ صـ ٧١.

(٨٩) المصدر السابق صـ ٧٢.

٢- الوضع السياسي في عصر السلطة الراشدية

ومنذ تولى السلطنة الراشدية قحطان بن العوم الحميري عام ٤٠٠هـ، وكان مركز سلطنته تريم، وخلفه ابنه أحمد قحطان المولود بتريم سنة ٤٣٠هـ، وقد أخرج منها إلى دمون سنة ٤٦٧هـ[٩٠]، واستمرت سلطنته وبقي بدمون وتوفي بها سنة ٤٦٨هـ[٩١]، وحين دب الخلاف بين سلاطين آل راشد من جديد أخذ شجعنه دمون عام ٥٧١هـ[٩٢].

وتنويها بسلاطين العدل في البلاد التي تتكالب عليهم قوى الشر والبغي والشر، على مدار تاريخنا العربي والإسلامي قديمه وحديثه، فلقد حكم تريم السلطان عبد الله بن راشد بن قحطان الحميري ولد سنة ٥٥٣هـ، وقرأ صحيح البخاري وكان فقيها أديبا عالما تقيا تولى السلطنة وكان عصره من أحسن العصور وخيرها وأخصبها، وصحب جماعة من أهل العلم والتقى والصلاح، وعنه تؤثر المقولة الشهيرة:" في بلادي لا يوجد ثلاثة..لا فاسق، ولا سارق، ولا محتاج." وقد ترك الولاية في آخرعمره فاعتزل عنها سنة٦١١هـ وعكف على الطاعات، فقيل له في ذلك، فقال: ما وجدنا آل حضرموت يوالوننا على الحق. وسافر ليصلح بين قبيلتين، فقتل في الطريق ظلما سنة ٦١٥هـ[٩٣].

وقيل: "إنه بقي على الولاية، حتى خرج من تريم، فقتله بن مداره، تحت "طاحس"، وقد دفن بجانب تربة مريمه."[٩٤] .

(٩٠) أدوار التاريخ الحضرمي جـ١ صـ ١٦٦.
(٩١) الحامد: تاريخ حضرموت جـ٢ صـ ٤٠٦.
(٩٢) شنبل: تاريخ حضرموت صـ ٤٧.
(٩٣) ابن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية جـ١ صـ ٢٤.
(٩٤)السقاف:بضائع التابوت جـ١ صـ ٣١٩.

٣- الوضع السياسي في عصر سلطة آل يماني

وبعدها "قامت سلطنة آل يماني، أو السلطنة اليمانية من عام ٦٢٠هـ إلى عام ٩٢٠هـ تقريبا، وأول سلطانهم هو مسعود بن يماني بن لبيد، ومقر دولته تريم."[٩٥] .

وفي سنة ٦٣٦هـ تولى ابن شماخ عامر بن فضاله النهدي البلاد، فطرد آل اقبال من شبام وتريم وسيون، ولما احتل النهدي البلاد أجلى عبيد ابن اقبال، وآل أبي قحطان، سوى أحمد بن عبد الله بن راشد، فإنه بقي في دمون[٩٦]، وتسلموا البلاد فهد بن عبد الله بن راشد ومعه الغز من ابن شماخ بشراء وكذلك شبام وصروم والمسفلة في أيدي بني حرام ودمون[٩٧].

قدم إلى حضرموت سالم بن ادريس الحبوظي واشترى مدينة شبام عام٦٧٣هـ واستعمل أخاه موسى عليها، ثم هاجم واحتل مدينتي سيون ودمون[٩٨]، وهدد تريم وسلطانها الأمين بن مسعود بن يماني في ذلك الحين، وأقام تحتها محاصرا ثلاثة أشهر، فأقبل ابن شماخ النهدي في عسكر لنجدة بن يماني فخاف منهم الحبوظي وانتقل إلى دمون ثم إلى شبام[٩٩].

(٩٥) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي جـ ٢صـ ١٨.

(٩٦) باحنان: جواهرالأحقاف صـ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٩٧) المصدر السابق صـ ٤٢٥.

(٩٨) بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت صـ ٧٨.

(٩٩) شنبل: تاريخ حضرموت صـ ١٠١.

في شهر شوال عام ٧٧٣ هـ اجتمع آل عمر بن مسعود وولد محمد بن أحمد بن يماني وحالفوا الصبرات وعدوا في تريم بعد صلاة الجمعة، وقتلوا أبناء جسار عبد الله وعمر في جامع تريم، ومسكوا راصع بن دويس وحصروه ولازموه إلى أن تخلى من تريم ومن جميع ما في يده من الحصون، فتولى ولد محمد بن أحمد، وانهزم راصع إلى الغرفة وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى بور وحالف آل كثير وآل جميل.... ثم عدا راصع في دمون والعجز فأخذهما قهرا وأجلى أهل تريم فلم يبق فيها إلا من لا يؤبه له[١٠٠].

في عام ٧٧٧هـ ربّط راصع بن دويس في دمون، وجمع عسكر، وقاتل المشرفي بتريم [١٠١].

في عام ٨٢٢هـ عدا ولد محمد بن راصع على عمه في تريم وضروا حضرموت جميعها ثم صالحه وترك لعمه دمون[١٠٢].

(١٠٠) شنبل: تاريخ حضرموت صـ١٣٥، ١٣٦.

(١٠١) المصدر السابق صـ ١٣٩.

(١٠٢) شنبل: تاريخ حضرموت صـ ١٦٥.

٤- الوضع السياسي في عصر السلطة الكثيرية الأولى

"في عام ٨٣٧هـ نظفت دمون للكثيري[١٠٣]، وعبارة كتاب جواهر الأحقاف: "وفيها آثرت حامية دمون الكثيري على دويس بن راصع فاحتلها، ولم يبلع ريقه الكثيري حتى عادت لإبن راصع"[١٠٤].

"في عام ٨٤٤هـ عدا ولدا يماني بن محمد بن راصع وهما راصع وعبد الله على عم أبيهم دويس بمساعدة بعض عبيده فقعدوا في المشرفي(الحصن/ مقر الحاكم) وهو حال فيه، وكان لدويس ولدان أحدهما سلطان والآخر راصع، فهرب سلطان إلى دمون بلد أبيه وامتنع فيها"[١٠٥].

"وفي سنة ٨٤٥هـ اصطلح ولدا يماني وولد دويس وعدل ولد يماني تريم، وعدلوا ولدا دويس دمون"[١٠٦] . "في سنة ٨٨١هـ توفي السلطان الاجل الملقب المسمى الأسد أحمد بن سلطان بن دويس بن راصع بن يماني، وهو يومئذ والي تريم والعجز ودمون"[١٠٧].

(١٠٣) شنبل: تاريخ حضرموت صـ ١٧٤.

(١٠٤) باحنان: جواهر الأحقاف صـ ٤٥٥.

(١٠٥) شنبل: تاريخ حضرموت صـ ١٧٦.

(١٠٦) شنبل: المصدر السابق صـ١٧٧.

(١٠٧) شنبل: المصدر السابق صـ ١٩٦.

" وفي سنة ٨٩٠هـ أخذ آل محمد دمون وأخربوها [١٠٨]، وفي عام ٨٩٣هـ بنيت(دمون) – بعد أن خربها آل كثير– بناها محمد أحمد[١٠٩].

وفي سنة ٨٩٥هـ وتحت قيادة السلطان محمد بن عبد الله أخو بدر بوطويرق وقعت وقعة بريح الشهيرة بكثرة قتلاها، وبريح– كما قدمنا– موضع شرقي تريم كانت قرية ثم خربت، وكانت المعركة بين السلطان محمد بن عبدالله بن جعفر وبين محمد أحمد والي تريم، وقد قتل في هذه المعركة أكثر من أربعين رجلا من الطرفين[١١٠].

وفي عام ٩١٠هـ صالوا آل جعفر على دمون وأحرقوا تحتها نخيل [١١١].

وفي عام ٩١٤هـ غاروا آل أحمد في وادي دمون وقتلوا بقرا [١١٢].

في عام ٩٤٩هـ اصطلح بدر بوطويرق مع آل أحمد والصبرات الكنديين، فعدل له آل أحمد بلد اللسك(القرية)، وعدل له الصبرات بلد الواسطة، وعدل ابوطويرق لهم حيد قاسم ودمون[١١٣].

(١٠٨) المصدر السابق صـ٢٠٣.

(١٠٩) المصدر السابق صـ ٢٠٥.

(١١٠) ابن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية صـ ٥٣ .

(١١١) شنبل: تاريخ حضرموت ٢٢٢.

(١١٢) شنبل: المصدر السابق صـ ٢٣٣.

(١١٣) باحنان: جواهرالأحقاف صـ ٤٨٩.

٥- البلدة في القرن الحادي عشر الهجري

لم نجد مصدرا يذكر البلدة في القرن الحادي عشر، لكن الذي نعتقده إنه في تلك المدة كانت البلدة (القديمة) ساحة صراع بين العشائر المتناحرة حيث لم يستقر الأمر لسلطة أو قبيله. وهو اعتقاد قد ينقضه المصدر أو يؤكده إن وجد، وربما في نهاية هذا القرن كان بدء الإستيطان لموقع البلدة الحالي.

٦- سلطة قبيلة آل سلمه للبلدة

تولى الحكم في القرن الثاني عشر الهجري في البلدة(دمون) آل سلمه، واستقلوا بالسلطة عليها، وآل سلمه بطن من بطون بني تميم.

وبنو تميم من بني ظنه بن حرام بن عمر، فهم وآل كثير وبنوسعد يرجعون همدانيين، وظنه هو جدهم الأعلى، وتميما كان جدهم الأدنى[١١٤] .

وينقل إبن عبيداللاه:" ومن خط الشريف شهاب الدين بن عبد الرحمن بن شهاب الدين أن حراما هو جد آل كثير وجد آل تميم"[١١٥].

وعن بني ظنه يقول الشاطري:" عصبة بني ظنه من العصب القديمة الموجودة بحضرموت، ومن المعتقد أنها أصلا نزحت من منطقة مسقط وظفار، وأن أقدم قبيلة نشأت من هذه العصبة آل تميم، وهذه سكنت في وادي المسيلة

(١١٤) باحنان: جواهر الأحقاف صـ ٥١٥.

(١١٥) السقاف: بضائع التابوت جـ١ صـ ٣٥٠.

(أسفل حضرموت) بين باعلال ودمون وسنا، ورئاسة القبيلة بالوراثة لابن يماني الذي يقطن في قسم وله الزعامة على بني ظنه"[١١٦].

ولعل ما حدث بين طوائف آل تميم بدمون من نزاعات وخصومات شتى- كما يحدث بين كل الطوائف حين تختلف المصالح- فكانت المصالحة أو الصلح- كما ذكرت بعض المصادر[١١٧] التي قام بها السيّد علي بن شيخ بن شهاب وجمعهم على مقدم واحد لآل سلمه، يرجعون إليه في الخير والشر بمواثيق حررت فيما بينهم.

ويعرف إبن عبيد اللاه دمون:" بأنها مساكن آل سلمه، وهم قبيلة جلها من آل تميم، كانت لهم خشونة في القبولة، ولهم ولدمون ذكر كثير في الحروب الواقعة بين آل كثير ويافع في المسندة وغيرها، وإنما قلنا جلها من آل تميم لأن المسموع أنهم نزّاع من قبائل شتى رغبهم العلامة الجليل السيّد علي بن شيخ بن شهاب في سكنى دمون لحمايتها، وكان أكثر دمون ملكا للسيّد علي بشهادة الوثائق الكثيرة الشاهدة بانتقال الأملاك عنه وعن ورثته"[١١٨].

في سنة ١١٤٤هـ انبعث الشنافر وقائدهم السلطان محمد بن عمر بن بدر، وأغارت على دمون، وكان بها آل سلمه من بني تميم فاقتتل الفريقان وذهب الشنافر فحرقوا عددا من الدور والغرف هناك وانصرفوا عنها....ثم عادوا إليها

(١١٦) أدوارالتاريخ الحضرمي جـ٢ صـ ١٤٢.

(١١٧) بغية من تمنى صـ ٢٣

(١١٨) السقاف: إدام القوت صـ ٥٥١.

بعد أيام، ولكن يافعا وآل تميم كانوا قد استعدوا لها فباغتوهم وهزموهم شر هزيمة حتى أجلوهم إلى تاربة[١١٩].

في عام ١١٧٩هـ نهب دمون محسن بن عمر بن جعفر وضواحي تريم، فجاء الحبيب طاهر بن محمد بن هاشم، يقول للحسن بن عبد الله الحداد: ما بقي لأحد جاه عند هذا الظالم غيرك، فإن شفعت في رد أموال المساكين، وإلا فالإثم عليك، فتوجه إليه- فيها- فردها[١٢٠].

في منتصف القرن الثاني عشر الهجري اختفت من الوجود السلطنة الكثيرية، وأصبحت حضرموت في يد عشائر يافع الذين كونوا لهم سلطات متعددة في كثير من مدن وقرى الساحل والداخل، وكان لغير يافع من القبائل والسادة والمشايخ نفوذ محدود أيضا داخل مناطقهم التي يسكنونها، ويحصل بين هذه السلطات..سلطات يافع والقبائل والمشايخ والسادة من التناحر وإراقة الدماء وإهلاك الحرث والنسل، وقطع السبل، وترويع الآمنين، ما لا يجسر القلم على شرحه، ويدمي ذكره الأفئدة، ويفتت الأكباد، كما يقول المؤرخ باحنان[١٢١].

في عام ١٢٥٤هـ حاصر يافع مدينة دمون، وامتد ذلك الحصار أكثر من تسعة أشهر، وبعد حصر دمون مع عدم اتفاق شور قبيلة آل سلمه، يستنجد المعلم سعيد عبد الحق بآل تميم وعلى رأسهم الأبو(المقدم): يقول المعلم من قصيدة مطلعها:

يا الله ياارباه ياجـزل العطا ياذي بعـفـوك زلـتي مرحـومه

(١١٩) باحنان: جواهر الأحقاف صـ ٥١٠.

(١٢٠) السقاف: إدام القوت صـ ٥٣٥.

(١٢١) جواهر الأحقاف صـ ٥٠٨، ٥٠٩ .

وفيها يقول:

ثم قال عبد الحق طرفي ساهر وبات ليلي ماتهنا نومه

حيران غيبة الرقيب الزاهر والسبع والميزان غبن انجومه

لاهم من دنيا ولا من فتنه أيضا ولا نفسي بحد مهمومه

إلى أن يقول:

والعطب فرق الشور بين الجمله من ضاع شوره ديرته مهدومه

لي كثروا العقال ظعن اشوارهم عيني بناس اشوارهم مزمومه

ويقول فيها مستنجدا:

وبعد يالعاني على أحمر طامح لي تنطوي ذرعانه المصمومه

اقصد إلى القوز المعذر بأهله وباعطيراعبر واعبر تومه

واقصد قسم وانشد على اهل العاليه شجعان ماحد شوكته مكدومه

* * *

فيها الأبو لازال عامد راسه لي يعرف الأحكام ماهوزومه

وقله ان شور الجماعه مايل ومن تميل منهم ما لومه

قا يستهم بعد الزرا لي فيهم تمسي جميع اشوارهم مزمومه.[١٢٢]

والمعروف في هذه الفترة أن تريم مع يافع، والدكين شرقي دمون- أيضا مع يافع- ودمون مع آل سلمه التميميين، وقصد آل يافع الاستيلاء على دمون، وقد طال الحصار، بحيث استنجد المعلم سعيد عبد الحق – من دمون- بآل تميم.

(١٢٢) المعلم سعيد عبد الحق: الوقائع فيما جرى بين آل تميم ويافع صـ ١٣٤.

وبعد المعركة التي دارت بين آل يافع، وآل سلمه في دمون، يصفها المعلم سعيد عبد الحق، للشاعرعوض بن تبيع ردا على قصيدة ارسلت له، ومطلع القصيدة:

" أبديت بالمعبود ربي الأعلى ما خاب من هو بالمهيمن يبدي

وفيها يقول:

ثم قال عبد الحق طرفي زاعل وامسيت ليلي في التعب والورد

لاهم من دنيا ولا من عيشه الحمد لله جزيل الحمد

لكن جات أبيات لي من حدرا كم ذقتهن بين المشافر شهد

وفيها يقول:

يذكر بني مالك وفي حملاتهم ماهو قبيلي كل من لا يعدي

يافع وشل ايدك وبامدح يافع من خوفهم كل على أرضه يحدي

يشيد المعلم ببني مالك(يافع) مع أنهم هم المحاصرين لدمون لاحتلالها..

وقد شحذ همم وعزائم آل تميم في نجدة آل سلمه المحاصرين وفيها يقول:

له تسعة أشهر وابتدأ في العاشر شاف التميمي شل حرفة جدي

والمعلم شيخ وحرفة جده هي العلم..أراد أن يصورهم بالذين ركت قلوبهم - كما يقول الأستاذ المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف-. وكان لقصيدة المعلم - وربماالأولى- رد الفعل السريع في شحذ عزائم آل تميم الذين هبوا لنجدة إخوتهم آل سلمه وفكوا الحصار بعد مقتلة عظيمة في الطرفين - كما وصفها المعلم-.

وكان يافع الظبي حكام مدينة تريم لم يستطيعوا بمفردهم مداهمة دمون بعد أن ظلوا محاصرينها عدة أشهر فاستعانوا بيافع الموسطة حكام سيون، وبقبائل أخرى، وأقاموا استحكاماتهم على مشارف دمون توطئة للهجوم عليها واحتلالها، وطرد آل سلمه منها، وأحاط يافع وحلفائهم من نهد والصيعر بالمرتفعات الواقعة شمالي دمون.

وذات أمسية تسلل عشرة من رجال يافع وحلفائهم إلى داخل دمون بقيادة المقدم عبد الله عوض غرامه اليافعي ليسبر قوة دفاع آل سلمه، فدارت بينهم وبين حرس آل سلمه معركة في شوارع دمون. وكما يصف المعلم المعركة وماقبلها في تلك القصيدة:

واليافعي شيّد مباني نايفه وعبر اشهر ما ارتعد من جندي

* * *

لما طلع غوره وحاشت نفسه ما قال با دخل لآل سلمه وحدي

زمهل إلى علوى وجاب الكربي والموسطي والصيعري والنهدي

كم نمر يصهل تقدم قبلهم عيني رأتهم في الذراع النجدي

* * *

رجال والله يافتى لي حضروا ماحد خفي راسه خبرهم عندي

من المقاتيل الشوارع خمّت لا جيت لا مضياق حاشت كبدي.

ولم يفز المعتدين بطائل إلا الهزيمة"[١٢٣].

(١٢٣) بامطرف: المعلم عبد الحق صـ ٢٢١-٢٢٥.

عاشت حضرموت عامة – وبلدة دمون منها- في صراعات وفتن قبلية، وتكونت الدويلات والكيانات في المدن، وعمت الفوضى القرى والبوادي، وسيطر على الأوضاع حملة السلاح، وبلغت السخرة من أصحاب القوة مداها، وانقسمت الحواضر، إلى حويف وحارات، وتأصلت الفوارق الطبقية نتيجة للجهل والتخلف، أوالتعصب الشديد لأهل الحويف وأهل الحارات، – يسري في ذلك كما يقول السيد ابن عبيداللاه من السفلة إلى الجله، وإلى العلماء من الحالكة.

في عام ١٢٦٨هـ وفي السادس عشر من شهر جماد آخر حاول آل كثير السيطرة على دمون، يقول صاحب العدة المفيدة:" بلغنا أن السلطان علي بن أحمد هو وجماعته ترجح أمرهم على إبراز مائة نفر من العبيد، وقصده الكرّه بهم على الأكوات التي فوق شِعب دمون، وشِعب متاش، ولم يظهروا خبرا إلا على مقادمة العبيد، وهم أربعة أنفار، قالوا لهم كل واحد منكم يأتي من جماعته بخمسة وعشرين نفر، فامتثلوا الأمر وأتو بهم ليلا إلى النويدرة بتريم، ثم بعد أن اجتمعوا وقعت منهم الكرة على الأكوات المذكورة، وأخذوا أولا التي فوق شعب دمون بردا وسلاما.ثم أمروا سالم باخشوين أن يرمي بالمدفعين واحد بعد واحد على بقية الأكوات، فرماها وحصل الجدوى فيها، واستولى العبيد على بقية الأكوات، وصار باخشوين يرمي إلى دمون بالمدفع من عند تلك الأكوات التي أخذها العبيد، فضج أهل دمون من ذلك، وجعل باخشوين أحيانا يضع أحجارا مقابل معنقة المدفع عند الرمي، فتحملها الجليلة والباروت إلى قرية دمون، وتتفرقع تلك الأحجار في قرية دمون، وضاق أهلها، والمدفع أجدى في البيوت

بالإنهدام، وخرج من دمون غالب المساكين، وانحصرت دمون من داخل ومن خارج، وقد وقع قبل أخذ الدولة لتلك الأكوات انحصار عبيد الدولة في حصن الدكين، المسمى حصن غرامة، وكان فك حصار عبيد الدولة في حصن غرامه، مقابل عودة الأكوات"[١٢٤].

في عام ١٢٧٣هـ أخذ بنو تميم أكوات للدولة – الكثيرية – اللواتي فوق شعب دمون[١٢٥].

"في عام ١٢٩٢هـ استولى عساكر القعيطي من جهة دمون بمساعدة آل تميم وبعض عبيد الدولة على حافة النويدرة واحتلالها إلى سنة ١٢٩٤هـ"[١٢٦].

ومن المؤسف أن تحتدم معركة بين فخيذتين من آل تميم، وهما آل سلمه وآل قصير، ففي عام ١٣٤٢هـ وفي ليلة ختم السيّد محمد بن عمر بن شهاب، تسلل نفر من آل قصير ليلا إلى المزارع القريبة من بيت السيد المتوفى، ونقلا عن من سمع من أفواه الآباء أنهم كانوا يريدون الإستيلاء على ما في مطبخ السيّد، ولسوء حظهم أنه كان رجال من زعماء آل سلمه تأخروا في سمر أو مهمة أخرى في تريم، وعلى مدخلهم من سدة محبوب إلى دمون وجدوا من ينبههم إلى أن هناك حركة غريبة غير طبيعية قد سبقتهم.. وفي الجانب الجنوبي الشرقي من دمون، تفاجأوا بمن سدد أحد رجال آل قصير بندقيته إلى جبهة أحد زعماء آل سلمه

(١٢٤) بن حميد: العدة جـ٢ صـ ٨٧.

(١٢٥) العدة جـ٢ صـ١٤٧.

(١٢٦) السقاف: إدام القوت صـ٤٦٠ .

(وهو من آل بن نبهان) فأخطأ الجبهة وشلت عمامته، ورد عليه فأصابه في القلب، فكانت الحرب، وكان القتلى وكان الجرحى، لكن كما يبدو هناك شيء بين الفخيذتين غير الإستيلاء على وجبة العشاء لختم السيّد، فالباعث أو الدوافع التي تذكرها الرواية غير مقنعة، على الأقل لنا في الوقت الحاضر، - ولم نحصل على تفاصيل أكثر- وإن كان لها مبررها حينها.

٧- البلدة تابعة للسلطان القعيطي

تم عقد اتفاقيات بين السلطان القعيطي ورؤساء العشائر ومقادمتهم، فالعشائر الذين ينضوون تحت الإتفاقيات يتعهدون للسلطان بتلبية النداء وقت الحرب، وفي هذه الإتفاقيات يمثلون تبعة وسمعة للسلطان القعيطي، وأن أرضهم تعتبر قانونيا أراضي السلاطين-أوردنا نصا من إتفاقية القعيطي مع آل تميم -، وكان ذلك الوضع قبل إبرام معاهدة الإستشارة البريطانية/ القعيطية في عام ١٩٣٧م[١٢٧].

"ومن نماذج الأحلاف التي ترتقي إلى مستوى التبعية الكاملة للسلطنة (تبعة وسمعة) الإتفاقية التي وقعها مقادمة قبائل بني ظنة مع الوزير حسين بن حامد المحضار ممثل السلطنة القعيطية، حيث تعهدت فيها قبائل بني ظنة بأنهم عيال الدولة، وأن أرضهم كلها جبالها ووديانها وسهلها ومعايينها ومعادنها أرض السلاطين"[١٢٨].

بعدها انتفت أي سلطة غير سلطة الدولة القعيطية، إلا حل الخلافات الخاصة بين مجاميع سكان البلدة، مالم تكن فيها جنحة أو جناية.

أصبحت دمون تابعة للسلطنة القعيطية بموجب اتفاقية الصلح لعام ١٣٣٩هـ (١٩١٨م) وهي المسماة إتفاقية حلف بين السلطنة القعيطية وقبائل آل تميم والمناهيل بنو ظنه، ومن ضمن بنود هذه الإتفاقية:

(١٢٧) بامطرف: الاقطاعيون كانوا هناصـ ٢١، ٢٣.

(١٢٨) د. عبد الله سعيد الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت صـ ١٧٢.

"...هذا ما تعاهدوا وتواثقوا عليها المذكورين، معاهدة ومؤالفة لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم مؤبدة وموثقة ومرتبطة بوجوههم ووجوه أولادهم أبدا ما تناسلوا إلى يوم القيامة، وما في وجه الميت في وجه الحي، وبذلك وعليه حصل الرضى والاختيار، والمعاهدة المذكورة في أرضهم المعلومة المشهورة بحدودها المعروفة واقروا واعترفوا بني ظنه تميمي ومنهالي بأنهم عيال الدولة القعيطية، وبأن الأرض المذكورة كلها وجبالها ووديانها وسهولها ومعايينها ومعادنها أرض السلاطين غالب وعمرابني السلطان عوض بن عمر القعيطي، وأنهم تبعة وسمعة لهما....الخ

ومن الموقعين على الاتفاقية:

- عبد الله بن عمر على كافة آل بن نبهان.
- عبد القادر بن عمر بن شيبان التميمي.
- سالم بن عوض على آل عوض.
- أحمد بن صالح على كافة آل عمران.
- المقدم علي بن أحمد بن عبد الله بن يماني على كافة آل يماني.
- عبيد بن عمر بن علي على كافة آل عبوده."[١٢٩]

ولقد سبق هذا الإتفاق، إتفاقية بين السلطنة القعيطية والسلطنة الكثيرية برعاية بريطانيا عام ١٣٣٦هـ، حيث حصرت هذه الاتفاقية سلطنة الكثيري في تريم وسيون وغيرها من القرى في وسط حضرموت. وكانت دمون من ضمن

(١٢٩) عوض مبارك بامومن:الايلاف في تاريخ الأحقاف صـ ٣٠٦، ٣٠٨ .

أراضي آل تميم التي أضحت فيما بعد للسلطنة القعيطية تابعة للواء شبام، ومركز فيما بعد للمناطق الشرقية بدلا من عينات في عهد المستشار انجرا مس عام١٩٤٣م.

وما تحصلنا عليه من مصادر لحكام البلدة من مقادمة آل سلمه التميميين في تلك الفترة دون تحديد مدة التقدمة لكل منهم وربما على غير التسلسل الموجود، علما بأن المتفق بين عقال آل عوض- المقادمة- انه يتم ترشيح الكفؤ من رجالها لقيادة القبيلة وحكم البلدة، وهم:

- مبارك بن عبد الله بن سلمه.
- عوض بن مبارك بن سلمه.
- عوض بن سالم بن عمر بن سلمه.
- سالم بن عوض بكوره بن سلمه.
- سالم بن عوض بن مبارك بن سلمه.

وأخيرا: - مبارك بن سالم بن عوض بن سلمه.

وفي عهده ألغت الحكومة السابقة (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وتنظيمها السياسي الجبهة القومية)مهام التقدمة، كما سيأتي في نظام الحافة.

والمقدم في تلك الفترة كحاكم له من مقادمة الطوائف-مقدم طائله-آخرين يكونون لجنة للفصل في القضايا المصيرية والهامة، أو كما عرّفته احدى الوثائق بعريفين آل سلمه.

(في هذه المدة الأخيرة (٢٠١٤م) تم انتخاب مقدم لآل سلمه هو سعيد عبد الله سعيد التميمي(بعطه) على خلاف من فخيذة آل عوض).

وإتماما للفائدة التاريخية، أنه في فترة الوفاق بين السلطنتين الكثيرية والقعيطية، وصل السيّد حسين المحضار، وزير السلطنة القعيطية في زيارة إلى تريم، وكانت هناك إشاعة تداولها العامة والخاصة، أن الدولة القعيطية تنوي ضم تريم إليها، وقد استقبل سلاطين آل كثير ومشايخهم، السيّد المحضار بالزامل، وعند وصوله دخل بين الصفوف وقال:

جيته من البندر ولي آمال في خطبة البنت الاصيله

عندي الحسب والدين والمال واليد ما زالت طويله

رد عليه الزعيم سالم بن جعفر(الكثيري):

حذّرك تطري بأسمها بالبال عارف طرقها والوسيله

مطرود من حبان جانا زال بايخطب البنت الجميله

وعاد السيّد المحضار وقال:

وسط الكبد حنة على شربون ياريتها تصبح ضماري

باعزها مثل أختها دمون بصبر على كل الطواري[١٣٠].

" وقد عين أول حاكم لدمون من قبل السلطنة القعيطية (قائم) هو: علي سالم باعشن والقاضي الشرعي السيد عبدالله بن أحمد الهدار سنة ١٩٤٣م."[١٣١].

وقد تولى وظيفة الحاكم(قائم) من أبناء دمون، لدمون وعينات محمد بن أحمد بن نبهان.

(١٣٠) محمد سالم باحمدان: من اشعارحسين بن حامد المحضار صـ ١٧٩.

(١٣١) عبد الخالق عبد الله البطاطي: اثبات ماليس مثبوت صـ ٤١.

أ- البلدة في مرحلة سلطة القعيطي:

اتسمت هذه المرحلة.. **أي** مرحلة حكم السلطان القعيطي بالإستقرار، واستتباب الأمن، وسلطة النظام والقانون، وهيبة الدولة، وخنوع كل الطبقات الاجتماعية وقضاياها للسلطة القائمة، وتاسيس المدارس الحكومية، إضافة إلى وجود بث اعلامي من أجهزة الراديو، والصحف والمجلات، إلى غير ذلك مما كان له أثر كبير في توعية عامة لمجريات الأحداث في العالم، والعالم العربي خاصة.

ومن خلال هذه المرحلة، اعقبها، أو معها، وعي وطني وسياسي في أغلب الشرائح الطبقية في البلدة.

وكانت لحادثة القصر السلطاني بالمكلا والذي راح ضحيتها ثمانية عشر شهيدا من أبناء المكلا عام ١٩٥٢م صدى في كل شرائح المجتمع، حيث كان الأمر من إدارة المستشار البريطاني، بقتل العزل من المتظاهرين المطالبين بسكرتير للسلطنة القعيطية رجلا وطنيا خلفا للسكرتير الأجنبي المعين من قبل الإنجليز.

وقد اندلعت ثورات في الوطن العربي.. والثورة من معانيها التغيير..عرف معانيها ومقاصدها من عرف ومن لم يعرف..من لديه فكرة عنها، أو لم تكن، ومن تكونت عنده فكرة عنها فيما بعد..لكن الكل يترجم الأحداث المسموعة والمتداولة، وفيها من التجوز وفيها من الواقع..مقتطفات يسمعها السامع من إذاعة، ويقرأها القارئ من صحيفة..فتكونت لدى السامع فكرة أو فهم وفق ثقافته أو وعيه، فكانت الصحوة، أو نواة لصحوة من نوع ما، كانت صحوة نتيجة الأحاديث المتناقلة عن الثورات..أسبابها ومقاصدها..عن زعماء الثورات

وأبطالها الذين يتحدث عنهم الناس أجمعين، كأبطال تغيير، وقادة لإنقاذ الأمة العربية من مستنقع الفقر والجهل والتخلف، ومن سيطرة الإستعمار وركائزه الرجعية.

وتأسست الأحزاب في بعض مدن الجنوب، وكان للبعض منها دور في الوعي السياسي في كثير من مدن الجنوب وقراه، وقادت رابطة أبناء الجنوب العربي في عدن مظاهرة شعبية عند زيارة وزير المستعمرات البريطاني إلى عدن عام ١٩٥٤م كأول مظاهرة حزبية حينها، مما أدى إلى إفشال أو تأجيل فكرة إلاتحاد"[١٣٢]، وهو إتحاد الجنوب العربي المزمع إقامته، التي روجت له بريطانيا.

وصارت الجماهير تتبع الأخبارالمذاعة من أجهزة الراديو بنهجها السياسي المقاوم للاستعمار، وتناقلها بين الأوساط الشعبية والنخب، فكان حديث المجالس والقيلولة والسمر، كمرحلة جديدة لترسيخ وعي وطني أو فهم سياسي حديث بين العامة خاصة.

وقد كان للعدوان الثلاثي على مصر عام١٩٥٦م دور بارز للتنوير بأي شكل وبأي مفهوم، لأن المفهوم العام السائد حينها أن عدوانا من الغرب الإستعماري الصليبي والصهيوني عدوانا على كل عربي ومسلم في أي موقع، فلتقم الثورات في كل بلد مستعمِر لدحر الإستعماروتحقيق الإستقلال.

تابع الأحداث من تابع، وتناقلت الإذاعات المستجدات في العالم كل يوم، وسأل وتساءل ممن لم يكن له اهتمام بالسياسة أو بالحرب أو بالثورة، وحصل الرد والإرهاصات للمستقبل، وتفجرت الثورة في الجنوب، وتعددت الانتماءات

(١٣٢) حسن علي باسمير: السلطنة القعيطية في حضرموت صـ ٢٢٤.

للثوار بمسمياتها السلمية والمسلحة، وإن توحدت الأهداف والمقاصد، واختلفت الوسائل.

تكونت لدى الفرد، أو البعض، فكرة عامة عن الثورة، وانتحل البعض منهم صفة الثوار، أو مناصرتهم بأية صفة وهيئة، ومع أية جهة.. لم تكن لدى الكثير خلفية سياسية أو ثقافية من أي نوع، سوى ما سمع من متحدث لبق في محفل أو مجلس، ومن يفسر ويشرح المواقف وفق مفهومه من إذاعة. والحديث هنا عن سكان البلدة (دمون).

كانوا يقولون مع من قال الجنوب العربي، وقالوا المحميات الغربية والشرقية، وثم قالوا مع من قال جنوب اليمن، وقالوا أخيرا مع من قال: الجنوب اليمني..إنهاهم كغيرهم تبع لما يقال ويتردد في المسامع من صوت جهير، ومن متحدث لا يسمع لغيره رأي، وا فتتن بحديثه من افتتن..ترددت الكلمات المسموعة بوجوب طرد الإستعمار وركائزه من العملاء.

تأسس النادي الثقافي في البلدة، وافتتحت مدرسة حكومية بمدرسين من غير البلدة، حلت محل المدرسة الأهلية.

أقيمت مسرحيات إرتجالية تحكي مسار الثورة في الشمال بقيادة السلال، والإعلام الإذاعي حينها، وربما في كل حين- على مبالغته- له تأثيره القوي في مفاهيم الناس، خاصة لمن لم يكن له رافد من علم أو معرفة أو تجربة سابقة.

ب- البلدة في مرحلة الثورة ضد الاستعمار والسلاطين:

انتسب شباب من هذه البلدة إلى النوادي الرياضية والثقافية، وإلى الأحزاب والمنظمات السرية والعلنية، حينها لم تراع في الانتساب الحسب أو النسب، أو بمعنى آخر الانتماء الطبقي.. الكل يطلب رحيل الإستعمار وركائزه من السلاطين والشيوخ الحكام في الجنوب.. كانت المطالبة وفق المطالبة المركزية وحسب توجيهاتها لمنتسبيها، وكان من انتسب شبابا متحمسين بوعي.. سواء كان الوعي عن ثقافة ما، أوهو مجرد سماع، وبمؤثرات من الغير، فقد تفهمت واستوعبت بفهمها المرحلة التي تعيشها الأمة العربية، والواقع المعاش، وما يجب أن يكون عليه الشعب والبلد أسوة بالبلاد المتحررة.

وقد انتسب إلى تنظيم الجبهة القومية- في السر- شباب من البلدة نذكر منهم كما جاء في ملحق كتاب:" أيها الماضي وداعا" للواء ركن خالد ابوبكر باراس وهم:

أحمد سعيّد جميل، أحمد عوض منصر التميمي، العبد العطاء التميمي، خميس منصور التميمي، خميس ناصر التميمي، صالح سالم التميمي، عبيد سالم التميمي، عبيد عبد الله التميمي، علي حسن التميمي، علي سالم بن محفوظ، كرامه حيمد صبيح، كرامه حيمد باموم‌ن، محمد سعيد التميمي، محمد عبيد بن عمران التميمي(١٣٣).

ولم يسعفنا مصدر آخر لمن انتمى أو انتسب لجبهة التحرير من البلدة حينها، ولا لغيرها من الأحزاب، وإن كنا نعتقد بمنتسبين إليها من البلدة.

(١٣٣) خالد باراس: وداعا ايها الماضي.

احتدم الصراع بين الإستعمار والأحزاب السياسية أولا، ومن بعد مع الجبهات.. جبهة التحرير والجبهة القومية، وغيرها من الأحزاب والمنظمات.

وقادت الجبهتين للثورة المسلحة ضد الإنجليز، وبعد صراع مرير ومؤسف تحول الصراع بين الجبهتين خاصة في عدن، وما جرى من تقاتل وتصفية جسدية بين الثوار بعضهم البعض، عبر الإغتيالات والتفجيرات بخطط مكشوفة، استعصى فهمها للمواطن العادي، خاصة وان كلا الطرفين لهما من الاعلام والنشرات والبيانات وتبادل الاتهامات بالتخوين والعمالة للمستعمر، وهو مما باركه المستعمر وأمن وسائله لفريق دون فريق، وانشغلا بحرب بعضهما البعض، وأمن شرهما الإستعمارالانجليزي معا تقريبا.

ذكر السيّد عبده حسين الأدهل في كتابه:"الإستقلال الضائع " نقلا عن كتاب "الجنوب اليمني في سنوات الشدة" لعبد الله الجابري، نص إتفاق بين المستعمرين الإنجليز وفريق من قادة الجبهة القومية، ومع قيادات من الأمن العام والجيش في اتحاد الجنوب العربي التابع لقيادة الإنجليز، ومن ضمن الإتفاق:" أن تتعهد الجبهة القومية بعدم استخدام السلاح ضد البريطانيين، وتغطية إنسحابهم في الأسابيع الأخيرة من عدن." [١٣٤]، مما جعلهم يوجهون أسلحتهم لأخوتهم من الوطنيين المختلفين معهم في أفكارهم وربما في وسيلتهم وغاياتهم ومقاصدهم.

(١٣٤) عبده حسين الأدهل: الإستقلال الضائع صـ٢٢٣.

ولعلنا كنا من أحد الذين أثرت فيهم الدعاية والادعاءات البطولية التي تبثها أجهزة الإعلام التابعة للجبهة القومية في نشراتها وبياناتها التي نجدها في الشوارع وفي المساجد وفي الأماكن العامة-في عدن- ضد القوات البريطانية وضد الخونة والعملاء ممن تصنفهم بأسمائهم أو انتماءاتهم بالخيانة والعمالة، ولست هنا أنكر بعض بطولات الفدائيين ضد المستعمرين.

ولم يكن لنا – حينها-مصدر آخر إلا المصادر التي تتحدث بأسم جبهة التحرير من إذاعات الشمال ومصر، وهي غريبة عن واقع هذه البلاد وما يجري فيها، وربما هي تلقن دروسا وتنظّر لمفاهيم، أو تقرر خططا دون رابط نفسي أو روحي يربطها بمن تتحدث إليه، ولا هناك صلة ميدانية وثيقة بينها وبين من تتحدث عنه، أو تتحدث بأسمه، فكان التباين والتناقض بين الواقع والمعلن.

وشيء آخر ربما شدني بصورة أو بأخرى-كغيري دون إنتماء أو عضوية- إلى تنظيم الجبهة القومية، إذ إن ثوار التنظيم من الأرياف، وان ثوار جبهة التحرير من المدن.. وعدن هي أولى مصادر ثوار جبهة التحرير، فكنا نسمع عن استعلاء العدنيين على أبناء الأرياف، وكنا سمعنا أن من العدنيين من يقول عدن للعدنيين، وعدن هي جوهرة وقلب الجنوب كله، و أبناء الأرياف عاطفتهم أقرب لأ بناء الأرياف، وربما كانوا في عمى لتشابك الأحداث وضبابية ما يرى وما يسمع في عدن خاصة، ومصادر المعلومات محصورة مع كل جهة.

لاغرو أن يكون من شباب هذه البلدة من انخرط في تنظيم الجبهة القومية، قليلا منهم أو كثيرا، باختلاف انتماءاتهم الطبقية مؤملين في نظام وسطي معتدل

يحقق شيئا من الطموحات والآمال التي حلم بها الشعب من حرية ورفاهية وعدل ومساواة، وكانت بيانات الجبهة القومية بعد البسملة تستشهد بالآية الكريمة:" من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوالله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من يتنظر وما بدلوا تبديلا."[١٣٥].

(١٣٥) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

٨- البلدة بعد التحرير وإعلان الجمهورية

وبعد الإستيلاء من قبل الجبهة القومية على المكلا عاصمة السلطنة القعيطية في شهر سبتمبر ١٩٦٧م، كانت دوريات الحرس الشعبي للجبهة القومية من(البلدة) دمون التي تخترق منطقة السلطنة الكثيرية إلى شبام والعكس، وفي أكتوبر ١٩٦٧م تم الإستيلاء على مدينة تريم الكثيرية..حينها تكونت اللجان الشعبية، واللجنة الشعبية تقوم – حينها- مقام السلطة التنفيذية والأمنية، وكان رئيس اللجنة من دمون(علي سالم بن محفوظ) وعضوا آخر فيها من دمون أيضا (عبيد بن سالم بن عوض التميمي). أما بقية الأعضاء من السادة من تريم وهم: عطاس مشهور الجنيد، وأحمد عبدالله الكاف، وأحمد عبد الله بن سميط.

في الثلاثين من نوفمبر١٩٦٧م أعلن رسميا قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ورئيسها: قحطان محمد الشعبي، وخرجت الجماهير تهتف:

كل الشعب قومية

وهتفت أيضا:

يا قحطان لا تهتم عندك ثورة تشرب دم

هكذا كان الحال حينها، وكانت دمون شبابها ورجالها وكهولها..ومن كل شرائحها الطبقية.. من تحمس وناصر الجبهة القومية، ومن انتظم في التنظيم رسميا، سواء عرف برنامج الجبهة القومية أو لم يعرفه، يكفيه أن يشير إليه بالإنضمام أحد معارفه، وكان برنامج الجبهة المعلن الاعتدال والمرونة في المسار

السياسي الداخلي والخارجي- طبعا المعلن- وكان ذاك مصدر ابتهاج نسبي عند الكثير ممن لهم رأي ووجهة نظر في السياسة، والكثير ممن انضموا إلى جبهة التحرير أو ناصروها وممن كان لهم علاقة بالأحزاب السياسية الأخرى في السابق أضحوا محل نظرة شك وارتياب، توارى من توارى، ونافق من نافق، وبعد ذلك، طوردوا وسجنوا، وأما القتل والخطف والإقصاء فقد طال المنتسبين أيضا للجبهة القومية في فترة لاحقة.

وتم التقسيم الإداري، وكانت حضرموت بمسمى المحافظة الخامسة، ومديرية سيون بمسمى المديرية الشمالية، وأضحت مدينة تريم مركزا من مراكز المديرية الشمالية، وأصبحت البلدة- دمون- حي الفلاحين من أحياء مركزتريم.

وتم تأسيس منظمة لجان الدفاع الشعبي، وقاعدته الوحدات السكنية، وسنأتي على التفصيل في محله.

ولكل مرحلة رجالها على مدار التاريخ، "وتلك الأيام نداولها بين الناس" والأيام سجال، والدنيا دول، ولكل دولة رجالها وأحوالها ونظامها السياسي والاقتصادي والإجتماعي، ولكل زمن سمة بأطواره ومراحله، بكل ما تحمله هذه الأطوار والمراحل من سلبيات وايجابيات، أو من تحولات بمحاسنها ومساوئها، فقد تفاجىء هذه المجتمعات ومن في هذه المجتمعات من أواسط الناس وعامتهم، وربما خواصهم أيضا، وذلك بتغيير الأعراف والتقاليد التي كانت، بالحذف أو بالإضافة، وكذا المفاهيم والمعتقدات، وتحويل مساراتها بوجهة ووسيلة غير ما اعتادته، وبرؤى ثقافية غريبة عن فهمها ومعتقدها، كما

هو في استحداث وسائل حديثة لمهنهم، وتغييرا فجائيا أو مرحليا في الوعي العام، فتنوعت مفاهيم الفرد والأسرة وفق المفهوم للمرحلة، فخنع للمفهوم الجديد من خنع، وهجر ما اعتاده ونشأ عليه مكرها أو مقتنعا، واستكن من استكن، واستمد فهما أو تصورا من الغير من استمد، وربما أدى التغيير إلى تفكيك الروابط والتلاحم، وتشويه المعالم والمآثر، وتأويل وممارسات لقيم جديدة، وتفسيرا لسلوك غريب انتظم فيه من انتظم غيرما الفه في مجتمعه ونشأ عليه.

إنها السياسة لكل مرحلة، أوهي المفاهيم للساسة، أوهو الإنتخاب الطبيعي، أو هي سنة التطور..أكان إلى الإمام أو إلى الخلف.

ومن مفاهيم المرحلة:

أ- البلدة والخطوة التصحيحية:

توالت الأحداث السياسية الداخلية بين القادة بسرعة غريبة..لم يدر في خلد احد، سواء من الساسة، أو من التنظيميين(أعضاء الجبهة القومية)، أو من نخب الشعب ومثقفيه، ناهيك عن العامة، بتوالي الأحداث المفجعة، والصراعات المأساوية المريرة، بين رفاق الدرب والمسيرة.. بين ثوار التنظيم السياسي الحاكم، الجبهة القومية.

أقصي قحطان من رئاسة الجمهورية، وأودع في السجن..وسميت المرحلة بالخطوة التصحيحية.. وهي خطوة- سموها- إقصاء اليمين الرجعي عن السلطة.. وهذا اليمين الرجعي – كما سموه- هو من قاد الثورة المسلحة ومن

نظّر لها، وجمع حولها الأعضاء من المناضلين والثوار والأنصار في كافة مناطق الجنوب، وبادر الثوارالجدد..- ثوار المرحلة اليسارية المتطرفة-..أي الثوريون الذي أقصوا رموز وقادة اليمين الرجعي من السلطة، بانتهاج نهج جديد في السياسة الداخلية والخارجية، حيث لم يكن الإقصاء كافيا لرموز اليمين الرجعي- حسب التصنيف- بل زيد سجنا واغتيالا أو تصفية من نوع بشع آخر.

ونصيب البلدة ورجالها ليس بالأمر اليسير، وإن لم يطالها إلى هذه المدة شيء من جرائم النظام ضد رفاق الدرب الثوري، سوى الإقصاء.

تشكلت قيادة جماعية من اليسار الثوري الديمقراطي.. ترأس مجلس الرئاسة سالم ربيع علي..استبدل اسم الجمهورية إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، والعلامة كما يقال في مثلنا الشعبي:" في رأس العطل"، أو مضمون الكتاب من عنوانه".

تم ترديد الشعارات الثورية للمرحلة الجديدة، وتكرارها في كل مناسبة وبلا مناسبة، مثل ثورة العمال والفلاحين.. البروليتاريا.. الكادحين.. المسحوقين.. المستغَلين.. الكمبرادوريين.. البرجوازيين..الإقطاع..الكهنوت.. الثورة الديمقراطية..

وصادفت مثل هذه الشعارات هوى في نفوس بعض العمال والفلاحين، وبعضا من عمال الشرائح الطبقية الأخرى، وإن لم يفهم لها معنى.

هتف العمال والفلاحون والصيادين وغيرهم:

سالمين نحن أشبالك وأفكارك لنا مصباح

واشعلناها ثوره حمرا باسم العامل والفلاح

و: ثورة ثورة لا إصلاح

و: بغينا حقنا ما بغينا شي باطل

وتغنو بالشعارات الثورية التي تدعوا الشباب للثورة:

ياشباب العالم ثوره ياعمال يافلاحين

واهزموا بالعنف الثوري كل الإمبرياليين

شيّدوا..شيدوا الإشتراكية دمروا.. دمروا الإمبريإليه

والواقع الذي كان الجميع من طبقة العمال والفلاحين والصيادين يجهله، معنى ومدلول هذه الشعارات والكلمات، ككلمة الكمبرادورية، والبروليتاريا، وشعار الثورة الديمقراطية، والثورية في الممارسة، فبعض الشعارات التي نادى بها القادة شبيهة بمناداتهم بالحرية والديمقراطية في القاموس السياسي الإشتراكي، وهي الديكتاتورية لفظا ومعنى وممارسة..كلمات وشعارات رددها من رددها عن غير وعي ومعرفة، فما عرف بعد الممارسة، إلا أنها ترجمة شاملة لكل أنواع البغي والعدوان على الشعوب.

كانوا – وأقصد من في البلدة – يجهلون كل شيء عن مقاصد هذه الشعارات، ويدعون المعرفة الثورية بكل ماحوته من تقدمية وسحق للعنصرية والبرجوازية، فمثل هذه المعرفة لا تتطلب إلا الهتاف والزعيق وتنفيذ الأوامر، ولهذا ساروا معها خطى – كما يقال- لا تستبين الطريق الوعر من الطريق الممهد، ولا تستبين الطريق المظلم من الطريق النيّر، ولا تعرف خصائص الآمر ولا هويته أو انتمائه، كان على بصائرهم أغشية، كتلك التي على عيونهم، وكان على عقولهم ومفاهيمهم وضمائرهم صدأ سميكا من نفايات الجهل والغفلة.

وربما كان الإندفاع لشباب البلدة نتيجة طبيعية للخلل النفسي وراء النظام الطبقي المستحوذ على النظام الاجتماعي.

وهذا الشباب المندفع بحماس للثورة، كان اندفاعه نقي القصد والسريرة، وطني الوسيلة والغاية، بنزاهة المواطن الصالح وشهامته، لكن ليست لهم تجربة قيادية من أي نوع، ولا خلفية ثقافية أو فكرية، ولا مكانة إجتماعية.

ولعل القيادة في أعلى الهرم السياسي تدرك ذلك جيّدا، فقد مهدت لهم الوسائل وهيأتها وتركت لهم الحرية في التعبير والتنكيل لما يصدر عنهم ومنهم، وهي تخطط لبرنامجها الثوري، بهدف اجتثاث كل القيم الموروثة والمعتقدات من الأفئدة، ولن يتأتى لها ذلك إلا باللجوء إلى الجماهير..هذه الجماهير المصنفة بالطبقة المسحوقة..الطبقة الكادحة.. طبقة العمال والفلاحين والصيادين والجنود والمثقفين الثوريين..مثل هذه الأوصاف والنعوت لاقت صدى وهوى في أفئدة هؤلاء. وهم أكثر تشوقا واستجابة للمغريات في السلطة..إن لهم معاناة من نوع ما.. من نوع الخلل النفسي للنظام الطبقي السائد، فهاهي الفرصة المواتية التي هيأتها الدولة..دولة العمال والفلاحين، والصيادين، التي أعلنت في مسيراتها.."كله حقك ياصياد".. "والأرض لمن يفلحها".. فلتقهر المعاناة.. معاناة الاستعلاء وربما الاحتقارمن البعض، بالوسائل الثورية.

وحتى نوثق ما نطرح في وصف واقع كان، أو وصف التهيئة لجزء مأساوي منه، قول الرئيس حينها سالم ربيع علي:" **إن مجتمعنا المتخلف والذي لم تمسسه حركة التطور في العهد الاستعماري، أشبه ما يكون بقطعة من القماش ناصعة**

البياض، تنتظر من يرسم عليها منظرا للوحة ما، فإما أن تكون اللوحة جميلة، وإما أن تكون بشعة...إنها رحلة الثورة الديمقراطية."

نعم، هو أصدق وصف لحالة العمال والفلاحين، وجدوا فيهم بياض قلوبهم، وفراغ عقولهم من أي مفاهيم تقاوم تلك الأيديولوجيات التي تتعارض كليا مع نشأتهم ومعتقدهم وأعرافهم وعوائدهم، وبما أن معتقدهم وراثي سطحي، فقد حرموا من التعليم..أقصوهم من حمل القلم، فكانت النكبة، وكانت اللوحة.. كأبشع لوحة رسمها الطغاة في تاريخ البلدة، والبلاد عامة.

ب- البلدة وبرنامج الثورة الديمقراطية:

غرسوا في أفئدة وعقول هؤلاء مفاهيم الثورة الديمقراطية، مقتدين بنهج الثورة الديمقراطية في الصين الشعبية (الشيوعية) وممارساتها، وهي ما سميت بثورة البروليتاريا-العمال والفلاحين-الثقافية الكبرى بقيادة "ماو تسي تونج"..فاستجاب لدعوته الشباب، وغرقت الصين في الفوضى، وغرقت البلدة، والبلاد عامة فيما هو أسوأ من الفوضى..

فعنها..عن الثورة الثقافية – في الصين- كونوا هنا المليشيات الشعبية..

وعنها..عن الثورة الثقافية..تحرك الطلبة بثورتهم ضد مدرسيهم وإدارة مدارسهم..

وعنها كانت الرقابة على المديرين في مختلف دوائر الدولة من صغار الموظفين، وعمال النظافة.

وعنها..عن الثورة الثقافية..كان حظر التجوال في المساء بدون إعلان..

وعنها..عن الثورة الثقافية..كان زوار الفجر والغسق..

وعنها..عن الثورة الثقافية..كانت الانتفاضة على أملاك الغير..

وعنها..عن الثورة الثقافية..كان اقتحام البيوت..

وعنها تم نهب الكتب..مزقوها..أتلفوها..صادروها..أيا كان موضوعها، طالما أنها في بيت كهنوتي أو برجوازي من بقايا الثقافة الرجعية الكهنوتية البرجوازية.

وعنها..عن الثورة الثقافية..كانت الإهانات لوجهاء البلد..توجيه السباب والشتائم، وكلمات التجريح والإزدراء، باعتبارهم رموزا للكهنوت والرجعية، أو عملاء للإمبريالية!!، أو يمثلون أعداء الثورة من البرجوازية والإقطاع.

كان الهدف والقصد، في هذه المرحلة.. دوس كرامة المواطنين من غير تصنيفهم.. كل من لم يشاركهم مسيرتهم..فكان سجن الأبرياء، وتكميم الأفواه حتى لا تقال كلمة، قد تنتقد ممارساتهم..كان إذلال العلماء والوجهاء، بالسجن أو الإقامة الجبرية، أو التحضير يوميا في المراكز الأمنية، وذلك لمن سلم من الخطف والقتل.

ولعلنا نوجزالسرد لبعض التفاصيل لاحقا..تفاصيل الإجراءات الثورية اقتداء بالثورة الثقافية الصينية في البلدة خاصة.

جـ – تصنيف سكان البلدة:

المعروف من السلوك العام لسكان البلدة (دمون) الإستقامة الظاهرة، وأداء العبادات من صلاة وصوم وزكاة مع النوافل، لاتجد من يترك فرضا، أو يتهاون فيه، ولا تجد من يتجاوز الحدود المعروفة فيما احل لهم وما حرم عليهم.. لا يمد أحد يده إلى أملاك الغير، ولا ينتهك أحد منهم حقوق الغير التي تحت يديه.. لم يمتهنوا السلب ولا النهب قط.. لم تتفوه ألسنتهم بالكلمة السيئة، ولا السباب ولا التجريح..كان الرجل العادي يبجل العالم ويسترشد به في أمور دينه ودنياه، وكان الصغير يحترم الكبير ويوقره، وكانت العلاقات رغم التمايز الطبقي هي علاقات إنسانية على وفق المفهوم الزمني، أو العرف السائد حينها، بحيث لا تتجاوز المفاهيم الدينية والإنسانية، والشذوذ في كل الحالات ليس قاعدة.

لكن التصنيف الذي حصلوا عليه، والتعريف الذي وجدوه في أنفسهم بغتة، دون أن يستشعروه في آبائهم وما تقدم من ماضيهم، يفوق ما أملوه وتوهموه، أو تخيلوه أن يكون.

رفعوهم إلى أعلى الهرم الذي لم تصله بعض النخب في البلد بين عشية وضحاها، ووصفوهم – كما قدمنا- بما ليس فيهم، ونسبوا إليهم ما لم يصدر منهم، وأعطوهم من النعوت والصفات والمبالغة في إرضائهم واسترضائهم، مما يمهد لهم السبيل إلى نشر أفكارهم، وتطبيق نظرياتهم، وصدق هؤلاء السذج ما قيل وما يقال عنهم..ازدادوا تعلقا بمقامهم السامي الجديد..طغوا وبغوا..عتو واستكبروا.. نسوا أنفسهم في غمرة النشوة..تناسوا إخوة لهم في الدين والوطن..هتكوا حرمة القريب والجار.

في تلك المرحلة الحرجة من التاريخ السيئ للبلدة، لم يكن في فلاحيها، ولا من عمالها الشباب من استنار بعلم، أو تفقه عند عالم، أو استمع لوعظ ووعى..فلم يستوعب أو يستشعر قانونا يحرم عليه فعل، أو يجرم منه قول خارج من نطاق ما عرف عن العبادة، وما عرف بالفطرة في العلاقة، ولم يجد من يناقشه ولا من يرشده، وهؤلاء المندفعون بحماسة ونزاهة، لم يكن فيهم من اكتسب خبرة أو تجربة في أي مجال من دوائر الدولة أو غيرها، ولا مارس أي شكل من أشكال القيادة السياسية أو الاجتماعية ولا غيرها، فقبل ما يملى عليه، وزاد باجتهاده ما يود أن يكون لإبراز شخصيته التي كانت مغمورة تحت نظام الطبقات..وجدوا أنفسهم فجأة في أعلى الهرم الطبقي بترديد الشعارات والهتافات، وفي نشرات الإذاعة وبيانات الدولة.. في المحافل وفي الشوارع.. في الأغاني وفي المرازح..الثورة منهم ولهم.. هم الثوار وهم الثوريين..هم القادة ولهم السيادة المطلقة..ومع علمهم ويقينهم أنهم لم يشاركوا في ثورة، ولم يكونوا ثوارا على أية كيفية، لكنهم صدقوا المقولة، وعاشوها حقيقة، وترك لهم "حبلهم على غاربهم" كما يقال، ووكلت لهم كيفية التنفيذ للمخطط أوالمنهج الشيوعي أكان صينيا أوسوفيتيا.

والذي لا يختلف فيه، أن هناك نزعة التغلب والتسلط في كل فرد، لكن هناك قيما ومفاهيم دينية وخلقية وثقافية تجعل هذه النزعة مأمونة في كثير من مسارها.

لكن..

عندما يمتلك النزعة تلك، ويتسلط ويستبد بالأمر بدون مفاهيم وقيم وخلق، فإنما هي الفوضى التي لا يستقيم معها شيء من مفهوم أو قصد، إلا المآسي والآلام والنكبات، واستقراء التاريخ..تاريخنا القديم يؤكد ذلك.

د- الكهنوت والإقطاع في البلدة:

صنف ثوار البلدة أو الأصح ثوريو البلدة من العمال والفلاحين، ومن نهج نفس النهج من غيرهم من الطبقات الأخرى من سكان البلدة، فمن أراد وا تصنيفه من أعداء الثورة، أو الكهنوت، أو إلاقطاع، أو البرجوازي..الخ صنف.. اقتداء وتبعية بما تلقوه ورردده الإعلام الرسمي، ونزولات المنظرين التنظيميين.

ومع أن التصنيف جاء على وفق المقولة:" افعل منكر تذكر"، وإلا فلا يوجد في البلدة من تنطبق عليه تلك الأوصاف ولا جزء منها.

فمفهوم الكهنوت كما عرف..كما تم تعريفه من قبل أوروبا المسيحية، أو أوروبا الشيوعية.. كانت الكنيسة، ومن فيها من أساقفة وكرادلة[١٣٦]، يحرمون ما يراد تحريمه بأسم الرب..ويحللون ما أراد وا حله بأسم الرب، ومن هنا تزهق الأرواح بأسم الرب.، ويسترق الأحراربأسم الرب، أوبأسم الكنيسة، فلا تعارض بالنسبة للضحايا فهم يعتبرون الكنيسة ربا، والرب كنيسة..ترفدهم السلطة المسلطة، وترفد الكنيسة تلك السلطة بتشريعاتها في صالح السلطة..هؤلاء رجال الكنيسة أطلق عليهم الكهنوت.

و"كلمة الإقطاع لغة تعني أن يقطع السلطان أرضا لجنده يعيشون منها، وبالمقابل يتعهد الجند بتلبية نداء السلطان إذا دعاهم للقتال إلى صفه"[١٣٧]، وهي بمفهومها - كسابقتها - الهابطة أو المستوردة من أوروبا أيضا، تحالف الطبقة

(١٣٦) مجموعة رجال الدين في الكنيسة.

(١٣٧) بامطرف: الإقطاعيون كانواهنا صـ ٦.

الحاكمة مع الكهنة، مع من يدينون لهؤلاء بالولاء المطلق..فاقطع الحاكم من يدينون له بالولاء المطلق الأراضي بمساحاتها الشاسعة، لهم ولذريتهم..فهم الولاة والحكام في تلك الإقطاعية، وكل من في تلك الإقطاعية عبيدا لهم، لا يملكون حق المغادرة ولا التحول أوالإنتقال. والإقطاعية ومساحتها فقد تكون إقليما كاملا، كمحافظة، أو مديرية – مثلا- يملكها رجل واحد أو أسرة واحدة.. يملك الأرض ومن عليها..يتحكم في رجالها ونسائها وأطفالها في ما ملكت أيمانهم، وما أنتجوه، ويتحكم في دمائهم أيضا.

وللتعريف بالاقطاع ومردوده يقول الأستاذ محمد عبد القاد بامطرف:" جلب القعيطي إلى حضرموت مليونا ونصف من الروبيات الهندية، وكان ذلك حصيلة تسوية عام واحد من إقطاعياته الزراعية بحيدر اباد."[١٣٨] .

مفهوم مختصر للكهنوت والإقطاع.. ولتبقى المقارنة لذوي الألباب.

وقد تم تصنيف من يراد تصنيفه بهذه الصفة أو تلك، من وجهاء ورجال البلدة، فكان كل من:

١ – السيّد زين بن عبد الله بن شهاب، بالكهنوتي، وتم أخذه وسجنه لأيام، وهو معروف للكل بشيخوخته، وبتواضعه ومسكنته، وبحال مستور، وقيل عنه أنه من أرباب الأحوال.. فليست له ثروة ظاهرة أو مخفية، وليس حوله خدم أو حشم، وإن أخذوا عليه شيء فهو قد يعالج مريضا ما، بمرجعية وصف للمرض

(١٣٨) الهجرة اليمنية صـ ٩٥.

وعلاجه من كتاب من كتب الطب الشعبي القديم، أو حسب تجاربه لكبر سنه، وحتى هذه لم تكن له مهنة يمتهنها، ولم يكن له أي نشاط آخر إلا صلاته في المسجد وصيامه، وجلوسه مع من هم في مثل سنه، من طبقته ومن غير طبقته.

٢ – السيّد طاهر بن حسن الشاطري، وهو معروف أيضا بتواضعه وانعزاله ومسكنته، وفقره، ولعله في غير انسجام مع بعض السادة في البلدة، وربما تردد على أربطة العلم والمحافل بتريم، وليس له نشاط من أي نوع إلا إن شارك في "حضرة" من الحَضَرات في مواقع المنادر، وأكثر جلوسه عند أصحاب الحرف من النجارين.

٣ – السيّد عمر بن شيخ بن شهاب، وهو وإن كان موظفا كاتبا في إدارة قائم المنطقة الشرقية (دمون) إنما يؤدي واجب وظيفته، وليس له أي نشاط آخر، ولامصدر دخل إلا مرتب وظيفته.

٤ – السيّد أحمد بن محمد ضياء بن شهاب، وهو مدرس، وترأس نادي العروبة، وترأس المجلس القروي، وبترؤسه ذلك المجلس خدم البلدة وأهلها، فقد استصدر الأمر من وزارة العدل لبناء مسجد النور، وبجهوده الذاتية أنيرت بيوت البلدة بالكهرباء من شركة كهرباء تريم الأهلية ابان السلطنة الكثيرية، وأدخل الماء إلى بيوت البلدة، من شركة الماء الأهلية بتريم بسعيه وبحنكته وقوة إرادته، وبمرونته إستطاع أن يحل كثيرا من المشاكل العالقة والمستجدة بين المواطنين، وربما إن اتهم بتهم، فهي لا تنتقص فردا ولا جماعة، ولا تهدد النظام أو الدولة، ولا تؤدي إلى حبسه في ظل أي وضع، إلا إن السيّد بن ضياء شجاع في إبداء رأيه، ملم بواقع أهل البلدة، ذكي لبق يتحدث ويجلس ويسامر الكل بدون

استثناء، وينتقد ما يجب انتقاده من فعل أو قول مبررا نقده، سواء اتفق معه الغيرأو اختلف، وهو شيء طبيعي من وجهاء كل بلد، لكن وبما أنه من السادة فليكن كهنوتيا، أو ثورة مضادة.

٥ – السيد علي حسين بن شهاب الدين، وهو مدرس، ثم كاتب في المحكمة، يكفيه مرتبه أو لايكفيه لكبرأسرته وهوالمعيل لتلك الأسرة.

٦ – السيّد حسين بن شهاب الدين، ليست له وظيفة ولا نشاط من أي نوع.

هؤلاء هم الذين يمثلون "الكهنوت" في البلدة، وليس لأي منهم انتماء سياسيا في حاضرهم أو ماضيهم، وهم وجهاء البلدة، وهم فقراء ومساكين جل إعتمادهم على مرتب الوظيفة لمن له وظيفة، وإن كانت لهم أملاك من أرض تزرع، أو وكلاء عن الملاك، فما يحصلون عليه لا يكفيهم مير شهر أو شهرين، لكنهم أغنياء من التعفف، والغريب أنه لايجهل من في البلدة سيرة هؤلاء ولا أحوالهم.

كان التصنيف بالكهنوت، أغرب تصنيف وأشنعه، ومثله في الغرابة والشناعة التصنيف للإقطاع.."الإقطاع"في البلدة..ويمثل الإقطاع في البلدة آل سلمه من آل تميم.

تم اقتحام بيوتهم وأخذ أسلحتهم التي تستخدم زينة في البيوت، أو رمزا لطبقتهم، أو وسيلة من وسائل القنص الشتوي في الجبال، وربما أطلقوا نيرانها في أعراسهم وأفراحهم بترخيص من الدولة..وأخذوهم أخذ مقتدر في السحر أو في الغسق..زجوا بهم السجن – مع الكهنوت–، ونقلوهم من سجن إلى آخر، بدون تهمة وبدون تحقيق أو مساءلة.. أكانوا من عقال آل تميم أو من شبابهم.. قضاياهم موكولة كالكهنوت إلى "ثوار البلدة"، من عمال وفلاحين!:

١- سالم بن صالح التميمي (بعطه).. كان عضوا في المجلس القروي، ويكفيه انتماؤه لتميم ليكون إقطاعيا.

٢- عبدالله بن سعيد التميمي (بعطه)..رجل ولا كل الرجال.. كريما.. سخيا.. وفيا..ملجأ لكل الفلاحين خاصة، وغيرهم حال أزماتهم واحتياجاتهم، وفر للكثير منهم المضخات لآبارهم بضمانته وبمعرفته.. شارك الكثير منهم في الزراعة وتمويل المزارعين، وأحسن للكثير منهم بتقديم خدماته المجانية التي لا ينكرها الكثير من الفلاحين أنفسهم.

٣- عبد الله بن عمر التميمي (بكوره).. يكفيه أن يكون تميميا، وعضوا في المجلس القروي وربما استدان منه بعض الفلاحين، وهو معروف بنقاوة سريرته، وربما بسذاجته، وأريحيته.

٤- عبيد عبد الله التميمي(بكوره) ربما دافع عن والده، أو سأل عن مصير والده، وهو موظف دوله، أو صنف من اليمين الرجعي.

٥- علي حسن التميمي(بكوره) هو أول خريج في البلدة من ثانوية السودان..مدرسا في المدارس الحكومية، صاحب خلق رفيع مع الكل، لا يمكن أن تنسب إليه أية تهمة من أي نوع، إلا إن صنف من اليمين الرجعي.

٦- عوض فريد التميمي صيدلي، وهو أول صيدلي من أبناء البلدة، ومن بيت المقدم لآل سلمه، أو لعله كغيره من المصنفين من اليمين الرجعي.

٧- محمد سعيد عمر التميمي (بكوره) موظف دولة وربما صنف من اليمين الرجعي.

هـ- تصنيف غير موفق:

لم يكن في هؤلاء أو أولئك ممن أُخِذ تحت مسمى "الكهنوت" أو "الإقطاع".. كهنوتيا أو إقطاعيا..لا يوجد في البلدة كهنوتيا ولا إقطاعيا، فتهم الكهنوت غبية، ومن استخدمها في مثل هؤلاء على عينيه وبصيرته غشاوة مركبة، ربما لتأكيد المكانة العالية التي تسنموها، وربما لتأكيد نهجهم في تنفيذ المرحلة٠٠مرحلة الثورة الديمقرطية، فكان إصطناع هؤلاء الضحايا أعداء الثورة. هذا إذا استثنيا انتماءاتهم الطبقية، ولا في هؤلاء من يمثل تهديدا للنظام أو الثورة، إنما هم فقراء.. مساكين، في زمنهم..تعساء كغيرهم من بني بلدتهم، ومن تجاوز درجة الفقر المنظورة بلبس رخيص نظيف، وربما بمشية مختالة من تعففهم، وقد لا يوجد في بيت البعض ما يؤكل أسرته وجبة كاملة لأيام..هذه حالة الكثير من المصنفين كهانيت وإقطاعيين..الكل يعلم ذلك.. ليسوا غرباء، ولامنعزلين عن بعض، هم جزء لايتجزأ من سكان البلدة في تعايشهم وتناغمهم والوئام الذي يسود بينهم مثل كل الطبقات..كأسرة واحدة في السراء والضراء، رغم التمايز الطبقي وعوائده.. من تملك منهم جزءا في مضخة (مكينة) كان شريكه فلاحا، وربماكان هو شريك الفلاح في المزرعة، والأرض أرض أوقاف، أو أرض ملاك من غيرهم.

ربما امتلك البعض أيضا سهما من بضعة أسهم لمكينة، وامتلك البعض "جربا"، أو حصل عليه من إرث، أو قطعة أرض بمساحة "الجرب".

وكانت الإنتفاضة..تجريد مثل هؤلاء من ممتلكاتهم الإقطاعية تلك.. هكذا..!!

هذا وصف موجز أو قراءة سريعة لمن وصف بالكهنوت والإقطاع من سكان البلدة.

و- أعداء الثورة في البلدة:

بهذا الوصف – كهنوت واقطاع- الذي يولد الدهشة والإستغراب، أن يكون من هؤلاء لأولئك، لأنهم لا يجهلون حقيقتهم، كانوا في قائمة أعداء الثورة، فقد عوملوا في معتقلاتهم أو سجونهم معاملة مجرمي حرب..بل أقسى وأشد..إنهم أعداء الثورة..إنهم الثورة المضادة التي لا تسند تهمهم – إن كانت ثمة تهم – فقرة في قانون نافذ.. بل لم تؤخذ عليهم حركة أو كلمة أو إنتماء تتهمهم بالتخطيط أو العداء للثورة، ولا لبرنامج الثورة. يذكر لي أحد هؤلاء المصنفين- من الإقطاع- والمرحلين من سجن الحوارث بسيون إلى سجن المنورة بالمكلا أنهم رصوهم في سيارة رص البهائم في الزريبة، وطوال الليل يمشون في الطريق الوعرة- قبل أن تمهد وتسلفت- لا يسمح لأحدهم أن يتبول، ولا يعطى له شربة ما.. معانق البنادق من الحرس مصوبة على رؤوسهم..أنفاسهم تتلاحق، وهي محصورة في صندوق السيارة أو قفصها المغلق، حتى يخيّل للبعض أن رذاذا من المطر قد اخترق صندوق السيارة من تبخر الأنفاس للمساجين، وقد أغمي على البعض، وأصر أحدهم على أن يبول خارج قفص السيارة، وبعد لأي سمح له..وقفت السيارة وخرج، والحارس بجانبه ومعنقة البندقية مصوبة

على رأسه، وانحسر البول فقال له ابعد بندقيتك من على رأسي، وستلاحقني بها إن ابتعدت..لم يكن أحدهم يحمل سلاحا، وأغلبهم كهولا، ولم يخش من أحدهم أن يقوم بعمل ما، حتى الكلمة الجارحة لم تصدر من أحدهم.

لم يعاملوا كمواطنين.. كإخوان وجيران.. لم يعاملوهم بإنسانية الإنسان ولا بكرامته.

"يذكر السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب، أنه وهو في سجن المكلا أحس بنقصان السمع، فأخبر مسئول السجن الذي قرر عرضه على الطبيب في مستشفى المكلا، ومع الحراسة تم أخذه إلى المستشفى كسجين.. قرر الدكتور بعد الكشف عليه، العلاج والعودة، لكنه عندما عاد حسب قرار الدكتور المعالج، وجد أن الدكتور السابق قد تحول إلى عدن، وان الدكتور المناوب سأله أول ما سأله أنت من مساجين الإنتفاضة؟! فأجاب بنعم، ولكن ما دخل الإنتفاضة في المرض والعلاج، وقال: علاجك عند الدكتورالأول، وأنا لا علاج لكم عندي!!، وكتب لي حبات أسبرين وقال لي أخرج"[١٣٩].

وبما أن بعض مساجين الإنتفاضة بذلك الوصف المشين- كهنوت وإقطاع- موظفو دولة، فقد أوقفوا مرتباتهم، ولا يملك الموظف السجين إلا مرتبه، وهو يعيل أسرة كاملة بأطفالها وعجائزها..معروفة عند من أو قف صرف المرتب، ولا قرار من الدولة بإيقافه.

(١٣٩) بن ضياء:الأيام والليالي السود (مذكرات خاصة مخطوط).

هذه إنسانية المرحلة، أوسياسة المرحلة

لم تشهد البلدة – ربما كغيرها من البلدات- في تاريخها الطويل رعبا وتنكيلا طال كل مواطن، بأستثناء من كانوا أداة الرعب والتنكيل..كان من يفعل فعلته الثورية، بآلية ومفاهيم ديكتاتورية البروليتاريا، بتجريد المواطن من سكنه أو مشاطرته إياه، وإلصاق التهم أو التصنيف السيئ، متجاوزين قوانين الدولة.. دولتهم ونظامها وقوانينها، كقانون الإصلاح الزراعي الذي حدد الملكية الخاصة، فقالوا الأرض لمن يفلحها، وإن كانت جربا مسورا لبيت قائم، متخطين مواد القانون، أو قانون التأميم الذي كفل للفرد سكنه الشخصي..لم يكن هناك في البلدة عمارات للإيجار، فشاطروا ذوي السكن الشخصي سكنهم- رغم أنف القانون-.. اقتحموا البيوت وجعلوا جزءا منها مقرات للدفاع الشعبي، والوحدات السكنية، والمنظمات الجماهيرية، بل واستولوا على أجزاء من أراضي البيوت تحت التأسيس وتملكوها، وبنوا فيها.. مستندين إلى رضا القيادة العليا "للثورة"..كعمال وفلاحين لما يقومون به من إرساء قواعد التجربة الإشتراكية العلمية في البلاد..ومما رسخ الغرور والتعالي في تفسير المرحلة بفهم وممارسة هؤلاء، أن أحدهم..أحد الثوار- إياهم- انتقد ممارسات ثائر من ثوار المرحلة منهم بتجاوزه صلاحياته في مركز إدارته الفلاحية- لرئيس مجلس الرئاسة، فيرد..يرد رئيس مجلس الرئاسة: " ومن يستطيع أن يقنع هذا، أو يثنيه عن فعل ما يريد."ففعلوا مايريدون..إنها سياسة الدولة في إرساء وسائل التغيير.

ز- سالمين قائد مسيرة الإنتفاضة من البلدة:

غرس الرئيس سالمين في الأفئدة..أفئدة الفلاحين والعمال والصيادين محبة وشعبية له عارمة، واستطاع من خلالها أن يجعل من براءتهم وسذاجتهم جسرا لإرساء مفاهيم الظلم والإرهاب والكفر والإلحاد، بدعوى هزيمة أعداء الثورة من إقطاع وكهنوت وثورة مضادة، وبرجوازيين..لم يعرف أحد حقيقة هذه الأشباح ومدلول التسمية، أو التصنيف، فألصقوها بمن يريدون في واقعهم.. جسدوا الأشباح في تلك الشخصيات التي لن تشاركهم في تنفيذ برنامج الثورة الديمقراطية..ليثبتوا للتاريخ، ولقادة الثورة الديمقراطية، أنهم سحقوا الإقطاع، وشبه الإقطاع، وسحقوا الكهنوت، والبرجوازيين، وأخلوا الساحة منهم تماما، وفي الواقع ليس لهم وجود أصلا، استعاضوا بهؤلاء الضحايا العزل أن يكونوا كما يريدون لإرهاب البقية.. ليسجل التاريخ طورا أو مرحلة من غباء أو سذاجة ناسها، وجهل من تسنموا قيادتها، وبقيت بعض رموز الثورة المضادة من الفلاحين..الثورة المضادة من الفلاحين!!، لكن من غير البلدة، أو بالأحرى من غير هذا الحي.

فمن أطراف البلدة..من دمون..من وادي دمون..قاد الرئيس سالمين مسيرة جماهيرية كبرى من فلاحين وعمال من البلدة، ومن بعض القرى المجاورة، وشاركهم فيها بعض من الشرائح الطبقية الأخرى تطالب بتطبيق الإنتفاضات، والتي رفض تطبيقها فلاحو منطقة عيديد بتريم بزعامة الفلاح سالم بارجيب..

هتفت الجماهير مطالبة أيضا: "بتأميم المساكن واجب".."بسحق الخليف واجب".. "وسحق بارجيب واجب!!"..

والأرض لمن يفلحها..

وإن أبى الفلاح الإنتفاضة على الأرض التي يفلحها، فليستولي عليها بمزروعاتها من سيفلحها.

انطلقت المسيرة من وادي دمون إلى الخليف(عيديد)، وتم الإستيلاء على الأرض الزراعية بعيديد، وتم إعتقال بارجيب وغيره ممن رفض الإنتفاضة، وشرب الرئيس سالمين من "معداه"(عتم) بها ماء يجري من المضخة(المكينة) التي تروي الزراعة، بعد أو قبل الإنتفاضة عليها. وشكلت فرقة من المليشيا الشعبية تدعى فرقة سالمين من الفلاحين لتولي الأمن في المنطقة، وقمع أي معارضة من أعداء الثورة..أعداء الإنتفاضة، أو البرنامج الثوري الديمقراطي.. من الفلاحين، وردد جماهير المنتفضين الشعارات الثورية:

عادت الأرض بالقوة وبالإنتفاضات

عنف بالعنف لولا العنف لقطاعي ما مات

حـ- شباب البلدة وتنفيذ البرنامج الثوري:

كان من بعض شباب البلدة جزء من الجسر الطيّع المرن لتحقيق وتنفيذ البرنامج الثوري الديمقراطي..ربما كانوا هم الوسيلة المثلى مع من شاكلهم من القرى والمدن الأخرى لغفلتهم وجهلهم وسذاجتهم، وربما لغرورهم بارتقائهم

الفجائي إلى أعلى الهرم الطبقي كما وصفهم القادة حينها، وربما كان تعبيرا منهم عن رفض العلاقة الطبقية التي كانت، ووضعهم الطبقي في أسفل الهرم.

لكن هذا لايعني تفرد طبقة العمال والفلاحين فقط، بل هناك من كانوا معهم من بقية الطبقات الأخرى في القاعدة والقيادة.

يقال إن البعض من شباب هذه البلدة شارك بالسحل.. أفراد من شباب الشرائح الطبقية في البلدة شارك في عملية السحل الذي حصل في بعض المناطق.. سواء كانت المشاركة معنوية او فعلية..سحل الأنفس الحية من تحت منازلها، وأمام أعين أسرها من نساء وأطفال..رقصت فرق السحل وتغنت بالأغاني الثورية، وهتفت بإنتصار الثورة الديمقراطية ضد الإقطاع والكهنوت فوق جثث الضحايا.

ومن شباب هذه البلدة، ووفق التصنيف والتشجيع لفعل أي عمل ثوري، يصب في قالب المفاهيم الإشتراكية العلمية، أو الثورة الديمقراطية، السياسة العامة للحزب (التنظيم)الحاكم، وتكريسا لمبدأ الإنتفاضات، كان الإستيلاء على العلوب..أشجار السدر البالغة بتحول جذوعها إلى خشب أحمر(الحِمِر) في مناطق "الريدة" و"عِدِم"، والتي رعاها ملاكها لأكثر من ثلاثين سنة ليحمر خشبها، انتهبوها وجزوها لتكون موادا بلا ثمن للتعاونية.. تعاونية النجارين.

كان إستغلال القيادات المركزية السيئة لأ بناء الأرياف خاصة، وهم على دراية تامة بما هم عليه من نقاوة سريرة، وحالة تخلف وجهل، كأرضية قابلة لبذور سموم الحقد والكراهية والمقت في الجوانح، وبتركيز دعائي مكثف مضلل عن الصراع الطبقي، والعدالة الاجتماعية، والتكافل الاجتماعي.

ولست أعني فئة طبقية معينة في تلك المدة، فقد كانت من كل فئات الطبقات تحت مظلة السلطة، منفذة برنامجها سواء بقناعة، أو بعدم قناعة..إنما في وصفهم رعايا سلطة مركزية أو محلية، الكل ملتزم بالبرنامج حتى يتفادى تهمة "عدو الثورة" أو"الثورة المضادة".

ومن أجل السيطرة التامة على العقول غير المحصنة، كان يجب زرع المفاهيم الجديدة، واقتلاع المفاهيم القديمة، أو على الاقل التشكيك بها، وتشويهها.. تأسست المدارس الثورية بالنهج الشيوعي، أو النهج الأممي.. وفي البلدة – كغيرها– تأسست النواة لهذا النهج.. المنظمات القاعدية، من كل الشرائح الطبقية.. اتحاد الشباب اليمني(أشيد) اتحاد الفلاحين(أفيد)، اتحاد النساء في المدينة(أنيد) وفتح فصول محو الأمية الإلزامية للرجال والنساء.. لغاية معروفة وغرض معيّن.. غسيل مخ من كل المؤثرات الرجعية..هكذا.. إنها سياسة المرحلة.

اللجنة الفلاحية بالبلدة:

في عام ١٩٧١م تأسست اللجنة الفلاحية بالبلدة، وهي إحدى أجنحة التعاونية الزراعية بالمركز، ومن ركائز اتحاد الفلاحين(افيد) فيما بعد. والانضواء اليها ملزم لكل فلاح.

ترأس اللجنة عند التأسيس كرامه حيمد باومن، ثم كرامه عبيد بادباه، خميس سالم باخريصه، خميس سلمان باومن، كرامه رجب باومن، خميس سعيد بلعجماء، وسعيد سالم عمير باشامخة[١٤٠].

(١٤٠) ربما حصل خطأ أوقصور في ترتيب من تولى الرئاسة، وهو راجع إلى المصادر التي استقينا منهم. من رؤساء اللجنة.

ومن مهام اللجنة الفلاحية بالبلدة، تحصيل رسوم الأرض المزروعة، كونها مؤممة بما مقداره ١٠٪ وهو ما يعتبر عجيز الأرض، وللتعاونية الزراعية ٣٪.

التأكيد أو الاعتراض على صرف قطع الأراضي السكنية الممنوحة للمواطنين من قبل إدارة الاسكان.

للجنة دور فعال في بناء مستودعات التعاونية الزراعية في البلدة، وهو المبنى القائم شرقي بيت السيّد محمد بن عمر بن شهاب، وجنوبي بيت المقدم سالم بن عوض بن سلمه التميمي.

اللجنة الشعبية:

تأسست اللجنة الشعبية في عام ١٩٧٢م.. كبديل لمهام "الأبوة" – أي أبو الحضر وأبو المساكين– حسب المصطلح حينه.

ومن أهداف اللجان الشعبية المعلنة:

- مشاركة المواطنين في حل مشاكلهم الاجتماعية.
- معاونة السلطة المحلية – التنفيذية والقضائية – في توضيح وتبيان بعض قضايا المواطنين المنظورة أمامهم.
- تتحمل اللجنة مهام تيسير الألعاب الشعبية والموروث الشعبي بالمنطقة.

وقدتم انتخاب اللجنة الشعبية بالبلدة من:

١– سعيد سالم عمر باشامخة رئيسا

٢– علي سالم باومن عضوا

٣-هادي مبارك بن سهيل التميمي "

٤- رمضان سالم صبيح "

٥- سعيد علي باحشوان "

٦- كرامه عبيد بادباه "

٧- خميس عوض حمدون "

وتم تعيين احمد عوض بريكان باشامخه مقررا للجنة.

مارست اللجنة مهامها منذ تأسيسها حتى تأسيس منظمة الدفاع الشعبي.

ط - منظمة لجان الدفاع الشعبي في البلدة:

في سنة ١٩٧٣م تأسست منظمة لجان الدفاع الشعبي، وهي منظمة جماهيرية، إلا أن لوائح التأسيس ونظامها كرافد أمني وسياسي للسلطة، بحيث تقوم في كثير أو قليل بمهام الاستخبارات والمباحث..المباحث الأمنية والإجتماعية..موكولة بكتابة التقاريرعن كل أسرة في وحدتها، وعن كل فرد في تلك الأسرة..تقارير دورية، هي في الظاهر شكلية، لكنها قد تحتاجها الأجهزة الأمنية، والسياسية ولو لبعض الأفراد والأسر.. كاستقبال الغريب والقريب والصاحب في البيت، وفي أفراحها وأتراحها.. حتى من غيّر لبسه مرات في يومه، أو ظهرت عليه آثار النعمة المباغتة.. هيأ نفسه للمساءلة وعلامة الإستفهام، ولو بسؤال عابر ظاهره البراءة، ودوافعه التحري عن السبب، وقد أصبح بعض قيادات الوحدات السكنية يمثلون لسكان الوحدة أكثر رعبا من النظام السائد.

وقد تناوب رئاسة الحي بالترتيب كل من: أحمد مبارك باشامخه، كرامه أحمد ربيحان، عمر مبارك باومن، سعيد سالم عمر باشامخه، علي عبيد التميمي، سعيد سالم عميّر باشامخه. ويساعد في مهام رئيس الحي للدفاع الشعبي، والوحدات السكنية، من يقوم بمهام السكرتير، كل في تخصص مهامة.. سكرتير الشئون الاجتماعية.. الاعلام.. المال....الخ.

والحي(البلده)- حي الفلاحين- يتكون من ست وحدات سكنية هي:

وحدة صالح عنتر- وحدة علي جاحص- وحدة عوض ميسري- وحدة فاطمه غنانه، وتم تغيير الإسم إلى كمال حنبلاط - ووحدة كمال عدوان- ووحدة خالد بن هامل- بمنطقة الفجير.

وكان الذي يقال إن منظمة الدفاع الشعبي البديل التقدمي العصري عن الحافة، ونظام الحافة وسوارحها، ربما كانت البديل، ولكن بالمفهوم الثوري.

ومما يستحق التسجيل أن أحد مواطني الوحدة السكنية (فاطمة غنانه)، وقد ترسب في ذهنه بفهم ساذج أن الانتساب إلى المرأة أية امرأة.. ذل وإهانة، ونقيصة في حق الرجل، فطالب المسئولين بإلحاح في وحدته بتغيير الإسم..اسم المرأة التي تسمت بها وحدته السكنية إلى اسم رجل..أي رجل.. أيا كان ولو من سقط المتاع - كما يقال- أو أشباه الرجال، لكن بأسم رجل، وتم التغيير حسب ماجاء في ترتيب أسماء الوحدات السكنية..

وسكان الوحدات يجهلون أصحاب هذه الأسماء والألقاب التي تصاحبها، والأفكار التي ينادون بها. لكن المنظرين الذين يحددون ويبرمجون مسار هذه

الوسيلة، يعلمون جيّدا أنها قد تؤتي ثمارها اليوم أو غدا مع الأب أو مع الإبن. وربما تفوق البعض من أعضاء الوحدات السكنية على المنظرين والموجهين، أو كما يقال: "ملكيين أكثر من الملك".

يـ – بعض من غرائب المرحلة في البلدة:

في تلك الفترة الحرجة من السنوات العجاف.. أتذكر موقفا..موقفا يدل على إخلاص السذج لهذه الفترة بتعاليمها ومفاهيمها، ودون أن يسترشد أحدهم إلا بسذاجة فهمه وجهله.." كنت عائدا إلى البلدة (وقد أضحت حي الفلاحين) مترجلا من المدينة تريم، وقد حملت "مسجلا" أصلحه المهندس، ولففته بردائي حتى أخفيه عن الأعين، وكان اللف مميّزا، وفي عودتي إلى البلدة أمشي وحيدا، وربما حولت حمل الملفوف من يدي اليمنى إلى يدي اليسرى والعكس..رآني أحدهم..زميلا من زملاء الدراسة الأهلية، ومن أبناء حيي.. بيننا مجورة في المساكن، وبما أنني أغيب عن البلدة في موقع عملي بالمكلا مدة تمتد إلى السنة أو أقل قليلا، ربما شك هذا الزميل وارتاب..إنها ثقافة المرحلة السياسية والأمنية، يجب الشك والإرتياب في كل شيء، ومن أي شخص..وكنت قد سلمت عليه وأنا أمر قبالته مع بعض من أقرانه في "النويدرة"، فجأة يلاحقني هذا الزميل..يحاذيني في مشيتي..يمزح معي، ولم أكن أمزح معه أو أتقبل مزاحه، لكنني مضطرا أن أجاريه، وأرى يده تمتد أكثر من مرة إلى ما أحمل، بل قد طلب مني أكثر من مرة أن يعقبني في حمل ما أحمل، وأنا أرفض..بلغت مني البلاهة

والغباء حدا، حيث لم استدرك مثل هذه الحركات وما وراءها، وقطعنا شوطا كبيرا من "النويدرة" إلى قرب مسجد مشهور، ونحن نمشي على عجل، لكنه هنا نفذ صبره فأخذ بكلتا يديه ما أحمل ليستبينه..عرفت مقصده..قلت له أتعبت نفسك، مشيت معي تلك المسافة لتعرف.. فنقضت اللف، وقلت أنه مسجل من عند المهندس، كان به عطل فأصلحه. اغتاظ في الظاهر وهو ينظر إلى المسجل وقال لا تفهمني خطأ، أنا... قلت أنت تريد أن تعرف فقد عرفت.

وفي تلك الفترة السيئة من تاريخ البلدة ذكر لي أحد المسئولين حينها، أن أحد الرموز..رموز المرحلة الثورية تلك.. طلب أرضية لبناء بيت، ولا غرابة في أن يطلب مواطن أرضية لبناء بيت له ولأخوانه، لكن الغرابة أن الطلب كان طلبه لمسجد قائم – حينها-وإن يكن مهجورا، فرفض المسئول وأصر صاحب الطلب على طلبه، وكاد أن يلبى طلبه لولا تدخل البعض.

ولعل من غرائب هذه المرحلة أيضا، وكثير من الحوادث الغريبة التي تبقى في الذاكرة حية لا تنسى مهما طال الزمن، وتراكمت الأحداث، لكونها من نوادر العجائب وغرائب الزمن في سلوك أهله، وتخبط القادة في مفهوم القيادة، فقد تشكلت في البلدة، والأصح في المدينة، وقد أضحت البلدة حي من أحياء المدينة، لكن زمام أمور المدينة وقادتها من أبناء البلدة- سابقا-..كنت عزمت على أن أبني في بيتي الطابق الثاني، وطلب المعلم ترخيص بناء، ولم يكن طلبه ترخيص بناء من البلدية، فهذا موجود، ولكنه ترخيص من النقابة العمالية، وطلبنا الترخيص من النقابة العمالية وبعد السؤال والتساؤل عن دواعي البناء،

وعدد أفراد الأسرة...الخ، كان نزول المسئول للموقع.. وتجوّل في سطوح البيت التي أطلب الترخيص لبنائها، وأخيرا قرر السماح لي ببناء جانب واحد في البيت أي نصف ما طلبت، وأعطاني الخيار، إما أن أبني الجانب الشرقي أو القبلي (الغربي)، والجانبين بمساحة متساوية تقريبا(غرفتين وحمام)، وفي الواقع حاولت أن أفهم منه السبب أو العلة في عدم إعطائي ترخيص في بناء الجانبين، لكن المسئول مصرا على أن بناء جانب واحد فيه كفايتي، وكلما حاولت إقناعه بحجتي وحاجتي، عاند وأصر بتعنت شديد، ولعل من يقرأ ما أكتب يعتقد أن النقابة ومسئولها هو الذي يموّل عمال البناء أجرتهم، أو هم الذين عليهم توفير مواد البناء.. كلا وألف كلا..ولكنه فهم سيء للمسئولية..أية مسئولية تسند إلى غير أهلها، أو لعلها ترسيخ الهيمنة والسيطرة العمالية في المرحلة الثورية، والأمر لله، فما أن سمح لي للبناء، وابتدأت العمل، إذ أنا بنزول ودورات المندوبين من النقابة لمراقبة العمل في البيت تتكرر..تكررت في البداية أكثر من مرة في اليوم، ومن بعد مرة الصباح وأخرى في العصرية، و بعد ذلك تقلصت، والأسباب ربما هو النقد اللاذع من بعض العمال، أو إحساس من نوع ما يعتري الإنسان بالخيبة من مسئوليته.

في هذه السنوات العجاف من تاريخ البلدة..هناك رجال..شخصيات امتعضت من الواقع السيئ، وهناك شخصيات رفضت كل الإجراءات التي تمت من قبل أبنائها..هناك من خشي ربه، ولا نسي ولا تناسى حقوق غيره.. هناك من شقي بأخيه وإبنه..لكن لم يكن في اليد حيله..حاول بعض الآباء..آباء الفلاحين الذين انتفض أولادهم على المحاصيل الزراعية، وغيرهم فيها شريك..

حاولوا..حاول البعض منهم توصيل حصة الشريك في الخفاء..في الربع الأخير من الليل.. رغم شيخوختهم..جزأوا الحصص وسرو بها في الغداري، ورغم الحراسات المفروضة، والدوريات الليلية، نجحوا في توصيل حصص البعض، وانكشف أمرهم في البعض، وصادروا مابقي، واكتفى الأبناء بالتهديد.

في تلك المرحلة أو الطور من التاريخ بمساوئه وسيئاته في البلدة من سلوك أبنائها الغر بجهلهم.. نم الأخ على أخيه، وشك المزارع وارتاب من مزارع آخر، فأطلق عليه العيون للمراقبة، واستعر الحقد والمقت والكراهية في الأنفس، حتى على محب وصديق..ومن كان يكن له التقدير والمودة والاحترام، فقد تحول إلى خصم.. تحول الكثير إلى أجراء وعيون ودعاة مخلصين للتنظيم الحاكم، وأداة تنفيذ لسياسة البغي والعدوان على القريب والصاحب..حولت الرعية بجبروتها وإرهابها وغفلتها إلى قطيع من المخبرين، يستحيل أن يتفوه الفرد منهم بجملة لا تتفق مع مفاهيمهم، أو أن يكون له رأي مخالف، حتى الرأي السلبي الذي يجيء عفوا دون قصد من شخص مسالم.

بقي أثر هذه التوجهات لتلك السنين العجاف في جنان المسئولين وسلوكهم، وشاركهم فيها الوصوليون والنفعيون والمتملقون، وإن لم يكونوا منهم، ولا بقناعة ممارستهم وسلوكهم، ولكنهم تمثلوا بقول الشاعر:

ودارهم مادمت في دارهم وأرضهم مادمت في أرضهم

حتى وإن أساؤا إلى صديق أو زميل أو قريب، لم يرتكب خطأ، ولم يقترف إثما، ولكنه في التصنيف التنظيمي مضاد.. أو عدو..أو رجعي عفن..!!.

كـ – المبادرات الجماهيرية في البلدة:

فكرة المبادرات الجماهيرية فكرة رائعة جدا عندما تكون بدافع وطني بنتائج ملموسة للبلدة والمواطن، مثل رصف الطريق، وبناء مدرسة، وهو ما كان من هموم المواطن للبلدة في أفراحها وأتراحها والكوارث، فقد قام سكان البلدة برصف الطريق(رصعة) من بداية المدخل الجنوبي إلى حوالي مدخل جرب مسجد شهاب الدين، كما قام السكان.. سكان البلدة ببناء مدرسة دمون(حي الفلاحين) وغير ذلك من المبادرات التي يستفيد منها المواطن. لكن عندما تكون مبادرة بلا هدف محدد ولامصلحة ظاهرة أو مخفية، أو مستقبلية، فذاك شيء غيرمقبول، خاصة إذا تعارض مع نفسية المواطن ومصلحته.

في شهر رمضان الكريم، وفي عصر شهر رمضان، في فصل من فصول القيظ في هذه المرحلة..أرغموا أهالي البلدة..أرغموهم للقيام بمبادرة جماهيرية.. وأود أن أكررها في عصر شهر رمضان.. في فصل من فصول القيظ في السنة.. أرغموهم، وهم صيام على أن يقومون بمبادرة طوعية!!..المبادرة تصفية "حوش" وتنقيته من بعر الأغنام..أبعار الأغنام المتراكمة، والمرصودة من هطول الأمطار في أرضية "الحوش".. أما التبرير: فإن لسعة الحوش وكبره قد يكون مناسبا للاجتماعات!!..

بادرت جماهير البلدة..خرجت في عصر شهر رمضان.. لتكنس "الحوش"، ولتلفلف أبعار الأغنام بعد التنقيب عن المرصود منها بالمزاحي ونقله بالأيادي في الزنابيل، والكتبة على اليمين والشمال يحصون ويرقمون الحاضرين والغائبين، ولم يعقد في هذا الحوش اجتماع قط.

سـ – فصول محو الأمية للنساء في البلدة:

في عام ١٩٧٣م صدر قانون بشأن محو الأمية وتعليم الكبار، والقانون كان مطلبا جماهيريا، وسياسيا، واجتماعيا للقضاء على الأمية التي هي مظهرا من مظاهر التخلف في هذه المرحلة، وكل مرحلة، لكن أهداف القرار ومحتواه كان سياسيا.. كان جزءا من التثقيف أو الوعي السياسي للمرأة، إضافة إلى تعليمها مبادىء القراءة والكتابة، حيث لايخلو برنامج محو الأمية من حصة أو أكثر من حصة للتوعية السياسية، والإنتماء السياسي والعقائدي، ربما كان هذا سبب من أسباب التعثر وعدم تحقيق نجاح يذكر في تلك المرحلة، وربما كان السبب في الإخفاق والفشل الذي رافق المنتسبات للصفوف هو الإكراه في استقطاب النساء للصفوف.

انتظمت النساء كرها في صفوف محو الأمية.. فالقائمة معدة بالأسماء التي يتوجب عليها الانخراط في صفوف محو الأمية من الوحدات السكنية..وللنساء أحوال خاصة لا تبرز للعيان، ولا يستحب البوح بها للقريب فكيف لأعضاء الوحدة، والبعض منهن وحيدة في بيتها ولديها أطفالها القصر، فمن غابت عن المدرسة..ولم تتقبل عذر الغياب إدارة المدرسة أو الوحدة السكنية..حرمت الأسرة من مخصصها الشهري من مادة السكر.. السكر الذي يوزع بالبطاقة التموينية التي تصدرها الوحدة السكنية.

وربما قبل عذر البعض سواء في الغياب، أوعدم الإنخراط في صفوف محو الأمية.

لكن عموم مناطق البلد ليست كهذه البلدة بإخلاصها وتفانيها في تنفيذ برنامج الثورة الديمقراطية، ولا مواطني بعض البلدات كبعض مواطني البلدة، سواء من زها بالمسئولية في الوحدة السكنية مثلا، أو ممن تملق بالنميمة متطوعا للتبليغ عن قريب أو جار لسبب أو لآخر.

لكن مع هذا فقد تغيبت الكثيرات عن فصول محو الأمية، دون إبداء سبب، واستطاعت أن تحصل على مادة السكر من مناطق أخرى..رغم التهديدات و الإنذارات، وحجب مادة السكر.

ومع نزوح العمال إلى مناطق عدة في المحافظة، وخاصة في عاصمتها المكلا جريا وراء العمل، فكان توفير مادة السكر من تلك المناطق التي هي أقل تعصبا وتمسكا وانقيادا بالتوجيهات المركزية الثورية لبرنامجها.

تغيبت بعض النساء عن الدراسة في محو الأمية، ولم تتأثر بحجب تموينها من السكر، وتغيبن البعض ولديهن أطفال، فكان حجب مادة السكر عن الأسرة قاسيا ولا هناك بديل، وأشعر رب الأسرة في "الشتة"، والذي عاد من موقع عمله في الساحل، لتخفيف المعاناة عن زوجته وأطفاله، وحينها دعت قيادة البلدة في الدفاع الشعبي إلى اجتماع عام لمواطني البلدة..وكان هذا العامل الذي وصل وشيكا من "الشتة"، والذي حجبت الوحدة السكنية على أسرته مقررها التمويني من السكر، لعدم قناعتها بعذرها، وربما هي رفضت الانتساب لصفوف محو الأمية لسبب أو عذر لم يلق القبول، وقد سبقنها غيرها.

مشكلة تنامت في الغياب من فصول محو الأمية، لعرقلة البرنامج الثوري..التوعية الثورية الديمقراطية..محوالأمية.

كان هذا الدليل أو الحجة التي يتحجى بها المسئولون، لتجاوز الأمية إلى مبادىء المعرفة.

هدد في الإجتماع المتحدث بأسم منظمة لجان الدفاع الشعبي، المنقطعات عن صفوف محو الأمية، وتوعد أسرها بأشد العقوبات، وألمح إلى الفوائد المرجوة للمرحلة من التثقيف الثوري، وطلب من الجماهير المحتشدة تحديد نوع من أنواع العقوبات على من تنقطع عن التعليم..رفع أحدهم يده ليدلي بنوع من أنواع العقوبة المطلوب تحديدها، ولعله الوحيد الذي رفع يده..

وطلب منه وجهة نظره في العقوبة المقترحة.. رد بحماس منفعل قائلا: الإعدام..الإعدام فورا حتى لا تعرقل المسيرة!.

ضجت الساحة بالصفير والتصفيق، واختلطت الأصوات بالضجيج وعمت الفوضاء.

من ارتأى هذا الرأي وصرح به، هو من العمال الكادحين، وهو مصنف من "الشلة"، و"الشلة" ثلاثة أشخاص أو أربعة من عمال البناء..كانوا في كل اجتماع تقريبا ينتقدون بعض الممارسات أو القرارات في حق المواطنين، أو طرح الأسئلة المحرجة للقادة، ولكونهم عمالا لم يتعرضوا للعقوبات التي تعرض لها غيرهم بما لم يقل جزءا من مقولاتهم.

اكتفت القيادة..قيادة البلدة الفلاحية لعضو "الشلة" بأكثر من إنذار شفوي، وأخيرا بإنذار كتابي يهدد ويتوعد، وقد جعل عضو الشلة لهذا الإنذار بوعيده، إطارا كشهادات التفوق والإمتياز ثبته في جدار منزله.

لم يكن اقتراحه عقوبة الإعدام جاء عفويا أو زلة لسان، لكنه قارن بمعاناة من ليست لديه آلية أخرى- وكثيرون في البلدة منهم- أن يوفر لأسرته مادة السكر لأطفاله، فصراخ الطفل، ودموع الأم التي تتجاوب مع صراخ الطفل، ربما يكون الإعدام أخف وأهون.

ومع أن المتخرجات من صفوف محو الأمية بشهادات التخرج كثيرات، إلا أن كل تعلم بالإكراه لا يثمرإلا ما يجنب المتعلم العقوبة فحسب.

عـ - بعد السجن..سجن أكبر:

بعد أن أفرج عن المسجونين المصنفين ككهنوت وإقطاع..من مكث منهم في السجن أياما ومن مكث سنوات أربع إلى ست سنوات، وبالطبع لا تُهمة، ولا جريمة، ولا مساءلة أو تحقيق..كان خروجهم من سجن إلى سجن، فقد كان عليهم الا يغادروا مكان إقامتهم، وعليهم إحضار ضامن يضمن بقاءهم في المدينة..عليهم التحضير في القصر، مقر اللجنة الأمنية، والإدارة المحلية التنفيذية.. صباحا ومساء، ومن أراد الذهاب إلى سيون- مثلا- عليه الحصول بالسماح من الجهات المعنية..البعض منهم في وظائف الدولة مدرسين..جاءت نقلة لأحدهم من إدارة التربية والتعليم إلى مديرية القطن للتدريس في مدارسها، وفق برنامج التنقلات للمدرسين.. رفضت السلطة المحلية- حراس السجن الكبير- مغادرته إلى القطن إلا بوجود ضامن آخر!.

طلبت إدارة التربية والتعليم بعاصمة المحافظة مدرسا من المفرج عنهم من السجن بتلك التهم، لتدريس مادة من تخصص هذا المدرس، ونظرا للنقص الحاد في الإختصاصيين لهذه المادة في العاصمة (عاصمة المحافظة) جاءت نقلة المدرس إلى المكلا، بطلب من إدارة التربية والتعليم.. أحيل الطلب إلى حراس السجن الكبير للسماح له بالمغادرة..رفض الطلب.. فحراس السجن الكبير من البلدة متربعون على كراسي السلطة في المدينة..حاول المدرس أن يحصل على سماح من السلطة الأعلى في المديرية سيون، وفيهم الزملاء وفيهم الأصدقاء، لكنهم اختفوا فجأة بعد الترحيب به حين علموا بطلبه، ورفض الطلب من قبل السجان.

وفي هذه الفترة كان المواطن العادي..مواطن البلدة أو المدينة لا يمكنه المغادرة إلى مدن الساحل إلا بورقة مرور صادرة من السلطة المحلية، تعرض على مراكز المنافذ كمركز ساه وغيره – القطن– من المراكز الغربية. وهذه الورقة لاتأتي بسهولة، حتى لوعلم من علم من المسئولين أن طالبها بعمله الخاص في الساحل منذ سنين، فإنه يخضع للروتين والسؤال والمساءلة، وربما يتم الرفض بعد ذلك.

وعلى رسوخ إرهاب "البروليتاريا"..العمال والفلاحين في الأفئدة، وتجنب القيادات العليا في الدولة تخطئتهم، أو إلزامهم بتنفيذ أوامرهم المركزية والقانونية، وتجنب الأخذ والرد معهم في ما يمس مصالح المواطن المتهم من التهم تلك، والتي ظلت عالقة في أذهانهم حتى بعد قمع شوكتهم وخمود صولتهم، وتلاشي مرحلتهم، اذكر أنني تابعت قضية لأخ عزيز من البلدة، وأنا في مقر عملي بالمكلا مع المحافظ، حيث طالب هذا الأخ باستعادة بيته الشخصي

تحت التأسيس التي استولت عليه في البداية تعاونية النجارين، ثم استولت عليه تعاونية الفلاحين، وجعلته مخزنا لأعلاف الغنم من الشجر وقصب الذرة، وعلى التأكيدات التي يحملها بأنه ليس لديه سكن شخصي إلا ما استولي عليه، فقد أمر المحافظ بإعادة الموقع لصاحبه، ومن أمر المحافظ عدة نسخ لدوائر التنفيذ وذوي العلاقة في المديرية، ولصاحب البيت.

لكن تعاونية الفلاحين رفضت..رفضت تسليم الموقع، ورفضت الرد على رسالة المحافظ، وعندما أشعر المحافظ برفض أمره..مطط شفتيه، وقال ماذا نفعل بهؤلاء؟!.. مازالوا في غيهم، إنما عليكم التفاهم معهم بصورة أو بأخرى!.

ف – نهاية مرحلة سالمين:

انتهت مرحلة من مراحل السياسة، أو طور من أطوارها، يقودها رموز اليسار للتنظيم السياسي للجبهة القومية، وإن تسمت بمرحلة سالمين، شوهت كل شيء.. الإنسان ودينه وضميره وشهامته ومروءته، رغم إيجابياتها، هي في عمر الزمن قصيرة جدا..لكنها كانت لسكان البلدة والمدينة، بل لسكان البلاد قاطبة دهرا..تجنن فيها من تجنن، وتشوه من تشوه، واغتيل من اغتيل، واختطف من اختطف، وأفلس من أفلس، وتيتم أطفال، وترملت نساء، واستحلت محارم، ونهبت أموال وممتلكات، وأهينت شخصيات، وأذلت هامات، وهرب من هرب..لم يكن هناك إثم ولا جريرة، مع أن لكل إثم وجريرة عقابا.. هكذا هي قوانين الأرض ونظام المجتمعات البشرية..فالوطن للجميع.

ومن إستقراء حوادث التاريخ، نجد أن نزوات الرعاع وطيش الطغاة، وظلم البغاة قصيرة آجالها، وإن طالت على الضحايا، فانكفأ هؤلاء عن المسرح، وتلاشت زوبعتهم كتلاشي فقاعة الصابون في الهواء..تناثرت أوصالها.. وتفككت أواصرها، ولكن بعد أن مكنت في الأنفس المقت والحقد والكراهية، ورسخت قواعد الظلم والجور في البلد..لم تستفد شيئا إلا القليل من المنهوب أو المستولى عليه من الإنتفاضة..وإنما خسرت الكثير.. الكثير من معنوياتها وأخلاقياتها، وإنسانيتها.

في نهاية تلك المرحلة..مرحلة سالمين، أو بما صنف باليسارالإنتهازي، وقد حقق المنظرين ومهندسو المرحلة، الوسيلة للبرنامج الثوري الأممي الماركسي، وإرساء قواعده ومقاصده في المجتمع، عبر حماس هؤلاء المخدوعين.. ضحايا الإعلام المكثف، والدعاية المنظمة، وتصورهم الساذج أنهم أقاموا دولة..دولة لهم..يسيّرونها بمفهومهم، ويبطشون وينكلون تحت مظلتها أو سقفها، ويوهمون أنفسهم وغيرهم أنهم يفادون بأرواحهم في سبيل بقائها..مجرد وهم في المرازح..تناسوا فيه مقدرتهم وإمكانياتهم، وأنهم مجرد جسر أو وسيلة لتحقيق غاية، لفترة معينة..انتهت.. يقال إنها كانت نزوة عابرة، انتهت بنفس السرعة التي بدأتها، لكن حصيلة هذه النزوة الطائشة بقيت كمكاسب ثورية.. هيأت لمرحلة وطور جديد، ولحزب في النهج الإشتراكي من طراز جديد.

ليس من حقي أن أخمن ما تكنه الصدور وما خفي من أمر، فالله وحده الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. إنما أنا أروي واقع عشته في البلدة، ومع سكان البلدة، ولم أروي إلا ما ظهر وبرز للكل، ولن أسمح لنفسي أن أقول

بحدسي أو تقديري، أن هناك من أنبه ضميره وندم، أو توجس من يوم الجزاء، سواء في الدنيا أو في الآخرة..لكن الذي شوهد، أن الكثير من رموز المرحلة تلك، بعد وقفة الهمود والتحسر أو الندم.. أدار ظهره لماضيه القريب وانقلب عليه..ارتاد محافل الذكر والمواعظ والموالد..داوم الركوع والسجود..قرأ القرآن وتلا الأوراد، حتى وإن لم يتخل عن ما أخذ وما استولى عليه، ولم يطلب الصفح عن جرم استشعره أو لم يستشعره ارتكبه في حق غيره، وربما تعرض للإزدراء والشماتة والسخرية من السلوك الجديد..سواء من رفاق الدرب والمسيرة.. الزملاء أو الرفاق الذين رسخت فيهم سلوك المرحلة ومفاهيمها وأخلاقياتها، وتوزعوا في مرافق الدولة، أو أعيدوا إلى وظائفهم السابقة، أو من الضحايا ومعاصري الأحداث، لكن الواقع والمشاهد أن هناك اتفاقا جمع الكل غير منظورفي السلوك الجديد، وهو غياب السكينة والطمأنينة في النفس، والريبة وسوء الظن، وتدني العلاقة الحميمة مع الآخر.

قتل سالمين وانتهت مرحلته، مع شعبيته الكبيرة والعريضة..قتل فقيرا لا يملك من حطام الدنيا شيئا..حتى سكنه الشخصي، لكنه ترك تاريخا لمرحلته..سيقول التاريخ كلمته فيها، وكان أتباعه ومحبوه لم يفوزوا بعده بشيء، ولم يغنموا إلا الخيبة ولعنة الزمن، ولعلهم ربحوا مغنما مما استولوا عليه من حق الغير، وهي الغنيمة التي ظلت شوكة تدمي الضمائر الحية.

ربما كان فهمهم عن المرحلة وأهدافها، وانتصارها في كل خطواتها، أن تصبح البلدة بل البلاد كلها خاضعة لإرادتهم، والدولة بقوتها وهيمنتها من

ورائهم، وهو فهم للبرنامج الثوري المعلن، ولم يدرك هؤلاء أن لبرامج الثورات خططا ومراحل، ولكل مرحلة أدوات، وأداة كل مرحلة تنتهي بإنتهائها.

قُتِل سالمين، والحشود الجماهيرية الهائلة التي كانت تهتف بحياته، وتسير على ضوء أفكاره، وتتغنى بمنجزاته، وتقتفي تحركاته، بل وقفزت الكثير منها وتخطتها، لأنها موقنة برضاه وتبريكاته، وحيث لم يعد له ند ولا منافس في الظاهر.. كان له من الجماهير الأنصار والأعوان..حشود هائلة.. لكنها كالزبد ذهب جفاء..انقلبت على نفسها وبدون وعي – أيضا- مادت بهم الأرض.. سحب البساط من تحت أقدامهم.. فقدوا صلتهم وتواصلهم مع الواقع.. فهي لم تنس ما أقدمت عليه من جور وظلم وبغي.. لكن المستجد، لا يبعد كثيرا عن النهج الذي انتهجته في تلك المرحلة، ولكن بآليات وأدوات مرحلة أخرى..فتوجست الشر منها..من هذه المرحلة، واستعصمت بها أيضا.

كانت الصدمة قوية..لم تكن تتوقعها، ولم يكن لديها قياس أو مقارنة من أي نوع..فتفرقت الحشود..تصدعت الآراء والأفكار وتناثرت، لكنها بقيت في الأنفس.. بقيت المفاهيم الدخيلة في النفس..الصراع الطبقي، وما تم حشوه بالنظريات الدخيلة، والأفكار المريبة، ربما أخذت مسارا آخر للتعبير عما يدور في ذهنها واستحكم في جوانحها، ولتعبر عنه بوسيلة أو بطريقة أخرى، دون التحلي أو التسلح بأي مفاهيم أخرى هي الأصل في العلاقة بين الفرد والفرد في مجتمعنا قبل تلك المرحلة، وهي الأخوة الدينية، وإخاء المواطنة، وصلة القربى والرحم، مهما اكتنف وتخلل تلك العلاقة من سلبيات.. لم تعتذر..لم تطلب العفو والمسامحة..إن استشعرت بجرم فتبريرها أنها أداة تنفيذ لولي الأمر!.

ربما صلحت أحوال البعض خاصة الفلاحين.. والكثير منهم بخس التعاونية الزراعية نسبتها المقررة من المحاصيل الزراعية، وظلت التعاونية، واتحاد الفلاحين كمنظمة جماهيرية.. من مكتسبات الثورة الديمقراطية ومنجزاتها الثورية..وتحكم الفلاح في أسعار محاصيله رغم التسعيرة المفروضة على المحاصيل الزراعية..امتلك الكثير منهم المراكيب من الدراجات النارية.. توسعوا في المزروعات الخاصة والعامة..استصلحوا الأراضي البور من أملاك الغيربأسم الدولة وتحت إدارة ونظر الكثير من الفلاحين..توهمت القيادات العليا في الحزب أن طبقة العمال وطبقة الفلاحين، والصيادين و.. هم صمام أمان التوجه الإشتراكي، وأن الثقافة النوعية التي قادتها بدءا من الثورة الديمقراطية حتى الحزب من طراز جديد، قد تغلغلت في الجوانح، واقتلعت الأفكار الرجعية، ومرجعيتها سلوك الفرد وممارساته والتزامه القوانين والنظم الثورية.

صـ - ايجابيات المرحلة:

استعرضنا جزء من سلبيات المرحلة..مرحلة سالمين أو المساوىء والعيوب التي رافقتها، وربما هي مساوىء وعيوب أيديولوجية التنظيم السياسي للجبهة القومية في نهجه اليساري المتطرف، لكن رافق تلك العيوب والمساوىء محاسن وايجابيات، ظلت ثابتة راسخة في كل المراحل التي تلتها، قل أن تجدها في أي مجتمع من المجتمعات التي عاصرت المرحلة أو المراحل في دول الجوار، رغم فقر الدولة، وثراء دول الجوار، حتى وإن علل ذلك بتعلة الإرهاب.. إرهاب الدولة،

وديكتاتورية النظام إلى غير ذلك من تلك الاتهامات التي هي في الواقع من برامج بعض تلك الدول، وإنما تحت مسميات وشعارات في ظاهرها النعومة والعدالة، لكن حاصلها لايختلف كثيرا عن مفهوم الإرهاب والظلم ومصادرة حريات شعوبها.

وقبل أن نستعرض ايجابيات المرحلة، ننوه بشعبية سالمين..سالمين قائد المرحلة وزعيمها..كان رجلا بتواضعه، ودماثة خلقه مع مواطنيه..تراه يجتمع بهم كأحدهم..ينزل نزول الرجل العادي للشارع، وإلى المصنع، و إلى المزرعة.. يحاور ويستمع، وينصت..لم تكن وراءه ولا أمامه كتيبة من الحرس، ولا نصف كتيبة من الحراسات الظاهرة، فإن كانت له حراسة خاصة مرئية أو غير مرئية، كرئيس دولة فإنها في حدها المتواضع جدا، بل كان يجلس في المقهى العام يشرب الشاي بمعية شخص أو شخصين لا ثالث لهما منظور، ويتجول مشيا في الشوارع العامة، بمعية صديق أو حارس، سلوك لم يسلكه غيره من بعده، هكذاعرفناه، ومرحلته من أنزه المراحل في انضباطها وتعاملها مع المواطن وقضاياه، وإن اختلفنا مع مسارمرحلته.

وايجابيات المرحلة ومحاسنها، رغم ما استعرض من مساوىء، هوفي: استتباب الأمن، واستقرار اسعار المواد الإستهلاكية والغذائية والكمالية، بأسعار مناسبة لدخل الفرد، العلاج المجاني في المستشفيات، أو العيادات الشعبية برسوم رمزية، الأدوية في المستشفيات مجانية، إلا في ماندر من أدوية من مخازن القطاع العام وبأسعار مناسبة لذوي الدخل المحدود، ونوعيات الأدوية من شركات

تصنيع معروفة، سواء من الدول الإشتراكية، أو من غيرها.. التعليم في كل مراحله مجاني، بل وفي الداخليات سكن وغذاء، ومرتبات شهرية تصرف للطلبة في الكليات.

إلغاء النظام الطبقي، ولو في مسمياته وظاهره، فلم تعد هناك نعرة حسب أو نسب، إنما الكل سواسية في حالها وترحالها، وإن احتفظ كل بعاداته في خاصته.

الوظائف..وظائف الدولة أو القطاع العام أو التعاوني أو المختلط الزاميا للخريجين. الملاحقة النوعية للمجرمين دون محاباة أو تدخل من أية جهة في أغلب الحالات.. القضاء المدني بعدله وتنفيذ أحكامه وفق القوانين النافذة.. استتباب الأمن العام في البلاد عامة، بحيث لاتجد من احترف القتل، أو احترف السرقة، والغصب، والغش، والتزوير، والاختلاس، والرشوة، والمحسوبية، ولا التحايل على اللوائح التي تنظم عمل الدائرة، ناهيك عن تجاوزها، أو تجاوز أي قانون، أيا كانت وظيفته إلا وفق الأطر والنظم التي تحدد التجاوز.

وهيبة الدولة ورجالها، هي أسس تلك الإيجابيات والمحاسن.

ومن ايجابيات تلك المرحلة عرضت على أبناء البلدة من عمال وفلاحين منح دراسية عليا في الخارج..حاولوا إقناعهم بشتى الطرق والإغراءات، بدون جدوى قبلِها القليل..القليل الذي لا يذكر..اختاروا الفلاحة، أو العمل في "الشتة"، أو العمل في الصرك (تعبيد الطرقات)، واستغلها أعداء الثورة – حسب التصنيف الثوري للمرحلة–..انتهزوها فرصة ذهبية أبناء من صنفوا بالإقطاع، والقليل من أبناء العمال والفلاحين من أخذ دورة.. هي دورات لفترة

قصيرة نسبيا لا للدراسة، ولكن للإقتداء..للتعرف على ما حققته الإشتراكية العلمية في الدول الشيوعية، سواء كان ذلك في الصين الشعبية، أو في الإتحاد السوفيتي- حينها- أو دولة أخرى من دول المنظومة الإشتراكية حينها.

قـ - البلدة بعد مرحلة سالمين:

مرحلة على أنقاض مرحلة، أو طور عقب طور.. ربما هي مرحلة أكثر إنتهازية وتبعية وإذلالا.. بأيديولوجية أشد خبثا وايذاء من أيديولوجية اليسار الإنتهازي، وهو الوصف الرسمي لمرحلة سالمين، أو مرحلة التنظيم(الجبهة القومية) لليسارالإنتهازي.

اعتمدت المرحلة على الكوادر المثقفة..ثقافة نوعية للمرحلة الجديدة.. مفاهيم ديكتاتورية الأفكار، أو الإرهاب الفكري، واتهام كل من لايكون إمعة لبرنامجهم بالخيانة والرجعية، ونشر الرعب والهلع في مواجهة الكفاءات الواعية المتحصنة بثقافتها وعقيدتها، وزرع أيديولوجية الحزب من طراز جديد، والتحالف مع المنظمات والاحزاب اليسارية التي تتفق مع شعارات الحزب، بحيث ضم في تحالفه كل الأفكار والمبادىء والأهداف المعادية لقيم المجتمع وتاريخه، بصورة جلية واضحة.

في هذه المرحلة ربما انزاحت وإن تكن بنسبة ضئيلة الأغشية من العيون، وأدرك الكثير الزيف المتعمد للوقائع والحقائق، وقد صار الإرهاب الفكري هو المسيطر على المرحلة.. مرحلة.."يمن ديمقراطي موحد نفديه بالدم والأرواح".. و.. "لا صوت يعلو فوق صوت الحزب"!!.

لم تستقر هذه المرحلة ولم ترسخ، شابها شيء من الفتور العملي للشعارات، وخلط من الممارسات البعيدة عن الشعارات، وإن ظلت الشعارات تتصدر وتعلوا كل ورقة رسمية صادرة من أي إدارة من دوائر الدولة، أو منظماتها الجماهيرية، ومع أن البلدة صارت في حكم التابع كحي من أحياء تريم، فلشباب البلدة حضور نسبي..حضورمن أي نوع في هذه المرحلة، وقد يكون هو الحضور السلبي في بعض المواقع، والإيجابي أو المهم في بعض المواقع الأخرى، أكان في البلدة أو المدينة أو غيرها من المدن الكبيرة، وسواء كان هذا الحضور من هذه الطبقة أو من تلك.

ولم يعد لتلك الشريحة التي جعلت من نفسها مطية للوصول إلى غاية وهدف من أهداف الثورة الديمقراطية، وجسرا لتفتيت النسيج الاجتماعي الذي كان يسود المجتمع بوئام وقناعة ورضا..لم يعد لها أي دور يذكر في المستجدات السياسية أو الاجتماعية، بل همشت بقصد، وقد رأت ما رأت وعاينت التحولات، أو النكسات، ولعلها ظلت تراهن ولو في مخيلتها، أنها قد تستعيد لها مواقف في طور أو مرحلة أخرى، لازمة الوقوع أو التحول، والبعض يلعن ماضيه وحاضره، فلقد أخفق في العودة للسلوك القديم، كما أخفق في التكيف مع الواقع المستجد بنفس الشعارات، وبنقيض الممارسات.

انقلبت المفاهيم، واختلفت الرؤى، وفسدت المقاييس، وبرز في السطح دعاة التقدمية، أو الثورة الدائمة، لكن بآليات ووسائل وممارسات بعيدة عن الفهم الثوري الذي انتهجوه..ربما طغت المصالح الخاصة، والإنتماءات الفئوية والقبلية

والمناطقية، على كل مفاهيم الثورة..ربما فتر الولاء للموجه والمرشد للثورة الدائمة، ربما انحرف المنظرون عن تأويل وتفسير المفردات الإشتراكية العلمية أو الماركسية اللينيية وتجربتها الخائبة، فتركت انطباعا في القيادات مع بعضهم البعض غير متوائم ولا منسجم مع الشعارات والوقائع، ومع التوجه المعلن الموحد، بالمبدأ والوسيلة والهدف، إلا إن الخلاف والإختلاف أدى إلى تجدد الصراع بين القادة والمنظرين..استباحت دماءها..جزرتهم..ربما بوسيلة أبشع من كل ما سبقها من وسائل القتل والإبادة للأخوة الأعداء..رفاق الدرب والمسيرة، حيث لم تبق منهم إلا من "حجبته السترة الغليظة"على حد تعبير واحد من عامة المواطنين.

وكانت الحصيلة لأبناء البلدة، أن حامت حولهم الشكوك والريب لدعم "الزمرة" الهاربة حسب التصنيف الجديد، فانتقت منهم من انتقت كإجراء وقائي وزجت بهم في السجون.

لم يمسسهم سوء من قبل..كان التهميش والإقصاء هو الاسوأ في حقهم، لكن الخوف والرعب ملأ الأفئدة المضطربة، فلم تكتف بمن حاصرته وحصرته واتهمته وحاكمته من رفاق الدرب، لكنها تتبعت بقايا اليسار الانتهازي وزجت بهم السجون، مع أن تلك البقايا قد انكفأت وتباعدت عن المسرح السياسي المأساوي في السلطة، أو التفسيرالإنتقائي لبقاء السلطة، فربما توهمت أن سيكون للبعض تأثير من نوع ما، لحركة مضادة من الداخل فزجت بهم السجون.

لكن من لا يخيف من قادة "المرازح" "والإنتفاضات" تركتهم وشأنهم، لأنها أعرف بدخائلهم.

تـ - تباشير التحول:

خلال تلك الفترة أعيدت البيوت لأربابها..أقصد الغرف المستولى عليها في بيوت أربابها.. وفي تلك الفترة أيضا، وبعد قرار إلزام التعليم في المدارس، وهروب البعض من أبناء العمال والحرفيين والفلاحين من المدارس، تفوق الكثير من أبناء العمال والفلاحين في مدارسهم، وتميّز الكثير منهم بذكاء فطري، وحسن سيرة، وانتسب البعض لسلك الدولة في وظائف متنوعة.

٩- البلدة في الجمهورية اليمنية

توجت تلك المرحلة باتفاقية الوحدة مع الشمال، وأعلن عن قيام الجمهورية اليمنية في مايو١٩٩٠ م، ومع أن هذه الاتفاقية أنهت إرهاب الدولة..أنهت مرحلة الخنوع للشعار الذي عممته الدولة في الجنوب:" لا صوت يعلو فوق صوت الحزب"..أنهت احتكار السلطة لكل شيء..وفرت بسخاء للمواطن حريته الكاملة، بدون حدود أو قيود، إلا فيما عرف بالإضرار بالآخر، وقد يكون الآخر هم رموز السلطة ومصالحهم الخاصة فقط.

لم تكن الوحدة بتوافق شعبي يتمثل في سلوك وعادات ومفاهيم الشعبين، لكنها كانت – على وفق اعتقادي- نتيجة عجز وفشل قادة السلطة المسلطة في الجنوب، وعدم تفهم لمطالب شعبهم وتطلعاته، وما يقبله وما يرفضه.. لم يلجأ هؤلاء محتكرو السلطة لشعوبهم عند اتخاذ أي من القرارات المصيرية، وأنا لا اقصد قرارات الوحدة الاندماجية، وإنما اقصد التفرد بالرأي الواحد منذ الاستقلال واستلام السلطة من السلاطين والإنجليز، وما حدث من تبعات هذا الإنفراد بالسلطة والرأي من مآسي، كان ضحيتها الشعب والقادة، فكان المخرج من الخور والعجز والفشل في قيادة الدولة وشعبها هو الهروب للوحدة.

لم تكن الوحدة عن قناعة أو ترتيب مسبق، رغم الاعلان عنها منذ حوالي عقدين من الزمن. لكنها كانت مطلبا أي مطلب لأسيرأو سجين بفك أسره وغله وقيده، ومن جور جلاديه وممتهني كرامته.

أ- البلدة في ظل الوحدة:

وفي ظل الوحدة انتسب الكثير من شباب البلدة إلى التجمعات والأحزاب الدينية، وانخلع الكثير من انتمائهم للحزب الإشتراكي- سواء المصنفين من اليسارالإنتهازي، أو اليمين الرجعي، أو الطغمة أو الزمرة-، إلى الأحزاب الوافدة مع الوحدة، وأيقظت العصبيات النائمة، ولا أقول الميتة، وكان هناك إجتماع في البلدة ضم الكثير من قبيلة آل سلمه وغيرهم، دعا إليه عضو المؤتمرالشعبي العام، واحد مناضلي الجبهة القومية ورمزا من رموز الثورة الديمقراطية في الجنوب، والذي صنف فيما بعد من فئة اليسارالإنتهازي: فيصل علي العطاس، يدعو القبائل للتحرك إلى صنعاء لمباركة الوحدة، ومع أنه لم يستجيب لطلب العطاس ممن أراد، إلا أن هناك من خشي مما قد يتمخض عن الوحدة من قرارات قد تكون إنتقامية، فهناك جراح لم تندمل، وهناك ممتلكات خاصة مازال ينتفع بها من انتفض عليها، وهناك أشياء في الذاكرة لا تطمسها الأحداث، ولا تقتلعها الحوادث، ولا تمحوها الأيام والسنين، وعموما فمن عرف سيئات أعماله ساءت ظنونه، وبقي في صراع نفسي مرير.. خطرت له خواطر وهجست هواجس، فكانت محاولات مبذولة من البعض للتهيوء النفسي لقبول المستجدات بعد الوحدة، أكانت مع الوافد، أو مع من بقي في موقعه بمشاركة الوافد، وقبول ما يتأتى من هؤلاء وأولئك، للإحتماء والحصانة من أي مواجهة مع ضحايا الأمس.

وفي ظل الوحدة أعيدت الأراضي المؤممة والمصادرة أو بعضها، وكذا النخيل وغيره. لأن بعض الأراضي الزراعية الخاصة جهل موقعها ورثة ملاكها، فيسأل عنها من يقوم بزراعتها فينكر معرفته بها، وبعض الأراضي البور فقدت وثائقها، أو طمست معالمها.

وأماأراضي الأوقاف، وأغلب الأراضي الزراعية في البلدة أراضي أوقاف، فقد ادعاها من لا يملكها ممن كانت له نضارة عليها، أو من ممن استأجرها أجارة لمدة تسعين عاما- مثلا- فشهد من شهد له من المزارعين أن عجيز الأرض يعطى له، وهو مستأجر ادعى ملكيتها بضياع وثائقه. وسكت عن بعض أراضي الوقف من يزرعها، ومع أنها تكونت لجان فيما بعد لحصرأراضي الأوقاف، لكن اللجان لا تملك حق التنفيذ.

ب - إحباط مسيرة الوحدة:

غير أن الأحداث المتعاقبة بعد الوحدة، وتلكؤ تنفيذ اتفاقية وقوانين الوحدة، واستحالة تنفيذ الكثير منها، بددت الكثير من مشاعر القلق والرعب، واختفت أو كادت تلك الخواطر والهواجس، فلم تعد تلك الخشية أو الرهبة كتلك التي فاجأت الجميع بإعلان الوحدة الإندماجية.. ابتسرت الأحداث الفرحة، وصدمت الممارسات - في ظل نظام الوحدة- العقول والقلوب، وشتت الرؤى، وتباينت المفاهيم، وتفرقت السبل للشتات، فأضحى الضحية كالمستجير من الرمضاء بالنار..لا من الناحية السياسية أو الأمنية وحسب، ولكنها استطالت إلى الحياة الاجتماعية عامة، وبالأخص ما تناول المفاهيم الدينية فيما بعد.

في ظل هذا الاضطراب نمت مشاعرالانتقام عند البعض، واستفحلت النعرات، وتفاقمت النزعات الطائفية والفئوية، ولولا وجود الحكماء والعقلاء، الذين بادروا بحجزها في الحناجر، وقيدوها في الجوانح، لربما سبقت مآسيها، المآسي التي حصلت بعد غياب القادة بحكمتهم وحلمهم وعقلانيتهم.

وفي ظل هذا الإضطراب، استحكمت في البعض مساوئ مفاهيم ما قبل الوحدة عند الكثيرين، ممن بقيت أملاك الغير تحت سيطرتهم، خاصة لمن ليست له وسيلة لاسترداد حقه إلا المهادنة وحسن الخلق، فبعد أن استرد الكثير أملاكهم من النخيل وغيرها، طلب مالك نخلة من الفلاح التي توجد بمزرعته شيئا من ثمر نخلته، فقيل له أثبت الملك بوثيقة، أو حجة شرعية، فقال المالك: الحجة الشرعية أنكم تنسبونها لنا.. تقولون إنها نخلة آل فلان، وأنا ابن من تنسبون لهم هذه النخلة، فيرفض الفلاح إلا بإظهار الوثيقة، ويبحث المالك عن أب الفلاح ويجده في المسجد بعد أيام، فيشكي إليه ابنه، فيرد الأب بمرارة قائلا:" لم يعد بيدنا شيئا، الأمر والنهي مع الأولاد"، فيقول له المالك: أنت أعرف بها من أولادك إن النخلة نخلتي، وأن... ينسحب الأب فجأة، ويدع مالك النخلة المطالب بها في موقعه، لكن الأغرب أن يكون الإبن من منتسبي الصحوة، وحجته حق أريد بها باطل!!.

وآخر من الملاك يجيء إلى مزارع آخر، طالبا شيئا من ثمر نخلته(بَسقة)، فيرد المزارع بأنه لا يوجد ما يمكن بسقته من ثمر النخلة، فمازال بلحا، ويعود المالك وهو يرى بأم عينيه أن نخلته محملة بالرطب، وبعد أن غاب المالك عن

النظر كان عند المزارع شخص آخر، مستنكرا رده على المالك قائلا: ألم تبسق من نخلة هذا المالك قبيل لحظات؟!، ابتسم متأففا قائلا: دعه يعود، وربما قال في نفسه ليعود مرات ومرات، وربما قال أيضا أنه برجوازي، أو ما بقي في الذهن من تلك الكلمات قبل الوحدة، ولا يستبعد أن يكون هذا من المواظبين على صلاة الجماعة في المساجد وأداء النوافل.

وآخرأراد أن يتهرب مما عليه من متأخرات لصاحب الأرض، بعد عودة الأراضي لملاكها..اتجه أحد الملاك نحو المزارع باحثا عن أرضه الزراعية، يسأل الفلاحين عن موقع ارضه بأسمها المدون في وثائقه، فيجيبه من يجيبه بعدم معرفته بها، والمجيب بعدم معرفتها..يعرفها ويزرعها، ولما تأكد أن غيره كشف موقع الأرض شهد زورا لغير صاحبها ليضمن بقائه ولإعفائه من "العجيز" على الأرض بعد الوحدة بأكثر من عشر سنوات..شهادة زور، وقع عليها أمام الجهات الرسمية، وآخر يشهد زورا أمام الجهات الرسمية – أيضا- ليثبت أرضا وحقا لمن ليس له حق.

وأكررالقول إن هؤلاء من منتسبي الصحوة بفرقها الوافدة المختلفة (إصلاحي-سلفي).

مع أن ما أوردته قليل من كثير، لكنه لا يمثل سلوك الكل، وإنما البعض منهم، وهذا البعض الذي حشر نفسه في مجاميع الصحوة الوافدة، أو مدعيها، من كل الطبقات تقريبا، لكن هذا البعض بهذا السلوك يسيء إلى الكل، كما يسيء للانتماءات التي في ظاهرها التدين، حتى وإن كان التدين شكلي، فالذي لا يراعي

حقوق الغير، ولا حرمة ما يمتلكه الآخر فتدينه شكليا، لقد بقيت مفاهيم تلك المرحلة السيئة هي السائدة في التعامل مع أصحاب الحق، ولم تقتلعها مفاهيم الصحوة الدينية، وربما وجدت من يشرع لها ويستصوب حرصها على ما تحت يدها، وقد أساؤا إلى التدين وإلى البلدة وبعض من سكانها في عهد الوحدة.

وكانت الطامة في القضاة..بعض القضاة الذين خلقوا الكثير من المشاكل بين المواطنين، واثبتوا حقوقا لمن ليس له حق، وتاجروابأسم القضاء، وتنازل الكثير عن حقوقهم وأملاكهم، بعد أن دوختهم الدعاوي، وارهقتهم المسالك، وأفقرتهم المخاصمة.

د- الحرية في عصر الوحدة:

انمحت مفاهيم، واستحدثت مفاهيم.. من أراد أن يقول، قال ما أراد قوله، والبعض فعل ما أراد فعله، فهو في اليمن..يمن الحرية..تلاشت الأراضي البوار، وتم مسح الكثير من الأشجار المعمرة المثمرة كالنخيل وغيرها في الأرض الزراعية..استصلحها من استصلحها كمنشئات تجارية أو صناعية، أوسكنيه، أو بغيرها.. ووزعت قطع الأراضي في الأودية، والسواقي وفق المفاهيم المستحدثة.

تعلم أبناء الشرائح الطبقية في المدارس العليا، وخصوصا أبناء العمال والفلاحين، تخرجوا من المعاهد الدينية والمهنية والكليات، بتخصصاتها العلمية والتقنية، .حملوا الشهادات العليا في تخصصاتهم العلمية..نجح هؤلاء في تخصصاتهم، ونجح غيرهم في المهن الأخرى الصناعية والتجارية.

تكيّف جيل المرحلة مع الواقع واندمج فيه..تقمص الكثير من محاسن ومساوئ، وايجابيات وسلبيات المرحلة.. ومن قلد الوافد في سلوكه ونهجه..لم يعد هناك خيار أو اختيار..الكل يركض نحو المستجد، ربما بقبوله سلوكا، وبرفضه نظريا..هكذا أضحت الحياة بإزدواجية وتباين..خاض البعض معارك متشددة بعصبية ممقوتة ضد مناوئيه في ماضيه البائس، أو حاضره المنفتح سواء أعلنها، أو أسرها.. وبرزت العصبية والفئوية باستعلائها وعنادها..بل أرغمت البعض عصبيتهم وعنادهم أن يعادي الكثير من طبقته وأقربائه، ناهيك عن سواهم، لأنهم اختلفوا مع رؤاه ومفاهيمه، وهناك من برزت على السطح مظاهر الإتفاق وتأصل في الواقع جوهر الاختلاف.. اختلاف مفاهيم ورؤى، وبمؤثرات نفسية أو إيحاءات خارجية، ووفاق رخو تعضده المصلحة الخاصة، معنوية كانت أو مادية.. كمداراة لقصد محدد بوعي وإدراك، وبدون وعي وإدراك، للمقبول والمرفوض من تلك المؤثرات عقلا ومنطقا للواقع..الواقع الذي لم ينحرف عن قيمه وسلوكه في تعايشه مع الآخر منذ كان.

هـ – البلدة والحرب و الإنفصال:

لقد كان التخوف من الوحدة قديما وعميقا ومنطقيا، للهوة الكبيرة المتسعة بين نظامين أحدهما قبلي، والآخر(مدني) أممي تحرري.. رأسمالي واشتراكي.. بمفهوم رجعي، وبمفهوم تقدمي، ولا يمكن سد هذه الفجوة أو الهوة بالشعارات أو الرغبات الفردية المسيطرة، فكانت الحرب، كنتيجة حتمية منطقية لتباين فكري وإجتماعي وسياسي بين نظامين.

لم تكن الحرب مطلبا من مطالب أهل البلدة، ولا من مطالب عامة أهل البلاد، وكان الأحرى بالفرقاء أن يتجنبوا الحرب بوسائل سلمية أخرى، تحفظ للفرقاء شيئا من مضامين الوحدة. لكن من بدأ الحرب وخطط لها هي من مطالبه، وكانت الحرب كنتيجة حتمية لما آلت إليه الأوضاع عامة، خاصة الاختلاف الذي بدا واضحا جليا بين سلوكيات الفرقاء الذين توحدوا على غير وفاق، والبلدة جزء من الكل، ولقد رفض الحرب كل من له دراية بمآسي الحروب ونتائجها.

لكن من باركها في البلدة ليسوا أقلة، وإن لم يبرزوا ذلك أثناء الحرب، لأنه في أثناء الحرب أعلن الانفصال، أو فك الإرتباط، وحكومة الانفصال تعني العودة لدولة ما قبل الوحدة، بقيادة الحزب الإشتراكي، فكان خوف من بارك الحرب وأراد النصر للشرعية- كما يقال- هم فئة المنتمين للأحزاب أو التجمعات الفئوية، أو الفرق الدينية المعروفة بانتمائها السياسي والمذهبي من هناك.

خاصة وان تحالف الحزبين (المؤتمر والإصلاح) ضد الإشتراكي وافتعال الحرب، والرجوع إلى جذور الإصلاح وبعض من فروعه إنما هي مؤتمرية قبلية في الأساس، وإن الفروع وشُعَب الفروع تبعا لأصولها في المؤتمر أو الإصلاح.

فحزب التجمع اليمني للإصلاح يرأسه شيخ قبيلة حاشد، الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، ومن يتولى قيادة الدولة سواء من الناحية المدنية أو العسكرية من هذه القبيلة، ومن بطونها قبيلة سنحان، ومن قبيلة سنحان علي عبد الله صالح رئيس حزب المؤتمر، فقوة الإصلاح والمؤتمرمن قوة القبيلة.

ومن شباب هذه البلدة الكثير من المجندين والعسكريين في جبهات القتال، وسواء كان وجودهم في الجبهة رغما عنهم، أو رفضا لممارسات النخب الإستعلائية بعد الوحدة الوافدين من هناك، أوكان من نتائج إقصاء وتهميش العسكريين بعد الوحدة.

وانتصرت الشرعية، ويعني انتصارها..انتصار القبيلة ومفاهيمها، على مفاهيم الدولة المدنية التي كانت مطلبا لتحديث مسار ومفهوم السلطة القبلية.

ومقومات السلطة لدي قادة الجمهورية العربية اليمنية، الولاءات القبلية أو العائلية، والتفرد في إتخاذ القرار، والتصرف في المال العام من دون ضوابط.

لكن مقومات السلطة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، هي القاعدة الحزبية، وهي التي تتخذ القرارات، ولديها ضوابط من القوانين واللوائح ما يقيد المسؤول عن أي تصرف إلا على وفق القوانين واللوائح.

تعالت أصوات أنصار الشرعية بالتكبير والحمد، وفي البلدة.. سيّروا مسيرة بهذا النهج، ومع قلة عدد من في المسيرة، إلا أنها ضمت من لهم ولاءات حزبية، مختلفة الانتماء الطبقي للحزبين، ولم تكن بحماس مسيرات النصر المعروفة، ربما لرفض الأغلبية لنتائج الحرب، أو لأنها مدفوعة من هناك، ولو بالإيحاء، فلقد عقد في العاصمة صنعاء مؤتمرا لعلماء الدين سموه مؤتمر"النصر"!!.

واحتفل أنصار القبيلة بالنصر..تكونت اللجنة الوطنية لحماية المدينة وأحيائها، وكان من اعضائها من البلدة: علي عبيد التميمي، عبد الله مبارك التميمي، سعيد محمد عمران التميمي. وكانت من مهامهم الأولى الإستيلاء على

مقرات الأمن والشرطة، وترتيب الحراسات على دوائر الدولة وقطاعاتها، وأخذ الأسلحة من معسكر السويري، وأخذها من المجندين الذين اشتركوا في الحرب مع الإنفصاليين خاصة من أبناء العمال والفلاحين من ابناء البلدة.

تقاسم المراكزفي دوائر الدولة المنتصرون في الحرب-حزبي المؤتمر والإصلاح- بعد طرد الإشتراكي ومصادرة مقراته، وتجميد أنشطته، ومطاردة أعضائه وأنصاره، وإلصاق تهم ما قبل الوحدة من كفر وإلحاد، وثم الردة والانفصال.

ورغم اختلاف المبادئ والأهداف المعلنة للحزبين المنتصرين، إلا انه اختلاف "تكتيكي"- كما يقال-، ففي الواقع الذي رافق التوجهات والممارسات قبل الحرب وبعدها، كانت الوسائل والأهداف موحدة يقودها النخبة والقادة من الحزبين بوئام واتفاق وانسجام، للوصول إلى مقصد أو غاية موحدة، تبلورت بعد الانتصار في الحرب.

وتربع على كراسي مؤسسات الدولة المدنية والأمنية الكثير من أبناء البلدة، من ذوي الانتماء القبلي للمؤتمر الشعبي العام، ومن ذوي الإتجاه الديني لحزب الإصلاح الذي ضم في صفوفة من كل الطبقات في البلدة تقريبا بأستثناء طبقة السادة.

لكنه توافق مصلحي فئوي لا يبتعد كثيرا عن هدف المراكز العليا، فقد ظلت النعرات هي سيّدة الموقف، وإن لم تبرز في حينها، وإنما كانت تتحيّن الفرصة الملائمة للظهور، وهو ما يفسر توالي وتتابع الأحداث المؤسفة بعد ذلك.

هيأت مرحلة ما بعد الحرب الساحة في الجنوب للصولة والجولة للمنتصرين، فأقصي ذوي الكفاءات والتجربة ممن بارك الإنفصال أو المشتبه فيه، سواء من

كوادر الحزب الإشتراكي، أو من غير المنتسبين للحزب، وبرزت وجوه النفعيين والوصوليين، واستحكمت وتمكنت من التغلغل إلى المراكز العليا، كما هيأت هذه المرحلة للإسراف في المدح والثناء لمن لا يستحقه، وتناقلت الألسن فيض الكرامات التي أسبغها الله عليهم أثناء المعارك، كمؤمنين ضد ملحدين، فقررت مصير الحرب.

واستبد برأيه ومفهومه ومعتقده ذوي السلطة في هذه المرحلة، واستخدم كل منتم لهذا الحزب أوذاك نفوذه بقوة السلطة التي يتمتع بها المنتصر ولو على مواطنيه ووطنه. وبما أن المصالح الخاصة متقاربة وقسمتها محسومة، والوصول إليها بكل الطرق المشروعة في فهم البعض، وغير المشروعة في فهم البعض، فالكل يجد الوسيلة في قصده ومقصده، ويخلق العلة ويختلق العذر، سواء الشرعي أو السياسي أو العرفي، وتكاتفت بعضها البعض للاستيلاء على مشتهاها، حتى إنتهاك الأعراض في بعض المدن المهزومة، دون نكير من مدعي حماة الأعراض وحماة الشريعة.

في هذه المرحلة استحكمت العصبية القبلية والمذهبية، وتهاوت الشعارات، وتعرت من مضمونها الوحدوي والديني، وذلك بالممارسات التي تتنافى مع هذه الشعارات، سواء التي كانت، أو هذه التي استجدت.. أضحت لها ذكريات مؤلمة، وأخرى لها سوءات مخجلة.. أضحت شعارات دعائية كي يستأنس لها المنتمي الساذج والمنخدع.. لم تكن صادقة في طرحها، ولا مخلصة ولا أمينة في نهجها المعلن لتحقيق هذه الشعارات، ولعل من انخدع من البلدة، كان لبريق

هذه الشعارات ورونقها هوى في النفس، قد استهوتهم، إما لغفلتهم أو لبراءتهم وسذاجتهم، أو لدرء بعض المخاوف، أو لإعتلاء بعض المناصب، فكانوا مطية صالحة إلى مقاصد الجهات العليا لتحقيق ما أرادوا من منافع.

لهذا كان إنتصار قوات الشرعية هو إخفاقها أو هزيمتها في نفس الوقت، لقد نجحت في الإستيلاء على السلطة المدنية القائمة، وأخفقت في إقامة سلطة مدنية ديمقراطية بديلة كما كانت تدعي وتردد الشعارات الوحدوية الديمقراطية في اعلامها بتوجيهات صانع الوحده وحاميها، والتذكير بمساوىء الحكم الشمولي الذ ي عليه قادة الإنفصال، ومع أنها أطلقت الحريات.. الحرية التي لاقيد لها ولا رابط، فكانت هي الفوضى بمعناها ومسارها وخروجها عن مضامين الدولة المدنية وأدبياتها.

و- البلدة وعاقل الحارة:

في مرحلة تقاسم السطة بين حزبي المؤتمر والإصلاح، أو ماسمي حينها بإنتصار الشرعية المتمثلة في هذين الحزبين، عيّن في البلدة(حي دمون) عاقل الحارة من حزب التجمع اليمني للإصلاح أحمد كرامه التميمي، والذي حل محل منظمة لجان الدفاع الشعبي، وتسليمه كل وثائق المنظمة وممتلكاتها وما استولت عليه من ماعون للمناسبات من أصحابها، والغيت الوحدات السكنية، وتسمية حي الفلاحين، بحي دمون، ولعل اختياره كان بتوافق فئوي ومذهبي، إضافة إلى توافق حزبي السلطة، وعاقل الحارة يمثل السلطة الأمنية والاجتماعية في

البلدة، وهو المرجعية الأولى لأبناء البلدة قبل الوصول إلى أي من دوائر الدولة الأمنية والخدماتية والقضائية، وقد حل محل أبوة الحافة في النظام القديم، وحل محل منظمة لجان الدفاع الشعبي حتى بداية الوحدة.

ومن ضمن المهام المناطة بعقال الحارات كبديل لمنظمة الدفاع الشعبي، وكنظام لعقال الحارات الوافد مع الوحدة: الإسهام الإيجابي في حل مشاكل المواطنين، والتواصل مع الجهات الرسمية والخدماتية والاجتماعية لتذليل الصعاب والعوائق التي تعترض طريق المواطن في الحارة مع تلك الجهات. إضافة للتصديق على وثائق المواطن، وتأكيد مواطنته في الحارة، اضافة إلى تسليم أوامر الحضور من الجهات الأمنية أو القضائية للمواطنين، وغير ذلك مما وافق هذا المفهوم.

وكقراءة لواقع عقال الحارات، كما كان هو واقع "أبوة الحافة"، أو "مقدم القبيلة" ينتخب أو يعيّن من له المؤهلات والصفات الاجتماعية والإنسانية، لتحمل هذه المسئولية، وأن تكون له القدرة والقوة على إتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، وأن يحظى بحب واحترام مواطني حارته، وهو مما يسهل تدخله لحل الخلافات بين سكان الحارة وديا قبل تفاقمها، وقبل رفعها إلى جهات الإختصاص.

ولعل من ضمن المهام لعاقل الحارة في البلدة التي كانت منوطة بمن قبله في مثل موقعه، موارد الحارة أو موارد الحي، فموارد البلدة(الحي) من كبس الوادي، أو ماعون المناسبات لوجبات الأكل، فلقد كانت موارد البلدة من كبس الوادي في فترتي المجلس القروي ابان السلطنة القعيطية من شلن واحد(خمسون فلسا) على كل سيارة كبس ارتفعت إلى سبعة شلن(ثلاثمائة وخمسون فلسا)، وفي

مرحلة منظمة الدفاع الشعبي كانت الرسوم على كل سيارة كبس من الوادي مائتان وخمسون فلسا، وللسلطة المحلية من تلك الموارد ٦٠٪ والـ ٤٠٪ لتحسين الخدمات في البلدة.

وفي مرحلة عاقل الحارة كانت الرسوم على كل حمولة سيارة كبس، وحمولة سيارة من منخل الحصى (غربال) من الوادي ثلاثين ريال، إلا أن الرسوم الغيت، من قبل السلطة المحلية (المدير العام للمديرية).

وقد تم صرف المبالغ المتحصلة في ترميم مضلعة الوادي، المسماة مضلعة علي بن شيخ، وبناء مبنى لدكاكين عشرة في جرب مسجد مشهور من الناحية الشمالية، كذا مساهمة في رصف طريق دمون بالاسفلت وغيرها من المشاريع الحيوية في البلدة حسب افادة عاقل الحارة الشيخ أحمد كرامه التميمي.

ولقد حاولت السلطة المحلية تغييرعاقل الحارة، في وقت سابق، إلا إنه تشبث بمركزه، لأن قرار تعيينه من قبل محافظ المحافظة، وليس بقرار من السلطة المحلية- المدير العام-، وفي وقت لاحق كانت المطالبة بتغييره من قبل مواطنين لمديرعام آخر للمديرية، إلا أن المدير العام اعتذر بأنه لا يملك حق التغيير. وهو مازال متبوئا مركزه منذ تعيينه.

ز- الرئيس في البلدة:

افتتح الرئيس علي عبد الله صالح آبار مياه المؤسسة المحلية للمياه بتريم، والتي تقع في الموقع الشمالي الغربي من وادي البلدة، وكأن التاريخ يعيد نفسه،

ولو بزيارة ثاني رئيس للوادي- وادي دمون- على ما في الزيارتين من خلاف، فلقد كانت زيارة الرئيس السابق للوادي- سالم ربيع- لقيادة المسيرة تحف به الحشود من الطبقة الفلاحية والعمالية في أغلبها، وإن خالطها من بقية الطبقات المناصرة والمؤيدة، أو المجبرة، لكن زيارة الرئيس الحالية وقد اصطفت الحشود الرسمية، إضافة إلى بروز رجال قبائل البلدة بهيئتهم القبلية في واجهة الاستقبال، ولعل منهم من هيأ نفسه ومنزله لاستقبال الرئيس وضيافته في منزله لتحظى مرتبة القبيلة ومنزلتها، بتشريف الرئيس لها، والتي عاضدته في مسيرته الوحدوية، وإن تكن معاضدة سلبية.

افتتح الرئيس المشروع وقد انتشر جنود الحراسة المدججين بالسلاح الظاهر منهم والمتخفي، لكن الرئيس غادر الموقع، وهو الذكي الذي لايجهل خفقات القلوب، ولا منابع القوة والضعف في الأتباع، ولا يسبر له غور.

حـ - البلدة وإنتخابات المجالس المحلية:

بعد انتصار الشرعية دامت الشراكة في السلطة للحزبين ثلاث سنوات تقريبا، وفي عام ١٩٩٧م كانت الانتخابات البرلمانية والتي فاز المؤتمر فيها بالأغلبية، وانفرد بالسلطة.

وترشح من ترشح من أعضاء المؤتمر والإصلاح لعضوية المجلس المحلي، وكانت الإنتخابات بأكثر من مرشح، وإن أقحم إسم المرشح المستقل، بدعم من هذا الحزب أو ذاك، وأول انتخابات للمجلس المحلي، كانت حصيلة الأصوات

الأغلبية في مركز تريم للتجمع اليمني للإصلاح، ومرشحي الاصلاح في البلده الفائزين في الانتخابات: كرامه عبيد بن حيمد سعد، وعلي خميس صبيح. وقد استقال من عضوية المجلس كرامه عبيد بعد مدة قصيرة.

بعد تحالف الإشتراكي مع الإصلاح(المشترك) كانت انتخابات المجالس المحلية عام ٢٠٠٦م وكان حصيلة الأصوات الأغلبية في البلدة للمشترك، وفاز بأصوات الناخبين: علي خميس صبيح (إصلاح)، صالح مبارك قبان (اشتراكي).

وقد تم ترشيح عضو التجمع اليمني للإصلاح للبرلمان من البلدة صالح مبارك التميمي، إلا أن منافسه عضو المؤتمر صالح سالم العامري من منطقة ثمود، حصل على الأغلبية.

ط – الإنتعاش الاقتصادي والمعيشي في البلدة:

هي فترة قصيرة في عمر الزمن.. ساءت العلاقة بين الحزبين، وربما تباينت مصالح النخب، واختلفوا في الحصيلة والقسمة، وعند صراع المصالح تتوارى كثيرا من القيم، وتسقط الحواجز والحدود المعروفة بينهم، فانفرد بالسلطة فريق، وعندما أقول فريق أعتقد أنني لم أكن مخطئا، فهناك توافق عام في نهج الحزبين– رغما عن تباين الموقف الإعلامي المعلن– ولا يشكل نهج كل منهما تناقضا أو تباينا في السلوك والممارسة، فهي من مصب واحد، تجري في جدول أو جداول متفرعة لتروي العصبية لكل فريق وفروعه.

ومع اضطراب الواقع المعاش في تلك المرحلة، والترويج من قبل كل طرف لمقاصده، وجمع الأنصار حوله بشتى الوسائل.. انقسمت المجاميع الشعبية، سواء المنتمية لهذا الحزب، أو ذاك، أو لفرقة أوفئة.. بمفاهيم موجهة سياسية أو مذهبية، وتفرعت من بعض الفرق فرق أيضا، لها موجهها ومرشدها، وتعصبت كل فرقة وفئة لمفاهيمها، دون فهم ودون وعي، أو بوعي موجه، وبإحساس عند البعض بشعور مركب النقص، وهذا الشعور قد يكون ملاذا للفرد لكل من ادعى الأهلية والكمال، أو التفوق على الآخر، وهو الذي يعنينا في هذه المرحلة، فسار البعض على هذا الوهم، معتقدا كماله وأهليته وتفوقه لما أنيط به، وما نسب إليه.

والفِرق والمذاهب الدينية شأنها شأن الأحزاب السياسية، ينضم إليها المخلص لبرنامجها، أو مبادئها وأهدافها، ومن يرى فيها المنفعة أو المصلحة، ومن استحكمت فيه العصبية بمفهوم معيّن، ومن اتخذها وسيلة للثأر أو الإنتقام من الآخر، لمعاداة سابقة أو حديثة، وربما اندس البعض خديعة ومكرا للتشويه والإساءة، بقصد أو بدون قصد، فكانت الحصيلة أن تشكلت مجاميع كأنصارا للفرق والمذاهب، وكذا الأحزاب السياسية من عدة مصادر واتجاهات متباينة مختلفة في الفهم والسلوك، جمعها التظاهر بالولاء لهذه الفرقة، أو ذلك المذهب، أو الحزب، فكانت الإزدواجية في القصد، وكان الخطأ في الفهم، وكان الخبط في المسيرة.

اتسمت هذه الفترة بعد التهيئة للفترات السابقة بانتعاش معيشي واقتصادي في البلدة، فلقد حصل الكثير من أبناء البلدة على أراضي سكنية لأكثر من فرد في الأسرة الواحدة، فكانت سببا من عدة أسباب لتحسين الحال أو المعيشة، وآخرون

عرفوا طرق المداهنة، والسمسرة، والرشوة، والابتزاز، والتزوير، والتحوير، وكل شيء وثمنه، وآخرون نفذوا مقاولات إنشائية وعمرانية وخدماتية لمؤسسات الدولة ومنشآتها من المقاولين المتنفذين في الوظائف العليا للدولة، أو ممن يليهم، وبما أن هذه حالتها وصفتها، فهي مغنم للمقاول المنفذ أي مغنم، فكانت الحصيلة العامة: بيع الأراضي، والبناء، والإستثمار، وافتتاح ورش مهنية بالوسائل الحديثة، وامتلاك الكثير من وسائل النقل المختلفة، والكل متصل بالكل كحلقة في سلسلة، فحدثت تغييرات مفاجئة في الشخصيات وأخلاقياتها، وهي نتيجة طبيعية لما طرأعليها من تغيير اقتصادي، خاصة وقد أضحى البعض أو الكثيرمنهم يمتلك ويتحدث عن مئات الآلاف والملايين من الريالات، وهو شيء لم يحلم به أحد من عامة من في البلدة من قبل، ولم يعرف التحدث بمثل هذه المبالغ أو أقل منها في المراحل السابقة إلا القليل، ومن طبقة معينة. لكن الكثير ممن قبض بالسهل أتلف بالسهل، والدنيا دواره كما يقال.

جانب الرخاء المعيشي في هذه المرحلة ومراحل مابعد الوحدة، تطور في مناح عدة- كما أشرنا إليها- في مجتمع البلدة وكل مجتمعات البلاد تقريبا، لكنه رخاء هش.. هاش، بمعنى أنه الرخاء الرخو الذي لايمتلك مقومات ثبوته واستقراره، ممن هاش المال، أي ناله من حرام وفساد وتقطع، فرخاء بلا مقومات ديمومته، ولا أمن ولا أمان محفوف بالمخاطر، فلاحماية له من دولة ولا من مجتمع تحميه من قراصنة المرحلة، وتقلبات الأوضاع.

نخر السوس في الأفئدة، وبيعت الضمائر، ورخصت الذمم، واستشرى الفساد، وأصبحت الوظائف في الدولة مغنما، والنزاهة غباء، والإخلاص

بمفهوميته المثلى مروقا عن الحداثة في زمن الوحدة، وهكذا تربع الوصوليون والمنافقون المرافق في البلد، وإن استثنيا منهم، ممن يحق له الإستثناء، فقد يحبط عملهم النزيه أمرا ينقضه من السلطات العليا.

كان الكثير من المنتمين إلى تلك الفرق والمذاهب والأحزاب، أو المنظمات أو الهيئات أو التكتلات – إلا من عصمهم الله– كقادة، يدعون للحق، وللفضيلة والعدل..يتناوبون المنابر في المحافل والجوامع، وعلى صفحات الصحف والشاشات، وفي الأشرطة..آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر..منددين بما استجد من ظلم وفساد ورشوه ومحاباة، لكن للأسف لا تجد إلا القليل أو أقل من القليل، من يستطيع أن يحيل دعوته إلى فعل وممارسة منه، في الواقع الذي يعيش فيه، أو الواقع تحت قيادته وسلطته..هناك خلل مزري بين القول وواقعه العملي الشائن المنحرف عن الطريق القويم.. هناك تناقض مخجل بين الإدعاء أو المطالبة فيما يجب أن يكون عليه مجتمع ينشد السلامة والأمن والرضا في دنياه وآخرته، كما ينوهون بذلك في خطبهم ومواعظهم، وبين ممارساتهم وسلوكهم الظاهر والمستتر.

أصبحت الهواجس والشكوك والريب تلاحق هؤلاء بتصرفاتهم، والشبهات حول ما اقتنوه وما حصلوا عليه فجأة من غير علة أو سبب، أو بعلة تمويه وتزييف وختل..تنقل هؤلاء من موقع إلى موقع، ومن تجمع إلى آخر، ولا ضير أن يكون تنقلهم موسميا أو حوليا بتعدد المواقع، وبتغيّر المواقف، فأصبح الانتماء مظهر من مظاهر الفوضى الارتزاقية، وإن ادعوا فيه الرغبة في الإصلاح...إنه سلوك عام في البلد.

يـ – فترة رخاء ورفاهية في البلدة:

سمة من سمات المرحلة..انتعش فيها جل من في البلدة، وفي غيرها..الموظف والعامل والفلاح والسمساروالداعية وكل ذي حرفة معروفة، بل ومن ليست لديه حرفة ظاهرة، كانت هذه المرحلة أوالفترة ما بعد الوحدة عامة هي فترة رخاء ورفاهية، رغم الغلاء في الأسعار، وانهيار العملة، وهو مما شجع المغتربين ورجال الأعمال للاستثمار، وآخرين للبناء الشخصي، مما أسهم اسهاما كبيرا في حركة الأيدي العاملة والمهنية، ومن ارتبط بها بصورة أو أخرى..

وفي غياب التحري والمساءلة والعقاب، فسح المجال للتهريب والتزوير والنصب والإستيلاء على حقوق الأغياب والأوقاف والغافلين، وممتلكات الدولة.

توفرت في البلد كل متطلبات الفرد والأسرة تقريبا، وتنوعت البضائع الإستهلاكية والكمالية في الأسواق، وكانت القوة الشرائية تكذّب تذمر من تذمر من الغلاء والوضع الاقتصادي عامة، فلقد شيّد العمال والفلاحين- كطبقة كادحة مسحوقة في تصنيف سابق- كغيرهم من الطبقات الأخرى، البنيان بالمواصفات الحديثة..بلطوا أراضي الغرف والممرات في البيوت "بالسيراميك"، وزينوا جدرانها بالزخرفة والتلوين والتجسيم، وحمامتها بأحدث المواصفات العصرية..أثثوها بالأثاث العربي والأوربي الحديث، إضافة إلى ثلاجة وغسالة وسخانه وفرن وكناسة ومكيفات وتليفون ثابت ونقال....الخ..امتلكوا السيارات و"الحراثات" وغيرها، أغلب شرائح المجتمع بطبقاته المتعددة في البلدة، برزت

في مثل هذا الانتعاش والرفاهية، حيث لم يمتلك جزءا منها أو أقل من الجزء، ممن صنف إقطاعيا أو برجوازيا في وقت سابق..ازدهرت البلاد بالأنوار في شوارعها وأزقتها، وسفلتت الشوارع ورصفت الأزقة، والبلدة جزء من البلاد..الكل في خير ونعمة ظاهرة للعيان.

مرحلة أو طور لم يكن يحلم بها الكثير، ولم يعد للسؤال معنى..من أين؟.. وكيف..؟.. ولماذا؟.. فهناك للتأويل فلاسفة للتعليل، بالتصريح أو بالتلميح.

كـ – من ثمار الوحدة في البلدة:

من الانتعاش المعيشي، إلى الانقسام السيئ.. ذلك الانقسام المنبعث في البلدة من ثمار العصبية الحزبية والمذهبية والفئوية، وهذه الثمار من شجرة الوحدة التي أيقظت الفتن النائمة أو الميتة منذ زمن، وهذه الشجرة ربما هي حصيلة بذرة بذرها قادة النهج الإشتراكي، أو الشيوعي(التنظيم السياسي الجبهة القومية) التي لم تفكر مطلقا في تربة صالحة لبذرة تثمر الوئام والحب والود والتفاهم الذي كان لمجتمعها، فمنذ أن تسلمت السلطة بعدالإستقلال، كان من ضمن برنامجها محو الفوارق الطبقية بالعنف الثوري، مما خلق حالة عامة في البلد إلى ساحة بأبعادها مشحونة بزرع الإحن والمقت والكراهية بين الطبقات، وبين القيادات بعضها البعض.

ولقد اثمرت هذه البذرة، بعد وجود التربة والمناخ الصالحين في مجتمع ما بعد الوحدة، بل استصلحت التربة لقبول ما لم يكن مقبولا وملائما لزراعته في أرضها.

بعد إعلان الوحدة الاندماجية، هب الكثير من طلبة العلم من الشمال، لتنوير شعب الجنوب بتعاليم الدين ظنا منهم، أنه شعب قد اعتنق الشيوعية أو الماركسية الإلحادية، على وفق ما تنشره أجهزة الاعلام الرسمية في توجهاتها السياسية والثقافية والاجتماعية، وغني عن التعريف أن أجهزة الاعلام العربية الرسمية عموما لا تمثل سلوك ومعتقد وممارسات وواقع حكوماتها مع شعوبها..فمن دولة بأجهزة إعلامها الرسمي تدين بدين الله وتحكم بشرع الله، لا تجد له في الواقع أو الممارسة شيئا يطبق على أي مستوى في الحياة الاجتماعية التي هي وفق إعلامها مقيّدة بشرع الله، إلا في المواريث والزواج وشيء في مثله، ولا تتجاوزه إلا في حدود مصالحها السياسية، كما هو الحال في إعلامنا الإشتراكي العلمي السابق أننا وصلنا كنموذج مميّز في الشرق العربي شعبا ودولة بالتجربة الإشتراكية العلمية تطبيقا ونهجا، لفكر وممارسة النظرية الإشتراكية اقتصاديا واجتماعيا وعقائديا..هكذا كانوا يقولون.

وفي الواقع..بهت الوافدون الذين أرادوا تعليم أبناء الجنوب، الدين الحنيف، فقد كانت حصيلتهم أبعد بكثير بما انتدبوا إليه.. كان الأغلبية من مواطني الجنوب أكثر تدينا والتصاقا ومعرفة بدينهم، وأكثر استقامة وورعا ونزاهة، والتجاء إلى الله وخوفا منه، ومن حل حرام، أو اشهار منكر.. وجدوهم أكثر حرصا والتزاما بالقوانين واحتراما للآخر.. أيا كانت طبقته أو إنتمائه.. وجدوهم نظاميين في تعاملاتهم، صادقين في معاملاتهم، تواقين للمعالي مشمرون لكل مسلك قويم للتقدم الحضاري.

هذا من حيث المقارنة بين السلوك العام والممارسة، أو البرامج التي تعلنها الدولة لمسيرة شعبها، وواقع الشعب، أوبما تبثه أجهزة الاعلام الرسمية، وما كان عليه واقع المجتمع.

لكن هذا لا يعني أنهم بلا خطايا وبلا مساوئ..لكنه السلوك العام الذي ارتآه الوافدون ولمسوه في الجنوبيين، يفوق تصورهم وما انتدبوا إليه، وما أشيع عنهم بأنهم شيوعيون، منحرفون عن الجادة العربية والإسلامية، وربما تقالوها البعض بجرأة، أن في مجتمعاتهم من لم يصل إلى درجة السلوك العام، رغم ما تبثه أجهزة الاعلام بأن مجتمعاتهم دينية محافظة.

لكن أينعت الثمرة، أو هي ثمرات أينعت في ظل الوحدة، فكان منها:

١- التكتلات الفئوية في البلدة:

تشبع المجتمع بسلوك طور جديد، أو مرحلة ما بعد الوحدة..فانتسب من انتسب لحزبه، وانتسب من انتسب للأحزاب والتجمعات الوافدة مع الوحدة، فكانت التكتلات العرقية والمناطقية، وتأسست الجمعيات الخيرية، سواء المنتمية للأهالي، أو المنتمية للأحزاب، أو النخب في البلاد، وبدأت ظواهر التعصب تتسلل إلى الفرق، أكانت قبلية أو مذهبية أو حزبية، وتمددت أفكارها وبواعثها واستفحلت، فلم يعد للفرد قيمته وأهميته إلا بالإنتماء، وعاود الحنين البعض إلى ما كان عليه سلفه وما وجده في الوافد- رغم التباين- مع مرحلة الوحدة، فقد طغت المفاهيم الجديدة بنزعتها الإستعلائية والتسلطية، وأضحت الوظائف وسيلة من وسائل الانتماء، فقد تمرد الكثيرعن خط سيرهم وأفكارهم مع هذا

الحزب أو ذاك المنهج ليفوز بوظيفة، أو بترقيته في وظيفته، أو ليحقق له منفعة، وأصبح من رقي في وظيفة، وظف من يشاطره عصبيته وانتمائه، واستغلها لتصحيح وضعه، وتحقيق مصالحه وتكفيه تلك كفاءة ومؤهلا لأي وظيفة.

والمصلحة الوطنية تأتي فقط في الإعلام، ولم تكن سلوكا لهؤلاء القادة، ولا هدفا يرجى تحقيقه للوطن والمواطن.. هي قراءة واقع، ترجمته الأحداث..

مرحلة جديدة أو طور جديد، بكل ما حواه من إثارة وقلق، وبلبلة أفكار ومعتقد، ومن خصائص هذه المرحلة أو الطور الإضطرابات النفسية، وسوء الفهم بين الشرائح الطبقية في المجتمع بمذاهبها وانتماءاتها، سياسية كانت أو دينية.

ومع التقدم العلمي التقني، خاصة الاتصالات السريعة والمنتشرة، مع مرافقتها لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، بما تحمله وتسعى لتوصيله بمكايدها ومكرها وزيفها ومغالطاتها لبعض الحقائق لتحقيق أغراضها، كان لها دور في تغيير وجهات النظر، وترسيخ العصبية، والتشدد، بل وزرعت الكثير من الإحن، وخلقت الكثير من المشاكل، في مجتمع لم يتعود مثل تلك الإحن، ولا ربي على مثل تلك المشاكل بإحنها وفتنتها في ماضيه القريب والبعيد.

وكانت النتيجة..

٢- العنصرية في البلدة:

لعلها ثمرة طبيعية من ثمار الوحدة، أينعت بفعل المؤثرات الوافدة بعنصريتها، أو عصبيتها، أو سلوكها، ونتيجة من نتائج المد الوحدوي بالولاءات القبلية، والمذاهب الدينية والسياسية، بمصداقيتها وأهوائها واضطرابها.. نفثت الرماد

عن مترسبات كامنة في بعض الأنفس، فشعللتها وسعرتها وصقلتها لاسترداد مجد غارب كان، ومازال هو المسيطر على فهم وأسلوب أنماط الوافد في مجتمعه.

وربما كان لنجاح طبقة، ما كان لها أن تتخطى حدود طبقتها المتدنية في العرف السائد في الوضع الطبقي الاجتماعي القديم، فقد نافست -هذه الطبقة- أهل العلم والخطابة والوعظ والحفظ، وربما تفوقت على البعض، ورجحت كفة البعض في الكثير منها، ونافست حملة السلاح بالانخراط في الوظائف العسكرية وبرتب كبيرة، وخوض المعارك الحربية في البر والبحر بالأسلحة الثقيلة، ومن ثم بإمتلاك الأسلحة الخاصة.

ونجحت في مهنها وحرفتها نجاحا باهرا بخصائص مميزة، واكبت العصر وتكيفت مع المستجدات العملية في الإدارة والتصنيع والتسويق.

وإذا كانت المؤثرات التي استقدمت في هذه المرحلة عند البعض هي مؤثرات من يعيش في غير العصر، وبمفاهيم إجتماعية قد تجاوزها مجتمع البلدة منذ زمن، وقد أنس بالسلامة والعافية والعيش بسلام، وارتكاس هذه المرحلة للنفوذ الفئوي القبلي أو الحسبي لهشاشة الدولة، وبتسلط المفاهيم القبلية والحزبية على معاني الدولة الحديثة، كان لها الأثر الكبير في إبتعاث بعض العادات والأعراف القبلية والحسبية في مجتمع البلدة، ربما أرادها البعض أن تنبعث قبل هذه المرحلة، ولكنه هادن العصر وتناسى حنقه وغيظه لفترة ما، وقد اضطرته الظروف أن يتناساها أو يتجاهلها، ولعل البعض اكتفى بالتغني بأمجاد ومآثر الأجداد، وبطولاتهم وسطوتهم، كواقع لزمن أو طور معيّن، لكنه لا يستطيع أن يتخلق

بخلق وصفات الأجداد في زمنهم، ولا يقبل بمساوئ أو ما قد تكون محاسن لذلك الزمن في سلوكه وصفاته.

والمؤثرات والإيحاءات، تتجاهل الإيجابيات والمحاسن كقيم سامية في عصرها، وفسرتها بالتفسير الذي يوحي لها بما أقدمت عليه أو ارتضته في حاضرها من سلبيات ومساوئ، كي يؤهلها لما تحب وتهوى من عودة الماضي الذي لن يعود، وإن عاد شيئا منه فإنه خاضع لحالة عصره ومرحلته.

لكن..

هشاشة الدولة وأنظمتها، أو مفهوم الدولة من قبل أركانها من النخب المدنية والعسكرية، بل ومن القاعدة التي هي تبع لتلك النخب، وربما هو هدف من أهدافها، وهو ما تؤكده المفاهيم والممارسات التي ارتكزت عليها الدولة..دولة ما بعد الحرب، فقد أيقظت وابتعثت في النفوس..بعض النفوس.. ما تود أن يكون تأسيا بالوافد وقيمه ومفاهيمه الاجتماعية الطبقية والعنصرية، ورغم الإعلام الذي يمجد مؤسسات الدولة المدنية، بنظامها واحترامها للحقوق المتساوية لكل مواطن، وللقوانين التي لا تفرق بين المواطنين، أيا كان حسبهم وانتمائهم، وإستقلالية القضاء...الخ، إنما ظلت غائبة عن الممارسة والتطبيق الفعلي لمن لا رفد له. والرافد أو أحد الروافد للهيمنة هي النخبة التي تسيطر على مفاصل الدولة وأركانها، ورفد النخبة وسندها هي القبيلة وأعرافها.

والتأسي أو تقليد المنتصر طبيعة مستحكمة في كثير من المجتمعات، لكن ما حدث، – وقد أكون مخطئا– هي التبعية الذميمة التي مني بها من في البلدة، في

الحاضر والغابر القريب..هي استخدامهم كأدوات أو كجسور للمرور على رقابهم لتحقيق مصالح الغير، أكانت سياسية، أو مذهبية أومادية..هي العصبية الدخيلة في وقتها الضائع..جيل نشأ يحمل ميزات ومفاهيم مشوهة ومغلوطة..هذه الميزات والمفاهيم أشبه بدثار لا يتناسب مطلقا مع الجسم الذي تدثر به، ولا مع البيئة التي هو فيها، ولا مع الزمن الذي عاشه الآباء بالأمس ويعيشه هو اليوم..يقال إنه كان للغراب مشية حسنة، فرأى في مشية الحمامة خطرات فاستحسنها، وأراد أن يقلدها، فحاول مرارا ولم ينجح فعاد إلى مشيته الأولى فنسيها أو لخبطت عليه، فاختار مشيته الشنيعة تلك بالقفز، وهو حال من أراد أن يخرج من واقعه إلى واقع أوحى به غيره، وحببه إلى نفسه وهْمه، أو حدسه، فضيع أصالته مع بيئته وواقعه، ولم ولن تنجح تبعيته أو تقليده لما استحسن من غيره على سوءه في واقعه.

وكأن التاريخ يعيد نفسه بزي آخر..

هناك نزعة السيطرة في قلب كل رجل وضمير كل طبقة، ولا سلوك بدون دافع، ودوافع الإنسان لا حصر لها فيما يريد وما يرغب، ومنها الحاجة إلى تقدير الناس ولفت أنظارهم، ومنها الرغبة في الظهور، ومنها الشعور بالنقص والشعور بالذنب كما يقول علماء النفس.

وللإيحاء تأثير دون إقناع منطقي، ودون أمر قسري، وتزداد قابلية الفرد للإيحاء دون مناقشة أو نقد أو تمحيص إن كان جاهلا أو متعصبا.

والجهل يولد الشعور بالنقص في كثير من الحالات، فهو إما استسلام ورضا، أو ثورة وتمرد وانقلاب على الثوابت الاجتماعية.

والجهل ركام من القاذورات تتولد منه الرذائل والشرور، ومنه الإدعاء، ومنه الانحراف عن الطريق السوي، ومنه العصبية البغيضة، و الأنانية الممقوتة..منه تفكيك الروابط وزرع الإحن والكراهية، ومنه التبعية لكل ناعق زوّق حديثه وأسبغ تبريكاته على شنآن قول وفعل، فيندفع الضحية بحماس المناضل عن مكرمة والذود عن مأثرة.

وبسبب هذه التبعية السمجة، والتي لم تكن من فئة معينة، بل من فئات انحرفت أو تجاوزت واقعها، وواقع قيم البلدة التي لم تتعد مفاهيم معتقدها، واجتهاد الأئمة في الفروع، فكل فئة انحرفت ومالت إلى ما زينته لها أهواؤها ورغباتها، وما تود أن يكون لها على حساب الغير، دون احترام لمصالح الغير، ولا لحسبان رغباته ومفاهيمه، أكانت هذه الرغبات والمفاهيم دينية أو اقتصادية أو فئوية..فكانت الانقسامات التي تهدد مجتمع البلدة، والتي استطالت إلى تشتيت بعض الأسر، وتمزيق أواصر القربى بين الأشقاء في البيت الواحد.

هم-وأقصد سكان البلدة- جزء من كل.. وواقعهم كواقع كل المجتمعات البشرية، فحال الإنسان سلسلة من صراعات شتى، تختلف من عصر إلى عصر، ومن مرحلة إلى أخرى، ولعلها كلها تدور في فلك الدوافع والرغبات، فلم تكن دوافع من في البلدة - في قراءة هذه المرحلة- ورغباتهم ذاتية محضة، ولا مقاصدهم واضحة محددة، وإلا لكان هناك سبيل آخر غير ما سلك، ونهج آخر يقي البلدة ما آلت إليه أحوالها من فرقة وعداء غير مبرر.

فموروث البلدة من عوائدها بين كل طبقاتها التآزر والتعاضد، وتماسكها في الشدائد والكوارث، في عهدها القريب والبعيد معروف مشهور، ولها صلات حميمة من رحم وجوار، مع بعضها البعض، ما يبعد حالات التشنج والتعصب الذي رافق المسلك في هذه المرحلة أو الطور. وكان الأحرى في كل الأحوال من كل من في البلدة أن يكون الدافع لأي عمل أو إجراء، هو المصلحة العامة للبلدة ومجتمعها، بالتي هي أحسن، وهو الأقرب لتحقيق الرغبات لكل الفرقاء.

لكن..

لكن لم تعد هناك أولويات.. هناك ثمرة فجة..أمر من العلقم..

كالعدوان على الغير، كدافع أو إجراء لإثبات ما يمكن إثباته للمعتدي، أو لغيره، بأن لديه القوة التي يستطيع بها أن يحقق رغبته، أو رغبة غيره، متحديا بذلك قيم وأخلاقيات من في البلدة، وأواصر القربى، وتعاليم دينه، والقانون العام للبلد وإن تهمش، إنما هي محاولة يائسة ربما لإخفاء الشعور بالنقص، أو ستر لهذا القصور، وللشعور بالعجز والنقص إزاء المستجدات في الساحة السياسية، أو للتحرر من شعور محبط، وإن تدثرت بدثارالعصبية.. العصبية التي حلت في غير محلتها، وفي غير أوانها، بمسلك رديء دون هدف محدد، أو غاية مرجوة منظورة أو غير منظورة..مسلك لا يسلكه اليوم إلا منحرف أو أحمق طائش.

انما هي قراءة لواقع.. وإن تكن وجهة نظر..

٣- القات في البلدة:

هناك ثمرة أخرى.. شيء آخر دهم مجتمع البلدة كغيرها من ثمار الوحدة، استشرى في بعض شباب الطبقات الاجتماعية بصورة مخيفة ومرعبة، هو القات وتعاطيه..شجرة القات الوافدة بكل جبروتها وطغيانها، بفسادها وإفسادها للكثير من خيار شباب هذه البلدة، وتعاطي هذه الشجرة بمبرراتها النفعية، أو بتقليدها وتبعيتها في البداية، ومن ثم، استمرأها من استمرأها واستمكنت ممن استمكنت منه، كأي بلوى و"كيف" بتعودها، فيدمنها ولا يستطيع الفكاك منها، رغم المآسي التي يعاني منها متعاطوه ومن يعول..معاناة من كل جهة..مفسدة من كل وجهة..مدمرة لحياة المدمن الخاصة والعامة، ولكل من تعاطاها بدون روية وتأمل للعاقبة.

القات من ثمار الوحدة في البلدة.. "كِيف" من "الكيوف"، له آفة كل الكيوف المخدرة، والتعود علي تعاطيه يضحي إدمانا، والإدمان عمل لا إرادي مفرط فيه، ومعلوم ما يصاحب الإدمان أو المدمن من سلوكيات منحرفة للحصول على هذا الكيف بأي وسيلة، وتحت أي ذريعة، وما ينشأ عن ذلك من مشاكل للفرد والأسرة والمجتمع بأسره، ومن آفات مجالسه ربما لها النصيب الأوفر لكثير من معانات أهل البلدة الأخلاقية والإنسانية في الحاضر والمستقبل أيضا..مئات من الريالات وربما الآلاف تذهب يوميا في الوهم.. تهدد العفة والورع في الفرد، وتسلب أمن الأسرة وحصانتها، وتسعى لتقويض بنيانها وتشتيتها، وتهدد بقائها بكرامتها في مجتمعها، خاصة لفئة الغلابة والمحتاجين من

ذوي الدخل المحدود، والعمال بالأجر اليومي، وربما أمعنَت في السلب إلى هتك الأعراض والحرمات والكرامات، وربما أيضا خانت أمانتها وشرفها، وهو ما جعل للفساد والإفساد بكل معانيه في أروقة المؤسسات الحكومية ودواوينها، مكانا يتصدر كل أولوياتها وواجباتها الوظيفية والإنسانية.

٤- انتشار السلاح:

إضافة إلى التعصب المذهبي والفئوي، إلى الولع "بالقات" مع مايرافقه عند البعض من المنشطات أو المهلوسات، ثمة ثمرة فجة هي أكثر سوءا، وأشد ضررا، وأعم خطرا، هي انتشار السلاح مع أغلب الفئات تقريبا، وحمله والاستعراض به، بمناسبة وبدون مناسبة.

لقد كان حمل السلاح في مجتمعنا عامة، خاص بفئة معينة، وخصوصية هذه الفئة في مجتمع البلدة- وقد اشرنا إليها من قبل-، وكان من يقتنيه ويمتلكه، لايتمخطر به، أو يستعرض بحمله في الشوارع، ولا يبرزه إلا في المناسبات التي أشرنا إليها من قبل، بل هناك شروط يلتزم بها حملة السلاح في أفراحهم وعوائدهم، ففي مرحلة حكم السلطنة القعيطية، يعطي السماح لعدة أفراد لايتجاوزون الخمسة أشخاص باطلاق الأعيرة النارية من بنادقهم، وتسجل الأسماء، وأن يتقدم المعني بإطلاق النارعن الصفوف، وغير ذلك مما قد يؤدي إلى إصابة غير مقصودة يتحمل صاحب المناسبة تبعتها.

وحملة السلاح من سكان الوديان والمثاوي والجبال البعيدة عن السكن والسكان..مع الرعاة من البدو، والبدو الرحل، كوسيلة للدفاع عن أنفسهم

وعن مقتنياتهم من البهائم والمواشي من هجوم السباع والهوام وغيرها، وحمله ضرورة تحتمه ظروف معيشتهم البدوية، لا الإستعراض به.

كان ذلك سلوك وطريقة هذا المجتمع منذ مراحل ثلاث أو أربع أي منذ حوالي قرن مضى تقريبا، وحينها استقرت الأوضاع، واستتب الأمن، تحت حكم سلطة قوية لها هيبتها، بنظامها وقوانينها النافذة على الجميع، فاحترمه الجميع، وهو مما رسخ وعيا عاما من التحضر المدني العصري، واستوعب الجميع بطبيعته المسالمة حياة التمدن، ونبذ مظاهر ووسائل أداة البغي والعدوان أو الاستعراض بتلك الوسائل.

بل أنني أجزم بالقول إن هناك أكثر من جيل نشأ في المدن، ولم تر عيناه حملة السلاح مع الذخيرة بأنواعه في شوارع المدينة، ناهيك عن مساجدها، ولا في الأماكن العامة الأخرى، ولا في وسائل نقلها، بل حتى بعض حملة السلاح من البدو، إن دخلوا المدن للتسوق أو لحاجة أخرى، كان على سلاحهم غطاء يستره من جلد أو قماش، اللهم إن رؤي حملته مع أفراد من الجيش أو من رجال الأمن في حالات ومناسبات خاصة.

ولقد كان جنود الأمن من المدنيين قبل الوحدة، لايبرز ما يحمله من سلاح من المسدسات، أيا كانت رتبته العسكرية، ويبقيه مخفيا في طي ملبسه في حقوه، ولا يظهره إلا عند الضرورة القصوى.

كان هذا الحال قبل الوحدة..

فكانت الوحدة.. ومن ثمراتها، كانت الحرية في حمله، والتمخطر به في الشوارع والمساجد، في الأيام العادية، بمناسبة أو بدون مناسبة، والسلاح بأنواعه من بندقية أو مسدس أو قنبلة، وحمله يغري بأستخدامه، وللسلاح وحمله مآس..

٥- مآسي حمل السلاح:

مع أن مجتمع الوافد يعاني من مآسي حملة السلاح، سواء كانت تلك المآسي مقصودة، أو عفويه، وسواء كان الضحية خصما، أو بريئا، أو أبا أو أخا، أو ابنا، ولعل لتلك المآسي تبريرات مقبولة أو مرفوضة، وفق المفهوم القبلي أو العشائري، الذي لم يحتكم لشرع الله في أعرافه، ولا إلى نظام وقوانين دولة بمفهومها المدني، إلا أن حمل السلاح واقتنائه جزء من تكوين الرجل العشائري البدوي، وإن تزيا بزي المتحضر، فقد ظل حمل السلاح شوكة تدمي القلوب من الفواجع التي يقترفها حملته ضد الأبرياء، ناشرة الرعب والخوف والهلع في مجتمعها.

"ومن احصائية أمنية شهدت العاصمة صنعاء خلال الربع الأول من العام الحالي(٢٠١٤م) مايزيد عن ثلاثة الف ومائتين جريمة!!".

بمعدل أكثر من مائة وست جريمة يومية، ولا وسيلة لتنفيذ هذه الجرائم إلا حمل السلاح.

"في خلال عام ١٩٩٥م حدثت في الشمال ١٨ حربا قبلية، ٨ حروب في محافظة البيضا، ومثلها في صعده، وحربان في مأرب، أي حرب في كل عشرين يوم، ولا تسأل عن الضحايا.

وخلال نفس العام كان عدد حالات القتل المسجلة(٧٠١) سبعمائة وواحد قتيل عمد، و١٨٦ قتيل خطأ، وكان الرقم القياسي بين المحافظات سجل في محافظة إب ١٤٨ قتيل عمد، و٧٠ قتل خطأ."[١٤١].

(١٤١) د. محمد حسين جلبوب- صحيفة الأيام الصادرة بتاريخ ٦/ ١٠/ ١٩٩٦م.

" وفي خلال ٢٥ يوم أي من يوم ١٥/٦/٢٠٠٧م إلى ١٠/٧/٢٠٠٧م رصدت أجهزة الأمن قرابة ٨٠ حادثا، ذهب ضحيتها ٢٥ شخصا بينهم العديد من الأطفال والنساء، وأصيب من جرائها ٦٠ آخرون في هذه الفترة القصيرة التي لا تتعدى ٢٥ يوما.

والحوادث اعلاه مجرد أخطاء، وبعدم وجود أي قصد جنائي وراءها.. ضحاياها: أما، وأبا، وأخا..الخ.. إهمال غير مقصود من سلاح في المنازل يعبث به الأطفال.

وقد بلغ عدد الضحايا خلال السنوات الثلاث الماضية(٢٠٠٤-٢٠٠٧م) ثلاثة وعشرين ألف وخمسمائة وسبعة وسبعين(٢٣٥٧٧) مابين قتيل ومصاب."[١٤٢].

تلكم بعض من ضحايا حملة السلاح، وهو سلوك شخصي في بيئته، بوعيه أو بمفهوميته القبلية، ولن تجد شبيها له في مجتمعنا قبل الوحدة.

و...استهوت هذه الثمرة البعض.. وقطف من قطف من تلك الثمرة..

فأضحت ظاهرة حمل السلاح- بعد الوحدة- مع الكل..أقصد كل من رغب في حمله والتمخطربه، وأضحى حمل السلاح قضية تمس حياة كل مواطن..تمس وجود جوهره، بأمنه وأمانه في مجتمعه، بحاضره ومستقبله.

السلاح، وحملة السلاح هي التي تقرر تنفيذ الأحكام، أو تجميدها، أو إلغائها، وهي التي تفصل بين المتخاصمين في كثير من المنازعات بالنسبة للقضايا

(١٤٢) عقيد أحمد هائل-عن مجلة قضايا وناس ملحق صحيفة الثورة الرسمية الصادرة يوم ١٥/٧/٢٠٠٧م.

بين الفئات المختلفة من حملة السلاح، أو مع الدولة، وأصبحت القضايا.. أو بعض القضايا، يتولى حلها العرف القبلي، لا القضاء المدني أو الشرعي، رغم وجوده بأجهزته ودواوينه ونصوص دستور الدولة، وأيا كانت مدنية القضية المتنازع عليها، والأغرب أن تكون الدولة خاضعة لشروط حملة السلاح، والإنصياع لكل مطالبهم، صحيحة كانت أو كاذبة، حتى وإن كانت المطالب مضرة بالمصالح العامة، والبنى التحتية، وخدمات المواطنين الضرورية.

لذا أضحت المخاوف متنامية من حملة السلاح بعضهم البعض، وأشد خوفا وهلعا لمن كانت له قضية، ولم يكن من حملة السلاح، أو من لم يكن له رافد من حملة السلاح، ومن لايستطيع تمويل حملة السلاح لإحقاق حقه.

أضحى السلاح في متناول كل قادر على امتلاكه، بل وغير القادرين على امتلاكه، فيكفيه الانتماء.

تنامت المخاوف من تلك العشوائية في اقتناء السلاح، دون رابط لحمله، ولاربط..دون قيد نفسي أو عقائدي، أو عرفي لإستخدامه، بحيث إن حملة السلاح مع تقلبات الأوضاع، وفوضى الانتماءات، وتردي سبل المعيشة، وما صاحبها من متطلبات، ومطالب للفرد والأسرة من الكماليات والمظاهر التي أضحت من الضروريات في الحياة، هي الكابوس المقلق لأمن المواطن والدولة.

فلم تعد قوة الدولة الأمنية تستطيع بمهامها الأمنية في حفظ الأمن، ولا الحفاظ على ممتلكات المواطنين، ولا مصالحهم، ولارادع لقطاع الطرق، وظاهرة التقطع، فتجرأ اللصوص في ظهر النهار ناهيك عن ليله، بل تجرأ المفسدون

بالقتل والنهب والسلب أمام أعين المنتسبين لقوات الأمن، دون خوف ووجل، بتحد واضح يزري بهوان الدولة وانكسارها.

هي ثمرة.. فجة..أكثر مرارة ثمار الوحدة، ولهذا- على وفق اعتقادي- لن يتم استقرار دولة، ولن يستتب لها ولا لشعبها أمن، ولن ترسخ قاعدة سليمة وصحيحة لتنمية، إلا بنزع السلاح..تلك الثمرة الفجة، كما عشناه بدون هذه الثمرة المرة في حكومات ما قبل الوحدة.

٦- ظاهرة التعصب في البلدة:

من أسوأ المفاهيم المروج لها بعد الوحدة ظاهرة التعصب، والتعصب موجود في البلدة قبل ذلك، وهو أمر بديهي وفطري أن يتعصب الفرد لقومه وعشيرته، وهو التعصب في العرف المقبول الذي لا يسيء إلى معتقد الغير، ولا يتعدى المفاهيم السائدة، ولا يوالي الباطل في قومه أو عشيرته.. ورب حال أفصح من مقال، فلعل ثمرة التعصب الوافدة أقسى على أهل البلدة بسلوكها من كل سلوك سيء للعصبية كان.

ولتكرار القول إن من في البلدة قلد الوافد، فلم تكن لهم دوافع ذاتية، ولامقاصد واضحة، تبررموجة التعصب المستجدة، والمعروف أن التعصب ينشأ عن التقليد، وأن المقلد يتعصب أكثر ممن قلده، بمعنى أن يكون – كمايقال- ملكيا اكثر من الملك، وحيث يكون التعصب يكون الخلاف والاختلاف الشديد.

تشعب التقليد، وسلك مسالك غير معهودة في البلدة، لكنه في الواقع ترجم مفهوما سيئا للعصبية من مجاهل التاريخ.

فقد أضحت العصبية بمفهومها الدخيل الجديد أو الطارىء، أقرب للمفهوم الجاهلي للعصبية، أي الموالاة للإنتماء..لإنتماءات الحزبية أو المذهبية أو الفئوية أو القبلية، بخيرها وشرها، بالحسن منها والقبيح على السواء، في النهج والغاية، الكل يتمثل بقول الشاعر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

وأقصد بالكل فئة المتعصبين..

هذا الفهم الدخيل والمستحدث للعصبية اليوم بالتمايز والتفاضل للانتماءات أو الولاءات الوافدة، وكل منتم عدد مزايا ما ينتمي إليه، إن كانت له مزايا، أو اخترع له مزايا، ليفتخر بها على الآخر، أو ليختلق معايب للآخرلإذلاله، أوالإستخفاف به وبمفاهيمه، فلا يرى الحق والصواب إلا حليفه، ولا يرى من ضمن رؤيته أخوة الدين ولا أخوة الوطن.

وهذه الظاهرة بخطورتها تختلف عن كل ما عهد وعرف عن التعصب، سواء في الماضي القريب أوالبعيد عن عصبية من في البلدة، لكونها في جهات متعددة، ولكل جهة فهم.

العصبية الدخيلة اليوم، بمفهومها الجاهلي، لم يعد لها تحديد بفهم ورؤية معيّنة، ولا مقياس أو معيارلأي من قواعد التعصب المتعارف عليه.

٧- التعصب للأحزاب والمذاهب:

فالتعصب للنسب، أوللأحزاب أو المذاهب وفرقها، شيء يوجد في أغلب المجتمعات البشرية، لكنه تعصب لايخلو من مرجعية وقاعدة لولاء المتعصب، سواء كانت حسنة أو سيئة..مقبولة أو مرفوضة. بينما تعصب اليوم – في البلدة– بلا قاعدة ولامرجعية، إنما هو خروج عن القاعدة، وخبط وخلط للأهواء بولاء هش، وبمصالح مؤقتة، ولعلي استثني بعضا ممن تعصب لنسبه.

فالتعصب للأحزاب اليوم، أو الفرق المذهبية، لايتطلب من المتعصب إلا الولاء أوالانتماء الشكلي، وهذا يوجد في المتذبذب، والمداهن، والوصولي، والساذج ببراءة وعفوية بلهاء. وما يؤيد قراءتنا هذه، أن الكثير ممن تعصب وبالغ في تعصبه لحزب، أو لفرقة من تلك الفرق المذهبية، انخلع عن تعصبه، لينضم مع فرق المتعصبين المناوئين لمن انخلع عنهم، وربما غيّر الولاء أكثر من مرة لأكثر من جهة، دون مبرر إلا ما أشرنا إليه.

وهذا التعصب الذي واكب المرحلة الجديدة، شمل الكثير من طبقات المجتمع تقريبا، وهو التعصب الذي لا يعرف الحق، وإن عرفه لا يريد إحقاقه، بقدر ما يبذل المحاولات المخجلة لتسويغ ما يراد، إلى جانب آرائه وأفكاره ومعتقده وانتمائه، دون مبالاة، ولا إحترام لحقوق وآراء ومفاهيم غيره.

وبعض ممن قاد فرق المتعصبين سواء بمركزه، أو بإنتمائه أو بإدعائه، أو بجاهه، أو بنسبه، بأي مفهوم من المفاهيم الموروثة أو الوافدة، سواء جهر بها أو أسرها، وسواء كان ذلك بفكره، أو بسلوكه.. أكان ذلك بالخروج عن ثوابت

المجتمع وأعرافه وتقاليده، أو بالتشدد على ما وجدنا عليه آباءنا، فإن تعصبه مجانف للمرجعية الشرعية التي عليها مدار صلاح المجتمعات البشرية، ومنهج العدل فيها:" الحق أحق أن يتبع".

ولعل في نهج كل من تلك الأطراف من الصواب والحق الذي يجمع ولا يفرق.

وفي الواقع أن فرق التعصب- شعرت هي أو لم تشعر- أنها شوهت ظاهرتها بهذا التعصب والتشدد، وبخروجها عن قواعد المجتمع المتآخي بوئام وانسجام في البلدة، فقد أحدثت شقوقا وتصدعا في أركانه، بل ومزقت تلاحم الأسر، وفرقت بين الأخلاء، وباعدت بين الأقارب والجيران، إذ سلكت نهجا غير نهج البلدة بمجتمعها المتآخي منذ فترة طويلة، ولاهي دعت لكل امرء نهجه وطريقته، وفهمه أو ثقافته التي هوعليها، ولاهي استكانت لماهي عليه، وكل يعمل على شاكلته، فلعل الاختلاف في الفهم وسيلة للتعارف والتقارب والتعاون، ووسيلة مثلى للتوعية والرضا، وليست وسيلة للقطيعة والمقت. ومما يدعي للأسى والأسف، أن يعزوا هذا التعصب-في أغلبه-للتدين والمفاهيم الدينية.. لكنها التبعية أوالتقليد الأعمى.

والعصبية اليوم في مفهومها للولاءات والانتماءات ونهجها الظاهر، تسيّرها الأهواء والرغبات والعواطف.

٨- البحث عن الذات:

ولعل الكثير من الشباب..شباب البلدة.. في هذه المرحلة أو الطور يبحث عن ذاته ومكانه في هذه المرحلة، متجنبا ومتحاشيا سوءات الماضي وعيوبه، وربما

لتغطيتها أو استبدالها بمفهوم تبعي آخر، ولعل البعض منهم وجدها في مخالفة المألوف، والنكير على الموروث، والتنكر للقيم أو الأعراف السائدة، ولعل البعض تمادى في البحث والنبش عن أعراف وسوارح من عصور غابرة ليعيش بها في غير زمنها، متدثرا بدثار العصبية الوافدة.

وعيب هؤلاء هو عدم إدراك الواقع وانفتاحه، وعدم فهم الماضي وانعزاله، ومحدودية تواصله، فقد تحجى هؤلاء أو البعض منهم، بنزعة التفوق والكمال والأهلية، وجادل وخاصم بثقة وجرأة من يملك الحق وحده، وغيره المبطل، وهو يدري-أو لايدري-أنه مجرد إدعاء، ففي عصر الانفتاح، لاحصر للتفوق، ولايظل شيئا مخفيا، وفي عصر تبادل التهم لايبقى مخاصما بلا تهمة.

لهذا تجد إخوة في فرقة أو من ضمن فئة، أو حسب ونسب، على غير انسجام..بل هم للقطيعة أقرب.. برزت هذه القطيعة أو تسترت، لأن كلا من الطرفين تعصب لمعارفه وولاءاته وأهوائه ورغباته.. سواء الموروثة أو المكتسبة أو المستجدة، بتوجيهات من قادتها أو مموليها، وهو تعصب على غير اعتقاد سليم، فلا يسمح للآخر أكان أعلم منه أو في مستواه، أيا كان فهمه، أو أكثر تجربة، أن يناقشه في مسألة ولو فرعية، إلا أن يكون من "زمرته" أو "بشكته"، وبمثل معتقده وفهمه، ناهيك عن توجيهه، أو تذكيره بخطأ في فهم. فقد تمكن الغرور والعجب في الأنفس، ولم يعد احد في حاجة إلى تذكير بأخطائه وعيوبه لكي يتجنبها، ويجنب غيره مآسيها، إلا القليل ممن عصمهم الله.

٩- سلوك المتشددين:

وقد استحوذ هذا السلوك المتشدد في الفهم.. أي فهم مع المنتسبين لأي مذهب أو طريقة، سواء مستجدات المرحلة الراهنة، أو ما كان عليه السلف، فكل يعتقد أنه هو وقومه على الصواب وغيرهم على الخطأ، حتى طال هذا السلوك أو الإعتقاد أئمة المساجد، فإن شكا المصلون من تطويل الإمام للصلاة، قيل لهم من لم تعجبه صلاتنا فالمساجد كثيرة، وإن أسرع الإمام في الصلاة، ونبه المصلون الإمام بأن السرعة لا تتيح لهم متابعته في القراءة، ولا استطاعوا قراءة الفاتحة، قيل لهم من لم تعجبه صلاتنا فالمساجد كثيرة، لم ير هؤلاء الأئمة أن للمصلين وراءهم حقا، فليناقش هذا الحق، دون الإخلال بالصلاة، ودون التعصب لرؤى وفهم معيّن.

فعن ابي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير. وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء"(متفق عليه)[١٤٣].

ولايعني التخفيف في الصلاة تجاوز أركان الصلاة المعروفة.

في الستينيات من القرن الميلادي الماضي كنت في عدن، وكنت أحضر احيانا درسا للعلامة الشيخ محمد بن سالم البيحاني- رحمه الله- امام مسجد العسقلاني، وهومن أسس المعهد الديني بعدن في وقت حكم الإنجليز، والشيخ معروف

(١٤٣) من رياض الصالحين للإمام النووي صـ ١٤١.

بعلمه وورعه وخطبه المنبرية ليوم الجمعة في المسجد، وله دروسه الخاصة في منزله وفي المسجد، وكنت ممن يحضر بعضا من دروسه، وحضرت له درسا في المسجد، وبعد اذان العصر، قال لمستمعي درسه، ومن حضر لأداء صلاة العصر، أنه سيصلي صلاة العصربسور طويلة (أو سورة طويلة)، فأصحاب الأعمال وذوي الحاجات، ومن ليست له القدرة على الوقوف، ستقام الآن صلاة العصر في ضاحية المسجد المسقوفه(خلف رواق مقدمة المسجد)، يخيّر المصلين بين صلاتين.

وبعد أدائهم الصلاة- الأولى لذوي الحاجة- في الرواق، ختم الدرس وأقام الصلاة.

بل هناك – في البلدة- من يرى عدم صحة الصلاة وراء بعض أئمة المساجد، ومن يتجاوز مسجده المجاور ليؤدي صلاته في المسجد البعيد، ولو أدى ذلك إلى تفويت فضل صلاة الجماعة.

وآخرلا يرى صحة الصلاة في مسجد من مساجد الخصوم.

إنه التعصب..

١٠- غلو عن قصد وغير قصد:

اختلطت المفاهيم وفسدت الرؤى، وتشابكت الصور، وتنوعت الأفهام والمفاهيم، والبعض يبدي للآخر احتراما كاذبا، وخشوعا في المواقف زائفا، ولعل البعض من الدعاة يتحجى بوعظه في خطبه بمسار السلف الصالح، وربما لمح إلى أن نهجه وطريقته طريقة السلف الصالح، لكنه في الوقت نفسه لم يجمل

نفسه هو ولا ممن ينتسب إليه، أو ينتسب إليهم بأي صفة من صفات سلوك السلف الصالح وسيرتهم.

لم تكن للبعض من هؤلاء تجربة سابقة استفادوا منها، ولا استعارة من أولى العلم والصلاح والإستقامة في مواكبة العصر والتكيف مع ايجابياته ومحاسنه، وبالمجادلة بالتي هي أحسن، لتقويم المعوج في الفهم والسيرة والسلوك، كي يكونوا القدوة الحسنة لمفاهيمهم.. البعض منهم هو في حاجة إلى أدب التخاطب، والتخلق بخلق وأسلوب حسن، بعيدا عن الشدة والغلظة، والتجريح والغلو في غير محله، فقد اعتلى المنابر من اعتلاها، ووعظ من وعظ، ودرّس في الحلقات من درس، وأفتى من أفتى، وبدّع من بدع، واطمأن للبدعة من أطمأن، واستصوب عمله من استصوب بغير دليل، واستفحلت الادعاءات واستعرت التهم فكفّر من كفر، وتمادى الكثير في مثل هذه التهم التي طالت الكثير بمن فيهم الآباء والأخوان والأقرباء..هم يعيشون بينهم وفي وسطهم..ليسوا أهل بدعة كبدعة، ولا ارتضوها كضلالة، وإنما هي طاعة في مفهومهم، واستحسنها علماء بقياس أهل العلم، ربما باجتهاد في البعض حالفهم الخطأ، ومن اتهم بالكفر أو الشرك تهما لا تتناسب مطلقا مع ما هم فيه من عمارة المساجد بالصلاة فرضا ونفلا، ولا يأتون منكرا من قول ولا فعل، ولا كبيرة من إثم، ولا صغيرة من معصية في الظاهر، وهو مما أدى إلى الرفض الوجداني لكل ما تفوه به هؤلاء رغم بلاغتهم وقوة برهانهم الظاهرة، وإن حصل الاتباع والانقياد لهم إما اضطرارا، أو رهبة، أو مجاملة ومداهنة..كل هذا حدث مع سكان البلدة في البلدة، أو في المدينة،

لتشتت الأفكار والآراء، وتعدد الرؤى، وللتبعية العمياء التي دفعت بالبعض إلى السير مصفدين بقيود من يتبعون من حيث تشعر ومن حيث لا تشعر، وغياب مبدأ التسامح في المسائل الفرعية أو الجزئية، والجهل بحقيقة ومقاصد من نتبع، ومن أعطيت لهم الولاءات دون وعي أو تمحيص.

وتناوب الوعاظ الوعظ، كل بمذهبه أو بولائه، يقول ما أراد قوله.. عرف قصده من عرف، أو جهل قصده من جهل.

لم يعد أحد يسأل عن من أجاز الواعظ أن يعظ، ولا عن درجة علمه وتخصصه، فهو في اليمن ليقول ما أراد قوله، وينشر على الملأ ما أراد نشره.. يهدم البعض ما يبنيه الآخر، أو يشكك فيه..ويسفه آراء وسلوك وعادات البعض، بل أبطل البعض صحة العبادات التي يتعبد بها من ليس على شاكلتهم، أوعلى غير مذهبهم.

والواقع ان الناس لم تعد تهتم بماقيل ومايقال في المواعظ، فالكثير ممن يعظ، لايتعظ بوعظه أحد، إنما هي كصيحة في واد.

١١- فتوى التعصب:

كانت البلبلة في الرؤى والمفاهيم الدخيلة، حتى وإن كانت على حق وصواب.. تتناقلها الألسن بعصبيتها أو بعنادها، وجادل حولها الجاهل وأعوانه، وأوقعت الراشد فيما لايحب ولا يرغب، وكان منها إيقاظ الفتنة أو الفتن النائمة، فقد أفتى أحد الشباب بعدم صحة صلاة الجمعة للمصلين في مسجدين من البلدة، وهو يعلم جيّدا أن فتواه ستكون لها ردة فعل كبيرة، وكانت ردة الفعل الأولى ان أوقفه خطيب المسجد من إعتلاء المنبر درءا للفتنة- كما قيل -، ولست

هنا في مقام من سيرد على الفتوى، فالرد شأن العلماء، إنما لسرد الوقائع وقراءتها وتوثيقها، والعيب الذي رافق الفتوى، انها جاءت تحت تأثير عصبية الانتماء الحزبي أو المذهبي، سواء قصدها أو لم يقصدها، فحسب التصنيف اليوم، إن الفتوى أبطلت صحة صلاة الجمعة في مسجد "جامع مشهور"، وهوأول وأقدم جامع في البلدة، وهو حسب التصنيف المستجد "تبع الصوفية"، ولا تصوف في مجتمع اليوم، كما أبطلت صحة صلاة الجمعة في مسجد "التقوى"، وهو وفق التصنيف اليوم تبع "للسلفية"، ولا أدري أي سلفية يقصد بها، وصحح صلاة الجمعة في مسجدين هما من الموالين للتجمع اليمني للإصلاح!!.. والمفتي إصلاحي..، وايا كان تبرير المفتي ومقصده، فظاهردافع الفتوى هو التعصب لحزبه، هكذا هي قراءة الفتوى وغايتها، أقرها هو أو لم يقرها، خاصة أنه لم تطلب منه أية جهة للإفتاء بصحة أو بطلان الصلاة في المسجدين، ثم هناك أسئلة مطروحة لكل من قرأ الفتوى..لماذا أفتى؟ ولم جاءت الفتوى بهذا الصيغة بإبطال صلاة المصلين في المسجدين في وقت الإحتقان بين المنتمين للأحزاب، الحاكمة والمعارضة من أبناء البلدة في هذا الوقت..؟!.

غير أن هناك من برر الفتوى، بأنها رد على فتوى سابقة ببطلان الصلاة عامة في المسجد الجامع.

إنه التعصب والعناد الذي لا يستند إلى عقل أو علم، ولا للمصلحة العامة، بقدر ما أستند إلى ميوله الخاصة أوالتبعية المفرطة.

هكذا هي قراءة الفتوتين قصدها من أفتى أو لم يقصدها.

١٢- عصبية القبيلة:

ونوع آخر من التعصب، أيقظته الفتنة المستجدة، ألا وهي العصبية للقبيلة، التي كانت تعد فضيلة في وقتها، حين كانت المجتمعات تجمعها القبيلة في وحدتها، ولكن بزوال هذا الوضع بمفاهيم ورؤى أكثر انسجاما مع الواقع العصري المتمدين، وبالتعاليم الدينية التي استنار بمفاهيمها الكل تقريبا، فقدت القبيلة مبررات سطوتها وسلطتها، وأصبحت مثل هذه العصبية عيبا في المجتمع الحديث، ونقيصة لمن اتخذها وسيلة أوغاية لتحقيق غرض من الأغراض، حيث ساد النظام والقانون في ظل مجتمع ودولة ينشدان التطور والأمن والسلامة للكل، وسعد المجتمع..مجتمع البلدة في ظل دولة النظام والقانون، وهيبة السلطة منذ حوالي قرن من الزمان.

وما استجد في المجتمع من إنتشار العنف والبغي وطغيان الجريمة المنهجة في حق الآخر، والإستعلاءعلى سيادة النظام والقانون، والأخذ بالثار-وإن لم يكن في هذه البلدة-إلا أنه جزء من ترسبات هذه العصبية القبلية، وإيقاظها من موتتها، وتمويلها وتشجيعها بشتى الوسائل، ويكفيها التبعية والتقليد، دون أن تتقيّد بالأعراف المتبعة، سواء أعراف السابقين في مجتمع البلدة، أو أعراف الوافدين بعصبيتهم القبلية، وبممارسات لا مقبولة في المجتمع المدني الحديث.

١٣- مساوىء تجاوزها مجتمع البلدة:

استفحل الانقسام بسيطرة القادة لتلك الفئات ومفاهيمها ومعها شلتها.. تعصب كل فريق لفئته، بكل مساوئ التعصب المعلن منه والمخفي..البارز والمستتر، وبممارسات لتكريس التعصب ذميمة غريبة، ولكل شعائره المركبة، التي لا تواكب العصر في مفاهيمه، ولا الدين في محكم تنزيله، ولا مصلحة عامة لوطن أو لمواطن.

فكانت المساوئ والسيئات في النهج، وكان الإنفصام عن القيم الاجتماعية المستمدة من تعاليم الدين الحنيف، وما توافقت فيه مع الأعراف والتقاليد المرعية..كانت هناك المواقف المأساوية التي اتخذها هؤلاء وأولئك مع الأحداث والوقائع، تنذر بالسوء والشر.

ولعل سيئات مجتمع البلدة قديمه ووسطه وحديثه، هي مساوىء كل مجتمع في حاضره أو ماضيه، لكن هناك سيئات بمآسيها قد تجاوزها مجتمع البلدة في عصر أو مراحل وأطوار من تاريخه، وكان العيش بسلام ووئام وبإخاء، بكل مثله العليا في معاملاته وتعاملاته، بأسمى وأنقى هذه التعاملات والمؤاخاة، وإن برز منها شيء على السطح، إنما هو شذوذ لا يمثل الواقع المعاش بعد فترة التجاوز.

ولعل مرتكز السيئات والمآسي وليد النهج السياسي، الذي انتهجه طرف أو أطراف في البلدة، يتلخص في الجهل والتبعية والتعصب.. التعصب الذي يفرخ التطرف والظلم.. وحين يكون هذا الثالوث في مجتمع في غياب نظام يرسي هيبة الدولة والعدالة، وتنفيذ قوانينها، يكون بين ثناياه الجاهل، ومدعي العلم،

ومدعي الأهلية من غيره، فقد تهيأ للظلم مناخه المناسب، فالجهل يقود إلى التبعية والتقليد، والتقليد يولد التعصب، والتعصب لا يزهو وينتعش إلا بالتفاضل والتميّز والإدعاء، ولا يكون هذا إلا في بيئة ومجتمع يسودها الفوضى والجهل، فيكون الظلم هو المسيطر..سواء كان من سلوكيات الظالم، أو من سلوكيات المظلوم، لأنه في كلا الحالتين لابد من زرع التطرف - بين إفراط وتفريط- والإنقياد لنزعاته، والتأسي بالموجه دون وعي وعلم، وحين لايكون وعي ولاعلم، يكون ظن ووهم ورغبة، والظن أكذب الحديث.

ويضيع الحق والصواب بين الإفراط والتفريط..

وأكرر القول بأنها قراءة للواقع..

١٤- من المتهم:

وشيء آخر تؤكده الوقائع على ممر التاريخ في المجتمعات الإنسانية، أنه:

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

حين يسود الجهل، والجهل المركب.. تختفي الزعامة الرشيدة أو القيادة.. سراة القبيلة..أو الفرقة، أو الحزب، وتتحكم الأهواء، وتستعرالخصومات، وتنتشر الفوضى، وتتنوع الشرور، والسيئة من ذوي الانتماءات لا تنسب إلى فرد بعينه، بقدر ماتنسب التهمة بكل ملابساتها السيئة لما انتمي إليه، أكانت قبيلة، أو مذهب، أو حزب، لهشاشة القيادة وغيابها، أو جهلها الذي لم تدرك مغبة السيىء من قول وفعل للحمقى والطائشين المنتسبين إليها.

ومن العسير أو المشكل أن تتهم فئة دون فئة، أو جهة دون أخرى.. إنما الاتهام ينصب على قبول الفئات أو الجهات التي تتقبل الأوامر أوالتوجيهات أو الإيحاءات من الغير، سواء كان من خارج مكوناتها، أو من داخل مكوناتها، دون روية وتمييز بين الصالح منها وغير الصالح، وخنوع من نعتبرهم أهل الحل والعقد لمسارات تلك الفوضى دون نكير ودون رادع، ومنهم ممن مالأ مثيري الفتنة والبلبلة، لمجتمع له قيمه وسلوكه وعلاقاته الأخوية الوثيقة مع بعضهم البعض.

هناك مبررات الشك والريبة والحيرة في الأفعال والأقوال المشينة التي غمرت البلدة، من فئة وأخرى، بدون ربط، إلا رباط المماحكة السياسية، أو الاستعلاء الطبقي، وابتعاثهما-**في** وقت القراءة-غريبة ودخيلة عن قيم وسلوك أهل البلدة في هذا الوقت، بحيث تستشف مما افتعل، أنه لا يخلو من دافع، وربما دوافع كثيرة، هي أقوى تأثيرا وأعمق أثرا -**عند** البعض -، لكن هذه المماحكة السياسية أو الاستعلاء الطبقي، أو التفسير المذهبي، ربما يفسر بما استكن في الجوانح من قصور فهم، أو شعور بنقص.

حقيقة تغيّر الكثير من أمور العالم، وتغيّر الكثير من أمور البلدة، وتغير من الناس وسلوكهم الكثير مما لا يعرف ولا يقبل، فلا يعرف من سلوكهم الآن مما كان يعرف في مراحل البلدة السابقة لا من قريب ولا من بعيد، مع وجود الآلية السياسية برباطها الشرعي أو القانوني.

هو تغيّر طبيعي فرضته الأحداث والمتغيرات في كل مناحي الحياة، السياسية والاقتصادية والثقافية في المرحلة الراهنة.

هناك مؤثرات جدية طغت على المفاهيم السائدة قبل تلك المرحلة، وشكلت مفاهيم أخرى، منها ما وافق بعض المفاهيم القديمة السائدة، ومنها ما أخذ شيئا من القديم وأشياء من الجديد، ومنها ما تم رفضه، أوالتمرد على الكثير من تلك المفاهيم والرؤى القديمة.

غير أن تلك المفاهيم الجديدة وإن لم تكن قد رسخت في المجتمع لأكثر من سبب، فإنها قد فرخت مفاهيم أخرى بنهج رفض آخر، وبأسلوب تمرد مغاير للتمرد السابق.

غلبت على السلوك والقيم التشفي والهوى والتبعية..فأصبح كل لا يرى إلا رؤاه بأنانيته، ولا يرى غير فكرته ونهجه، مستندا إلى مفاهيمه التي قبِلها وارتضاها، سواء عن قناعة منه، أو هو إمعة لما يرى من مفاهيم من يوجهه، سواء السياسية أوالمذهبية، أو العنصرية، فينفذ أو يقلد، حتى وإن أدى ذلك بالتضحية على كل مفاهيم وقيم المجتمع الذي يعيشه.

من هنا..

أثخنت الجراح في أبناء البلدة من أبناء البلدة..تعمد من تعمد الإساءة للآخر، فأضحى البعض، يبحث عن سقطات اللسان القديمة..ينبش عن التسميات السيئة والمسيئة لهذه الطبقة أو تلك، وقد انمحت من الذاكرة تقريبا، وأضحى التباهي بالتفاضل بالنسب والإنتماء، ونشر نقايص الآخر ومثالبه رمز المرحلة، وقد ظل النسب أوالإنتماء الطبقي – فيما سبق- كسمة لها بعاداتها وطقوسها واحترامها لعادات وطقوس الآخر، بل وتشترك الطبقات معا في كثير

من العوائد والسوارح والمهن، حتى كانت المتغيرات في المفاهيم المستجدة في هذه المرحلة أو الطور، حيث أيقظت النعرات كوسيلة لتحقيق المفاهيم الجديدة، والأعراف القبلية الوافدة من جانب، وطريقة أخرى- أيضا- من جانب آخر لنسف الكثير من المفاهيم والعوائد الدينية السائدة، لتبرز فهما قد ارتبط بعضه بالفهم الديني أو السياسي، أو الفئوي.. وفي الحالتين ربما تصرف الكل من غير رشد، سواء عن حسن نية، أو سوء نية، أو طمعا في مركز من مراكز السلطة لتحقيق هدف أو غاية، وهي الأقرب للأهداف والغايات الخاصة مادية أو معنوية، وإن كان المعلن غير ذلك، مما أدى إلى وقوع المحذور، وافتعال المآسي.

١٥- مآسي البلدة:

خطط الكثير للنيل من الآخر.. هناك خطط سلبية حصرت مواقفها في إعلامها، وهناك خطط عملية أبرزت بوضوح نوايا الآخر.. شيء بدأ به الصغار ببراءة الصغار، فتستنفر قوة الكبار..هاجم من هاجم غيره بتخطيط مسبق، وبمباغتات للمجني عليهم فظيعة.. اتخذ البعض القوة وسيلة للنيل من الآخر.. وقوة الأهواء والعناد وإن تكن محدودة، فإنها تقوم بأفعال منكرة..كانت نذير شؤم للبلدة..تكررت الاعتداءات من جانب.. بسبب وبدون سبب.. كشفت عن النوايا السيئة والأحقاد الدفينة.. تكررت الاعتداءات على المتهم وعلى البريء..أيا كان مصداق التهمة وزيفها، وفي مناسبات أخرى وتوقيت مختلف، كمناسبة رياضية أو غيرها، وحاول المصلحون الصلح..دخلت القضايا..بعض

القضايا إلى أقسام الشرطة، والنيابة، ودوائر القضاء.. تمت لقاءات للصلح والعفو.. فكانت اللقاءات بين كبار السن من البلدة.. عودة إلى التآخي.. اختلطت الدموع بالعبرات..وتعانق الرجال وتسامحوا.

لكن من زرع الفتنة وشعللها.. بقي جامدا.. متحفزا..يرى إنكسار رجاله.

تم رفض الصلح.. من أعلن رفضه السلبي للصلح بشعارات الرفض في جدران البيوت، ومن تجاهل الصلح مزدريا مقاصده.. تغييرات فجائية في شباب البلدة، ولم يوجد في البلدة عاقل يوائم ويجمع.. له الكلمة المسموعة والأمر النافذ..يكون مرجعا للكل، أو مرجعا لكل فئة..هشاشة الدولة ومندوبها في البلدة، تركت الحبل على الغارب.

وللسياسة، أوالإنتماء الحزبي أو الفئوي دور من وراء كل تلك الأحداث المؤسفة التي سالت فيها الدماء، وشوهت الملامح الندوب والقروح، وفجعت منها الأسر، وأرعب الآمن منها في بلدته، ولوثت سمعة البلدة، وازدرى مثل تلك الأفعال من سمع بها..مع أنه لا يوجد مبرر أو دافع لكل ما حدث، إلا ما أشير إليه، وماقيل عنه، وهو أقرب الدوافع مع ما استكن في الجوانح.

١٦- أحداث تعقبها أحداث:

ترددت كثيرا في سرد جزء من الحوادث والوقائع المؤسفة، لكنها كمنعطف سيء في تاريخ البلدة، لا يمكن إغفاله وتجاهله.

ومثل تلك الحوادث تبرز بوضوح الوضع السياسي والأمني في هذه المرحلة.

لكن سؤالا يفرض نفسه من ضمن أسئلة كثيرة تفرضها الأحداث في هذه المرحلة، وأنا أعني أحداث البلدة.

لماذا تتابعت الأحداث الدامية والمؤسفة والمحبطة في هذه المرحلة..؟!

لن يكون الرد بالسهل..مع أن الوقائع بينة ظاهرة.. وليس الاتهام مقرونا بالفعل في كل حالة، فهناك أفعال تكون خارج الاتهام، وتهم لاتقترن بفعل.

والإنسان بطبعه تتقاذفه الأهواء وتجرفه الشهوات، ويستجيب للمغريات، أكانت مادية أو معنوية، ليحي ما رم، ويبعث ما استكن.

والسياسة – كما يقال– تجمع الأضداد..

وليست المبادىء والغايات المعلنة مما يدافع عنه السياسي اليوم، انما يتلون الواحد منهم بلون الحاجة، وحيثما دارت المصلحة دار معها، فصديق اليوم عدو في الغد، وعدو اليوم صديق الغد، ولا معصوم إلا من عصمه الله.

لكن..

لنقرأ الوقائع التي تدل على الحدث..

قراءة سريعة لما حدث أو بعض منه، لكن ما بقي في الأنفس أشنع وأفظع مما حصل..

كان الانتماء الفئوي لحزب الدولة الحاكم الذي يمكن التحرك من خلاله بارزا وواضحا، وكان التحرك ضد الحزب الحاكم أكثر وضوحا وجرأة..والغاية والقصد تبرران الوسيلة والنهج من كلا الجانبين، حتى من وراء ستار، وفي كلا الحالتين لإرضاء القيادات العليا في فرض شعبيتها ومفاهيمها من ناحية، ومن

ناحية أخرى ربما للانتقام أوالأخذ بالثأر لما حصل في مرحلة سابقة، أو- وهو الأقرب للواقع- لفرض الهيمنة التي بدأت تتخاذل أمام قوة وحصار وشعبية الفريق الآخر خصم الدولة في البلدة، وذلك بتوافق فئوي / ديني، قد جمع حوله الأنصار، وامتلك عواطف الكثير من الشرائح الطبقية المناوئة، واحتل مراكز مهمة في أجهزة الدولة، سواء على المستوى السياسي، أو على المستوى الإعلامي والشعبي، بتحد جلي واضح لممارسات أجهزة الدولة المتمثلة في الحزب الحاكم، والذي يهمنا نجاحات هذه الطبقة الموالية للحزب المعارض في كل "مسرحية" للإنتخابات المحلية أو البرلمانية أو الرئاسية، بفوزها ونجاحها المتواصل، رغم قوة الدولة وهيمنتها وامتلاكها لكثير من الوسائل الظاهرة والمخفية، ورغم العوائق والصعاب التي تختلق، ورغم الإعلام المضاد، وما إلى ذلك من نفوذ وبذل وعطاء، مما لا يجهله فرد في البلد عامة، لعل هذه أو بعضا منها، كان من أسباب الصدام في البلدة بين الفريقين، خاصة وأن الفريقين أو قادة الفريقين، تقبل الأطروحات والتوجيهات التي تصلها من هناك، بمختلف تباييناتها دون نقاش أو تدبر، ودون النظر لعواقبها على أمنها وسلامتها في مجتمعها، لكنها وللأسف هي أداة تنفيذ لما تؤمر به، وبما يتوافق مع أهوائها وتوهماتها، أو مراكزها ومصالحها، ولم تضع مصلحة مجتمعها ولا مصلحتها العامة في ما تقوم به.

والأحداث التي تتابعت، هي التي تبرهن على الولاء المطلق، وانتمائها وتبعيتها وإخلاصها للمؤثر، أكثر من ولائها لبلدتها.

في هذه الحالة وقد انقسم مجتمع البلدة إلى قسمين، أو أكثر.. قسم مع السلطة، وقسم مع من هو معارض للسلطة، والآخرين في الحياد، أي بدون تحديد ظاهر لإنتماءاتهم، وللقسمين أو للإتجاهين أنصار وخصوم بعيدين عن الانتماء.. وفي كلا القسمين تحركهما أياد لا أقول إنها خفية على اللبيب، بل إنها مكشوفة مفضوحة لأساليبها التي لم ترع فيها حرمة مواطن أو وطن، ولا أخوة دين ولا قرابة رحم.

استشعر المواطن الذي لا صلة له بالإنتماءات الحزبية الأسى والقنوط والريبة من سلوك شائن هجم بغتة على البلدة وعلى سلوك أبنائها، ليس هو مما يؤمله ولا يرجوه ولا يتصوره، رغم معايشته لمراحل ماضيه فيها من الاستعلاء والقهر والظلم بروح ذلك العصر ومفاهيمه، لكن أن تستعيد قوى مدفوعة من غيرها بلا هدف ولا قصد ولا مطالب إلا تنفيذ الأوامر، وافتعال العلل لتبريرالفعل، أو بدون علة إلا إرضاء مطالب الآمر، فهي الكارثة.

لكن الأمر يتطلب الوقوف عند تبرير بعض المستجدات، فهناك مستجدات أكانت مدفوعة من الغير، أو ابتعاث لمفاهيم الماضي التي لم تعد تتواءم مع متطلبات ومفاهيم العصر، إلا انها ظلت في تعاملها سلبية من ناحية، وإيجابية في تعاطيها لمفاهيمها الفكرية أو الثقافية من ناحية أخرى، فهي ربما نطلق على البعض الرجوع إلى مفاهيم ما وجدنا عليه آباءنا وسلفنا، والإنعزال الفكري عن مستجدات العصر ورؤاه، والتي كان الأولى أن تناقش من قبل قادة المنقسمين على ضوء هدي ديننا وسلف الأمة، وواقع البلدة، وما يتوجب عليها أن تكون

في عصر تتشابك فيه الآراء وتتباين، وتتداخل فيه المصالح مع الأهواء السياسية، وتقي منتسبيها شرور ومآسي الإنعزال والتعصب لرأي أو فكر ورؤية معينة.. خاصة ان من برز منهم كقادة للفريقين المنقسمين البعض منهم ينتسبون لشريحة طبقية واحدة.

لكن غياب القادة المخلصين، والتعامل أحيانا بإ زدواجية مشوهة، لمثلي الدولة في الحي، تحكي صدى ما تمليه الإيحاءات، لا مصلحة البلدة ومن فيها، ولا أخوة المواطنة، ولا مبدأ التسامح الديني المأمور به، هو الذي الجأ الفريقين إلى ما لا تحمد عقباه.

هي المرحلة أو الطور الذي وضح لنا رؤية ظاهرة كاملة، لكن بإشعاع قوي أعمش البصر والبصيرة، فكل يرى ما يريد أن يراه، أو ما يخمنه من رؤية المنظور في الواقع، لا يراه كما هو بهامته، وعلى هيئته التي عرفت بالسليقة في مجتمع البلدة، وبما عرف من هدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن سيرة السلف الصالح، وبتآخيه وتلاحمه، بنوايا حسنة، وسيرة مرضية في مراحل سابقة، لكن ما حدث هو حصيلة الدوافع والمؤثرات والإيحاءات التي تصل من هناك بصبغتها الفئوية أو السياسية أو الدينية.

فهل كانت الأحداث وسيلة تلميع لموقف منخذل أو مواقف تخاذلية أمام القيادة السياسية، أم هي ردة فعل منهزم في الساحة السياسية دفعت به النخوة العصبية إلى افتعال الأحداث..أسئلة مطروحة، لندع الأحداث ترد على الأسئلة.

١٧- الشخصية التي غابت عن البلدة:

بعدغياب شخصية ذات شهامة ومروءة، وبنظرة سليمة ومتكاملة، وبحكمة بالغة النفاذ إلى مجهول العواقب لمستصغر الشرر..له من حصافة الرأي وسداده ماليس لغيره في وقته، وله اليد الظاهرة والمخفية في إصلاح شأن عشيرته وغيرها، وجبر كسرهم، وجمع شتاتهم، وبما وصل من كرمه ونصحه وصلته لكثير من بيوت البلدة، نافحاعن البلدة وسكانها عواقب التهوروالفتن، مستفيدا من تجاربه، وتقلبات الزمن والأحياء، فقد استطاعت هذه الشخصية، بما لها من نفوذ معنوي، كبح جماح الكثير من الشباب المتحمس للثأر أو الإنتقام، أكان ذلك قولا أو فعلا، أو بمؤازرة صريخ يستنجد بمن في البلدة من عصبيته من غير البلدة، درءا لفتنة قد تدوم، وفرقة تتمزق منها عرى الترابط بين أبناء البلدة، مع أن هذه الشخصية هي من اكثر الضحايا تنكيلا وإساءة في مرحلة سابقة، ماديا ومعنويا..

كان عليه رحمة الله مجبولا على منفعة الناس، وإصلاح ذات البين، برضاء وسكينة، لاتسمع منه إلا كلمة ود صادقة، ولاترى على وجهه إلا إشراقة إبتهاج ومهابة، مالم تمس كرامة، أو تنتهك حرمة، ولعل من لؤم بعض البشر أن يسيء إلى من أحسن إليه.

كان – غفرالله له- عبدالله بن سعيد(بعطه) التميمي(توفي سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، هو العائق بحكمته وحلمه ورجاحة عقله وحسن سيرته ومقصده لكل من خطرت له خاطرة لرد الاعتبار، أو الإنتقام لماحصل في مرحلة سيئة من مراحل البلدة(اشرنا إليها من قبل).

وكان – عليه رحمة الله– له رؤى صادقة، ونظرة ثاقبة تمتد إلى العواقب المخفية وراء كل تعنت وتعصب، فقيّد الكثيرمن شباب طبقته، وردع الكثير عن مزالق الشر، أو الانحراف والخروج عن الحدود والقيم لمجتمع البلدة.

وكان الكثيرون مثله يرون تجنب المماحكة تفاديا وتجنبا للفتنة والشر، لعلمهم أن من أقدم لما أقدم عليه في السابق كانوا أدوات لتحقيق مآرب الثورة ومن ورائها، كغيرهم من بعض الشرائح الأخرى ومن شريحتهم الظاهرة والمستترة، لكن كما يقال العين بصيرة واليد قصيرة، ولم تكن لهم قوة التأثير على شريحتهم كالتي كان يتمتع بها رحمه الله.

بعد موته – عليه رحمة الله–.. كانت العاصفة الهوجاء المدمرة بقصد، والتي اقتلعت الروابط التي لم تقتلعها الزوابع والزلازل في مجتمع البلدة القديم.

١٨- الأحداث الدامية في البلدة:

كان في الساحة..في ساحة الإجتماعات، والألعاب الشعبية اجتماع مقررلفرع الحزب المعارض في برلمان الدولة في البلدة (التجمع اليمني للإصلاح)، وقد هيئوا الساحة بما يلزم لهذا الإجتماع من فرش ومكبرات صوت وغيره، وتركوا الساحة لتأدية صلاة العصر في المسجد المجاور للساحة، وبالمقابل كان الفريق الآخر بعصبيته المنضوي تحت مظلة الدولة، أو الحزب الحاكم، قد رتب جموعه في المنافذ للبلدة بأسلحتها وعتادها، وفق خطة عسكرية محكمة، ورتّب لإختراق الساحة بمن فيها، بمجموعة من الشباب لضرب المجتمعين بالهراوات والعصي

وتفريقهم..لا أدري هل كان في الخطة القتل، مع أن أكثر من لسان أشاعت أن هذه العصرية- عصرية ذلك اليوم السيئ في تاريخ البلدة، ستكون فيها مقتلة عظيمة، وحمل السلاح يغري باستعماله.

بعد أدائهم الصلاة تجمعوا في الموقع المهيأ للإجتماع أو الحفل..اخترق المهاجمون الساحة بغتة.. واصلوا الضرب بهراواتهم في كل من تصله الهراوة.. وأتلفوا ماهيىء للإجتماع..اختطفوا من اختطفوا إلى مكان مجهول..هددوهم بتصويب فوهة بنادقهم إلى الجباه..شيء لا أود أن استرسل في وصفه ونعته..شيء يدمي القلوب، ويحيّر الأذهان.. ويذهل العاقل.. تسارع المارة في مشيتهم، باجسام ترتعد رعبا وهلعا، ورقابهم تتطاول لتتعرف على الضحايا، والمعتدون في ساحة المعركة، وقد جفت حلوقهم، واضطربت دقات قلوبهم، وانعقدت ألسنهم، فما يرونه غريب عن المخيلة، بعيد عن التصور، هل حقيقة ما يجري في الساحة، وعلى مرأى ومسمع من عقالهم، وذوي الرأي والصلاح فيهم..على إخوة لهم في البلدة!.. بينهم قرابة رحم وجوار، وصحبة وزمالة.. يبقى السؤال المحيّر الذي لا يوجد له رد، إلا ما يمكن أن يخمنه من يستطيع أن يخمن، فهوإما عصبية حزبية أو عنصرية ممقوتة، أو تنفيذ أوامر مركزية لاعلة لها ولاتبرير، إلا ما قد نوهنا إليه من قبل.

يتساءل السائل وقد جف الحلق وتكدر الخاطر، وحار العقل.. لماذا ألف مرة ومرة..؟..من هم المعتدون؟..في أي زمن يعيشون ؟!، وأي طورهو الذي تفاجأت به البلدة..؟..وماذا بعد ذلك..؟.. ليس الرد بالسهل الميسر.. أكان

إرهاب دولة، أو إرهاب حزب الدولة، أو إرهاب عنصرية القبلية التائهة عن مفاهيم القبولة.. اثأر هو أو إنتقام، أو هو حقد مستكن في الجوانح سنحت له الفرصة..أي غاية أو هدف يمكن أن يحققه أو يستفيد منه المهاجم أو ممن دفعه للهجوم.. أي مصلحة مادية كانت أو معنوية، قد يجنيها المهاجم بفعلته تلك.. وهل لهذا الهجوم ردة فعل..؟..أسئلة لا أعتقد أنها هجست لمن خطط لهذا الهجوم ونفذ..ليتها كانت هجمة من أجل شيء يستحق الإشادة، أو على هدف نبيل سام يستحق المغامرة..ما الذي يمكن أن يستخلصه الباحث أو الناظر ويصف به هذه الفعلة الشنيعة وفاعلها..لم يكن فيهم غريب أو دخيل..هم أبناء حي واحد.. لعبوا في أزقته معا..تزاملوا في الدراسة.. تراصوا إلى جنب في المساجد.. تصادقوا بصدق..بينهم الجوار والرحم.. اخوة دين ووطن.. يحير الذهن ويتيه عندما تستعرض – كسارد أو كباحث أو كمواطن- بعقلك وفكرك سلوك هؤلاء المتحمسين لسفك الدماء.. دماء بريئة.. دماء إخوة في الدين والبلدة.. وتستشعر الحيرة والأسى حين تتراءى لك تلك الوجوه المعتدية أو التي من خلفها، وهي تهرول خببا إلى المساجد، حتى لا تفوتها تكبيرة الإحرام.. هم الركع السجود في النوافل..هم القراء لكتاب الله في الضحى والغسق.. هم...أي شيء يوافق ضده في السلوك..لم تُسمع كلمة عتاب..لم يستنكر أحد من فئة المعتدين هذا الفعل، بأنه فعل قبيح منكر..أليس الظالم والمعين على الظلم والمحب له سواء – كما قيل –.. متاهة لا مخرج منها إلا إلى مفازة.

ربما تقبل المماحكة السياسية والحزبية والمذهبية كل بحجته وببرهانه، أو بدون حجة ولا برهان..بمقولة صادقة أو كاذبة، بحلم أو بسفه، بطيش أو بوقار، لكن توجيه السلاح للآخر جناية..جريمة..كبيرة من الكبائر، لايقبلها عقل ولا منطق، ولايقرها دين ولا عرف ولا قانون.

ما الذي أصاب العقول.. من أين جاءت فكرة التحصينات...إغلاق المنافذ بحراسات مسلحة...إشهار السلاح في وجه الأعزل.. اقتياد البعض إلى مواقع بعيدة مجهولة..لم يكن في هؤلاء المخطوفين والمهدودين سابقة إعتداء، ولا قادة حزب، أو أصحاب قرار، بقدر ما هم أنصار..إمعات تكرر ما تسمع، تعيد وتستعيد ما لقنت.. ومن هو المهاجم المعتدي..وبأي صفة خطط وهاجم واقتاد من خطف..

أسئلة في متاهة التعصب الذميم والتبعية..

الإعتداء بتلك الصورة لم يكن له تبريره، إلا أن يكون التبرير، أنه لايمتلك الشعبية التي حازها الآخر، ولم يستوعب الزمن الذي يعيشه، أو ليست له قيادة مقبولة أوغير مقبولة، أي بمعنى لم تكن له قيادة أصلا يمكن الرجوع إليها كمسئولة عن أحداث ما تقوم به جماعته، غير المنضويين تحت مظلات الفتنة السياسية أو العصبية أو العنصرية.

وغني عن التعريف أن السياسة ولذوى الأهواء السياسية وسائل غريبة مريبة لتحقيق غاية ما، ومن وسائلهم إختلاق الأحداث واستغلالها لرفد توجهاتهم وتحقيق مقاصدهم.

أنت في اليمن..مقولة أضحت تقال لكل عمل شاذ ومنحرف غير سوي.

والفتنة تورث فتنا..

في اليوم الثاني وبعد التهديد من قبل الفريق المعتدي، يتجمع الفريق الثاني بأنصاره وبأسلحتهم..فيكون الصريخ.. صيحة الحرب.. يهرع كل من في المسجد، وتؤدى صلاة الجمعة في الشارع، يتنادى الطرف الآخر المعتدي بأنصاره من خارج البلدة.. والكل تقريبا حملة سلاح.. أصبح الجزء الشمالي من البلدة ساحة.. هي ساحة معركة من سيبدؤها..والسؤال يتكرر، ويتكرر بأسى.. لماذا..؟

حقيقة كانت ستحصل مجزرة عظيمة، لولا عناية الله..تداركها من تداركها..

وكثيرا ما يردع العدوان الصمود والثبات، والتهديد بالرد بمثل ما اعتدي.

ما حدث لا يمكن حدوثه في البلدة قبل اليوم، ولا يمكن أن يخمن حدوثه "عتاولة" أي عصر ومرحلة في هذه البلدة.

١٩- ومأساة اخرى في البلدة:

وأخرى من سيئات هذه المرحلة في البلدة.. جريمة هي أقرب للجرائم الإنسانية، وهي وإن صنفت رسميا من مجهول، أو ضد مجهول، فالمجهول معروف بدون تحديد إسم.

ومن واقع المجتمعات نجد في كل مجتمع أنفس مريضة، تعيش بدون إحساس..بدون وازع من ضميرأو دين..بدون وعي..تندفع بتهور وطيش لفعل ما يحلو لها..أكان ذلك الفعل يعود عليها بمصلحة أو بنقمة..لا فرق..

أقدم من أقدم على جهد ونصب وتعب فلاح شقي هو وأسرته، لأكثر من أربعة أشهر في تهيئة الأرض وزرع وسقي وحماية زرعه، في أشد فصول البرد قسوة..نهاره وجزءا من ليله..وضع سنابل بره (القمح) في "أصرة" لدرسه.. سرى عليه من سرى في ليلة كالحة السواد وحرقه..عود ثقاب (كبريت) لا يساوي قيمة وجهد سنبلة من البر(القمح)..أصبح مجهود الأربعة أشهر مع مخاسيره ومعاناته، وما يؤمله فيه من زرعه رمادا في مهب الريح.. تتساءل لماذا؟.. من يكون قد فعلها.. ومن وراء هذه الفعلة الشنيعة..لم يفعلها فراعنة العهد البائد ولا شياطينه..جهد أسرة كبيرة..قوت فئة كثيرة.. نعمة من نعم المولى يتغذى بها الناس.. ما الذي غشي شباب البلدة..؟!

ويتكرر السؤال لماذا..؟

ولقد فوجئت برد أو تفسير وتأويل للفعلة تلك، أقبح من ذنب – كما يقال– ..قيل إن تبرير الحريق، لأن مجاميع من الطرف الآخر زف بوعل اقتنصه من الجبال في هذا الموقع.. في موقع الأصرة !!، وعندما يقال الطرف الآخر فهو الذي يتبادر إلى الذهن طرف سياسي أو عنصري وفق قراءة العمليات السابقة، ولم يكن لصاحب القمح المحروق – كما قيل لي– صلة بالسياسة الحزبية، ولا صلة بأي من التجمعات الأخرى، لكن الفعل ورد الفعل في هذه المرحلة أو الطور شمل الطبقتين بجميع أفرادها حسب التصنيف الاجتماعي للانتماء الطبقي.

مع أننا أكتفينا بشيء من سوءات المرحلة، ومآسيها وليس كل شيء، فقد أحدثت من جديد حزازات قاتمة في الأفئدة، وصرخات مليئة بالحقد، وإن الجراح في النفوس خلقت سلوكا شائنا في مجتمع البلدة.

سوءات بعضها من بعض، وبعضها أمض من بعض.. وكأن الزمن يعيد نفسه في كل مرحلة أو طور بنفس مواصفاته السيئة، والسلوك المشين، وربما بأقسى وأشد وإن تغيّرت الوجوه والأدوات والأحوال بمعايير عصرية.

٢٠- عود على بدء:

كانت البلدة شبه منعزلة عن التيارات السياسية والمذهبية الدينية، كأكثر البلدات في البلد، فالسياسة من شان السلطان والنخب المعروفة، إلا ما كان في الفترة الأخيرة من حكم السلطان التي سمح فيها للتنظيمات أو التجمعات الثقافية والسياسية، وبما لحقها فيما بعد من التنظيمات السرية، وفي عهد ما بعد حكم السلطان، وقيام الحكم الجمهوري، كانت السياسة للحزب الواحد وأعضائه، ومن انضوى تحت رأيته بمفهومه ونهجه.

أما من الناحية المذهبية الدينية، فلم يكن هناك أي مذهب آخر في البلدة خاصة، والبلد عامة إلامذهب الإمام الشافعي في الأقضية والعبادات والمعاملات، وإن استثني شيء من ذلك عن فقه الإمام الشافعي في مسألة من المسائل الفرعية فلا يختلف حولها اثنان من العامة أو الخاصة.

٢١- البلدة موطن سكانها:

وكما سبق في البحث أو القراءة، هناك إثارة النعرة أو النعرات الأخرى للطوائف المختلفة، فثمة إيقاظ كثير من المقولات الجارحة لسبب، ومن غير سبب، إلا الرجوع إلى مفاهيم ما كانت عليه تلك الطبقات في طور قديم، من أن

أبناء هذه الطبقة أو الأخرى من "المساكين" و"الضعفاء" قد تطاولوا على كل المواريث التي تصنفهم "كتيوس من نسل شياتهم"، وأن البلدة من "مثاويهم"، وأن لهم السلطة والسطوة فيها، وهي من أملاكهم مستولى عليها.

وهو ربما قول حق مقبول في زمن مضى، لكن مع قبوله في الماضي، رفضه في الحاضر بوقائع الماضي، فإن البلدة موطن ساكنيها، لا من اليوم، ولكن من الأمس البعيد الذي ادعى فيه من ادعى فيه السلطة والتملك والدفاع عنها بالقوة، وهو إدعاء لاينكر، لكن الذي لايذكر مع هذا الإدعاء، هي تضحيات المواطنين من أجل بلدتهم، فقد تحددت الأدوار في مجتمع البلدة، ولكل دوره الذي يؤديه، وفق مكانته الاجتماعية، والكل يسعى نحو هدف مشترك، تربطهم معا علاقة الانتماء لهذه البلدة، فمآثرهم موجودة، وآثارهم باقية، وإن تحكمت فيهم قوى الهيمنة في عصرها، فقد كانوا عماد تلك القوة، وسروجودها وبقائها في البلدة، فهم الذين أمدوا تلك القوة بقوتها وقوّتها ومنعتها، وهي التي حصنتهم في مساكنها وحصونها، وهي التي كستهم وسقتهم...و.."هم الذين يمثلون الطبقة العاملة والفلاحية في المجتمع التي يعتمد عليها إقتصاد البلاد وخدماته الأساسية"، كما يقول المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف[١٤٤]، وبدونهم ماكانوا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ناهيك عن بلدتهم، ولولاهم ماكانوا خطو خطوة بعيدة أو قريبة لصد هجمة أو شن غارة.

(١٤٤) المعلم عبد الحق صـ ٢٢٥.

هذا هو الواقع، وبما تحدثت عنه الوقائع، وأن شاب المواطن الأعزل الإستسلام والخنوع للقوة، فهو في الواقع قوة دافعة أعطت للقوي قوته.

كان للمؤثرات بعد مرحلة الوحدة خاصة، دور كبير في التباين والتناقض في السلوك والتصورات، وربما دور أكبر أيضا في نبش سوءات الماضي القريب والبعيد، وهناك أسباب قد اتى البحث أو القراءة عن بعضها والدوافع.

٢٢- السياسة والعناد:

وبما أن السياسة وتعاريجها وملتوياتها وفسادها وإفسادها وخبثها وتقلباتها، هي وراء أغلب هذه التحركات المريبة التي تدار من خارج البلدة، وهناك حقائق ووقائع ترغمنا على البوح بها.. بحسناتها وسيئاتها، لأن التجاهل لا يمحوها من الذاكرة ولا من الواقع، فالحسن هو الحسن جاء من هذه الجهة، أو من تلك الجهة، والقبيح هو القبيح جاء من هذه الجهة، أو من تلك الجهة، سواء اتفق مع رغبات من في البلدة أو لم يتفق، كرهه البعض، أو استحسنه، أو رضي به، فحاول من حاول أن يفرض ما استحسنه وارتضاه من رؤاه ومفاهيمه، سواء التي أعتقدها بتأثيرها أوبمؤثراتها الخارجية، وبالأسلوب الذي عن له أن يمارسه، وكانت الدوافع لفرض ما ارتأته يصب في قالب العناد، والعناد من الأمراض التي تصيب العقل فتجعل المعاند يفقد فكره وإنسانيته، وقد خلف العناد من التداعيات التي خلفتها مجمل الأحداث من الفريقين القطيعة والمقت والكراهية، فقد قاطع من قاطع رحمه من الرضاع، وجاره القريب، ومن له قرابة

وصداقة مميّزة، ومن له زمالة قوية وصحبة رضية، ورفض العامل الإستمرار في عمله الذي بدأه في بيت من لم تمسسه منه سوءة من كلمة، أو ضربة من هراوة، وانصرف عملاء الحوانيت عن الشراء ممن انتسب للفريق الآخر على قُدم المعاملة النظيفة بينهم، بل أنف البعض في الصلاة في المساجد التي يؤمها المعارض.

٢٣- محاولات الصلح:

ومع تكرار الأحداث، والتذمر منها، وكل حدث يأتي بحدث بعده، وبحدث أكبر مما قبله، تفاقمت الأحداث واشتدت، ونحت مناح عدة. وحاول من حاول وقفها وإنهاء سوء الفهم، وسوء القصد، فكان هناك أكثر من لقاء.

ومع تكرار اللقاءات والجلسات التي تنعقد، سواء بلجان خاصة من أبناء البلدة وعقالها، أو من قبل ولاة الأمر في المديرية وقادة الأحزاب، أو من قبل جهات أخرى همها الصلح بين أ بناء البلدة التي أضحت مضرب مثل سيء في علاقاتها الخاصة مع ساكنيها، وقد كانت مضرب المثل في تلاحمها وتآزرها في السابق، إلا أن هناك شيئا استكن في الأنفس، واختفى في ظواهر الأقوال في اللقاءات والمحادثات، وبرز واضحا في مسارات الصلح.. مسارات الصلح التي لم تنجح ولن تنجح، لأن التقليد والعصبية والعناد أزهر وأثمر، وتمددت الأغصان واستطالت، وشملت الكبير والصغير رجالا ونساء، دون أن يظهر رجل المرحلة الذي يؤتمر بأمره، وهو مما جعل المشاكل أكثر تفاقما، وأعصى حلا.

٢٤- مظاهر التقليد السلبي لحل المشاكل:

برز وهن الرجال في اللجان مع المداهنة السمجة التي تناولت المشكلة أو المشاكل في البلدة من قشرتها، أو من قشورها، ولم تتعمق لتصل إلى جذورها وأصولها، والواقع التي هي فيه، ومنه، والواقع الذي استلهمت منه الحلول، والأفكار والرؤى التي تبنت الفتنة ودعمتها.

وكانت حصيلة بعض الإجتماعات للجان المشكلة من كل طبقات مجتمع البلدة تقريبا هي الضوابط التي ارتأتها، بأن يعتبر كل واحد من الحاضرين لهذا اللقاء مسئول مسئولية كاملة أمام اللجنة الأهلية عن عائلته وأسرته وفخيذته.

اما الحاضرون فهي اللجنة المشكلة من كل طبقات وأطياف مجتمع البلدة.

وحتى نزيد الأمر إيضاحا، فقد كان واقع البلدة -قبل تقليد عوائد الوافد-، وعوائدها في تصنيف القادة أو المسئولين لمجتمع البلدة، فإن لطبقة القبائل مقدم طائلة، ومقدم قبيلة أو فخذ، وللحافة من القرار(الحضر) والمساكين "أبو". وهؤلاء القادة لهم حق التوقير والإحترام، واجابة الدعوة، والخنوع للأوامر من كافة رعايا كل طرف. وقد أشرنا-في هذه القراءة-إلى إلغاء سلطة المقادمة والأبوه في مرحلة سابقة، ولم تستأنف أي سلطة من قبل هؤلاء القادة بعد ذلك، وإن ظل هناك لقب من هذه الألقاب بتعيين الموروث للقب، أو بتعيين خاص لسد فراغ مهام أخرى، لكن لم تعد لهم سلطة على رعاياهم كالتي كانت لسلفهم، إنما هو أقرب للقب فخري للمناسبات الخاصة وحسب.

وحل محل المقدم والأبوة، عاقل الحارة في البلدة كموظف دولة-وقد أشرنا إلى مهامه-، لكن غياب هيبة الدولة، جزء من غياب الهيبة لموظفيها، وربما للإنتماء الحزبي أو الفئوي دور في سلبية موقف أو مواقف عاقل الحارة وتخاذله أمام المسئولية الأمنية المناط به، في كبح جماح تلك الأحداث المأساوية.

غير أن المستجد العام في البلدة، اقتداء بنهج مجتمعات الوافد، أن أصبح لكل قبيلة وأسرة "شيخ"، فالوافد لم يعرف "المقدم" في عوائده ولا "أبو الحافه"، وإن عرف عاقل الحارة فله سلطة تترجم قوة شخصيته وضعفها في مجتمعه.

احتفظت طبقة القبائل بموروث المقدم..مقدم الطائلة، أو رئيس الفخيذة كمسمى أو لقب فخري، وقد اختار غيرهم المشيخة، فشيخ قبيلة آل فلان، وشيخ قبيلة آل علان، وتم التنصيب على هذه التسمية، لكل قبيلة شيخ، اقتداء وتقليدا بنهج الوافد في الرتب أو التسميات، ولم تكن لهذه التسمية نصيب من رتب ومهام شيوخ الوافد في مجتمعه، ولا لما كان يمارسه مقدم القبيلة على رجال قبيلته، ولا أبو الحافة على رجال حافته، إنما هو مظهر من مظاهر التقليد السلبي للوافد لاغير، ومارس عاقل الحاره مهامه التي اختزلت مهام مقدم القبيلة وأبو الحافة في مرحلة من المراحل، ومهام منظمة لجان الدفاع الشعبي في المرحلة الأخيرة، ولكن بمواقف سلبية كانت من أسباب التدهورالحاصل في البلدة، مع أن عقال الحارة في الأحياء الأخرى تعاملوا مع المشاكل بإيجابية وحيادية بحكم وظيفتها الأمنية منذ البداية حيث وأدت المشاكل في مهدها.

والخطأ الذي عولت عليه بعض اللجان، بإعتبار أن كل شيخ من شيوخ القبائل تلك في البلدة مسئول مسئولية كاملة أمام اللجنه عن عائلته وعن فخيدته.

فالواقع الذي تناسوه أن الصفة التي اطلقت على هؤلاء الشيوخ، لم تكن بمدلولها وهيبتها وقوة نفوذها لمن قلدوهم..

وضوابط أخرى للجنة أهلية كونت نفسها للصلح بين أبناء البلدة، ومن ضمن الضوابط والعقوبات القطيعة..مقاطعة كل من لم يلتزم بتلك الضوابط، وتصل إلى مقاطعة الأب لابنه، والابن لوالده!.

ولجان أخرى حاولت الصلح، وشخصيات تدخلت وبادرت بمبادرات صلح للم مجتمع البلدة على ماكان عليه في سابق عهده.

وتمخضت كل اجتماعات المصالحة عن فشل لتحقيق المصالحة.. أي مصالحة..

ولأن " المصلح سيفه خوصه"، كما هو في مثلنا العامي، لم ينجح مصلح في مسعاه.

لماذا فشلت لجان الصلح:

من حق الباحث أن يسأل..لماذا..؟

وفي الواقع قد المحنا في البحث للرد على مثل هذه السؤال، فقد كانت العصبية سيّدة الموقف في كل اجتماع للمصالحة، سواء العصبية الحزبية أو المذهبية أو الفئوية، وهي إن التزمت بشيء في وقت الإجتماع من الضوابط أو الإلتزامات، استشعرت فيما بعد بهزيمتها في الإلتزام، أو تنازلها الذي لايليق بها، أو الرفض لها من قبل قادتها أو قاعدتها الظاهرة أو المخفية. وعدم وجود الرجل القوي الذي ينضوي تحت قيادته عشيرته أو رجال فخيذته، أو من عيّن للتحدث باسمهم، وغياب سلامة النية والقصد، في كثير من إجتماعات ومحاورات لجان الصلح.

والعصبية بحد ذاتها تعمي العقل، وتبعث الفتن، وهي وراء التهويل والمبالغة والتحريف للأحداث، خاصة بعد خروج المخرجات لحوارالمصالحة من أروقة الإجتماعات.

بقيت المشاكل مجمدة، حتى تلك التي قد تناولتها دوائر القضاء وغيرها، وإذا كانت السياسة وراء الأحداث أو بعض منها، فليس للسياسة ولا للسياسين معيار يقاس به، إلا المصلحة، والصراع على السلطة، وأيا كانت الشعارات، فإنما هي برواز للظهور، أو "طعم" لتصيّد المناصرين، فلم تبرز ممارسات الساسة أيا من الشعارت للواقع، فقد يمسي العدو صديقا، ويصبح الصديق عدوا، وأيا كانت هذه العداوة وشدتها، وحتى التآخي التي تتظاهر به القيادات مع بعضها البعض، يصبح في لحظة مباغتة، مجزرة دموية رهيبة.

فلا ثبات ولا استقرار ولا اطمئنان مطلقا لحدث جر قطيعة، أو مودة، من ورائه السياسة.

٢٥- التخوف من تداعيات الأحداث:

والخوف كل الخوف من أحداث ابتعثتها المذاهب، أو العنصرية، والتعصب لها، وهو الذي يخشى وإن لم يحصل، ولن يحصل-ان شاءالله-في هذه البلدة لأكثر من سبب.

لكن تداعيات الأحداث واستطالتها دون ردع لمن يملك الردع، فقد تتطورإلى ما لاتحمد عقباه بين طوائف البلدة.

مع هذا، ورغم الفشل ومرارته في الصلح، فإن للزمن دورته وصولته، وله في كل دورة وصولة نجاحات لحل المشاكل التي عجز أهلها عن حلها، فكانت حلوله المرحلية، سواء بفعل المستجدات التي تطرأ، أو بفعل الرجوع إلى قراءة الأحداث قراءة سليمة مجردة من العصبية الفئوية والتبعية والموالاة العمياء، أوبانكسار المؤثرات أمام التحديات الطارئة الجديدة.

ولا أمن ولا أمان للزمان، والدنيا دواره.

٢٦- ايجابيات المرحلة في عصر الوحدة:

لعل في القراءة السابقة شيئا من ايجابيات وشيئا من سلبيات المرحلة الحالية..مرحلة الوحدة، في الجمهورية اليمنية، والبلدة جزء من تلك المرحلة، في الإيجابيات والسلبيات.

ففي الواقع المنظور لا تجدي المقارنة بايجابيات مرحلة سابقة قبل الوحدة، بإيجابيات المرحلة الحالية بعد الوحدة، فالفرق شاسع جدا، فيما كان وما هو كائن.

فمن ايجابيات المرحلة تمدد العمران واستطال البنيان في كل المدن والقرى والخبوت ومثاوي البدو، وشق الطرقات وتوسعتها على مستوى الجمهورية، وتقاربت المدن والقرى، وتواصلت وأصبحت قريبة مع بعدها، وسلفتت الشوارع ورصفت الأزقه، وأنيرت القرى النائية بالكهرباء، إضافة إلى الإتصالات المحمولة والثابتة التي غزت أكثر المناطق، وحرية الصحافة، وتشكيل الأحزاب، والجمعيات الخيرية، وتأسيس الصناعات الوطنية، وبناء مقرات الدوائر الحكومية

في المدن، والمستشفيات والمستوصفات الخاصة، والوحدات الصحية في القرى النائية، والمساجد، ومدارس التعليم الأهلي، وإقامة الحواجز المائية ضد تدفق السيول، وربما نقول فلسان الحال أبين من لسان المقال، فالفرق يتعدى الحصر.

وربما نحدد الفرق في مفهوم السلطة والدولة والممارسة في المرحلتين، لعل في التحديد قراءة سليمة للتباين والإختلاف.

فدولة الجنوب تحت مظلة سلطة اليمن الجنوبي، أو اليمن الديمقراطي، كانت تختلف قياداتها وتحترب على الشعارات، وبرمجة وتنفيذ الأفكار والآراء السياسية والاقتصادية والإجتماعية، وكان هدفها وغايتها أن تبني الإنسان الجنوبي على وفق ما استلهمته من آراء لتلك المذاهب في إطار دولة النظام والقانون، سواء اتفق مع الموروث التاريخي والعقائدي لهذا الإنسان-المواطن- أو اختلف، بحيث أبقت نظام الدولة المدنية سواء الموروثة من الإستعمار أو من السلاطين، أو مما استجد من فهم أيديولوجي للدولة المدنية العصرية.

وهي في الوقت نفسه بأيديولجيتها تلك، كانت لها رؤية اقتصادية واجتماعية وثقافية، حجمت الإستثمار في حيز محدود من قطاع الدولة، وألغت الملكيات الخاصة، وأممت المصارف والشركات، والعقار، وخفضت الرواتب، فلم يتسع عمران في البلد، ولم تزدهر تجارة ولا صناعة للقطاع الخاص، ولم تظهر في سكان البلدة، ولا غيرها من البلدات ظاهرة رخاء أو ترف، أوتنوع ثقافي في ظل تحجيمه.

بعد الدمج أو الوحدة، أي في ظل الجمهورية اليمنية انطلقت الطاقات الكامنة في الجنوبيين وكان الرأسمال الوطني، سواء الداخلي أو الوافد من المهجر،

وانطلقت السواعد والعقول في القول الحر، والعمل الحر، وقد تهيأت الساحة بمراحلها لكل عمل بدون رقيب وحسيب، فكانت الإنطلاقة كل على شاكلته، فكان التنوع الثقافي، والإنتعاش الاقتصادي، والرخاء، وكان العمران الذي طال كل مدن الجنوب وبلداته، بما فيها البلدة بالطبع، وازدهرت التجارة والصناعة في القطاع الخاص، وكذا تنوعت ونمت جميع الحرف والمهن، وانكفأ القطاع العام، بل وانتهى.

فالإنجازات المادية والثقافية المنظورة لسكان البلدة، والبلدة كغيرها من البلدات وسكانها، في ظل الوحدة لايمكن مقارنتها بإنجازات ماقبل الوحدة في حيزها الضيق، ولا يمكن المقارنة بأي انجاز ثقافي أوعمراني أو معيشي أو اقتصادي قبل الوحدة، بما بعد الوحدة.

لكن..

سؤال يتردد في الذهن..من واقع المجتمع أو المجتمعات، أو السكان في ظل الوحدة.. هل حققت الوحدة لمجاميع سكان البلدة وغيرها من البلدات الأفضل..؟!

يتبادر الرد في الذهن للمنظور العام..بنعم.. لأن المقارنة أو المفاضلة لا تجدي في ظاهر المرحلتين أو العصرين..عصر ماقبل الوحدة وعصر الوحدة.

ولقد ألمحنا عن بعض عوامل الرخاء والإنتعاش، والإنجازات الأخرى في ظل الوحدة، لكن تلك الإنجازات أو بعضها نمت وتمددت بنقض كل القواعد المدنية والحضارية في دول ماقبل الوحدة.

فرغم وجود القوانين والأنظمة المسطرة في دواوين دوائر الدولة، التي ترعى حقوق المواطن العادي في موطنه، فإن غياب أمن المواطن، وعدالة الدولة للمواطن العادي في موطنه، كانت السوءة التي تجاوزت وتخطت كل سوءات المراحل السابقة قبل الوحدة، لأن العدل والأمن والأمان هي ضرورة من ضروريات حياة المواطن، لا يعادلها رخاء، ولا يوافقهما نماء.

في ظل الوحدة..أضحت المناصب..بعض المناصب حكرا على أسر معينة، أو ولاءات خاصة..أضحت الرشوة عند بعض المسئولين والموظفين حقا من حقوق المسئولية والتوظيف..أضحت وسائل الأمن.. رجال الأمن لايستجيبون لصرخة المستغيث إلا بالمعلوم، وإن استجاب رجال الإطفاء لطلب من استغاثة حريق فإستجابتهم بثمن.

أصبح الموظف الذي لايكفيه مرتبه الوظيفي قيمة قات التخزين لأيام، دخولاته بعشرات الآلاف والمئات والملايين، دون أن يُسأل، ومن أين..

وكل ترف وسعة من عيش لامصدر لهما، إنما هو حق مضيع أو منهوب من ضعيف استكن للهيمنة، أو لفساد استشرى في الأنفس.

وللمقارنة أذكر موقفا قبل الوحدة..

شخص من أبناء البلدة، قد اتهم بسرقة وعوقب، وأخلي سبيله، رؤي في وقت آخر يتناول عشاء فاخرا – في حينه–، ومن بعده تناول مشروبا من البيرة، فكان الشك حول مدخوله، وهو العاطل عن العمل، أخذته مباحث الأمن، تسأله عن مدخوله الذي سمح له بعشاء فاخر مع شراب، مع أنه لم يتقدم أحد

بشكوى ضده، وكان رده أنه باع دما من دم جسمه لمريض في المستشفى، وتسأل المباحث المريض عن شراء دم من المتهم، ويخشى المريض من سؤال المباحث، فينكر شراءه دما من المتهم، وتسأل المباحث مسئول المختبر عن دم المريض من أين، فكان السجل مؤيدا لقول المتهم، وتسأل المريض عن المبلغ الذي تم دفعه، فكان المبلغ يكفي للعشاء، والشراب، وزيادة.

ومثل ذلك التحري في تلك المرحلة الكثير مع أصحاب السوابق، ومن لاسابقة له.

وهذا الإجراء وقائي، وإن اعتبرناه بمفهوم المرحلة تدخلا سافرا في خصوصيات المواطن، فإنه في الواقع للحفاظ على حقوق الدولة، وحق المواطن.

شكلت مرحلة الوحدة نقطة تحول في المفاهيم والقيم عند الكثير، فظلت القيم الوافدة فترة من الزمن مرفوضة نظريا، لكن العدوى انتشرت في مجاميع من سكان البلدة، والبلاد عامة، فأضحت بعد الرفض النظري وسيلة من وسائل التعايش والإرتزاق والعناد والتعصب، فكان الانحراف مصدرا من مصادر الإثراء، حيث اعتبر في هذه المرحلة بأنه"شطارة"، لغياب المساءلة والعقاب.

ومني الإنسان اليمني في هذه المرحلة بتشويه مزري في سلوكه، لغياب الدولة في مراقبة وسيرة مواطنيها، فأضحى مشتبها به في كل أنظمة الدول، فلا يقبل إلا بعد فحص وتمحيص لسوء السمعة، وأصبح في بلده خائفا.. هلعا.. وإن اغتنى واقتنى.. لا يدري من أين تأتيه رصاصة الغدر، ولا رصاصة القصد، ولا رصاصة العفو، بل ربما استبيح دمه، ونهب ماله، واستولى على أملاكه، دون

أن تحميه دولة، ولايعينه على استرداد الحق نظام ولا قانون، فالعرف القبلي والقوة القبلية المسلحة هي فوق السلطة وقانونها، على من ليس له رافد.

قيمة الإنسان في مرحلة الوحدة انحطت، فالمواطن يقتل، والقاتل يتمخطر ربما بزهو سمج، لأنه يمتلك القوة التي تفوق هشاشة الدولة، ناهيك عن غير القتل.

هي الدولة.. دولة بأسم بدون مسمى، لأن كل دولة من أوليات مهامها قبل كل مهمة أمن المواطن وأمانه وسلامته.

فالمقارنة لاتجدي، في كل الأحوال..

فإيجابياتها طمستها المساوىء والسلبيات، حيث أنهت الإنسان، كإنسان بمفاهيمه وقيمه، وشهامته ومروءته التي كان يفتخر ويزهو بها، لا بما انجز من حجر وسِلك ومدر.

الفصل الثالث

الحالة الاقتصادية والمعيشية في البلدة

١- **المهن والحرف.**

٢- **الصناعات اليدوية.**

٣- **الصناعات الحديثة.**

الحالة الاقتصادية والمعيشية

لم نستطع الحصول على مصدرما يعطينا بالتفصيل الحالة الاقتصادية والمعيشية تبين ما كان عليه سكان البلدة في تاريخها القديم، سواء كان هذا الموقع أو موقع غيره، خاصة أنها كانت مقر ولاة وسلاطين في مراحل من تاريخها.

لكن الذي نعتقده أن البلدة كانت خصبة بالمزروعات وثمارها، والخصب يعني عيش رغد ولو في حيّز محدود.

ومن المسلم به إنها جزء من الواقع العام الذي يعيشه الحضارمة في كل عصورها القديمة، والواقع العام للحضارمة أنهم:" لا ينفكون عن الحروب والمناوشات والغارات والأحلاف، فيما بين بعضهم ضد البعض الآخر، ولا تستقر الأحوال فيما بين حدودهم استقرارا كاملا."[١٤٥] .

وهو مما يعني أن اقتصادهم ومعيشتهم مجرد غارات منهم على الآخر أو عليهم، سواء كان جارا لهم أو غريبا عنهم، أوبعيدا عن منازلهم أو قريبا منها. وهي حالة لا يكون معها ثراء ولا استقرارا، ولا استمتاع بخصب أرضهم، اللهم إن كان ذلك بصورة مؤقتة، ومع الرؤساء وقادة الحرب فقط.

لكن مع هذا فقد يكون هناك مرحلة أو مراحل في عصور مختلفة يتم فيها الإستقرار، ويستتب فيها الأمن، ويسود فيها نظام، وتنتعش فيها حركة إقتصادية ومعيشية، لكن ليس لدينا مصدرللقراءة نعول عليه.

(١٤٥) الشاطري – ادوار التاريخ الحضرمي جـ١ صـ ٤١.

ونحن بصدد قراءة الحالة الاقتصادية والمعيشية للبلدة، وحيث لايوجد مصدر يعطينا صورة ما، يمكن أن نبني عليها تصورنا لاقتصادها، وحالة سكانها المعيشية، إلا أنها لاتتعدى المردود الزراعي، والذي بالكاد فيه الكفاف للسكان، أو البعض منهم.

يذكر الخطيب في جوهره: "وكان أهل حضرموت أهل ضنك في المعاش، وأهل نخل كثيرة، فلا يأتي أوان حملها بالرطب إلا وقد اشتدت حاجتهم إليه، لأنه ينال من ثمرها القوي والضعيف والغني والفقير، وأهلها وغير أهلها، والكثير منهم ليس له حيلة ولا حرفة، ولا مكتسب غير تمر النخل، يجمع منه ما جمع، فيبيع بعضه ويأخذ بثمنه طعاما وكساء، وغير ذلك مما يحتاج إليه، ويأكل بعضه تمرا"(١٤٦).

وهو مما نستدل به على أن حالة الضنك في العيش لا يمكن في هذه الحالة أن يكون لها اقتصاد يعول عليه في التنمية.

وهذه الحالة استمرت كواقع للبلدة تقريبا حتى عصر المعلم عبد الحق، " فالصورة التي كان عليها المجتمع الحضرمي هو مجتمع مجزأ إلى طبقات كل واحدة منها تحاول جهدها إستغلال الأخرى، والاستعلاء عليها." (١٤٧) .

وهذه التجزئة لا يستقيم معها إقتصاد، ولا يستقر عيش فرد أو فئة في مجتمع تحكمه القوة بمفهومها العشائري.

(١٤٦) عبدالرحمن محمد الخطيب: الجوهر الشفاف جـ١ صـ ٩٥.

(١٤٧) بامطرف: المعلم عبد الحق صـ ١٩٥.

لكن على قول الأستاذ بامطرف:" الحديث عن شيء اسمه الحالة الاقتصادية في عهد المعلم سيكون حديثا فيه تجوز ومبالغة ومجافاة للواقع، لكن الحقيقة أنه كانت هناك معيشة أقرب إلى الضيق والشدة منه إلى السعة والميسرة."[١٤٨] .

وكجزء من المجتمع الحضرمي، امتهن الكثير من سكان البلدة حرفا ومهنا وصناعة ما يحتاجون إليه في حياتهم المعيشية، بل وتفي بكل متطلبات مجتمعهم أو بالجزء الأكبر منه، هي صناعات بدائية تعتمد في أغلبها على العمل اليدوي وطاقة الإنسان وعضلاته في ممارسة المهنة، ، سواء كان ذلك بخبرة الصناع وإبداعاتهم وابتكاراتهم، أو توارثها الأ بناء عن الآباء، أو بنقلها من مجتمعات أخرى وتطويرها على وفق متطلبات الواقع المعاش في حاضرتهم. فمن هذه المهن والحرف: التجارة، والزراعة، والعماله، والجماله، والبقارة وغيرها. ومن الصناعات، صناعة الفخار، والنوره، والنجاره، والحداده، وصناعة الخوص، والدباغة وغيرها.

(١٤٨) بامطرف: المعلم عبد الحق صـ ٢٢٦.

أولاً - المهن والحرف السائدة في البلدة

١- مهنة التجارة:

كانت التجارة في البلدة في عهدها القريب محصورة في أسرتين أو ثلاث، وهم من آل بامؤمن، وآل الزبيدي، وآل بشير، وكان يأتيها التموين- أو يأتي للبعض منهم- من الشحرعلى ظهور الجمال، وهي الوسيلة الوحيدة للنقل في حينها، ولم نذكر غير آل بشير التي تأتيهم المؤن محملة على الجمال من الساحل، ويقال للجِمال المحمّلة بالبضائع: "القِطار"، وتستلم البضاعة بوزنها، وتباع بالجملة أو التفرقة، أما الجملة فهو الكيس الرزأو الكيس السكر وغيرها من المواد الأخرى، حيث تتم التعبئة في الشحر لتتناسب مع حملة الجِمال، واستبدلت الجمال فيما بعد - كوسيلة نقل- بالسيارات، وتقلص وارد التجار من الساحل وانتهى، بالنسبة لتجار البلدة، علما بأنه زاول التجارة الداخلية المتواضعة، من كل شرائح المجتمع تقريبا، امتهنها البعض لفترة معينة طالت أو قصرت، وتناوبها الكثير بمحدودية رأس مالها، فكان تجار البلدة- مجازا- يتسوقون من سوق تريم، وهم يعتدون بأصابع اليد، يشترون بضائعهم ليبيعوها في البلدة، إما بالنقد أو بالمقايضة، أو بالدين إلى حين يتم الحصاد مع بعض المزارعين، أما المقايضة فمثلا السكر أو "اللخم" بطعام الذرة، أو البر، أو التمر، أو غيره من المحاصيل الزراعية الأخرى، بل وبنوى التمر أو بالدوم(النبق)، أو الحطب، وكانت مشتريات السكان على بساطتها اليومية، فهي أوقية وربما نص أوقية

شاي، ونص رطل سكر، ورطل رز ليوم الجمعة، وربما أقل، وأوقية سمن، وقس على هذا بقية البضائع المحصورة في الضروريات، أما الكماليات فهي السلعة النادرة لندرة المشترين لها، ولهذا كان التاجر- تجاوزا- صاحب الدكان يتسوق من سوق تريم بفراسله من السكر أو أقل، وفراسله[١٤٩] رز، ورطلين شاي، وأغلب أصحاب الدكاكين بمراكيبهم من الحمير، يشحن "خُرج" الحمار ببضائعه المتنوعة، ويعتلي ظهره راكبا، ويصل إلى دكانه مزهوا بتجارته، والبعض يجد من يحمل بضاعته على رأسه.

وربما يتم تسويق الرطل الشاي- مثلا- في اسبوعين أو أقل قليلا، أو أكثر، وكذا الفراسلة الأرز والسكر.

كانت العملة النقدية شبه معدومة، لا تتداولها الأيادي الحرفية إلا في النادر، فقد كان أصحاب الحِرف من النجارين والإسكافيين (الدبغ) والحدادين وغيرهم، أجورهم وتصنيعهم للمزارعين من محاصيل زراعتهم، فالسكان أغلبهم فلاحون.. كانت هذه تجارة البلدة في مرحلة من مراحلها.. مرحلة ما بعد المجاعة، ومع رخص البضاعة وتوفرها، ودفع عليها (مكسين) رسومين جمركية، لسلطنة القعيطي وسلطنة الكثيري، لكن العملة النقدية معدومة أو شبه معدومة مع هؤلاء الحرفيين، ولعل ما يميّز هذه المدة الزمنية، أن الكل، وأقصد كل الشرائح الطبقية في البلد من سادة ومشايخ وقبائل ومهنيين ومساكين تساووا في القل، أو

(١٤٩) الفراسله: عشرين رطل.

بالأحرى في الفقر، فلا أصحاب المهاجر صلحت أحوالهم، ولا من بقي في البلد انتعش من سبيل آخر، والقلة الميسورة في البلدة التي ربما نجحت في مهجرها ليست قاعدة.

في خمسينيات القرن الميلادي الماضي تحسن السوق نسبيا بدخل من مردود الهجرة إلى عدن خاصة، وهوسبب من أسباب الإنتعاش النسبي للبلدة والبلاد عامة.

في نهاية ستينيات القرن الميلادي الماضي ساهم بعض من العمال والفلاحين وغيرهم بتأسيس دكان تعاوني، تم الإكتتاب فيه بقيمة السهم حينها خمسة دينار (حوالي خمسة عشردولار)، فافتتح وباشر العمل فيه من أبناء العمال والفلاحين، اقتداء بغيرهم من أبناء مناطق مجاورة من تعاونيات إنتاجية واستهلاكية أخرى، كأول تجربة في البلدة، وكانت بضائعه كبقية البضائع في الدكاكين التي في البلدة، بوتيرة واحدة، إلا انها اضحت تلبي طلبات سكان البلدة في حاضرها، غير تلك التي تم وصفها في مرحلة سابقة.

وادمج الدكان -التعاوني- في مرحلة الثورة الديمقراطية في بداية السبعينيات من القرن الميلادي الماضي للتعاونية الزراعية بقرار سياسي، وبقرار سياسي آخر في فترة لاحقة، تم فصله من التعاونية الزراعية ليضم إلى التعاونية الإستهلاكية.

وفي السبعينيات من القرن الماضي كانت التجارة الخارجية حكرا للقطاع العام، والتجارة الداخلية للتعاونيات الإستهلاكية، والسمكية، والزراعية، إلا أن أصحاب الدكاكين الخاصة يتم تموين دكاكينهم من قبل شركة التجارة

الداخلية، أو من مكاتب ادارة التجارة والتموين وفق نظام ولوائح وتسعيرة معروفة.

وفي هذه المرحلة وبعدها اختفت كثير من السلع الإستهلاكية والكمالية، وأضحت الطوابير على المواد الإستهلاكية والكمالية أمام التعاونيات مبرمجة.. برنامج يوم للطماطم، ويوم للبهارات، ويوم للأدوات المنزلية، و...هكذا.

واستفحلت السوق السوداء، وكان عتاولتها من الموظفين والسماسرة والمغامرين، وهي وإن كانت متخفية في البدء، فقد برزت في زمنها الأخيرمن تلك المرحلة، بوضوح وإشهار خاص وأضحى السوق- السوق السوداء- أسواق..سوق مواد شركة التجارة الداخلية..سوق مواد التعاونية الإستهلاكية المستوردة من قبل القطاع الخاص، سوق "الشنطة" للمغتربين بالقرار الجمركي- ببضائعها الأجنبية الصنع، وسوق لبعض البضائع الكمالية المصدرة من دول الخليج إلى محافظة المهرة، والتي تصل إلى المدينة والبلدة مهربة من الغيظة، أو من سيحوت، وغيرها، وأصبحت البضائع تلك..بضائع ومواد السوق السوداء تسوّق في الخفاء العلني وزبائنها من كل الشرائح تقريبا.

لكن متاجر القطاع الخاص تم تمويلهم من شركة التجارة الداخلية، ببرمجة أسبوعية وشهرية لمواد شركة التجارة، وقد تخطت مشترياتهم، وتسويقها المراحل السابقة.

بعد الوحدة، و الإنفتاح العام، وتحرير التجارة، أو حرية السوق، انتعش سوق البلدة، حيث أصبح في الوقت الحاضر أكثر من خمسين متجرا بتخصصات

متنوعة، مع إختلاف حجم تعاملها، وتأسس – في الوقت الحالي- دكان تعاوني مساهم له ثلاث فروع في البلدة، ولم يعد في البلدة من يطلب طلباته بالأوقية أو الرطل ولا بالفراسلة. إنما أصبح التعامل بالكيس الكامل أو المعبأ، والكرتون، والصفيحة أو الدبة في الأغلب.

ومن سكان البلدة من افتتح متجره في المدينة بتخصصات متنوعه بدءا من الكهربائيات، والمواد المنزلية، مرورا بالبهارات، وإطارات النظارات، وانتهاء بالسيارات، وقطع غيار السيارات المشلحة والجديدة وغيرها.

٢- مهنة الزراعة:

"الزراعة من أهم الحرف التي عرفها الإنسان وأقدمها، وذلك لأنها تسد حاجة طبيعية لدى الإنسان، فهي أهم المصادر الأساسية يتم عن طريقها تأمين الغذاء للإنسان- وللحيوان-، كما أنه عن طريقها يتم توفيربعض الحاجات اللازمة للإنسان في صناعات أخرى ضرورية تعتمد في خاماتها الأولية على الزراعة."[١٥٠] .

وغني عن التعريف أن البلدة(دمون) تعتمد على الزراعة- كغيرها من مدن وقرى الوادي- فمنها أقواتها ومساكنها ولبسها.

أما آلية الزراعة فهي السناوة، وهو استخراج الماء من البئر بالنزح، وسيأتي التفصيل لاحقا، وكان الإعتماد على هطول الأمطار وتدفق السيول من الشعاب والمرتفعات الجبلية المحاذية للبلدة، وقد أعدت المجاري والسواقي والسوام والسدود، لسقي الجروب والمزارع المحيطة بها.

(١٥٠) ا.د. عبد العزيز إبراهيم العمري: رسول الله خاتم النبيين صـ ٥١٤.

ويذكر السيد عمربن أحمد المشهور:" أن الشيخين عبد الله وعلي ابني أبي بكر السكران الذين نسب لهما وادي دمون!!، قد أقاما سدا أي موزعا في أثناء الوادي، يوزع ماءه في خمس سواقي، ورتب ماءه في تلك السواقي على نظام وهندام، بحيث يجري ماء الوادي من السيول بأستيعاب جميع الأراضي المعمورة بالنخيل والزراعة، وبصورة لا يبقى معها تغيير معالم الزراعة، وتروى بواسطته جميع الأراضي البيضاء التي لا تزرع في أي موسم. وقام بتجديد عمارة – السد– ذلك السيّد الحبيب الفاضل علي بن شيخ بن شهاب الدين، ويسمى ذلك السد الآن (مضلعة علي بن شيخ)" [١٥١]، والمضلعة أو السد ما زال أكثره بارزا في موقعه، وهو على محاذاة الوجهة الشمالية من بيت أولاد سعد سعيد بن حيمد سعد في شحرة آل عقيل المعروفة(في الناحية الشرقية منها)، وينتهي إلى بيت عبد الله سليمان الزبيدي في منطقة المشروخه(من الناحية الشمالية).

وقد بقيت بعض من آثار سدود وضمر التي كانت في السابق في البلدة، لكنها الآن بعد أن غمرت الأراضي البيضاء المساكن وأزيلت السواقي، وتم مسح كثير من الجروب، اختفت الكثير من آثارها.

في وقت المعلم عبد الحق أهملت بعض السدود والسواقي مما أدى إلى تخريب البعض، حيث جاءت السيول ولم تسق بعض الحقول التي تعتاد السقي بسبب خرابها، والسيول– كما يقول المعلم– هي الرحمة المهداة، وهي عند العرب–

(١٥١) المشهور: بغية من تمنى صـ١٠.

سكان المنطقة- فرحة، وعند أهل الشرايا[١٥٢]فرحتين، لأن الأسعار ترخى (ترخص) ولا ترخيها (ترخصها) شحنات السواعي[١٥٣] يقول المعلم:

في آخر الصيف انزل الرحمة وطمست كل عين

بودي فتك وادي العويجا ليتنا فوق الصحين

باشوف تنذيق الغوارب والقدم لي قد بدين

وشوف بالعين الجروب الغُبر ساعة يمتلين

عند العرب فرحة وعند أهل الشرايا فرحتين

ويؤكد المعلم:

لاسعار ما ترخى من اطعام السواعي لي يجين

وبعد أن يذكر وادي عدم وسقيه للخلق وبايفتكن أوديته يقول:

وعندنا دمون شربت حال ما أغفت كل عين

من روسها جاء سيل طامي ثرة[١٥٤]حوّل مرتين

ناديت قلت السيل اينه قده ياصحابي فين

قالوا تكا في الجانب النجدي وصل حصن "الدكين"

سقى جروب "الكاف" و"المحرث" وقع له شرب زين

لولا وقعن اقطاب يشربن المحارث لي بقين

"والحار" بايشرب و"باجحدب" ويشرب "باحسين"[١٥٥]

(١٥٢) الشرايا: يقصد مشتري البضاعة

(١٥٣) السفن الشراعية

(١٥٤) غزير الماء

(١٥٥) الحار وباجحدب وباحسين: آبار بأراضيها الزراعية جنوب البلدة.

ويدعوا المعلم شباب دمون القادرين على العمل من حضري وقبيلي إلى العمل التعاوني لسد الخلل والضرر الذي لحق بالسواقي والسدود، ولو عطوه الشورلكان منه شور زين:

مئتين لي في الشعب حضري والقبائل مئتين

"لبا مطا" خمسين تندر منهم أولادي ثنين

أنا علي بادرج عليهم كل ساعة درجتين

ومثلهم خمسين للسوم المسمى بن "طنين"

كذا السوم "المرصد" أكثر للغوارب لي تكين(١٥٦).

هكذا كان رخاء وقتهم بخصب أرضهم، من السيول التي تتدفق وتروي الأرض الزراعية، وبمحصول وفير، سواء من أنواع الطعام(الموسم والقمح) وغيره مثل السمسم والبقوليات، كالدجر، وبعض الفواكه كالبطيخ والفقوز، بلا عناء السناوة ومعاناتها. والذي تتطلبه "الجروب" المروية من السيول هي عِمالة(تشقيق الأرض) شقا غير عميق مع ذري البذور أثناء الشق ومن ثم مواراتها بالتراب، أو بعملية "الوكب"، وهو بحث حفرة بالمسحاة ووضع البذورفيها، دون سقي آخر.

وسكان دمون..أغلبهم من الفلاحين، من طبقة المساكين، أو من سموا بالضعفاء، وفي الواقع هم عصب السكان، وهم عماد حياتهم، إذ بسواعدهم

(١٥٦) المعلم: ديوان الوقائع صـ ٩٣.

وبهممهم ينتجون أقوات الناس، ومواد ملبسهم- في تلك الفترة- ومواد مساكنهم أيضا. وبما انهم عماد المجتمع وسقفه يقول المؤرخ السيّد محمد أحمد الشاطري واصفا حالة حضرموت في فترة من فترات مراحلها:" وعندهم -أي سكان حضرموت- ما يكفيهم في عماد حياتهم ومعيشتهم من ناحية المطعم والملبس والمسكن وغيرها من الضروريات، وحتى الكماليات، ونجد الأواني و الأدوات المستعملة بينهم من الفخار والأخشاب والخوص أشكالا وأنواعا في مختلف الشئون المنزلية والزراعية والمعمارية، وبين الأوساط ذات البساطة المعيشية، وقل أن يجلبوا غيرها من الخارج، فهم يعتمدون على ما تنتجه أرضهم الطيبة من تمور متنوعة وأطعمة مختلفة، وثمار وخضار، ويعتمدون في ملابسهم على ما تنتجه المحاويك- آلات النسج التي تحول القطن الذي تنتجه أرضهم إلى نسيج ثم إلى أقمشة، وقد يصبغون البعض بواسطة النيلة التي تنبت في أرضهم بل ويصدرونها، كما يصدرون انواعا من نسيجهم إلى الخارج "[١٥٧].

فإن كان في هذا اكتفاء ذاتي تقريبا فإن نصيب الفلاح الجزء الأكبر، والأهم منه. ولعل أهم منتجات الأرض الزراعية..سواء المعتمدة على ري الأرض من السيول أو عن طريق المسنا- في السابق- هي الحبوب، مثل الذرة بأنواعها الثلاثة – صيف، وشتاء، وموسم، ودخيل آخر مثل الخِرمِع والبَتِّية وغيرها – والبر، والدخن، والدجر، والسمسم، والكنب، والمسيبلي، إضافة إلى الخضار

(١٥٧)الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي جـ٢ صـ ٦٣.

والفواكه مثل البطيخ والفقوز، والكوديس (الباباي)، والليم، والبصل، والثوم، والطماطم، والباذنجان، والحلبة، والبطاطس الحلوة، والقرع (الدبا) بأنواعه، والجزر، والبقل، والحمص، وغيرها من خضار معروفة.

كان فلاح البلدة ينتج ما أنتجه بعمل مضني في ري الأرض المزروعة بطريقة المسنا، وجني المحصول ودرسه، وهي طريقة بدائية مرهقة، وآليتها ووسائلها كثيرة ومتشعبة ومعقدة، ومردودها لا يكاد يفي بحاجته، وحاجة أسرته المشاركة في كل أعمال الزراعة، وبدون استثناء، رغم بساطة عيشه وبساطة متطلبات أسرته.

وآلية السناوه، أي استخراج الماء السطحي ونزحه من الآبار بواسطة "الغروب"(جمع غرب)..عملية بدائية لمرحلة أو طور لزمن معيّن، ولا يوجد هناك آلية بديلة –بأستثناء مياه الأمطار والسيول–، وطريقة المسنا:-

أولا يمهد المقود من الحجور[١٥٨]بإنحناءه إلى الفِجِه[١٥٩]، وفي جانبي المقود أو جانب واحد منه تحفر حفرة صغيرة يقال لها:"المرش" يوضع فيها الماء لرش المقود به، فترة بعد فترة، ثم تقام التشروعة فوق البئر، وقد تكون التشروعة مقامة على بناء من مدر وطين(عسله)، أو من أعمدة خشبية قوية وبين عمودي البناء أو الخشب، توضع خشبتين متقابلتين، يقال للفوقية "مَكسَر" وللتحتية "مَدحَق" في إنحناءة لتثبيت"الأنبُع"، وهما خشبتان- أيضا- يثبت فيهما "مَعجَل"، وعليه بكرة(عجلة) تدورعليه، وتثبث بنظرة هندسية متوازية مع

(١٥٨) أعلى المقود.

(١٥٩) أسفل المقود ونهايته.

طلوع الغرب من البئر في أمان ووصوله بدقة إلى فوق"المُقرّب"على شفا البئر(والمقرب من سعف نخيل متداخل يسمى"مَشطَب"، يستند الغرب إليه بعد نزوحه من البئر، وعند سعة أصحاب المسنا فقد تكون عجلتان أو ثلاث أو أربع، وللغرب الكبيرالأول يقال له غرب ثلاثة، وغالبا ما يكون نزحه من رجلين وحمار، والغرب الوسط، غالبا ما يكون غرب اثنين وهم من النساء، وأما"الأُوخَر"- هكذا تنطق(الثالث أوالأخير) فهو في الغالب يكون غربا كبيرا محمل اثنين رجلين وحمار.

تتم عملية النزح من البئر بغرب من جلد حيوان معالج، وذلك بتثبيت الحبل – السره – في خشبتين معالجتين على هيئة صليب في أعلى الغرب، يقال لها مشاريع، الفوقية منها منقوبة في وسطها العريض، وتسمى "مَخشَمَة"، والخشبة التي تليها من تحت سمحا وتسمى "مَصدَمة"، تربط المصدمة بحبل من ليف النخل قوي عبر الثقب في المخشمة لمرور الحبل المسمى "مَعرَق"، حيث يربط به "المُولِم" مابين"السرِه"(الحبل) والغرب، وتقيّد المشاريع بأطراف الغرب "بمَخِي" (حبل سميك من جريد النخل) يسمى قيد، والغرب المصنوع من جلد الحيوان، قد يكون غربا كبيرا أو صغيرا، من محمل اثنين ومحمل ثلاثة ومحمل أربعه، – كما سبق وأن أشرنا إليه- وفي آخر الحبل- السره- "مَربَطَه" للإنسان يضعها على إليته، و"غُرضَه" للحيوان في صدره، أما الحيوان فهو البقر أو الحمير، وقد تستخدم الجمال، ويبدأ إدلاء الغرب إلى قعر البئر من بداية المقود، ثم يجرها من في المقود، أكان إنسانا لوحده، أو مع الحيوان بالإنحدار إلى نهايته،

ويسمى نهاية المقود "الفجِه"، فإذا قارب الغرب" المقرّب"، وهو حافة الثارة على شفة البئر، شدوا حبل من نهاية المقود يقال له "موشَك"، مربوط "بلَغْبَه"، وهي عبارة عن عود كالعصا منحنية الطرف، لتفريغ الماء في "الثارة"[١٦٠]، والذي ينساب من أحد المخارج إلى العتم[١٦١]، الموصل لموقع "المطيرة" التي يراد سقيها، ويذلح(يصب) عبر"صَليف"، وهكذا تتم عملية الري للزراعة بمساحتها المتواضعة، وإذا تم ري المطيرة يربد "بسقيع"، وهو سد ترابي، وتوجيه الماء إلى موقع آخر، ويتواصل نزح الماء، فسعة الغرب ليست كبيرة فهي تتراوح بين صفيحتين أو ثلاث (تناك كيروسين مثلا)، وبما أن "العتوم" من الطين فهي تمتص من هذا الماء الشيء الكثير، خاصة إذا كانت حديثة عهد، لكن قبل وصول الماء إليها، أي "للمطيرة"، تخضع أولا لسماد الأرض المراد فلاحتها، والسماد عبارة عن عِذرة (غائط بني آدم) يجمعه الفلاح من مخارج بيوت الخلاء(الحمامات) في البيوت، أومن روث وبعر البهائم، بالمقايضة من مزروعاته كالبصل والثوم وغيره، ولكل فلاح عملائه من أصحاب البيوت، ويكوّم السماد بقدر معيّن في مواقع مختلفة في الأرض المقرر زراعتها، ثم ينثرها في الأرض، ثم يتم شق الأرض من قبل ثيران البقار، ومن ثم تقطع الأرض إلى عدة "مطر" تتحكم في العدد مساحة الأرض، ولكل مطيرة سوم ترابي صغير، يقال له "كظير" يفصل

(١٦٠) الثارة: جابية مستطيلة معمولة من الحجر والنورة، وقد يكون لها مخرج واحد للماء أو مخرجان باتجاهين مختلفين.

(١٦١) العتم: قنطرة أي ساقية مقوسة مكشوفة لتوزيع الماء.

كل مطيرة عن الأخرى، ويؤسس لكل مطيرة "عتم"، وتسوية ما شققه البقار قد تستخدم فيه "المسابيط" لتفتيت الكتل الطينية الكبيرة، ومن ثم تساوى "بالموسَك"، والموسك وهو عبارة عن لوح خشبي مدبب من أسفله وفي نهاية طرفه ملبّس بحديد، وقبيل أطراف جوانبه ثقبان أو حلقتان من حديد يربط في كل منهما حبل، واللوح موصول بممسك من خشب طويل في انحناءة خفيفة يمسكه رجل، وآخريمسك بالحبلين المتصلين في أطرافهما ويسحب الرجل بالحبل اللوح ويعينه الرجل الممسك بالعود بحركة منسجمة بين الإثنين لتسوية أرضية المطيرة.

أما إذا تعذر دوران الثيران في منطقة ضيقة وأريد زراعتها فلا سبيل إلى تهيئتها للزراعة إلا "بالتهجيز"، وهو شقها يدويا بالمسحاة، ثم "العِفِر" وهو وضع البذور في المطيرة ومن بعد تتم تسويتها وإخفائها.

وفي حالة "السبي" أي نقل شتلة أو فسيلة صغيرة من بعض المزروعات كالبصل- مثلا- فلا وسيلة لغرسها إلا "التهجيز" أي الحفر لكل فسيلة، فإن كانت الأرض رملية أو شبه رملية فبعد تقطيعها "مُطِر" يتم غرس الفسيلة، ومن بعد يتم سقيها مباشرة.

ووسائل مهنة الفلاح وآلياته إضافة إلى ما ذكر عن السناوة فهي المسحاة والملعب والشريم والفأس.

ويظل السناه في المقود من الصباح الباكر، ويقفون للراحة ولتناول الفطور، وترتاح "النشرة، "(الحيوانات)، ويعطى لها وقت الراحة شيئا مما تأكله، وتسقى بالماء، ومن ثم تعاود النزيح في المقود، حتى الظهيرة، وربما عاود البعض السناوه

إلى المساء، وذلك لأسباب خاصة، أو لزرع خاص، ويقسو الساني على الحيوان حينا بالضرب أو باللمز، ويحنو عليها طوال عملها وبعد عملها، وله معها كلمات من ترددها في المقود يعرف الحيوان ما يراد منه، فهو حين يفرغ الغرب ماءه في الثاره يلمز الحمار بقوله(هيا إندِر)، أو(اِنْشِر) أو (قوة عافاك الله)، وعند الصعود من المقود يقول:"أو..أو..أو..دي "(أي عودي أو اصعدي) أو يقول (طلع بارك الله فيك)، ويتلهى الساني بالدندنه في المقود بتناغم وانسجام مع حركة الطلوع (أرجَع) والنزول(إندِر)، وهي: (لما لياليي يا لما لياليي..إندر) ويترنم بشعر سعد السويني بعد الدندنه أو غيره مثل:

يا بنت عمي إن كان لش قليب عارف كيه ردي المفتوت هاتي يابس

سعد انجميره في الحجور جالس

(الحجور راس المقود)

أو:

الله يشفي كبدتي وتبرا باللحم والدبه وحضن عذرا

أو:

والعشـق خلانـا عبيـد مجـرود مثل الشخيره لا ورق ولا عـود

مـن شافنا غـــني يقـول سـالي سـالي ونـا مـا حـد درى بحـالي

ماحد درى مافي الكبـد رثـى لي سالـــي ونـا مـديـون للــرجالي

أو:

ريت الطبانه كلهم مواريد سبع سنين مايحملون قاليد

أو:

البر من تعفره وأنت مرتاب خايف من الحله وجمع لسباب

وفي مقود السناوه ترد عليه الزوجة حين يقول:

يا بنت عمي من هواش باموت

ترد عليه:

لي متِت بانلقي عليك تابوت

وهذه الدندنه أو الترنم بمثل هذه الأبيات بلحن خاص فيها التمطيط والتفخيم، يستروح السناة في المقود منها راحة نفسية، اذ تتخيّرمن الأبيات مايوافق إحساسها وشعورها في حالة السناوة، وتستحيب الحيوانات للنغم والدندنه، وتنسجم مع الصوت الشجي الذي يتسم بسرعة التحرك طلوعا ونزولا، وقد تطول الدندنة أو الترنم بتلك الأبيات وقد تقصر، وتشترك النساء، أو المرأة في المقود في ترديد النغم والترنم بما يوافق الحالة، ولعل في الترنم أيضا تناسي التعب من كثرة طلوع ونزول في منحن بثقله.

وقد يستأجر المزارع، السناه سواء كانوا رجالا أو نساء أو حيوانا، وأجرة الحيوان -الحمار- مثل أجرة الساني الرجل مع أكله وسقيه.

ومحصول زراعة السناه وفير، بالنسبة لمساحة الأرض المزروعة، ذكر لي الخال الشيخ أحمد بن مبارك باغوث، أنه في وقت من أوقات المواسم الزراعية سنا في إحدى الآبار بغرب واحد، وزرع من ضمن ما زرع في "المعادي" و"العتوم" وهي القنطرة الكبيرة التي ينساب في وسطها الماء إلى الأماكن المراد

ريها شجرة الغُلفق (الحمص) وهي من فصيلة البقوليات تزرع وتستخدم قرونها العريضة كخضار للأكل، ويستخدم بعد نضجها وتجفيفها ما بداخلها من حبوب يقال لها "حمص". وهي شجرة معروفة في البلدة بأسمها، وقد حصد منها اثني عشر قهاولا، من حب الحمص بعد أن جني من ثمرها الطازج لبيته ولجيرانه الشيء الكثير، وعندما رأى وفرة الإنتاج، سأل عالما في حوطة الغويضة: هل تجب عليها الزكاة؟، فأفتى إن كانت مما يتغذى به ففيه زكاه..هكذا قال لي، وهو رحمه الله يتحدى مزارع الآبار الإرتوازية في الوقت الراهن أن يكون لها مثل هذا المحصول، مهما زرعوا من أشجاره السابحة. ولعل لوفرة المحصول أسبابا من أهمها حسب اعتقادنا: تربة الأرض التي لم ترهقها الزراعات، وسمادها الطبيعي الذي هو خرء الإنسان، وروث الحيوان في الغالب، وريها الذي يأتيها برتابة المتروي، ولعل هناك أسبابا أخرى يعرفها المختصون، وأسباب هي في فهم الأقدمين أنهم – رغم فقرهم- يخرجون زكاة زرعهم يوم حصاده، فلا يدخل المحصول بيت احدهم إلا بعد أن أخرج ما عليه من زكاة شرعية، إضافة إلى الصدقات التي تعطى للسائل والواقف عليهم يوم الحصاد.

ولا تسلم بعض الزراعات من الآفات الزراعية، أكانت الفطريات مثل الحَمَار "والحلّه" للبر، والرّباب(دود) للذرة، ويحاربونه بالتدخين خاصة في الشتاء، وبعض الخضار كالضدح لها فطريات يقال لها (سِرِو) وهذه تتم محاربتها بسائل أبيض من شجرة العِشَرْ، يوضع في الماء الذي يسقي زراعتها فيقتل الجرثومه. وللطيور استحدثوا في نواحي الأرض المزروعة "الفزّاعه "، والفزاعه

معروفة، وهي عبارة عن شكل إنسان بملبسه ليخيف الطيور، أو مد حبل فوق الزراعة وعلق عليه قصاعا بداخلها حصى صغيرة إذا حركها الحارس تمايلت وأحدثت صوتا مزعجا، وأخافت الطيور، واستعمال "النضف"، والنضف (مقلاع) عبارة عن حبل مفتول تتوسطه عقدة "كالقلادة" توضع في العقدة رمية من حجر أو غيره، يدور به الرامي دورات في الهواء ثم يقذف بها بقوة، بفك أحد أطراف الحبل الذي دق، ويبقى الطرف الثاني بيده، فيرمي بالرمية برنة تشبه إلى حد ما رنة البندقية.

الجراد، وهو من آفات واتلاف الزراعة، فهو قد يأتي بأعداد هائلة تحجب الشمس، كالغيم، وأذكر ونحن طلبة في مدرسة الأخوة بتريم، عند توجهنا صباحا إلى المدرسة ونخل بئر "باجحدب"- على طريقنا- وما حوإليها بكامل سعفها والخوص، وعند عودتنا من المدرسة نرى النخل وقد برى الجراد الخوص من أكثر السعف، وترك الأقصام جرداء من خوصها، ولعل ما شاهدناه حينها أقل أو مثل مما شاهده المعلم عبد الحق في زمنه، والجراد آفة لا يملك المزارع آلية لطرده، وإن كان الناس تجني منه الكثير، ويتخذونه إداما للقوت، أو اعتباره قوتا أيضا، وفي المثل عندنا يقال: "الجراد يرخص اللحم". وهو كما يصف الجراد نفسه على لسان المعلم عبد الحق:

قسيم في الرزق الذي قد قال رب العالمين

في سورة الزخرف سمعنا قول خير القائلين

نحن قسمنا بينهم دائم معيشتهم بلين.

ويصف المعلم ما شاهده من الجراد بقوله:

احلف يمين ادخل بها قبري يمينا في يمين

أن لا بدا شاهدت مثله والخلائق شاهدين

فقلت يا هذا الجراد اللي خلقك الله من طين

خلاف ما نعتاد لونك ما يسر الناظرين

اسود إلى الحمرة تجلى الله خير الخالقين

إلى أن يقول:

لا حل لك لا طاب ريقك كلت قوت المسلمين

يسنون له في الليل دايم كل ليله ساهرين

تلفوا وتعبوا في محارثهم ولاهم عالمين

إلى أن يقول:

يجنون منك ما بدا والله رجعوا خائبين

وحملوا منك الركائب غيرهم حاملين

أملوا منازلهم ترى منك المنازل في حنين[١٦٢].

وهناك آفات أخرى لبعض الزراعة معروفة من أثر تقلبات الطقس أو غيرها، لكننا نكتفي بما أوردناه عن الآفات القديمة ومقاومتها.

ورغم الجهد المبذول فإن حالة وعيشة المزارع ضنكه، فإن اتخذ من الجراد إداما أو قوتا، فقد اتخذ من صغار السمك (الوزيف) والعيد إداما أيضا، وذلك

(١٦٢) المعلم: ديوان الوقائع صـ٦٦.

بسحق الوزيف مع شيء من البهارات ويمرر به أكله من الخبز الجاف أو التمر، وكذا "العيد"(الساردين) المجفف يقشره ويأكله، مع أن هذا النوع من السمك (العيد) المجفف يتخذ في الساحل علفا للحيوانات، وسمادا للزراعة.

وآبار المسنا التي كانت الوسيلة الوحيدة الثابتة للزراعة، تتم بحفر يدوي حتى الوصول إلى الماء السطحي وهو يتراوح بين عمق يصل إلى ١٢- ١٤ متر تقريبا، ومحيط البئر في حدود ٣-٤ متر تقريبا، ويتم ظفر البئر بالأحجار بشكل هندسي بتماسك قوي دون أي تدخل من مواد أخرى في الأغلب، والظفر تثبيت الأحجار في جوانب البئر لحفظها من الانهيار والتآكل، وكل الآبار يتم ظفرها سواء للزراعة أو للمساجد، أو للاستقاء في البيوت.

آبار البلدة:

وآبار المسنا للزراعة على كثرتها في البلدة، تعذر حصرها، وهي قريبة من بعض، وبمحدودية أرضية زراعتها، تجسد صورة أو شكل من أشكال حياة ومعاناة سكان البلدة في وقت من الأوقات، إذ تبرر الكثرة من الآبار ومحدودية أرضها، أن كل من لم يجد وسيلة للعيش في موقع آخر، أو ركود لمنتج المهنة التي يمتهنها، زرع في بئرمن الآبارالتي يمتلكها أثرياء المدينة والبلدة، أو وقفا للمساجد وغيرها، بحصة معلومة معروفة لصاحب البئر والأرض، وهو التخابر أو المساقاة وغيرها، وربما زرع من زرع في بئر لفصل أو فصلين أي لصرع أو صرعين، وهو مما يعني صرع الصيف أو صرع الشتاء والبر، ولهذا نجد أن من امتهن الزراعة في وقت من الأوقات أغلب الشرائح الاجتماعية من ذوي

المهن الأخرى لمدة معينة، وربما تكررت في أوقات متعددة في سنوات الشدة، بل وفي بعض الآبار مقودين مقود في الجهة الغربية - مثلا- ومقود في الجهة الشرقية، مما يعني أن لكل مقود فلاح يزرع في جهته تربط بينهم البئر بمائها وباتفاق على مواعيد النزح.

والكثير من الآبار بقي اسمها على الأرض التي كانت تزرع، وطمست البئر ولم يعد لها أثر لأكثرمن سبب، وربما أبرز الأسباب أنه بعد وجود المكنات الزراعية، استحوذت المكينة الواحدة على أراضي أكثر من عشر آبار، وفي وقت متأخر كانت أراضي بعض الآبار خططت مساكن تم البناء عليها، خاصة تلك التي لم يعد فيها شيء من الأشجار المعمرة، وفي الوقت الحاضرأضحى التمدد للمساكن في أراضي الآبار بعد قتل الأشجار المعمرة كالنخيل والعلوب وغيرها.

ولقد صعب علي وعلى ذوي المعرفة ممن لجأت إليهم لمعرفة الآبار في البلدة وتحديد مواقع وحدود الكثير منها، وذلك للتداخل الحاصل لأراضي الآبار، ومحو آثار الكثير منها، مما جعلني أكتفي بمسمى البئر دون تحديد الموقع، ومع اعتقاد من سألت من عقال المزارعين وذوي الخبرة والمعرفة بأصحاب الآبار، إذ يؤكدون أن هناك آبارا غير ما ذكرت نسي اسمها، وإن بقيت أرضها تزرع مع غيرها، وربما اتخذت لها اسم جارتها، أو استحدثت لجزء منها اسم من مالكها الجديد.

وما اثبتناه من ذكر لأسماء بعض الآبار في البلدة ليس بالقليل، ونكتفي به من حيث الدلالة على أن البلدة.. بلدة زراعية، وبالترتيب الهجائي نذكر الآبار بمسمياتها، سواء التي مازالت تزرع أرضها، أو التي أضحت مساكن أو منشئات أخرى:

١	الأربعة	٢٣	بدريه	٤٥	الركن	٦٧	آل عميره	٨٩	المسيله
٢	البركة	٢٤	بقار	٤٦	الزار	٦٨	عواضه	٩٠	مشهوره
٣	اسماعيل	٢٥	ثعالب/ ١	٤٧	سريعي	٦٩	عيدروس	٩١	مشيخ
٤	أسباع	٢٦	ثعالب/ ٢	٤٨	سلوم	٧٠	عيديد	٩٢	معتبره
٥	آل حامد	٢٧	الجبليه/ ١	٤٩	سليط	٧١	فرج	٩٣	مقيبره
٧	باحسين	٢٩	الجدار	٥١	شجانع	٧٣	قابوسه	٩٤	منوره
٨	باحلي	٣٠	جيجور	٥٢	الشجره	٧٤	القبه	٩٥	ميسره
٩	باجحدب	٣١	الحار	٥٣	شريح	٧٥	القراه	٩٦	نعمانه
١٠	بالحجة	٣٢	حداده	٥٤	شهابه	٧٦	قصيبه	٩٧	نعيمة الله
١١	باجمعان	٣٣	الشيخ حسن	٥٥	طاهر	٧٧	قلوعات	٩٨	نميريه
١٢	بادخين	٣٤	الحصان	٥٦	طيرطانه	٧٨	قيرقاس	٩٩	وشيحه
١٣	بارقبة	٣٥	الحلو	٥٧	طيبات	٧٩	كليب	١٠٠	الوقف
١٤	باسعفه	٣٦	الحمير	٥٨	عبد الله	٨٠	الكوت	١٠١	وهطه
١٥	باشامخة	٣٧	خديجوانه	٥٩	عبيدالله	٨١	لثلله/ ١		
١٦	باشميله	٣٨	الخزب	٦٠	العرقديه	٨٢	لثله/ ٢		
١٧	باصاع	٣٩	الخلص	٦١	عروه	٨٣	لثيل		
١٨	باظفاري	٤٠	الخلاعه	٦٢	عظم	٨٤	الليمه		
١٩	باقوي	٤١	دحيمانه	٦٣	العلب	٨٥	مبارك سالم		
٢٠	بامطا	٤٢	الدوشه	٦٤	علي بن أحمد	٨٦	محمد		
٢١	بن شرف	٤٣	الدكين	٦٥	علي موسى	٨٧	محمد عمر		
٢٢	بن عبدالله	٤٤	الديه	٦٦	عمر	٨٨	مرتعية		

كانت الزراعة ومصدرها آبار المسنا، وكانت أراضي بيضاء أو (جروب) وهي التي تسقى غالبا بمياه السيول، وهو ما نعتبره في مصطلحنا الوادي.. وادي دمون، يغطي جزءا من مساحاته الشجرة المعمرة "العلب"..شجرة السدر، حيث تتحمل الجفاف فترة طويلة، وتتحمل الظروف البيئية القاسية جدا، وحيث تمتد جذورها إلى الأعماق، وهي شجرة ظِل يستظل بظلها الرعاة، والمزارعين والمسافرين في رحلات المشي على الأقدام، أو الحيوانات من جمال وخيول وبغال وحمير، بل حتى مع بداية إستخدام السيارات، كانت راحة المسافرين في ظلها، وشجرة السدر كما هو معروف ذات أوراق كثيفة، وساق قوي تتفرع منه سيقان أخرى، وثمارها الدوم- النبق- وهو طيب المذاق تؤكل قشرته طرية، ويجفف ويدق أو يطحن- بعد فصل النواه- بطريقة خاصة ثم يعجن ويؤكل بهذه الطريقة أو أخرى، ويعدونه وجبة، ويسمى "الحَتِي"، ويستخرج لب النبق(١٦٣) ويجمع ويهدى في بعض المناسبات ويؤكل، وتترك الشجرة وسيقانها فترة طويلة حتى يحمر جذعها، ويقال له فيما بعد عود حِمِر، وتعمل منه الأبواب والسدد والنوافذ الفاخرة والقوية، وصناعها من النجارين المهرة، يزينون ذلك بنقشات رائعة وكتابات على واجهات الأبواب والسدد، وأما بعض سيقان العلوب عامة فتستخدم في الماضي "كأسهم" "وقبال" "وقواسم" "وتياسير"، وهي صعبة التصنيع، وما بقي من مخلفات التصنيع حطبا ومنه الصخر(الفحم)، كما تستخدم أوراقه، بعد تجفيفها وطحنها "كغسة"

(١٦٣) ويسمى كُبّاس، وغيرنا يسميه حالول.

لتنقية شعر الرأس من الطفيليات وتنعيمه، بمثابة شامبو طبيعي، وربما استخدمت كعلاج لبعض الأمراض.

وشجرة السدر تلك لم يكن موقعها ما ذكرناه فقط، فإنما هي "كصالة" للفلاح في مزرعته، يستظل بظلها في قيلولته ووقت راحته، واجتماعه بأسرته وبضيوفه، وربما سور تحتها عريش من جريد النخل أو غيره لإيواء بهائمه.

وهناك في المزارع أشجار الإثل، وهي شجرة تنمو في المزارع قرب التربة الندية، أوعلى "الحيود" في "المسيلة" حين كانت مياه السيول لا تنضب من قيعان السدود. ومن جذعها تصنع الأبواب والنوافذ وغيرها من الأدوات المنزلية، كالفناجين، والمكاييل، والمناحيز، والجفان، والصحاف، والمعاصيد، وغيرها، وهي سهلة التصنيع، ورخيصة الثمن، ولا ثمر لها، وقد ينتفع بأوراقها كدواء.

والنخل.. النخلة التي زهت بها دمون أكثر من أي زراعة أخرى، ففيها الخير والبركة، وهي الفاكهة، وهي الغذاء، جميلة المنظر، ترتاح العيون لمرآها وهي محملة بثمرها، وهي كريمة معطاة، ترتاح للعناية بها، وتغدق على المعتني بها، سواء كان من ثمرها الطيب، أو نواه، أو من سعفها وخوصها وجذعها وليفها وعراجينها، وفي الحديث، أكرموا عمتكم النخلة[١٦٤]، وان التمر يذهب الداء ولا داء فيه، وبيت لا تمر فيه أهله جياع"[١٦٥] وهي من أشجار الجنة.

(١٦٤) الحديث في اسناده نظر، ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وقال الألباني في ضعيف الجامع: موضوع.

(١٦٥) حديث رواه مسلم وأبوداؤود.

وهي الشجرة الطيبة في قوله تعالى:" ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها..."[١٦٦] . قيل هي النخلة – وقيل غيرها–، وقيل المراد بكونها تؤتي أكلها كل حين أي كل ساعة من الساعات ليل أو نهار.

والنخل أنواع، وبأسماء مختلفة، وبثمر يختلف لونا ومذاقا، وجودة ورداءة، وقد ذكر السيّد عبدالرحمن بن محمد بن شهاب الدين في قصيدة له أنواعا منه، أكثر من أربعين صنفا، وقيل إن له ستين صنفا، وهذه بالنسبة لمنطقتنا الحضرمية، ويقال إن للنخل عموما ثلاثمائة صنف، وقيل أكثر.

ومن أصناف النخل الموجود والمعروف بالبلدة وما جاورها: المديني، والهجري، والعشدلي، والسريعي، وبقله، ومجراف، وشبشبه، والحماري، والجهمي، والعرقدي، وغيره.

وقد ارتبط في جنان العشاق والمحبين، التشبيه بحب النخلة في شعرهم الشعبي بحب المرأة في الوصف الغزلي، فمن قول الشاعر المريض من عشقه (المحموم):

والقصد من بستانك نبا بسقة

من قرع هجري

يوم الهجر حلو في تمره دواء المحموم

(١٦٦) سورة ابراهيم، الآية ٢٤ ،٢٥.

وآخر يصف معشوقه بالعشدلي:

سلام آلاف لك ياعشدلي مخصوص منقر

من خرفتك صيم الدهر يطلب حبة افطور

عسى الا فوق شرحانك يخر النجم لشقر

يصفيهم وتبقى للذي مثلي عويله يذوقون

وغيره يتوعد المعشوق بقوله:

سريّعي باقلّب عثاكيله[١٦٧] عيني عليه

سريّعي باتحذا وباسري له عيني عليه.

وقول القائل:

دار السعادة دخلناه فيه الشبشبة[١٦٨] والحناه.

ونكتفي بهذا الغزل المتداول في أغانينا وأهازيجنا بما تضمره مشاعر العشاق من وصف للمعشوق تشبيها بالنخلة، أو بعض من انواع النخل.

ويتم غرس النخل بفسيلة، والفسيلة يقال لها: "مقلع"، ثم تكون"خلعه"، ثم"منقر" إن كانت وحيدة، وإن كانت اثنتين "قرين"، "ودوارة" إذا تعددت النخل في موقع. فأن نبتت بالنوى يقال لها "نوسه".

(١٦٧) العثاكيل: الشماريخ.

(١٦٨) الشبشبة: نخلة طويلة.

والنخلة من الأشجار المعمرة، ويقال بدأ نبت النخلة قبل حوالي (٨٠ مليون سنه) ثمانين مليون سنة، وتم استخدامها للأكل قبل حوالي (٥٠٠٠) خمسة ألف سنة في عالمنا العربي.

وهي قادرة على التأقلم مع كل المتغيرات المناخية والطبيعية، وعندما يحجب عنها الماء فترة طويلة تراها وقد استسلمت لقدرها المحتوم، فييبس سعفها وينضني جذعها، وتشاهد وكأنها تحتضر، ولم يبق منها إلا إخضرار قنبتها في أعلاها، وما أن تتدارك بشربة ماء من مطر أو سيل، أو سقي في حفرتها، إذا بها تخضر وتعود لها الحياة، وتثمر في وقتها المعروف. ويقال أن النخلة تعمر إلى مائة أو ستين عاما.

وكانت –النخلة–سببا لإتخاذ دمون مصيفا للأثرياء والمتمولين، فهي المال الذي يتصاغر أمامه كل مال، فمنها الجاه ومنها الوجاهة، وهي الكريمة، ومنها كرم الكرماء من ملاكها، اجتباها واختارها علية القوم وأوسطهم وصغارهم.. أحبوها واحترموها، وجعلوا لها قسطا من شعائرهم، فقد كان بعض الملاك يحضر حال غرس نخله، ويقرأ على كل ودي (صغار الفسيل) منه سورة يس، وإذا أتم غرسه قرأ على كل نخلة منه ختمة[١٦٩].

ومحاصيل النخلة– التمر– كما يقول الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف[١٧٠] لهي عند الحضارم كالعملة الدارجة للمقايضة والتعامل.

(١٦٩) الحامد: تاريخ حضرموت جـ٢ صـ ٧٤٤.

(١٧٠) بامطرف: الهجرة اليمنية صـ١٠٣.

كانت النخلة تمثل الثروة التي يمتلكها الفرد أو الأسرة، وتعد فخرهم واعتزازهم، وكان الفرد إن امتلك نخلة، أو نخلات فهو الغني حقا، وهي مصدر حياة وأقوات ومطالب الكثير من الأسر.

يقول صاحب الجوهر الشفاف:" وكان أهل حضرموت أهل ضنك في المعاش، وأهل نخل كثيرة، فلا يأتي أوان حملها بالرطب إلا وقد اشتدت حاجتهم إليه، لأنه ينال من ثمرها القوي والضعيف والغني والفقير، وأهلها وغير أهلها، والكثير منهم ليس له حيلة ولا حرفة، ولا مكتسب غير تمر النخل، يجمع منه ما جمع، فيبيع بعضه ويأخذ بثمنه طعاما وكساء، وغير ذلك مما يحتاج إليه، ويأكل بعضه تمرا"(١٧١).

ويذكرصالح الحامد في تاريخه:" أن علوي بن محمد يقنم(يخبّر) ٨٠ قرنا من الخُبر في ماله ببيت جبير، ويقول أن القرن الواحد يزيد على مائتي خُبره"(١٧٢)

ولوتصورنا تعداد النخل لهذه الكمية من الخُبر، ربما قارب ثلاثة آلاف نخلة.

وتوسع القادرون على امتلاك النخل، وإن شاب التوسع شيء من المبالغة – كما يظهر لنا- فالفقيه المقدم محمد بن علي كان يرزم (٣٦٠) زيرا من التمر الفاضل عما يستهلكه من الرطب(١٧٣).والزير سعة مابين ألفي رطل وألف وثمانمائة رطل(١٧٤) .

(١٧١) الخطيب: الجوهر الشفلف جـ١ صـ ٩٥.

(١٧٢) تاريخ حضرموت جـ٢ صـ ٤٦١.

(١٧٣) الحامد: تاريخ حضرموت جـ٢ صـ٧١٩.

(١٧٤) الشاطري: أدوارالتاريخ الحضرمي جـ٢ صـ٩٦.

ويذكر السيّد الشاطري في تاريخه أيضا: " أن الفقيه المقدم كان يرزم(يكبس) من التمر بعد الاستثمار والصدقة في جرار(أزيار) معدة له ما يقدر بمائة وعشرين ألف رطل"[١٧٥].

وكان إنتاج النخلة وافرا وسليما من التشوهات والآفات للعناية التي تلقاها النخلة من القائمين عليها.

فعناية الملاك بالنخل في "المسيلة" حين تتأخر الرحمة(السيول)، حفروا احساء[١٧٦]، ويشرعون في سقي النخل بالسناوة، ويحيّثون، أي يجعلون حفرا تحت جذع النخلة موصولة بعتم لترتوي سواء من الحسي أو من السيول، خاصة إذا كانت النخلة بعيدة عن مجرى السيل الصغير.

وحين يبدأ الطلع(الحرَب) وتبكر بطلعها بعض النخيل يبشرون مالكها، بقولهم (بشرت النخلة)، ويدرج على النخل القيّم سواء المزارع في الخلاء، أو القيم على نخيل المالك في المسيلة والخلاء، ثم يقومون بتفخيطها، والتفخيط يعني التلقيح..أي تلقيح الطلع بفخطة من النخل الذكر، وهو طلع (حرب) في فحل النخل، ينزع من نحره ويجفف، ثم ينفض الفخطة (سواء كان الشق طبيعيا أو بآلة القيّم شريم أو ملعب) في الحربة، وهي تشبه الدقيق الناعم، ومن صنع عجائب الله، أن رائحة الفخطة كرائحة مني الرجل.

(١٧٥) المصدر السابق جـ٢ صـ ٥٨.

(١٧٦) جمع حسي، والحسي حفر بئر قصيرة تستمد ماءها لقربها من مخزون السيول تحت السدود، ومن الماء السطحي.

ويترنم من يقوم بالتفخيط (التلقيح) أو الترديد، وهو في أعلى جذع النخلة يقوم بعمله بأبيات بنغم شجي خاصة لذوي الأصوات الحسنة.. يبدأ أولا بما يشبه ترييض اللحن أو استقراره على النغم المتعارف عليه:

أووولي..أووولي.. قال السويني هلهلت عيوني

بعد السباعية لبست جوني..... أووه

أو: "

وراك ياعلي بن سعيد وتهمر الوقت جوّه والعيال تكثر

أو:

الموت ماخلا قليب سالي شل المحبين واوتم عيالي

(وربما قيلت هذه الأبيات للسناة- أيضا- في المقود بلحن آخر).

وبعد "الفخطة" بفترة يحددها القائمون على النخل، يتم الدهن بزيت الخروع[١٧٧] لبعض أنواع النخيل، وحين تبرز الشماريخ بما تحمله، من ثمر يقال له "ذُبذب"، ومن ثم يتم قطع الزائد على حمل النخلة، يقال له التخفيف، ويتم الترديد، بعد بري الشوك من السعف، وهي عملية تصحيح وضعية الخيل، وقد أصبح ما يحمله بسرا (بلح) أخضر قبل نضجه، وكان الناس يلتقطون ما تساقط من هذا البلح الأخضر الرديء تحت النخلة، ويقال له (مَجِل)، وهو ما تلفظه النخلة، وإن بقي في الشمراخ يصير "سخلة"، قبل أن يحمرأو يصفر، وأما التمرة

(١٧٧) وهو من شجرة كانت بكثرة قرب الآبار لها ثمر بني المظهر بخطوط بيضاء كثمار الفول السوداني، يسرج منه، ويعصر منه زيتا.

الفاسدة يقال لها "خَتْعَة" ثم التخبير، والتخبير هي القنامة، وهو وضع الخيل في خُبره مصنوعة من السعف بمقاييس مختلفة، ينتقى منها ما يناسب حجم الخيل، ومن ثم يربطها بحبل يقال له (مَعَلْ)، يضم عقود الخبره بعضها إلى بعض حتى لا يترك فراغا يبرز ما في داخلها، وحفظها من الغبار ومن الطير، ومن بعد التخبير وقبله تكون "البَسْقَة"، والبسقة جني الرطب (من التمر والمناصف) ووضعه في عَكْبر (أو في غيره من الأوعية) ليعطى لمالك النخلة، وربما أهدي لقريب أو صديق، والعكبر سلة تكون مستطيلة أو عريضة مصنوعة من خوص النخل، وعند التخبير قد يتجمع تحت النخل ذوي الحاجة، فيرمي له القيّم من فوق النخلة إلى ردائه، أو طرف إزاره، أو شيء يستقبل ما يرمى به من الرطب، يقال له "طَرْحَه". وبعد التخبير يكون القطيع، ويكون القطيع بعد نضج الرطب، وقد جف أكثره، فيقطع القيم من النخلة "بالشريم" أو غيره الخاول (جمع خيل) والخيل العرجون حامل العناقيد أو الشماريخ التي عليها التمر، ويرسل الخُبرة بعرجونها (المطي) مربوطة بحبل يقال له "المَخْرَط" ويستقبلها منه عامل آخر حتى تتم حملة الجمل(أوغيره من الحيوانات الناقلة أو الإنسان) ويضع "اللحاف" على ظهر الجمل البارك، واللحاف معروف وهو من قماش سميك توضع فيه الخبر بثمرها، وله ربط خاص على ظهر الجمل، وما أن تتم الحمولة ينهض الجمل بحملته، ويبرك تحت بيت صاحب التمر(الخريف)، ويوضع في مكان مخصص، ثم تكون بعد ذلك النفاضة، أي نفاضة التمر من شماريخه، وبعدها يعد في "أوجاب" للتقليف، والوِجِب: مقياس معيّن من التمر،

والتقليف: إخراج نوى التمر من داخله، وربما عزل بعض التمر بدون تقليف ليكون "مربوبا"، و"المربوب" له وضعية خاصة في الأزيار، بحيث يكون كالمربى الذي نعرفه الآن، بدون سائل إلا ما يتقاطر منه من سائل، (دبس عسل التمر) من فعل رش قليل من الماء عليه فيصير من عصارة التمر كالعسل. وبعد التقليف يجمع في شطفه يقال لها (سَلقه) في سطوح المنازل، وهو يوم "الصلاله" (الرزامة) وهو يوم فرح وسرور لأهل البيت، البعض يحتفلون به بدعوة الأقارب والأرحام. يعرضون التمر المقلف (أي المنزوع منه النوى) للشمس وبرش الماء عليه، وفي الظهيرة مع حرارة الشمس يهرس بالأرجل بعد غسلها ثم يوضع في أزيار، والزير آنية من خزف كبيرة تصل سعتها إلى ألفين رطل وأقل، ويوضع "المربوب" في أسفل الزير وثم يوضع فوقه التمر المرزوم ويسمى "صيم"، ونوع آخر من الرزامة يتعرض فيه التمر المقلف للشمس ويرش الماء عليه ولا يهرس بالأرجل، ويقال له "شِرقه"، ويدعونه في الزير فترة قبل تناوله.

والمعروف في البلدة وغيرها من مدن وقرى الوادي في تلك الفترة، أن التمر بكل أنواعه يمثل أكثر من و جبة للأهالي في وقته.

بعد الإنتهاء من الرزامة يستدعى خبيرا بمداخلة "الخُبر" لحفظها للسنة القادمة، فتجمع الخبر، وترش بالماء لتستجيب للمداخلة دون اهتراء أو التواء، وترتب حسب مقاييسها، الكبرى من الخبر تكون الأولى فالتي تليها وهكذا، إلى أن تبلغ "الزرنة"، و"الزرنة" نصف قرن (خمسة وعشرين خبره) (كما عرفناها في البلدة) ثم تربط "زرنتين" معا لتشكلان "قرنا" واحدا من الخبر مجموعه خمسين خبره.

كانت العناية بالنخلة تمثل عطاءها، ونتذكر طفولتنا، والجمال تأتي بالخريف من الخلاء أومن المسيلة "والرُّب"[١٧٨] يتقاطر من الخبر، ونسمع من شيوخنا أن هذا "الرب" كان يسيل إلى الشوارع، والتمرة الواحدة تملأ الفم، ولم نكن حينها نصدق أو نكذب، ولكننا نستغرب.

في نهاية السبعينيات من القرن الميلادي الماضي، تناولت وجبة غداء في القطن، وقدم لنا مضيفنا تمرا – رطبا- لم يسع التمرة فمي من كبرها، وهي تقطر من عصارتها "الرب" كما نصفه، وهو شيء لم نعد نراه أو نتذوقه من ثمر نخلنا، وسألت المزارع ماذا تفعلون بنخلكم، وقد أذهلني كبره ونوعيته وحلاوته، وهذا الرب الذي بداخل التمرة، فقال: النخلة نعدها كالبنت في البيت..عنايتها بعناية البنت، ولا أحد اليوم يجهل عناية الأمهات بالبنات، فقلت في نفسي هو الفرق بين إهمالنا للنخلة وعنايتهم بها.

وأذكر أن الخال أحمد مبارك باغوث، وهو أشهر من نار على علم في معرفته بالنخل، ومحبته له، وطلوعه المستعصي من النخل "الطوال" على غيره، كان يبكي، ولا بكاء الثكلى على وحيدها، وهو يرى من يجز جذوع النخل الأخضر لتمرير"كامبات" أعمدة الكهرباء في المزارع، وليس النخل نخله، ولكنها المحبة للنخلة، وقد حدثني من أثق فيه أن سالم سعيّد ربيحان-رحمه الله- أحد الشيوخ المزارعين، انتابته حالة نفسية مستعصية من جراء جز النخل الأخضر في المزارع لتمرير أعمدة الكهرباء.

(١٧٨) ما تحلّب من الرطب – دبس عسل التمر.

وغيرهم الكثير ممن أنهمرت اعينهم بالدموع وهم يرون قطع النخل الأخضر لتمرير كامبات (أعمدة) الكهربا، وليس النخل نخلهم.

وفي العرف أن إبادة النخلة تتساوى مع جريمة القتل للإنسان.

هذه النخلة في ماضيها، لا تجد مزارعا إلا وغرس النخل، ولا تجد تاجرا أو حرفيا إلا وجد واجتهد لامتلاك نخل، وامتلك الكثير المئات والعشرات والآحاد، واعتنى بها وحنا عليها بعنايته، ولا افتخر من افتخر في من سبق، إلا بما امتلك من نخل بأصنافه.

ولأن دمون كانت.. أكرر كانت مغرس الكثير، والكثير جدا من أنواع النخيل حتى سمي نوعا منه باسم دمون، يقول الشاعر السيد عبد الرحمن بن شهاب في قصيدة عدد فيها بعض أصناف النخل بحضرموت:

عراب والعرب في الخون

مع الشعيبي يقولون وبقل تنسب لدمون

ياريت مغرسه في الدار ماشي كما التمر في الدار

ومن غير ثمرتها، كان من جذعها ما يتخذ سقفا للبيوت، وحطبا لإشعال النار في ميافي المساجد، لحر الماء في الشتاء، ومن خوصها المصنوعات من السلال، والقفف، والتفلة، والمكل، وتزيّن مثل هذه الصناعات بإضافة تشكيلة من الخوص الأبيض من قنبة النخلة، ويلوّن الخوص بألوان متعددة لبعض القفف، والمراوح، والمسارف والتفلة أيضا، والمصافه (مكنسة كبيرة)، ومن عراجينها وأقصامها يتخذ ستار النوافذ(شباك)، وقبب لصيد الطيور، ومن ليفها

الحبال القوية والسروت، ورصان، وفدامة للجمال و الأغنام، وغيرها، ومن كربها حطبا إضافة إلى ما تبقى من مخلفات المصنوعات حطبا، وما يبس من سعفها لإشعال النار في المواقد والتنانير، ومن نوى التمر علفا للأغنام لتسمينها بعد رضحه.

وربما استرسلت عن النخلة بقصد، أو من غير قصد ولم أفيها حقها، واليوم ليس كالأمس، لا في النخل وحده، بل في كل مناحي الحياة المعيشية أو الاقتصادية أو المهنية، فقد أختلت الموازين، وتغيرت المفاهيم، وتشعبت موارد الرزق والأقوات، وتنوعت من نواح عدة. ومن طرق ووسائل مختلفة، ولم يعد للنخلة مقامها السامي الذي كانت تتباهى وتفتخر به على غيرها، ولم تعد لها قيمة إلا فيما يجنى من ثمرها أيام الرطب، ويباع في تبكورته، وتعددت أسباب إهمالها والاعتناء بها، فمن الأسباب الإنتفاضات التي زلزلت الثوابت في امتلاك الأرض الزراعية وغرسها، فامتلك من لم يشق فيها ولم يتعب، وحصل على حق لم يحلم به، فأهملها درءا لمصاريفها، وبما أنها لم تؤمم أو تصادر في المناطق الغربية(دوعن) فهي معطاة كسابقتها، رغم قلة المياه وتباعد مواسم الأمطار والسيول. ومن ثم وبعد عودة الأملاك إلى ملاكها، وما شابها من تعنت مقصود، وعودة إلى العوائد المعمول بها، فارتأى المالك أن شراء التمر من المزارع، أو من الأسواق اربح وأجود من محصول نخله، وقد ورثت أمي- رحمها الله- نخيلات من والدها في بعض أراضي الآبار المزروعة، وكانت تصر على أن نقوم بالواجب نحو نخلاتها، ونأتي بثمرها لتشاهده وتتباهى به، لأنه ملك لا تشوبه شائبة، وهو

أجود من كل جيّد في نظرها، وفي الواقع يكلفني أضعاف ثمنه، وذلك أن على المالك الخبر وأجرة من يقوم بالتخبير، وأجرة من يقطع الخبر، وللمزارع النصف مما حملت النخلة بعد القطع وله الخيرة في النصف بعد القسمة، إضافة إلى أن من حقه "يبسق" من النخلة متى شاء، وإن بسق المالك فللمزارع النصف مما بسق، وربما طلب المالك من المزارع أن يبسق من نخلته فيعتذر لإنشغاله. ولعل هذه الأسباب هي التي ألجأتنا وألجأت غيري إلى تجاهل ما يملك من نخل سواء في المزارع أو في المسيلة.

ويوجد في السوق أو مع مزارعين من مواقع أخرى محصولا من التمر جيّدا وفق الطلب بأقل تكلفة.

وهناك أسباب أخرى هو البديل المتوفر في الأسواق، وامتلاك الفرد ما يستطيع به تنويع ما يحتاجه من ميرة مما في السوق سواء الطازج أو ماهو للإدخار.

والحاجة لثمرتها في النفس، حاجة اشتهاء ورغبة، الكل يطلبها رطبا أو تمرا، واحتفظت النخلة بقيمتها ومزاياها وطالبيها، رغما عن الإهمال والقصور بعنايتها، لكن عطاءها لمن اعتنى بها، وها نحن - رغم ما نحن فيه وعليه- نبحث أيام الموسم عن ثمرتها بأي سعر، ومن أي موقع، فلم تعد البلدة (دمون) مصدر تمر مواطنيها، فهناك مصادر من خريف النخلة من الجنوب أو من الشرق، أو من "القبلة"، والعقوق بعمتنا النخلة، أورثها الأمراض التي لم تعرفها من قبل.

أما المزروعات الأخرى من الحبوب، مثل البر، والذرة، بأنواعها، الموسم والشتاء والصيف والدخن، والشعير(وإن يكن دخيلا)، والمسيبلي والكنب لها آليات خاصة لحصادها ودرسها، فيتم حصاد البر باجتثاث الزرعة من اسفلها بعد أن يتم نضج سنابلها ويبست أو جفت قصبتها مع السنبلة، ويتم ربط اعداد كبيرة من قصب البر بسنبلته وربطها لتكون محمل للإنسان أو للحيوان إلى الأصره (موقع الدرس). أما الذره فيتم أولا قطع السنبلة، والإحتفاظ بالسنابل في "محفر"أو جونيه(شوال) وثم إلى الأصرة لدرسها، وللحصاد أغاني واهازيج يترنم بها الحصادون بشكل جماعي مثل:

أنا روّحت والعيطلي ماهو مروِّح وخيل القرع فوق السعف ماهو مصوّح.

وغيرها.

بعدئذ تقطع القصبة من الأسفل، دون اقتلاعها من الجذر، وربما تركها المزارع وسقاها لتنبت نبتة أخرى يقال لها "عكظه"، وفي الغالب لاتثمر، أو يكون ثمرها رديئا، لكون سنبلها في غير المناخ الذي تطلبه، أكان صيفا أو شتاء، - بأستثناء الموسم- إنما تجتز كعلف للبهائم.

وقد كان البر يخضع لدرسه في (الأصاري) بواسطة جذع نخلة تجره الحمير، ثم ينتظر المزارع الرياح ليحمل ما اندرس في طبق من خوص، ويستقبل الرياح أو يستدبرها، حيث تذرو الرياح التبن في حافة الأصره، وتبقى حبوب البر في وسط الوصر قبالة حامل الطبق، وإنتظار هبوب الرياح قد يبقى إلى انصاف الليالي، أو الصباح الباكر، أو في الهجيرة مع شدة حرارة الشمس.

والتبن هو المادة الأساسية لتماسك "مدر" البناء للبيوت، وأما أنواع الذرة فكانت السنابل تصفف في الوصر ويتناوب الرجال سباطتها بالمسابيط، ومن ثم يعزل "الحمط" من الحبوب، بواسطة الرياح كعملية البر في الأصاري، والحمط هو قشور حبوب الذرة، ويستخدم كأعلاف للماشية والأغنام. أما الدجر والسمسم، والحبة السوداء، والحلبة، فبعد أن يجف الثمر في محمله له "نفاضه"، وربما تناثرت بعض الحبوب تلقائيا، ومن ثم تخضع للتنظيف والتنقية من الشوائب. والكنب يختار لسباطته جريدة نخلة مناسبة تدق بها سنابل الكنب الصغيرة، ومن بعد تصفى وتنقى من الشوائب.

وكان الفلاحون وهم يقومون بسباطة سنابل الذرة في الأصاري يترنمون بأبيات تخفف عنهم عبء العمل مثل:

لا حِل للموت يوم الموت ديّح ثبي شل الرويقي وشل سالم محمد علي

أو:

إله النبي آه النبي إله النبي بجاه النبي ها نبي بجاه النبي

ويضع عليها ما يتناسب مع اللحن من أبيات وربما تكون ارتجالية أو مأخوذة من أي قصيدة أخرى.

ولقد تطور درس السنابل من جر الجذع بالحمير إلى السيارات وإلى الحراثات، وأخيرا بوجود صرابات تحيل السنابل إلى قمح مباشرة في موقع زراعتها بعد عزل التبن.

وأما الفواكه وما يشبهها، والخضار، فأغلبها يستهلك طريا ويطبخ، والبعض منه ما يترك إلى أن يصل إلى درجة النضوج الكامل مثل الفقوس والبطيخ- حيث يقطع شرائح ويعرض لأشعة الشمس، وتستخرج منه البذور، ولإتخاذ البعض منها بذورا، واتخاذ الأكثر – بعد تحميصها ما ندعيه حنظلا (أو قيلا) (حب بطيخ)، وكذا الطماطم- وقت تكاثرها- حيث تقطع شرائح وتجفف ويتم فيما بعد استخدامها للطبخ، والليمون يجفف ويتم استخدامه لصقل بعض الأواني. أما القرع (الدبا) بأنواعه الأرضي والجاوي، ونوع من تلك الفصيلة يقال له "بوبيح"، وكذا الخضار الأخرى التي تستهلك في الغالب طرية، مثل البقل والجزر والضدح(الهندباء) وأنواع أخرى من نفس الفصيلة "كالبليدية"، والجنضال(الباذنجان) والباميا وغيرها. وأخرى تختزن لفترة تطول أو تقصر لفترة معينة كالبصل والثوم والشبرم(كزبره) والكمون والحبة السوداء وغيرها من الثمار المعروفة باستهلاكها، فهي ما زالت في عطائها من المزارع بدمون أو من غيرها، إضافة إلى القضب وغيره من أعلاف البهائم فالمزارع بدمون يفهم جيّدا مواقيت زرعها ومواقيت حصادها إلى اليوم، لكن الذي لم يعد من سلوك الفلاح القديم، أن الفلاح بدمون كان- في وقت ضائقته وبخصه وكده ونصبه- كريما بكل معاني الكرم والسخاء، فمثل هذه الخضار والفواكه التي يزرعها إن باع الفائض، باعه بسعر زهيد، لكنه قبل أن يبيع يتحف الجار والقريب وعابر السبيل، ومن زاره، ومن تذكره بنصيب وافر من منتجات مزرعته، وليس الفلاح وحده، بل تشاركه زوجته وأمه وأخته، ومن وصل إلى مزرعته رجلا أو امرأة أو طفلا حمّله من منتجات مزرعته ما يطيق حمله.

وليس هذا دأبه في الخضار أو الفواكه وحسب، بل عندما يرى (سنابل) البر قد أينعت (أي نضوج الحب في السنبلة)، قطع من تلك السنابل شيئا وربطها ووزعها للجار والقريب وعابر سبيل بطيب نفس، وكذا سنابل الشتاء، حيث تعرض هذه السنابل للنار وتدرس بالأيدي وتملح وتوكل يقال له "الجهوش"، كذلك في محاصيل أخرى كالتمر والبطيخ والفقوز وغيرها.

لم تعد هناك مقارنة بأي مقياس بين فقر فلاح الأمس وضائقته، و توسع فلاح اليوم ورغده، وبين كرم وسخاء ذاك، وشح هذا، ولعلي المح عن شيء من المقارنة بعد ذلك.

قبيل منتصف القرن العشرين الميلادي تقريبا، استخدمت المضخات الزراعية الآلية، وكانت أول مضخة في دمون استوردها السيّد ابوبكر بن علي بن شهاب تعمل "بالكاز" وضعها في بئر "السريعي"، والبئر في مواقع بيوت آل بكوره التميمين حاليا، غربي/ جنوب بئر "نعيمة الله"، إلا أن تشغيلها لم يطل لأسباب نجهلها.

بعد ذلك بمدة قصيرة استخدمت مضخة زراعية بمواصفات أخرى تعمل "بالديزل" في بئر "نعيمة الله" اشترك فيها بضعة من الفلاحين أطلق عليهم "الملفلفين"، وأخرى في بئر "الحداد"، ومع أن إقتناع الفلاحين بالمضخات جاء متأخرا عن فلاحي المناطق الأخرى، كسيون وتريم وغيرها، إلا أنهم سرعان ما عرفوا الفارق الكبير بين ناتج مزروعات "المسنا" والمضخة، فانتشرت المضخات بين المزارعين. وكانت عملية تأسيس وتشغيل المضخة ليس بالأمر

السهل والميسر بالنسبة لإمكانية الفلاحين المادية حينها، فكانت القروض المشجعة والميسرة للفلاح من قبل تجار المضخات أو الوسطاء، فقبل كل شيء يجب عمل حفرة موازية تقريبا للبئر التي يراد رفع الماء منها، وهي – أي الحفرة- تكون أوسع بكثير في دائرتها من دائرة البئر، ويعمل لها ممر(نفق) محفور كالمقود في انحناءته مرقّد من أعلى إلى أن يصل إلى قاعة الحفرة، حيث تكون المكينة (المضخة)، وفجوة لممرالإنسان والآله إلى البئر، لرفع الماء من عين البئر، ومن ثم تركب المضخة بقاعدة إسمنتية، موصولة- المضخة- بسبته (والسبته: سير جلدي عريض يدوّر بكرتي المضخة والبم – رافع الماء) إلى "البم" الذي يواجه المضخة فوق عين البئرعلى أعمدة حديدية، أو من خشب صلب قوي يثبت في جدار البئر مرتفعا عن ماء البئر قدر ستة متر إلى عشر متر، ومن ثم يوصل "البم" بأنابيب إلى قاعة البئر (لشفط) لجذب الماء، وقبل تشغيل المكينة تعبأ تلك الأنابيب (القصب) من رأس الأنبوب في "الثارة" بالماء، ومن ثم تدار بكرة المضخة بواسطة اليد القوية من شخص خاص يقوم بالتشغيل، وعملية التشغيل تبدأ بوضع "الهندل"(المدوّر) بمداره في المضخة ثم يقوم بتدويره، مرات متسارعة" حيث تبدأ المضخة بدوران البكرة مع إحتراق السائل من الكروسين (الديزل)، وينزع الشخص الهندل، ويجتذب (يشفط) البم الماء السطحي من البئر ويرتفع إلى الثارة(بركة صغيرة تلتقي الماء)، وبالطبع إن دوران المضخة بإحتراق "الديزل"، والذي لابد من وجوده في خزان المضخة مع مادة الديزل الزيت لتسيير آلات المضخة، مع "بم" موزع آخر يوزع الماء على بعض أجزاء الإحتراق في المضخة لتبريدها.

وكان لكل مضخة من يشغلها(ممشي) ويغيّر زيتها المحترق، ويراقب شغلها، إضافة إلى تعبئتها بمادة الديزل(الكيروسين).ثم عرف التشغيل والمهام الأخرى البعض من مزارعي كل مضخة، فتم الاستغناء عن "الممشي" الخاص.

ومع وجود بعض المضخات في البلدة، بقي الكثير على الوتيرة السابقة لرفع الماء من الآبار بطريقة "المسنا". لكنها خنعت للوقت، وقد انتشرت المضخات في البلدة للأفراد، وطلب السناة في البدء ماء من أصحاب المضخات لسقي أراضيهم الزراعية، وانتهت طريقة المسنا، وبعد وجود المضخات تلك بصفتها السابقة استحدثت المضخات الإرتوازية، والتي رافقت وجودها المعدات الحديثة إلى الحفر في الآبار للماء الجوفي الهائل الذي تنعم به البلاد، بعد أن قل الماء السطحي، ولم يعد يفي بمتطلبات الفلاحين. ومع التحديث في الزراعة اختفت الكثير من أهازيج الفلاحين وسلوكهم القديمة مع الأرض والسكان.

وقد تطلبت المضخات مهندسين، ففي البدء كان المهندسون من خارج البلدة، سواء مهندس تثبيت المضخة في موقعها وتشغيلها، أو مهندس اصلاح خللها، فنبغ في البلدة من المهندسين من نبغ كالمهندس سالم أحمد بن جميل، وسالم أحمد باغوث، وغيرهم.

جدير بالإشارة أنه مع توافر المضخات زرع البعض قصب السكر، والموز، والعنب، كتجربة، ونما وأثمر، وكذلك التين والرمان، لكن بمحصول غير مشجع لزراعته، ربما لعدم العناية، أو ربما لعدم القدرة على المنافسة في السوق.

في أواخر القرن الميلادي الماضي، استخدمت المضخات الإرتوازية، وهي التي تستخدم لرفع الماء الجوفي من الآبار للزراعة في الوقت الحاضر، وكان أول استخدامها بعد الإنتفاضة الفلاحية، عام ١٩٧٣م في بئر بن شرف، وتم تشغيلها بالتيار الكهربائي، إلا أنه استبدل التيار الكهربائي بعدئذ بمادة الديزل، وهي ماهي عليه الآن اغلب المضخات الإرتوازية(١٧٩).

والمضخات الإرتوازيه لاتتطلب إلا حفر حفرة بدائرة من ثمانية هنش إلى اثني عشر هنشا تقريبا ربما تزيد قليلا، لتمرير الأنابيب و"التوربين" لشفط الماء، وأنابيب حفظ لجدار الحفر، أما الحفر فيتم بحفار موصول بعربة (سيارة) وبدفع آلي بمعدات الحفر.

ويتم التشغيل..تشغيل المضخة من سطح الأرض في غرفة خاصة، سواء كان بواسطة التيار الكهربائي أو مضخات الديزل.

٣- مهنة البقارة:

هي مهنة شق الأرض للزراعة بواسطة الثيران والبقر، وقد تخصص بهذه المهنة في شق الأرض بامتلاك الثيران هنا هم من قبيلة آل بكر، ومن آل بن محفوظ، وآل بريّك. وما يقال عنهم أنهم هنود جلبهم من هناك أحد أثرياء الحضارمة لشق الأرض قد لا يستقيم مع واقع أرض زراعية منذ كانت، وهي تزاول مهنة الزراعة، وأولى مهام الزراعة شق الأرض، ثم أنهم من قبائل شتى،

(١٧٩) في وقت متأخر بعد ارتفاع اسعار الديزل اعيد التيار الكهربائي لبعض الآبار.

سكنوا مدينة تريم وما جاورها من القرى، ومع أن مهنة البقارة بالنسبة للمناطق الحضرمية الأخرى يمتهنها غير هؤلاء، لكن ليست لدينا حجة أو مصدر لدفع المقولة، إلا ما ارتأيناه، وربما إن صح جلبهم بصورة خاصة، أو البعض منهم لأسباب مؤقتة ثم كونوا بمهنتهم مع من وجدوه في البلاد شريحة خاصة في المجتمع تزاول مهنة شق الأرض بعوائد وقيم خاصة، وحّدتهم في السلوك والمفاهيم المهنية، وهو مجرد افتراض فلا نملك إلا ما عايشناه معهم كشريحة اجتماعية تقوم بمهام شق الأرض لا يتعداها معتد، ولا يتجاوز اختصاصاتها غيرها، لها مرجعية ترجع إليها عند التخاصم في كل المدن والقرى المجاورة، ورغم أنهم من قبائل شتى إلا أنهم مندمجون بالمصاهرة، وبالمهنة، وبالسلوك العام لكل أفراد المهنة بتوافقهم وتقاربهم في القول والفعل والرؤى، يستثنى منهم من امتهن مهنة أخرى، واندمج مع الشرائح الطبقية الأخرى.

كانوا على وتيرة واحدة من الفهم في كل القضايا التي لا تعنيهم، وكانوا على قلب واحد ويد واحدة في كل القضايا التي تمس كرامتهم أو مصالحهم أو مهنتهم.. يتميّزون بالشجاعة والإقدام.. لهم من براءتهم في بعض التصرفات من الغرائب والنوادر ما يحيّر العقل ويذهل اللب، وهم سليمو النية والمعتقد بفهمهم، يحنق البعض منهم من الغير حنق الطفل ويشتد غضبه وغيظه وبطشه، ويرضى ويتصالح برضا وبتصالح الأطفال.. هم على الفطرة أو على سجيتهم وكأنهم ما تفاعلوا مع مجتمعهم.

أحبوا مهنتهم ووسائلها من الثيران إلى حد القداسة، فالويل كل الويل لمن انتقص لهم "ثور" أو ازدراه أو عاب عمله، ومع أنهم في الواقع يعيشون عيشة ضنكه- وإن كانت أحسن من غيرهم- خاصة لمن ليست له أرض للتشقيق كثيرة، وأذكر أن أحدهم حاول أن يقنع أحد البقارة ببيع ثيرانه لأن مردود عملها لم يعد يكفي قوتها، فرد مغضبا أأبيع "ناموسي" والناموس هو المأوى أو هو المثوى، أو بتعبيره وفق فهمه هو كرامته.

وفي فترة ظهور الحراثات في المدينة، كنا ونحن أطفال بشيطنتنا، إذا رأينا أحدهم نصيح ونحن متأهبون للفرار نقول:" أربع "جسامات" في البلاد يا....." ويطاردونا وإن امسك بأحد منا ربما عظه أو لاص بإذنه، وربما شهر السكين مهددا. و"الجسامة" هي المركبة التي تشقق الأرض بدلا عن الثيران (الحراثة)، والبلاد هي مدينة تريم.

ومع اعتنائهم وحبهم لثيرانهم فلهم مع حيواناتهم تلك كلمات ورموز، يفهما الحيوان ويستجيب لأوامرها ونواهيها أثناء شق الأرض، فهو مثلا يقول له" شع" ومعناها الرجوع" أو الدوران ويستجيب الثور للكلمة، ويقول له "مع" ومعناها إلى الواطئ ويستجيب لها الثوران، وإن تخاذل أو تكاسل أحد الثورين فهناك في أذني كل ثور حبل مربوط، يجبره الشد على الإستجابة الفورية. و الأقوى والأرفع من الثورين في حقل العمل يسمى "الساخن"، فيجره نحوه ليستدير ويتبعه الآخر الذي يقال له "الماذن"، وربما هدد الثورين بالموهر" بضربه على الأرض أو على ظهر أحدهم أو كلاهما ضربة خفيفة إذا ما استوجبا ذلك.

"والموهر" عصا من أعواد "العلب" في الغالب بهيئة خاصة في أعلاها وممسكها كتلة غليظة، وأسفله مدبب، وهو يتوكأ عليها أثناء شق الأرض كمعين أو رافد، وربما توكأ عليه في مناسبات أخرى، وحين يطلب من الثور أو الثورين الوقوف، يقول لهما: جاااج(بمد الألف أكثر من اللازم). ويدندن البقار وهو يقوم بعمله بشق الأرض، ويرتاح الحيوان لسماع دندته فيتحرك بهمة ونشاط لا تسمع إلا رنة النواقيس المعلقة على رقبته متناسقة مع دندنة البقار أو غنوته مثل:

عبَر وقت المعزة والفلاح راقد...

بلحن خاص تمد بعض الحروف وكأنها تتبع حركة الثيران في الأرض، أو:

يا بنت عمي لاتؤخذين بقار يومين في الخيبة ويوم في الدار

وللبقارة في تشقيق الأرض مقاييس لمساحات معروفة بأجر معروف يقال لها "الهج"، وكل (٦) هج زراعي تساوي فدان واحد، وحين يقوم بعملية شق الأرض يختار من الثيران اثنين باختلاف في قامتيهما فلا بد أن يكون أحدهما أطول من الآخر، ويقال للذي على يمينه "الساخن" والذي على يساره "الماذن" – كما سبق تعريفه– وتوضع "الهمباله"، وهي:"النير" توصيلة من خشب توضع على رقبتي الثورين المقرونين، وتربط بحبل ويعلق عليها الحَلي، والحلي هو المحراث من خشب بسنة حديد حادة تركب في الأسفل، ومن خلفها مطرح لقدم البقار لكي تعمق الشق أو تخففه وفقا وطبيعة الأرض، ولا يستغني البقار عن "الموهر" و"الملعب" و"الشريم" والسكين، أما في حالة تنشئة الأسوام أو

إصلاحها أو رفعها فهناك "الحرير" تجره الثيران، وهو لوح خشبي مدبب ذات أسنان حديدية في نهايته، تسوى بها الأرض، وتقوّم الأسوام، والسوم هو سد ترابي يكون في الأرض الزراعية لأغراض مختلفة.

ولأكل حيواناتهم أوقات محددة يجلس الرجل أو المرأة قبالة الثور، وتثني قصب الذرة وتلفها بالقضب أو الشجر وتوضع في فمه (أي يلقم) حتى يستوفي وجبته سواء وقت عمله - وغالبا ما يلقمه الأطفال وقت العمل- أو في وقت راحته.

للبقارة حياة مميّزة نسبية عن غيرها من الشرائح، ولعل هذا التميّز أو التفرد في سلوك معيّن في عوائدهم وعاداتهم لا يشاركهم فيها غيرهم، هو ما رسخ الإعتقاد عند البعض بأنهم مجلوبون من الخارج(من الهند) واحتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة- وهو الأقرب للاعتقاد على قدمه ولو عند البعض-. فمن تفردهم: إرسال شعر رؤوسهم والعناية به من دهن وتنظيف وتمشيط، ورقصاتهم التي يتخللها النعيش، ولا يقوم بالنعيش غيرهم، ووفاقهم واتفاقهم في نوعية الملابس وكيفية لبسها وارتدائها، إضافة إلى ما تقدم. أما الرزيح والخابة فهي من الرقصات الشعبية العامة في البلدة، ولهم خابة خاصة بنعيشهم، وهم يشاركون بنعيشعهم أيضا في الرزيح والخابة العامة، وفي رقصات القنيص أيضا.

ولم يعد بقارة في البلدة بمهنتهم، فقد قامت المركبات بتلك المهنة.

٤- مهنة الجـمّالـه:

هم أصحاب الجِمال الناقلة للمؤن سواء الداخلي أو الخارجي، أما جمالة النقل الخارجي فهم البدو، الذي ينقلون المواد التموينية وغيرهاعلى ظهور جمالهم من الساحل، ولنؤكد أنه يتم نقل غير المواد التموينية أيضا، فقد نقل الجمّالة السيارات من الساحل مجزأة إلى حضرموت الداخل على ظهور الجمال، ومن ثم يعاد تركيبها من جديد.

ونحن بصدد جمّالة البلدة ونقلهم الداخلي فقط، فنقل مواد البناء- مثلا- من الطين يتم بوضعها في جِبِل مصنوع من السعف(الخوص)، تتم تعبئته على ظهر الجمل من قبل الجمّال نفسه أوعمال آخرين. كذلك المدر، فهو يرص فوق ظهر الجمل "بِشجِبْ بجناحين" على ظهر الجمل بمعادلة على الجانبين، والشجب أضلاع من الخشب مترابطة ومقوسة يوضع عليها المدر. كذلك الأحجار لأساسات الديار وغيره يتم نقلها على ظهر الجمل بواسطة ما يقال له "عُش"، والعش عبارة عن حبال من الخوص مفتولة بعد دقها وحبكها وجعل منها عيون أي مربعات أشبه بمربعات الشبك إلا انها أكبر، وفيه يجمع الجمّال الأحجار المراد نقلها من الجبال. أما التبل(تبن) فله وعاء أو محمل خاص يقال له "شَايَه"[١٨٠]، يتم حشوها بالتبن(والتبن هو من مخلفات قصب البر) من الأصاري ومن ثم يطلق في الموقع المحدد من على ظهرالجمل بآلية يدوية معروفة من على الشاية.

(١٨٠) الشايه: هي أشبه بالشبك بعيون صغيرة.

ونقل "الخريف" من "المسيلة" أو من المزارع، والخريف هو تمر النخل بخبره[١٨١]، حيث توضع الخبر في ما يسمى "لحاف" على ظهر الجمل وترص الخبر بمعرفة ودراية الجمّال باعتدال الحملة على الجانبين. إضافة إلى نقل الأخشاب بأنواعها، والحطب والأعلاف وغيرها، وكل حملة لها وسائلها التي ترفدها وتحميها من الانحراف أو الميلان والسقوط. فعلى ظهر الجمل من الجزء الأمامي منه وهو مهيأ للنقل "القَتَب" وهو مصنوع من الخشب، والحقيبة وهي في الجزء الخلفي من الرحل أو الشد، وهي عبارة عن كيس محشو بالتبل (التبن) الناعم أو غيره، ومن تحت "القتب" و"الحقيبة" ثمة شيء من قماش يوضع على ظهر الجمل المباشر، وهذه تشد برباط محكم عبر صدر الجمل، ثم توثق الحملة على ظهر الجمل "بالحِجِز" وهما حبلان لربط الحمولة على الجمل، ويربطان "باللِّواه" وهي عصا ناعمة مدورة، وللجمّال نظرة في اعتدال الحملة أو ميلانها، والتأكد من الربط، ثم ينهض الجمل. وهذه في حينها الوسيلة المثلى للنقل، وهناك وسيلة النقل على ظهور الحمير، أو على رؤوس الرجال أو معارصهم.

وللجِمال - حينها- اعتناء خاصا من قبل الجمّالة، فلها أوقات معروفة للراحة، ولتناول وجباتها، يشترك في ذلك الرجل والمرأة، حيث يتم تلقيم الجمل في مبركه بشيء من قصب الذرة، وشيء من القضب أو من بعض الحشائش الأخرى، إضافة إلى مايعطى له في أوقات أخرى من بعض غصون الأشجارأو التخ[١٨٢]، والطعام وغيره.

(١٨١) الخُبره سيأتي تعريفها في صناعة الخوص.

(١٨٢) التخ: مخلفات السمسم بعد عصره.

وفي وقت هياج الجمل وهديره، قد يعطى له شيئا من ملح الطعام يتجرعه مع الماء، لكسر حدة الهياج.

والجمّاله في دمون كانوا من بعض آل زوعه (الجابري)، وبعض من آل بلعجما، ومن آل بركي، ومن آل باشامخة، ومن آل بن ثاقب، ومن آل بكر، وغني عن الإشارة أنه لم يعد هناك جمّالة، ولا جِمال للنقل بالنسبة للبلدة. وأضحى النقل بالسيارات الكبيرة والصغيرة لكل المواد.

٥- مهنة عمال البناء والتشييد:

عمال دمون، هم عمال بناء، وصناع مواد البناء، وليس هناك تخصص لهذه المواد – "المدر"[١٨٣]وغيره، وتتم عملية تحضير المدر إما قرب "مقلب"(منجم) طين معروف بصلابته للبناء وبالقرب منه مصدر ماء، و"تخمر" الطين بالماء، قبل العمل بيوم، أو بعض من يوم، ثم تليّن بالماء و تعجن وتخلط بالتبن، وتوخذ على "الرعه"، والرعه على هيئة نقالة من صنع النجار بسطح من خشب له محمل من إطارين من خشب في الجوانب معالجة بتدوير أطرافها..حيث توضع في السطح الطين الندية المعجونة بالتبن لصناعة المدر، وينقلها من العمال اثنان إلى موقع يكون فيه الخبير بوضعها في القالب(مفتل) المعد بمقياس يزيد في الطول والعرض، أو يقصر، حسب طلب صاحب المبنى، واختلاف المقاييس يكون بإختلاف أدوار المبنى، فالدور الأرضي له مقياس أكبر، والذي بعده أقل وهكذا،

(١٨٣) المدر: جمع مدره، وهو اللِّبِن أو الطوب من طين مخلوط بتبن، وتقدير الخلط معروفة عند ذوي المهنة.

ويخط "بالمخط"، وهو عود مدبب، يفصل التراب الندي المعجون عن جوانب القالب(المفتل)، حيث يتم نزع القالب بأمان، وهكذا حتى يجف المدر وينشره العمال، أي يأخذه من موقعه، ويرص في الساحة رصا معروفا بنظام وهيئة معروفة يقال له:"حمار مدر"، بحيث لو تعرض للمطر لم يتأثر إلا المدر الأعلى في وضعيته، كوقاية أو سقفه للمدر، وهو مهيأ للنقل، سواء على ظهور الجمال، أو الحمير، أو على رأس الإنسان قبل استخدام السيارات.

وهناك مدر يقال له "العبادي" خاص للتُّرَب، ولبعض الموتى ذوي الأجسام العريضة.

وكان في السابق-ولعله مازال عند البعض-من يكتفي بنقل الطين من "المقلب" سواء على ظهورالجمال أو الحميرسابقا، أو السيارات حاليا إلى تحت البيت الذي يراد بنائه، فيقوم بعملية صنع "المدر" بموادها في الأزقة المجاورة، وينقل الماء في السابق من برك محفورة بجانب المساجد لماء الوضوء المستعمل، وحاليا من الماء الموصل إلى البيوت بتعرفة سعر أخرى، غيرتسعيرة الاستهلاك المنزلي.

في مرحلة من ستينيات القرن الميلادي الماضي تشكلت في البلدة فرقة من العمال لتأسيس أول مجموعة تقوم بتصنيع المدروتوصيله مع مواد البناء الأخرى مثل الطين، وحجر الأساسات، والكبس إلى البيوت تحت التأسيس، بسيارة نقل لأول مرة في البلدة من نوع "زيزو"يتم حملها بسواعد العمال وتقوم بتفريغ حمولتها تلقائيا(قلاب) بأستثناء المدر، حيث يتم تفريغه بالسواعد البشرية، والسيارة بأسم الشريك عضو المجموعة ناصر سالم الخيامي.

ثم أعقبتها فرقة أخرى بنفس الوصف، وتعددت بعدئذ وسائل النقل للمواد والغَرِف (بالشيول)وغيرها.

وهناك عمال "المحضة" وهي تمليس الجدران للمبنى بالطين والتبل(التبن) وتنعيمها ولهم أداة في ذلك "كالحديده" "والطاب" "والفارة" وغيرها. وربما طلي الجدران المملسة بالنورة(الجير)، سواء برشها لتصبح الجدران في لون النوره (الأبيض)، أو بطرقتها أي إضافة طبقة من النورة مع رمل ناعم، ولها معاملة خاصة قبل استخدامها، وأدواتها الطاب والحديدة، وكان لهم حصاة ملساء يقال لها "الروكه"، لروك النوره في الجدار أو الأرضية، أي لدعكها لتمليسها وترسيخها، استبدلوها – في وقت متأخر- بفنجان شاي من الزجاج، ومن ثم غسلها ودعكها بقالب صابون، وربما تفنن العمال في النقوش والتحسينات التي تستجيب لها النورة مع الطين، وفق فكرة العامل وحركة أنامله، وفي السابق كانت النقوش ارتجالية في المخيلة، إلا فيما ندر وفق رسم معيّن، أو تصميم منقول كماهي في المساجد وغيرها من البيوت والقصور الخاصة.

وهناك عمال تخصصوا في ترميم البيوت القديمة، والآيلة للسقوط، أو هدمها.

وعمال يقومون بنحت الأحجار مكونين منها دوائر للأعمدة الحجرية في البيوت، أو في المساجد الحديثة، وتهيئة الأحجار لأساسات بعض البيوت، ومنهم من يهيئ الأحجارباقتلاعه من مواقعه في الجبال، أو بتفتيت الصخرة الكبيرة "بالباروت"(البارود) وذلك بعمل حفرة عميقة "بالقلمة" في جزء من الصخرة، (والقَلمِه هي أداة حديدية مدببة ومدورة في طرفها) بالنقر بها بيديه إلى

أن تتعمق بقدر معروف، ثم ينقي ما بداخلها بما يسمى "مغرفة" بمقاسات مختلفة، ثم يعبأ أسفلها بالباروت بمقياس معيّن، ويصِل الباروت بخيط قابل للاشتعال، ثم يتم حشو الحفرة بما يمنع تسرب الهواء، ويشعل الخيط الموصول وقد ابتعد العامل عنها بمسافة آمنة له من تناثر الحصى المتطاير، وما أن تصل النار من الخيط إلى "الباروت" يحدث الإنفجار، وتنفلق الصخرة وتتناثر إلى قطع كبيرة، وقد تستخدم "السلته"(والسلتة وهي أداة حديدية تشبه القلمة إلا أنها رهيفة في طرفها ليتسنى لها الفصل) لتفكيك بعض الأحجار، وتؤخذ الأحجار من مواقعها في الجبال، بواسطة الجمال سابقا، وبالسيارات حاليا، وتهيأ بتهذيبها لأساس البيوت، ومن تلك الصخور يعمل العمال المختصين بالنحت عمل هاون "منحاز" من الحجر مع "قصرته" المدق، وقاعدة للسهم الخشبي- سَفَن- ، أو لأعلاه(الكَبِش)، وقد نحت العمال السابقين أحواض من الصخر لسقي الحيوانات، و"مقادح" لشرب الماء وغيرها.

وقد تخصصت بعض الأسر لعمل "المراهي" "والرحى" ووقرها، أي تجديد النقرة في الحجر لتقوم بمهامها بإتقان.

وهناك عمال متخصصون-لحفر الآبار والإحساء "والبواليع" وضفرها بالأحجار.

وعمال رصف الطرق وتمهيدها – الصرك-، "بالرصعه"، "والرصعه" رصف الطريق بأحجار متناسقة متماسكة بالرمل.. مازالت بقاياها إلى اليوم في الطريق الشرقية (طريق الكاف) إلى الساحل، ولها حوالي قرن من الزمان،

وهؤلاء العمال، هم أو الأغلبية منهم أبناء فلاحين، أو كانوا فلاحين، أو مارسوا الفلاحة، وغيرهم من ذوي الحرف الأخرى، فآثروا العمالة لأكثر من سبب، وهي معروفة لا تحتاج إلى شرح أو تفسير.

ودمون في وقت من الأوقات تتصدر المدن والقرى الحضرمية التي يهاجر شبابها والكهول "للشته"، أي تغادر فرق..فرق.. أو فرادى.. تتفرق في المدن والقرى القريبة والبعيدة في الساحل والداخل، كعمال بقوة عضلاتهم وجلدهم وصبرهم وتحملهم الظروف الصعبة في بعض المناطق، إضافة إلى خبرتهم وميزتهم واحترامهم لما يقومون به من غير تلكؤ أو تذمر..كان الفرد منهم يضع على رأسه من خمس مدرات إلى سبع مدرات وأكثر – كما قيل لي- يجري بها جري الظبي الخائف، وكان معالمة البناء سواء كانوا من دمون أو من غيرها يختارونهم أكثر من غيرهم من أبناء المناطق الأخرى، ومع أن العمال في تلك الفترة من كل المناطق في سن متقاربة، وبسلوك متقارب، وبقوة عضلية متقاربة، إلا أن شباب دمون حينها- أصبرهم وأجلدهم.

تشتت العمال وتفرقوا إلى قرى ومدن دوعن وقرى ومدن الساحل..وصلوا إلى قصيعر والمشقاص والعيص وغيرها، إضافة إلى المكلا والشحر مشيا على أقدامهم متنقلين في المدن والقرى طلبا للعمل، وغيرهم إلى المدن والقرى الغربية أيمنها وأيسرها.. البعض منهم استوطن تلك المناطق، والبعض منهم عاد إلى مسقط رأسه بعد عشرات السنين، ومن قضى نحبه في الغربة دون أن يعرف متى وأين. وكذا من هاجر إلى السواحل الأفريقية وغيرها، ومن شتت بهم الأنواء في

البحار ومن غرق ومات، ومن استوطن البلدان الأفريقية والأسيوية، عرفه من عرفه من أهله ومواطنيه، أو جهل موقعه..كانت الحالة العامة في البلدة تجبر الواحد على مغادرتها، سواء من الناحية الأمنية أو المعيشية، ولم تقتصر الهجرة على شريحة معينة أو طبقة من الطبقات، بل طالت الكل بتفاوت في محصلة الهجرة.

ومن أشهر معالمه البناء والتشييد في تلك المرحلة، والمرحلة التي بعدها والوقت الحاضر، هم من آل باشعيوث، ومن آل باشامخة، ومن بعدهم آل ربيحان، وآل قبان ومن آل باعديل، ومن آل حيمدية وغيرهم، وكان المعلم من القدامى، أو بعضهم في وقته يبني من المدر في يومه ألفي مدره، وربما أكثر بمعية خمسة عمال.

ولمعالمة البناء في السابق عرف ونظام معيّن لا يتخطاه أي معلم بناء، فحين يقرر "الطبين"، أي صاحب الأرض التي قرر بناء البيت فيها، واختار معلم بناء معيّن، لا يمكنه تجاوزه أو الاستغناء عنه، واستبداله بمعلم آخر حتى استكمال البناء، فإن حدث خلاف بين المعلم والطبين، أيا كان هذا الخلاف أو الاختلاف، فهناك مرجعية من المعالمة الآخرين يحكمون في الخلاف الذي نشأ، وتتم تسوية الخلاف بين الطرفين.

و"ذبيحة" للمعلم وعماله عند طرح المدرة الأولى بعد الأساس، أو "الترويسه"الأولى للبناء، ويدور بدم الذبيحة على أركان البيت، ولهم في تلك الذبيحة عرف معمول به، شيء منه للمعلم وآخر للعمال، وذبيحة أخرى عند وضع "التياسير"، وهي الأعواد التي توضع فوق فتحة الأبواب أو الخلاف (النوافذ)، والمنافذ الأخرى في أصل الجدار، وهذه الذبيحة يشترك فيها النجار

الموكل بمهام ما خصه في المبنى، وربما اشترك غيره كصاحب الماء، والجمّال وغيرهم في الوليمة التي يولمها صاحب المبنى مع الذبيحة.

وكان المعلم يجبر- أي يطيّب خاطر الزائر للمبنى-، وذلك بإشارة متعارف عليها في مثل هذه الحالة للكل، إن كان قريبا أو صديقا لصاحب المبنى، حيث يطلب منه أن "يحوّل" وهو أن يتوقف عن العمل مع عماله لمدة "التحويل"، ويلتم هو وعماله، ويتم التحويل ويكون من صاحب الصوت الجهير، من على جدار أو سطح المبنى حيث يقول بصوته العالي وقد تجمع حوله العمال:

"حول.. حول..حولاه.. ثبي بارك الله فيه

.. ويرد عليه العمال بصوت جماعي طويل:

بشرك الله.. بالخير

حول.. حول..حولاه..وكل وادي ضمان... بشرك الله.....

حول..حول.. حولاه..

بالصلح والصلاح والأمن والسلامة والعافية للمسلمين... بشرك الله....

حول.. حول.. حولاه.. والجبي بالعطاء من (فلان) ويذكر اسمه الكامل.. أن الله يعطي من عطا، ويجنبه الخطأ، ويزيده صبر ودين وديان، ولا هان، ولا يحرمه الزمان، وسبعة عيال، وعياله من سبعة عيال"... بشرك الله....

(أما "حول" فسيأتي التعريف به لاحقا).

ويتبعه العمال وقد توقفوا عن العمل. وفي السابق كان التحويل على قهوة وأقراص من الذرة أو البر يجيء بها الزائر، وقد تكون هي الذبيحة، لذا كان لا

يزور معالمة البناء وقت العمل في بيت قريب إلا من تهيأ بما يلزمه، أو من أراد هو أن يهبه للعمال.

وكانت "المونه"..مواد البناء من طين ومدر وتبل (تبن) تنقل على الجمال، أو الحمير. أما الماء فتوجد بجانب المساجد برك تستقبل الماء المستعمل من برك الوضوء في المساجد، يأخذها العامل "بالمعرص" (والمعرص عود معالج) بحمل تنكتين (صفيحتين)، وفي أعلى كل صفيحة خشبة معالجة مثبتة في جانبي الصفيحة، بوسطها حفرة صغيرة لربط الحبل إلى طرف المعرص، لنقلها على كتفه، إلى حيث موقع العمل، وربما تناوب حملها عاملان إذا بعدت المسافة.. يضع العامل الأول التنكتين المملوءة بالماء في نصف المسافة، حيث يجد العامل الآخر، قد وضع التنكتين الفارغتين، ويأخد المملوءتين والآخر يعود لملء التنكتين وهكذا.

وعمال الوقت الحاضر، والمعالمة، والمقاولين، أبناء زمنهم الذي نحن فيه، فقد تفاعلوا مع المستجد، سواء مع مواد البناء القديمة، أو الجديدة من إسمنت، وأحجار، ولم تعد تطلق على القائمين بالعمل كلمة معلم إلا فيما ندر، وانما يقال المقاول، وأصبح البناء بخرائط هندسية وبإشراف مهندسين معماريين في أكثر البنايات الحديثة، سواء من الطين أومن الحجر أو من الإسمنت.

ولمواد بناء البيوت من الطين والمدر تخصص فيها من يصنعها ويتجر بها ويديرها بعمالها وبآلاتها من سيارات وغرافات وغيرها، فإن لمواد البناء الإسمنتية أيضا لها تجارها سواء من البلدة أو من المدينة.

وفي البلدة مناشير لتهيئة الأحجار وفق الطلب، وصنع القوالب الإسمنتية بأشكالها وتخصصاتها.

٦- عمال الوظائف المدنية والإدارية:

أما عمال الوظائف المدنية والإدارية (كتبة) في الوقت الذي نحن بوصفه، أي قبل انضواء دمون تحت حكم السلطنة القعيطية، لم يكن هناك موظفو دولة، ولا كتبة في قطاع ما، فهناك كاتب خاص لكتابة العقود والوثائق، واتفاقيات الصلح بعد التحاكم، وغيرها، وربما وقع الكاتب عن المتعاقدين وعن الشهود، أو عن البعض منهم، فتكون صيغة التوقيع.. كتب بأمره أو وقع بأمره فلان(كاتب العقد)، وإنما بعد السلطنة القعيطية توظف من توظف في سلك الدولة القعيطية في مرافقها المحلية، وخضعت العمالة أو بعضها لنظام النقل الوظيفي، وعلى محدودية الموظفين، إلا انهم كنواة لعمالة موظفي الدولة أسهموا بصورة أو بأخرى في تنفيذ القوانين، والمطالبة الجدية بمتطلبات البلد من تعليم وغيره.

٧- مهنة الحداده:

مارس آل بامزروع مهنة الحدادة في دمون، وكانوا صناعا مهرة في كل صناعاتهم لوسائل المهن الحرفية الأخرى، ولهم معرفة بنوعية الحديد ومدى قابليته لما قد يؤديه من مهام، ومن مصنوعاتهم التي تستعمل كأدوات أساسية في المنزل والحرف الأخرى: السكاكين، "والملقاط"، والمسيل (مخيط) بأنواعها، والقانصه (الكلبه)، والفوران (الساطور)، وكلاّب القربه، "والجلم" للدباغ، ومقص للقصدير، وحلقة لربط سلم محمل أوردة الشرب، وعضاد (حلقة معدنيه) توضع في عضد الرجل، ومقص بيتي.، و"الحجول" (جمع حِجِل) لأرجل الأطفال،

والملقاط، وهو عبارة عن تشكيلة مضمومة إلى بعض بحلقة في كيان من المعدن، وهو ما يبرز الشوكة الغارقة في جلد الرجل خاصة في مدحق الرجل، أو في موقع آخر من الجسد وبعد إبرازها وظهورها، يتم نزعها بما يلتقطها من المجموعة، هو أشبه بالقانصة الصغيرة المدببة، وهناك قضيب معدني صغير به انحناءة صغيرة في الطرف لتنظيف الاذن.

ومن أدوات استخدام الفلاح: المزاحي، والفؤوس، والملاعب (منجل)، والشرم.

واللجام للخيول والحمير.

ومن وسائل العمل للنجار: القدوم، والفؤوس، والمناقب، والمخدر، والملزمه، والزاويه، وضبب المناقب والمخادر، ودوار بعض البواب الكبيرة، وقرقاعه (حلقة طرق الباب الخارجي)، وشكل المقص (وصلة من حديد بهيئة مقص تربط وتزين مواقع دوار البوابة)، (والدواره أو الديرة، وهي وصلة حديد مدورة في نهاية الباب يدورالباب على وصلة حديد محفورة عند فتحه واغلاقه)، والمفصلة (الانسيل) للعماريات، والمناشير، والمقاطع، والمطارق، والكماشه (زراديه) والمخط، والمسامير ابوقرصه، ومقص قاطع للوصلات الحديدية الغير سميكة.

ولعمال البناء "السيف"، و"البُلد"(كتلة من حديد تتوسطها فتحة لتمرير خيط من الغزل لمعرفة سماح بناء الجدار لمعلم البناء)، "والقَلمَه"، "والسلته"، "والحدِيدَه"، والمعول، والغراب.

وللبقار: سن المحراث(الحلي) ومد(بسط) نهاية الحرير بالحديد.

إضافة إلى مسامير متنوعة الصناعة والإستعمال، وغيرها.

وتخصص بعض من آل بن محفوظ في مهنة حدادة "القشطرة"، ومن صناعتهم "الكانون"، "والبخاري"، ودنون ماء كبيرة للمناسبات، وصغيرة للإستعمال المنزلي، والمناخل(غربال)، وبالديات، وصناديق مربعة الشكل بأغطيتها تستخدم لحفظ الفحم وغيره، والمسرجة، وقاس خمسية[١٨٤]، ومغره، وقانصة، ومقراف، ووعاء للصانه، ومعاشر(صينيات)، وتبييض القدور واللقنه النحاسية بماء(مذاب) الرصاص، وعمل مسامير ابوقرصة، وتبييضها وتلميعها بمذاب الرصاص أيضا، والبلاليط، وغير ذلك.

ووسائل عمل الحداد مجمرة ويقال لها ميفى، ويقال لها كيرلمسمى النافخ أيضا، وهو عبارة عن مبنى من مدر على شكل هرم بفتحتين متقابلتين، يوضع في داخله الفحم القوي(صخر)، حيث يتم اشعال النار في الفحم، حتى ينقلب الفحم الى جمر، فيوضع الحديد الذي يراد تصنيعه، وينفخ بالكيرفيتوقد الجمر وتسعر النار، الى أن يحمر الحديد ويلين، والكير عبارة عن قربه من جلد الحيوان مفتوحة بالكامل من الخلف، وبها ممسك في طرفي الفتحة من خشب، لفتحها واغلاقها، وقد امتلأت بالهواء بالفتح، فيتم نفث الهواء بواسطة أنبوبة في طرف الكير(القربة) الى الميفى لتسعير الجمر، فيحمر الحديد ويلين، ويؤخذ بملقط خاص إلى السندان، حيث يتم تشكيله بضربات متلاحقة من المخلع من قبل

(١٨٤) سراج بدائي مصنوع من وعاء يشبه قصعة الطماطم أو مايشبهها يتوسطه من أعلى رقبة تمر فيها فتيلة من القطن مغمورة بالقاز من بطن الوعاء يستضاء به بعد أشعال النار في الفتيلة البارزة.

عامل أو عاملين معا كل بضربته، ولثقب ما يراد ثقبه أو تعطيفه، أو تمديده، أو تشكيله حسب الطلب، وهناك قوالب خاصة تحدد نوعية الثقب أو الخرم، والتعطيف، توضع فوقها المادة الحديدية المحماة وتتوالى الضربات، وتتغيرأدوات التثقيب من صغيرة إلى مقاس أكبر إلى مقاس أكبر منه، وكل ما برد الحديد أعيد إلى الميفى ليحمر من جديد ويزود بالفحم إلى أن يتم المقصود. واضافة الى ذلك يستخدم الحدا مطارق أخرى متنوعة، ومبارد، ومقصع، ومقصات منوعة من صنعه، وغيرها.

أما ادوات حدادة القشطرة، فمجمرة صغيرة محمولة، وكير(قربة) صغير بتلك المواصفات التي مع الحداد، وكاوية، وهي أقرب لشكل مطرقة صغيرة غير انها مدببة من ناحية، وهي مصنوعة من النحاس في الغالب، ووعاء قد يكون من الخزف أو من غيره يضع فيه المقشطر الشب(شيذر)، والرصاص، وربما احتاج لتنظيف وتنقية ما يود شغله بمادة معروفة "بالتيزاب"، ومن ثم يأخذ الكاوية من المجمرة وقد أحمرت ويدوس الطرف المدبب في الشب والرصاص فيذوب الرصاص ويحمله رأس الكاوية المدبب لما يريد لحامه.

ومن الأدوات الأخرى المطارق الصغيرة والمناقب، والمقصع، وسندان صغير، والمقصات وتشكيلات للتصنيع والتدوير وغيرذلك.

في الوقت الحاضر لم يعد لمهنة الحداده بشقيها ماكان لها في السابق، وربما نجيز القول إنها انتهت تماما من البلدة، إلا من عمل المسامير "ابوقرصة" والكوانين وبعض التشكيلات الحديدية للشواء وغيرها، وهي في آخر مرحلة لها.

٨- مهنة النـجـارة:

وهي مهنة صناعية تخصص فيها- بدمون - آل باحشوان وآل فقيهان، ومن بعد امتهنها البعض من آل بامطرف، ومن آل باني. وغني عن التعريف أن مهنة النجارة في السابق كانت تتفرع لنواح عدة من مستلزمات السكن والساكن وذوي الحرف الأخرى.

ومواد النجارة هي الخشب بأنواعه، فمن أنواع الخشب المحلي: الإثل، والعلب، والحِمِر من العلب، والعُرْيط، والمِشِط، وغير ذلك من أشجار الوديان.

فللمساكن(البيوت) يصنع النجار من خشب الإثل: الأبواب والخلاف، والعماريات، والرفوف، والقالوده والقليد للأبواب، والشِّيب[١٨٥]، وغيرها.

والقالوده هي "القفل" الذي به تغلق الأبواب، وتتكون من قطعتين من الخشب متناسقة.."المِروَد" "والقوشمه"، والمِرْوَد قطعة من الخشب مهيأة بمجرى لدخول القليد، والقوشمة قطعة خشبية معالجة بها مجرى يتحرك بداخله المرود، فتسقط "الحناذيل" في فتحات صغيرة اعدت لها بقياس هندسي، فتغلق، وترفعها أسنان القليد فتنفرج وتتحرك لفتح الباب.

و"القليد" هو بمثابة المفتاح للقالوده، ويتكون من عود معالج وممهد لفتحه بواسطة أسنان خشبية - وقد تكون حديديه-مثبتة موازية لفتحة الحناذيل في "القوشمه"، والحناذيل ويقال لها حناديد أيضا: أسنان متحركة متدلية من

(١٨٥) وهو باب مكون من اضلاع من الخشب بينها فتحات بقدر كل ضلع أو أكثر أو أقل بحيث لاتحجب الرؤية، ويستعمل في الغالب لدرع الأغنام.

القوشمه إلى "المرود" توقف حركة القالودة فترفعها أسنان القليد فينفتح ما أغلق. وهناك قالوده "بصمبعه أو بوصمبعه" والصمبعه على هيئة حنذوله واحده كبيره ترفع بأصبع اليد فتفتح ما أغلق، وهناك "رتاج" وهو باب صغير داخل الباب الكبير، (فرخ سده)، ومغلاق للأبواب المكونة من قطعتين، يكون المغلاق من الداخل لإحدى القطعتين، والمغلاق أحدهما يكون في أعلى الباب مثبت في الباب إلى فتحة في الكفاه في أعلى الباب يرفدها رافد يقال لها سنكرة(مزلاج علوي في الباب)، وأخرى في أسفل الباب إلى فتحة في مردم الباب أو الأرضية المباشرة للباب.

ومن الأواني المنزلية التي تصنع من خشب الإثل: المناحيز" الهاون" مع القصرة" المدق"، وفناجين القهوة، وعلب صغيرة بغطائها، والمقدح، والمعلقة، والملخه، والجفنه، والصحفه، والمعصاد، وممسك السكين وجفيره، والمجامر للبخور(المدخنة)، والمكاييل(مصرى وشطر، وربع، وثمن، وقيراط)، ومغسي لتعليق الثياب، والرفَق، والصناديق الخشبية، ومشط لتمشيط شعر الرأس، وكلاّب قربه، ومشعبه، وممسك الرحاء، ومدورها (الكلع والسنكره)، وسلم لقرب وأوردة الماء، وقدح للشرب من السقاية، وهذه الأواني البعض منها يزخرف بالنقب أو النحت، ومنها ما يلوّن بألوان وتشكيلات مختلفة يخطها النجار بآلته(التركوب) يدورها بواسطة القوس ويخط مع الدوران الألوان ليصبح لها منظرا جميلا رائعا في وقته.

وصناعة أدوات للرقصات الشعبية: إطارالهاجر، والمرواس، والطاسه، والطار، والمطرق، والمراقيص.

ومن العلب البالغ "حِمِر" يقال إنه لا يصل عود العلب لدرجة الحمر البالغ إلا بعد ٣٠/ ٤٠ سنة من عمره، وهو بقوته ومتانته، كان لا يقدرعلى مصنوعاته إلا الأثرياء في بيوتهم، ومنه تصنيع الخلاف والأبواب والبوابات (السدد) الكبيرة مع النقوش المنقوبة والكتابات التي تزخرف في الواجهات الأمامية، يذكر السيّد محمد أحمد الشاطري:" أنه شاهد سورة يس كاملة منقوشة في أحد الأبواب (السده) لدارالإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس بتريم"(١٨٦) .

ومن خشب العلب أيضا (الحمر) كانت أسهم(أعمدة) البيوت. ومن خشب العلب العادي القواسم والقبال والتياسير والرفق التي تتم معالجتها من قبل النجارأولا، بحيث أن معلم البناء كان في السابق لا يضع مثل هذه المتطلبات في مواقعها من البيت تحت الإنشاء إلا بوجود النجار.

ومن خشب العريط والمشط، تصنع الأبواب والعماريات، بطلبات خاصة.

وعملية التصنيع في السابق من قبل النجار كانت شاقة بوسائلها البدائية، فمثلا نجد الباب أو البوابة الكبيرة يتكون من عشر إلى عشرين وصلة – قطعة- تقريبا- من الخشب سواء كان من الحمر أو من الإثل يوصلها النجار بالربط "ببلاليط" مجهزة من حديد البراميل- من قبل الحداد- في العادة، أو من حديد صلب، ويوائمها بحيث لا يدع فيها شق أو منفذ مهما يكون صغيرا، وذلك بنشرها عبر منشار (مقطعة صغيرة) تسمى "مخط" حتى تتواءم القطعتان وتلتصقان، وأي فتحة صغيرة تحدث، أو حفرة منقورة على لوح الخشب، يعجن

(١٨٦) الشاطري:ادوار جـ٢ صـ٦١.

النجار مع التمر(صيم) نشر العود إن كان حمرا، ويسد الفتحة أو يخفي النقرة، وإن كان الخشب من الإثل فمن النورة ومن نشر خشب الإثل، ومن ثم يملس الباب بالفارة، أو "المشخا" ويحدد مواقع "الزوافر" وذلك بخيط أسود، مسوّد من قاعة قِدر، أو بمسحوق "النيلة" بعد أن يغمره بالماء، ويتناوله بيديه إن كان الباب صغيرا، ويأخذ الخيط بأسنانه وهو مكبا على الباب تحت التصنيع وأصابعه ممسكة به ويطلقه من أسنانه، حيث تثبت الإشارة أو العلامة التي يتركها الخيط الأسود لموقع الزافر، أو يتناول طرفي الخيط اثنان إن كان كبيرا وبنظره يحدد النجار التوازن والإستقامة، ومن ثم يأخذ الخيط بأصبعيه ويطلقه ليضع الخيط إشارته.

"والزوافر"(جمع زافر) هي ما تتوسط الباب من "مرابيع" خشبية معالجة من نوعية خشب الباب تكون بينها مسافات قصيرة، وربما زينت التي في الواجهة بنقوش وخطوط، وأما الزوافرالخلفية فلا تعالج كالأمامية إما لموقعها خلف الباب، أو لتخفيف العبء على الباب، وهي- أي الزوافر- لربط ألواح الباب المتعددة، من ناحية، وللمنظر الجمالي للباب من ناحية أخرى، وترتبط الزوافرالأمامية بالخلفية بمسامير وفق نوعية الباب وأهميته، وبالزوافر أيضا تتم تغطية عيوب الباب إن كانت هناك عيوب صغيرة.

وصناعة النجار لأصحاب المهن الأخرى متنوعة، فهي للمزارع عمل العجلة (البكرة) والمعجل(الذي تدور عليه البكرة) ومشاريع الغرب والدلو (المخشمة والمصدمة)، وهراوة المزاحي والفؤوس، واللغبه، والموسك، وممسك الملعب والشريم.

وللبقار الحلي (المحراث) والحرير، والهنباله (النير)، وممسك الملعب، ومعالجة الموهر.

وللجمّال القتب، والشجب، واللواه.

وللعمال المفتل (قالب المدر) والمخط، والرعِه، وهراوة المزحاه (المسحاة) والفأس، والطاب، والفحسه.

وللدباغ الموفلة، وممسك المخرز.

إضافة إلى صنع(النعوش) الجنائز وعصي محملهن، ومغتسل الأموات.

كانت آلة النجار ووسائل صناعته بدائية، وأغلبها من صنع الحدادين المحليين، ومن صناعة النجار نفسه، فهناك المنشار الكبير الذي يشق الجذع أو الجذنه الكبيرة من أشجار العلب أو الإثل أو غيرها إلى نصفين أو إلى عدة ألواح. فالمنشار يتوسط إطار من خشب بطول ٤/ ٥ فوت تقريبا وبعرض٢.٥/ ٣ تقريبا موصول بكَرْبه(١٨٧)، ومن الناحية الأخرى ربما اكتفى النجار بحلقة حديدية مرتبطة بالمنشار أو كربة، وتتم عملية الشق بالمنشار بواسطة ما يسمى بـ"الشنجل" وهو بشكل زاوية (**V**) وهو عبارة عن عودين متداخلين طرفيهما، يربطهما إصبع من العود المدور بين فتحتين في كليهما، مما يتيح لهما التحرك على وفق مقاس الجذع المراد شقه، وفي كل منهما نقب متوازي لقطع خشب تسمى" لسجه" تكون رافدا لخشبة تسمى "بسطة" يستند عليها الجذع – الجذنه – المراد شقه، والشنجل من صنع النجار.

(١٨٧) هي قطعة خشب مثقوبة تدخل في الإطار العرضي يثبت فيها طرف المنشار، بحيث يستطيع النجار أن يحركها يمينا أو شمالا، لتفي بغرض الشق عندما تكون الجذنة عريضة.

ويشذب الجذع قبل الشق وترسم الخطوط بالخيط الأسود التي تحدد مقاس ومواقع النشر، ثم يتوسط الجذع "الشنجل" ويرفع مستقيما وإن كان طويلا بانحناءة يحددها النجار برفع زاوية "الشنجل" ثم يسند الجذع بالـ"بسطه" بين "لسجتين" متوازيتين أو مختلفتين حسب وضعية الجذع من "الشنجل"، وتتم عملية الشق المزدوجة من شخصين أحدهما أرفع من الآخر، وكل ما انحدر الشق غيروا هيئة "الشنجل"، حتى يصل إلى درجة يستحيل معها الشق، فيقلب الجذع رأسا على عقب ويبدأ الشق أو النشر من أسفل الجذع لتتصل بالمشقوق السابق، وهكذا يتم استكمال شق الجذع إلى قطعتين أو إلى عدة(قطع) ألواح للعمل.

ويترنم الشخصان وهما يشقان الجذنه(الجذع) بتلك الكيفية بنغم يخفف عنهما مشاق العمل ببيت يقتسمانه مثل:

يامروّح ضناك الليل والشمس غابت

ويرد الآخر بنصف البيت قائلا:

عاد نحنا إلا طربنا والمناشير طابت وغير ذلك.

وهذا المنشار الكبير الذي يقوم بشق الجذنه(الجذع) الكبيرة والطويلة، سواء كانت من الحمر، أو من الإثل، أو من العُرْيط، أو من المِشط وغيرها، من صنع الحداد، وإطاره وشحذ أسنانه من عمل النجار.

ثم القدوم، والفأس، والمقاطع، وهي المناشير الصغيرة باستخدامها اليدوي، وهي بمقاسات مختلفة والصغيرة منها يقال لها "مخط" وقد بينا مهامها، ثم الملزمة، "والمخدر" و المخادر مقاسات مختلفة، والمخدر هو قضيب من حديد

مدبب الرأس "مثلث" بمقاسات مختلفة من صنع الحداد، يثبت في أسفله خشب مدور، ويعلوه خرزة مثقوبة(غالبا ما تكون من ثمرة شجرة الصار) ومتحركة موصولة بمسمار إلى العود المدوّر، ويدوّر المخدر القوس، وذلك بلف سير القوس حول المخدر (والسير من جلد الحيوان المدبوغ)، والقوس عود على هيئة القوس من عود العلب المقوس، مربوط بطرفيه السير بقوس فيدوّره النجار بيد والأخرى ممسكة بالمخدر، وربما إذا كان الخشب المراد ثقبه قويا وضع الخرزة على جبهته مستعينا بثقل رأسه على تأدية الخدر بالسرعة. والمخادر بمقاسات مختلفة- كما قد ذكر-أي الكبير والوسط والصغير والأصغر (مخدر تيحه ومخدر ضرس). ثم المناقب بمقاساتها المختلفة (منقب عادي ومنقب جاوي)، والفتيك، (المطرقة) والزاوية، والموفله، (مطرقة خشبيه). ويضع النجار عدته الصناعية تلك في جِبِل(سلة من خوص).

كانت هذه آلية ومواد النجارة وأدواتها في السابق، وفي وقت ليس ببعيد تناقصت بعض المواد والأدوات واختفت فيما بعد، وحل محلها أخشاب مستوردة، مثل الخشب الجاوي، والخشب الأبيض بأنواعه(السنوبر) ورقائق الخشب (الكنتر) وغيرها. واستبدلت الأدوات اليدوية بالآت الكهربائية، وتحول الكثيرون إلى صناع أثاث المنازل الحديثة، وبقي القليل منهم على المأثور، وعمل خلايا النحل، وتحول البعض إلى صنع الأبواب والشبابيك الحديدية، والبعض استبدل مهنته بمهنة أخرى.

٩- مهنة الدباغة:

امتهن مهنة الدباغة في دمون آل عمره باعبيد، وبعض من آل باشعيوث، وبعض من آل باشامخه، وبعض من آل باغزال (بن حميدان).

والدباغة وتعني معالجة الجلود للحيوانات المعروفة (الأغنام والبقر والجمال). وتعتمد دباغة الجلود على مواد طبيعية كالقرض، وهي شجرة معروفة، والملح، وسائل(عصارة) لبني من شجرة العِشَرْ، تتم المعالجة بتنقية الجلد من الشعر، وهي مهنة شاقة ومقرفة في المعمل(المدبغة).

ومن الجلود بعد دباغتها صناعة "القرب"[١٨٨] بأنواعها، وصغير القربة يقال له سِعِنْ، و"الأوردة"[١٨٩]، والدلو، والغرب، وفي البداية بعد التصنيع مباشرة يتم دهنها بزيت السمسم ويكون ماء القربة "مغية" متغيّر الرائحة والطعم، حتى تتم التنقية بتداول التعبئة بالماء وتفريغه)، ، والسعون[١٩٠]، والدلو لنزح الماء من المنازح للشرب، والغرب للسناه للمزارع، "والشكوه" لمخض اللبن، "والجراب" كشنطة اليد للرحالة، "والصمار" لحفظ السوائل كالزيت والسمن وغيره، وأرضية الهداة للأطفال(مهد) والمِسفِر[١٩١]، وستارة للبنات[١٩٢]، وتجليد

(١٨٨) القربه: وعاء جلدي من الغنم لحفظ الماء وتبريده في البيوت.

(١٨٩) الأوردة وعاء جلدي من البقر لحفظ وتبريد الماء للمناسبات.

(١٩٠) واحدها سعن، الأصغر من القربه.

(١٩١) مفرش للطفل يحفظ براز وبول الطفل.

(١٩٢) شرائح-قطع-قصيرة من السيور الجلدية موصولة بسير ترتبط طرفيها في حقو الطفلة، وتغطي الستارة فرج البنت القاصرة فقط.

"الحروز"، والأحذية، والسّبت(حزام الرجل) والمسبت(حزام لخراطيش البنادق)، وسير قوس المخدر للنجار، ومربط اللجام للحيوانات.

وأدوات الدباغة هي: ما يقال له"جَلَمْ" وهو بالمقص أشبه من شغل الحداد، ومخرز، و"تركوب"، و"مخوط"، و"مدق"، (موفله) وهذه الموفلة تختلف عن موفلة النجار، إضافة إلى "المدبغة" وهي عبارة عن وسائل الدباغة وعدتها، وتتكون من عدة أوعية من الخزف مثبتة في الأرض، تحتوي على المواد التي بها تتم عملية دباغة الجلود، أي تنقيتها من الشعر وغيره من مخلفات الحيوان بحيث تكون صالحة للاستعمال، وموادها في تلك الأوعية الخزفية(مسماه سفيح) سفيح به ملح مع الماء، ثم سفيح به سائل شجر العِشر الأبيض مع الماء، وثالث فيه القَرَض الدويل مع الماء، ورابع فيه القرض الجديد مع الماء، وتلك الأوعية قد تسع ثلاثون جلدا من جلود الأغنام أو أكثر، وتبقى هذه الجلود في سفيح العِشر ثلاثة أيام، وفي سفيح الملح ثلاثة أيام، ثم تدعك بالأرجل، و إلى سفيحي القرض، وفي سفيح القرض أسبوع، وقد تزيد الفترة خاصة في سفيح القرض عند نوعية جلد الماعز، وتتضاعف عند جلد الثور– مثلا– وتتم المعالجة بخبرة الدباغ ونوعية المواد، المتجددة بعد كل عملية أو أكثر.

ولقد كان في البلدة عدة مدابغ، وفي الوقت الحاضر، لم تعد هناك مدابغ، ولا دباغين فقد امتهن الأ بناء مهنا أخرى.

١٠- مهنة الـخياطــة:

حاولت التعرف على الخياطين قبل وجود المكنات اليدوية، لكن لم يفدني أحد من كبار السن، فكل من أعطانا إسما، كانت الأسماء قريبة عهد نسبيا، مع وقت وجود المكنات اليدوية، لكن الشيء المتفق عليه في زي أو ملبس أهل البلدة من الرجال كان عبارة عن إزار ورداء وعمامة، وهذه لاتحتاج إلى خياط إلا لرتق شعق، فمثل هذا كان يقوم به الرجال و النساء في بيوتهم، ولعل في ملابس النساء من يقوم بالمهنة – الخياطة- يدويا، لكننا لم نحصل على اسم امتهن هذه المهنة يدويا، وهي مهنة لابد منها في أي مرحلة، وبما أن أكفان المرأة المتوفاة تحتاج إلى مخيط فلم يفدنا أحد بمن كان يقوم بمخيط بعض قطع كفن المرأة، ولعل الخياطة كانت في الحد الأدنى لوصل الأجزاء لتقوم بمهمتها الشرعية في الكفن يقوم بها من يقوم من الرجال دون تحديد.

وإلى عهد قريب كانت هناك بعض النساء اللواتي يقمن بمهنة الخياطة اليدوية بأناملهن وبوضع غطاء معدني على رأس أصبع الخياطة يقال له "الكشتبان" وهو "قمع الخياط " لتتقي به وخز إبرة المخيط، ولتستعين به لنفاذ الإبرة في القماش المترادف والغليظ لمخيطه.

وكان في كل بيت إبرة وغزل لرتق الشعاق في الملابس، أو رقعها بسد من قماش آخر، وهناك من أتقن المخيط اليدوي إتقان الآلة فيما بعد-مع الفارق طبعا-.

وقد مارس مهنة الخياطة في البلدة بعد وجود آلة الخياطة اليدوية أول من مارسها محمد سعيد ربيحان، ثم عمر بن صالح الخيامي التميمي وبعض من

نسائهم لملابس النساء، علما بأن الأخير سافر أكثر من مرة منذ صغره إلى اندونسيا، ومنها كانت المهنة، وأحمد عبدون بامزروع امتهنها قبله أو معه، ثم في الفترة الأخيرة وقد تواجدت الآلات اليدوية أحمد عبد الله باغوث، والسيّد عبد الله بن محمد بن شهاب.

وربما كان في نسبة المهنة لهؤلاء، أو البعض منهم شيء من التجاوز، إلا اننا أقحمناهم لوجود مكنة الخياطة لديهم واستعمالها للمخيط لغير الإستعمال الشخصي. ومع أن في كل بيت – تقريبا-في الوقت الحاضر آلة خياطة يدوية أو كهربائية، عادية أو تطريز، إلا أن تكون-في الوقت الحاضر-مهنة لرجل في البلدة فلا.

امتهن الخياطة من أبناء البلدة في مدينة تريم صالح خميس الخيامي التميمي، وبموته، وموت أحمد عبد الله باغوث، لم يمتهن الخياطة من البلدة غيرهم.

غير أن الكثيرات ممن تخصصن للبس النساء كالفساتين وغيرها يقمن بعملهن كمهنة، وينحصر عملهن ربما في التغييرأو الإضافة، أو التقليد لطراز معيّن، أو شكل من أشكال الموضة دون الابتكار.

١١- مهنة صياغة الذهب والفضة:

مارس مهنة الصياغة بتخصص للفضة كرامه فتحان، كما امتهن الصياغة للفضة والذهب أحمد بن علي الجابري مع غيرها من المهن، وكانت وسائل المهنة بأدوات بدائية معتمدةعلى النظر، وعلى الأيدي والأرجل، ومن الأدوات التي

كانت تستخدم: مَجْمرَة، أو ما يقال له مصب على الجمر، وهي أشبه في النتيجة بمجمرة الحداد(المقشطر)، إلا إنها صغيرة الحجم، وهي "الكواية" لصهر الفضة، ولصهر الذهب أيضا، وذلك بواسطة جمرالفحم، حيث تتقد بفعل النفخ المتواصل من القربة الجلدية، كماهو الحال عند المقشطر، وبعد عملية الصهر أي ذوبان الفضة أ

والذهب، يتم تفريغه فيما يسمى "المفراغ"، والمفراغ قالب من حديد (20x6 سم تقريبا) فيه مجارى"كالعتم"، مختلفة الحجم، حيث يتحول المذاب من الفضة أوالذهب إلى سبيكة، بحسب التشكيلة في المجرى، ثم يتم تسخينها ويتم ضربها بالمطرقة، وكلما بردت يعاد تسخينها في النار حتى تكون كالشعرة، أوحسب الطلب، وهناك "بترة"، وهي كتلة من الحديد أو من الصفر، مربعة الشكل (8x8 سم تقريبا) بحفر مختلفة المقاس والحفر في كل وجه، وهناك مايقال له زبد البحر، (وهوالغلاف الصدفي لحيوان الحبّارالبحري)، والذي يستعمل كالشمع للتمثيل لما سيتم صنعه.

وهناك قاعدة خشبية لما تسمى "المجره"، وهذه عبارة عن قوائم مربعة من الخشب المربوع مرتبطة في الأسفل بعضها ببعض وفي المربوعين الأماميين يربطهما معجل دوار كالذي يدوّرالبكرة بحجم أكبر، وفي جانبيه قضيبين من الحديد، كل قضيب بارز من جهتين يخترقان المعجل، وفي وسط القاعدة تقريبا مربوع من الخشب مشقوق في أعلاه توضع فيه "المجرة" وهي وصلة من الحديد المسطح به ثقوب متعددة مختلفة المقاييس، حيث يوضع في الثقب خيط الذهب

أو الفضة، فالخيط القوي يتم ربطه بواسطة كماشة إلى المعجل وتلف السلاسل في القضيبين الحديديين، ويتم الجر بالسلاسل لتدوير المعجل لخيط الذهب أو الفضة من ثقب اكبر إلى ثقب أقل منه وإلى أقل، إلى أن يتم المطلوب أما إذا كان الخيط من الذهب أو الفضة رقيقا فيكتفي بجره بالأيدي.

وتوابع تلك المعدات البدائية من مطرقة وسندان ومبرد وغيره، ربما بقيت في الخدمة إلى الوقت الحاضر.

أما وسائل الصاغة في الوقت الحاضر فهي المكنة الكهربائية التي تقوم بكل شيء تقريبا في الصياغة، ولم يعد للوسائل البدائية القديمة تلك أي دورفي تلك المهنة، بل وأغلب الصاغة للذهب أضحوا مسوقين لإنتاج غيرهم من البلدان الأخرى، واكتفى البعض بتوصيل المصنوع أو قصه ليتناسب مع طلب الزبون.

وممن امتهن الصياغة للذهب في البلدة علي عوض باصاع، وكان يقوم للصاغة في المدينة بشيء من مستلزمات المصوغ لاغير.

في الوقت الحاضر لم يمتهنها في البلدة أو الحي ممتهن.

١٢- مهنة الـطـب:

لم يكن هناك طب بالمعنى أو المفهوم الذي نعرفه الآن، ولا هناك طب بأي مفهوم يمكن أن نتوسم فيه الشفاء للمريض إلا للمصادفة، أو للخبرة والتجربة عند البعض في تشخيص بعض الأمراض المعروفة وعلاجها الطبيعي، وربما نجح طب الكسور وتجبير العظام بالمختصين في تجبير العظام من غير البلدة، غير

أننا تلقينا من عقالنا من كان يعالج الجراح..جراح الرصاص الذي يخترق بعض الأجسام المتحاربة- حينها- وهي إن دلت على حذق المعالجين، إلا انها في حدود تخصص ضيق لا يتعداه، غير أن المعالجين الذين اتخذوا العلاج مهنة، هم بعض من نقل عن كتب للتداوي..عرف تشخيص مرض المريض أو لم يعرفه، أو وهِم فيه، فقرر العلاج على ما خمنه وارتآه في الكتاب، أو على وفق تجربته وخبرته بالأمراض المستوطنة، دون يقينه بتشخيص المرض، وان استفاد واحد وآخر، لم يستفد آخرين، وربما كان الدواء عزيمة تكتب أو تسطربأسطر منقولة وبحروف مقروءة أو غير مقروءة، ويقال للمريض اشرب منقوعها، أو تبخر بدخان حرقها، وربما قرر البعض..بعض المعالجين..القراءة أو التفلة[١٩٣]، أو تعليق حرز بعد كتابته، وربما ذرع المعالج "معروض"[١٩٤] المريض وبعد التلاوة على المعروض وذرعه بشبره(من إبهام يده إلى الخنصر) يطوي المعروض ويعود لذرعه، فإن قصر أو زاد في المرات التالية عرف الداء وقرر الدواء، وهناك من المعالجين من يرى في بعض تصرفات المرضى أو خمولهم مس من الجن أو من "البركين" على حد تعبير البعض، فيكون العلاج شيئا من الطعام، ومن بيضة دجاجة توضع عند رأس المريض فترة معينة(اسبوع أو أكثر أو أقل) وتمسح بها رأسه ثم يدور بها في راحة يده فحيث سقطت، أسقطها "البركين"، والبعض لا يكتفي بالبيضة، ويقرر ديكا بلونه الأسود أو الأحمر، وآخر بخروف أو تيس

(١٩٣) أي البصق في وجه المريض أو جزء من جسده أو في كاس ماء لشربه.

(١٩٤) المعروض جزء من ملابس المريض.

أسود اللون، يذبح ولا يبسمل عند ذبحه، ويؤخذ من كل عضو فيه جزء صغير ويحدد المعالج الطريق أو الأماكن الذي ينثر فيها تلك الأجزاء الصغيرة المقطوعة من أعضاء الذبيحة، وباقي الذبيحة يأخذها المعالج "للبركين"!!. وهناك الحجامة، ولها المختصين الذين توارثوها كحرفة، لكنهم لا يردون من طلب الحجامة، سواء من استحقها أو من لم يستحقها، وربما قرر البعض.. بعض المعالجين الكي، وقد يحدد موضع الكي، ويدع غيره يكوي، أو باشر الكي بنفسه، وهناك معالجون ربما علمتهم تجاربهم بعض أنواع الأمراض، خاصة الأمراض النفسية ومعالجتها، إنما في كل الحالات لا تستند علاجاتهم إلى معرفة بالمرض وتشخيصه، إلا فيما ندر، فكانت الأمراض..كل الأمراض الموسمية والوبائية تحصد الأطفال حصدا، فبمجرد تفشي مرض القطيب أو الحصبة- مثلا-، كانت الأمهات تحتضن أولادها ولا تدعها تغادر منزلها وتغلق عليها الأبواب والنوافذ خوفا من عدوى للقطيب أو الحصبة قاتلة، فقد كانت الحصبة- مثلا- تحصد الكثير من الأطفال، وكان العلاج الذي يعرف تدخين المنزل بروث الأغنام التي تأتي في مقدمة السيول، وهَمَل(أوراق) الإثل، مع إغلاق نوافذ البيت، ومنع الروائح العطرية عن أنف الطفل.

ومن التحصينات من بعض الأمراض يحوط البيت بالرماد، حتى لاتنتقل إلى من فيه عدوى المرض عند انتشاره.

وللسعال الديكي(الشهاق) مرق الحمام أو الدواجن بشكل عام، وهو وإن كان أقل خطرا من الحصبة إلا إن له ضحايا أكثر، وهكذا مما لا نستطيع حصره

من الأوبئة، والأمراض الفتاكة والاسهالات والحميات المتنوعة، وكانت ضحايا هذه التطببات وفاة عدة أطفال من كل بيت عند انتشار الوباء، أو من الأمراض الهينة التي لم تجد العلاج الصحيح. وهناك من تدركه العناية الإلاهية بتوافق العلاج على أي صورة مما سبق فيشفى، وشيء آخر يتوسم فيه أهل المريض الشفاء، وهي النذور..تنذر الأم أو الأب أو كليهما معا إن شفي المريض من مرضه فلقبة الولي أو لمزاره كذا وكذا، أو للولي فلان، أو القهوة للمزار، أو لمسجد معيّن، وغير ذلك مما يدخل في صفة النذور، فإن شفي المريض فبعد عناية الله ببركة المنذور له، وإن توفاه الله فلكل أجل كتاب.

كان ذلك، وهي من خواص تلك المرحلة حيث لايوجد بديل عنها في البلدة، وحتى بعد افتتاح السادة آل الكاف المستشفى الخيري بتريم، لم يقتنع الأهالي..أغلب الأهالي بعلاج من في المستشفى، وظل اتباع الطريقة القديمة للعلاج إلى وقت متأخر جدا.

لكن نتائج التداوي بالطب الجديد بأثرها الإيجابي على المرضى، هرعت الناس إلى المستشفى، ولو للمدن البعيدة، واختاروا حينها علاج الصيادلة أو المساعدين الصحيين على العلاج عند الشوافين.

وفي فترة العقود الثلاثة الماضية أو قبلها بقليل، كان وصول البعثات الأجنبية إلى المتسشفيات في المدن الرئيسية، من الإتحاد السوفيتي، ومن الصين الشعبية، ومن كوبا، وغيرها، وكذا الأطباء من الهند وغيرها أيضا، وتاهل في الطب خلال تلك الفترة الكادر التريمي، ومن ضمن الكوادر من أبناء البلدة في

الوقت الراهن ممن تخصص في الطب العام، وطب الأسنان، والصيدلة، وكذا القابلات من النساء، وفي المختبرات وغيرها.

وفي البلدة اليوم عيادات خاصة لبعض الأطباء، أو بالتناوب لهذه العيادات، كما تخصصت بعض النساء أو الفتيات كقابلات في المستشفى، وهناك عيادات لمساعدين صحيين، وبها مختبراتهم، ومختبرات خاصة، إضافة إلى مركز صحي للنساء، وتطعيم الأطفال. وهناك أكثر من صيدلية لبيع الأدوية رغم حجمها المتواضع في ايجاد الأدوية الأولية للأمراض المستوطنة.

لكن..مازال هناك من يستشفي بصورة أو أخرى عند القراء، أو الشوافين والشوافات في البلدة، وفي غيرها.

مما يستحق الذكر والتوثيق في مهنة الطب أن أول خريج صيدلة (مساعد صحي) من البلدة هو المرحوم عوض بن فريد التميمي.

وفي بداية الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي كان الخريج الثاني من البلدة مساعد صحي المرحوم كرامه علي باومن.

وقبل ذلك تخرج من البلدة في الطب الوقائي عبيد بن عمر (بن حيمد سعد) صبيح، وأحمد بن علي التميمي.

ومن أبناء البلدة من حصل على الدكتوراه في الطب أو المخرجات التي وصلت الى مرحلة الطب في تخصصات مختلفة اثنا عشر ٢٠١٦م.

١٣- مهنة السقائين:

وهي مهنة من يحمل الماء إلى البيوت، وقد امتهن هذه الحرفة رجالا ونساء في البلدة، من أبرزهم: عوض حيمد حيمديه، وسعيد خميس بن حيمد سعد، ومن النساء: بخيته حدريه، ورزمية، وطفله، وغيرهم، حيث يتم توصيل الماء بواسطة "القرب" أو الصفائح المعدنية (التنك) للبيوت.

يتم تعبئة القرب من المنازح المنتشرة في البلدة، حيث يتخير السقاء المنزحة القريبة من البيت الذي يتم تمويله بالماء، وسواء كان بالقرب أو بالصفائح، فحين تكون بالصفائح يحمل صفيحتين بمعرص على كتفه، وقد يحمل البعض قربتين على ظهره، لكن الأغلب قربة كبيرة مخصصة للمهنة، ومع أن ربات أغلب البيوت هن يقمن بذلك، إلا أن بعض الوجهاء في البلدة حيث تحتجب النساء، يتم التمويل لبيوتهم بواسطة السقاءون والسقاءات، وأيضا للمناسبات كولائم الزواج وغيرها.

١٤- مهنة الطباخة:

إمتهن مهنة الطباخة في البلدة، وذلك للولائم الكبيرة للمناسبات العامة والخاصة، كولائم الزواجات، والختان، والختومات وغيرها مع مهنهم الأخرى، نذكر منهم: سالم عاشور ربيحان، سالم علي بن محفوظ، خميس سعيّد بن محفوظ، عبدالله سعيد بامزروع، حيمد سعيد بامعبد، سعيّد مبارك ربيحان، سعيّد حميد عمره باعبيد، عبدالله عيسى الزبيدي، سعيد (مطران) عاشور صبيح، كرامه عمر باغزال، سعيد سالم عميّرباشامخه، عبيد عاشور باصبيح، كرامه عاشور رجب بن حيمد سعد، سعيد حيمد صبيح، وابنه محمد.

١٥- مهنة التوثيق:

ربما اقحمناها في المهن المعروفة اليوم، لكنها وإن كانت مهنة في البلدة، فهي بفهم غير الفهم الذي يعطيه فهم التوثيق في الوقت الحاضر، فإنما هي كانت كتابة الحجج ووثائق الملك والرهن والقسمة والصلح والوصايا وغيرها مما يوثقه الكاتب بين الأطراف، وهو الثقة، إذ تجد كاتب تلك الوثائق أو الحجج، أنه هو الكاتب وهو الموقع عن الأطراف أوعن البعض منهم، وهوالموقع عن الشهود، أوعن بعض الشهود، وتوثيقة حجة لا يتطرق إليها الشك أوالريبة حين التخاصم، أكان حيا أو ميتا، واكتسبت الحجة شرعيتها بأسم كاتبها وتوقيعه.

وقد امتهن هذه المهنة بالتوارث تقريبا المشايخ آل موسى باغوث أبا عن جد، وذلك قبل وجود المحاكم، وبقيت مهنة لبعض الأبناء حتى وجود المحكمة الشرعية بالبلدة، وتتم المصادقة عليها من قبلها.

أما في الوقت الحاضر، فالموثق في البلدة خريج كلية الشريعة محمد سالم صبيح، وهو المأذون الرسمي لتوثيق عقود الزواج.

١٦- مهنة النحالة:

لم يعرف في البلدة نحالة محترفون في وقت سابق، كما هو في الوقت الحاضر، وهي حرفة أو مهنة تربية النحل، إنما كان هناك فرد أو أفراد في أوقات مختلفة ومؤقتة يعنون بتربية النحل لإستهلاك عسله، لا للإتجار به، كما هو في الفترة الحالية.

ولعل مشاق تربية النحل والحفاظ عليه، والجدب الذي تمنى به البلدة ونواحيها الذي قد يصل إلى سنوات، وربما عدم المعرفة بأصول التربية وقواعدها، وعدم المعرفة بأمراض النحل، وكذا الأجواء والطقس المناسب للنحل، أو البيئة التي يعيش فيها، وربما الجهل بمردود العسل الاقتصادي، هي من اسباب الفشل، والحفاظ عليه من قبل من امتلك شيئا منه في وقت سابق، مع أن البلدة بلدة زراعية، وباشجار متنوعة، ولعلها ليست كلها من مطالب مراعي النحل، أو أن المراعي لها مواسم خاصة، ولم تكن هناك في السابق مفاهيم مستقاة من ذوي الخبرة والشان في تربية النحل. لهذا-حسب اعتقادنا-لم يمتهن النحالة ممتهن في البلدة.

فلمراعي النحل مواسم تزهر فيه بعض الأشجار، فهناك موسم تفتح أزهار شجرة السمر، ويقال للعسل عسل "سمره" ويقال له أيضا عسل "مريه".

وهناك موسم تزهر فيه أشجار العلب (السدر) ويقال لعسله "بغية" وهو أجود أنواع العسل.

وهناك عسل يطلق عليه "المربعي" وهو الذي يكون من جملة من الأعشاب والأشجار، وربما خالطه شيء من زهر السمر أيضا، وزهر السدرفي فصل الربيع إثر سقيه من مطر أو سيل، ويقال له ايضا "الصيفي".

ولقد أفسد البعض تلك المواسم بخصوصية جني المحصول لتلك الأشجار، وذلك "بالسقي" للنحل بمحلول السكر، وربما اضطرها الجدب إلى ذلك.

وكان النحالة يترك للنحل ما جمعه من عسل في خليته ليتغذى منه حين تشح السماء بالقطر وتقفر الأرض، فعوضوه بمحلول السكر.

في فترة سابقة، حط بعض من نحالة دوعن من آل باتيس، ذو الخبرة القديمة في تربية النحل بنحلهم من غرب حضرموت إلى البلدة وحوإليها، مختارين في البدء وقتا معينا لموسم تزهر فيه بعض الأشجار ومنها يتغذى النحل.

فأخذ الفكرة عن تربية النحل بعض من أخذها من أبناء البلدة من المزارعين من أولئك، وبتوجيهات من النحالة القادمين، فقام بتربية النحل كتجربة أولية، ونجحت التجربة، وكان مردود العسل مشجعا، فتشجع الكثيرون من أبناء البلدة، وتملكوا الكثير من النحل، وأضحت لهم دراية عامة بالتربية وسلوك النحل ومطالبه، واستثمرهذه المعرفة إضافة إلى التجربة والممارسة من استثمرها، فكانت للبعض خلايا تعد بالمئات، وكانت الزيادة لإنتاج النحل من العسل بأنواعه، وبالتالي زيادة المردود المادي منه.

لكن هناك الكثير ممن تملك المئات من الخلايا، اخذت خلاياه في تناقص دوري انتهى للتلاشي، وهناك ممن فقد نحله لسبب ما، ثم عاود الإقتناء، ولكن الكثير ممن كانوا نحالة، أو ملاك نحل وافتقدوه لم يعاودوا النحالة، وقد أصبح اليوم أغلب المزارعين ملاك نحل في مزارعهم.

وربما كانت الأسباب في تناقص النحل بعد تكاثره هي نفس الأسباب السابقة، أو جزء منها، إضافة إلى المستجدات الأخرى المميتة للنحل كالمبيدات وغيرها.

ومع هذا مازال هناك الكثير في البلدة من النحالة اليوم وملاك النحل، وإن لم يقتصروا عليها- أي لم يكن هناك نحال في البلدة تخصص في تربية النحل فقط - فهم يملكون الكثير من الخلايا إلى جانب أعمالهم الأخرى، سواء كانت

الزراعة أو غيرها، وقد استنار الكثير منهم بالطرق السليمة والحديثة لتربية النحل، وكيفية التعامل مع النحلة ونظامها المعقد وسلوكها المسيّر بالفطرة، وما يصلح لها من أجواء ومراعي، مما ترتب على ذلك نقل الخلايا إلى أماكن الرعي المطلوبة في مواقع مختلفة من مناطق بعيدة، إضافة إلى الأجواء المناسبة للنحل.

ومعروف عن النحل أنه قد يطير في سبيل البحث عن غذائه مسافة قد تزيد عن خليته إلى عشرة كيلومترات.

ومع أن نقل النحل في خلاياه يتم بحذر شديد، وبتوقيت محدد في الليل، ويتم قبل ذلك التدخين، وبعد التدخين يلجأ النحل مضطربا إلى خليته، فيغلق عليه المنفذ.

والنقل ضرورة من ضرورات حياة النحل، لدرء خطر ما تهدده في موقعه، أوللرعي، ولتعدد أو تخصص المراعي لأزهار الأشجارفي مواسمها، أو بعد هطول الأمطار في مواقع بعيدة.

والخلايا وهي مساكن للنحل كانت من الخزف القابل للكسر، وصعوبة جني العسل منها، فاستحدثت من الخشب بطريقة فنية علمية حديثة، بها مستلزمات النحل خاصة في وقت الجدب بحيث جعلت في الخلية بما يشبه الإناء لوضع محلول السكر فيه، ويتم تناوله داخل الخلية وفيها وقاية من بعض وسائل القنص أو الفتك بالنحل، وهي تسهّل عملية أخذ المنتوج من العسل من الإطار الخشبي داخل الخلية.

لكننا لانستطيع أن ننسب النحالة أو مهنة النحالة لشخص أو اشخاص يمتهنونها في الوقت الحاضر، لكونها ليست هي مهنتهم، وإن مارسها الكثيرمع مهنهم الأخرى، كما سبق وأن أشرنا لذلك.

وغني عن التعريف أن تسويق المنتوج من العسل قد يكون محليا، أو يصدر منه نوعا معينا إلى الخارج. وأن مردوده المادي رافدا قويا لدخل النحال أو مالك النحل، كما أنه رافد مهم للإقتصاد الوطني.

وتأسست في المدينة جمعية للنحالين، تعني بشئون النحل وتوعية النحالين بما يخص النحل، وقد حضر مندوبون عن الجمعية مؤتمرات حول النحل في بعض البلدان العربية، وكان من بين المندوبين أحد أبناء البلدة من النحالين (مبارك كرامه باومن) الذي كرم من قبل جمعية الباحة التعاونية للنحالين بالمملكة العربية السعودية.

وللأسف لم ينخرط في الجمعية كل نحالي البلدة، حتى يستفيد الكل مما يطرح على النحالة من إرشاد وترشيد علمي متطورفي تربية النحل وجني محصوله في مختلف ارجاء المعمورة.

١٧- مهنة النقل بالسيارات:

لتوثيق أول وسيلة نقل داخلي..سيارة أجرة للركاب من البلدة، كانت من نوع "لاندروفر" مستخدمة يملكها أحمد حسن الزبيدي، وذلك في ستينيات القرن الميلادي الماضي.

وأعقب تلك الوسيلة بمدة قصيرة سيارة نقل من نوع "زيزو" غمارتين يملكها عبد الله بن علي العسكري(اليافعي).

بعدذلك تنوعت وسائل النقل سواء كانت الخاصة أو العامة في البلدة، وإن كانت البداية بتدرج في الوسائل إلى أن أصبحت في الوقت الحاضر لاتجد للوسائل موقعا للوقوف في بعض الأزقة، فمنها وسائل النقل الكبيرة الشاحنات والمتوسطة والصغيرة، وناقلات المشتقات النفطية، والماء، وناقلات الصرف الصحي من الخزانات والبواليع بالشفط من تحت البيوت، إضافة إلى سيارات الأجرة المتنوعة العاملة داخل المدينة والمحافظة، وإلى المحافظات الأخرى، وناقلات الحجاج والمعتمرين.

١٨- محطة توزيع مشتقات النفط للفلاحين:

كما افتتحت في نهاية الستينيات من القرن الماضي محطة وقود لتوزيع الديزل والزيت لأصحاب المكائن(المضخات) الزراعية لصاحبها عبد الله بن سعيد التميمي، وهي وإن سميناها "محطة وقود" فهي في مرحلتها البدائية، إنما توزع "ديزلها" من البراميل بمضخة يدوية.

وتم الإستيلاء عليها من قبل الفلاحين تحت مبرر برنامج الإنتفاضات.

ثم تأسست محطة خاصة(بمضخة) عداد واحد لتوزيع الديزل، لصاحبها صالح عوض التميمي، وبموته -غفرالله له-اغلقت المحطة.

١٩- المطاعم والمطابخ والمقاهي:

لم يؤسس في البلدة مطعم بمفهوم المطاعم المعروفة اليوم في المدن، ولا بأي فهم آخرللمطاعم، إنما كان هناك طباخين امتهنوا مهنة الطباخة مع غيرها من المهن الخاصة بهم-وقد سبق التعريف بهم-وذلك للمناسبات الخاصة في البيوت لأصحاب ولائم الزواج والختان وغيرها، ولم يتخصص فيها فرد معيّن أوفئة معينة، بل إمتهنها الكثير من فئات وشرائح من المجتمع مختلفة. وفي الزمن الأخيرتأسست"مطابخ" للمناسبات تلك، وفي طليعتها اليوم مطبخ سعيد حيمد باصبيح وأولاده، وقد سبقه مطبخ الشيخ عبد الله عيسى الزبيدي، بآلية محدودة، وتميّز مطبخه بطبخ "الهريسة " أوما يقال لها "الدوعنية"، ومطبخ "ابوسياف" خالد كرامه بن حيمد سعد.

اما المقاهي فقد افتتح في نهاية الستينيات من القرن الماضي مقهى للشاي مع "المطبق"، والمطبق المغموس بالسكر، لصاحبه: أحمد بن صالح التميمي، ولم يستمر طويلا، وأسباب عدم استمراريته معروفة، ثم أسس مقهى عوض بن هادي التميمي، وكرامه سعيد باشعيوث، وأغلق بعد فترة قصيرة، وافتتح هادي سالم بن سهيل التميمي مقهى للشاي مع بعض المقليات كالمطبق (االباخمري) والسامبوسة، واستمرمدة، وذلك في الثمانينيات من القرن الماضي، وافتتح مقهى آخر في نفس المدة لأولاد شيخ بن سلمان باشعيب، ولكن بتوسع وتنوع في المشروبات سواء أنواع الشاي، وما شابهه من المشروبات الأخرى "كالكوفي"- القهوة- وغيرها، كذا المشروبات الغازية بكافة تنوعها، مح البساكت والحلويات الأخرى المستوردة والمحلية، وكذا وفرالألعاب للزبائن، كالورقة، والضمنه،

والكيرم، وغيرها، ومع قوة الإقبال عليها في البداية من قِبل من في البلدة، إلا أن الضعف تسلل إليها، وفارقها مؤسسيها، وأوكل العمل فيها إلى الغير، ومن ثم تم إغلاقها، كما أغلقت مقهى بن سهيل، واستأنف العمل فيها مدرك سالم باشعيوث، في نفس الموقع، وفي موقع آخر، وأغلقت الكل بعد ذلك، ولم تؤسس بعدئذ مقهى في البلدة، هذا إذا استثنينا مقاصف المدارس للطلبة في الوقت الحاضر.

* * *

لمحة عامة وخاطفة عن المهن التي كانت في البلدة، مع أنه مازال هناك من يزاول مهنته من تلك المهن القديمة التي كانت، كبعض مهن صناعة الخوص- مثلا-، إلا إن المفهوم الذي كان عن المهنة في البعض قد تغير، وإن بقيت التسمية، فقد استبدلت المواد والوسائل التي كانت تستخدم للمهنة إلا القليل منها، فعلى سبيل المثال: مهنة النجارة ومن بقي منهم يمارس مهنته بمادة الخشب، فهو في الأغلب خشب خارجي مستورد ومعالج للتصنيع، وباستخدام وسائل وآلات كهربائية حديثة، بجهد أقل، وبمظهر رائع، وانجاز عمل أسرع.

بل وتمت صناعة الأبواب والنوافذ من معادن حديدية وألومنيوم وغيرها، تتم زركشتها وطلاؤها بكيفيات وأشكال وألوان مختلفة تفي بذوق صاحبها ومزاجه.

كذلك مهنة الحدادين، فقد استبدلت مصنوعاتهم لذوي الحرف الأخرى بالمصنوعات المستوردة، فلم يعد للحدادين-إن وجدوا-إلا الشيء اليسير الذي لا يذكر، كشحذ السكاكين، وعمل المسامير أبو قرصه وتبييضها.

هو الإستحداث الذي فرضه العصر أو هي المرحلة التي أعقبت تلك المراحل، ولكل مرحلة في التاريخ سمة، لكنها في كل حالاتها امتدادا للماضي.

ثانيًا-الصناعات السائدة في البلدة

١- صناعة الخزف:

الخزف وهو الفخار وصناعته كأقدم صناعة توارثها الأ بناء عن الأجداد على مدار التاريخ الإنساني منذ حوالي ٨٠٠٠/ ٦٠٠٠ سنة، والمحتفظة تقريبا بكل موادها ووسائلها ومصنعاتها إلى اليوم، وإن حصل تطور في صناعتها فلا يتعدى الشكل أو المتطلبات التي تفرضها كل مرحلة أو طور من التاريخ.

وهي مهنة اختصت بها قبيلة آل باني في مدينة تريم، حتى أن ما يصنعونه يقال له "ماعون باني"، زاولوا المهنة أو الصناعة بعد نزوح البعض منهم من مدينة تريم إلى دمون، ولم يفدني ممن سألت عن وقت نزوحهم، فقد زاول الصناعة القدامى منهم، وتركها فيما بعد الأبناء.

وكان البيت الدموني كغيره من بيوت حضرموت يعتمد على كثير من أوانيه المنزلية من هذه الصناعة اليدوية الخزفية، مثل الجحال(الأزيار) الكبيرة لرزم التمر "والجوبه" الزير الأكبر حجما لصنّاع الخُبر، والأصغر يقال له "مركن" لحفظ الماء، أو الأكبر منه يقال لها "جحلة" الماء، و"كوز" لتبريد الماء والشرب منه، "والمِصْبه"[١٩٥] والكعده[١٩٦]"والمحماس"[١٩٧]، وفناجين القهوة، والكانون، ودنون لشرب الماء، والتنانير، وغطائهن المسماه "دَفاه" "والسفيح" وهو يستعمل كالجفان

(١٩٥) جمع مصب وهو آنية كالإبريق له مقبض وخرطوم لصب الماء (وهو ما يعادل الإبريق الكبير).

(١٩٦) هي الأخرى بمهام الإبريق خاصة بالقهوة فقط.

(١٩٧) آنية تشبه آنية القلي لتحميص البن بمقاييس مختلفة.

لوضع الأكل فيه سواء للآدمي أو للحيوان، وربما استعمل بوصفه وصفته المصغرة "كقصرية" لتلقي براز الطفل من هداته، "والمِلْخا" وهي آنية مما يوجر به الطفل من "مريس"(١٩٨)، أو لبن وغيره، "والقرِف" (وعاء للروبة) بأربع حمالات في جوانبه، والمداخن للبخور، والميازيب "المراعيض"، وعتوم الماء لبعض السواقي، "والخيش" لتشكيلة جدران المساجد وبعض البيوت، وكذا "الياجور"، وخلايا النحل، والرفوف، وتشكيلات أخرى منها ما يشبه الحيوانات، كالوعل والحصان والجمل وغيرها. وتعتمد في صناعتها على طين جبلية خاصة ينتقيها الصناع وخلطها بروث الحمار، وعلى مهارة الصانع في التشكيل، ثم حرقها في "ميافي" خاصة، وربما زينوا بعض المصنوعات بزخرفة يدوية غير متناسقة بطلاء من طين صفراء من سقف غيران(مغارات) الطين الجبلية المستخدمة في صناعة الخزف فيحمر المطلي بها، والمعروف أن هذه الطين لا توجد إلا في سحيل تريم، لكن في الزمن الأخير جلبت هذه الطين من منطقة عيديد. وهناك الطين "الزبر" القوية تطلى بها بعض الأواني الخزفية فيتغيّر لونها إلى الأبيض.

ومع أن آل باني مازالوا يمتهنون صناعة الخزف بمدينة تريم لأواني معينة كالتنانير وخلايا النحل والمحاميس وغيرها. إلا أن بقية الأواني استبدلت بالأواني الحديثة بأنواعها وتشكيلاتها وانسجامها مع التطور والتحديث في البيوت بمواد ومعادن مختلفة يصعب حصرها واستقصائها وهي اليوم في كل بيت، وتتجدد تشكيلاتها كالموضة.

(١٩٨) المريس منقوع التمر بعد تصفيته.

وآل باني في البلدة بعد أن تركوا مزاولة المهنة (صناعة الخزف)، اختار من اختار منهم مهنا أخرى، إضافة إلى الهجرة.

٢- صناعة الجير:

وهي "النوره"، التي تستخدم لطلاء وتبييض البيوت والمساجد وغيرها. تبدأ هذه الصناعة باقامة ميفى يبنى خصيصا لهذا الغرض بمواصفات معينة، والميفى عبارة عن بناء من اللِّبن والتبن بتجويف يتسع من أسفله ويضيق متدرجا حتى أعلاه المكشوف، له مدخل الوقيد من الأسفل لإشعال النار، ثم على جانب المبنى حاجب توضع فيه أحجار مستطيلة يقال لها الألسن ترص فيها الأحجار المنتقاة لحرقها، بهيئة خاصة، تسند الأحجار الصغيرة، وترص الأحجار الصغيرة فوقها طبقات، ولها منافذ خاصة يقال لها العيون، لتصل النار إلى الطبقات الفوقية، وفتحة في المبنى في وسطه لمراقبة الرص ولخروج الأحجار بعد تكلسها، وكان في السابق يتم حرقها بواسطة أشجار"الحلفاء" المتواجدة بكثرة على حيد المسيلة، ثم بعد تلاشي تلك الشجرة، بجذوع النخل وسعفها وغيرها، وانتهى إلى محروق الديزل والزيت- حاليا- مع نشر الأخشاب من ورش النجارة، ويتناوب العمال حرق الأحجار في الميفى لأيام عدة وذلك حسب كبر الميفى وصغره، ويتم إذكاء النار ومدها بمواد الإشتعال ليتم الحرق الكامل للأحجار. والأحجار في داخل الكير(الميفى) تحمر في البداية، ثم تبيّض وتتحول إلى مادة هشة من الكلس.. يتم إستخراجها من الميفى بعد أن بردت،

وقد يتم تحويلها كتلا لموقع آخر، ويتم رشها بالماء، فتتحول إلى مادة ناعمة، ومن ثم تعامل بدقها "بالمسابيط" مع سقيها بالماء.

وحين تخضع "للسباطة" أي الدق أو العجن، وقد هيء لها موقع خاص يقال له "رصعة"، والرصعة عبارة عن أحجار(حصى) صغيرة رصفت بعضها ببعض، مثبتة في رقعة من الأرض صلبة، حيث توضع كمية معينة بتقدير ونظر أهل الخبرة من النوره (الكلس الناعم) ثم ترش بالماء، ويتقابل الرجال اثنين قبالة اثنين، وربما أكثر أو أقل، يحمل كل واحد منهم "مسباط"، والمسباط عبارة عن عود من شجرة العلب في الغالب، مدور ومعالج من قبل النجار، بطول حوالي مترين أو أقل، له انحناءة من نصفه تقريبا.

يهوي الرجال بسواعدهم القوية من جانب لدق النورة، وما أن ترتفع مسابيطهم، تهوي مسابيط الجانب الآخر بحركة منسقة بديعة للدق أو "للسباطة"، ولهم ترنم ودورة وانحناءة عند "السبط"-الدق-مثل:

بن علوي خاله شريف وهو بدوي ياعيدروس

كما ان لهم هوكة، وحركات رشيقة متناسقة، وبإنسجام رائع مع حركة المسباط في هويه والمد والرفع، مع ضرب الأرجل بالارض واللحن، وقد يضع البعض على عينيه وفمه مايكون ساترا لمنع ماقد يتطاير من رذاذ النورة إلى العين والفم قبل وجود النظارات.

وهذا الترنم.. هو نفس ترنم حملة المسابيط لدق سنابل الذرة في الأصر لدرسها.

وتتم متابعة رش النورة في الرصعة بالماء بين فترة وأخرى، وقد تطول عملية السباطة، وقد تقصر نسبيا وذلك بنظر الخبير في استكمال المراد من التهيئة. ومن ثم تؤخذ إلى مواقع أخرى لتخزينها في أحواض للتبريد وإغمارها بالماء، لاستخدامها المنوع، فقد تمكث في أحواض التبريد فترات طويلة حيث تبرد وتلين وقت عملها.

وتؤخذ على قد رالحاجة بعدئذ لاستخدامها، فهناك استخدام لرش الجدران الطينية حتى ينقلب اللون الطيني إلى لون النورة الأبيض، ولها مواد مثبتة كالملح والسكر. ولعمل الطرقة فلها من المواد رمل ناعم وتهيئة خاصة للموقع، ومن المواد التي كانت لعمل النورة الرماد، وغالبا مايكون في أعمال الضمر والسدود ومجاري الماء.

إلا إنه في الفترة الأخيره استعاض أصحاب الميافي عن دق النوره بالمسابيط، بدقها آليا، بواسطة محرك دوار يعجن النوره. ولم يكن عجن الآلة المستحدثة لعجن النورة في جودة دقها بالمسابيط كما يقول أهل الصنعة. كما أن قوة عمل النورة السابق في مواقعها، لا تضاهيها قوة عمل النورة في الوقت الحاضر ولو بنسبة ضئيلة، إلا أن المظهر يفوق المظهر السابق، والوقت وقت مظاهر.

٣- صناعة الخوص أو السلال:

لم يتخصص لهذه المهنة قبيلة معينة، فالكثير تناوب مهنتها وتركها وعاد إليها، ومواد هذه المهنة هو خوص النخل، وسعف لأشجار تشبه النخل،

وليست بالنخل، إذ ليس لها طولها، ولا ثمرتها ثمرة النخل، ونوع منه يسمى "صار" وله ثمر يقال له"صُرْ"، وفي أصل سعفة الصار من الجانبين شوك قصير بانحناءة خفيفة.

ويصنع من خوص سعف النخل القفف، والتفله، والمراوح اليدوية، والمكُل، والمسارف، والعكابر، وقبعات الفلاحات.

أما مصنوعات "السعف" فمنها "الخُبر" وقد تخصص في وضنها (أي صناعتها) آل بامطرف، وقد أخذها عنهم غيرهم.

ومراحل صناعة الخُبرة، بعد تحضير السعف سواء كان من نوع "المسح" أو من نوع "الصار"، وشراؤه يتم "بالمَشك" و"المشك" هو ضم العديد من السعف منتظما في حبل منه بطول متر تقريبا مكون من جزئين رِدِف بعض، والجزء يسمى سِرِفا، ويوضع المشك، أو السِّرف، في زير كبير من الفخار يسمى "جوبه" به ماء يغمر السعف حتى يلين السعف ويسهل تصنيعه، وفترة مكوثه في الزير اثناعشر ساعة أو أكثر أو أقل قليلا، بعد تلك الفترة ينزع من الزير ويعلق أو يوضع في موقع معيّن حتى يخر منه الماء، ومن ثم يعد لمواقع العمل. تبدأ العملية لتصنيع "الخبره"، وذلك بتحديد مقاييس السعف بحيث تضم الأطوال المتقاربة إلى بعض، ومن ثم تخصص لكل خبره عدد من السعفات باعتبار طول السعفة الذي يحدد كبر الخبره أو صغرها، ويتم بعدها نزع الخوص القصير من السعفة ويقال له "سَقِط"، ثم تفصل كل خوصة من السعفة عن بعض، ويقال له "تشريق" على جزئين، ويبدأ العمل بصف الخوص(أي نظمه)

بعملية هندسية مترابطة بالخوص مع بعضه البعض إلى أن يكتمل "الجناح" بتعقيده..جناح من خبره، ويبقى خوص الجناح الثاني للصف من جديد، حيث يتم بعد الصف الدمج مع الجناح الأول بترابط الخوص والتعقيد في أعلى الخبره مع بعض من ناحية، والناحية الأخرى يكون المنفذ أو المدخل لخيل النخل المحمل بثمره. وهنا تجهز الخبره أو يكتمل تصنيعها، ومن ثم يتم صف الخبر في قرن واحد (أي بترتيبه وضمه إلى بعض)، والقرن عباره عن زرنتين، والزرنه بها (٢٥) خبره، أي القرن يكون خمسين خبره، وتبدأ مداخلة الزرنه بالخبره السفال أي الأكبر والتي تليها وهكذا، وتقرن الزرنتين مع بعض بربط، فيقال قرن خبر. والبعض يجعل القرن أربعين خبره.

ومن هذا "السعف" يصنع الجِبِل بأنواعه، الكبير والوسط والصغير، والمحافر، والسلقة، والمكل، والمصلى، ومنه السروت (جمع سره) -الأحبال-بعد دق السعف وفتله، والمكانس، والمراوح، والطبقان، وعبي التمر، والمِعلِه، والفدامه للأغنام وغيرها. ولا وسائل لها إلا أحواض أو أزيار لنقع الخوص أو السعف، ولم يتخصص في ذلك أحد.

وقد انتهت من البلدة صناعة الخبر، وبقيت بعض مصنوعات الخوص الأخرى إلى اليوم، ولكنها في تناقص سيأتي الزمن على مابقي منها.

ولمصنوعات السعف كان-ولعله مازال-سوق في تريم يزخر بمصنوعاته مع مصنوعات الخوص بتنوعها.

٤- صناعة نسيج الملابس (الحويك):

يذكر السيّد محمد أحمد الشاطري:" أن في حارة واحدة من حارات تريم كان بها أربعمائة محواك منسجة"[١٩٩]، إلا اننا في البلدة لم يذكر أحد ممن سألنا غير منسجه واحدة، لأحمد باسلمى في منزله، وكان يؤتى له بالقُطن من المزارع فينقيه ويندفه، وينسجه، وربما ندف القطن في تريم، ونسجه وقد يسبغه باللون الذي اختاره صاحب النسج.وأغلب منسوجاته بلون الأبيض للرجال(الكاره)، وفي الفترة الأخيرة كان يطعمها بخيوط مختلفة الألوان.وقد توقف العمل بها منذ فترة طويلة.

ولم يزاولها أحد بعده في البلدة.

لكن كان قبل ذلك ربما كانت في البلدة محاويك وحويك كثر، فقد ذكر المعلم عبد الحق في قصيدة قوله:

حويك البز منهم دموع العين زغار

كذا رجعوا من الوقت لي ذوقّهم القار

تراهم في البخص منهم يسني وحد سار

نظرته اربعه منهم يسنون سنجار[٢٠٠].

وأما غزل الصوف لم نجد مصدرا ولا من أفادنا بمن غزل الصوف في البلدة.

(١٩٩) الشاطري: أدوارج٢ صـ ٥٧.

(٢٠٠) الوقائع صـ ١١٠.

ثالثا- الصناعات الحديثة في البلدة

١ - صناعة الثلج والايسكريم:

في السبيعنيات من القرن الميلادي الماضي كان أول مصنع للثلج والايسكريم لصاحبه محمد عوض بشير وشركاه، وقبل ذلك كان المغفور له بإذن الله تعالى محمد بشير قد صنع الآيس كريم بواسطة ثلاجات التبريد.

غير أن المصنع لم يعمر طويلا في البلدة، حيث انفضت الشراكة، بعد توقف المصنع من العمل.

وانتقل بعض الشركاء في المصنع من أبناء البلدة إلى المدينة تريم، حيث افتتح عمر عبد الله بامطرف أول مصنع للآيس كريم والثلج، وإن لم يكن أول مصنع لصناعة الثلج.

٢- صناعة المكيفات والبرادات:

تفتق الذهن البلدي واستوعب الكثيرمن المستجدات لمتطلبات المرحلة.. فكانت المصانع.. أو بالأحرى التجميع الصناعي، ففي البلدة أكثرمن معمل لتجميع المكيفات الصحراوية، وللبعض في تجميعها تميّز خاص، إضافة إلى تجميع البرادات، كأرقى ما وصلت إليه مصانع التجميع في البلدان العربية. وأضحت المكيفات المصنعة في البلدة بشهرتها في كل مناطق حضرموت الداخل، بل وفي كثير من محافظات الجمهورية، خاصة المحافظات الصحراوية، وبلغت مصانع التجميع في البلدة ستة معامل، باختلاف في العمالة والإنتاج، وربما النوعية.

٣- صناعة السلاح:

ربما يكون العنوان مجازيا حيث إنه لا يتم في المعامل الخاصة بالبلدة، صناعة السلاح، وانما يتم تغييرأو تعديل وصيانة بعض هيئات الأسلحة، واستبدال بعض الهياكل (كساق البندقية) بتصنيع قطعا بديلة. وهناك من يقوم بصيانة وخلل بعض الأسلحة. اما السلاح الذي نعنيه فهو البنادق.

٤- الورش الحديدية:

إضافة إلى الورش الحديدية لصنع متطلبات البيوت وغيرها، فقد توفرت في البلدة آلات لتعطيف ولي وتقطيع المعادن من الحديد باشكالها وأحجامها المختلفة.

٥- الكسارات:

الكساررة وهي آلة أو آلات تكامل تقوم بتفتيت الأحجار والحصى إلى أنواع مختلفة وعزلها لاستخدامه في اعمال الخرسانة لأعمال البناء الاسمنتي.

تأسست في البلدة كسارة لمالك من غير البلدة في نهاية التسعينيات من القرن الماضي، وتم نقلها من البلدة في بداية القرن الحالي، لأسباب غير معروفة، ولكن المعلن عنه عدم الإقبال على الإنتاج المصنّع أو المكسر من الأحجار، أو بمعنى آخر فشل في تسويق المصنع أو المكسر من الأحجار.

وأعقب إغلاق الكسارة، تأسيس كسارتين يمتلكهما تميميين من أبناء البلدة تعملان بشكل منتظم.

٦- المياه الصحية:

في الوقت الأخير تم افتتاح مصنع مياه "المدينة" الصحية، وذلك بتعبئة المياه في علب بلاستيكية، بمجمع باصاع لآل ربيحان.

٧- مصنع امتياز للأكياس البلاستيكية:

تأسس في البلدة مصنع للأكياس البلاستيكة لآل بامعبد، بانتاج متكامل لمختلف الألوان والمقاسات، والتشكيلات وطبع الرسوم الدعائية في الأكياس وغيرها.

٨- مشروع تربية الدواجن:

في البلدة أكثر من مشروع لتربية الدواجن الدجاج اللاحم، وهو عبارة عن استيراد الفراريج(الكتاكيت) من مصادرها المحلية أو المركزية، ويتم تنشئتهم وتربيتهم بأعلافهم المستوردة في الغالب مع الفراريج، وبعد التسمين يتم البيع كدجاج حي أو مذبوح للمستهلك، وقد تعثرت بعض المشاريع بعد نهضة نجاح في البداية، والبعض تحت الإنشاء، وبما أن هذه المشاريع مرتبطة بالمصدر للكتاكيت وأعلافها، ربما كان من أسباب نجاحها وتعثرها هوالمصدر، أو كيفية التربية والتسويق، ووجودالمنافسة القوية في السوق من الدجاج اللاحم المستورد.

٩- مؤسسة للانتاج الإعلامي:

في عام ٢٠١٣م تم افتتاح المؤسسة الاعلامية [**بي ام** للانتاج الاعلامي] في البلدة(دمون) من قبل المشايخ آل بامعبد. وهي مؤسسة اعلامية، تقوم بأعمال الدعاية والاعلان، والانتاج الصوتي، والمرئي، باستخدام تقنيات حديثة، مواكبة التطور التقني العالمي في الاعلام، حيث أضحت لها تأثير قوي وفعال في تغطية المهرجانات والفعاليات الجماهيرية والخاصة، والبرامج التليفزيونية والافلام القصيرة، إضافة الى الحملات الاعلامية والتقارير بكل تنوعاتها، بجهود عالية متميزة، وبرؤى نزيهة وصادقة ومخلصة للتوعية الاجتماعية لغرس القيم الانسانية بمنظور اسلامي معتدل.

ويكفي أن نشير الى القناة الفضائية المحلية (قناة دمون) التي يغطي بثها دمون بكامل نواحيها المترامية الأطراف.

١٠- استديو إبداع:

افتتح في البلدة (دمون) استديو "ابداع" للمهندس فاروق فرج باصبيح، بوتيرة عالية جدا في تسجيل الأصوات الملحنة باختلافها، ودمج المسارات الموسيقية، وموازنة اصوات الآلات مع الايقاعات والتوزيع بما يسمى فنيا"مكساج" حيث يتم تركيب صوت المطرب للأغنية بعمل دمج وتنقية اضافة الى المؤثرات الأخرى.

الفصل الرابع

الأوضاع الاجتماعية في البلدة

١- سكان دمون.

٢- التركيب الاجتماعي.

٣- الألقاب السائدة.

٤- صور لمجتمع البلدة.

٥- المسكوت عنه.

٦- الحالة الاجتماعية.

٧- نماذج من صور التكافل.

٨- العادات.

الحالة الاجتماعية

إطلالة على السكان في البلدة

١- سكان (البلدة) دمون:

ما عرف عن سكان دمون-البلدة-أنهم من حمير أي السكان الأصليين لحضرموت، لكن لم تسعفنا المصادر الموجودة عن التعريف بهؤلاء السكان في هذه البلدة، إلا بهذه الجملة أو هذه التسمية، وربما لو تحصلنا على مصادر ما لعرفنا عنهم شيئا أو أشياء تفسر لنا الكثير من التساؤلات، وتفند الكثير من المزاعم والتأويلات، ولعرفنا الشيء الكثير عن دمون.. عن موقعها..عن سكانها ومساكنها في القديم.

لكن لتضارب الآراء بين دمون هذه، وتلك، وبين سكانها الحميريين أو الكنديين، فلقد أخذنا بمن قال أنها-البلدة-لحمير.

وتاريخ حضرموت السياسي- كما يقول ابن هاشم- في حقبة أو طور من تاريخها:" مفعم بالغارات العشائرية والتنازع المحلي والإنقسامات الداخلية، فهو تاريخ مضطرب الجوانب، جم الملتويات والتعاريج، يتعسر على المؤرخ ضبطه وتبويبه لتوالي دوله وتعددها في آن واحد، وسرعة قيام سلطات جديدة تقتسم البلاد ثم تسقط حثيثا، وتحل أخرى محلها، فإذا تفوقت طائفة بالقوة، وامتلكت إحدى المدن لعبت بها كما يشاء لها هواها، ودعت نفسها دولة، ورئيسها سلطانا، ريثما يتفوق عليها غيرها فيزحزحها عن موضعها وهلم جرا"[٢٠١].

(٢٠١) الكاف: مختارات من كتابات شيخ الصحافة الحضرمية صـ ٧٧.

ولعل مثل هذه الغارات، وما يعقبها من انقسامات وتكتلات وتعصبات هي التي حالت دون رسوخ الكثير من الأسر في موطنها الأصلي.

ومن بحث للأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي بعنوان:" الهوية الثقافية لمجتمع تريم وأثرها في مجتمعات المهجر الإفريقي":" شهد القرن السادس الهجري نزوح عدد من قبائل السراة باليمن إلى وادي حضرموت الخصيب، كان أبرزها بنو حرام، وبنو ضنه، ونهد، وآل كثير، وغيرهم، فشب صراع بين سكان الوادي والنازحين، نتج عنه إضعاف قبيلتي حضرموت وكنده، وإزاحتهما عن قيادة المجتمع، فقد سيطرت القبائل النازحة على مواقعها، وتولت الإدارة السياسية، فحدث من جراء تلك السيطرة تحول في التكوين السكاني والجغرافي للوادي، قيل عنه اكبر إنقلاب إجتماعي في حضرموت، حيث تمسكنت بعض هذه القبائل الحضرمية والكندية، وتركت السلاح، واتجهت إلى المساجد لتعلم الناس، أو إلى المزارع، أو التجارة، خاصة في الجانب الأوسط والسفلي من حضرموت..".

وقد" تعرضت تريم لهذا التداخل السكاني الاجتماعي بصورة عنيفة، بكونها المركز التجاري الشرقي المهم بالوادي. فحدث وعبر قرون من الزمن، تنوع في مجتمعها بتقسيمه إلى مراتب إجتماعية بصورة واضحة، ظلت ولا زالت آثارها قائمة إلى اليوم، رغم التطور الثقافي والصناعي والتقني الحادث في العالم."[٢٠٢].

(٢٠٢) الكاف: مختارات من كتابات شيخ الصحافة الحضرمية صـ ٧٧.

" من جراء هذا التداخل السكاني والتفاضل الاجتماعي جاء نتيجة لسيطرة الأقوى على القاطن الضعيف، نشوء الفروقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وقسم إلى طبقات أو بما يعرفه البعض بالمراتب، لتتميز كل فئة عن الأخرى بملامح خاصة، منها التسلط، والجاه، ومزايا يعددها العرف العام السائد."[٢٠٣].

والمعروف عن قبائل حضرموت القديمة: حضرموت، سيبان، مهره، الصدف، كنده.

٢- التركيب الاجتماعي لسكان البلدة:

الواقع أن سكان دمون كغيرها من مدن وقرى حضرموت، مكون من طبقات، وفقا للتصنيف الاجتماعي الطبقي السائد، فطبقة السادة، وطبقة المشايخ، وطبقة القبائل، وطبقة الحضر-القرار-وطبقة المساكين، ولا توجد طبقة أخرى في السلم الاجتماعي بدمون كالعبيد أو الصبيان – مثلا-.

١- السادة:

سكن آل شهاب – ولعلهم أول من سكنها من السادة- وأسسوا أول مسجد – في تاريخها الحديث- وبنو فيها مساجد أخرى، وأموها، وتملكوا لأراضي الزراعية الشاسعة، وأوقفوا الأراضي على المساجد وغيرها، وبنوا مدرسة، وتناوبوا التدريس والتذكير والوعظ والإرشاد، سواء في الكتاتيب أوالمدرسة الأهلية، أو في البيوت الخاصة، أو في المساجد، وأوقفوا للبلد ماعون

(٢٠٣) المصدرالسابق صـ٦٦.

المناسبات كالقدور الكبيرة وتوابعها من الصحون وغيرها، وكانوا السباقين لكل خير لتقديم المساعدة للمحتاجين، ولإخماد الفتن، ورفع الظلم عن المظلومين بتدخلهم المباشر وغير المباشر بحكم جاههم لدى مثيري الشغب والفتن.

إضافة إلى السادة آل شهاب، هناك السادة آل الحامد، وآل المشهور، وآل الشاطري.

والمعروف أن السادة نزحوا واختاروا السكن بدمون بدلا من تريم لسبب أو لآخر، ماعدا آل الحامد من ذرية الشيخ ابوبكر بن سالم فقد نزحوا من عينات.

نبغ بعض سادة البلدة في شيء من العلوم الدينية وغيرها، وأثرى بعض منهم أو أكثرهم، وكانت الهجرة مصدرا لأغلب ثرواتهم، وذلك في مرحلة أو مراحل سابقة.

٢- المشائخ:

ثم المشايخ وهم آل باشعيب وآل باغوث، وآل الزبيدي، وقد سكن بعض آل باشعيب وبعض من آل باغوث الغويضة، وهي أي الغويضة-أقرب إلى دمون ولكنها في عرف المثاوي "حوطة".

كما نبغ بعض المشايخ في بعض العلوم، ومارس التجارة بعض منهم، وامتهن البعض حرفا أخرى كبقية سكان البلدة.

٣- القبائل:

لم تفدنا المصادر عن قبائل دمون القديمة وسكانها، إلا إنهم من حمير، وأما عن حاضرها القريب فيقول ابن عبيداللاه:" إن دمون مساكن آل سلمه، وهم

من قبيلة أجلها من آل تميم، وإنما قال أجلها من آل تميم – كما يقول–لأن المسموع أنهم نزّاع من قبائل شتى، رغبهم العلامة الجليل علي بن شيخ بن شهاب في سكنى دمون لحمايتها، وكان أكثر دمون ملكا للسيّد علي المذكور بشهادة الوثائق الكثيرة الشاهدة بانتقال الأملاك عنه وعن ورثته"[٢٠٤]، وقد حدد القبائل الساكنة بدمون(آل سلمه) السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب: "بآل عوض، وآل عمران، وآل عبوده، وأضيف لهم آل بن نبهان"[٢٠٥]، وفي البلدة – دمون–أيضا قبيلة آل الجابري من الشنافر، وكذا قبيلة العسكري(اليافعي) وآل الفردي من يافع، وآل بن بدر من نهد، وإن تكن الأسر الأخيرة، قريبة عهد بسكنها دمون.

ويقول السيد عمر المشهور: "المتولين الحكم في دمون هم المسمون آل سلمه، وهم فخائذ من آل تميم يتكونون من أربع فخائذ متباينة النسب (ولم يذكرها)، وقد بلغنا أن الحبيب علي بن شيخ بن شهاب الدين المتوفي بالشحر سنة١٢٢٣هـ (والأصح سنة١٢٠٣هـ) عندما سكن بدمون قام بجمع تلك الفخائذ على سلطة واحدة وأب واحد في الخير والشر تجمعهم القبيلة (آل سلمه) تحت قيود ومعاهدات عقدت بينهم"[٢٠٦] .

وطبقة القبائل، هم حملة السلاح المنافحون عن البلد من غارات الخصوم، وهم الحكام على وفق سوارحهم القبلية المعروفة في تلك المرحلة.

(٢٠٤) إدام القوت صـ ٥٥١ .

(٢٠٥) الإعتراف بالإحسان صـ٢٧.

(٢٠٦) بغية من تمنى صـ ٢٣.

ورغم انتماءاتهم لقبائل شتى، فهم انضووا تحت سلطة مقدم واحد تجمعهم القبيلة آل سلمه.

٤- القرار والمساكين:

القرار والمساكين، وهم بقية السكان الذي عليهم التعويل في الخدمات العامة في البلد، فمنهم التجار والمهنيين وأصحاب الحرف والمزارعين والعمال.

وبالترتيب الهجائي نذكر قبائل سكان دمون من هذه الطبقة كما يلي:

باحشوان/ باخريصه/ بادباه / باسلماء / باشامخه / باشعيوث / باصبيح / باصاع / باعبيد / باعديل / باغزال / باقرنون / بلعجما ء/ بامزروع / بامطرف / بامعبد / باملیص / باموﻣن/ باني / باواحده / بشير/ بركي / بكر / بن ثاقب / بن جميل/ بن حميده / بن حيمد سعد/ بن محفوظ / حسان / حيمديه / شعر/ صبيح / ربيحان / فقيهان / قبان / محروس / مسلّم / وفي الزمن الأخير سكن دمون بعض من آل نهيد، وآل الهجري/ وبابركان/ وغيرهم(٢٠٧).

وفي مصطلح القرار أو القرويين، وهم التجار، والكتبة، وبعضا من طلبة العلم – إن وجدوا–، وأما أصحاب المهن والحرف والمزارعين والبقاره (حراث الأرض) كطبقة عامة للمساكين، وإن تسمى البعض في وقت من الأوقات مع القرار، والبعض بالضعفاء.

(٢٠٧) استوطن دمون الكثير من سكان مدينة تريم وغيرها في الوقت الحاضر، وغيرهم يؤهل مسكنه للسكنى، ولم الحقهم بسكان دمون السابقين، كما ان من بعض الأسر نزحت إلى مدينة تريم وغيرها.

ولقد سبق وأن أفردت لذوي المهن والحرف تعريفا بمهنهم وبعض من وسائل المهنه نظرا لانقراض البعض، أو تحديث البعض لآليات مهنهم، مواكبة للعصر ومستجداته.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن سكان هذه البلدة من المصنفين في المساكين أو الضعفاء، إنما اضطرتهم الظروف إلى المسكنة في وقت من الأوقات، وإنما هم ينتمون إلى قبائل حضرموت من كنده وغيرها. يقول السيد علوي طاهر الحداد: "والمقصود أن تعلم أن تلك القبائل الثلاث: كنده، ثم السكون، ثم تجيب، كانوا بحضرموت إلى ما بعد الإسلام بقرون، ولم يرحلوا عنها قبله إلى نجد كما ظنه بعض من لم يتأمل، وإنما نقل إليه أفخاذ منهم خاصة...

ثم أفنتهم الحروب وخلفتهم في أكثر مواطنهم بنو ضنه ومذحج وافناء من العرب، وإن كانت منهم بقايا مستضعفة، ومنهم من تمشيخ، ومنهم من انتسب إلى القبائل الغالبة، ومنهم من صاروا عضاريط (العضريط = الأجير على طعام بطنه) وخدما وأتباعا لهم"[٢٠٨]، ومن المشايخ آل بامعبد ذرية الشيخ محمد بن معبد الدوعني[٢٠٩].

وعن آل بامعبد يروي السيّدعبدالرحمن بن عبيداللاه السقاف:" أن عين بامعبد – وهي قرية في مديرية ميفعه بمحافظة شبوه–أن بها ناسا من آل بامعبد

(٢٠٨) الشامل صـ ٩.

(٢٠٩) المصدر السابق صـ ٤٩.

لا يزالون إلى اليوم، فيفهم منه أن العين منسوبة إلى جدهم. وقد نجع كثير منهم إلى تريم، ولما مسهم ظلم يافع انتقل بعضهم إلى دمون"[٢١٠].

ويقول العلامة السيّد أحمد حسن العطاس: "ومن قبائل مذحج الذي بجهة حضرموت باصبيح"[٢١١]."، وباواحده حراث بحضرموت أمويون من ذرية يزيد بن معاوية"[٢١٢].

وينقل ابن عبيداللاه من:" خلاصة الأثر للمحبي" أن آل بامزروع وآل بامطرف قنازلة وهم فخد من كنده... وقد نجع آل بامطرف من ريدة الصيعر إلى الهجرين وتفقروا وتركوا السلاح... ثم افترقوا في البلدان واختلفوا في الأعمال"[٢١٣].

وعد سالم علي الجرو في كتابه:" بلاد الأحقاف رموز وكنوز"[٢١٤] من بيوتات كنده: الباعبيد، وباخريصه. وبا مطرف، وباحشوان.

وذكر عبد الله بن مرعي بن محفوظ صاحب كتاب "كنده ودورها في الجزيرة العربية"[٢١٥] "أن آل باومن بطن من معاوية الاكرمين من كنده" "، وآل باعديل وهم من بني زياد بن حسان بطن ثور بن مرتع من بطون كنده"، وآل بن محفوظ من فرع السكون من كنده.

(٢١٠) إدام القوت صـ ٢٧.

(٢١١) انساب الأسر الحضرمية صـ ١٥

(٢١٢) المصدر السابق صـ ١٦.

(٢١٣) إدام القوت صـ ٦٥.

(٢١٤) صـ ١٧٣، ١٧٥.

(٢١٥) صـ ٣٤٩، ٤٠٣، ٤١١.

"ومن فخيذة قبيلة الحموم باشامخه وهي من بيت القرزات"[٢١٦].

لكننا لا ندري هل لقبيلة آل باشامخة صلة بهذه الفخيذة أم لا، ومن توسمنا فيه المعرفة من مسني آل باشامخة لم يفدنا بشيء.

لكن جاء في مختصر كتاب الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت:" أن آل باشامخة وهم من بني سعد بن مالك بطن حاشد من كنده"[٢١٧].

ويقال أن آل:"حيمد سعد" من قبيلة آل صبيح، وفي الفترة الأخيرة أضاف البعض من آل حيمد سعد، النسبة إلى باصبيح.

ويذكر النسابة أحمد بن سعيد بن سالم باعديل في مؤلفه المخطوط شم النسيم:" أن باصبيح بطن من بطون سعد العشيرة من مذحج، وقد انتقل جماعة منهم وهم آل حيمد سعد باصبيح إلى قرية شعب متاش المتاخمة لحدود منطقة دمون وذلك في حدود سنة ١٢٠٠ هـ[٢١٨].

وشعب متاش جزء من البلدة في الناحية الجنوبية منها وهو خارج سور مدينة تريم.

ويقال أيضا إن آل ربيحان ينتهون إلى قبيلة آل بامؤمن حسب ماذكر في بعض شواهد القبور القديمة.

---

(٢١٦) حضرموت دبليو اتش انجرامس ترجمة د. سعيد النوبان: حضرموت صـ١١٥.

(٢١٧) سالم بن أحمد بن الحسين بن جندان، اختصره الدكتور عمر بن محمد باحاذق صـ ٥٨.

(٢١٨) شم النسيم في تاريخ نويدرة تريم صـ ٤٢.

ومن مخطوط النسابة باعديل"شم النسيم في تاريخ نويدرة تريم":أن بن قرموص يعودون إلى ربيحان بامؤمن حسب شواهد القبور التي شاهدتها في مقبرة أكدر في تريم، ومنها شاهدة قبر تعود إلى سنة ١٣٢١هـ بأسم حيمد بن سالم بن قرموص ربيحان، وأخرى لعبيد بن سالم بن قرموص ربيحان، وثالثة لسعيد بن حيمد بن قرموص بامؤمن يعود تاريخها إلى سنة ١١٤٣هـ". وآل بامؤمن عدة أفخاذ فمنهم:آل ربيحان، وآل ربيحان يتفرعون إلى بن قرموص، وطاسه[٢١٩].

لكننا نعود إلى مرجعيتنا في النسب، وهو الإستقامة والكرامة، وأكرم الخلق اتقاهم لله، ولا خلاف بين مؤمن بهذا. إلا أن التساؤل يفرض نفسه على وفق الظروف التي هيأت لهذا التقسيم، ولعل من أشار إلى أسبابه – كما قدمنا–فيه من الوجاهة والقبول المنطقي ما تفرضه الأحداث التاريخية في بلد تتحكم فيه القوى المسيطرة بجبروتها.

يقول عبدالله بن مرعي بن محفوظ:" ترك لنا العهد القبلي موروثات من الجهل والتعصب بإطلاق بديعات من التفضيل والتقسيم للقبائل.

ولا أعلم كيف تم هذا التقسيم، ولماذا التفريق بين أفخاذ القبائل الواحدة إلى درجات مختلفة، رغم أنهم يرجعون إلى جد واحد، ويقال أنه حينما تفرقت الفخوذ إلى مناطق مختلفة فظهر الوهن في بعضها، وأطلق عليهم الحَرَث، والأخرى قويت فسميت القبائل، وجاور الآخرين السادة، وبيوت العلم فأطلق عليهم الشيوخ."[٢٢٠] .

(٢١٩) المصدر السابق صـ ٣٥.

(٢٢٠) كنده ودورها في الجزيرة العربية صـ ١٤.

وعودة إلى سكان دمون، وننوه من جديد بأن أغلبية السكان فيها من العمال والفلاحين، الذين هم عصب السكان وهم عماد الحياة، إذ ينتجون أقوات الناس وملبسهم ويبنون مساكنهم. يقول الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف:" وفي المجتمع الحضرمي إذا ازدهى العلوي باتصال نسبه للبيت النبوي، تباهى الشيخ بأجداده وعلومهم وكراماتهم، وافتخر القبيلي بأعمال أجداده البطولية، وانكمش القروي والمسكين والضعيف وكأن لم يكن لهم ما يجوز أن يتباهوا به في مجتمعهم، مع أنهم يمثلون الطبقة العاملة والفلاحة في المجتمع التي يعتمد عليها اقتصاد البلاد وخدماته الأساسية الأخرى"(٢٢١).

ويصف السيد محمد أحمد الشاطري قوام المجتمع الحضرمي وعماده في مرحلة من مراحله:" وعندهم- أي سكان حضرموت- ما يكفيهم في عماد حياتهم ومعيشتهم من ناحية المطعم والملبس والسكن وغيرها من الضروريات وحتى الكماليات، ونجد الأواني والأدوات المستعملة بينهم من الفخار، والأخشاب والخوص أشكالا وأنواعا في مختلف الشئون المنزلية والزراعية والمعمارية، وبين الأوساط ذات البساطة المعيشية، وقل أن يجلبوا غيرها من الخارج، فهم يعتمدون على ما تنتجه أرضهم الطيبة من تمور متنوعة، وأطعمة مختلفة، وثمار وخضار، ويعتمدون في ملابسهم على ما تنتجه المحاويك- آلات النسج- التي تحول القطن الذي تنتجه أرضهم إلى نسيج ثم إلى أقمشة، وقد

(٢٢١) المعلم عبد الحق صـ٢٢٥.

يصبغون البعض بواسطة النيله التي تنبت في بلادهم بل يصدرونها كما يصدرون انواعا من نسيجهم إلى الخارج."[٢٢٢] .

فإن كان في هذا إكتفاء ذاتي – تقريبا–فإن نصيب المسكين العامل والفلاح منه الكثير، والكثير جدا.

ولعل الطبقة الأخيرة في السلم الاجتماعي، هي الطبقة العاملة المنتجة في المجتمع، والذي تعتمد على إنتاجه كل الطبقات في خدماتها الأساسية، وفي أقواتها ومساكنها، وأفراحها وأتراحها، وفي وقت السلم والحرب، فهي ركيزة المجتمع ونواة اقتصاده وحيويته، إلا أن جهل هذه الطبقة بقيمتها وأهميتها، خنعت واستسلمت لهيمنة الطبقات العليا في وقت ما.

والغريب أنه لم يشر إليهم من تحدث عن سكان دمون، كما تحدث عن غيرهم، وهم عصب المجتمع وقوامه، وعليهم وعلى هممهم ونتاجهم يكون التطاحن والتناحر.

والواقع الذي به نعتقد على وفق تعاليم ديننا أن الكل لآدم وآدم من تراب، والفضل لأهل الفضل من علم وتقوى وإصلاح بين الناس، أو فضل رزق مكتسب.

وثمة أسر نزحت من دمون كاملة أو بعض منها، إما لمدن أو قرى أخرى، أو هاجرت في وقت من الأوقات، إما كرها أو طلبا للمعيشة، أو استحسانا للمدن، أو لسبب آخر، وأخرى كلّت أي لا عقب لها، وبالمقابل هناك في هذه الفترة الأخيرة، كثير من الأسر استوطنت دمون من جديد، وأخرى نزحت ولم يتسن

(٢٢٢) أدوار التاريخ الحضرمي جـ٢ صـ ٦٣.

لي في حينه معرفة من استوطن وأعدادهم، خاصة أنه مازال الكثير يهيئون سكناهم في البلدة.

غير أن في كلمة الإستيطان أو النزوح فيها شيء من التجاوز لمفهوم الكلمة، فقد أضحت البلدة حي من احياء المدينة تريم، وإنما هو انتقال من حي إلى حي، بأستثناء من ترك المدينة.

ونظرة إلى قبائل البلدة تلك، تجدها لفروع من قبائل في مختلف مدن وقرى الوادي، بحيث يتعذرعلى الباحث اليوم، نسبة أيا من هذه القبائل إلى سكان البلدة في تاريخها القديم، سواء كانت حميرية أو كندية.

وقد بلغ سكان البلدة-دمون-حسب آخر تعداد في نهاية شهر مايو من عام ٢٠١٦ م، (٢١٧٧) أسرة بإجمالي افرادها عشرة آلاف وعشرة فرد(١٠٠١٠)، وذلك حسب تعداد حقيقي من قبل لجنة الزواج الجماعي الخامس بالبلدة.

٣- الألقاب السائدة في البلدة:

ومن أسوأ ما مني به سكان دمون الألقاب والتنابز بها، -كسكان غيرها من مدن وقرى حضرموت عامة-، بحيث أضحت معلما على كثير من الأسر أوالأفراد، قد لا يعرف الشخص إلا بها، إذ طغت بعضها على الإسم الحقيقي للفرد أو الأسرة أو القبيلة، وقد قيل إذا اشتهر اللقب جاز وإن كان ذما كأعرج وأعمش، وهناك ألقاب سيئة الطرح، وهناك ألقاب حسنة الطرح، وهناك ألقاب مقبولة الطرح، وهي تقريبا في كل الأحوال "كماركة" خاصة تميّزه عن غيره من

نفس الفخيذة، أو من ضمن العشيرة، والأسرة. وهي مغيظة للبعض، ومقبولة للبعض الآخر. ولقد نهى القرآن الكريم عن التنابز بالألقاب، وقد انحسرت اليوم الكثير منها وانتهت، وخاصة المسيئة منها قد عفى عليها الزمن، واستبدلت بالكنى أو الإسم كاملا.

وأنا أذكر بعض الألقاب للأفراد والأسر والقبائل من جميع الشرائح أو الطبقات دون أن أنسبها لأصحابها، وإنما أردت بذكرها أن أحفظ شيئا مما كان عليه مجتمع من في البلدة وللتعريف بما اندثر أو إنمحى من الذاكرة عند الكثير، علما بأن بعض الأسر لها أكثر من لقب.

البابو/ ابو حدين/ ابودربس/ ابوشرّين/ أبو عَقلين/ ابوعِويشق/ ابو هلال/ البوزه/ باجري/ باشماله/ باعطير/ باكور/ بَصْعر/ بُعبع/ بعطه/ بكوره/ بِلاشان/ بِليق/ بنا بالليل/ بن دحروج/ الذنوب/ بن شِلخ/ بن ظَلَف/ بن عقالو/ بن قِرضام الحديد/ بن قُبع/ بن كفيت/ بِيقع/ تِرماح/ تونَح/ التّيس/ الثور / الجاوي/ الجحيلي/ جرُدها/ جَمَال/ الحَجَار / الحلايا / الحمَط / حَنْذوله/ الحوش / خُبْره/ الخُشم / خُنّه/ الخيامي / خِيِيره/ الدار / الدبّاغ/ داحِس/ دحيدح/ دِحِي/ دُخْنه/ الدّقَم / دُنقر/ دوح/ دويله/ الديك/ رَطْريط/ رَفعَه/ رميص/ الزبّاد / زخبه/ زوعه/ الزويّد/ السريّعي/ سريوا/ سَطيحه/ سكُب/ سِكس/ سلاّطي/ سلّوعه/ سوكب/ سيحوتي/ شحم/ شُربه/ الشرّي/ شريفو/ شطرنج/ شعتول/ الشِّعن / شُعِين/ شَغْدوف / شَفْره/ شنّه/ الصُّحن / صعُرْعُر/ صعمر/ الصغيّر / صفِيرا/

صَلوق/ صُمبر/ صهر/ الطّقع/ طُويّل/ الطيير /عُباد/ العِبس/العِتر/ عُركز/ عِرْمِه/ عَشاعِش/ العصيد/ عَقوره/ العُكِش/ عُكره/ عَنبر/عنتر/ عَنْزو/ الغَدا / الغنَم/ فِسِيوا/ فلَخ/ فُش/ قِرادِه/ قَردود/ قُرط/ قروش/ قُزِح/ قعرور/ قُفه/ القعيطي/ القُمصي/ قلُط/ قنّوصه/ كاشِه/ كتوري/ كِرِش/ كُراع / كاو/ كِمِيتي/ الكُبيش/ الكَعَد/ لَعْوج/ لِقْشم/ لْعِه/ ليمه/المبسوط/ إمبيروك/ المحّار/ المُحشي/ محفَر/ مخارش/ مِروِح/ مِريس/ مُرّي/ مشَحْشَح/ مصب/ مَصّه/ مقلّع/ مقود/ منينو/ اِنبطِح/ نُص البعير/ إنقِيزِه/ نَقسوس/ اِنقلِف/ الناقه/ اِنياسو/ نِينو/ وِيتا/ هاع/ هتلر/ الهدّار/ هَطهط/ الهلاك/ يعمر/يعني.

كما يلاحظ أن هناك أسماء باعتبارها لقبا لفرد أو لأسرة، وهي تسمية لقبائل معروفة ومشهورة، ولقد حاولت أن أعرف عن أسباب ودواعي بعض الألقاب، ومن قائلها ولم لصقت بهذا الفرد أو الفخيذة دون غيرها، لكن لم يفدني إلا القليل مما لا يفيد، والبعض حذرني من البعض ممن يغضبه اللقب.

والألقاب والتنابز بها سواء للأفراد أو القبائل، أو القرى والمدن، معمول بها في كل القرى والمدن وساكنيها بحضرموت تقريبا، وإذا كان السابقون لا يرون في اللقب أي عيب أو خدش للنسب، فقد تحاشى البعض ذكره ممن بعدهم، ورغم تحذيرات الوعاظ وزجرهم، إلا أنه بقي التداعي بها من قبل الكثير، على اعتبار أنه لا يدخل ضمن التنابز أو التعاير، إنما هو كسمة أو وصف غلب على اسم ما، سواء كان شخصا، أو قبيلة، أو فخيدة، أو أسرة. ولم يقتصر

التداعي بها-الألقاب-على العامة، بل تداعى بها علية الناس من العلماء والوجهاء، والوعاظ.

قيل إن أحد السادة من تاربه حضر مجلسا من مجالس الوعظ أو الروحات التي تقام في مدينة تريم، يعظ فيها الوعاظ بعد تدارس شيء من العلوم، فوعظ، وكنى متعمدا ليغيظ البعض من سادة ووجهاء تريم، واستشهد بآية من القرآن الكريم، **"واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل"**. وعرف من عرف القصد من أهل تريم واغتاظ. (ولقب آل تريم:" خيله خيلتين أربعمائة ما يعتدين")، وفي مناسبة أخرى لقراءة المولد المعتاد في وقت معيّن لمناسبة معروفة في أحد مساجد تاربه، حضر السادة من تريم كعادتهم في هذه المناسبة، وبعد قراءة المولد، طلب من احد سادة تريم ووعاظها، أن يعظ الحاضرين، فوعظ وثأر لنفسه ولمدينته، وعظ، واسترسل في وعظه، واستشهد بالآية الكريمة من سورة الكهف معززا الموضوع الذي تناوله عن عمد:**" قال أخرقتها لتغرق أهلها"**، وكانت الإشارة من وصل طرفي إصبع سبابته وإبهام يده، ليغيض ويثأر بكياسةعالم، وأهل تاربه (ولقبهم مخروقة) فطن لها من فطن، واغتاظ من اغتاظ من أهل تاربه..فقيل هذه بتلك والبادئ أظلم.

ويذكر صاحب كتاب الشعراء الحضرميين أن الشيخ عوض محمد بافضل كتب(نسخ) بقلم يده القرآن الكريم لشيخه السيّد علي بن محمد الحبشي، وعندما وصل إلى قوله تعالى، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، جعل **"يـجـره"** سطرا واحدا بالحبر الأحمر مداعبا بذكر الجر الذي هو لقب آل سيون(جره)[٢٢٣].

(٢٢٣)السقاف: جـ٥ صـ ١٧.

وقد ذكر ألقاب القرى والمدن من الغرف إلى شعب نبي الله هود في قصيدة منسوبة لعبود، وفيها عن دمون يقول:

واقصد لدمون فيه "المحامل" جم من فوقهم الرّهي فنجانهم بالي

والشيخ عبد الله حسين بافضل يصف ألقاب القرى إلى هود ومنها دمون حيث يقول:

وآل دمون فنجان اشتعق والمحامل كسروهن على عود

وهو اللقب لبلدة دمون "المحمله مكسورة والفنجان اشتعق"، وظاهر اللقب هي زلة لسان عفوية، لا يسلم من مثلها الكثير في أحاديثهم، لكن من سمعها وأشاعها وأتخذها شتيمة للبلد وأهل البلد، وما جرى حولها من مشاحنات وخصام واعتداءات بين الأفراد والجماعات ممن تفوه أو لمّح "للمحمله" أو "الفنجان" من غير أهل البلدة، مع أهل البلدة في وقت من الأوقات ليس بالقليل.

وأذكر أن الخال سعيد مبارك باغوث-رحمه الله-، وهو المعني بلقب "قُفَّه" أي "محمله"، كان يستعير من ذكرها ومن مرآها، بل أنه يرفض حملها وبداخلها مائة شلن (خمسة دينار) على أن تكون له، حينما كانت المائة شلن تشغل عشرين عاملا من عمال البناء في اليوم من الصباح إلى غروب الشمس، وهو في حاجة إلى الشلن الواحد، ومن كرهه "للمحمله"، ومن اشتقاقاتها ومرادفاتها، فهو إن صادف قراءته للمولد، كان يتعمد القفز للبيت من القصيدة التي يرددها رواد الموالد الذي فيه:

عندما شدوا "المحامل" وتنادوا بالرحيل..

يقفز البيت كله، ولو خيّر لمحاه من النسخة، ومن ذاكرة كل فرد، رحمه الله، ولم يكن وحده بمثل هذه الرؤية أو هذا الفهم والإستياء من اللقب، فكثير من عقال البلدة وشيوخها-سابقا-يخزون من ذكر المحمله أو النطق بأسمها أو النظر إليها عند الغرباء، أو في الأماكن العامة.

ويذكر من عاصر صاحب اللقب" الناقة" أنه كان يحفر في قاع بئر مؤديا عمله، فأرسل إليه من أراد أن يستفزه مع "المحفر" الخالي أغصان من شجرة "الهِرِد"، وهذه الشجرة غالبا ما تقدم للناقة كعلف لها، فطلع من قاع البئر محتدا ومتعصبا ومهاجما لمن فعل ذلك، وحاول الحاضرون-بقصد لا تخفى مراميه-أن يعرفوا السبب عن طلوعه وتعصبه وغضبه، وهو يزمجر ويسب ويشتم، ويتساءل من فعل تلك "الفعلة"، ولم يذكر الهِرد، فالهِرد مما يقدم للناقة، ولا يمكن أن يسميه بلسانه، وهو مراد من أرسل الهرد إلى قاع البئر.

ولم يعد في الوقت الحاضر من يحفل باللقب أو من يتنابز به، إلا القليل، والقليل جدا، وإن يكن هناك من يسيئه التنادي به، فقد عوض اللقب بالكنية.

٤- صورة المجتمع في البلدة:

"عاشت دمون بسكانها كغيرها من مدن وقرى حضرموت، امتدادا لفترات سابقة من الفوضى واضطراب الأمن، وانتشار الفتن، فلا توجد في البلاد سلطة مركزية تخضع الناس لأمرها ونهيها، على نظام سائد للكل، وإنما هي في أغلب مراحلها- كغيرها من مدن وقرى حضرموت- مجزأة تحت

سلطات عشائرية مختلفة، كل منها تنازع الأخرى الشوكة والجبروت، ولم تكن لتلك الطوائف والعشائر المتناحرة من القوة بحيث تخضع إحداها للأخرى، ولكن قد تعقد تحالفات مع بعضها البعض في وقت، لتفترق بعد ذلك على أسوأ ما يكون الافتراق ومضاعفاته، والمواطنون تتقاذف بهم الأهواء..أهواء حملة السلاح وطغيانهم، فمن يلجأ إلى قوي في حاضره ما يلبث أن تنهار قوته، وتنهار آمال من لجأ إليه بقصد الحماية والأمن.

والمسيطرون في كل الأحوال، لا هَمّ لهم مصلحة وطن أو مواطن ولا أمنه، بقدر ما همهم جباية الضرائب والعوائد، وربما جاروا على المواطن الأعزل فأرهقوه بالعمل السخرة وبالتبرعات الإجبارية، أو بالنهب المبرمج في صيغة تبرعات لحفظ الأمن أو بدون مبرر. فالواقع أنه لا تقدم للمواطن أية خدمة تذكر، ولا حتى خدمة الأمن الضروري لحفظ الأرواح والأموال والأعراض.

وأعمال السخرة متفشية يمارسها كل من يجد في نفسه القوة على إرغام الضعفاء على الخدمة المجانية والاشتراك في المعارك القائمة بينه وبين خصومه، بحمل الزاد والماء والذخيرة العسكرية للمقاتلين، إضافة إلى بناء الحصون والقلاع والسور"[٢٢٤].

ولعل السيطرة على مناطق النفوذ في المجتمع الحضرمي، قد تم في هذه الفترة تحديد مواقعها ومصالحها سواء بالشراء، أو بالغارة المسلحة من قبيلة، أو حاكم.

(٢٢٤) بامطرف: المعلم عبد الحق صـ ١١٧.

يقول الدكتورعبد الله سعيد الجعيدي:" تقاسمت المرتبيات العليا في المجتمع الحضرمي ملكية الأرض.فامتلكت الأسر الحاكمة والسادة والمشايخ والقبائل معظم الساحات الزراعية إلى جانب امتلاك بعض المزارعين لمساحات محدودة من الأراضي يقومون بأستغلالها لأنفسهم، وفي مناطق النفوذ القبلي توجد أراض مشاعة بين العشائر، ويتم تناوب زراعتها في موسم السيول وفق نظام عرفي من بيوت العشيرة، دون أن تثبت ملكيتها لأي من هذه البيوت"(٢٢٥).

ولعلنا نستثني مزارعي دمون في تلك الفترة من إمتلاك أي أرض زراعية، إنما هم مزارعون بالأجرأو بالمخابرة أو غيرها، ومعروف أن أراضي دمون الزراعية ملك لأثرياء دمون وتريم، وأوقاف مساجد وغيرها، وثمة أراضي سكنية لقبائل آل سلمه: لآل عوض، وآل منصر، وآل عمران، وغيرهم. فأرضية مسجد جامع مشهور-مثلا-من آل عمران(٢٢٦)، وفي البلدة بيوت أراضيها شراء من آل عوض وآل منصر وغيرهم. ولم أستطع الحصول على معلومة تفيدني في ملكية الأراضي الزراعية ممن تم تمليكها قبل وقفها. لكن المعول عليه في تلك المرحلة هي سطوة الحكام، ومن يملك المال، وحملة السلاح، والقوي يضعف بوجود الأقوى في كل الأحوال.

(٢٢٥) الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت صـ ١١٤.

(٢٢٦) بن ضياء: الإعتراف بالإحسان صـ ٢٣.

أ- سطوة الحكام والقبائل:

ولم يسلم من سطوة هؤلاء الحكام والقبائل حملة السلاح، طبقة أو شريحة في المجتمع، أكانوا ممن تسنم الهرم الاجتماعي في البلد كالسادة، أو المشايخ، فقد طالهم الحبس والنهب، مع اعتراف حملة السلاح بنفوذهم الديني ووجاهتهم عند كل القبائل في المنطقة.

ومع أن ما طالهم أقل بكثير ما طال الرعايا الآخرين، من تجار وعمال وفلاحين وذوي الحرف الصغيرة، فهؤلاء كانوا يسحقون وتنتهب أموالهم وتداس كرامتهم، وتنتهك أعراضهم بدون وازع من ضمير، ولا رادع من دين أو إنسانية، فكانوا يقتحمون البيوت للقتل والنهب، إضافة إلى الحجر(محرّج)، أي توقيف العامل أو المزارع من مواصلة عمله بسبب أو بدون سبب، وهي حالة بخصائصها الزمنية في كل مواقع السيطرة القبلية، أكانوا حكاما أو عشائر من حملة السلاح.

ب-القبولة وأعرافها:

مما يعنينا في هذه المرحلة معرفة القبولة وأعرافها، التي أضحت صاحبة السطوة، مع الحكام في تلك المرحلة، والضحايا هم عامة المواطنين، وما أقدم عليه حملة السلاح والحكام من بغي وظلم وعدوان، هو في الواقع وحسب العرف القبلي يتنافى عن بعض قواعد وأعراف القبوله، فا لقبوله بمعناها الأخلاقي النظري عبارة عن مجموعة من المزايا الرفيعة الشأن، كما يقول الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف[٢٢٧].

(٢٢٧) المعلم عبد الحق صـ٢٠٤.

وهي – أي القبولة – كما يقول المؤرخ محمد أحمد الشاطري:" بأنها مجموعة من صفات مختلفة، منها الحسن ومنها القبيح، وهو الأغلب، فهي مزيج من الإباء وحماية الجار والأخذ بالثار، وإغاثة الملهوف، وصلابة الرأي، ومن الظلم والغشم والإعتداء وبطر الحق والبطش والحمية الجاهلية"(٢٢٨).

وتشغل كل قبيلة رقعة جغرافية تتميز بها عن غيرها، وهي تعرف بالقرية، أو المثوى، ورغم أن قبائلنا دينهم الإسلام، ويؤدون شعائره كاملة، إلا ان سلوكهم ومنهجهم وفقا للقانون القبلي، أو العرف القبلي – إلا من عصمهم الله–، وهو الذي ينظم حياتهم، إلا في حدود النكاح وبعض التعاملات الشكلية يرجعون فيها إلى الشريعة.

وفي وقت ما، كان القبيلي لا يحترف أي حرفة أو مهنة بل يحتقرها ويزدريها، إنما ميزته وافتخاره بصولات الحرب أو الإغارة.

"ونتيجة لهذه الفوضى القبلية وانعدام الأمن والظروف الاقتصادية الصعبة التي عاناها معظم السكان وخاصة القبائل، فقد انتشرت بعض الظواهر والعادات السيئة مثل الشراحه، وهي حراسة النخيل ايام الخريف، فقد كان أصحاب الأموال يجبَرون على وضع حراس من القبائل على نخيلهم المثمرة الكائنة في المناطق القبلية، وإلا تعرض للسرقة من قبل القبائل أنفسها، ثم يتحكم الشارح(الحارس) في النخيل وثمرة، ولا يستطيع مالكه التصرف فيه إلا بإذن وموافقة الشارح، وتسمي القبائل هذه الشراحة باطلا"(٢٢٩).

(٢٢٨) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي جـ٢ صـ ١٣١.

(٢٢٩) الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية صـ ٥٧، ٥٨.

جـ -مفهوم الشراحة والشايم:

وعن الشراحة يقول السيّد طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي:" ومن جملة أمهات المنكرات هي الشراحه، وذلك لأن قبائل حضرموت تسلطوا على أموال الناس بالباطل، واستولوا عليها بغير وجه حق ولا قياس، ويضيف: والشارح يرى أنه أحق بالمال من مالكه الأصيل"(٢٣٠).

ويذكرالمؤرخ السيد محمد أحمد الشاطري مع الشراحه" الشايم" وهما من تشريعاتهم القبلية، والشايم: هو المقدار الذي يأخذه القبيلي من ملاك النخيل، أو غيرها كُرها، وغالبا ما يكون مقدار عشر الحاصل أو نصف عشره. والشراحه هي الحراسه والسلطة على المال في المنطقة المختصة بالقبيلة، وينتقي الشارح الثمر الممتاز، وقد يزيده كما يشاء، وبالطريقة التي يريدها ويفرضها على كبار الملاك وصغارهم من الكادحين والفلاحين، الذين ينمون النخيل والزروع من عرق جباههم وكد أعصابهم، وكثيرا ما يطرد المالك من تحت نخلته اليانع ثمرها، وهو يتضور جوعا إذا شاء القبيلي ذلك. وأضافوا إليه شيئا إسمه الباطل، وهم يعترفون بأنه حتى على اصطلاحهم باطل. يضاف إليه باطل الباطل عندهم، مما ووصل بهم إلى هذا الدرك، وقد يبيع القبيلي على المالك الأعزل، الشايم وحتى الباطل فيأخذه المالك طوعا أو كرها، ولا يلبث إلا يسيرا حتى لا يساوي عند القبيلي قيمة القصاصة التي كتب عليها، فيلغيه بعد أن يقبض ثمنه، ويستأنف ظلمه مرة أخرى"(٢٣١).

(٢٣٠) روبرت سر جنت: مختارات من الأدب العامي الحضرمي صـ ١٦.

(٢٣١) أدوارالتاريخ الحضرمي جـ٢ صـ ١٣٢.

ويشرح لنا ابن هاشم الشراحه والشايم بقوله:"..ولكل بطن من قبائل آل تميم منطقة نفوذ لا تتعداها، تشمل هذه المناطق نخيلا ومزارع لمتمولين شتى، وقد جرى العرف على أن لكل قبيلة حق الحماية للأموال التي تشملها منطقته، وتسمى الحماية في عرفهم (شراحه)، ولمنطقة النفوذ (شايم) وليس للملاك حق قط في تحويل الشراحه إلى من يريدون"(٢٣٢).

"وصار أكثر أهل تريم تحت رحمة آل تميم، لأن أكثر أموالهم تحت سيطرتهم، وكانوا يأخذون منها الشيء الكثير، حتى تواضعوا هم وإياهم بواسطة السيد حسين حامد المحضار- وزير السلطنة القعيطية- على الخُمس وكتبت بينهم الوثائق"(٢٣٣).

والبلدة – دمون-هي محور الموضوع، وهي منطقة نفوذ لآل سلمه التميميين، وهي كغيرها من مناطق النفوذ، تسري عليها التشريعات القبلية من شراحة وشايم، وما صاحب ذلك من ظلم وباطل في حق المواطن المسكين، بعد أن ساءت مفاهيم ومعاني القبولة.

د – سطوة حملة السلاح:

كان الخوف والرعب بين سكان البلدة – من غير حملة السلاح-هو المسيطر على حياتهم البسيطة الضنكة، وكانت التبعة ملقاة على هؤلاء المساكين بكل معاني التبعة، يتحمل فيها نقائص غيره، ويقوم بتنفيذ الأوامر أيا كان فحشها،

(٢٣٢) تاريخ الدولة الكثيريةجـ١ صـ ١٦٣.

(٢٣٣) السقاف: إدام القوت صـ٥٤٥.

مستكينا لمطالبهم أيا كان قبحها، بهذا قضت القوة الغاشمة التي لامرجع لها إلا أنانيتها وجبروتها، كما هي سيرتها في كل عصر، إذا لم تجد فيه من يردعها.

فلم تكن هناك سلطة قوية محلية أو مركزية يحتكم إليها المسكين من ظالم استبد أو نهّاب انتهب، أو طاغية انتهك حرمة.

وكانوا حكاما أو حملة سلاح جميعا-كما يقول ابن هاشم:"يتغايرون فيما بينهم على رعاياهم تغاير التيوس في زرائبها، ويحاول كل منهم ان يظهر لدي فتيان البلاد وفتياتها بمظهرالقوة والصولة."(٢٣٤)، والضحايا لتلك الصولة والقوة في اغلبها للرعايا من غير حملة السلاح.

١- غشم القبائل:

وما يعنينا هو الواقع الذي عاشته البلدة- دمون- بمختلف الشرائح الطبقية، في مدة أو مرحلة، أو طور من أطوار تاريخها، وما حصلنا عليه من مصادر لتلك المرحلة، ولكل مرحلة خصوصية زمنها، ومن الخصوصيات السيئة ما رسخ في الذهن وتناقلته الأجيال جيلا بعد جيل، لينقل حادثة من تلك الحوادث التي طالت المساكين من غشم وتسلط حملة السلاح على المساكين، " انه في بداية القرن الرابع عشر الهجري، - قبل سلطة القعيطي- هدد أحد شباب آل سلمه، أحد المساكين، وداوم على التهديد والوعد والوعيد، هو وبعض من صنوه، والقفز إلى بيته مرعبا من في داخل البيت من نساء وأطفال، شاهرا

(٢٣٤) تاريخ الدولة الكثيرية صـ ١٤٥.

سلاحه بدعوى أن أرضية البيت من أملاكه، ويجب أن يشتريها منه، أو يخلي البيت، مع أن صاحب البيت قد اشترى الأرضية من مالكها وبنى عليها، ويحمل وثائق الشراء من المالك بشهودها.. لكن بطر الحق، وغشم حملة السلاح وجبروتهم، لا يعنيهم الحق بقدر ما تعنيهم مطالبهم من الأضعف، فلم يهنأ صاحب البيت بنومة في بيته، ولا أطمأنت أسرته ساعة في مجلسها، وحاول صاحب البيت إقناع المدعي، ومن له صلة بالمدعي بعدم الإعتداء على بيته والقفز فيه، وذلك بالرجوع لذوي الحل والعقد، لكنه لم يلق إذانًا صاغية لا من المعتدين، ولا من الوجهاء الذين ابلغهم بمشكلته، فقرر الرجل الرحيل من بيته، وابتنى عريشا في "المراغة"، والمراغة هو المكان الذي تتمرغ فيه الإبل أو ترعى فيه، وربما كانت كذلك في وقت من الأوقات، وهي اليوم ساحة معروفة وسط البلدة، وهي الممر الوحيد- حينها- لمن أراد الدخول أو الخروج من شمال البلدة، و استحداث عريش في وسط قارعة الطريق.. إعلان محتج صارخ لمظلوم لم يجد من ينصفه. ولم يكلفه إقامة العريش وقتا أو مواد يصعب حصولها، ولا يتطلب مالا ولاعمالة خاصة، فمواده من جذوع النخل وسعفه، وأقامه على عجل وبسرعة ممن يبحث عن مأوى آمن، وربما لمأوى يكشف جور البغاة، وأهواء العتاة، والناس تتفرج، وتخشى العاقبة واللائمة، وهدده الشباب بحرق العريش ومن فيه، وبالمقابل هو هدد الشباب أن من يقترب من العريش بأذى سيبقر بطنه بملعبه(والملعب معروف)، ووضع أسرته ومعه طفل صغير في هداته(المهد) وشاة الطفل اللبون "مرصونة" في أحد أعمدة العريش، كما كوّر

ماعونه المتواضع من قِدر، و"مرهى" لسحق الطعام، وقربة للماء، وغير ذلك مما يحتاجه في نزله الجديد. وقبيل إذان المغرب كان السيّد الفاضل عبد القادر بن حسين بن شهاب إمام مسجد جامع مشهور، وعاقل السادة آل شهاب في طريقه من بيته إلى المسجد، يفاجأ بهذا العريش منصوبا في قارعة الطريق..شيء لم يقدم عليه أحد من قبل..فسأل وتحرى عن السبب، أو الدافع لهذا الفعل..فعرف.. وما أن أتم صلاة المغرب وقبل أداء النافلة بعد صلاة المغرب، وقبل البدء في الحزب، أي قراءة القرآن المعتادة بعد صلاة المغرب، طلب وجهاء آل سلمه ومقادمتهم، وأشعرهم أن ينصفوا هذا الرجل، أو سيرحل هو من البلدة التي وصل فيها الجور والظلم إلى هذا الحد، وربما حل بنا- كسادة- وبغيرنا ما حل بهذا الرجل اليوم أو غدا، غير أن وجهاء آل سلمه ومقدمهم تعهدوا للسيّد أن يبيت الرجل في بيته، أو يختار أي بيت من بيوتنا للمبيت فيه وأسرته..هكذا انحلت المشكلة، وحين أشعر الرجل بما توافقوا عليه الوجهاء والسيّد، آثر المبيت في بيته، وكان الشباب قد أطلقوا رصان الشاة وأخذوها، فأبى أن يخطو خطوة إلا بمعية شاته، وأحضرت.

٢- ومثال للغشامة آخر:

وآخر من المساكين، يملك نخلا في المسيلة، من ضمن شراحة آل سلمه التميميين، وبعد أن قام بتخبيره، وحل وقت قطيعه، خرج بحماره وعدته ليقطع الخريف من إحدى نخلاته، فإذا به يجد أن الخريف قد قطع..جف ريقه، وردد عينيه في بقية النخل المجاور، فما زالت البعض تحمل ثمرها في الخبر، وإن ثمرة

نخلته من أجود الثمار.. استرجع بتنهيدة أسى وحسرة، وذهب إلى الشارح يستفسر، فقال له: قطعه ما لكه!..فقال أنا ما لكه، وأنا الذي خبرته، وأنت أدرى به، قال:الجواب معك ولا تثني سؤالك..رجع المسكين وعينيه غاصة بالدمع، وغلصمته مربودة بالعبرة، فلم يستطع أن يقول شيئا، وعاد بحماره، لكن بعد وصوله البلدة..سأله من سأله، فأباح بمصيبته، فقيل له: أمعك وثيقة النخلة فأكد وجودها معه، فقيل له اذهب إلى عقال البلدة ومقادمتها.

أخذ الوثائق التي يحتفظ بها، وسلمها لأحد القراء في المسجد(مشهور) ليبرز وثيقة النخلة المنهوب خريفها، بعد أن أعلمه بموقعها وحدودها، وبعد البحث استخرجها القارىء من ضمن الوثائق، فأخذ الوثيقة بيد، والوثائق الأخرى بيد، وتوجه إلى بيت المقدم (سالم بن عوض) المجاور لمسجد مشهور، وبعد ان سلم على المقدم ومن حوله من أعيان القبيلة، قدم شكواه شفهيا، قائلا وهذه وثيقة النخلة.تناول البعض الوثيقة وقرأها على المقدم، وقرئت مرة وأخرى، فقال له المقدم، اذهب الآن واترك الوثيقة. إنصاع للأمر وخرج، ولا يدري كيف خرج دون ان يستفسر عن مصير وثيقته، وتجاذبته الوساوس والهواجس، فقد جردوه من خريفه، ومن حجته التي تثبت ملكيته للنخلة، وظل في ندم وحزن، ولم يستطع أن يقول للغير شيئا، وتمدد في فراشه لينام، وأنى له أن تغمض له عين، وقد سلب حقه، وهو من أجود وأحلى ثمار النخل، وقد انتظره عاما كاملا، وقيمة الثمر عموما(التمر) لاتعادله قيمة من منتوجات الأرض حينها، لكنه سمع طارقا يطرق عليه بيته، في هدأة من الليل، ينتشله من هاجس

غمه وهمه، وهو يتقلب يمينا وشمالا في فراشه، فعرف الطارق، وهم أن يقول شيئا، غير أن الطارق ابتدره بقوله: خريفك على مدخل بيتك..خرج خببا بين مصدق ومكذب..إذا هو بخريفه حقا، فهو يعرف تمام المعرفة الخبر في نخلته، وإن لم يكن كاملا.

للرجال من عقال البلدة وحكامها مواقف تجبر الباغين والطائشين من أبنائهم على احترام الحقوق للغير، وردع قوي لتهور الغاشم وبطشه، وإن يكن للبعض.

٣- خطيب الجمعة محرّج:

وهناك من تطاول بغشمه وجبروته من رجال القبائل الطائشين على شعائر الدين، أو تعطيل الشعائر، فقد حرّج أحدهم خطيب الجمعة، وهدده وأوقفه في بيته، والمصلون في المسجد..مسجد جامع مشهور..منتظرين الخطيب، وطال انتظارهم، والوقت يمر، وتجاوز الوقت المحدد للصلاة وليس للخطبة فقط، ووصل الخبر إلى المقدم..مقدم القبائل، بأن الخطيب "محرّج"، وقد هدده من هدده وتوعده بالقتل إن خرج من بيته ليخطب لصلاة الجمعة..إغتاظ المقدم وهو معتكف في المسجد، وأرسل من أرسل للخطيب أن يحث الخطى ويخطب ولن يصيبه شيء.

٤- وحالة من حالات الإبتزاز:

وحالة أخرى من حالات الإبتزاز بتهديد السلاح أزالت آخر.. أزال مواطنا مع اسرته من أرضه ومن مزرعته بخيرها المزروع الذي قرب حصاده، ترك

موطنه وبيته ومزرعته، وفيها كده وجهده ونصبه، ذلك أن المزارع الساني يستخدم في السناوة حميرا، وحامل السلاح- القبيلي- يستخدم حمارا هزيلا للركوب، فيطلق حماره في المساء قرب حمير الساني- المسكين- المقيّدة برصانها فتتعارك مع حماره وتدميه، فيهدد القبيلي الساني، لأن حميره المقيّدة اعتدت على حماره- بدون قيد-، ولا يرضيه إلا قهاول[٢٣٥] أو أكثر من الطعام، وهكذا استمر على هذه الوتيرة إلى أن أفلس المزارع، ولم ينصفه عاقل في البلدة، فحمل ما تبقى من زاده وأثاثه مع أسرته وترك بيته وموطنه ومزرعته بما فيها من زرع قريب حصاده، واختار بلدة أخرى.

ولقد تعمدنا عدم ذكر الأسماء لأكثر من سبب، فما يعنينا هو إبراز شيء من واقع مرحلة معينة في تاريخ البلدة.

وهي حالات تكفي لإعطاء نموذج للسطوة والتسلط، والهيمنة من حملة السلاح، والمعاناة التي يكابدها المواطن المسكين الأعزل في موطنه، ومسقط رأسه.

وتكثرالحالات الأخرى المشابهة والتي يكون فيها الضحية المسكين في كل الأحوال.

٥- المسكوت عنه:

أما "التحاجير"[٢٣٦]، وتقطيع "السروت" وتمزيق "الغروب "وهتك الأعراض والخطف والنهب وغيرها من الأمور المنكرة من عادات وسطوة القبوله

(٢٣٥) القهاول: اثنا عشر مصرى.

(٢٣٦) أي قولة محجر أي موقّف من مزاولة العمل.

القبيحة، وعوائدهم وسلوكياتهم الشنيعة في حينه، والتي عبر عنها الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان، وهو إبن مقدم قبيلة آل بن نبهان قائلا:"إنها الطاغوت حكم الجاهلية"[٢٣٧]، والطاغوت هوكل معتد ظالم جاوز الحد. "وهوعرف قبلي محفوظ يتوارثونه جيلا بعد جيل"[٢٣٨]، فتلك أشياء من خصوصيات زمنها وعصرها، وقد عفا عنها الزمن، وإن هيأت لمرحلة أخرى أو طور آخر بعد ذلك.

هـ – شهامة رجال القبائل:

مع أننا قد ذكرنا شيئا من مواقف العدل والإنصاف لزعماء القبيلة، فهناك حالات أخرى لزعماء القبيلة وقادتها، فيها من التباين لتقدير مواقف الرجال أيا كانت طبقتهم، فهناك من ينصف المسكين من موقف أو جكم جائر، وهناك من يستحل ما يملك المسكين العامل البائس لإذلاله وإفقاره، وهناك من يقدر شهامة الرجل وشجاعته في المواقف الصعبة.

فقد اصدرت محكمة القبيلة حكمها على مزارع لاسند له من أية جهة، ولا من دافع عنه رغم وضوح قضيته، ومبررات ما أقدم عليه، وكان الحكم جائرا، كعادة الأحكام ضد من هم مثله. لكن هذا المزارع له موقف تفرد به، في أيام المعارك الشديدة، بين آل كثير وعبيدهم، وآل سلمه، ففي معركة من تلك المعارك التي كانت تتواصل بين آل كثير وعبيدهم من تريم، وبين آل سلمه على

(٢٣٧) بن ضياء: الإعتراف بالإحسان صـ ١٦.

(٢٣٨) حمزة علي لقمان:تاريخ القبائل اليمنية صـ ٩.

مشارف – البلدة–دمون من الناحية الجنوبية الغربية، وكانت المعركة على أشدها، للكثرة التي تميّز بها الخصم، وقد تسلل الكثير من شباب آل سلمه من المعركة، وتهدمت الكثير من المخابي والمرابي، فكان هذا المسكين(الضعيف) من المزارعين واقفا بجانب من وقف في المعركة من شجعان القبيلة وأبطالها.. جعل صدره مرباة، وجعل كتفه مسندا لمعنقة بندقيته، حتى استطاع أن يدحر العدو..هذا المسكين المزارع الشهم الشجاع، ابتلي بامرأة أتلفت زرعه، وذلك ببري وتجريد قصبة الذرة من أوراقها، وهو ما يعرضها للضمور والذبول وموتها، فاستعر غيظه لفظاعة ما قامت به، فأخذ محفرها(الزنبيل) الذي جمعت فيه الأوراق الخضراء من قصب الذرة، ومزقه إربا.. إربا، فكانت الدعوى عند المقدم، وكانت المحاكمة، لأن المرأة قبيلية، وصدر الحكم بسجن انفرادي ضده في "كوت الدويل"[٢٣٩] ثلاثة أيام، وغرامة قهاولين طعام.. لا استئناف للحكم، ولا مراجعة، لكن الرجل أوعد المحكمين بأن يجيء بالغرامة المفروضة، وفيما بعد يسوقونه إلى الحبس كما يريدون، والتجأ إلى الرجل.. ذاك الذي جعل من كتفه مسندا لمعنقة بندقيته، ومن جسمه مرباة يتحصن به، وسرد عليه فحوى القضية والحكم الذي صدر ضده، وانتفض الرجل الشهم، وخب مسرعا إلى مجلس الحكم، ووبخ الحكام على سوء تقديرهم لمواقف الرجال في أشد الحالات ضيقا ومهلكة، والتي تخاذل فيها أبناء القبائل، ولم يبرح إلا بنقض الحكم.

(٢٣٩) مبنى يشبه القلعة يشرف على البلدة من أعلى الجبل الغربي الشمالي (والكوت معروف لأهل البلدة).

و- واقع الحال العام في تلك المراحل:

ولعل واقع تلك المرحلة أو الطور التي أثخنت الجراح في العزل من السلاح، وأذلتهم وسامتهم أنواع الجور والقهر والظلم، سواء من قبل الحكام، أومن أصحاب المال، أومن حملة السلاح من القبائل هو ضنك العيش، وقسوة الظروف، والجهل المسيطر على العقول، والأنانية التي استحوذت على العقول والمشاعر، فلا يرى الفرد إلا نفسه ومصلحته، سواء ممن هو أدنى منه في المنزلة، أو ممن هو صنوه، وهو أقدر على ختله والمكر به، أو ممن هو أرفع منه، وهو أقدر على الإيقاع به.

فهذا "عبيد باشامخه، الشاعر التريمي، وهو من طبقة العمال من سكان حافة الخليف بتريم، وهو عامل بناء طين ونوره، قد أرهقه جور الدولة والسادة فأنشأ قصيدته التي يقول فيها:

بني مغراه قال الذي من ناس محنون ومن دوله وساده على الضعفاء يجورون
وجابوا لي تحاريج قالوا لا تخدمون ونا مسكين مثل الغنم في الدرع مرصون
ومن لاله معلّس[٢٤٠]قتله الجوع والهون

إلى أن يقول:

ومن ذي الحكم جملة من البلدة يفرون على التغليظ ضعفاء البلد مابايصبرون
نلقيها السويري وإلا لأرض دمون تقع عشرين خطوة في الجامع يصلون
ولا هذا الجزاء يومهم بالليل يبنون نشو جملة محايل وجمع اكوات وحصون

وقيل أن هذه القصيدة أنشأها لأنهم أرادوا تخفيض أجرة العامل"[٢٤١].

(٢٤٠) كلمة معلّس تعني مهنة أو حرفة.

(٢٤١) روبرت سرجنت: مختارات من الأدب العامي الحضرمي صـ ٧٩.

ويذكر صاحب كتاب تاريخ العدة المفيدة:" أن زين العابدين بن مصطفى العيدروس أعطى ضعيفا من تريم يوضن[٢٤٢] له خُبر بأجرة ألفي خُبره، فوضنها وأتى بها إليه، فقال انك سرقت مائتي خبره، ثم أنه ربطه بالسهم في داره- أي دار زين العابدين- وضربوه الأخدام فلم يقر بشيء، وتناوب الضرب غير الأخدام، فلم يقر بشيء، ثم اعلم السلطان من أعلمه بشكوى، فوصل السيد عبدالله أخ زين العابدين إلى عند السلطان عيسى بن بدر ليشفع في أخيه، وتكلم جلساء السلطان من أجل فعل زين العابدين بالرجل قالوا: أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم !!"[٢٤٣].

والواقع أن حديث أقيلوا عثرات الكرام أو أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، أن الحديث وارد في العثرات التي لا يكون فيها اعتداء على حق من حقوق العباد، ولاحق من حقوق الله تعالى- كما يقول الشيخ محمد ابو زهرة – وهي حق المجتمع الذي يعيش في جو من الفضائل والأمن والسلام، حيث لا إعتداء، بل أمن وسلام، وأن الجريمة من ذوي الهيئات تفسد في الناس أكثر مما تفسد جريمة من ليست لهم وجاهة في الناس، وليسوا من ذوي الهيئات"[٢٤٤].

وحتى في الساحل، لم ينجوا من المعاناة المساكين، ففي الشحر- مثلا- عانى قطاع من المصنفين من أبناء الفئات الدنيا، كونهم عبيدا في نظر القائمين على

(٢٤٢) الوضن: التصنيع.

(٢٤٣) إبن حميد: العدة جـ١ صـ ٢٥٥.

(٢٤٤) مجلة لواء الإسلام مارس ١٩٦٧م صـ ٢٢٧.

شؤون البلاد حينها، وقد تحدث الشاعر عمر بارماده، يصف حالته وحالة من هو في طبقته:

ناعـبد بني عـبـد و بني ذي مكانه بـطـن أمـه
عـبد من كلـوه وياساحب سـحب لا وسط كمه
في العيد يذبحنا وجدي قد سحق لحمه وعظمـه
وخوي قد خلى العرائس خضبن من سيل دمه[٢٤٥].

ز- سطوة السلطة الحاكمة:

مرحلة سيئة طالت المواطن في قرى ومدن حضرموت من كل الطبقات مع تباينات الدافع والقصد، من أشقياء السادة، والحكام وحملة السلاح، ولم يسلم حتى الأثرياء، فهذا السيّد شيخ عبد الرحمن الكاف، "وهو أغنى شخصية في حضرموت في عصره، شعر بثقل الضريبة التي يفرضها عليه سلطان تريم محسن بن غالب الكثيري، فهرب هو وعائلته في الخفاء إلى دمون تحت حكم قبيلة آل سلمه التميميين، واستجار بآل سلمه وغيرهم من القبائل، وأمدهم بكل ما يحتاجون إليه من مال ورجال لحرب سلطان تريم، ودامت بينهم الحرب أشهرا من سنة ١٣١٤هـ حتى تم الإتفاق على مبلغ لا يتجاوز ألفي ريال نمساوي يسلمه الكاف للكثيري."[٢٤٦] .

(٢٤٥) محمد عوض محروس: حضرموت والجوار القبلي صـ ٣٣٢.

(٢٤٦) الشاطري: أدوارالتاريخ الحضرمي جـ٢ صـ ٢٠٢ .

٦- الحالة الاجتماعية في عهد السلاطين:

ومع أننا لا نستطيع تحديد مدة كل مرحلة، لكونها متصلة بعضها البعض، فكل جيل يرث سلوكا من سلفه، ويرث الأ بناء طبائع الآباء في كثير من المراحل، خاصة المراحل التي تسود فيها الفوضى والتطاحن وسفك الدماء، والجور والظلم، على من لا حيلة له في الدفاع عن نفسه. وإن استقرت الحالة في فترة قصيرة بعدل حاكم قذفت به الأقدار ووطد دعائم الأمن والأمان، وثبت في النفوس الإطمئنان، تعود إلى حالتها من الفوضى والإضطراب والتقطع والنهب والسلب، وعاش حينها المواطن في قلق وحذر ورعب في يومه، ومن خوف وهلع من غده، ومن آثر الهجرة، سواء كانت الهجرة إلى ما وراء البحار، أو إلى بلدة أو موقع آخر يجده أكثر أمانا واستقرارا.

ومن البديهي في حياة كل مجتمع بشري في كل زمان ومكان يوجد فيه الأخيار والأشرار، وفيه الحلماء والسفهاء، وفيه العادل والظالم..في كل مجتمع التآخي والتعادي..فيه التقاطع والتصالح..فيه الخصومات والتصافي..هناك المصالح وتشابكها، وهناك المنافع وتشعباتها..هناك أواصر القربى والجوار، لكن هناك قاعدة عامة تستأثر بمفهومها عن حالات آحادية خاصة لابد منها، لكن الإستثناء يصير قاعدة عندما تصبح ظاهرة المجتمع هي العنف أو الفوضى والاستبداد والجور. وما يعنينا من واقع مجتمع البلدة، هو إبراز نوع من سلبياته ومن إيجابياته، وسواء صح من ادعى أن الحاضر تفسير للماضي، أو أن الحاضر امتداد للماضي، فإن هناك ملامح متشابهة لسلوكيات الأمس، وسلوكيات اليوم،

والتغيير الذي شملهما إنما هو تغيير شكلي لأزمانها، فكل قوي استعدى، ومن استعدى استعان بغيره على الآخر، والضعيف في سفينة تتقاذفها الأمواج، إلى أن يشاء الله بالفرج في وقت ما، طال أم قصر، وربما أصبح قوي الأمس ضعيف اليوم، أوالعكس.

ولعلنا نحدد فترة الإستقرار الأمني والمعيشي في حضرموت عامة، هو بعد ترسيم الحدود بين السلطنة القعيطية والكثيرية، فقد استتب الأمن برعاية السلطنتين، ووجهاء البلاد خاصة السادة آل الكاف وغيرهم، فقد أنفق السيد أبوبكر شيخ الكاف مائة وخمسين ألف ريال (ماريا تيرزا) مساهمة منه في ترتيب نظام حفظ الأمن الذي نعمت به حضرموت من عام ١٩٣٧ م إلى عام ١٩٣٩م بين قبائل حضرموت[٢٤٧]، وذلك بتوقيع هدنة مع رؤساء العشائر والقبائل في عهد الإستشارية البريطانية، تتجدد بعد انتهاء المدة لفترة أخرى حتى استقر الوضع الأمني في البلاد، ولعل سمة هذا العصر-بأستثناء كبار أغنياء المهجر-أن السكان، كل السكان فقراء يتساوون بنسب متقاربة في الفقر، فلا يجني الحكام وأتباعهم منهم غير أعمال السخرة، ولذلك ظل هؤلاء – كما يقول الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف:" كمية مهملة تولد وتتألم ثم تموت في حلقة دائمة الدوران في أجواء الجهل والمرض والقهر والحرمان"[٢٤٨] .

(٢٤٧) بامطرف: الهجرة اليمنية صـ٩٩.

(٢٤٨)بامطرف: المعلم عبد الحق صـ ٢٢٦.

منذ الاتفاق الذي تم بين السلطنتين – القعيطية والكثيرية-كما أشرنا إلى ذلك وبرعاية المستشار البريطاني انجرا مس، تحسن الوضع الأمني، واستطاعت بريطانيا بقوتها أن تنهي التقطع والنهب والسلب، وعين أول حاكم للسلطنة القعيطية بدمون(قائم) هو علي سالم باعشن وكانت حينها تابعة للواء شبام، وبعد وجود القائم ممثل السلطنة القعيطية كان هناك مخفر للشرطة، ومحكمة شرعية، ومكتب للمالية، ومن بعد تأسس المجلس القروي بدمون.

لكن بقي الفصل والمرجعية للعادات والعرف، وما ينجم عنها من نزاع بين المواطنين، لا يتعدى التأويل أو التعدي على تخصصات الحويف في البلدة، فمرجعه مقدم آل سلمه أو أبو الحافة للحضر أو "أبو" الحافة للمساكين، وربما اشترك الثلاثة في الفصل بين الخصومة، علما بأن للمقدم و"أبوة" الحافة سلطة على رعاياها بحيث يحق لهما الحكم بالحبس والتغريم على المحكوم عليه، وسيأتي التفصيل في نظام الحافة.

في هذه المرحلة كما أشرنا استتب الأمن واستطاع المواطن العادي أن يأمن على نفسه وولده وماله، وما ملكت يمينه وشماله، وكانت هيبة الدولة هي التي تحكم وتسيّر الأمور، مع أنها لم تكن لديها جيش في المنطقة، أو شرطة بحجم كبير يرعب من تسول له نفسه الخروج عن النظام، إنما هم جنود لا يتجاوزون الثلاثة إلى الخمسة، وكان الوفاق بين هيبة الدولة، وهيبة "أبو الحافة"، هو من أقوى أسباب استتباب الأمن، والألفة بين المواطنين.

لكن هذا لم يمنع الاختلاف في الرؤى والمفاهيم، واختلاق بعض المشاكل للجهل السائد، حيث جل السكان أميون حتى من قرأ القرآن، فهو لا يستطيع أن يقرأ جملة من سطر في كتاب آخر، ومن عرف الكتابة فكتابته ركيكة لا يكاد من يعرف القراءة والكتابة يقرأها إلا بالحدس والتخمين، باستثناء بعض المشايخ والسادة..هي حالة المواطن الحضرمي عموما الذي أرغمته الظروف الأمنية والمعيشية من ناحية، ومن ناحية أخرى حرمته المراتبيات العليا من التعليم، لأنه ليس بكفء على تحمل العلم!!، بل اشترطت عليه إن تعلم، عدم تعليمه الكتابة ليكتفي بتعلمه ما تصح به صلاته.

ذكرالمؤرخ محمد بن هاشم:" أن السيد أحمد بن عمر بن سميط بعث برسالة للسيد عبد الله بن طاهر، وعبد الله أبي بكر عيديد، يطلب منهم أن يعينوا الحاكم- حينها بن مقيص- وأن ترشدوه وتعولوا عليه في أن يقيم "علمه" خاصة لتعليم مهمات الدين التي يلزم كل مسلم تعلمها ولو بالرحلة إلى الصين، ويحمل الكل من جهال طبقات الناس على دخولها من شريف وقبيلي وحراث وساني وسائل سواء كانوا ذكورا أو إناثا، ويكون ذلك تلقينا من غير حضور قلم ولا دواه، لما فيها من مضرة لبعض الناس ممن يقل خوفه من الله"[٢٤٩].

ومع أن هذا الطلب قديم عن هذه الفترة إلا أن صداه ورؤاه تناقله الأ بناء عن الآباء، حتى وقت تعليمي في نهاية الخمسينيات من القرن الميلادي الماضي،

(٢٤٩) تاريخ الدولة الكثيرية جـ١ صـ ١٩٢.

وقد افتتحت المدارس الحديثة، فقد كان أبي وأخي الأكبر-رحمهما الله-، وهما يرفضان من توسط لديهما لإكمال تعليمي في مدرسة جمعية الأخوة حتى نهاية الصف الرابع الإبتدائي يقولان للوسطاء:" لا بغيناه قاضي ولا قائم!".

كان الجهل الذي منيت به بعض شرائح المجتمع بل أغلبها في المجتمع الحضرمي، ودمون منها، ربما لعدم وجود المدارس النظامية من ناحية، ومن نواحي عدة، الفقر والتثبيط ممن لهم كلمة مسموعة عند العامة. ولولا إسهامات السادة آل الكاف وغيرهم في فتح المدارس بمناهجها الحديثة، وآل شهاب في دمون خاصة للمدرسة الأهلية(مدرسة الاقبال) لما وجدنا إلا القلة من المتعلمين، بل وحتى مع وجود المدارس، فما زالت الكثرة من المواطنين- عمالا وفلاحين وحرفيين- هنا ترفض انخراط أبنائها في المدارس لحاجة الأسرة إلى مردود أبنائها من مزاولة العمل أو المهنة، وهي نتيجة طبيعية للحالة الاقتصادية السيئة التي يعيشها سكان المنطقة، فكان العامل والفلاح وكل صاحب حرفة تقريبا لم تف مصدر حرفته بمصاريف أسرته على تواضعها الجم، لسد الرمق بالكاد، هذا إن وجد عملا، أو سوقا يقبل بنتاج حرفته، فكان أغلب عمال هذه البلدة – وغيرها- وحرفييها يولون شطر المناطق الغربية(علوى) مشيا على أقدامهم طلبا للعمل، وذوي الحرف كالنجارين – مثلا- حاملين وسائل حرفتهم على ظهورهم، فالنجار يحمل منشاره على كتفه، وكل وسائل وأدوات نجارته في "جِبل"على رأسه، ويتنقلون من قرية إلى مدينة، إلى أن يجدون موقعا يرتزقون منه، وأغلب عمال البناء من هذه البلدة وممتهني النجارة، قد تفرقوا في

الوديان والقرى والمدن الغربية طلبا للعمل، وبأجور زهيدة، ومنهم من استوطن هناك، ومنهم من ولى شطر الساحل أو الهجرة إلى شرق أفريقيا. وكانت أسوأ فترة عاشها سكان المنطقة هي فترة المجاعة عام ١٩٤٣م -١٩٤٨م وهي فترة المجاعة الأخيرة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، فقد تأثر سكان البلدة، - كغيرهم من سكان حضرموت-وقد أفردنا للمجاعة قراءة في نهاية الفصل.

٧- نماذج من صور التكافل والمودة:

أ- من صور المودة والتكافل:

تولد في النفوس غنى وقناعة، وألفة ومحبة..هناك أخوة متراحمة متواصلة في أفراحها وأتراحها..هناك راحة بال، ونقاوة ضمير، وتوجه صادق في السراء والضراء- رغم التعالي في الظاهر بجاه أو نسب-..هناك تعايش بين الكل في سماحة وحب ومودة..هناك اطمئنان وطمأنينة..هناك قوة في الحق وكراهية للباطل، والمبطل أيا كان مصدره، هناك خلوص نية لعقيدتها، وإنابة صادقة لبارئها، يخبرنا الآباء أنه متى أجدبت الأرض وشحت السماء بالقطر، هرعوا إلى "الوادي" - وادي دمون- بذراريهم ومواشيهم.. من يحمل علفا أو حشيشا وقصبا للمواشي، ومن يحمل صدقة من طعام أو من تمر..يستسقون في الوادي رافعين أكفهم للمولى عز وجل..صادقين محتسبين..داعين متضرعين، بأعين دامعة، وأفئدة نقية صافية، فما يعودون إلى منازلهم، إلا وينتشر السحاب وينزل المطر، وتجود الشعاب بالسيول فترتوي الأرض ويعم الرخاء.

وهم ليسوا – في الأغلب–مواظبين على النوافل من صوم وصلاه، إنما يؤدون فرضهم، من صلاة وصوم، لا يزيدون على الفرض، ربما لجهلهم، وربما لتعبهم من عمل مجهد طوال يومهم وجزءا من ليلهم، ولكن يؤدون فرضهم بنقاوة ضمير، وصدق توجه، وطيب مأكل.

رسخت العوائد والعادات والأعراف واحترام الآخرالتي لا تتنافى مع شريعتنا، ومثلت سجية وأريحية، تعبر عن مكنون ما في مشاعرها بلا مواربة ولا مخاتلة، والموجه يفهم ويتفهم، ويقر من لا يفهم بعجزه ما استعصى عليه فهمه، ويتقبل الموجه الردود من ذوي الدخائل النقية، لأنه أدرى بدخيلتهم.

يتناقل الآباء أن السيّد عبد القادر بن حسين بن شهاب إمام مسجد جامع مشهور وعاقل البلدة من السادة، وهو في محراب المسجد بعد صلاة المغرب يترأس الحزب الليلي لتلاوة القرآن الكريم، التفت لرجل من فلاحي البلدة.. فرض لأداء صلاة المغرب فأتمها واستعجل فيها، فأراد أن يوجهه..يعلمه الصلاة بأركانها وشروطها..ناداه بعد أن أدى صلاته..لبى الرجل النداء.. فقال له السيّد: لو أديت عجيز(حصة) الأرض للطبين (مالك الأرض) وهو مغشوش بالشوائب، أو بنقص في مقداره، فما تراه فاعلا بك؟ رد الرجل بتلقائية: إن كان الطبين زين قبله مني، لأنني لم اقصد الغش أو النقص، وإن كان... لم يدعه يكمل جملته..فقال يكفي.

لم ينتهره.. لم يؤنبه..لم يفسقه..لم يجهله، اكتفى بتلك الجملة الرائعة التي قذفتها لسانا نقية صافية..صلى لله..بنية خالصة لا يشوبها رياء ولا نفاق ولا ادعاء.

كانت الألفة والتآخي بين المواطنين، وكان اللهو البريء في مسامرهم ومحافلهم..يضحكون ويمرحون معا وبيوتهم خاوية من ميرة ليلة، وكان التزاور، وكل بعوائده وعادات طبقته..رضعت الأمهات الأطفال من كل طبقة..فتآخى السيّد بالمسكين، والمسكين بالقبيلي..هكذا عاشت البلدة في فترة من فتراتها أو مرحلة من مراحلها، أو طورا من تاريخها، بنوع من الرضاء والتفاهم، وربما بنسيان سيئات الماضي، ولا أقول أنه لم يفسد فيه ود، ولم ينكث فيه عهد، ولم يرتفع فيه صوت شجار أو مشاحنة، إنما تأتي من أفراد، أو هي حالات أحادية لا تمثل بأي حال من الأحوال الحالة العامة.

وشيء آخر جمع أهل البلدة والتف حوله، التفاف النحل إلى أبيه..هي القناصة.. الكل وأقصد الأغلبية، يحن إليها، ويتلهف شوقا لمواعيدها، ويهرع مع أول نداء تاركا عمله وحرثه ومهنته مصدر رزقه..راغبا متشوقا إلى الجبل وشعابه..رغم البرد.. ووعورة المسالك في الجبال، والمساري في الغدر، والكل سواسية في عرف القناصة، والكل يحترم الأعراف تلك إلى حد القداسة، وتعم البلد الفرحة ومن فيها..من قنص ومن لم يقنص، بعودة القناصة بالجميلة، فهو يوم عيد وفرح وسرور. وسنفرد حديثا آخر عن القناصة.

وإذا استثنينا من هاجر من أهل البلدة، سواء إلى شرق آسيا، أو إلى شرق أفريقيا أو غيرها، فغالب سكان البلدة من فلاحين وعمال وذوي مهن خاصة يعيشون في ظروف قاسية مؤلمة بما فيها من فاقة ومرض وجهل، وهم في بلدتهم لا يغادرونها، بحيث أن الكثيرمنهم نشأ وترعرع وشب وشاخ ومات، وهو لا

يعرف أكثر من الموقع الذي نشأ فيه، وإن عرف موقعا آخر فشِعب نبي الله هود، والقرى والمثاوي على جانبي الطريق إلى الشِعب، وشعاب القناصة في الجبال ووديانها.

الجهل مرض ووباء، و الانعزال سجن التقاليد، والعادات قاهرات لا تحتكم لعقل ولا برهان.. العقول خواء لا تفكر إلا فيما رسخت عليه واعتمدته في مسيرتها وحياتها..حياتها التي تتجاذبها أفكار وأوهام تناقلتها الأجيال كعقيدة أو من ضمن العقيدة التي تؤمن بها، ولا ترى فيها نكرانا..امتلأت وزخرت الأذهان بالأقاصيص والخرافات كحقائق لا جدال ولا ريب في حدوثها..فهناك القوى الخفية المحجوبة عن الأعين، تسيطر بصورة أو أخرى عن مجريات الأمور، تطاع لمن وليها من البشر، فتفعل الأفاعيل في البشر والشجر، وفي الأنواء وفي غيرها من سنن الكون كالجن والعفاريت وأم الصبيان، ومن يختطف البسمة من شفاههم، ومن يستلب الفرحة من وجدانهم، بسبب وبدون سبب..الأفئدة فارغة، فراغ العقول من تفكير سليم، والموجهون والمرشدون في شؤونهم، وربما لسكوتهم سبب، أو أكثر من سبب.

وللزمن مراحله وتقلباته، ولله سننه في التغيير والتبديل، سواء في الوسائل أوفي المقاصد والغايات..في بروز ما ينفع الناس، وتعرية الزيف من حياتهم واطراحه من مفاهيمهم..هي سنة الله في الذين خلو من قبل.

ب- المجلس القروي:

في عام ١٩٥٢م صدر قانون إثر قانون البلديات، من السلطات القعيطية وحدد المجالس البلدية والقروية، وتأسس المجلس القروي بدمون عام٠٠٠٠ برئاسة السيّد محمد بن عبد القادر بن شهاب، وعضوية كل من سالم بن صالح التميمي، وعبدالله عمر التميمي، وكاتب المجلس هادي مبارك بن سهيل التميمي.

ثم تولى رئاسة المجلس السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب عام ١٩٦٥م. وفي عهد السيّد بن ضياء، كان للمجلس بروز ظاهر في كثير من مطالب البلدة وتحقيقها، وأهمها الإصلاح بين الناس، وحل المشاكل العالقة بين المواطنين وبسرعة إنجازها، وإلغاء الضريبة المفروضة على الحرفيين كالنجارين والحدادين والدبغ وغيرهم.

كما فرض ضريبة مناسبة على السيارات التي تأخذ "الكبس" من الوادي من شلن واحد كانت، إلى سبعة شلن لمصلحة البلدة.

وبمساعيه تم توصيل الكهرباء إلى البلدة من شركة الكهرباء الأهلية بتريم عام١٩٦٥م، علما بأنه كان يتخاطب مع سلطنتين-الكثيرية والقعيطية-وبين مسئولييها إحن مترسبة في الصدورفي تلك المرحلة وما قبلها.

وبمساعيه أيضا تم توصيل الماء إلى بيوت البلدة من شركة الماء الأهلية بتريم عام١٩٧٠م.

بعد أن تحولت مهام المجلس القروي إلى بلدية تريم، بعد الإستقلال، تم انتخاب مجلس استشاري للبلدية في البلدة من: عبيد بن سالم التميمي، أحمد

حسن الزبيدي، محمد بن سعيد بن عمران التميمي، مبارك فرج قبان، صالح بن عوض (بن سعد) التميمي، هادي مبارك بن سهيل التميمي.

غير أن مهام المجلس الإستشاري الجديد تنحصر في حل المشاكل الاجتماعية، إلا إنه لم يباشر عملا من الأعمال التي يمكن أن تدون، وقد تجاوزته الأحداث في البلاد عامة.

جـ -نظام الحافة:

نظام الحافة بدمون ربما تأخر كثيرا عن أنظمة الحويف بتريم، للإختلاف الحاصل بين سكنى مدينة مجزأة إلى حارات، وبلدة تعد حارة واحدة، ولعل تكوين الحويف في مدينة تريم وتأسيسها – حسب ما يقرره السيّد الشاطري في تاريخه:" أنه ربما كان من قبل منتصف القرن الثامن الهجري"[٢٥٠]، ولم نجد مصدرا من أية جهة، أو مرجعا كان لإعطائنا متى تأسست الحافة بدمون، فحتى عصر المعلم عبد الحق الذي عاش في القرن الثالث عشر الهجري، لم يذكر في ديوانه المطبوع أي صفة تشير إلى"الحافة" أو أبو "الحافة" كما ذكر أبو(مقدم) القنيص مثلا، ولا يعتقد أنه تجاهل ذلك، ولكن من المؤكد أن الحافة لم تؤسس في عهده، خاصة أنه قد دعى لعمل تطوعي من أبناء دمون من القبائل، ومن المساكين لإصلاح سد "بامطا"، وقد اشرنا إليه. لكنني اطلعت على وثيقة صلح كتبت بين حافة دمون(الواحدة) المنقسمة حينها بين عريف (قيّم) على أبناء الحضر،

(٢٥٠) أدوار التاريخ الحضرمي جـ٢ صـ ٧٣.

وبين عريف على أبناء الضعفاء (المساكين)، حيث لم يتسم حينها أبو للحافة، وإنما تسمى حسب الوثيقة "عريفي" لكل فرقة من الفرقتين، والعريفي أو العريف هو القيّم على شئون جماعة، وهو مايعني وجود الحافة وأبو الحافة ولو بمنطوق آخر، وهذه الوثيقة حررت في عام ١٣٤٧هـ، حيث كان الحكام فيها آل سلمه، وبالأصح حسب مرقوم الوثيقة عريفي آل سلمه، وفي هذه المدة بذلك التاريخ كانت البلدة من ضمن سلطة السلطان القعيطي، إلا إن حل المشاكل الاجتماعية بقي مع مقادمة آل سلمه، وأبوة الحافة، ولم تذكر وثيقة الصلح تلك أسباب التناكر والنزاع وما ترتب عليه، ومن واقع الأحكام والحلول التي في الوثيقة وإقرارها من طرفي النزاع يتبيّن منها، وجود خلافات بين الفرقتين في الحافة حول التخصصات أو التداخلات التي حصلت بين الطرفين، أو من بعض رجالها، وكانت الأحكام الملزمة للطرفين هي التي ألمحت إلى تلك الخلافات.

أما الخلاف، كان حول نبأ الأموات، ودعوات الولائم التي تجيء من خارج البلدة، ومصرف الصدقات التي تجيء للحافة من الخارج، والطبل على الطاسة، ومردوده لتنبيه النائمين للسحور في شهر رمضان، ومسراح هود...الخ

وكانت الأحكام الصادرة فيها، أن النبأ..نبأ الموت لفرقة الحضر، ودعوات الولائم من خارج البلدة، إذا كان لعشرة أشخاص، فللمساكين ستة، وللحضر أربعة، وإذا كانت لثمانية أشخاص فللمساكين خمسة، وللحضر ثلاثة، وإذا كانت الدعوة لأقل، فنصف من الحضر ونصف من المساكين.

وفي ولائم الأفراح والأتراح الداخلية-لوجهاء البلدة-أي داخل البلدة، فالدير والذبح للحضر، والمطبخ للمساكين، والدير وقد شرحناه، وهو أن يقوم رجال الحضر بدير الماء والقهوة والدخون على المدعوين في الولائم والمناسبات الأخرى، وأما المطبخ وما تعلق به فللمساكين، ومهام المطبخ، الإعداد والتهيئة لطباخ الوليمة، وما يلزمه من قدور وصحون وغيرها ونظافتها قبل وبعد الوليمة، وتقروب ماء وتشريق الحطب و"الوقيد" الخ... مما لا يحتاج إلى شرح.

وتؤكد الوثيقة أن مرجع التخاصم والحلول للعريفين من آل سلمه. ومع أن الموقعين على الوثيقة عدة أشخاص من المساكين وعدة أشخاص من آل سلمه باعتبارهم عريفين أو بمفهومنا اليوم لجنة، إلا إن المعروف حينها أن القيّم أو أبو الحافة للمساكين سعيد بن مبارك حيمدية، وأبو الحافة للحضر هو عمر مبارك بامطرف، ولا أدري هل قد ثبتت حينها تسمية أبو للحافة – أي تسمية أو صفة الأبو-أوأنها الحقت بعد هذا التاريخ.

غير أننا حصلنا على معلومة من المسنين أنه كان على الحضر"أبو" قبل العم عمر مبارك بامطرف، هو عمر عبد الله باني، ولم نستطع الحصول على من كان "أبو" على الحافة، أو عريف أو قيّم على المساكين قبل سعيد مبارك حيمدية.

ومع اعتبار دمون حافة واحدة حسب ما ورد في تلك الوثيقة بفرقتين، كل فرقة بعريف، فمرجع الفرقتين أوالحافة لآل سلمه.

ورغم سؤالنا لكبار السن عن من كان قبل سعيد حيمديه أبو حافة، إلا أنه لم يفدنا أحد ممن سألناه، وحتى من خَلَفه في الأبوة، لم يحدد لنا الخَلف بالضبط،

ولكن بالتقدير وبالقياس وحسب الإفادات التي تحصلنا عليها، أخذنا بتقدير البعض لأنه أقرب لتسلسل الأبوة في البلدة، وإن كنا مازلنا نأمل في الحصول على ما يرجح هذا التقدير أو القياس، فليكن متولي الأبوه بعد حيمديه، مبارك مومن عبد الله بامومن- على خلاف في أبوته-، ثم عبيد عوض ربيحان، ثم مبارك سالم ربيحان، ثم نصيب سالم شعر، ثم عبيد محمد ربيحان، ثم علي سالم بامؤمن، ثم مبارك فرج قبان، وربما زاول البوة لوقت قصير حين يقال أو يستقيل أبو، لحتى ينتخب أبوآخر، كعوض حيمد حيمدية أو غيره، ولم نستطع تحديد الفترة الزمنية لكل أبو، ولا تكرارها لأبو واحد، علما بأن انتخاب الأبو كان يتم بصورة ديمقراطية رائعة، تمثل نوعا من الشفافية والنزاهة الخالصة، إذ تتم في إجتماع لكل رجال الحافة في الهواء الطلق، يتم فيه اختيار شخص أوعدة أشخاص، ويتم التصويت مباشرة، وبالأغلبية يفوز وينصّب الأبو.

أما عن أبوة "الحضر" فقد قيل إن عمر عبد الله باني تولى أبوة الحضر، قبل عمر مبارك بامطرف، وقيل إنه ربما كانت بين تولية، وتولية لبامطرف، لكن الذي يستفاد من بعض من أفاد، أنها تولية واحدة لباني، وبعد موته كانت لبامطرف. وفي وقت أبوة بامطرف يقال إنه وقع نزاع بين بعض من رجال الحافة والأبو عمر مبارك بامطرف، وأعطيت "البوة"بانتخاب لعبيد سالم بامؤمن (الملقب الشطرنج)، وقيل بتنازل من العم عمر مبارك بامطرف، لكن المذكور لم يتحمل أعباءها ومسئوليتها، فبعد تنصيبه بأقل من شهرين، أخذ كل مقتنيات "البوة" لبيت عمر مبارك بامطرف قائلا: "لا تصلح البوة إلا لك"، معتذرا

ومتنازلا عنها. وقد انتخب بعد وفاة العم عمر مبارك بامطرف في عام ١٣٨٣هـ سالم علي باني، واستقال من الأبوة في عام ١٣٨٥هـ، وانتخب بعده خميس سعيّد بن محفوظ في نفس السنة، وبعد خلاف مع رجال حافته، واستنادا إلى إتفاقية مبرمة بين الحضر، أن أي خلاف ينشأ بين البو ورجال حافته، فمرجعهم أولاد الحضر والتصويت من جديد، ثم الإتصال بمحكمة مجلس دمون، وهي محكمة أهلية. وفي اجتماع حضر رجال حافة الحضر كانت الأغلبية تساند المختلفين مع الأبو، وحينها كانت السلطة المحلية ممثلة بقائم المنطقة الشرقية بدمون، الذي أحال القضية إلى محكمة مجلس دمون، وطلب منها عقد جلسة خاصة، وهي المحكمة المشكلة من عاقل السادة آل شهاب، السيّد محمد بن عبد القادر بن شهاب، ومقدم القبائل آل سلمه مبارك بن سالم بن عوض، ومقدم الحافة- المساكين- مبارك فرج قبان، وعقدت الجلسة، وبعد المداولات مع الطرفين أقرت مطالب المعارضين بإقالة خميس سعيّد، وإعادة المبالغ التي فرضها على البعض منهم كغرامة لعدم انصياعهم لأمرالأبو(ومبلغ الغرامة على الفرد مائتين فلسا).

انتخبت لجنة يرأسها الوالد عبد الله عمر بامطرف كأبو للحافة(الحضر) كان ذلك في عام ١٣٨٧هـ.

ولأبو الحافة سلطة قوية على أفراد حافته، فهو الذي يسيّرها في سوارح البلدة وعاداتها، وهو المرجعية في الخلافات الخاصة بين أفراد حافته، وهو الذي يدافع عن مصالح حافته المادية والمعنوية، في ظل مجتمع مجزأ إلى طبقات، وهناك لجنة تحكيم للخصومات وقد تصدر حكما على أحد أفراد الحافة لخطأ وقع فيه،

أو جرم ارتكبه من نوع ما، حتى وإن كانت زلة لسان لتجريح الآخر، فهو الذي يصادق على الحكم ويأمر بتنفيذه، وربما يكون الحكم بالجلد أو الحبس أو الغرامة، وتنفذ الأحكام بقوة وهيبة الأبو، ومثل هذه الأحكام قد نفذت في الكثير من أبناء الحافة الحضر والمساكين- وفي زعمائها أيضا، وأي مساع للحيلولة دون تنفيذ الحكم فهي بعد الإدانة لا تفيد، ولا ينظر فيها، وقوة الحافة بقوة شخصية الأبو وهيبته وحصافة رأيه، وإخلاص رويته.

ففي عهد أبوة سعيد مبارك حيمدية، شب حريق في أحد البيوت في البلدة، وارتفعت أصوات الإغاثة في الشوارع.." والنار..والنار.." وهو إعلام للجميع..لجميع أهل البلدة للمشاركة في إطفائها وإنقاذ الساكنين في البيت لكل القادرين، ويتوقف كل عامل وكل ذي حرفة عن عمله وحرفته، وكل مزارع سمع الاستغاثة عن مزرعته، أو مدرس من مدرسته، كما هي عادة البلاد وسارحتها، وكان هناك عمال بناء من أبناء البلدة في بيت أحد الوجهاء كعمال، فطلبوا من معلم البناء تلبية الاستغاثة للمشاركة في إطفاء الحريق، كما جرت به عادات البلدة، ولكن معلم البناء من غير أهل البلدة، فقال لهم أمركم عند الطبين(أي صاحب المبنى)، فاستأذنوه للمشاركة، فرد عليهم: "بقوا فوق عملكم فمن حضر كفى"، وبما أن البلدة صغيرة في حينها، وكل فرد فيها يشعر بمسئوليته تجاه بلدته، فاعتذر العمال عن عدم مشاركتهم ذاكرين لأبو الحافة أسباب عدم المشاركة، حتى لا يكونوا عرضة للتأديب من قبله.

وبعد مدة تموت أم هذا الوجيه، أو الطبين، والعرف السائد أو النظام المعمول به، إن مهام تجهيز الميّت من نبأ خاص وعام وجلب ماعون الغسل والنعش و...الخ من مسئولية حافتي الحضر والمساكين، وإن أول إشعار للوفاة يكون لأبوة الحافتين أو الفرقتين، فكان الرفض من أبو حافة المساكين من القيام بأي من مهامه نحو الميّت، إلا بتحكيم شرعي أو عرفي يدين هذا الوجيه، ولعله تم إقناع عقال البلدة بوجهة نظره، أو بتحديد المواقف أو الخيار بين الموقفين، وهو خيار صعب، فعلى رجال حافته النصيب الأكبر لكل ما يجري في البلدة من عمل تطوعي أو عرفي إلزامي في أفراحها وأتراحها ونوازلها ونكباتها، وفق السوارح المعمول بها تجاه البلدة ومن فيها من الطبقات الأخرى.

لم يستطع أهل الميّت القيام بأي حركة تجاه ميّتهم، ولا يستطيعون الاستعانة بغير حافتهم، فلكل حافة من حويف المدينة المجاورة نظامها الذي لا يخول لها التدخل في مهام حافة أخرى، وتدخل العقلاء والوجهاء في البلدة، والوقت يمر بسرعة، والمشكلة في ميّت لا يجب ولا يستحب بقاؤه، والتزم الوجيه بكل ما يصدر ضده من حكم، على أن لا يتعدى حدود الشرع، وقبل الأبو، وتم صياغة سؤال للفتوى الشرعية، يشرح الواقعة التي سببت المشكلة التي هم عليها وأسبابها، وحمل السؤال أبو الحافة حيمديه لإ بن عبيداللاه السيّدعبدالرحمن السقاف(مفتي حضرموت) إلى سيئون مشيا على قدميه، وعاد بالرد من العلامة ابن عبيداللاه مؤيدة موقف أبو الحافة، مما حدا بالوجيه أن يهجر البلدة لسنوات إلى بلد قريب. وحاولت أن أجد الفتوى مكتوبة، أو الأسئلة التي صيغت للمفتي فلم أجد من يرشدني، ولم يحفظ من ذلك شيء.

ومهام رجال الحافة سواء الحضر أو المساكين في البلدة معروفة وقد أشرنا إليها، وهي مهام لنظام أو عرف متفق عليه، وغالبا ما تكون لخدمة الطبقات العليا -حسب التصنيف الطبقي-، ولعل من وصفها في الوقت الحاضر "بالسخرة الحميدة"، لكونها تقدم عملا طوعيا عاما لمصلحة البلد وسكانه بأجر-إن كان هناك أجر-زهيد، وبدون أجر في أكثر أعمالها خاصة الإنقاذية من غرق، أو حريق وغيره.

لكن هناك اختلاف في أنظمة الحويف ومسارها في مدنها والقرى، فهنا في هذه البلدة منذ تأسيس الحافة، كما أعطتنا المعلومات الوثيقة السالف ذكرها، أنها حافة واحدة تسمى حافة دمون، لكن بفرعيها أو فرقتيها للحضر والمساكين، ولكل من الفرقتين عرّيف، ولكل منهما تخصص ومهام في الخدمة العامة، أو "السخرة الحميدة"، ومع هذا فإن الخلاف والخصام والتشاجر قد يحدث بين الفرقتين، بين رجال الحافتين من حين لآخر، وهو شيء طبيعي حدوثه، ورغم أنه قد يصل إلى حد العراك، في ظل مجتمع يسوده الجهل والفقر، وتسيّره المفاهيم الطبقية التي قد تتنافى بعضها مع مفاهيم الأخوة الإنسانية والدينية، لكن هذا لم يؤثرعلى الولاء لهذه البلدة والذود عنها، ولا الإنسحاب من المهام الموكولة إليها – عرفا- تجاه البلدة وسكانها، فثمة رباط وثيق يربط الكل بهذه البلدة، يتجاوز كل خلاف واختلاف بين الحافتين أو الفرقتين.

فلنظام الحويف إيجابيات ومحاسن أخلاقيه لخدمة المجتمع الذي يعيشون فيه، فهي إضافة إلى ماسبقت الإشارة إليه من المهام العامة، هناك مهام أخرى

أيام الحروب والفتن وصد الأعداء، فرجال القبائل يباشرون الحرب بسلاحهم، ورجال الحافة يزودون هؤلاء الرجال بزادهم من الذخيرة والماء والأكل، وبناء المرابي والحصون(الأكوات) وحمل قتيل أو جريح وهي لا تقل خطورة ولا عناء في وقت الحرب عن مباشرة الحرب.

لكن سلبياتها تأتي من النظام الطبقي ومفاهيمه التي تحدد قيم الشخص بإنتمائه لنسب وحسب، لا بما يقدم للناس من خدمات ومنافع لمجتمعه، حيث لا يتوانى بعض من ذوي الحسب والنسب من تحقير وإذلال غيره، واتهامه ربما بما يراه في نفسه من عيب ونقص، وينسب إليه كل نقيصة ودنيئة، وربما تسلط عليه اعتباطا لابتزازه ونهبه، - وقد أوردنا مثالا لذلك من قبل- والواقع الإنساني في كل المجتمعات البشرية يوجد فيهم القوي والضعيف، والشجاع والجبان، والذكي والغبي، وفيهم العف والفاجر، والحليم والسفيه، والصادق والكاذب، ولا صلة لتلك الصفات بنسب أو حسب إلا في البعض، أو بالإكتساب والمرونة.

هناك شيء آخر في البلدة التف نحوه الكل التفاف النحل لأبيه، ففيها تنتفي السلبيات، ويعيش الكل فترة زمنية محدودة في إخاء ووئام، لا يرتقي إليها -عند البعض-أخوة إلايمان، ولا وئام المواطنة، ذلك هو القنيص، ولقد أجملنا القول حول القنيص وعاداته، لكن الذي لم نفهمه أو نجد له تفسيرا للتقديس برهبته والإلتفاف نحوه بصدق وحماس منقطع النظير، حتى إن الواحد من العامة كما يقول السيّد الشاطري في تاريخه: يحلف بالله ولا يبالي بيمينه، ولكنه يأبى أن

يحلف بالقنيص". وللقنيص "أبو" لكن يندرج تحت أبوته الكل..أقصد كل أهل البلدة – من القناصه– بكافة انتمائهم، وإن كان يدير الحكم فيه مقادمة القبائل.

وفي نظام الحويف وأعرافها شيء من الغرائب الذي لا يتفق ومفاهيم ديننا وسماحته وأخوته، فقد ذكر الخال أحمد مبارك باغوث واقعة جرت في حافة نويدرة تريم، فقد كان الخال وعوض محمد(الحجار) باغزال–رحمهم الله–في طريقهما من البلدة(دمون) عبر حافة النويدرة قاصدين سوق تريم، طلبا للعمل كغيرهما من عمال البناء، حيث يتجمعون حول مسجد جامع تريم، لينتقي منهم معالمة البناء أو الطبانة للعمل في منشأتهم.

وعند مرورهما في النويدرة أمام بيت فيه "منزحة" من بئريستقي منها أهل البيت وأهل الحافة، فيستمعان لصريخ واستغاثة من النساء من تلك المنزحة..تستغيث النساء وتصيح وتستنجد، وأم تبكي وتولول على إبنتها التي سقطت في البئر، وكان الوقت في الصباح الباكر، حيث أغلب الجيران وأهل الحافة نيام، فلا مغيث ولا من سمع الاستغاثة في حينه، فتفاهم الإثنان باغوث وباغزال، ولهم خبرة ودراية في النزول إلى الآبار معروفة مشهورة، واستفسروا بعض النساء عن التي وقعت في البئر، وطلبا بعجالة محفرا ورباطا، وحاولا إسكات المستغيثات بدون جدوى..نزل الخال أحمد إلى البئر، بعد أن هيأ المحفر والربط، وبقي عوض الحجار ممسكا بالحبل(السره) المتدلي بدلوه إلى البئر، وما أن وصل إلى قاع البئر وجد البنت أشبه بالميّتة من الخوف، لكنها سليمة الأعضاء باكية منتحبة..طمأنها وأرشدها أن لا تتحرك في وضعيتها بعد أن وضعها في

المحفر وشدد رباطه به وهي جالسة، وأعطى عوض الإشارة بالطلوع، وكان الخال بجانبها يؤانسها، وبنزوح بطيء من باغزال وحده، وصلا معا إلى المقرّب..شفا البئر، في الوقت الذي وصل فيه رجال من الحافة مستنكرين إقدام هذا الشخص الغريب الذي لم تعرفه نساء الحافة، وتنادوا رجال الحافة وتسلحوا بالعصي والهراوات، وكان عوض الحجار بقامته العريضة، وعضلاته القويه، ونظراته المتوثبة، ينافح عن فوهة البئر مهددا بسكينه، وهو يقول أنه في سماء البئر عندما يصل إفعلوا به ما شئتم، ووصل الخال قبل وصول المحفر وفيه الفتاة، فقفز ناحية عوض، وانسل من بينهم، ومازالوا في انتظاره، فظهر المحفر وفيه البنت.. حاولوا الخروج إلى البئر لعله مازال في قاعتها فتخوفوا منه، وتربصوا به وأوهمهم عوض أنه مازال في قاع البئر..لم يجرؤ احد منهم للخروج إلى قاع البئر، ففي قوة وشجاعة رفيقه المنافح أنموذج له، ولم يكن الخال أحمد في جسامة ولاجسارة عوض الحجار، فهو إلى النحافة أقرب.. تساءلوا عن شخصيته التي تجرأت لإنقاذ من في البئر من غير حافتهم وقد أنقذ البنت، ولاهمهم إنقاذ البنت، فلم يفدهم عوض الحجارباسمه، ولم تستطع النساء أن تصفه، وبعد مشادة افتعلها عوض، ويشير إلى رجل من رجال حافتهم بأنه ربما يكون هو، فألهى المحتلقين به بالنظر إلى جهة الرجل وتسلل هو الآخر من بينهم.

لكن أهل البنت تسلموا المحفر وفيه بنتهم وفكوا الربط، وتركوا رجال الحافة يبحثون عن هذا المنقذ، فلم يفوزوا بطائل، وكانت قضية هزت أركان حافة النويدرة، وتندرت بغفلتهم بعض الحويف لعدم معرفتهم بالمنقذ، وجرأته

في تحدي عوائد الحافة، وبالطبع لم يخبرهم عوض الحجار به. لكن أهل البنت عرفوا من أنقذ بنتهم فيما بعد، واتصلوا بالخال في بيته، وعرضوا عليه المال مقابل إنقاذ إبنتهم، ورفض الخال أحمد، وقال يكفي إنني أنقذت نفسا بريئة دون معرفة سابقة..لا طلبا لمال ولاجاه. لكن الأبوين.. أبوي البنت بعد أكثر من عشر سنوات طرقا باب بيته من جديد، وطلبا منه قبول دعوة لتناول وجبة الحراوة لزواج تلك البنت التي أنقذها، وقبل الدعوة. وفي الواقع لو شاهدوه حينها رجال حافة النويدرة لهشموا عظامه بعصيهم وهراواتهم لا لأنه أنقذ البنت، وإنما لإختراقه عوائد الحافة وسوارحها، حيث جعلهم سخرة لبقية الحويف، ولن يشفع له إنقاذه للبنت، أو أن يبرر عمله، وبما أن معلوماتهم أنه من دمون..استعرت في قادتهم حمى الإنتقام، فبعد هذه الحادثة بمدة، ومازالت ذكراها في النفوس أسى، وقد ترسخت فكرة الإنتقام من آل دمون بتلك الحادثة، كرد فعل يبيّض وجوههم من سبة وسيئة لزمتهم، فقد اتفق قادتهم – في الحافة– على رد ما.. فافتعلوا حادثة، كادت أن تشعلها حرب بين الحافتين (حافة دمون وحافة النويدرة)، لولا لطف الله وتدخل العقلاء، وهيبة الدولة حينها.

فللقنّاصة من دمون طريق عبر النويدرة إلى جبال عيديد يعبرونها برجزهم وزاملهم أو خابتهم حاملين أوشارهم(الشباك) والطوع، وذلك نهجهم منذ زمن ليس بالقصير، ولم يعترضهم معترض حتى في أوقات الفتنة أو الحروب الدائرة بين حكام تريم ودمون، فاقاموا سدا من البشر من حافة النويدرة بعصيهم وهراواتهم معترضين آل دمون، بحجة المنع من "الرجز" في حدود

حافتهم، ومع المباغتة كان هناك بعض الخلاف من آل دمون في تقدير الموقف، إلا إنه مع اشتداد المجادلة ووضوح النية المبيتة، أصر رجال القنيص برجزهم على العبور وفق عوائدهم، رغم عددهم القليل، وبدأت معركة شجار ودفع قوية بين الطرفين، وخرج الصريخ إلى دمون لتعزيز موقف القنّاصة العابرين طريقهم برجزهم، وبرز بين الفريقين رجال من حملة البنادق، وتدخل العقلاء، ومن بعد رجال السلطنة الكثيرية، فأقروا آل دمون بما اعتادوه، وكفى الله رجال الحافتين القتال.

لكن بين الحافتين شيئا من التخاصم والإحن قديم، فقد ذكر السيّد ابوبكر بن علي بن شهاب من ساكني دمون المتوفي بجاوا عام ١٣٦٣هـ في كتابه (رحلة الأسفار) أنه سعى للصلح بين حافتي دمون والنويدره التي دامت ثمانية عشر عاما، وقد نجح بوساطة السلطان الكثيري وابوبكر شيخ الكاف.

ومن حوادث الحويف التي تستحق التوثيق لغرابتها، ما حدث في ختم مسجد الشيخ علي السكران بحافة السوق بتريم، ومسجد الشيخ علي، القيّمين عليه السادة آل شهاب بدمون، وآل شهاب على وفق العوائد والسوارح في البلدة، لا يقوم بخدمتهم في المناسبات إلا أخدامهم- كما يسمون- وأخدامهم آل باشامخة بدمون، ويتدخل بعض السادة من آل شهاب النويدرة لإعطاء أحد خدامهم من النويدرة دله قهوة يديرها، ومدخنة بدخونها، ولم يقبل آل باشامخة بأي تدخل من قبل أي كان في خدمتهم، وتؤيدهم عادات البلاد وسوارحها، ولبعض هذه العادات إستثناءات معروفة لدى أهل الحويف، فمسجد الشيخ

علي في حافة السوق، والدير الأصل لحافة السوق، لكنه الاستثناء الذي يخرق القاعدة والعادة باتفاق أهل الحويف، وربما غض الطرف السادة آل شهاب دمون، إما حياء من آل شهاب النويدرة، أو مجاملة، غير أن القيّم على طست القهوة، ونار المداخن بعد أن أيقن أن هناك من سينتهك مقامه، ويحشر نفسه في مهامه، أسال القهوة من طستها في "مرعاض" المسجد، وحرَم رواد المسجد في ليلة ختمه في شهر رمضان من شرب القهوة، وحينها كان للقهوة مقام مشهود في مثل هذه المناسبات.

شيء وأشياء من هذا القبيل، وأعظم منه ما يحدث بين الحويف في تريم، يقول السيّد ابن عبيد اللاه:" أن لآل تريم تعصبا شديدا مع أهل الحوف يسري ذلك من السفلة إلى الجلة، وإلى العلماء من الحالكة، وكان يتعاظمني ما أسمعه من ذلك، حتى رأيت ما ذكره الخطيب في الحكاية (٢٠٥) من جوهره(الجوهر الشفاف) أنه نشب حرب بين حافة السوق، وأهل حافة الخليف، وجرى فيهم قتل، وكان أهل السوق أكثر، فكمنوا لأهل الخليف، فعلموا بذلك، فشكوا إلى الشيخ أحمد بن علي بن محمد الخطيب، فقال لهم إذا كبّرت لصلاة الصبح فقعوا عليهم، ففعلوا وهربوهم- فعرفنا من تعصب الشيخ أحمد لأهل حافته- أن آل تريم لم يرثوها عن كلالة. (الشيخ أحمد الخطيب توفى سنة ٧٠٨هـ). ويضيف ابن عبيداللاه: ومن النوادر – أيضا- أن السيّد عبد الرحمن المشهور- على ورعه وتقواه وعلمه وكماله- حكم أيام كان على القضاء بتريم، بحكم لأحد أهل السحيل بشاهدين من أهل السحيل أيضا، على واحد من أهل السوق، وكان هو

– أي المشهور– إذ ذاك يسكن في السحيل، فأمضى الحكم، ونائب الدولة وهو علي عبد الدائم أحد عبيدهم، وهو حاضر وألزمه تنفيذه، فاتهمه وقال له: لا أنفذ ولا أرى صحته.. مدعي من السحيل وشهود من السحيل وقاضي من السحيل، هذا حكم باطل!"[٢٥١].

في الفترة الأخيرة ونهاية القرن الرابع عشر الهجري، كانت هناك تحولات كثيرة في المفاهيم الثقافية والسياسية، سواء المحلية أو المستوردة، ومع تلك التحولات وهت سلطة الأبوة وقوتها، فلم يعد لأبو الحافة أمر يطاع في كثير من الأمور، وكان مسك الختام لنظام الحافة هو التحول السياسي، من نظام حكومة سلاطين إلى نظام حكم جمهوري.

في نهاية ١٩٧٠م حاول رجال السلطة الحديثة (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) في البلدة، بواسطة لجنة منبثقة عن الاجتماعات، يرأسها مبارك فرج قبان، وبعد محاولات عدة وأوامر متعددة للإجتماع من قبلهم بأبوة ومقادمة البلدة، إلا أن هؤلاء لم يمتثلوا للأمر، ولم يتجاوبوا مع اللجنة التي تسمت "اللجنة المنبثقة عن الاجتماعات"–هكذا–وكان يوقع عليها مبارك فرج قبان، وهو أبو حافة المساكين، وتكررت الرسائل الآمرة إلى كل من:

١ –محمد عبد القادر بن شهاب بصفته عن ما يعرف بالسادة

٢ –المقدم مبارك بن سالم التميمي بصفته مقدما على ما يعرف بالقبائل

٣ –عبد الله عمر بامطرف بصفته أبا على ما يعرف بالحضر

(٢٥١) إدام القوت صـ ٥٢٧ .

كانت هذه الرسائل بصفتها تلك، والمنسوخة للمذكورين أعلاه، وهي الرسالة التي أشعرت الجميع بتكوين لجنة لتباشر بعض أعمال الحافة سابقا، وأنه – حسب ما جاء في الرسالة-أصبحت لا علاقة البتة ببعض عادات الحافة سابقا وسوارحها، وتكونت اللجنة من:

١ – مبارك فرج قبان

٢ – كرامه عمر الحجار باغزال

٣ – كرامه حيمد بامؤمن

٤ – رجب مبارك باغزال

٥ – مبارك سالم باصبيح.

بعدها أسدل الستارعلى الحافة بفرقتيها-الحضر والمساكين-ومن بعد تأسست اللجنة الشعبية عام ١٩٧٢م، ثم تأسست منظمة لجان الدفاع الشعبي في عام١٩٧٣م.

وقبل تأسيس منظمة لجان الدفاع الشعبي، كانت هناك اللجان الشعبية، وعنها تم تعيين أعضاء لجنة الأفراح الشعبية، وقد أشرنا إليهم وهم: خميس سعيّد بن محفوظ، وخميس سالم باخريصة، وعبد الله عيسى الزبيدي، وخميس عوض باحشوان.

لكن بقيت مهام رجال الحافة في عوائدها الحميدة، موكولة للقادر من الكل في المناسبات الخاصة والعامة، دون قيادة أو تخصص، وقد استعرضنا جزءا من الموكول إلى اللجنة في يوم الأرض أو المطلع السنوي، بعد إلغاء الحافة، ومداد الحضر.

ولجنة الألعاب الشعبية-حسب التسمية الحديثة-على اعتبار أنها ترعى الألعاب الشعبية عامة، والتي انحصرت في لعبة الشبواني فقط، قد اضافت إلى أعضائها المعينين أعضاء آخرين بدون تعيين، خاصة بعد أن اعتذر البعض من المعينين القيام بمهامه في اللجنة، واستمرت اللجنة تقوم بمهامها باعضائها النشطين سواء على مستوى البلدة، أو على مستوى تمثيل البلدة بلعبة الشبواني مع الحويف الأخرى في الوادي وفي الساحل.

في مدد متأخرة طالب الشباب بتغيير اللجنة السابقة، واجراء إنتخابات جديدة، وتم أكثر من إجتماع، لكن لم يتم أي إنتخاب لتضارب الإتجاهات.

وفي نهاية نوفمبر٢٠١٥م تم انتخاب مقدم للألعاب الشعبية بحافة(حي) دمون عبد الله محمد بشير، وتم تعيين أعضاء اللجنة بمهامها من قِبله، ومن ضمن اللجنة، رئيس فخري عاشور سالم باشامخة، ورئيس لجنة الألعاب الشعبية خميس عوض باحشوان-عضو اللجنة السابقة-وآخرين بمهامهم.

د- الـزواج الـجماعي في البلدة:

فكرة الزواج الجماعي كانت تراود الكثير من أبناء البلدة، ولو بعرس يجمع بين عدد من عرسان القبيلة الواحدة، لكن لم يقدم على تنفيذها أحد، والأسباب كثيرة، وحسب اعتقادنا أن من ضمن هذه الأسباب -رغم القناعة الموجودة عند الكثير-أن الرؤى والمفاهيم في الإقدام على شيء ما، لم يكن من عوائد البلدة، فيه شيء من المجازفة والملامة، فالعادات قاهرات، وتجاوزها في طقوس الزواج خاصة عرضة للريبة والزراية والتشنيع.

ومن عوائد وعادات الزواج في البلدة، أمور تثقل كاهلي العريس والعروس وأسرتهما، كما يثقل على المدعو وأسرته لزوم التلبية من "طرح" أو "واجب"(تخاويد)، ومظهر للفرح بلبس جديد للنساء خاصة، وتعطيل عمل لأيام لمن ليست له وظيفة، وغيره.

لكن للضرورة أحكام، وللزمن حكمه في قبول المتغيّرات، فقد أرهقت الأسر وشبابها تكاليف الزواج للقادر وغير القادر في البلدة، وأرغمت المعسر أن يؤجل الزواج سنوات وسنوات، وتورط في الديون والمغارم من تورط، مجاراة لغيره من الميسورين، وممن لا يستدين من الغير، في سبيل أن يظهر بمظهرهم، مرغما نفسه للدخول في ضائقة لا خيار له فيها، إلا المنافسة في الكماليات وإقامة المراسيم والطقوس كاملة غير منقوصة، حتى يتجنب الملامة والزراية، وكحالة يعيشها مجتمع عمالي في أغلبه، بظروف معيشية واقتصادية صعبة، ومفاهيم " ما حد أحسن من حد"، فغير القادر أو المعسر، يجب أن يكون في مرتبة القادر، وربما بأرفع منه في المظهر، ولهذا تجد الشباب ممن لم تكن له وظيفة، أو مهنة، إما في "الشته" أكثر وقته، أو في الغربة في المهجر.

ومثل هذه المعاناة كانت قديمة في البلدة..معاناة التكاليف الباهظة للزواج غير المبررة، المتمثلة في عادات وعوائد مهلكة لموارد الأسر والشباب، ومنذ القدم، قد قرر المصلحون في البلدة قرارات لتخفيف العبء وتقليل النفقات عن الزواج، وكان آخرها- كما أعتقد- في ثمانينيات القرن الميلادي الماضي، حيث وضعت الهيئات الشعبية لائحة أو "قانونا" بمباركة الدولة ورعايتها، يحدد ما

يجب على الزوج، وما يكون من أهل الزوجة سواء في الأثاث أو الحلي أو المدعوين، وغير ذلك مما يخفف العبء على الطرفين، ونفذ ما في اللائحة في فترة على الكل، وتجاوزه الأهالي خفية مرة، وعلنا مرة أخرى، ولم يطل وقته للعمل به وانتهى أمره، وأقرت طوائف أخرى من مجتمع البلدة فيما بعد ما أقرته من نظام وبنود خاصة بها، كتخفيف لوطأة المصاريف المندرجة تحت مظلة الزواج، وهي كسابقتها، إن التزمت الأسر بها في الظاهرأو ببعض البنود، فقد أخلت بالبعض في الخفاء.

وقد أقدم على فكرة الزواج الجماعي كثير من المجتمعات العربية والإسلامية في هذه المدة، ولعله لتخفيف النفقات وإعانة ذوي الدخل المحدود، وإحصان الشباب في عصر "المفاتن" والفتنة التي لم يعد يسترها ساتر ولا يحجبها حجاب. وكان لبعض قرى الوادي ومدنه، البعيدة والمجاورة سبق التنفيذ لفكرة الزواج الجماعي اقتداء بغيرهم، ونجحت في تنفيذها.

وهو مما شجع بعض الشباب في أواخر عام ٢٠١١م (١٤٣٢هـ) إلى قبول الفكرة والتحمس لها، ونقل التجربة وتنفيذها في البلدة وذلك بعرضها على بعض عقال قبائل البلدة ووجهائها، بمقترح الزواج الجماعي أسوة بما حصل في بعض المدن والبلدات المجاورة في الوادي، وكان التأييد للفكرة، وتحمس الشباب..الكثير من الشباب للقيام بمهام كل ما من شأنه إنجاح المشروع.. مشروع الزواج الجماعي بعمل تطوعي، كأول تجربة في البلدة.

ورغم المخاوف التي رافقت التأييد للفكرة، خاصة إنه قد سبق وأن أعلن عن الإكتتاب في زواج جماعي في المدينة(تريم) عامة لمن يريد الزواج من الشباب، إلا أنه لم يتم تسجيل أكثر من شابين فقط من البلدة.

وأعلن عن مشروع البلدة للزواج الجماعي بعد تشكيل لجنة شعبية يرأسها صالح عمر العبد ربيحان، وكان الإكتتاب، حيث انتهى التسجيل لـ ٩٨ عريسا وعروسة، وفيهم من تجاوز الثلاثين والأربعين عاما من عمره، وفاق التسجيل كل التقديرات والتخمينات التي سبقت الإعلان، وكانت هناك لجان استشارية، ولجان تنفيذية، ولجان إعلامية وغيرها، وهناك لائحة تحدد المهام.. مهام اللجان، ومهام المعرسين، وهناك توافق عام على المهام، ومن هذا التوافق تحديد المدعوين من غير سكان البلدة لكل عريس له أقارب، أما سكان البلدة فدعوتهم عامة، بتخصيص وجبة للرجال ووجبة للنساء، وعلى كل عريس وعروس رفد العمل التطوعي بشباب وشابات من قبله لهذا العمل التطوعي.

ونجحت أول تجربة في البلدة للزواج الجماعي بما سمي" مهرجان الحياة الأول"..نجاحا باهرا كأروع مهرجان لزواج جماعي في الوادي، من حيث نظامه وتنسيقه وحماس المتطوعين من شباب البلدة لإنجاحه بصدق وإخلاص وتفان في العمل، لا يمكن أن تعبر عنه الكلمات، ولا تنقل صفة من صفات وقعه في النفس، إنما هي حالة شعورية متسمة بالبهجة والرضا لتحقيق غاية أو هدف متميّز سام منشود يحلق في سماء المثل العليا لأبناء هذه البلدة.

لقد كان الشباب بتحمسهم في العمل وبتقسيمات مهامه كالنحل في حركته وتحركاته، هي الأرضية الصلبة التي بهرت الأبصار والعقول في إنجاح التجربة، فمجموع عدد أفراد اللجان التنفيذية أكثر من ألف شاب، موكولة لكل لجنة مهام خاصة لا تتعداها، لتوفير الخدمات العامة للمدعوين الذين نافوا عن العشرين ألف شخص (رجالا ونساء)، وهناك لجان أخرى تنفيذية من النساء ستمائة وخمسين إمرأة.

ومع أن تحديد الوقت للزواج وهو الثامن والتاسع من شهر شوال، أي بعد عيد الفطر، والأيام الست من شهر شوال هي امتدادا لشهر الصوم، بصوم مسنون، ومعلوم أن المهام الموكولة لبعض اللجان وتنفيذها من قبل الشباب تم في عصر ومساء شهر رمضان، إلا إن طاقة الشباب بتحمسهم وتفاعلهم وبما لديهم من استعدادات كامنة راسخة للهدف المحدد، أو الغاية المنشودة في إنجاح التجربة، جعلتهم يقومون بالمهام الموكولة بتجدد الطاقة المعنوية والجسدية.

كان لنجاح التجربة، ورمزية المبالغ التي دفعها العرسان، وما حصل عليه العرسان من عناية خاصة تفوق أي مبلغ مادي من قبل كافة أعضاء اللجان الإستشارية والإدارية والتنفيذية، إضافة إلى ما حصلوا عليه من هالة إعلامية ولبس موحد، وما تضمنه المهرجان من أفراح برقصات شعبية ولوحات فنية رائعة أخذت بمجاميع القلوب والعقول، رسخت الفكرة وتجربتها، وكانت الرغبة لإستمرارها كمشروع خيري أعان الكثير على تخطي العنوسة وخطرها.

ومع نجاح التجربة، إلا أن لجنة المهرجان وقعت في مأزق مادي صرف، حيث كانت التقديرات العامة لتكاليف الزواج عشرة ملايين وخمسمائة وأربعين ألف ريال(١٠.٥٤٠.٠٠٠)، وهي المبالغ المدفوعة من المعرسين بنسب تتراوح بين الـمائة وبين الثمانين ألف ريال وأقل (على خلاف في المبالغ لكل عرس)، ولم تف هذه المبالغ بالمصروفات. ربما كانت التقديرات خاطئة، أو إن ارتفاع الأسعار وتنوع المطالب التي لم تدركها اللجان الخاصة في حينها لها دور آخر، فقد نافت المبالغ المصروفة بأكثر من اثناعشر مليونا(١٢.٠٠٠.٠٠٠) ريال، ومع أن هناك من أسهم إسهاما ماديا لتغطية النفقات من المحسنين، غير أن النفقات التهمت أيضا الإسهامات. هناك مثل من الأمثال الشعبية نردده عندما نجتاز المصاعب من حيث لا توجد قاعدة ولا ترتيب لتجاوزها، فنقول:" النية مطية"، فكانت نوايا اللجنة الحسنة مطية تجاوزت المطلوب، فقد تكفل الشيخ المهندس عبد الله أحمد بقشان بوساطة الأستاذ الدكتورسالم محمد بامؤمن بدفع المبلغ المعلن عنه كاملا، وقد تم دفعه، وهو وإن جاء متأخرا لكنه سد الثغرات المفتوحة وأنقذ اللجنة من مأزق حرج وزيادة.

كان نجاح التجربة الأولى للزواج الجماعي في البلدة دافعا قويا للإكتتاب أو التسجيل في الزواج الثاني، فكان العام الثاني لمهرجان الحياة الثاني (في عام (٢٠١٣م) يضم ٨٠ عروسا وعروسه، وقد تلافت اللجنة كثيرا من سلبيات الزواج الأول، واعتمدت بالدرجة الأولى على المساهمات الخاصة للمعرسين وهي مساهمات رمزية وبسيطة جدا إذا ما قورنت بتكاليف الزواج الفردي

الخاص. وقد كلل بنجاح تام كسابقه، وفي العام الذي يليه (٢٠١٤م) تم زواج ٧٤ عريسا وعروسه، وأعلن عن التسجيل والإكتتاب لمهرجان الزواج الرابع بالبلدة (دمون).

ومع أن اللجنة أخذت عن الكثير من لجان الزواج الجماعي الذي تم في مناطق أخرى في أول تجربة، لمهرجان الحياة الأول، إلا إن النجاحات المتواصلة في كل مهرجان والتنسيق والنظام والإلتزام من قبل أعضاء اللجان والعاملين تطوعا جعل الكثير من مناطق أخرى يستمدون النصيحة من القائمين على المهرجان، ويستلهمون من اللجان ما يمكن أن يفيدهم ويعينهم في تجربتهم، أو تحسين الأداء لمهرجاناتهم.

كانت فكرة الزواج الجماعي فكرة رائدة وصائبة، ولم تقتصرعلى شريحة طبقية معينة، فقد اقتضت الحالة المعيشية والاقتصادية أن تحذوا قبيلة آل سلمه في البلدة حذو من سبقها، وتم زواج جماعي لهذه القبيلة هوالأول في عام٢٠١٣ م لعدد سبعة وعشرين عريسا وعروسه، والثاني في عام ٢٠١٤م لعدد خمسة عشرعريس وعروسه، وهم عرسان البلدة، ولم يحتسب العرسان من خارج البلدة سواء كان عريسا أو عروسه.

وتم زواج مائة واثناعشر عريسا وعروسة في مهرجان الحياة الرابع لعام ٢٠١٥م، وقد كلل بالنجاج التام بمثل نجاحات المهرجانات السابقة، والمهرجانات للزواج الجماعي من الأول إلى الرابع أعطت رؤية تجسد التكافل الاجتماعي بكل معانيه ومفاهيمه، بين أبناء البلدة، رغم وجود الانتماءات

المذهبية والسياسية والطبقية، إلا أنها تلاشت واختفت في مهرجانات الزواج الجماعي، وإن شذ شاذ لقول من بعض ذوي الانتماءات المذهبية بنقد لموقف أو طبل، فلم يكن له صدى إلا في مسمعه.

هناك سلبيات ترافق كل مشروع جماهيري في بدايته، وربما تزاملت السلبيات أو جزء منها مسيرة المشروع مع خطواته المتحفزة والطامحة إلى الأفضل، لكن مثل هذه السلبيات لم تؤثر على المشروع، ولم تتعثر منها المسيرة، حيث يتم تجاوزها بعد الدراسة والبحث عن الأسباب والمسببات التي أدت إلى حدوث مثل تلك السلبيات ففي المهرجان الرابع مثلا كان هناك نقص في في وجبة العشاء من الأرز، في الأرز فقط، وبعد التحري كان السبب خطأ غير مقصود في تقدير الكمية للكيس الواحد من الأرز لعشاء فئة معينة من الأفراد، خلافا لما كان عليه في المهرجانات السابقة، واذا عرف السبب بطل العجب.

وعلى الرغم من أن فكرة الزواج الجماعي كانت أصلا لمساعدة ذوي الدخل المحدود، إلا أنه انضم إليه القادرين على نفقات الزواج المنفرد، مما بدأ معه شيء من النفقات الجانبية في اقامة مآدب و احتفالات جانبية بعيدة عن المهرجان وهم فيه، وهو مما يتنافى مع لوائح العرس الجماعي، اذ بدأ بعض المشتركون في العرس الجماعي- من ذوي الدخل المحدود- أن يحذو حذو من سبقهم، فبعدئذ أخذت تعهدات وضمانات من المشتركين بعدم إقامة مثل هذه المآدب والإحتفالات، إضافة إلى استغلال اليوم الذي تقوم فيه مثل هذه المآدب والإحتفالات من قبل لجان العرس الجماعي، واما بعد انتهاء الاحتفالات من مهرجان العرس فالكل حر في بيته.

ربما كانت هذه وتلك بعض السلبيات التي برزت في مهرجانات الزواج.

لكن في العموم لاتوجد سلبيات تهدد المسيرة ككل، فالحماس الذي عرفت به اللجان والأعضاء وكل الفرق التي أو كلت إليها المهام يتجدد نشاطها في كل مهرجان ويضاف إليها من الشباب بحيويته وهمته وإخلاصه وصدق توجهه لخدمة مواطنيه، وبلدته، مما يعني نجاح كل مهرجان موكول بتلك اللجان والفرق العاملة تطوعا راجية المثوبة من الله وحده.

ربما نقول إنه قد تأسس للزواج الجماعي إدارة رشيدة لديمومته، وأنه قد أقتنى الكثيرمن مستلزمات الزواج من أثاث وأدوات التي كانت تستأجر بمبالغ كبيرة.

٨- الـعـادات:

ليست دمون بعيدة عن مدينة تريم، إنما هي جزء طبيعي منها، وإن ظل التقسيم السياسي في مراحله القديمة والحديثة قائما في كل المراحل – تقريبا–حتى الإستقلال عام ١٩٦٧ م. لهذا فإن العادات والعوائد هي نسخة أو نقل لما يجري في مدينة تريم، ربما نجد بعض الاختلاف الطفيف في الشكل بما تفرضه حياة مجتمع في اغلبه مجتمع مدني متعلم، بمجتمع زراعي قبلي في أغلبه، وهو إختلاف – رغم قلته–تبرره اختلاف المعيشة. وهو وإن سميناه خلافا أو اختلافا، فهو لا يعدو أن يكون نقلا ابتسر شيئا، أو أضاف شيئا للأصل، ففي كل الحالات مرجع عادات البلدة وعوائدها الشعبية والدينية، هومارسخ من عادات وعوائد في المدينة تريم، كأنظمة الحويف– مثلا– والإحتفالات بالمناسبات الدينية وغيرها.

وقبل أن نذكر شيئا من عادات البلدة التي كانت والتي مازالت..تعود الذاكرة إلى ماكان في البلدة، وما لايجدر أن يضاف إلى عادات البلدة لكونه استحدث- كما أعتقد- من قبل شخص وانتهى بمرضه وموته، وربما- ما استحدث حينها- هو أسمى من العادة، أو من محاسن العادات، عاشه من عاشه في مدة معينة، حيث إن اتسم بسمة العادة لشخص معيّن في مدة معينة، فهي عادة حسنة انتهجها شخص معيّن لوقت محدد، ولا أدري هل كان لذلك سابقة من قبله في البلدة، أو في مدينة تريم أو لا..سألت من هم أكبر مني سنا، فكان الرد بالاختلاف حسب العادة المتبعة، فمن قائل يقول كانوا في البلدة أقله، ويناديهم المنادي، لكن لم يذكر أحد من هو المنادي، ومن قال: إنه لا يدري، ومن قال انه كان المنادي للصلاة..لصلاة الفجر يمر تحت البيوت وينادي صاحب البيت، ومن جزم أنه لا أحد سبق هذا الضرير بفعله في البلدة..هذا الضرير (الأعمى) المرحوم بإذن الله تعالى عوض بن عبيد(نينو) باشعيوث. شخصية كانت معروفة كمعلم لبناء البيوت، اصيب في عينيه فعمي.. عرفناه رجلا أعمى مؤذنا في مسجد شهاب الدين، كان ينادي بالإسم من مئذنة المسجد، قبيل إذان الفجر لجيران المسجد واحدا واحدا.. يناديه بالإسم كاملا لأداء صلاة الفجر، مرة وثلاث، فإن سمع من لبى النداء وإلا أعاد النداء بعد أن يمر بندائه على البعض، وبمرضه ثم موته – عليه رحمة الله–لم يخلفه في النداء أحد.

لكن هناك عادة لمؤذنين الفجر كانت، وهي قبيل الأذان، يرحّم المؤذن من المنارة، وحتى بعد أن استخدم الميكرفون في المساجد بقوله:" ياأرحم الراحمين

ارحمنا، وعافنا واعف عنا..(يكررها ثلاث مرات) والمسلمين والمسلمات.. ياحي ياقيوم..ثم يقرأ بعد ذلك الآيات الأخيرة من سورة آل "عمران:" إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لإولى الألباب.. إلى نهاية السورة:" يايها الذين آمنوا اصبروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون. ومن آخر سورة الإسراء:"قل ادعو الله أو ادعو الرحمن ايّا ما تدعو فله الأسماء الحسنى... إلى نهاية السورة: وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا. ويؤذن للفجر. وربما اختصر هذا، أو أضيف إليه شيء، فهناك أكثر من صيغة، واختلاف معارف المؤذنين في المساجد وعلمهم.

ولم يعد أحد في مساجد البلدة يأتي بهذا. وبقي الأذان الأول للفجر في بعض المساجد.

ومناد آخر يتنقل في شوارع البلدة بأجرته، وذلك عند ضياع شيء من الأشياء للبعض سواء كان حيا كالحيوانات، أوعينا من ذهب أو فضة أو غيره فيبدأ بالنداء بقوله:" لاإله إلا الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم..فلان بن فلان ضاع عليه كذا وكذا (يذكر ماضاع وصفته) فمن حصله فله الأجر والثواب من الله، والحوايه كذا وكذا".(الحواية الجعل)، وقد لايذكر اسم صاحب المفقود(المضيع).

لكن المنادي في الفترة الأخيرة أي بعد تلك المرحلة.. في عصرنا..ينادي بأعلى صوته في شوارع البلدة بقوله: "ياضامين..ياضامين.. الضايع (ويذكر المضيع بصفته وأوصافه كما سبق) من رد..رد الله عليه، والحواية كذا وكذا".

وهناك ما لا يستطيع جيل اليوم تصوره، فقد كانت تقام صلاة الجمعة بمسجد جامع مشهور في حوالي الساعة الثانية ظهرا (الثامنة بالتوقيت الزوالي تقريبا)، وذلك بعد تناول وجبة الغداء، وكان البعض يبكرون إلى المسجد ويعتكفون فيه، وكان سكان منطقة الفجير صلاة جمعتهم في هذا المسجد، وكثير من سكان دمون يؤدون صلاة الجمعة بجامع تريم، وذلك لتسويق منتجاتهم اليدوية من الخوص وغيره من حبال ومسارف ومحافر، وجبول وغيرها، والبعض يسوّق أغنامه وأعلافها، أو منتجاته الزراعية.

وكان يقوم بالتذكير قبيل إذان الظهر من يوم الجمعة في منارة المسجد الجامع(مشهور)، والتذكير عبارة عن الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يبدأ المذكر بقوله: ان الله وملائكته يصلون على النبي، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه.. صلوا عليه وسلموا تسليما.. الخ، والتذكير معروف، ومازال عبر الميكرفون قبيل الأذان في مسجد جامع مشهورلاغيره.

وهناك ما أقحمناه في العادات، – أيضا– كعادة الحزب، فلقد كانت في كل المساجد المعمورة، إحياء الحزب الليلي لقراءة القرآن الكريم بعد صلاة المغرب (بين العشائين)، ولبعض المساجد برنامجها الخاص للقراءة، وربما في بعض المساجد حلقتين للحزب، حلقة للأطفال وحلقة للكبار، ويقرأ القارىء مقرأ حسب التصنيف للمقاري المعروفة في المصحف لمدينة تريم، والبعض يبقى مستمعا، والمستمع كالقارىء، وربما قرأ من في الحلقة مقرأ واحد فقط وبالكاد يصل المقرأ الثاني لمن في مقدمة الحلقة مابين المغرب واذان العشاء، لكثرة من في

الحلقة خاصة في مسجد مشهور في السابق. ولبعض المساجد – كمسجد مشهور– حزب متصل بحزب المغرب يكون في الربع الأخير من الليل أي قبيل الفجر(٢٥٢).

ومازال الحزب في بعض المساجد بين العشائين إذا لم تكن كلها، إلا أن حلقاته في تناقص من المريدين، وأضحت حلقات متعددة، وقد انفرد البعض عن الحلقات..أما حزب الفجر فإن كان، فإنه لأفراد كل على حده، ولا صلة له بحزب المغرب.

وفي شهر رمضان كان يتم الحزب في المساجد بعد صلاة الظهر إلى إذان العصر، وتقيم كل أسرة من أفرادها الذكورحزبا خاصا لتلاوة القرآن، حيث

(٢٥٢) حزب العشائين في مساجد تريم هو ما رتبه الشيخ سالم بن فضل بافضل (توفى سنة ٥٨١هـ)، وذلك بتلاوة نصف من سبع القرآن، وتلاوة النصف الثاني في آخر الليل قبيل الفجر، وهو ماكان عليه الحزب في مسجد مشهور في السابق، وترتيب القراءة من المصحف للحزب حسب أدناه:

حزب المغرب يبدأ يوم الجمعه من سورة الفاتحة حتى سورة العمران، والفجر من سورةالعمران إلى سورة المائدة.

السبت حزب المغرب يبدأ من سورة المائدة إلى سورة الأعراف، وحزب الفجر يبدأ من سورة الأعراف إلى سورة يونس.

الأحد حزب المغرب من سورة يونس إلى سورة الرعد. والفجر من سورةالرعد إلى سورة الأسرا.

الاثنين حزب المغرب من سورة الأسرا إلى سورة الحج، والفجر من سورة الحج إلى سورة الشعراء

الثلاثاء حزب المغرب من سورة الشعراء إلى سورة الروم، والفجر من سورة الروم إلى سورة الصافات.

الأربعاء حزب المغرب من سورة الصافات إلى سورة الشورى، والفجر من سورة الشورى إلى سورة الطور.

الخميس حزب المغرب من سورة الطور إلى سورة الملك، والفجر من سورة الملك إلى سورة الناس.

وقد يحل وقت إذان العشاء، ولم يكتمل المقرر في الحزب فيتم اتمامه مع قراءة الفجر، أو في وقت آخر من البعض.

ترى في المساجد حلقات متعددة لتلك الأسر. واختفت في الوقت الحاضر حلقات الأسر.

ولا أدري هل صحة النسبة فيما أسلفنا إلى شيء من العادات.. عادات سكان البلدة أو لم تصح، فقد ارتأينا تسجيلها.

وهناك عادة، وربما عادات من رواسب العصر الوثني الحضرمي، سنأتي ببعض منها فيما يناسب البحث، أو القراءة، ونذكر منها ماذكره العلامة ابن عبيداللاه حيث يقول:"

ولعل من آثار عبادة آل حضرموت للشمس، أن الصبي إذا شفر(استأصل)-سنه-حمل سنه الساقط وقال لها-للشمس-هذا ضرس حمار فهات لي ضرس غزال"[٢٥٣].

وهذا ما كنا نفعله في صغرنا، عندما نستأصل ضرسا من ضروسنا نتوجه به إلى الشمس ونردد ذلك القول ونرميه إلى الأعلى.

(٢٥٣) بضائع التابوت جـ١ صـ ١٥٣.

أ- عادات الاحتفالات الدينية

١- شهر محرم

هو الشهر الذي يبدأ به تاريخ السنة الهجرية، وبداية العمل بذلك في عهد الخليفة الراشد الفاروق سيدنا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو من أشهر الحرم، وقيل كان اسم شهر المحرم في الجاهلية صفرالأول، والذي بعده صفر الثاني، فلما جاء الإسلام سماه الله المحرم، وفيه من عوائدنا، اليوم الأول من الشهر يوم عيد ويقال له:

أ- عيد مدخل السنة:

وهي عيد حلول أول ليلة من شهر محرم الحرام، ففي صباح اليوم.. آخر يوم من شهر ذي الحجة، ينتشر الأطفال والبنات خاصة في المزارع-والبعض بمساعدة الأمهات أو الإخوة الكبار- ليجمعوا "الكبيدي"، والكبيدي: حزمة صغيرة مكونة من ورق وغصون وأعشاب من أشجار معينة، وهي عشب السعداء، وخوص النخل، وخوص نخل المديني خاصة، ومن ثمار السدر (الدوم)، إن وجد طريا أو جافا، ومن ورق الليمون، ومن ثمره، ومن الفلفل، وأشواك السلم، وورق الجنضال(الباذنجان). يجمع الأطفال والفتيات ذلك بتوجيه من الأمهات أو الجدات، ويقمن بربط الموجود بحزمة صغيرة، وجعل لها معلاق من الخوص لحمل "الكبيدي"، وفي العصرية تتجمع الفتيات الصغار حاملات "الكبيدي" في سوم باعلوي، وهو غربي بئر العلب، ومن الناحية

الشرقية الجنوبية لبيت السادة آل شهاب الدين، وفي الفترة الأخيرة، في الساحة قبلي(غرب) مسجد مشهور، وكل فتاة مزهوة "بكبيدها" خاصة إذا اكتملت مقتنياته المعروفة.. معددات ما فيه ومن أين جئن به، ومن جمعه أكان أخا، أوأختا، أو أما، أو قريبا، ويترنمن بما حملن بأصواتهن الطفولية البريئة:

كبيدي على رأسي وجبته من الوادي

وبعته بخمسية ولا جاب عشويه

وفي الواقع محتويات الكبيدي من المزارع ومن المسيلة، إما أن يكون من الوادي فذلك عقب ارتواء "جروب" الوادي من السيول ونبت بعض الأعشاب المطلوبة فيه.

وقبيل المغرب تعود الفتيات إلى بيوتها حيث تجد الأمهات في المطبخ، يقمن بعجين دقيق البر، ويضعنه بعد التقريص في التنار، ويقمن بطبخ ما استخلف من لحم العيد الغاب- عيد الحجة - أو الأضاحي، ويسمى لحم السنه، وهو عبارة عن: ساق الذبيحة بلحمه، و"شرقه" من جنب الذبيحة بأضلاع خمسه، و"الموسى"، و"قصمه محجم "كاملة، وزند، ودوار الورك يبرى منه أغلب لحمه، وطرف القعصوم(نهاية العمود الفقري)، ومن الرأس..رأس الذبيحة – طبعا- "بعير"(الفك الأعلى أو الأسفل)، واذن، وعين، ولسان[٢٥٤] ، إضافة إلى

(٢٥٤) هذه التسمية لأعضاء من الحيوان المذبوح، سواء كان من الماعز أو من الضان، على وفق المتعارف عليه في البلدة.

المحشي[٢٥٥]، ويحشى في "المخضة"[٢٥٦] بعد أن ينظف ويطهر وينقع بالخل، ويربط، ثم يخزم بشوكة، ويعلق في مغسي، مع لحم السنة الذي يعلق في جريدة نخل بشوكها، حيث يضع كل قطعة في شوكة من لحم السنه- ليغَب (يخلف)- إلى هذه الليلة، حيث يكون الاحتفال بعيد مدخل السنة-..يبدأ الاحتفال مع الوقيد للقِدِر وفيه اللحم والمحشي، وفتّ الخبز، مع طبل النساء بقصعة، أو صينية، والغناء مع الفتيات، والنعيش فوق القِدر والتمايل والترنم بـ:

"مدخل السنة بركه فيها الصلح والفكه".

وكبيدي على رأسي....

ويوقد القدر بوصلة من جذع نخلة، ليتكاثر الدخان ويعلو في سقف المطبخ، ولهم في ذلك رؤية.

وقبلها أي في ليلة ٢٩ من شهر الحجة، ولكن بدون مراسيم، يبدأ في المطبخ طبخ "الباخولان" وهو الإثني عشر وهو"محشي" بفقرة الرقبة للحيوان المذبوح للعيد مدقوقة، بنفس الطريقة السابقة للمحشي، وربما بدأ بجعلها في وجبة العشاء قبل تلك الليلة، إلا أن مراسيمها وفق العادة هو هذه الليلة.

يتم الترنم في المطبخ بذلك المقطع وغيره، حتى يحين موعد العشاء، المكون من فتيت البر، مع المحشي، واللحم المِخْلِف(الغاب) ويتم قسمته عاقل الأسرة للأفراد، كما يهدى منه للمحارم والجيران أو بعض الجيران والأقارب.

(٢٥٥) المحشي: وهو لحم مقدد قطع صغيره من لحم ماذبح في العيد، يعجن مع بهارات (قد تكون مقرصّة وتسمى خضيره) والبهارات: ملح وشبرم وثوم وكمون وهرد (كركم) وفلفل أسود، وخل تمر.

(٢٥٦) المستقيم للحيوان المذبوح.

ب- تاسوعا:

وفي اليوم التاسع، هو يوم "تاسوعا"، تكون وجبة الغذاء من أكرع (كرعان) الغنم المذبوحة في العيد، أو ما ترك منها لهذه الليلة مما ذبح خلال العام، بعد نزع **الأ**ظلاف، تكون مع سبع "حمبصات"[٢٥٧] (حسب العرف) ، ولا يتقيّد به الكثير كعدد، مع الدجر، كإدام للخبز، وفي السابق كانت هي الوجبة للغداء، وبعدها كانت وجبة العشاء. (وللأطفال لعبة بعظم الساق هذا، وستأتي في الألعاب).

جـ - عاشورا

وليلة العاشر من شهر محرم، تقرأ في المسجد الجامع (مشهور) قراءة "عاشورا" بعد صلاة العشاء، ولن نتطرق إلى ما قيل عنه، أي يوم عاشورا[٢٥٨]، وفي صباح يوم العاشر من محرم يجوب الأطفال (فتيان وفتيات) الشوارع عند أصحاب الحوانيت(الدكاكين) حاملين قوارير، فيعطى لهم في قواريرهم شيئا من زيت السمسم(سليط)، ومن ليس لديه وعاء للزيت صب فوق رأسه، والبعض يعطي شيئا من السكريات، ويعطي البعض دراهم من الفئات الأدنى.

ومما كان تعتقده الأمهات والجدات وبعض الآباء في اليوم التاسع والعاشر أن ما يجري من الماء في الآبار هو من ماء زمزم، فتتسابق النساء وبعض الرجال للاغتسال وغسل الثياب، وبعض المقتنيات تبركا بماء زمزم على اعتقادهم، أو حسب المفاهيم التي تلقوها.

(٢٥٧) الحمبص: بذور خضراء وهي طرية، وبنية الشكل بعد جفافها من ثمار الغلفق من البقوليات.

(٢٥٨) يقول عنه الإمام عبدالله الحداد:" انماهو يوم حزن لافرح من أجل أن قتل الحسين كان فيه، ولم يصح فيه أكثر من أنه يصام ويوسع فيه على العيال (من تثبيت الفؤاد جـ٢ صـ٢٢٣).

وليلة العاشر من شهر المحرم تخوّف الأمهات والجدات، الأطفال وربما تذكرهم بأن "الضعيضوع" سيجيء وهم في نومتهم ليعيدهم إلى موقع ولادتهم، إما سحبا أو حملا، أو طيرا في الهواء، دون أن يشعروا أو يحسوا وهم في نومتهم، وكل أم أو جدة تذكر للطفل أو الطفلة موقع ولادته، ولم يفدني أحد ممن سألت عن هذا الـ "ضعيضوع" واختراعه وتسميته ومجيئه ليلة عاشورا، و"الضوع" اسم طائر من طيور الليل.

٢- شهر صفر

آخر ربوع:

وفي شهر صفر وفي آخر ربوع منه، وقبله بأيام يتم الإستعداد له بعمل "كعك" آخر ربوع، أو كما يقال له ربوع الجبل-هكذا-وكذلك تحميص السمسم مع الكباس (لب النبق-الدوم-) والسكر، يقلى في المحماس ويشكل بهذه المجموعة كتلا متشابكة، لهذه المناسبة، وتجتمع فرق أسرية وغير أسرية "لترويحة" آخر ربوع في الوادي. وكانت كثير من الأسر في السابق تخرج من بيوتها من صباح يوم الأربعاء إلى مواقع في الوادي تحت ظل الأحجار الكبيرة (كالمقيحوزه) - شمالي منطقة باحميد-وهي صخرة كبيرة اشبه بشجرة الأرز المرسومة على العلم اللبناني، وقد طال تلك المواقع في الوقت الحاضر البنيان، وقد أزيلت تلك الصخرة، أو في المرتفعات الجبلية، (كحصاة الشحم)، أو في الغبره، ومولى لوسط، وغيرها من المواقع المعروفة لأهل البلدة، بذبائحهم

ومونتهم وما أعدوه لهذا اليوم، والكثير- لا يدرون علة هذا الخروج أوالإحتفاء به اليوم، إلا أنه آخر ربوع من صفر(ربوع الجبل)، لكن الذي عرفناه من بعض شيوخ هذه البلدة الذي سألناهم في وقت سابق، تعددت فيه الأجوبة، فقيل أن الرسول عليه الصلاة والسلام، كان بداية مرضه الذي توفي فيه هو آخر ربوع من شهر صفر، ولهذا يستحب الخروج من البيت!، أو على الأقل يستحب الانتقال من منزل إلى آخر، أو من غرفة إلى أخرى في البيت!- هكذا-، ويذكر السيّد حامد بن محمد بن شهاب، أنه يستحب في آخر الأربعاء من شهر صفر- هكذا- (في هذا اليوم) أن يصلي الشخص، صلاة من أربع ركعات، يأتي في كل ركعة بعد الفاتحة بسبعة عشر مرة من سورة الكوثر، وخمسة عشر من سورة الإخلاص، والمعوذتين مرة مرة، وبعد الإنتهاء من الصلاة يدعو بما شاء، ويأتي بهذا الدعاء:" اللهم يا شديد القوى، وياشديد المحال، ياعزيز ذلت لعزتك جميع خلقك، اكفني جميع خلقك، يامحسن..يامجمل..يامتفضل..يامنعم..يامكرم..ياالله لاإله إلا أنت برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم بسر الحسن وأخيه وجده وأبيه، أن تكفني شر هذا اليوم، وما نزل فيه، ياكافي(ثلاثا) فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين"[٢٥٩]، ومع أنني لا أعلم أن أحدا صلى هذه الصلاة، أو دعا بهذا الدعاء في هذا اليوم،

(٢٥٩) الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم صـ ١٩.

ولا مصدره، ولكنها صلاة ودعاء ربما تؤديان دون إشعار وإشهار، ومن صلاها ودعا بهذا الدعاء يمكن أن يكون صلاها بعيدا عن الأعين، وبمرجعية خاصة!. ولم يشر بن شهاب إلى مصادره حول الصلاة والدعاء.

لكن العامة والخاصة أيضا همها- الظاهر- في هذا اليوم هو النزهة، والأكل والترويح عن النفس، فمن موجبات نزهة اليوم – آخر ربوع- إضافة إلى ما اشرنا إليه، هو الذبح..ففي العصرية حيث تتوافد الفرِق إلى الوادي أو إلى الجبل بذبيحتها يحتلقون زمرا وجماعات مكونة من أشخاص عدة(من ثمانية إلى أكثر من عشرة)، وقد فصلوا ذبيحتهم واقتسموا لحمها وعملوا المضابي، والبعض أشعل النيران في الكوانين لشوي اللحم، حينها ترى سماء الوادي مقتمة من دخان المضابي، وتنظر إليه من عل وترى أنوار المصابيح القازية تملىء ساحة الوادي بطوله وعرضه، وكذا المرتفعات الجبلية، وكأن السماء حطت بالأرض وهذه نجومها متناثرة.. المتوهجة والخافتة لا يحصرها عدد، والكل في سمر وغناء وأهازيج وطبول تفقع، مع تبادل النكات والقفشات قبل وبعد أكل اللحم المشوي مع شيء من التمر، وتدور فناجين الشاي أو القهوة، ومن ثم يتأهبون للرجوع، والبعض رجوعهم بالأراجيز-خاصة الفرق الصباحية- حاملين على رؤوسهم مع العودة عدتهم وعددهم، ـ ضاحكين مبتهجين. والكثير منهم في هذا اليوم، تعودوا الود والتواصل، فود القريب قريبه، والجار جاره مما استبقاه من لحم أو كعك آخر ربوع وغيره، خاصة ممن حجزه عذر ما، ولم يخرج فيه إلى"ربوع الجبل" كما يقال له.

كانت هذه العادة بتفاصيلها في السابق، ومع أنه بقي بعض منها، إلا أنها اقتصرت على أسر خاصة أو فرق معينة، لأكثر من سبب، فقد أضحى الوادي مأهولا بالسكن وبالسكان، وأضحى لبعض سكان البلدة آراء ومفاهيم غير ماكان عليه سلفهم.

ومن التشاؤم من شهر صفر هذا لا تجد من يعقد للزواج فيه، وإن أقيمت الأفراح فيه فإن العقد قد تم في شهر قبله.

٣-شهر ربيع الأول

الاحتفال بمولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وهو يوم مولد الرسول عليه الصلاة والسلام -باتفاق بعض المؤرخين-..يوم عيد..كانت تعطل فيه الدوائر الرسمية، والمدارس ويحتفي بهذا اليوم ويقرأ المولد بعد صلاة الفجر في مسجد جامع مشهور.

وتسمى الأشهر الأربعة ربيع أول، وربيع ثاني، وجماد أول، وجماد آخر، بأشهر "لتاويم" يقال الشهرالأول من "لتوام" والشهر الثالث من "لتوام" وهكذا (ولعل التسمية من التوائم لتشابه الإسم وحرّف) ولم يفدنا احد عن هذه التسمية، علما بأن هناك من عناها في منطقة أخرى(شبام) أشهر آل دحمان، ولا يتخلل هذه الاشهر شيء من الأعياد أو المناسبات وإن كانت- ومازالت- تكثر فيها الموالد ببرنامج معد للجوامع وغيرها، والإحتفاء بها في غير البلدة.

٤- شهر رجب

أ- عيد رجب:

وأول يوم في شهر رجب يوم عيد، يقرأ صباح اليوم بعد صلاة الفجر مباشرة في مسجد جامع مشهورالمولد النبوي، ولا تعطل فيه الدوائرالحكومية، وكانوا يخصون هذا اليوم بوجبة الغداء "هرسي"، والهرسي ليس الهريس، والهرسي عبارة عن دقيق بر ورز، لكنه ليس قاعدة عامة، إنما اعتباره يوم عيد لا خلاف عليه، لخروجهم – ربما- من أربعة أشهر ثقيلة تكثر فيها على اعتقادهم الوفيات، ولعلها من ترسبات الفهم الجاهلي فهي أشهر يكثر فيها القتل والقتال، يعقبها شهر من أشهر الحرم (رجب) ففيه هدنة- مجرد افتراض- فكان عيدهم، وفرحتهم بهذا العيد، فكان الإحتفاء الشعبي بأول رجب.

ومن مظاهر العيد في هذا اليوم كانوا يتشاركون كأسرأو كفرق في ذبيحة لهذا اليوم.

ب – ذكرى ليلة الإسراء والمعراج:

وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب..ليلة الإسراء والمعراج- على خلاف في الشهر- تقرأ قصة الإسراء والمعراج في مسجد جامع مشهور بعد صلاة العشاء، وبعد القراءة يتجمع من في المسجد- أغلب سكان البلدة- عند بوابة الجامع حيث "التهاويد"، والتهاويد عبارة عن دعوة وترغيب لزيارة نبي الله هود عليه السلام، ومن حنجرة صاحب الصوت الجهير والحسن يقف "المهوّد" أمام المحتشدين بلحن معروف قائلا:

١- ياغافل اذكر الله وقل لاإله إلا الله ما في الوجود غير الله الله..الله..الله

ويرد المحتشدين بصوت جماعي من فرقتين أو ثلاث فرق كلا على حده بقولهم:

هود ياهود نبي.. وترددده الفرقة الثانية، ثم الفرقة الثالثة.

٢ – محمد صلاة الله عليه ولي شوّق القلب إليه صلاة ربي عليه الله..الله..الله

وتردد الفرق هود ياهود.....

٣- النبي في قبته، ودوب يشفع لامته، والغمامة ظلته، حبيبي يارسول الله..

الله..الله..الله

.....

٤ – ولي كلمته الغزال، ولي حنت عليه الجمال، رسول الله مولى بلال،

الله..الله..الله

.....

٥- لي انشق له القمر نصفين، وياخطيب المنبرين، ياسيدي يارسول الله،

الله..الله..الله[٢٦٠]

.....

٦ – وياخاتم النبيين، وياجد الحسن والحسين، وياشفيع الخلق عند الله،

الله..الله..الله

.....

(٢٦٠) أورد التهاويد سرجنت في كتابه مختارات من الأدب العامي الحضرمي بدون هذا البيت.

٧ – يامولى القبر النوير، إليك سلام ومنا سلام، سلام في سلام، يامظلل بالغمام الله..الله..الله

.....

٨ – يالله بعوده سالمين، غانمين زائرين متنوّيين، إلى الشعب النوير على النبي منا سلام الله الله..الله..الله

.....

ويتغيّر اللحن:

٩– لي سلمت الهلباء من الطرف ليلة بنينا قبة وعروس للنبي..

يرد الجمع:

آه النبي..آه النبي..آه النبي..

١٠ – نبدي بذكر الله ونختم بالصلاة على النبي..

آه النبي..آه النبي..آه النبي.."[٢٦١]

ثم تتجمع الفرق وترص الصفوف ويشل الشلال:

يازائرين النبي..يازائرين النبي..

وقد اصطف المحتشدين ورددوا برجزهم يازائرين النبي..

والفرقة الأخرى شلالها يقول:

يا نبي الله جينا إليك..

(٢٦١) الأبيات من حفظ خميس سالم باخريصه، وقد سجل هذه التهاويد سرجنت في كتابه: مختارات من الادب العامي الحضرمي صـ ٧٠.

و الثالثة: تسل ياقليبي شف الدنيا مخلاه، أو شل آخر لرجز الخابه.

وتجوب " الخابة" من الفرق بهذه الأراجيز الشوارع وتنتهي، ولا موقع معيّن لإنتهائها،

وكانت فرقة تتجه إلى الجانب الجنوبي، وفرقة تتجه إلى الجانب الغربي، وفرقة تتجه إلى الجانب الشمالي. ثم بعد تاسيس مسجد النور بالجانب الشمالي استحدثت له تهاويد خاصة لأهل الجانب الشمالي بتلك الكيفية مع الخويب، تبدأمن تحت المسجد، إلا إنها ابطلت بعد مدة قصيرة.

وبدلا من ثلاث فرق أضحت في الوقت الحاضر فرقة واحدة، وكان الكثير يتهيأ للزيارة..زيارة نبي الله هود عليه السلام.

والملاحظ في أبيات التهاويد أن المعني في تلك الأبيات هو رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام باستثناء البيت رقم ٨.

وقد كانت تقام بعد ليلة المعراج تلك، وبعد صلاة العشاء ثلاث ليالي متواليات من التهاويد والخويب تبدأ في الليلة الأولى (ليلة الإحتفاء بالإسراء والمعراج) من عند بوابة مسجد مشهور، والليلتين الأخريين من وسط السوق القديم للبلدة (تحت بيتي الباحشوان) وفيها يتم إشعارالزائرين بفصل ركاب الزواد، واشعار لطلب المعونة المادية من وجهاء البلدة وأثريائها(السادة) دعما للحافة لزيارة نبي الله هود عليه السلام.

٥- شـــهـــر شـعـبان

أ- زيارة قبر نبي الله هود عليه السلام

وفي شهر شعبان، -ويقال له شهر هود-يتهيأ الكثيرون للزيارة، وذلك بفصل "الركاب" (الجمال) وتشكيل الخِبر(الفرق)، وفي البيوت يخبزون البر ومن بعد يتم فتيته(برير)، أو يكون من أقراص الذرة يحمله الزائر أقراصا بدون فتيت، وكذلك التمر(صيم) في الغالب يوضع في نصف قربه قديمه (شنه)، وما يحتاج إليه من لبس للزيارة وفرش وغطاء، وكانت كلها احتياجات بسيطة متواضعة يحملها الزائرعلى رأسه أوعلى كتفه، والبعض يعطيها بعير الزواد (أي جمل حمل زاد الزوار).

وقد يتوجه بعض الزوار المشاة، أو الراكبين على حميرهم، أو بغالهم من أوائل شهر شعبان، وربما قبل ذلك أفرادا وفِرقا، سواء للإختلاء للعبادة حتى موعد الزيارة، أوللزيارة أو لعمل ما، أو تهيئة خدرأو لحجز موقع لتجارته.

وربما توجه بعض وجهاء كبار السن إلى الزيارة محمولا على "الميانة" وهي المحفة يتعاقب حملها الرجال على أكتافهم وفيها الزائر.

وكان رجال حافة دمون في اليوم الأول من شهر شعبان يقومون بزيارة برجزهم(الخويب) إلى بيوت السادة طلبا للمعونة والمساعدة لتأدية الزيارة.

وفي اليوم السابع من شهر شعبان (يوم المسراح الرسمي) وقد تعرف كل من الزوار على (مركوبه) راحلته، وبدويه (الجمّال)، ففي الصباح تناخ المراكيب

(الجِمال) عند بيوت فاصليها(مستأجريها)، وتشد أظهرها تحت الرغاء والهدير، ويوضع الرحل(الشرخ) "والخرج" ويزيّن بفرش ناعم، وربما خضب الزائر رقبة المركوب – الجمل أو الناقة –ومقدمه بالحناء، أو كتب عليه عبارات التوسل بأحدالأولياء.

والجِمال المفصولة، البعض منها محمل راكب فرد ويسمى "نطلا"، ويكون صغير السن (قعود)، والبعض منها محمل اثنين ويسمى "ردفا"، وحين يستكملون الشد على ظهور الجمال يضعون صبيانهم على "الرحل" وتثوّر "القلائص" ويقودها الأب الراكب وقد تعمم بعمامة لم يعهدها، وممسكا عصا بيده ملوّحا بها..ضاحكا..مستبشرا، بقبول الزيارة، ومودعا الأهل والأقارب، وأعطى للأطفال ما تيسر من النقود "حق الزيارة" وساروا إلى منطقة "الفجير" حيث ينزل الصبيان، ويمتطى الرجال مراكيبهم مبسملين داعين الله بالسلامة وقبول الزيارة مرددين" يا مولى النهر". وهنا ينصرف المودعون من الأطفال والرجال والنساء، وتبدأ المسيرة الجماعية للزيارة.

كان الزوار على الجمال، والبعض على الحمير أو البغال، أو على المحفة، ولا وسيلة غيرها وميرته على بعير الزواد، والبعض مشيا على الأقدام والبعض على رؤوسهم مونتهم أيضا، وقد تصل عدد الرواحل(الجمال) المتجهة للزيارة من البلدة(دمون)–سابقا–إلى أكثر من عشرين جملا مفرقة على الشرائح الطبقية في البلد، وكانوا بعد اعتلائهم مطاياهم ومسيرتهم من منطقة الفجير يتناجون بحق العادة، فتضرب الجمال الشابة وتنطلق مسرعة بكل طاقتها، والراكب يلوح

بالعصا، والكل يريد السبق.. يقال للسباق حق "العادة" لمسافة ليست طويلة، ثم يواصلون مسيرتهم الرتيبة ويتجهون إلى مدينة عينات حيث تتم زيارة المقبورين في القبب من السادة آل الشيخ بوبكر بن سالم، ثم يتجهون إلى العجز(قسم)، حيث يزورون الولي في قبته شهيد الغرق السيّد أحمد بن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، ويقيلون في قرية قسم. وتبدأ المسيرة بعد صلاة العصر إلى قرية السوم حيث المبات هناك، وفي الصباح يواصلون مسيرتهم، وفي منطقة الخون حيث يوجد شرقيها "المَحْذفَة"، والمحذفة صخرة كبيرة واقعة في سفح جبل، يلتقط الزوار سواء كانوامشاه أو على مراكيبهم ينزلون ويلتقطون حصى صغيرة، ويرمون "المحذفة"، بتلك الحصيات، وعلة الحذف ربما حسب اعتقادنا تشبها برمي الجمرات في الحج، وكأن الرمي عليهم كالنسك(كان ذلك في السابق)، وذكر البعض أنه رؤي الشيطان في تلك البقعة، فرماه(حذفه) أحد الصالحين من تراءى له، وإن كان الذي يتناقله العامة من رواة الأقاصيص غير ذلك. ويعاودون المسير، والقيلولة في قرية"العُصْبة"، ومن العصبة يواصلون مسيرتهم، وفي شرقي منطقة تنعة كان هناك سوم-ولعله مازال-من الحصى يقال له قبر الكافرة، ولهم حول القبر-أو ماظنوه قبرا-وهم توهمه من توهمه حول الموقع موصول بما تناقله العامة عن حصاة المحذفة. وبدون توقف يواصلون مسيرتهم حيث يستقبلهم الشِّعب، ويباتون في خدورهم. وفي رحلتهم تلك كل ما مروا بقرية صوت الركاب بلقب القرية، أو المثوى، وكل قرية ومثوى لها لقب، ويغتاظ السكان وربما رجموهم بالحجارة.

ولركاب الجمال سباق " حق العادة" عند دخولهم إلى مدينة عينات، وعند دخولهم إلى قريتي قسم، والسوم، وعند مدخلهم إلى الشعب. وقد تختلف المراحل باختلاف وقت بدء مسيرتهم، فقد تبدأ مسيرتهم العصر، بدلا من الصباح.

أما الخدور، فقد يحتوي الطابق على غرفة واحدة كبيرة نسبيا وحمام، وربما بجانبها غرفة صغيرة أشبه بالوضيع، ومطبخ، وسطح، وهي سمة أغلب الخدور القديمة، (وهي المساكن المؤقتة للسكنى أيام الزيارة (ثلاثة أيام) ربما تزيد يوما أو يومين لمن استقدم الزيارة). وهي للحويف ولبعض الأسر.

وقد أسس عيال حافة "الحضر" لهم خدرا في الشعب من طابق أرضي في عهد أبو الحافة عمرعبدالله باني، كمقصد لرواد الزيارة من عيال حافة الحضر، وشاركهم السكنى فيه في البداية، زوار من رجال القبائل، ولكن بعد مشادات حدثت بين أبناء القبائل وأبناء الحضر، بنى القبائل لهم خدرا، وزادوا الحضر طابقا ثانيا في خدرهم في وقت الأبو عمر مبارك بامطرف.

وبني المساكين لهم خدرا في عهد ابو الحافة عبيد عوض ربيحان، وفي عهد البو مبارك سالم ربيحان في عام ١٣٦٧هـ حفروا البئر في الشعب قريبا من خدرهم وشيدوا بجانب البئر سقاية، ومصدر التاريخ مدون في السقاية.

وفي الشعب خدورعدة لأهل البلدة، فللسادة آل شهاب خدرهم، والمشايخ آل الزبيدي لهم خدرهم، وللقبائل خدرهم، وتفردت بعض الأسر بخدور خاصة بهم كآل بشير والباحشوان وآل ربيحان، وآل باغزال، وآل بامزروع، لكن في الأغلب لا يرد زائر معروف من المبات في أي خدر.

يذكر العم عوض مبارك باحشوان، أنهم استأجروا أرضية من ناظرأوقاف القبة المشايخ آل باعباد، وقد اشتركوا في استئجارها وهم ثلاثة أبناء عمومه وزميل لهم في المهنة (عوض سعيد فقيهان) واتفقوا مع معلم البناء سالم سلمان سويدان ببناء الخدر من طابقين بمساحة22x18 قدم بمبلغ خمسمائة شلن (لهم تسليم المفتاح).

ومن الزيارات التي يقودها السادة في الشعب، نصيب آل "البلدة" (دمون) منها زيارة السادة آل شهاب، وهي في صباح اليوم العاشر من شهر شعبان، ويتزعمها عاقل آل شهاب، سواء كان من دمون أو من حافة النويدرة، وبعدها زيارة آل الشيخ أبوبكر بن سالم كآخر زيارة للسادة- ولازيارة لقادة غير السادة- ، وقلت نصيب آل دمون منها لأنها كانت - في السابق- تقام بعد الزيارة "خويب" "ومرازح" من "الحويف" التابعة لقادة الزيارة، ويقوم شباب(البلدة) دمون وكهولها من أبناء الحضر والمساكين "الدير" في أثناء الزيارة، و"الدير" [٢٦٢]، وكم افتعلت فتنة حول "الدير" ومن يستحقه ومن يدعي بأن له نصيبا أو استحقاقا، لم يقره غيره حسب العرف والعادة، كادت أن تودي بحياة بعض الزوار، لولا تداركها من قبل العقلاء.

وفي الشِّعب..تقام أسواق على بساطتها متنوعة، فيها الملابس والأقمشة، وهدايا الزوار الأخرى، لكن أهمها- في ذلك الوقت- سوق الغنم.. فتتعدد فِرق

(٢٦٢) هو دورة الشباب بالماء والقهوة ومباخرالدخون للزوار في القبة.

في السوق من بدو المنطقة وغيرها عارضين أغنامهم بأنواعها للبيع بأسعار مختلفة، ويتم الشراء من زوار البلدة وغيرهم، وتجمع المشتريات، ويرسم عليها علامات لملاكها، ويسوقها إلى البلدة شخص أو أشخاص مع اطعامها وسقيها بأجر معلوم، وتسلم لأصحابها في البلدة.

يغادر أغلبية الزوار الشِعب في اليوم التالي، أي اليوم الحادي عشر من شهر شعبان، ونحن بصدد رحلة الرواحل(الجمال) ويكون المبات في آخر مرحلة من ثاني يوم في المسيلة "بالجحيل"، والجحيل منطقة شرقي البلدة معروفة، ويكون في انتظارهم بعض الأطفال تحت أشجار النخيل، وفي اليوم الثاني يتوافد المستقبلون من الأطفال حيث يظلون تحت أشجار النخيل، وفي ظلها يتناولون شرب القهوة أو الشاي والغذاء، والبعض يوزع بعضا من هداياه للأطفال، كبنادق ومسدسات الأطفال "والزمارات"، وهياكل الخيول والجمال والوعول الخزفية، واللعاب للبنات، ويزهو الأطفال مبتهجين بعرض هداياهم من زمارات ومسدسات مائية وغير المائية بصخبها من هنا وهناك، كأنهم في مباراة للضجة، لكنها ضجة وصخب تدخل السرور في أفئدة الأطفال وآبائهم.

وكان في السابق زوار البلدة (دمون) في منطقة الجحيل يشاركون في ذبيحة جمل أو ناقة مع الغداء يقتسمونها بحصص كل على قدر طاقته تفي بالغرض لهذا اليوم. وبعدها تشاركوا الغنم كل خِبره(فرقة) للزياره بذبيحة أوعدة ذبائح.

وتشد الرواحل في العصرية ويركب الأطفال، ويتجمع الزوار وبعض المستقبلين الذين يهنئون الزوار بالزيارة وقبولها بقولهم: "تهناكم الزيارة والقبول"،

وربما غصت حلوق البعض بالعبَرة، وفاضت الأعين بالدمع تأسفا وحسرة، لعدم أدائهم الزيارة لسبب ما منعهم.

وتقوم المرازح والخويب من فرقة أو أكثر من فرقة، يشترك فيها من أراد المشاركة، يتقدمها البقارة بنعيشهم، ويستقبلهم من لم يزر لسبب وآخر فتقام خابة برجزها تستقبل المرازح والخويب مرددين في مرازحهم:

تهناكم الزيارة.. يازائرين

وعليها أبيات توضع من قبل الشلال..

وفي شوارع البلدة(دمون) يستقبل الزوار الأطفال والشيوخ والنساء.. وتنهي الخويب، وتبرك الرواحل تحت بيوت مستأجريها، وبعد أن تجرد من الشد والرحل، يستلمها بدويها (ما لكها)، ويجلس أب الأسرة في بيته بين أهله يقسم "الهدية".. هدية الزيارة، باعتقاد قوي عام بأن فيها البركة، والبعض يحمل معه ماء من النهر الذي روّج له بأنه من أنهار الجنة، والهدايا من "القَذِي"(لبن غنم مخمر مجفف)، ومن كعك أو بسكويت معجون بدقيق بماء النهر (كان ذلك في السابق) ومن بعض المصنوعات السكرية المحلية والحنظل والدجر المحلي، وأهمها المساويك.

* * *

في تلك الليالي التي يقضيها الزوار في الشِّعب، وهم أغلب رجال البلدة تقريبا من الشباب والكهول، تتجمع النساء في مواقع من حاراتها للسمر والغناء والمرح، حيث لاتوجد المحاذير، وربما مثلن أدوارا هزلية أو فكاهية لبعضهن البعض لفترة من الليل قصيرة على ضوء القمر.

* * *

وللزمن دورته، ولكل دورة فيه أهلها بخصائصها، فاذا كانت هذه الزيارة بطقوسها ومفاهيم الزوارحولها، ووسائل النقل إليها، وخدورها في السابق، فقد بقيت الزيارة وبعض طقوسها، وافتقدت المفاهيم حول الزيارة روحها وروحانيتها، وأضحت مجردة من الروحانية الصادقة، بطغيان التباهي ببناء القصورالتي هي أقرب للمنتجعات السياحية، والإسراف والبذخ في غير محله من ضيافات واستضافات، ومن زهو وعجُب، وهي قراءة لما عليه الزيارة اليوم، مقارنة بما كانت عليه زيارة السابقين، ويعلم الله وحده بالنوايا، ولكن الظواهركثيرا ما تفضح ما في الباطن.

ووسائل الزيارة اليوم..اي زيارة نبي الله هود هي السيارات الخاصة بموديلاتها اليابانية وغيرها من المصنعات الحديثة، إضافة إلى سيارات الأجرة من حافلات وغيرها، وحتى الدراجات النارية، - ولن تجد المشاة- وذلك للطريق المسفلتة وبإنارة في الطرق التي تخترق القرى والمثاوي، وإنارة كاملة في خدور أو قصور الشِّعب وشوارعها وتسليكها بأنابيب المياه.

ولم تعد من قبل أهل البلدة خويب من أي نوع، سواء في الشعب، أو في العودة، أو من المستقبلين. كما أنه لم يعد هناك وقفة في "الجحيل" ناهيك عن المبات فيه، مع أنه تجددت في الآونة الأخيرة الذهاب إلى الشعب..شعب نبي الله هود للزيارة على الجمال، وهي مع التكلفة الكبيرة لمصاريف الجمل ومشاق الرحلة، وهي تبعا للوقت مجرد رحلة للمباهاة كما يقرأ من ظاهرها. ولم يكن لأهل البلدة نصيب من هذه التجديدات إلا ما كان من شخص واحد سار بجَملِه مرة وتوقف، ولايمنع مانع غيره من استئجار جمل أو شرائه كوسيلة نقل للزيارة.

ب- الشعبانية:

وفي ليلة النصف من شهر شعبان..ليلة الشعبانية.. تقرأ قراءة الشعبانية في مسجد جامع مشهور بعد صلاة المغرب، وهي قراءة دعاء" النصف من شعبان" وسورة يس ثلاث مرات، الأولى بنية طول العمر، والثانية بنية دفع البلاء، والثالثة بنية الاستغناء عن الناس، ويأتي الدعاء بعد قراءة السورة.

وعصر هذا اليوم يهرع غالبية أهل البلدة رجالا ونساء وأطفالا إلى تريم لزيارة الترب، أو بالأصح لزيارة الأقارب المقبورين فيها، سواء كان أبا، أو أما، أو أخا، أو زوجا، أو ابنا، ومن على من الأسرة أو سفل منها، والبعض منهم يحمل أغصانا من شجرة الريحان يضعها فوق قبورهؤلاء الأقارب.. كانت عادة..لا أقول إنها انتهت، لكنها تقلصت، ومن زيارة النساء انتهت تقريبا، وتقام هناك "خويب" من حافة أهل الخليف يدورون بالمقبرة سبعا، مرددين "هود نبي الله"..أما داخل المقابر فيقرأ دعاء الشعبانية مع سورة يس ثلاث مرات، بالنوايا الثلاث المتقدمة، عند ضريح الفقيه المقدم، ثم يقوم بالتذكير والوعظ أحد السادة، وتتم زيارة أضرحة السادة وغيرهم.

* * *

في أواخر شهر شعبان تجتمع الفتيات والفتيان الصغار غرب مسجد جامع مشهور حيث تعرض كل فتاة عراوسها(لعابها) وحينها كانت اللعاب معمولة يدويا من القماش، ومع كل فتاة كيس صغير متدلي من عنقها بداخله(جفل) بن بقشره، ويلعبن "الحفيرة"، حيث تضع الواحدة منهن أربع جفلات – مثلا أو

أقل- في حفرة صغيرة في الأرض محفورة للعبة، وترفع حجرا مدورا صغيرا يقال له "البِرك" بكفها إلى أعلى، وبهذه الكف التي رفعت الحجر(البرك) ترفع شيئا من الجفل في الحفرة إلى محيطها وتستلم الحجر وهو يهوي بكفها، ثم تعاود رفعه، وبكفها تضع الجفل في الحفرة وتبقي واحدة هي من نصيبها، فإن سقط الحجر وأخطأ كفها، أو تركت أكثر من واحدة في محيط الحفرة، أو لم تترك شيئا، انتهى دورها وتعطيه الأخرى وهكذا، والتي تكسب الكثير هي الرابحة في اللعبة(وهي لعبة الحفيره). أما الأطفال يعملون شرابا من ماء وسكر في أكواب أو قوارير، صبغوه بلون أحمر من "برشوم" أمهاتهم (والبرشوم هو أحمر الشفاه) ويبيعونه للفتيان والفتيات، الملعقة الصغيرة بجفلة أو بأكثر، وربما بنوى التمر، وهكذا إلى بداية شهر رمضان.

كان ذلك في السابق، أما في الوقت الحاضر فلا شيء من هذا.

٦- شهر رمضان

كان التحضير لمواد شهر رمضان على بساطتها تبدأ من نهاية شهر شعبان، من شراء بعض المواد وغسل الثياب، وكنس المساجد وربما غسلها أيضا وفرشها بالحصير (من مصنوعات السعف)، والكل يتهيأ للصوم فيه، سواء كان في فصل الصيف أوفصل الشتاء، والكل يعمل فيه.. المزارع، والعامل، والبقار، والحداد، والنجار، وكل ذي مهنة وفي أي نجم من نجوم السنة في الفصول الأربعة المعروفة (ربيع، صيف، خريف، شتاء) يكون فيه الشهر، والكل يبادر ويتهيأ

للصلاة والقيام فيه، وإذا قلنا الكل فلا تجد من يتكاسل عن القيام لصلاة التراويح، ولا تجد مطلقا من يشهر الإفطار في نهاره، حتى من سمح له المشرع بالإفطار، فيتناول ما يتناوله خفية.

ويعلن رؤية هلال الشهر بضرب المدافع أو البنادق حيث لا وسيلة أخرى لإشهار واعلام العامة بثبوت الرؤية، وربما جاء خبر ثبوت رؤية هلال الشهر متأخرا، فيتنادون الجيران، وبما أن هناك سلطنتين يفصل بينهما جدار، فقد يثبت الشهر في البلدة ولا يثبت في المدينة(تريم) أو العكس، فترى من ثبت عند سلطنته الشهر صام، ومن لم يثبت عند حكومته مفطرا، ولو كانوا في بيت واحد بشطرين أو قسمين قسم في حدود دولة الكثيري، وقسم في حدود دولة القعيطي، كبيت حارس سدة "محبوب" التي تفصل بين حافة النويدره الكثيرية، والبلدة القعيطية.

لكن الخلاف في ثبوت الشهر سواء في مدخله أو مخرجه، قد يكون في حدود السلطنة الواحدة، بل قد يكون في المدينة الواحدة، حيث تعلن السلطنة ممثلة في القاضي ثبوته أو عدم ثبوته، فيرفض وجهاء وعلماء المدينة إعلانها لخطأ شاب الثبوت، ويحدث التضارب والإختلاف في سكانها بين صائم ومفطر.

تقام الصلوات المكتوبة في المساجد جماعة وتؤخر مواقيتها بعض الوقت عن مواعيدها في غير شهر رمضان ماعدا صلاة المغرب، والفجر، كما يؤخر إذان العشاء، ويقال له: "عشاء رمضان".

أما الإفطار فيكون في المساجد، حيث يتجمع الصائمون والأطفال قبيل إذان المغرب في المسجد، ويجلس القيّم على الفطورأو الساني في بئر المسجد، أمام

الوعاء الذي فيه التمر(صيم) أكان صفيحة أو جزء منها(تنكة) بغطائها، أو زنبيل(محفر)، فيكوّرمنه كتلا.. كتلا.. يضعها على بساط (تفال) لا يتعدى وزنها نصف رطل أو أقل أو أكثر، فيتناول كل صائم واحدة، والبعض يأتي بتمر إفطاره من بيته، والماء مبّرد في القرب، ويردد من في المسجد الدعاء قبيل إذان المغرب جماعيا (نشهد أن لا إله إلا الله نستغفر الله نسألك الجنة ونعوذ بك من النار.. اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا(ثلاثا) ياكريم)، إلى أن يؤذن المغرب فيفطرون، (كان الفطور من تمرنخل المسجد في السابق أما بعد تأميم الأراضي الزراعية بما فيها نخل المساجد، وأهملت النخل فمن يفطر في بيته، ومن يفطر بتمره أو بتمر من في المسجد). وبعدها تقام صلاة المغرب، وبعد رد السلام من الصلاة مباشرة يأتي الإمام بنية الصوم ليوم غد ويتبعه المأمومين (نويت صوم غد عن أداء فرض شهر رمضان لهذه السنة لله تعالى).

ويعود الرجال من المساجد بعد أدائهم صلاة المغرب وما يعقبها من نافلة إلى بيوتهم، حيث يتناولون إفطارهم المعتاد في غيرشهر رمضان من شرب القهوة المحلاة بالسكر، مع الخبزالدافىء من التنار.

وبعد أداء صلاة التراويح تكون وجبة العشاء على بساطتها في السابق، ولن تتعدى الخبز أيضا، عند الأغلبية، وحتى وجبة السحور مع التمر، وقد يكتفي البعض بالتمر كسحور أو مع السحور، وهذه كانت قاعدة تكاد تكون عامة بين أكثر الطبقات في البلدة في فترة من طورها، قبل أن يتواجد الأرزبأسعاره المناسبة لدخل الفرد العادي في البلدة.

أما صلاة التراويح فهي عشرين ركعة.. كل ركعتين بتكبيرة إحرام وتسليم. ينادي بها بعد أداء سنة بعدية العشاء المؤذن – غالبا- أو مايقال له "المشفّع" بـ" الصلاة جامعة رحمكم الله "، ويرد عليه من تأهب للصلاة بصوت جماعي: لااله إلاالله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيصطف المصلون وراء الإمام وتقرأ السوربعد فاتحة الكتاب، من سورة الضحى إلى سورة الناس (باستثناء سورة العلق والبينة)، وربما قرأ في بعض المساجد- سابقا- في صلاة التراويح من سورة التكاثر إلى سورة المسد ثم الفلق والناس، وفي كل ركعة ثانية سورة الإخلاص، وبعد التسليم من كل ركعتين من التراويح يشعر المصلون المؤذن أو من"يشفع" بقوله: فضلا من الله ونعمة، وهكذا مع كل الركعتين الأولى، ويرد عليه المصلون مغفرة ورحمة، وبعد التسليم من الركعة الرابعة يقول المشفّع: نبيكم محمد صلوا عليه، ويرد عليه المصلون: اللهم صل وسلم عليه، صلى الله عليه وسلم، وبعد التسليم من الركعة الثامنه، يقول المشفع خليفة رسول الله سيدنا أبي بكر الصديق ترضو عنه، فيرد المصلين رضي الله عنه، وبعد التسليم من الركعة الثانية عشر يقول المشفع امير المؤمنين عمر بن الخطاب ترضو عنه، وبعد التسليم من الركعة السادسة عشر يقول المشفع ذى النورين سيدنا عثمان بن عفان ترضو عنه، ويترضى عليه المصلين، وبعد التسليم من الركعة العشرين يقول المشفع ابا الحسنين علي بن أبي طالب ترضو عنه، ويترضى عليه المصلون، ويواجه الإمام بعد التسليم من آخرصلاة التراويح في جلسته المأمومين، ويدعون الله سرا، ثم ينادي المشفع بقوله: الوتر آجركم الله، ويرد المصلون لاإله

إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي صلاة الوتر يقرأ الإمام في الركعة الأولى بعد سورة الفاتحة: سورة الأعلى، وفي الركعة الثانية سورة الكافرون، وبعد السلام يردد المصلون جماعيا:" ياتواب ياواسع المغفرة يا أرحم الراحمين"، وفي الركعة الثالثة الأخيرة للوتر: يقرأ الإمام سور الإخلاص والمعوذتين، وربما خالف بعض المأمومين ولم يسلم مع الإمام ليواصل وتره بركعات أخرى بعد ذلك، وفي النصف الأخير من شهر رمضان من الليلة السادسة عشر يشعر المشفع بقوله:" أوتروا وأقنتوا رحمكم الله". فيكون رد المصلين كالسابق، ويقنت الإمام في الركعة الثالثة من الوتر بالقنوت المعروف اللهم اهدنا فيمن هديت..الخ. وبعد السلام من الركعة الثالثة والأخيرة من الوتر يردد الجميع سبحان الملك القدوس – ثلاثا-سبوح قدوس رب الملائكة والروح. ثم يقرأ الإمام أو غيره دعاء الوتر. وبعد دعاء الوتر، تقرأ الوترية، وهي منظومة في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم، وهي على حروف الهجاء (٢٩) حرفا باعتبار "لا" حرفا، وكل ليلة من ليالي رمضان حرفا، وإن أكمل الشهرثلاثين يوما أتي بما بدأ به من المنظومة في الليلة الأولى، وهي منسوبة لمحمد بن عبد العزيز الوراق، ومبدأها:

بدأت بأسم الله مـدحا مقـدما

وأثني بحمد الله شكرا معظما

واختـم قـولي بالصـلاة وإنما

أصلي صلاة تملأ الأرض والسماء على من له أعلى العلى متبوأُ

والفزازية، وهي منظومة منسوبة لعبد الله بن جعفر مدهر، وعبد القادر بن محمد الشجار، وهي كالوترية في مدح خير البرية، على حروف الهجاء (٢٩) حرفا، لكل ليلة حرفا، ومبدأها:

يامن علاه أرضها الجوزاء

ولها على عرش الكمال سماء

يامن مداه لم يصله ذكاء

الله أكبر أفحم الفصحاء وتحيرت في وصفك الشعراءُ

والقوافي، كسابقتيها على حروف الهجاء، منسوبة لأبي الحب التريمي، مبدأها:

بسم الله أس للبناء

بحمد الله حسن الإبتداء

على أحمد صل يارب العلاء

تبارك ذو العلا والكبرياء تفرد الجلال وبالبقاءِ

ولكل من الوترية، والفزازية، والقوافي، لحن خاص، وترجيع من الحاضرين خاص، إما بلاإله إلا الله، أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي أول الشهر يرحب بالشهر بقصائد أناشيد بلحن خاص، مثل:

مرحبا ياشهر رمضان مرحبا شهر العباده الخ

وفي البعض منها توسل ببعض الأولياء والصالحين المشهورين، مثل التوسل بالشيخ عمر المحضار لأبوبكر بن شهاب وتخميسها (الترجيع):

صلاة وتسليم وأزكى تحية على المصطفى المختار خير البرية

وبداية القصيدة:

اذا ضقت ذرعا أو دهيت بنكبة من الدهر أو أشفقت من شر أزمة الخ

وللتخميس اعلاه عدة ألحان من قصائد أخرى في ليالي رمضان. وفي آخر الشهر هناك قصائد التوديع مثل:

نسألك يا ذالفضل والإحسان يامنان سترا من لدنك جميلا

شهر الصيام لقد كرمت نزيلا ونويت من بعد المقام رحيلا الخ

ومثل:

ليالي القدر عودي في سعودي وصلى الله على مسك الختام وهو الترجيع

(التخميس):

إذا العشرون من رمضان ولت فبادر بالتلاوه والقيام الخ

و...:

مودع.. مودع يارمضان عوده علينا بالغفران وهوالترجيع:

قليبي انتبه من رقود الفنا وتب قبل تنعى بك الناعية الخ

أو على الترجيع اعلاه:

تعلق قلبي بدار الفنا ويامن ضمن لي بعمري طويل الخ

ولهذا التوديع قلب لحن:

حويدي أعد لي (يارمضان) حديث الحبايب (يارمضان)

مودع..مودع يارمضان...الخ

وهذه الأناشيد أو الإبتهالات لتوديع الشهر بألحان متنوعة، وبشل للتخاميس(الترجيع) عام،

وختم هذا كله سواء في أول الشهرأو آخره بدعاء يوزع على الحاضرين في كتيّبات صغيرة، يستهلها من يتصدر المجلس بقوله: " تبارك ذى العلاء والكبرياء تفرد بالجلال وبالبقاء، ثم يبدأ بأبيات الكتيب من قصيدة أولها:

يارب صل على من ساد كل الورى طرا وساد به الاعراب والعجم

ياخير من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي(روحي) فداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

الـخ...

وبعد أن ينتهي من قراءة أبيات القصيدة يقول "والله يقول وقوله الحق المبين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا سالك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني ادعوه، فيرد الحاضرون: نسألك يالله..ويأتون بالدعاء المسطر في الكتيّب، وهكذا إلى نهاية ما في الكتيّب.

كانت هذه طريقة أغلب المساجد في البلدة في السابق، بأستثناء مسجد جامع مشهور فإنه قبل ذلك وبعد قراءة دعاء الوتر، يقرأ من يتصدر المجلس أولا ما يسمى بـ"المجالس"، وقد رتبه السيد عبد الله بن علي بن عبد الله بن شهاب.. مجالس لكل ليلة من ليالي شهر رمضان حسب ما ذكر السيد عمر أحمد المشهور في كتيبه "بغية من تمنى"، وماهو معمول به إلى الوقت الحاضر في المسجد المذكور.

وفي ليلة ختم المسجد يبدأ الإمام بقراءة سورة "الليل". ويكبر المأمومين(الله أكبر) عند نهاية كل سورة، بدءا من سورة والضحى إلى سورة الناس، ويختم آخر ركعة بقراءة آيات من سورة البقرة، ويسجد الإمام سجدة التلاوة عند قراءته لسورة "العلق "، وعند الإرتفاع من السجدة يقرأ سورة أخرى، كما يقرأ سورتين في ركعات أخرى، وبين كل اربع ركعات يستريح المصلون راحة قصيرة للدعاء، وبعد اداء صلاة الوتر، تقرأ الفصول، (دعاء ختم القرآن الكريم المنسوب للإمام علي زين العابدين ابن الإمام أبي عبد الله الحسين) وقد يقرأ "بر الوالدين"، وقد يقرأ قبل الفصول شيئا من الذكر والتسبيح وغيره المرتبط بعوائد المسجد، وقد يكون ختما للمسجد بالتكبيرفقط في نهاية السور دون القراءات تلك، إلا ماتعود قراءته في المسجد في الليالي العادية.

وفي مسجد شهاب الدين تقام صلاة التراويح آخر الليل تبدأ من الساعة الواحدة أو الساعة الثانية مساء على وفق التوقيت الصيفي والشتوي، بالقراءة من سورة والضحى..الخ، وبقراءة الوترية والفزازية والقوافي وغيرها من القراءات المعروفة في الليالي الرمضانية في بقية المساجد، أما بقية المساجد فتقام فيها الصلاة أول الليل باختلاف في مواقيتها ليس بالكبير، ومن شرقي المسجد..مسجد شهاب الدين، وبعد الإنتهاء من الصلاة أو قبل الإنتهاء منها تفقع "الطاسة"(الطبل) لتنبيه النائمين لتناول السحور، وكان يتعاون اثنان من الرجال أحدهم يضرب الطاسة والآخر يحمل السراج، ويذكرون الله بالتهليل والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدورون على شوارع البلدة

وأزقتها كلها- تقريبا- إيذانا بالسحور، مقابل شيء بدون تحديد، يدفعه الأهالي لهما آخر الشهر، واغلب مايدفع لهم هو من طعام الذرة والبر، وفي الأخير من الأرز والنقد.

وهناك في البلدة من كان يصلي التراويح سواء كانت عشرين ركعة أو ثمان بقراءة مقرأ في كل ركعة، وهي صلاة خاصة للبعض، لم تكن من برنامج أي مسجد حينها.

تبدأ ختومات المساجد في البلدة، لأقدم مسجد وهو ختم مسجد الشيخ علي الواقع بين البلدة (دمون) والغويضة ليلة الحادي عشر من شهر رمضان، ومع أننا لا نذكر له ختما ولاصلاة تقام فيه كبقية المساجد، لكن آباءنا يقولون إنه كان يعمل له ختم وعزومة ليلة ختمه، وليلة ختمه يهرع إليه الكثير للركوع فيه، وتعبأ جوابيه(المقالد) بالماء لأجل ذلك، وهو مسجد مهجور وبعيد عن السكان اليوم. "أسسه الشيخ علي بن أبي بكر السكران المتوفي سنة ٨٩٥هـ وعمّره، وزاد فيه شيئا العلامة السيّد أبوبكر بن علي بن شهاب عام١٣٥٣هـ[٢٦٣]، وعنه يقول السيّد عمر أحمد المشهور: "ويوجد بجانبه أراضي زراعية ونخيل تسقى من بيره مع برك- جوابي- المسجد المذكور كما يوجد بجانب المسجد مكان للنزهة بناه الحبيب ابوبكر بن علي بن شهاب"[٢٦٤] .

(٢٦٣) باغوث: الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم صـ٩٧.

(٢٦٤) المشهور: بغية من تمنى صـ ٥.

وعلى ذاكرتنا كان الكثير يتوجهون ليلة ختم المسجد للركوع فيه تبركا، وقيل إنه كان يقام له ختم كالمساجد الموجودة، وهو في المدة الزمنية الأخيرة مخزن لتخزين القصب وأعلاف الغنم من الشجر للفلاحين الذين يزرعون الأرض حوإليه[٢٦٥].

غير أن السيّد حامد بن محمدبن شهاب الدين، ذكر أنه في ليلة السابع من شهر رمضان ختم في قبة العدني بدمون[٢٦٦]، والقبة معروفة في بئر الجدار (بير القبه)، جنوب دار آل بن نبهان، وشمال بئر نعيمة الله، وهي ليست مسجدا، ومن سألناه لم يؤكد ولم ينف.

في ليلة الثالث عشر من الشهر الكريم ختم مسجد جامع مشهور، وكانت البلدة قاطبة تحتفل بليلة ختمه، وفي هذه الليلة قيل إن آل دمون قالوا "الطريق ماروده"، حرّفت بقصد عن المفهوم لهذه الجملة، وهو الورود بالطريق إلى دمون لكثرة المدعوين للبلدة في هذه الليلة من تريم وغيرها، والتحريف المقصود أي أصابتها حمى(ورد)، وأخذوها شتيمة لغباء آل دمون، وانتقاصا لمفاهيمهم، وازدراء لسذاجتهم، بفعل المماحكات والعداء المتأصل بين سكان دمون القعيطيين، وسكان تريم الكثيريين في السابق، والذي أوجدته وروجت له السلطات الحاكمة في البلدين، وما كان بينهما من حروب واعتداءات، وفي الواقع هو عداء حكام أو سلاطين ومن في صفهم، لكن نتائجه على مواطني المنطقتين كانت سيئة بأذاها النفسي، ومعاركها الدامية.

(٢٦٥) منذ سنة ١٤٣٧ هـ وفي ليلة ختمه اقيمت فيه صلاة التراويح والختم مع صلاة الوتر. وذلك بعد ترميمه، واستمر الختم، والامامة فيه للسادة آل شهاب.

(٢٦٦) بن شهاب: شيء من عادات تريم صـ ٩٢.

وفي ليلة ختم المساجد، إضافة إلى وجبة العشاء للأقارب (إن حصلت)، يتزاور الناس مهنئين بحلول الشهر..شهر رمضان.. (شهر مبارك) وذلك ليلة ختم المسجد المجاور حتى وإن لم يقام للمسجد ختم..سائلين المولى عز وجل أن يتقبل من الجميع صيامهم ويعينهم على قيامه.

وفي ليلة ختم بعض المساجد – كمسجد جامع مشهور–ومسجد شهاب الدين–تصطف فرقة خدام السقاف بعمائمهم السود المكونة من أصحاب الناي (المداريف)، وأصحاب الطيران، وأصحاب المطرق (نوع من الطبل في هيئة المكيال)، حيث يترنمون بأناشيدهم (السماع) مع نغمات المداريف وإيقاعات طبولهم في داخل المسجد حتى إذان الفجر، وبعض المساجد لهم فرق تأتي بما يسمى "ذكر" بدون طبول. وتأتي فرقة خدام السقاف بطلب، وليس لكل مسجد، وكذا فرق الذكر.

وليلة ختم المسجد، هي ليلة فرح للأطفال من الفتيات والفتيان الصغار، فهم يتجمعون متنقلين من بيت إلى بيت من بيوت جيران المسجد، كل طفل يحمل علبة أو"قفة" أو كيسا للختامي، والختامي هي ما يجود به أصحاب البيوت للأطفال من "الفرفره "(البوشار) أوالحنظل مع ما يخالطها من سكريات أخرى، وفي الزمن الأخير لختامي البيوت السمسم المقروش(فحيط) وحلويات خلطها من النعانع والشوكلاته وغيرها، خاصة إذا كان لصاحب البيت مولود جديد، أو عروس جديدة.

ويجوبون الأطفال من الفتيان والفتيات الصغار الشوارع، وكل ما وصلوا تحت بيت ارتفعت أصواتهم المطالبة بالختامي بأهازيج مناسبة لصاحب البيت مثل:

هاتوختام الجديدة وألا كسرنا الحديدة

أو: **هاتوه من فوق السطوح هاتوه والا بانروح**

وإن كان لصاحب البيت مولود جديد سموه أحمد – مثلا– قالوا:

حمد سلم لبوه وأمه تجيب أخوه

أو: **حمد سلم له ريح المسك في كمه**

وإن كان في البيت شاب قريب عهد بالزواج، أو لم ينجب له بعد قالوا:

وحمد بغينا له ولد بركة حبيبه حمد

وإن كان شابا لم يتزوج بعد قالوا:

وحمد بغينا له مره لي وجهها كم المنظره

وإن كانت عروس في الدار جديدة قالوا:

ياعروس اندري بانشوفش ياعروس.. بانقلس قلوسش..ياعروس

وإن كان البيت جديد قالوا:

والدار الجديد كذ دخلناه وحبيبنا حمد لا عدمناه

وهكذا، فيعطى لهم ما تيّسر، مع صخب الأطفال ومزاحمتهم، ومن يبكي، ومن تقع علبته على الأرض فلا يستطيع التقاط ما تناثر، وهي فرحة الأطفال وبهجتهم بالمسيرة تحت البيوت ليلة ختم مسجدهم.

في السابق كانت المساجد قليلة تتناسب مع سكان البلدة، وخصص لكل مسجد ليلة ختمه، (وسنأتي على توقيت ختم المساجد عند ذكرها)، لكن في الوقت الحاضر ومع التوسع العمراني والكثافة السكانية وانقسام كثير من الأسر

وتحولها إلى مواقع أخرى.. ازداد عدد المساجد، ببناء مساجد جديدة في المواقع الجديدة من البلدة، وأصبح ختم المساجد من الليلة الثالثة من شهر رمضان- وبدون ختم للمسجد- إنما مجازا قالوا ختم المسجد لاستضافة أولإفطارالأقارب في تلك الليلة، والتهنئة بحلول الشهر، ومع تعدد المفاهيم والرؤى في الوقت الحاضر، فإن أغلب المساجد الجديدة تصلي التراويح ثماني ركعات فقط، بقراءة الفاتحة وشيء من القرآن حفظا أو نظرا، وقد يتناوب الإمامة عدة أئمة، والوتر ثلاثا، ولا شيء مما يعتاد بعد السلام من الركعات، ولا من قراءات كما هو في المساجد القديمة، اللهم تأخير الصلاة..صلاة التراويح نصف ساعة أو ساعة، أو أقل لإتاحة الفرصة للمهنئين بحلول شهر رمضان، ومن ثم تأدية الصلاة في المسجد. علما بأن التهنئة بالشهر تدوم إلى ليلة ٢٣ من الشهر، وهو ليلة ختم آخر مسجد في البلدة..مسجد شهاب الدين(دمون).

في آخر ليلة من ليالي شهر رمضان وبعد ثبوت رؤية هلال شهر شوال- بالرؤيا أو بإكمال شهر رمضان ٣٠ يوما- يقام في بعض المساجد إحياء لتلك الليلة، وكانت ليلة الإحياء(الحَيَا) تقام في كل المساجد تقريبا، وليلة إحياء العيد هو اجتماع عدد من الأشخاص شبابا وشيوخا وكهولا لتلاوة القرآن الكريم والتكبيرعند نهاية كل سورة، وكان – في السابق- يتناوب التكبير البعض ممن يحي هذه الليلة في المسجد فيصعدون للمنارة ويكبرون بالتكبير المعروف مرات، ويعاودون الصعود مرات أخر للتكبير، للإعلان عن ثبوت الرؤية للشهر، خاصة أن ثبوت الشهر كان يجيء متأخرا وقد نام الكثير، ولعل التكبير في المنارة

كان لإيقاظ النائم أو الغافل، ففي أثناء حكم القعيطي ثبوت الشهر من المكلا أو من شبام حتى وإن رئي في مناطق من الداخل، فاجتماع القضاة بالشهود والتحري عنهما، والإتصالات ليست بالميّسرة والسهلة كاليوم، أو أن التكبير إضافة إلى ذلك هو من الشعائر المعروفة، وبعد صلاة الفجر يختم القرآن بقراءة السور المعروفة ثم قراءة(دعاء ختم القرآن) الفصول المنسوبة للإمام علي زين العابدين ابن الإمام أبي عبدالله الحسين، وبعد الخروج من المسجد يقف الجميع – تقريبا– عند البوابة الرئيسة للمسجد، ويحوّل صاحب الصوت الجهير قائلا:

حول حول..حولاه.. ثبي بارك الله فيه...

ويرد عليه المجتمعون بصوت جماعي:

بشّرك الله.. بالخير

حول..حول..حولاه وكل وادي ضمان..... بشرك الله بالخير

حول..حول حولاه بالصلح والصلاح والأمن والسلامة والعافية للمسلمين..

بشرك الله..بالخير..

أما "حول" رغم بعض الخلاف حوله، لكن المصادر الموثوقة تؤكد أنه كان آلهة يعبد من ضمن الآلهة في العهد الوثني الحضرمي.

حـــول :

قيل: "أن "حول" إله للحضارم من ضمن آلهتهم المتعددة"[٢٦٧]، ويذكر الأستاذ سعيد عوض باوزير:" وتدل الكتابات الحضرمية على وجود آلهة كثيرة

(٢٦٧) عبد الرحمن جعفر بن عقيل: قنيص الوعل صـ ٢٣.

كان يتعبد لها الحضرميون منها "سين" و"حول"[٢٦٨]، . والبعض يقول:" لم تثبت هذه المزاعم لعدم ذكر الإلاه "حول" في النقوش التي عثرعليها الأثريون"[٢٦٩]، لكن اسم الإلاه "حول" ذكر في أحد النقوش القديمة المسمى "بنقش النصر" للملك كرب ال وتر" حيث يذكر النقش أن الملك وَهَب لسين ولحول(الهي حضرموت) وليدع ال ولحضرموت أراضيهم التي كانت تحت يد أوسان"[٢٧٠]، ويقول السيدّ محمد أحمد الشاطري: "أن ما يقوله الحضارم:" ياسين عليك" وقولهم:"حول" أن القصد بهما صنمان، والواقع أنها تقصد سورة ياسين، وتقصد تحسن الحول عند المطر بأن يمطر ويخصب الزرع فيه"[٢٧١]، ومن كتاب: "حضرموت والجوار القبلي" "وكانت للحضارم معتقدات أخرى في بعض قوى ومظاهر الطبيعة المرتبطة بالعمل في الزراعة والبحر هي: المطر والبحر وخصوبة الأرض، حيث ذكر إله المطر في النقش (جلازرA 1000). (وقائع المكرب السبئي كرب ايل وتر) الذي جاء فيه: أنه أعاد لسين وحول ويدع ال وحضرموت مناطقها التي تحت سيطرة ذي أوسان، ومن الملاحظ أن صاحب النقش ذكر الهي القمر الحضرميين (سين) و(حول) مما يدل على المكانة والأهمية الخاصة لهذين الإلهين عند قدماء اليمنيين حضارم وسبئيين."[٢٧٢] .

(٢٦٨) صفحات من التاريخ الحضرمي صـ ١٥.

(٢٦٩) سعيد دحي: نثروشعر من حضروت صـ١١٩.

(٢٧٠) بافقيه: تاريخ اليمن القديم صـ ٦٤.

(٢٧١) أدوار التاريخ الحضرمي ج١ صـ ٤٣.

(٢٧٢) محمد عوض محروس صـ ١٩٢.

وتحدث د. جواد علي عن "حول" بقوله:" ومن الآلهة التي وردت في الكتابة العربية الجنوبية الإله (حول)(حويل)، وتدل لفظة حول على الحول والقوة، فلعل اسم هذا الإله(الحويل) صاحب الحول والقوة وهو من آلهة حضرموت. وكذلك قال محمد عزه دروره:" وقد قرىء في نقش حضرموتي اسم "حول" مع اسماء "سين" و"عثتر"و"شمس"دون ورد بيان ما".

وضمن حديثه عن الآلهة القديمة المتعددة في حضرموت ذكر محمد عبد القادر بامطرف أن "حول" هو اله المطر"(٢٧٣).

ويذكرعن المعابد القديمة:" ووجدت معابد "حول" في ريبون وحريضة وتريم، وهناك احتمال كما يقول دبليو اتش انجرامس أن تكون قبة مولى مطر أحد المعابد القديمة لإلاه المطر، وربماكانت لمنطقة "حول" في أقصى الغرب من وادي حجر علاقة ما بإلاه المطر "حول"(٢٧٤).

وحتى نرفد تلك المعلومات بأن لها شيئا من المترسبات الوثنية في عوائدنا وعاداتنا، فنحن مازلنا عندما نرى قزع السحاب تلتم وتتجمع في السماء وتسود، أو تلتمع أول برقة منها ونسمع رعدتها، وعندما تهطل المطر نتصايح بجذل رافعين رؤوسنا للسماء قائلين:

"حول..ياحوول".

(٢٧٣) المصدر السابق صـ ١٩٢.

(٢٧٤) المصدر السابق صـ ٢٠٠.

"وكان الشيخ العارف بالله تعالى جمال الدين يوسف بن أحمد باناجه الدوعني رضي الله عنه إذا دخل شهر رجب صاح من أعلا داره بأعلى صوته: ياحولاه.. ياحولاه، فيهيج بصوته أشجان قلوب العباد، ويزعج أشواق سكان البلاد"[٢٧٥].

وعندما يموت رجلا ونعتقد فيه الولاية والصلاح نتوجه بنعشه إلى القبله بوقفة للتحويل قبل الدفن و"نحول"، بالصيغة اعلاه(حول ياحول)، ولا ندرك المرجعية لهذا التحويل، لكننا في الوقت نفسه ندرك بأن هذا التحويل استجداء أو استسقاء وتوجه إلى الله وفق فهمنا اليوم.

ومما نردده من زجل على رأس الكلان(العريس) في حفل الزواج وهو بالصريخ أقرب: "كلان ياسين عليك..رب السماء يحمي عليك".

وهو مما قد يرفد المعلومة بأن لها صلة ما بالآلهة، أو الديانة الوثنية الحضرمية القديمة.

٧- شهر شوال

عـيد الـفـطـر:

وصباح يوم العيد وقد تأهب الناس بأستقبالها بذبائحهم ولبسهم الجديد، وتهيئة البيوت على بساطتها-في السابق-وابتهاجهم بحلول العيد. كان يتجمع البعض من سكان الشحره (شمال دمون) عند عاقل السادة آل شهاب، ثم يتوجهون معا بالتكبير المسنون إلى مسجد الجامع مشهور، مواصلين التكبيرمع

(٢٧٥) علي أبي بكر السكران: البرقة المشيقة صـ ٢٣.

من في المسجد إلى أن تقام الصلاة..صلاة العيد، ويخطب الخطيب، ويتبادل المصلون التهاني بعد انتهاء الخطبة، ويقف العقال من السادة والوجهاء عند المحراب، ويمرعليهم الكثيرمن المصلين مهنئين بحلول العيد.

ومع أن صلاة العيد تقام في مدينة تريم في المصلى(الجبانة)، كما هي السنة عن صلاة العيدين، ومع وجود ما يمكن أن يكون مصلى في الوقت السابق، لكن الصلاة تقام في الجامع. وقد ذكرالإمام الشوكاني: "قال في الفتح قال الشافعي في الأم: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج في العيدين إلى المصلى بالمدينة، وهكذا من بعده إلا من عذر مطر ونحوه، وكذا عامة أهل البلدان إلا أهل مكة"(٢٧٦).

في الفترة الأخيرة بعد الوحدة أقيمت صلاة العيد في مصلى بالوادي، يحضرها الأغلبية من الرجال والنساء، والنساء في موقع مستورخاص، وعن صلاة النساء ذكرالإمام الشوكاني في نيل الأوطار: "عن أم عطية رضي الله عنها قالت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر والإضحى العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة.. إلى آخر الحديث رواه الجماعه"، وقال الشوكاني معقبا على من قال بكراهة الخروج على الإطلاق إلى العيد- للنساء- رد للأحاديث الصحيحة بالآراء الفاسدة وتخصيص الشواب(الشابات) يأباه صريح الحديث المتفق عليه وغيره"(٢٧٧).

(٢٧٦) نيل إلاوطار جـ٣ صـ٢٩٢.

(٢٧٧) جـ ٣ صـ ٢٨٥-٢٨٨.

وبقيت صلاة العيد في المسجد الجامع مشهور كعادتها القديمة بدون حضور نساء.

وفي الظهرية، وبعد تناول وجبة غداء العيد الدسمة- علما بأن هناك من يتناولها قبل إذان الظهر - يدق الطبل من "طاسه" و"هاجر" كتحضير لفرقة العدة(الشبواني) برجزها إلى بيوت الوجهاء من السادة، ومقدم القبائل، وأبو الحافة (الحضر)، وتتحرك فرقة الشبواني المكونة من رجال طبقة الحضر إلى بيوت بعض السادة لتقديم التهاني بحلول العيد يتقدمهم "أبو الحضر"، وهناك في بيت السيّد..ينشد المنشد أو يأتي المغني بقصيدة من شعر المعلم عبد الحق – في الأغلب - أو من غيره، وتدار القهوة والدخون، ثم يمسي من يمسي بالخير(مساء الخيرياسيّد... (يذكر اسمه) قولوا خير، فيرد عليه الحضور.. خير، وربما أعطى السيّد شيئا لأبو الحافة، فيردد الحاضرون " لابد من فرج الله..لابد من فرج الله.. والهموم تنجلي والهموم تنجلي.." ثم بعد السادة مقدم القبائل، والنهاية إلى بيت "أبو الحضر".

بعد صلاة العصر تحضّر فرقة (العدة) الشبواني، ويتجمع رجال الحضر، ومن عنده الرغبة للمشاركة من غيرهم، علما بأن المشاركة من شباب الحضر وكهولتهم إلزامية، على وفق العرف الخاص بهم في مثل هذه المناسبات، وتتحرك الفرقة بأراجيزها إلى الساحة المخصصة، حيث تقوم الفرقة برقصة الفرق(الشبواني) مع استراحة الشعار، ويعودون بأراجيزهم (العدة) إلى تحت بيت الـ "أبو" قبيل المغرب، وقد أبهجوا المشاهدين من الرجال والنساء، وأدخلوا على النفوس المعيّدة البهجة والسرور.

وفي أيام الست من شوال، كان يتم زواج البعض من فتيان البلدة، ولم يكن يصوم الست من شوال إلا القليل من الخاصة، وخاصة من الشيوخ والعجائز، ومن صامها، صامها بسرية، بحيث لا يعرفه إلا خاصته، بل إن بعض من يصومها يلبي دعوة وليمة الزواج أو غيره، ويحضر المجلس وقد فرشت الموائد فيختلق عذرا وينسحب.

٨-شهرذي القعدة

التكابير:

في بداية شهر ذي القعدة من كل عام حتى اليوم السابع من شهر ذي الحجة، يتجمع طلبة (المعلامة) المدرسة الأهلية بالبلدة بما يسمى " بالتكابير"، اقتداء بمن سبقوهم في البلدة والمدينة.

ففي أول يوم من شهر ذي القعدة عصرا..يصطف الطلبة بإنتظام تحت بناء المدرسة الأهلية ممسكين بعصا طويلة، هي جريدة نخل خضراء مبرية من خوصها، كل ستة أو خمسة طلبة أو أقل أو أكثر حسب طول الجريدة وقصرها.. مكونين ثلاثة صفوف أو صفين، والطلبة الصغار في الخلف بدون جريدة، وقد يتقدم مسيرتهم معلمهم الشيخ أول ليلة، يسير في المقدمة بهيبته ووقاره – وقد لا يخرج – و الطلبة من ورائه تتقدمهم الطبول.."الطوس"، ويبدؤون برجز معا من تحت المدرسة بصوت عال:

لاإلاه إلا الله يكرر مرات، ثم يصوتون معا:

معلمنا معلمنا جزاك الله خير وبعد الخير وبعد الخير جنات النعيم

وبعدها:

حمد يا معلمنا عليك ألف ياسين بحق سورة البقرة وحق سورة ياسين

أو:

المعلم تعمم والعمامة جديدة والعمامة كما خط القلم في جبينه

والمعلم حمد هنا، هو الشيخ: أحمد بن عمر الزبيدي، رحمه الله.

يرتجز الطلبة بهذه الأبيات وغيرها مع الطبول وإيقاعاتها المنسجمة مع اللحن، من تحت المدرسة قرب مسجد جامع البلدة " مشهور" إلى الجنوب حيث حصاة "الحفه" أو" الحثه"، وربما هي "الحده"، فلم يسعفني أحد ممن سألت بالمسمى، ولكن يقال أنها حصاة الحد الفاصل بين المسموح به لأي رجز من سكان البلدة القعيطية (دمون)، تليها منطقة فاصلة حتى الدور الفاصل بين مدينة تريم الكثيرية..حيث لا يجوز تخطي هذه الحصاة لأي رجز بموجب اتفاق تم مع التقسيم أو بعده للمناطق بين السلطنة القعيطية والسلطنة الكثيرية، وحينها يحف الطلبة بالحصاة مرات عدة مرددين بصوت جماعي:

لاإلــه إلا اللـــه

أو:

ياتواب تب علينا وارحمنا وانظر إلينا

متبركين بالحصاة، وفق المفهوم الطفولي أو الثقافة العامة في البلد، ويدعو الله الطلبة ويبتهلون ويجتهدون في الدعاء، ويعلمون أنها مجرد حصاة، وكان الموقع

هناك حتى شعِب متاش فراغ لامساكن حول الحصاة إلا المسجد..مسجد بلفقيه، و"الكوت" الذي يحاذيه من جنوبه، وآثار خريب في داخل شعب متاش، ويعود بعدئذ الطلبة من حيث أتوا مارين بهذا الشارع يرتجزون بالرجز السابق أو بغيره مثل:

سعيدونه غضبانة بغت زوج من حدره صميله على كتفه وبيده عصا خضره

وكانوا ينطقون الزوج بالجوز، أو:

محمـــد ساكن الجنة وقـــبره بالـــــمدينـه

ويتوقفون تحت المدرسة قريب المغرب، حيث يرددون البيت السابق:

معلمنا معلمنا جزاك الله خير.... الخ... قد يقولها البعض **مساك الله خير** بدلا من جزاك الله خير، وتلم العصي أو جريد النخل "والطوس"، ويأخذها المسئولون من الطلبة الكبارإلى داخل المدرسة، ويتأهبون لصلاة المغرب بالدخول إلى المسجد والحزب.

وفي الليلة الثانية يخرج الطلبة إلى شمال القرية... إلى شعِب باحميد، يقال " إن الشيخ عبد الكبير باحميد كان يتعبد في هذا الوادي أو هذا الشِعب، وفي قارة من ذلك الشعب يوجد بها كهفان أو مغارتان في أعلى القارة، يتسابق الشطار من الطلبة في الصعود إلى القارة حيث المغارتين، ويزحف الأوائل إلى المغارة، وينتقي من داخلها تراب بعد فرز الحصى منه، يحتفظ به الطالب، وربما أعطى بعض ممن لم يستطع الدخول للمغارة، ويحتفظ بالباقي ليتم توزيعه على الأهل والأقارب، ويخص التوزيع لمن ليس له طفل في المدرسة من الأقارب، لعل الله يرزقه طفلا،

أو هو بقصد التبرك، "والخوافين" الذين يخشون دخول المغارة يمكثون على حافتها، إما أن يتسولوا من الشطار ممن دخل المغارة ما تمن به عليهم أياديهم، أو يلفلفون المتطاير من ترابهم مع الحصى الصغير بعد تنقيته، ليفرح به الأهل، ومن لم يأت بشيء من تراب "باحميد" هذا فقد يكون عرضة للتوبيخ من الأم خاصة، ومن الأهل عامة، مما يضطر بعض الطلبة من أخذ حفنة من تراب القارة ليفرح أهله ويتفادى التوبيخ، وبعد الخروج من القارة ومشقة الصعود والنزول خاصة في أيام الصيف، يشعر الطلبة بعطش شديد حينها، وعندما يكونون قبالة بيت باشعيوث في "شحرة" آل عقيل، يسمح لهم المسئول بالشرب من تلك البئر(في بيت معلم البناء رجب محفوظ باشعيوث).. ينطلقون خببا بشيطنة الأطفال وشقاوتهم، ويتزاحمون حول البئر، وكل واحد منهم يرى أن له حق الأولية في إدلاء الدلو إلى البئر- و كم مرة إثر المشادة والمزاحمة بينهم فلت الدلو من بين أيديهم مع الحبل، وانطلق إلى قاع البئر- وكلما نزح أحد الطلبة الدلو من البئر بمائه تعارك عليه الطلبة، وسال أغلبه في القاع، والشرب يكون من الدلو مباشرة، والشطار والمشاغبون دائما لهم الأولية، وهكذا إلى أن يشربوا جميعا، ثم يعودوا بعدها، كل إلى موقعه من عصاته أو جريدة النخلة، برجزهم وطبولهم حتى المدرسة، وقد يمرون على بئر مسجد سواده (مسجد علي بن شيخ بن شهاب) في روحة أخرى حيث يتسابق الطلبة للشرب بنزح الماء من البئر، أو بئر باشامخة التي كانت شمالي بيت السادة: عبد الله وعلي بن محمد بن شهاب، ثم يعودون لرجزهم إلى تحت المدرسة ثم إلى المسجد لأداء صلاة المغرب، والحزب كما سبق.

وفي الليلة الثالثة تبدأ المهمة التي تدوم ٣٦/ ٣٧ يوما، تبدأ عصرية كل يوم من تحت المدرسة، قاصدين بيوت القرية بيتا بيتا، كل عصرية لموقع معيّن من القرية، فيقصدون البيت الذي يقرره المسئول، فإن كان من السادة الأشراف قالوا بصوت جماعي مع دقات الطبول" الطوس":

ياحبيب حبنا وافتح السـده لـنا

وإن عرفوا أن له مسافر في جاوا، وأغلب السادة مهجرهم جاوا(اندونيسيا) هتفوا:

عسى آل جاوه يجون مع الذهب والدخون

أو لصاحب البيت مهاجر في السواحل (إفريقيا) قالوا:

عسى آل سواحل يجون في المركب الأولي

ومن ليس له مسافر، وهم أغلب بيوت القرية يقولون:

من عطانا بلا منـه اللـه يسكنه الجـنه

وعند بيوت النجارين يقولون:

ياالله على عود عود والعود شله قعود

وعند بيوت بعض القبائل:

ياالله عليها عجيله والسيل ليله بليله

أو: **ياالله على الهابطية والسيل روح عشيه**

والطاسة تتبع اللحن والشل الجماعي..ثم ينصت الطلبة حيث ينادي صاحب الصوت الجهير قائلا:

مساء الخير يا" حمد" بن كرامه قلوا خير...

ويرد الجميع بصوت واحد: **خـير**

ويمسِّي بأسم كل ذكر من أهل البيت الصغير والكبير، حاضرا أو غائبا، بتلك الكيفية، يذكر الإسم ثم بن كرامة... بعد أن يعدد الأسماء كلهم يختمها بأهل البيت الجميع بن كرامه.... فيرزح الطلبة على دقات الطبل مرددين جميعا قائلين:

هـاتوا حقــنا يا الله بالـعيادة

ويعطى لهم صاحب البيت شيئا من الحنطة[٢٧٨]، وقد يعطى لهم شيئا من النقد، والعطاء كل على قدر همته واستطاعته، وقد يعود الطلبة للبيت مرات في أيام مختلفة، والذي يعطيهم يودعونه بقولهم:

حـلال بيـّض وجهـه

وقد ينهكهم البعض بأسماء عشرة أشخاص أو أكثر، يلقنهم الأسماء من حضر من أهل البيت رجلا كان أو امرأة بترتيب السن، وبعدئذ يقول لهم: عودوا بعد يومين، والذي لا يعطيهم، يتوجهون لبيت غيره وهم يرددون:

واطـلـب اللــه وقـل يانصيبــه **أو** ولعلها الأصح:

نطلب الله وقل اليوم نصيبه

(٢٧٨) طعام من ذرة بيضاء أوبر، وربما أرز وهو نادرا.

يكررها الطلبة في طريقهم إلى أن يصلوا للبيت الذي يليه. وعند وصولهم للبيت الذي يليه، يكررون المناداة حسب أعلاه، وإذا صادف مع التنقل من موقع إلى آخر.. "عقبة" يصعدون فيها قائلين:

طلعـنا من الـسبتيـه لا علـمـه ولا عـشـويـه

وإن كان نزولا يقولون:

نزلنـا مـن الـسبتيه لا علمـه ولا عـشـويـه

وربما غاب أحد الطلبة عن الدراسة لسبب، وكانوا محاذاة بيته، وليس بالضرورة أن يكون هو المعني فيقولون:

خـلوا سـالـم ينـدر ولا طلعنـا له

أربعمائة عـسـكر والـفين خـيالـه

وربما قالوا: والثانيه خياله.

وفي مقر(بيت) القائم، ممثل السلطنة القعيطية في البلدة، يصطف الطلبة كطابور الكشافة اليوم، أو الطابورالعسكري، ويرتجزون بلحن وطني قائلين:

سيرو للأمجـاد طرا يا بني العُرب يرددونها مثنى

لما عدلنا قد ملكنا البر والبحـرا ..آه.. يا بني العرب.

وهكذا يمضي شهر ذي القعدة و ويتنقل الطلبة كل عصرية من موقع إلى موقع، ولا يستثني بيت من بيوت البلدة، (إلا بيت الشيخ) وقد تتكرر المطالبة للبيت الواحد مرات، وبيوت لا تعطي شيئا، لعله من قل، أوهم في أمس الحاجة له، أو شح مطبوع، والشيخ يسأل يوميا من أعطى وما مقدار عطيته، ومن لم

يجدوه يحث الشيخ بالعودة له، والسؤال من الشيخ طبعا للمسئول الذي يقود الطلبة، وفي أول يوم من أيام شهر ذي الحجة، وبعد أداء صلاة الفجر، تلم الصفوف وتنتظم بدون العصي قاصدين لبيوت الفلاحين، ولو قلت إن أغلب سكان البلدة فلاحون ربما لست مخطئا، ولكون الفلاحين يبكرون بكرة الغراب إلى مزارعهم، ويضوون ضاوية الطيور، فدائما بيوتهم مغلقة العصر، و من هو فيها لا يحق له التصرف، وبنفس النهج والطريقة ما يقومون به عصر كل يوم، يقومون به الصباح إلا أنه بدلا من أن يقال مساء الخير، يقال صباح الخير، وهكذا حتى أواخرالأيام الثلاثة، أي يوم الرابع من ذي الحجة، وقد استكملوا تقريبا بيوت البلدة، وبيوت المزارعين في الصباح..ففي اليوم الرابع من ذي الحجة عصرا، تكون الروحة إلى حصاة" **الحثه**" أو" **الحده**"، كأول يوم، وفي عصرية اليوم الخامس لشعِب "**باحميد**"، وفي عصرية اليوم السادس إلى "**المَعصَّبات**"، والمعصبات موقع به نخل قصير في خبت وسباخ، يقع في أقصى الشرق الشمالي من منطقة" الفجير"، "والفجير" تبع للبلدة، أو هي جزء منها فحتى صلاة الجمعة كانت في جامع البلدة، وتقطع المسافة إلى المعصبات حوالي (٣/٤ كيلومتر) مرورا بالمزارع ومرتجزين الطلبة بالرجز إياه مع الطبول.. تغمر الفرحة وجوه الطلبة وحركاتهم مستبشرين بقرب العيد، وما أن يحاذوا نخل المعصبات، فتعطى لهم الإشارة من قبل المسئول لكي يتسابق الطلبة، فيطلقون أرجلهم بقوة وهمة وبشقاوة الطفولة وبراءتها مرددين " يا الله بالعيااادة.. ويكررونها في كل خطواتهم وكل منهم جاد في الجري، يريد أن يسبق الآخر

للوصول للنخل، أو"مقالع النخل"، أو قزم النخل"، لأنه على هيئته منذ سنين وسنين.. فكل طالب يتناول سعفة من سعف نخلة و" يعصّب" (يعقّد) خوصها، وكل عصب أو عقدة بِنيّة معيّنة (أي طلب يرجو من الله تحقيقه)، وكل طالب له آماله وأمانيه، وما عن له شيء، أو تذكر رغبة.. عصب عصبا، وإن تذكر ما يوده لأخيه أو قريبه عصب عصبا آخر وهكذا، والحاجة بنيّة طالبها- كما يقال-، فمن يريد السفر – مثلا – يعصب عصب السفر، ومن يطلب مجيء والده أو أخيه من السفر عصب عصبا، ومن يريد بناء بيت عصب عصبا، كذلك من أراد لبسا معينا أو اشتهى طعاما أو أكلا معينا.. أذكر كان لي صديق – مات طالبا – بعد أن أنهينا التعصيب لمطالبنا وما نؤمله في حاضرنا ومستقبلنا، عاد "ليعصب" من جديد قلت: أي مطلب استجد ؟ قال: طلبت من الله أن ييسر لي "بسكت"!!.. كنا نرى "البسكت"(البسكويت) المصنوع محليا من الدقيق والسكر ولا نقدر على شرائه، إنما نسمع وصفه ونشاهده في الدكاكين، وفي بعض المناسبات ربما أهدى لنا منه شيئا.

وفي الأيام الأخيرة من "التكابير" أي من اليوم الرابع من ذي الحجة، تختلف أبيات الشعر وأراجيزها أو إضافة لما سبق، استبشارا وفرحة بالعيد المرتقبة فنقول:

عـيد عـرفه ضوت والرز من كل عينه نذبح البربري والشاه لي هي سمينه

أو:

ياعيد عـرفه ويا عـرفه متى باتجين الكبش مرصون والقفة ملانه طحين

وتملأ الفرحة قلوب الطلبة سواء بقرب العيد أو "مطلع الحطب" الذي هو في اليوم السابع وقد استكملوا "التكابير"، وتحرروا من قيودها كل عصرية، ويعودون من"المعصبات" مؤملين في عقدهم أو "تعصيبهم" من الله أن يحقق أمنياتهم المعلنة وغير المعلنة، ويقصون على الأمهات والجدات والأخوات أمنياتهم" المعصبة في الخوص" متفائلين بتحقيقها، على وفق المفاهيم السائدة حينها، ولعل الكثير منهم تذكّره أمه بأمنية لم" يعصب" لها "عصب" فنسي، فيتحسر، على أن لا ينساها العام المقبل. عموما كان الطلبة ببراءة الطفولة وسذاجتها فرحين مبتهجين، يعودون بأراجيزهم، يرجون الأرض رجا بأقدامهم الصغيرة المنهكة، وتعانق أصواتهم المبحوحة سماء البلدة، بالتناغم والطبول التي يشترك فيها مع" الطويس"" الهاجر"مرددين ببهجة:

رجعنا بفرحتنا وبالشيخ عبد الله وربما قالوا:

ضوينا بفرحتنا....

وقبلت زيارتنا خلافة رسول الله

ولعل البيت قديم من أيام (علمه) مدرسة الشيخ عبد الله سعيد باغوث رحمه الله، فقد كان المعلم في فترة الوصف -كما تقدم-الشيخ أحمد بن عمر الزبيدي.

وقد يلقنهم أحدهم بيت شعر، إضافة إلى الأراجيز المعروفة، ويحتفي بهم الكثير والكثيرات من الرجال والنساء والأطفال وهم يرتجزون، سواء من تحت بيوتهم مع مرورهم في الشارع، أو من وقوفهم تحت المدرسة، وتحت مبنى المدرسة يمسون بالخير لمعلمهم، وإلى المسجد كالعادة.

وفي اليوم السابع وهو يوم **"مطلع الحطب"**، حيث يعد هذا اليوم افتتاح عيد الإضحى، أوعيد عرفة كما ينطقها من في البلدة، أوعيد ذي الحجة، فهم كطلبة المدرسة الأهلية-إضافة إلى ما تحصلوا عليه من" التكابير" تحت البيوت، قد يفرض عليهم الشيخ مبلغا تكملة للموجود المحصل من التكابير، مقابل قيمة الذبائح وغيرها من مصاريف "المطلع"..خاصة إن الشيخ يقوم بدعوة بعض أعيان البلدة ووجهائها، إضافة إلى الجزارين والطباخين وغيرهم، ومن له صلة قرابة بالشيخ.

فمنذ الصباح الباكر-يوم مطلع الحطب-والطلبة بملابسهم الجديدة الزاهية، تغمرهم الفرحة والبهجة والسعادة، وهم يتوافدون بفرحتهم وبلبسهم المزركش الجديد تحت مبنى المدرسة، وكل يتباهى بلبسه، وينظر إلى لبس زميله – رغم بساطته-، والطلبة الكبار"يحضّرون" بالطبول، والتحضير قرع الطبول كإشعار للمتخلفين ليسارعوا بالحضور.

ويبدأ التحرك من تحت المدرسة بإشارة من الشيخ بنفس الأراجيز مع الهاجر "والطويس"، وقد يعطي أحدهم بيت شعر وهم تحت المدرسة أو أثناء مسيرتهم إلى موقع "مولى لوسط"أو "مولى الوسط" حسب التسمية ونرتجز:

يالله على لوسط نشرب كرع صافي وحبيبنا علوي المنصب الوافي

ومولى لوسط موقع بين جبلين من الناحية الشمالية من البلدة، يوجد به قبر مخفي، أي صاحب القبر مجهول الهوية، ولكن الناس تقول وتخمن، وتتوهم وتتزيد في التوهم بتخمينها، حتى إن البعض يقول أنه من بقايا قوم عاد، ومن

يقول إنه من زمن الجاهلية، ومن يقول إنه الشيخ عبدالله، ومن يقول إنه الشيخ مبارك وكفى، وهو ولي من أولياء الله، قبر نفسه في هذا الموضع لئلا يعرفه أحد، ورحم الله قبرا لا يعرف، ووضعية القبر واتجاهه ليس كقبور أهل المدينة، وروّج له كرامات، تناقلها الناس، وصدقها من صدقها، "وجصصوا قبره" وجعلوه مزارا يتبركون به، وينذرون النذور لمقامه، ومن كراماته أن قبره لا يتأثر بحرارة الشمس أيا كانت حرارتها في الصيف القائظ، حيث تضع يدك أو خدك على القبر تجده باردا، أو نديا من البرودة بخلاف ما حول القبر، ولا يشعر به إلا أصحاب النوايا الحسنة!!، وأشياء تقال على إنها من كراماته، وللقبر سور قصير مكشوف مطروق "بالنورة"، وبنوا قربه"المبارد" والمسجد، وحفروا بجانب المسجد بئر ماء."والمبارد" جمع مبرد- وهما اثنين فقط-(في فترة متأخرة بني الثالث)، وهو بناء من أربعة جدران مسقوفة لكل منهما مطبخ منعزل في جانبه، وبداخل المبرد موقع صغير مهيأ لأواني القهوة وطبخها، ويجلس فيها الزائرون للقبر أو للنزهة وللتبرد في الصباح، وفي المساء ساحة أمام المبرد مهيأة للمجلس، والموقع ليس موقع تنزه في الصباح، وشرقي المسجد توجد بئر عامرة، ومكان مسقوف ومهيأ لاستقبال الماء من "منزحة" البئر مباشرة إلى الأحواض المرتفعة عن الأرضية والمنحوتة من الصخرفي الموقع لحفظ الماء، ويربد المخرج بعفاص، ليتم استخدامه للوضوء للصلاة أو الغسل خاصة للنساء، وهناك حمامان بارزان منفصلين(بيت خلاْ)، "والناقة"، والناقة صخرة طويلة(حصاة) مغروزة في المسيال يرميها بعض الزائرين والزائرات، ولكرامتها إشارة، فإذا ثبتت الحصاة

الصغيرة المرمية بنية راميها في مكان معيّن من (الناقة) فقد قبلت الأمنية أو استجيبت الدعوة..فهناك من يرمي بنية الزواج، ومن يرمي بنية طلب الذرية، أو بطلب الولد خاصة، أو عودة مسافر، ومن يرمي بنية الرزق...الخ، كذلك سقف المبارد وسقف المسجد، تقتطع وصلة صغيرة من الملبس وتبل بالريق وترمي إلى السقف..سقف المسجد أو أحد المبارد، يقال أعطيناك الدويل فأعطنا خيرا منه، أو بما هو بهذا المعنى، فإن التصقت بالسقف فقد استجاب الله للدعاء وستتحقق الأمنية، وتكرر الرمية إلى أن تلتصق، واذكر في طفولتي أنني كنت مع الأهل- نساء وأطفالا بدون رجال - في زيارة مولى لوسط، ولبست(صاروما) إزارا جديدا، وليس هو بالثمين، ولكنه بالنسبة إلي حينها أثمن من كل ثمين، ويحاولوني أن أقتص منه وصلة صغيرة لرميها في سقف المسجد، لييسر الله لي ببركة مولى لوسط خيرا منه، لكني رفضت، وهربت من محاولتهم لإقناعي، ومن يحاولني هم أهلي، ورغم توسل البعض منهم وتوبيخ البعض، إلا أنني رفضت، وكنت اختلق المعاذير قائلا: ربما يضربني أبي، ووالدتي رحمها الله تصرعلى أن اقتطع شيئا كبقية الأطفال والزائرات.

والطلبة في هذا اليوم يرمون الحصاة، والبعض يقتطع شيئا من ملابسه إلى سقف المبارد والمسجد، وكل طفل له أمنية، وأقلها دخول "الختمة" وختمها، فهي نهاية الدراسة!!.

وعودة إلى مسيرة الطلبة برجزهم وهم يعبرون شوارع البلدة فرحين بلباسهم الزاهية..لباس العيد..الأمهات من شرفات بيوتها تتشوف، ومن وقفن

في الشوارع مع بقية المشاهدين من الأطفال والرجال، مارين بالمزارع حتى يتجاوزون مباني البلدة، حيث تتوقف الطبول والرجز، معاودين السير مع الشقاوة الطفولية التي يتخللها الشجار وربما الضرب والبكاء أيضا، وحين يتوسط الطلبة "مسيال" شِعب مولى لوسط، وهم على أهبة الإستعداد " لحق العادة"، حيث تعطى لهم الإشارة من المسئول.. بصوت جهير.. يالله بالعيادة.. فينطلق الطلبة صائحين ببهجة الطفولة وبراءتها مرددين: **يالله بالعيادة**، ويجرون في المسيال بحصيه وأحجاره بخفة وسرعة، رغم أن أغلبهم حافي القدمين، ومن يتعثر ومن يتعب بعد قطع مسافة، ومن يسير سيره الطبيعي إلى أن يصل، ويصل للمبرد الأوائل من الطلبة في الجري، فيختارون الموقع الأفضل في المبرد لهم ولبعض أقربائهم أو أصدقائهم، ومبرد واحد مخصص للطلبة، وآخر للشيخ وضيوفه، ومن لم يجدله موقع في المبرد ففي المسجد.

ويتم ذبح الأغنام، اثنين أو ثلاثة، وقسمة اللحم لكل طالب حصته، و يتفرق الطلبة بعد أن حزر كل موقعه، فمن يتجول في الشِعب من هنا إلى هناك، ومن يمكث في موقعه، ومن يعين العاملين في المطبخ خاصة الطلبة الكبار لشوي اللحم، وينادي المنادي على الطلبة بأن يكون كل طالب في موقعه حيث يعطى لكل طالب حصته من اللحم المشوي، وهو عبارة عن "مغضاف" وقطعة لحم.. بعدها، أي بعد أن يأكل الطلبة لحمهم..من يعود للتجوال في الوادي رغم الشمس وحرارة الأحجار حتى في فصل الصيف، ومن يضطجع أو يمكث في المبرد حتى يحين موعد الغدا بعد أداء صلاة الظهر جماعة، والغداء عبارة عن

طبخة أرز، وفيها مما لم يتم قسمته كرأس الغنم المذبوح، والفقر وغيرها، وينقسم الطلبة مع الأكل فريقين، أو فرقتين- من في المبرد ومن في المسجد- وهما في انتظار الغداء، فتصيح فرقة بأعلى أصواتها قائلة: **حـار.. حـار..** وترد الفرقة الثانية في نفس الموقع بصوت أعلى: **بـارد..بـارد..**

هكذا يرددون أصواتهم الجماعية الصاخبة الضاحكة، وهم في انتظار الأكل، ومع الأكل، وكل فريق يحاول أن يكون صوته أعلى.

بعد أداء صلاة العصر، يتأهب الطلبة للعودة، بعد أن قام الطلبة الكبار بغسل الصحون والقدور، ومعاونة الرجال لترتيبها، لحملها على الرؤوس إلى البلدة، فليس هناك مراكيب، اللهم إن كان لأحد من الأعيان دابة خاصة به.

ويبدأون بالأراجيز، وهي إضافة إلى الثابت منها، تكون الأراجيز مرحبة بالعيد كما سبق، وتعطى لهم أبيات ممن حضر من شعار البلدة، يرددها الطلبة فرحين..مبتهجين، وبسرعة قد يحفظ الطلبة البيت الذي يعطى لهم، وأذكر أن العم عوض مبارك باحشوان، أعطى لهم - وأنا أحدهم- بيت شعر لأراجيزهم عند العودة من مولى لوسط بقي عالقا في الذاكرة، والبيت على قدم العهد به، إلا أنه ظل في الذاكرة كواقع كانت قريتنا برجالها وشبابها يعيشونه:

مـن تعلم كتب قالوله اطـلع لـجـده

يوم فيها ذهب والكسب رديو وعِدِّه

ويقصد بالعدة عدة الشاهي أي أوانيه الزجاجية.

وهكذا يرتجز الطلبة، وكلما أشير لهم للوقوف لمن سيلقي عليهم بيتا من الشعر وربما لحنه أيضا.. رج الطلبة الأرض بأقدامهم، وكل منهم يرى أنه أفضل من الآخر، وفي مسيرتهم أيضا خاصة عندما يكونون في شوارع القرية وتجمهر الناس رجالا ونساء وأطفالا حولهم، تعطيهم نظرات المتفرجين همة متجددة ونشاطا وحيوية أكبر من سنهم، غير مبالين بتعب أو نصب حتى وصولهم إلى تحت مبنى المدرسة حيث يقفون يمسون للشيخ (معلمنا..معلمنا.. مساك الله الخير) أو يقولون له: (جزاك الله الخير)، ويرددون حمد يا معلمنا..والمعلم تعمم، ويختمون رجزهم بـ: لا إله إلا اله، ويدورون بأراجيزهم مترقبين إذن المسئول بقوله: **يالله بالعيادة**، وهو إشعار باختتام الأراجيز، والكل من الطلبة مشمرين السواعد بكسر العصي(جريد النخل) حيث يتم تناولها بأيديهم يكسرونها قطعا قصيرة والشاطر من الطلبة من يأخذ منها شيئا، وتراهم في شد وجذب، وعراك ومعركة من أجل أن يحصل الطالب على جزء من الجريدة، ومن يحصل على نصيبه يحاول الإفلات والهرب، وذلك للتبرك أو لنشوة الحصول على شيء، وتبارك الأمهات ما حصل عليه الأ بناء أو بعض الأمهات، وكان فيما سبق تطال الأيدي للهاجر "والطويس"، ويتم تمزيق" ديم" "الهاجر" "والطويس" وتقاسمه بين الطلبة "وكذاالطيبان"، لكن في الفترات الأخيرة، وقبل الإذن بحق العيادة يهرب الطلبة المطبلون بطبولهم، حسب توجيهات الشيخ، وربما تناول بعض الطلبة الطيبان وكسروها..هاتفين **يالله بالعيادة.**

وسكان البلدة-كغيرها من المدن والبلدات المجاورة-أو الكثير منهم لهذه المناسبة يخرجون إلى الوادي، أوالمرتفعات الجبلية، أو أماكن أخرى بذبائحهم، وبحجة تجميع الحطب للعيد، لكن اليوم لا حطب ولا من يجمعه، إنما هي نزهة لشوي اللحم وأكله، هذا إن كانت التسمية وسيلة لجمع حطب العيد في السابق، فبقي الإسم واختفى المسمى، وربما كانت التسمية لهذا اليوم "مطلع الحطب". يعقبها غدا "عيد الصغيّرين".

لم يعد "للتكابير" وأهازيجها إلا في ذاكرة البعض، وإن بقي مسمى يوم "مطلع الحطب"، فربما أضحت مجرد تسمية لليوم السابع من شهر ذي الحجة دون المراسيم المعروفة إلا فيما ندر عند البعض لتشكيل فرقة أو فرق للنزوح إلى أي موقع عصر ذلك اليوم (السابع من ذي الحجة).

٩- شـهـر ذي الـحـجـــة

عيد الإضحى:

وفيه عيد عرفه (عيد الإضحى).. ويبدأ بعيد الصغيّرين، وهو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، أوالمدخل لأول أيام عيد الإضحى، فهو عيد رسمي وشعبي يحتفي به، عامة الناس الكبير والصغير والغني والفقير، وفيه تبدأ مراسيم العيد والتوابع الخاصة بعادات البلد، وتعطل الدوائر الرسمية، ولعل هذه التسميات خاصة بسكان تريم وبعض نواحيها، وبعض المناطق في الداخل يقال لهذا اليوم "مزدلفة الصغار".

وهذا اليوم كما أسلفت مدخل للعيد الكبير عيد الإضحى، وأغلب من في البلدة كان يبدأ ذبائح العيد من صباح هذا اليوم، حيث تغمرالفرحة الأطفال خاصة، وهم يحتلقون "بالتفال" الذي عليه لحم الذبيحة فيعطى لهم وصلة من "كرش"(معدة) المذبوح أو من كبده، وقد لبسوا لبس العيد أو البعض منهم، وفي المساء يحيون هذه الليلة "بحياء" إحياء هذه الليلة في البيوت حيث يتم توزيع الحلوى "والكزاب"(ثمر النارجيل). وفي اليوم التاسع وهو يوم الوقوف بعرفة، كان من يصومه قلةٌ من سكان البلدة، والبعض يؤجل ذبيحته إلى هذا اليوم، والذي اتفق عليه الكل سواء من ذبح يوم أمس "الصغيّرين" أومن ذبح اليوم " يوم الحِج" أي "يوم عرفه" فإنه يهدي للأقرباء، أو ممن لم يذبح في هذه اليومين بما يقال لها "عيدية"، كان هذا دأبهم مع ارحامهم والأقارب وغيرهم. ويتوجه الكثير من سكان البلدة عصرهذا اليوم إلى مدينة تريم حيث يتشبه الكثير من صلحائها وسكانها بالواقفين في عرفه، وذلك في شِعب "خيله" حتى إذان المغرب أو قبل الأذان بقليل.. يفطر من صام هذا اليوم وتؤدي صلاة المغرب هناك.

بعد أداء صلاة العشاء، يبدأ حياء المساجد، أي إحياء تلك الليلة بتلاوة القرآن والتكبير نهاية كل سورة، والتكبير أيضا في منارة المسجد، وبعد صلاة الفجر تقرأ الفصول وترتيب الفواتح، ثم الخروج من المسجد، ويحول المحوّل صاحب الصوت الجهير، كما هو في صباح يوم عيد الفطر.

بعد صلاة العيد (الزينة) في المسجد، يعود البعض مباشرة إلى بيوتهم، ويذبح الكثيرمنهم أضاحيهم، ويضعون جانبا مما سن من الأُضحية، ويوزعونه على الفقراء والمساكين، ويهدون للأقارب والأرحام، وربما تبادل الأقارب العيدية، وسواء كان ذبح الأُضحية يوم العيد" الزينة"، أو يوم آخر من أيام التشريق الثلاث.

وبعد صلاة الظهر يحضّر(للعِدّة) الشبواني – كيوم عيد الفطر- لعواد السادة والوجهاء في البلدة ولا داعي لتكراره، وبعد صلاة العصر يجتمع أهل البلدة عند بئر مسجد جامع (مشهور) حيث قد هيأ ابو الحافة العُدة وآليات الغطيل، لغطيل البئر، والغطيل تنقية وتصفية البئر من الشوائب والأحجار وما رمي فيها أو سقط طوال السنة عفوا أو قصدا، فيثبت الغرب الكبير الخاص بالغطيل مع سِرِته(الرشاء/ الحبل) الخاصة، وبعد التأكد من التشروعة والعجلة ومعجلها(البكرة وماتدور عليه)..يرش المقود بالماء، ويصطف المواطنون في المقود من كافة الطوائف القادرة تقريبا ويرتجزون مثلا بـ (ياغصين البان عيني على شبشبه..ياغصين البان.. أو غيرها من أزجال الخويب والمرازح)، والأقدام ترج قاعة المقود كإيقاع للرجز، والبعض متفرجين، أو منتظرين دورهم، وينزحون الماء من البئر حتى يقارب على النفاذ، أو يقل كثيرا عن منسوبه، فيتسلق السره إلى البئر رجل يضع على رأسه شنه[٢٧٩] ندية، ويصيح في النازحين

(٢٧٩) وصلة من قربة قديمة.

من هو على المقرب بقوله:" الله وخوك"، وقد سبقه للبئر بعض المحافر، وثم يلحقه ثان وثالث وربما رابع من الرجال ذوي الخبرة، وهم في طريقهم إلى قعر البئر فرادى أو مثنى، والنازحين يرتجزون واقفين، وهم معلقين في سماء البئر، بذاك الرجزأو غيره، شبه وقوف بحركة بطيئة، حتى وصولهم إلى قاع البئر، وتجمع الشوائب في المحافر، ويشيرمن في البئر بتحريك السره، ويعرف الإشارة من على رأس البئر، وتنزح المحافر وفيها الشوائب، مع الماء في الغرب، والأطفال يتلقون الشوائب بحثا عن نقد معدني أو شيء آخر يمكن الإنتفاع به، وهكذا حتى تتم عملية التنقية، ويتسلق من في البئر(السره) الحبل ولهم حركة للسرة معروفة بأن إنسانا صاعدا، فيصيح من في المقرب بقوله للنازحين:"الله وخوك" ويتناقل صيحته النازحين، وما أن يصل قرب حافة البئر، يقفز، ويتقاطر كل من في البئر بهذه الكيفية في الطلوع، وحينها يعلن انتهاء عملية الغطيل، ويتم النزيح، وتطوى أدوات الغطيل، وتعاد إلى موقعها في بيت أبو الحافة، ويتجمع الرجال بتنصورة، ويشل الشلال برجز مثل: شيخنا المشهور أحمد... وتسير الخابة برجزها، وغيروا الشل، " بشيخنا يامحضار" – مثلا- أو "سبحان من لا يفنى ولا يزول ملكه" أو: "ساعة من العافية ما هي قليل"، إلى أن تصل الفرقة أو الفرق إلى ساحة الرزيح حيث تنتهي الخابة بالتنصورة، وتبدأ الفرق في التجمع لتكوّن دائرة من المجيدين في رقصة الرزيح، بل وغير المجيدين، ويتوسط الدائرة فريق من عقال الحافة وبينهم "الشلال" و"الهواك"، والشلال هو الذي يأتي بأبيات القصيدة، وقد تكون الأبيات من عدة قصائد، وقد يرتجل الشلال بعض

الأبيات ويكرر البعض، ويرد الرازحون بالتخميس المعروف كرد الكورس الجماعي في الأناشيد أو الأغاني الحديثة، وكمثال للتخميس: يبدأ الشلال بقوله: "نبي محمد يانبي".. فيكون التخميس برد جماعي:."نبي محمد"، أو يقول الشلال مبتدأ: "أبوالقاسم عزك الله يانجم الصباح"، ويضع على هذا التخميس الأبيات المناسبة أو تخميس: "يالله بالجنة" أو: " آه ياليل أبوه..آه لاي لا.." ويضع الشلال على هذه التخاميس وغيرها ما يناسبها من الأبيات الشعرية الشعبية المتداولة، أما "الهواك" هو صاحب الصوت المديد الذي يطلقه أثناء الرزيح(عيييييواه، أوووووه)

وهذه الرقصة-رقصة الرزيح-ليس لها طبل ولا ناي، اللهم إلا ما كان من رزيح آل الفجير، فهم استحدثوا المرواس في خابتهم فقط، ورقصة الرزيح تعتمد على إيقاعات الأرجل وضربها في الأرض، وتضبط مع النغم بحركات متناسقة رشيقة مميّزة وهم وقوف في الدائرة.. وقوف من تهيأ لخوض معركة جماعية.. أي معركة.. وربما حمل كبار السن عصيا تسندهم في حركتهم وانحناءاتهم، وفي مقطع يخصصه الشلال، ترتفع قدم الراقصين قليلا مرات قليلة متتابعة وتضرب بها الأرض، بإيقاع جماعي متناسق، ثم يتدافع الشباب والكهول إلى وسط الدائرة، بحركة يصمت فيها الراقصون لحظة منهمكين بقفزاتهم المنسجمة والموحدة والمتتابعة، ثم يعودون إلى أماكنهم من الدائرة، واستأنفوا الشل، ويتخلل رقصة الرزيح هذه، بمقطع لنعيش البقارة، بإيقاعات متناسقة مع حركة الرأس المتمايل يمينا وشمالا وبانخفاض إلى محاذاة الركبتين مرسلا شعره الطبيعي

(في السابق)، ثم لبس البعض في الفترات الأخيرة(باروكة) تركيبة من الشعر الصناعي منسدلا على الكتفين، ويغطي وجه الناعش لكثافته، وممسكا بيديه رداءه، وغالبا ما يكون من النوع الأحمر المخطط الهندي الذي يقال له "رمال"، وهو مما يتعممون به في الغالب. والبقارة، يعتنون بشعرهم عناية تامة بالدهن والتنظيف والتمشيط والربط، لمثل هذه المناسبة أو مناسبات أخرى كأفراح الزواج الخاصة بهم أو لمدادهم، ومشاركتهم في رقصات القنيص.

وفي الجانب الآخر من ساحة رقصة الرزيح تقام فرقة الحضر للشبواني(الفرِق) حيث يتبارى الشعار بقول أشعارهم الارتجالية داخل المدارة، والفرِق هو في الأصل الشبواني، ويتخلل ذلك راحة للراقصين واستئناف قول الشعر الارتجالي، وقد أفردنا للرقصات الشعبية موقعا آخر من هذه القراءة.

وهكذا تتم أفراح اليوم الأول لعيد الحجة، وفي اليوم الثاني، إضافة إلى الشبواني، تجيء فرقة منطقة الفجير إلى ساحة الرزيح في البلدة بخابتها يتقدمها ثلاثة من الرجال، قد تم تسويد جسم ووجه اثنين منهم ("ابوغلوب" سعيد عوض جميل، والثاني سعيد عوض سويدان) بحارق الديزل أو الزيت للمضخات، ويحمل كل منهما بندقية قديمة، أو هيكل بندقية، والثالث(محمد علي عليوان) يجعل في رأسه "طرطور"، ويغطي وجهه ببرقع لا يرى منه إلا عينيه وشفتيه ويلبس لبسا خلَقا من لبس مهترىء وحزام مسبت لخراطيش البندقية، والبندقية من نوع "الهطفا"، ويمدها بعد أن يضع في معنقتها(طماش) – فشفاشه– يخوّف بها الأطفال بعد مطاردته لهم، وهم يختارون بعض

الشخصيات التي تتجمع للنظر إليهم للاحتكاك بهم على غفلة منهم لتسويد لباسهم الجديدة بالسواد الذي في أجسادهم.

وتصل "الخابة" إلى موقع الرزيح، حيث تتم رقصة الرزيح المعروفة، ويتخللها حركات مضحكة للثلاثة في داخل الساحة للرزيح لإبهاج المتفرجين.

وفي اليوم الثالث للعيد كانت فرقة الشبواني وحدها هي التي تحتفل وتقدم رقصاتها وأشعار المتساجلين من الشعار في المدارة.

كان للعيد، وللأعياد عامة فرحة وبهجة، افتقدت، وعادات وعوائد بحسنها ومرحها تلاشت، ولأسباب لاحصر لها.

ب -احتفالات العادات الاجتماعية

١- قناصة الوعل (القنيص):

هناك قرى ومدن في حضرموت حافظت على عادات القنيص أو قناصة الوعل بكل ما تمثله من طقوس وأفراح وقيم وعوائد، ودمون منها في المقدمة تقريبا، ولعل وسائل القناصة هي وسائل عصرها، ومع أننا لم نستطع تحديد زمن القناصة بالبلدة، إلا أنه قد يتحدد بقدم البلدة.

والشيء الذي لم يختلف فيه، أن أبناء البلدة قاطبة-تقريبا-في وقت ما او مرحلة من المراحل كانوا قناصة وعشاق قنيص.

ولعل في أشعار المعلم عبد الحق الذي سكن دمون ولعا بالقناصة وأحبها، وعشق الجبل ووهاده وشعابه ووديانه وحصيه، ومناصب أوشاره وطوعه له

الفضل الكبير في حفظ الكثير من عوائد وعادات القناصة، وقوانينها وآلات الصيد المستخدمة في البلدة.

وقناصة الوعل قديمة جدا، ومحبة الحضرمي وشغفه بالوعل الذي خصه بالقداسة في مرحلة من مراحل تاريخه القديم، وجعله رمزا للإله (سين) إله "القمر" الذي كان يعبده الحضارمة.

" ففي مارب عاصمة مملكة سبأ كان الوعل رمزا لآلهة القمر، وقد عثر في معبد إله القمر بمارب على عملات ومسكوكات معدنية نقش عليها صورة رأس الوعل."

"وفي حضرموت مثّل الوعل(سين) إله القمر حيث ظهرت رؤوس الأوعال مع زخارف ذات أشكال هندسية متعاقبة، وأشكال نجمية تحيط بالنوافذ الخشبية لقصر شبوة الملكي."

" كما دلت نتائج معطيات تنقيبات البعثة الروسية اليمنية في ريبون سنة ١٩٨٧م على أن مجموعة النقوش التي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهي فترة ازدهار الحضارة الحضرمية في ريبون جاءت بمعطيات جديدة تعبر عن نواحي الحياة اليومية، والتي يظهرشكل الوعل مرسوما على الأواني ومنحوتا على المساند، أو تمثالا كامل التجسيم يهدى للمعابد."[٢٨٠] .

وامتدادا لممارسة القنص لا بالنسبة للحضارمة فحسب، ولكن للعرب عامة، فقد ظل سكان البلدة(دمون) مغرمين به، مولعين بشعابه ووديانه، لا

(٢٨٠) بن عقيل: قنيص الوعل صـ ٣٥.

يرون في التخلف عنه عذرا يتحجى به من يتخلف عن القناصة، لأنهم يرون القناصة أشبه بالواجب على القادرين، يقول المعلم:

وقد ضربنا الشوق والهاجس زغر عندي وقال

من لا يروم العز يفقه للكلام أول وتال

حيث اننا شوف القناصة ما لحد فيها اشتغال

شفت الجبل غدر ظلاله حرت من شوف الظلال[٢٨١].

للمعلم كثير من الخصائص والسمات المميّزة في شعره باندماجه مع مجتمع حل فيه، وعلى حد قوله:" من حل عند القوم شل بلاهم"، وهو على ما وهبه الله من رؤى وما كسا هذه الرؤى من مسحة اجتماعية أصيلة يعبر عنها بإحساسه ومشاعره، وخاصة القنيص والقناصة، هو إحساس العاشق الواله الذي لا يرى إلا جمال معشوقته في الهيئة والسلوك.

المعلم مثّل بيئته.. في مرحلة من مراحل أطوارها، وهو خير من ترجم تلك المرحلة، ووصف عاداتها وعوائدها في القنص..ترك المعلم- في أشعاره- ولا اعتقد أن أحدا غيره ترك للتاريخ ما تركه في وصف القنص والقناصة، بأوصاف يعيشها من يقرأ شعره مع القانص خطوة.. خطوة.. بوصف حي، يعطي صورة جلية كاملة واضحة المعالم، من وقت استهلال وقت القناصة، ووصف الشعاب ومراعي الوعول ومواقع شربها، وأماكن مخدعها وهروبها، إضافة إلى آليات

(٢٨١) الوقائع صـ ١١٥.

القنص وهيئة القانص وزاده "ومزناده" وسمره، وأخطاء القانص، و نظام وقوانين وأحكام القناصه، شارحا ومفسرا ملما بكل التفاصيل، حتى الرجوع من القنيص بالدخلة والزف وروحته وأفراحه، بحيث إن الباحث، وعاشق القنيص يتفاعل مع المطاردة للوعول في الجبال، وإصابتها، وقتلها، ويسيل لعابه مع لحمها الطري، ومع حركة القانص سواء من كان من أصحاب الشباك، أوالرماة بالبنادق، وكل تحركاتهم حتى رجوعهم من الجبل بصحة أجسامهم، وسلامة أعضائهم، ومعهم الجميلة الوفيرة من الوعول حاملين "قشعها"، وهم "يزفون" بها ببرعتهم ورجزهم في الوادي.

تغمر المعلم الفرحة وهم يتهيئون لإرتياد الجبل في وقته المعروف من فصول السنة الشتوية كغيره من أبناء المنطقة، وليس ثمة ما يمكن أن يكون خيارا بين الجبل وعدة القنص والشبك خاصة، وغيرها من المقتنيات أيا كانت تلك المقتنيات، ولا يوجد قياس بين لذة ومتعة وحلاوة المنظر لعدة القنص، وبين امتلاك الأثرياء من مميزات الغرس الكثير من النخل بأحلى ثمره وأجوده، فالشبك ومنظره في منصبه، وحمله على الكتف يفوق هذا كله ويتخيّره على آلاف النخل، يقول المعلم:

وبعد الساع شهر الصفاء بانستهله
دخل حله وحل الجبل واليوم مله
نزهيله بكم شبك ظافي نشله
مغزل زين لمياح لي مكتوب غدله

زهي بالقطب والطوع لي ما قول مثله

ولو ما القطب ما حد صنع بندق ونصله

ولو ما الطوع ما حد غرز في الأرض نخله

أنا لو خيرونا ثلاثين ألف مله

جهازي صرف ما خلطهن صفراء وبقله

تخيّرت الشبك شوف أمياحه وغدله(٢٨٢).

ورغم المعاناة والمشاق التي يتكبدها القانص في صعود الجبال والانحدار في شحرها والشعاب، وقطع المسافات الطويلة خببا في الغدر مشيا على الأقدام، في أقسى الليالي الشتوية القارسة البرد، والحالكة الظلام، إلا أنه – القانص-يعدها رياضةً مهذبةً للنفس وترويحا عنها واطراح الهموم وقسوة الحياة التي يعيشها، وشظف العيش وضنكه، والإبتعاد عن مرأى مفاتن الدنيا ورونقها، ومباهج المال وزينته، لأن القانص لا يقارن ما يراه مع الآخرين من تلك المفاتن والأبهة بما يتفاخر به، بالجبل وحصيانه، يقول المعلم:

أنا لوخيرونا ثلاثين ألف حمرا تخيّرت الجبل شوف حصيانه ولمرا

أنا قلبي غني لو معي في الدار مصرا وذاك المال مالي وله لاشك برا

يفوت المال والتإليه نمسي بشبرا(٢٨٣)....

(٢٨٢) الوقائع صـ ١٢٥.

(٢٨٣) الوقائع صـ ٩٨.

والمعلم لو خيّر بين ثلاثين ألف نخلة حمرا وثمارها من أجود أنواع التمر، وهو الذي لا يملك شيئا منه في واقع الأمر، وهو الغني بمصرى من حب، يكفيه ثروة وغنى أن يرى الجبل بحصيانه، فالمال فائت، لكن البهجة والسعادة التي تغمره لا تقدر بمال ولو في المال من الحنطة برا.

ولم يكن المعلم ومن يمثلهم بدمون بهذا الوله والحب وعشق القناصه والجبل وحدهم فحسب، بل إننا نجد عشاق القناصة على وتيرة واحدة في حبهم وولعهم وعشقهم، سواء كانوا من السابقين ممن عاصروا المعلم، أو من بعده جيلا بعد جيل، فهاذا محمد صالح باحفي ويقال له المعلم أيضا يقول:

ونا لوخيرونا في المراسي ألف حمال تخيرت القناصة وبالله احتمالي

قتال الصيد هو خير لي من مكسب المال مساريح الخنب والمضاوي رأس مالي[٢٨٤].

والخنب فرق الصيد.

وفي قصيدة أخرى يقول:

قتال الصيد وقبالهن عندي بشاره كما لو حولوا بالفروع الطالعيه

ونا لوخيرونا مثَل في أحسن عماره وقصر الحكم عا ما حوته القاصريه

وموتر سيكس تابع بنمرة واستماره تخيّرت القناصة وترّكت البقية[٢٨٥].

وهو الذي يقول أيضا:

لقاهن خير- يقصد الوعول- وإقبالهن نعم القبالات

كما لا صادفت وقفة الجمعة بعرفات

(٢٨٤) سالم محمد باوزير: مختارات من الشعر الشعبي الحضرمي صـ ٢٧.

(٢٨٥) المصدر السابق صـ ٣١.

ويصف لقياء الصيد (الوعول) سالم مبارك باحشوان غفر الله له فيقول:

لقيه بها كل من حضر كنه تمدن واعتمر

ويقول في لقيه أخرى يصفها بقوله:

حين التقوا لقياتهم وتشيب الطفل البهيم

لقيه بها شاهدت ربعي بين زمزم والحطيم

وصل عريض القرن كانه فلك في الغبه يهيم[٢٨٦]

ويقول العم عوض مبارك باحشوان رحمه الله:

سرحوا إلى السلطان..سلطان الذي به اعتماد

حي الشناخيب الطويلة من وقف فيها استعد[٢٨٧]

ولعل ما يتناقله الآباء عن معاصريهم أن أحد أصحاب الأوشار (الشباك) كان نصيبه وعلين معا (قرينه) في وقت واحد، فعمَّت الفرحة الكل، واحتضن أحدهم صاحب الشبك منتحبا من الفرحة قائلا له:" إنها أحسن من عمارتين في سنقافوره"، أيام كانت جاوا وسنقافورة مصدر الغناء والثروة لهذه البلاد.

ولقد توافقت الشرائح الاجتماعية من كل الطبقات تقريبا-بدمون-رغم الفوارق الطبقية حينها على حب القناصة والولع بها، وإن شذ عنها البعض فهو يفرح بفرحهم، ويتباهى بصيدهم، ولا يبرز اللوم أو النقد أو التشنيع والإستنكار

(٢٨٦) من ديوان الشاعر- مخطوط.

(٢٨٧) المصدر السابق.

على ما يعتقده في القناصه من ضياع وقت، وتفويت صلاة، وبذل جهد في غير محله، فهو يعلم مغبة ذلك حتى بين أسرته.

ولم تكن القناصة في مفهوم القناصة رياضة شتوية أو متعة وحسب، بل إنها تعد معركة مع عدو مغرور، مزهوٌ بعزته ومنعته ومُكْره، فقد يختار الوعل المصاب موقعا شبيها بلون جلده، ويختفي فيه متماوتا، وقد يمر القانص بجنبه أو يمر من تحته، ورغم الزعيق والنعيق والفوضى التي تخيفه ويجفل منها، بل ويرتاع حتى من الهمسة، إلا انه وبمعرفته بحالته يبقى مستكينا في موقعه حتى تتم معالجته لنفسه إن استطاع، فهو قد يسد جرحه النازف بالدم بالتراب يختاره ويتمرغ فيه لسد الجرح.

وقد اعتبر القناصة للوعل أن قناصتهم جهاد، مؤملين بالنصر على عدوهم، يقول المعلم:

رجال النصر عزموا وعبد الحق مكبود

إلى وادي حليمه لـكـم من وعـل قـهدود

أو يقول:

رجال النصر ظفروا بكم وعل نزله

ويقول: سالم مبارك باحشوان:

حـلان شِعب الـنور عـصبوا شـورهـم زروه زر

ضووا إلى الزيرق بجيش النصر لي سار انتصر

وشعب النور يقصد به شِعب دمون، والزيرق خطمة من خطم القنص في الجبل.

وفي قصيدة أخرى يقول:

إن ربعي للـجبل سـرحوا عـلى باب الكـريـم

سرحوا بجيش النصر عبروا داخل الـغناء تريـم

ويقول العم عوض مبارك باحشوان:

جيوش النصر سرحت لقو قبطن وقائم على محفر ونعتاد منه ملاحم.

هكذا جعلوا من القنّاصة جيشا مجاهدا للوعول في مراعيها، وفرحة النصر، هي كفرحة الجيش المنتصر الظافر في أي معركة.

ولقد سمعت حوارا يدور بين أحد القناصة يرد على تساؤل في بعض الأمور الخاصة بينهما، وذلك يوم الزف أي يوم دخلَتهم من الجبل..يرد مستنكرا على صاحبه قائلا: جئنا من جهاد، وأنت تتحدث في شأن من الشئون الخاصة!.

كانت القناصة في القديم بكلاب الصيد السلوقيات المدربة للقنص وبالرماح، وبنصب الشباك في مواقع العبور الضيقة، ومن بعد استخدمت البنادق مع الشباك، وانتهت فترة إستخدام الرماح والكلاب السلوقية، ولم نتحصل على مصدر يفيدنا متى كان ذلك، لكن ربما كان ذلك في نهاية القرن الثالث عشر، أو بداية القرن الرابع عشر الهجري وذلك لذكر كلاب الصيد السلوقيات في شعر المعلم عبد الحق ومدربهن.

وفي المدة الأخيرة (الحالية) انتهت تقريبا استخدام نصب الشباك، لأكثر من سبب، حيث توافرت البندقية الحديثة مع كل القناصة بدون استثناء، بتنوعاتها وتقنيتها الحديثة، ولم يعد أحد من القناصة قادرا على حمل الشبك ولا على تحمل أعباء من يحمله، إضافة إلى ندرة الصيد من الأوعال.

كانت الأوعال كثيرة في مراعيها الجبلية، فقد ورد في أحد النقوش التي سجلها الملك "يدع ايل بين"، - وهو من أكثر ملوك حضرموت شهرة- عن رحلة صيد، وبمناسبة انتهاء موسم رحلة القنص بالصيد الوفير بالقرب من عاصمة حضرموت مدينة شبوه، أنه قام بصيانة قلعة "عرمه"، وكساها بالحجارة، حيث يقول النقش:" ايدع ال بين ملك حضرموت ابن شمس من أحرار يهبتر أدى طقوس الصيد في وادي عرمه، وقد اصطادوا وقتلوا خلال عشرين يوما أربعة فهود، وذئبين، وستمائة وعل، وكان معه أتباعه..... ومأتي جندي، ومائة صياد، ومئتين من الكلاب(٢٨٨)، ولعلنا قد نتهم الخبر في النقش بالمبالغة، لكن إتهامنا قد لا يكون له تبريره لأنهم عاشوا زمنا غير الزمن الذي عشناه، والكثير من الماضي لا تستوعبه عقولنا ولا مفاهيمنا. فقد ذكروا آل عينات كانوا يصيدون-من الوعول- في مقنصهم أحيانا أربعين وأحيانا خمسين وأحيانا تسعين وزيادة(٢٨٩)، وحتى إلى عهد قريب، ومنذ عهد المعلم، كان القناصة يجدون الوعول الكبيرة، ويصيدون منها الكثير التي قد تصل في خلال أيام قلائل إلى العشرين أو أقل قليلا، يحدثنا المعلم في قصيدة من قصائده عن حصيلة الصيد مع الرماة بالبنادق وأصحاب الشباك:

الله عطاهم بتسعة عشر في المواطي والوعر

عند البنادق وأهل كم من وشر زينات الشعر.

(٢٨٨) بن عقيل: قنيص الوعل صـ٣٧.

(٢٨٩) بن عقيل: قنيص الوعل صـ ٧٣.

ويذكر العم عوض مبارك باحشوان في حصيلة صيد من الوعول في عام ١٣٧٥هـ:

ثمان تعشر رأس هدموها كما حصن الرناد.

وربما لم يجد القناصون في الشعاب وعولا كما يقول المعلم:

عسيس الصيد ياسعد والوادي مغبر

...

زمينه لارض والله لا حاجب مخضر

عندما تجدب الأرض، وتغب الوديان المطر، فلا مراعي للوعول، فتبحث الوعول لمراعي وإن بعدت عن مواقعها.

ومن أغرب ما حدث للقناصة في زمن المعلم وهو قناصة صيده(أنثى الوعل)، يحدثنا المعلم عن الكيفية التي اصطادها الصياد بها:

وصيده خامسه فاله في حسن شبه

ووصلت للشبك شمته شمه محبه

ورجعت بوعوض خذ من المرباه وثبه

يلاعبها كلعب السري لعبه بلعبه

قبض كرعانها طنهن مره بعصبه

بها حيه وصل تنثر الجرة بجنبه

إلى المبيات تحسبه متردي بقربه

وصف حي لمقنص صيده من نوادر القنص.

يحي القناصة ليلهم بالسمر في مواقع خاصة في جبال القنص، يحيونها بالترنم بقصائد المعلم أو غيره التي تصف مواقع القنص، وقنصها، ويتغنى القصاد مع المدروف(الناي) وللقصيد "برعة" رقصة برأس الوعل (القشعة) إن حصلت، والبعض ينشر مع البرعة خناجرهم يلوح بها بيده وبين لحظة وأخرى يتفق المتبرعين بهوكه (تنصورة)، يقول المعلم:

وفي المجحاف والبدو في برعه وسجله[٢٩٠]

على مدروف زين الخدر لي فيه صله

سمر في الغار يا أهل السمر كل محله

وتعتبر فرحة القناصة بطيب القنيص الجميلة(الصيد) التي ترد للشبك وتوثى(تذبح)، ويغبر الشبك بدم الصيد، وهو المحك لصدق القناصة وأمانتهم والتزامهم بمفاهيم وقيم القناصة، لكن إن وجدت الأوعال مخارجها سواء من الطرق أو المنافذ أو من خطأ في منصب الأشباك غير مقصود، وكذا تعدد الرمي من الرماة بسيل من الرصاص، لكن لم تصب رمياتهم الهدف، فهو مما يعد "ذيم" في القنيص، أي هناك عيب أو خيانة حصلت من القناصة كالكذب أو التعدي على حق الغير، على وفق التشريعات والأعراف للقنيص المعروفة، والذيم – في

(٢٩٠) المجحاف: موقع السمر في الجبل، وهو موقع ممهد للسمر والبرعة، فمجحاف قناصة الدرج "الركبان" ويكون السمر فيه ليلا.اما مجحاف مقنص حليمة: أول يوم"الزيرق" ويكون السمر فيه بالليل، وثاني يوم "مسعود" ويكون فيه السمر العصر، وثالث يوم "الكهد" والسمر فيه العصر، ورابع يوم"محفر" ويكون السمر فيه العصر، وخامس يوم "الغيران" ويكون السمر فيه بالليل.

اعتقاد القناصه- يحول بينهم وبين اصطياد الوعول، يقول المعلم وهو يسأل احد القناص العائدين من الجبل:

أنا شِعب العريقة ضوتنا منه أخبار

خبر قانص حضر ليس هومن عابر أو مار

وقال الصيد في الدقم ضلا في تعزوار

وضل القامزي ملتحم من فوق لصبار

ولا جانا خبر حيث أنا أكثرت التخبار

إذا شي ذيم منه الأبو ينشد ويعتار

إذا قد بات شف حكم مولى الذيم قد سار

فيذبح طلي طيب القناصه وأنت قدار

و"الذيم" في عوائد القناصة يغيّر مجرى القنيص، ويفسد النتائج المرجوة من الخطم، ويسهّل طرق الهروب للصيد، ويخطئ الرماة الحذاق في تسديد ضرباتهم، لذا على أبو القناصة التحري عن السبب، ووضع العرابين من المشكوك فيهم، أو ذبح "طلي" لطيب القنيص عن أي خلل صدر من القناصة، ومناصب القنيص من السادة آل عقيل مطهرالحامد من أحفاد الشيخ أبوبكر بن سالم، وأما أبو القنيص فهو يتم بالإنتخاب، أو بالتعيين من شخص ملم بالقناصة ونظمها وترتيب سوارحها، وليست لدينا مصادر في من تولى أبوة القنيص في الزمن الغابر، إلا أنه ذكر أن آل العفاري كان لهم قِسم من لحم صيد الوعول لكونهم أول من وضعوا برنامج القنيص وقسموا الخطم في شعاب

دمون (شعاب حليمه) التي تتم قناصتها من قبل آل دمون[٢٩١]، ومن قبل آل القرية.

ولعل أبو القنيص في عهد المعلم كان من آل بامطرف(هو سعيد عمر بامطرف المتوفي سنة ١٢٨١هـ) حيث ذكر المعلم في قصيدة له قوله:

والعام بامطرف مقدم في أهل لوشار الجداد

لكن بعد بامطرف ولا قبله، لم يسعفنا أحد بمن تولى أبوة القنيص. وفي وقت متأخر حسب ما أفاد عقالنا أنه تولى الأبوة..أبوة القنيص: سالم عاشور ربيحان، وسعيّد مبارك بن محفوظ، ثم محمد عوض بامزروع، ثم عوض حيمد حيمديه، ثم حيمد سعيد بامعبد، وبعده خميس سعيّد بن محفوظ، الذي توفي في سنة(٢٠١٤م)، واختير بعده- في الوقت الحاضر- علي شيخ باشعيب.

أما المناصب..مناصب القنيص فهم من السادة آل الحامد، وقد تولى المنصبة حسب المصادر المتلقية: السيّد حفيظ بن عقيل..، ثم عقيل بن حفيظ، ثم علي بن عقيل، ثم احمد بن محمد بن عقيل، ثم- حاليا- أحمد بن حسن بن عقيل الحامد.

وواقع "المنصبة" و"الأبوة" اليوم لم تكن كما كانت بالأمس، فقد كانت للمنصب والأبو سلطة قويه على القناصة على وفق السوارح وتشريعات القنيص، فهو الآمر، وهو الناهي، وهو الموجه، والمأمور ينفذ، أيا كان انتماؤه أو مركزه في غير شعاب القنيص، لكن في المدة الأخيرة الكل يجادل ويناقش، ومن

(٢٩١) بن عقيل: قنيص الوعل صـ٨٢ .

يرفض الأمر ومن يتحجى بحجة واهية لرفض الأمر، وإنما تأتي الأوامر في الجبل للبعض من القناصة لسد مواقع عبور الصيد، ويأتي رفضها أو الاعتذارعنها لبعدها أو مشاقها، وهو مالا يمكن رفضه في السابق.

وقسمة لحم الوعل بين القناصة بالتساوي ويسمى القسم "راني"، باستثناء من صاد الوعل أكان راميا أو صاحب شبك فله يد من الوعل (كما زعم البعض وألغي في وقت سابق)، وله الرأس و"الديم"- جلد الوعل- والقشعه- قرون الوعل- وبها يزهو القانص ويتباهي، وهي فخرمحصلته من صيده.وكان لمنصب القنيص عشرة رواني، ولأبو القنيص خمسة رواني، وللغواه راني واحد والثاني دحقة رجله، أي إذا كان مع القناصة في الجبل.

غير أن هذه القسمة عدلت في اجتماع عام للقناصة مع المنصب والأبو، حسب محضر أقر بالاجماع بتاريخ ٢١/ ١/ ١٩٨١م، وهو الإجتماع الذي نصب فيه خميس سعيّد بن محفوظ "أبو" للقنيص رسميا من قبل المجتمعين، وقد أقر للمنصب خمسة رواني فقط، والسادس دحقة رجله، وللأبو راني واحد فقط، والثاني دحقة رجله أي إذا قنص، كما تتبع الأبو خمسة رواني يوزعهن على عشاق القنيص الذين أقعدتهم الشيخوخة أو المرض، واقروا "للغواه" راني واحد والثاني دحقة رجله، والغواه: المغني، وصاحب الناي "المدروف"، ويقسم بينهما قلب الوعل الكبير. وفي اجتماع عام للقناصة عقد بتاريخ ١/ ١٢/ ٢٠٠٧م عدل نصيب أبو القنيص إلى اثنين رواني والثالث دحقة رجله، اماحجم الراني (القسم) فيحدده كبر الوعل وصغره.

وثمة مشكلة وربما مشاكل قديمة مع القناصة الآخرين في شعاب حليمة من سكان "القرية"، فشعاب حليمه مقنص للفريقين، ولأسباب لاتخفى على الباحث أسبابها ومسبباتها هي في الواقع التنافس الذي يحصل بين الرياضيين.. تنافس الفوز بالغنائم.. أقصد غنائم الصيد من تلك الشعاب، وقد تنامت المشاكل واستفحلت في بعض المراحل، وخلقت الكثير من العداوة والإحن بين الفريقين، وأضحى كل فريق يكيد للآخر في مقنصه حتى لايحصل الآخر على صيد في مواقع القنص المعروفة، وكحل للنزاع الحاصل تدخل من تدخل للوصول إلى حل يجنب الفريقين سوء العاقبة، وتم الإتفاق بين الفريقين بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ١٩٦١م، عقد في محكمة المنطقة الشرقية بدمون بحضور السيد محمد بن حسين الكاف، وتم الاتفاق على أن يقنص صاحب القرية الشعاب المعروفة بحليمه في فصل الشتاء وله في ذلك إلى آخر يوم من نجم الهقعه، ويكون قنيص صاحب دمون في تلك الشعاب أول يوم في الذراع، أو أي وقت يريده في فصل الربيع، إلا إذا تقدم قنيص مول القرية قبل نجم الهقعه، فصاحب دمون له الحق أن يقنص في نجم الهنعه.

واعتبار هذه الإتفاقية قاطعة حاسمة لكل نزاع تقدم بينهما. ومن الموقعين على الإتفاقية منصب دمون السيد علي بن عقيل الحامد وعقلاء دمون، ومن الموقعين من القرية منصب القرية السيد سالم بن أحمد بن عقيل وعقلاء القرية. وكان التوقيع امام قائم المنطقة الشرقية بدمون.

ومع أنه تم الإلتزام بما جاء في هذا الإتفاقية مدة من الزمن، والأنفس فيها من إحن التنافس ما تظهره وتبرزه أقوال شعراء المراجز للقناصة للفريقين، وهي في

الواقع لاتتعدى تنافس الرياضيين والمشجعين والأنصارعلى الفوز، والكيد للفريق الآخر أن لايحصل على مبتغاه وما يؤمله من مقنصه بكل الوسائل الظاهرة والمخفية.

بعد الإ ستقلال في عام ١٩٦٧م أوقفت القناصة من قبل السلطة الجديدة، - كما أوقفت الرقصات الشعبية كالشبواني في المناسبات الخاصة والعامة - حتى عام ١٩٨١ حيث سمح لهم بالقناصة، غير أنه نشأت مشكلة في قناصة شعاب حليمه مع قناص سكان القرية، (حينها حي ٢ مارس) إذ تم إشعار لجنة حي الفلاحين للدفاع الشعبي(دمون) وكافة عشاق القنيص، وذلك بتحديد موعد للقنيص، وتم إلغاء الإتفاق السابق بعاداته المتبعة من قِبلِهم، مما أثار موجة من الغضب من قبل عشاق القناصة ومسئولي الدفاع الشعبي في دمون، وفصلت فيها السلطة المحلية بحيث الزمت قناص القرية(حي ٢ مارس) بالإ لتزام بماجاء في الإتفاق المبرم بين الطرفين عام ١٩٦١م.

ومسارات القنيص، وأيامها ومواعيدها، معروفة وهي: "الدرج" و"حليمه"، وحين يرى في أي موقع من الجبال المحيطة بالبلدة "عيانه"، أي مشاهدة شيء من الأوعال، يشعر المعاين أبو القنيص، وإذا وثق بقول من شاهد.. صوّت في البلدة..بـ "الهجير.. الهجير"..يصف المعلم ذلك بقوله:

أول عيانه بها العيان جا يزعق في شِعب يرمان حياتيك ذيك لاحوال.

ويلتم ويتجمع القناصة الرميان وأصحاب الأوشار(الشباك) وغيرهم، ولهم معرفة بتلك الشعاب ومناصب الأوشار، ومواقع الرماه وغيرهم فيضربون الطوع، وضرب الطوع سيأتي تفصيله.

يستهل القنيص بسمر يجتمع فيه القناصة عند منصب القنيص، أو أبو القنيص، يحددون فيه المسراح إلى الجبل ومن هم أصحاب الأشباك وعددهم، والفرِق التي قد ترتاد الجبل، وترتيب حمل زاد القناصه مع الجمال ووزنه. واستهلال القنيص يكون في شهر من اشهرفصل الشتاء إلى الدرج وقبيل اليوم المحدد للمسراح يضرب الطوع، والطوع هو جريد نخلة مجردة من خوصها تعزز استقامة الشبك في منصبه، فحسب نتائج القرعة التي يقرعها المتخصصون لها من قادة القنيص، تكون النتائج: البادر، ثم الظهار، ثم الطيال، ثم طيال الطيال، وفي الجبل يقرع لكل خطمة، ونتائج القرعه تحدد لكل شبك موقعه في المناصب(المنافذ) المعروفة.

ومقنص الدرج وهو افتتاح موسم القنيص، ويوم مسراحهم، يجتمع القناص تحت بيت الأبو، ويبدأ الرجز أو الخابه بإشارة من أبو القنيص أو المنصب بالتنصورة:" حميد بن حمود بن عبود الزايد (أو زايد وفينا الزايد) وشيخنا عقيل مطهر..أووووه.. سو..عيييو"، أو "طوع لوشار الزهية نحن دمار الصيد المربعية... أووووه سو عيييو" ويبدأ الرجز أو الخابة وفي المقدمة حملة الأشباك، وحملة الطوع، وبعض الرماة ببنادقهم يرتجزون بـ:" شيخنا مولى الكثيب من يهتري به ما يخيب." أو" نحمد الله الكريم لي على خلقه نعم"..، أو غيرها.

اليوم الأول من قناصة الدرج في شعاب الجبل، هي خطمة "المبدوعه"، وكان أصحاب الشباك يبكرون من البلدة عبر تريم حيث موقع مناصبهم أقرب الطرق إليها من عيديد، وثاني خطمة في "زَغْدَب"، ومبياتهم في "الرُّكبان" وثاني

يوم خطمة "الضُّوب"، والعصر "الغيل"، لكن تزيد خطمة او تستبدل خطمة بأخرى يقرها أبو القنيص، وفي مقنص الدرج لثاني يوم كنا ونحن أطفال مع بعض كبار السن من العجزه الذين قد يشاركوننا في الإنتظار، ننتظر في "قرين" موقع معروف في وادي دمون من الناحية الغربية الشمالية، نأخذ معنا شيئا من التمر والماء، ونمكث حتى ينحدر بعض القناصة من الجبل، فإن اصطادوا شيئا من الوعول صباح هذا اليوم فلنا قسم كبقية القناصة، وسواء كنا في "قرين" أو في "الغبره"، وكان الآباء يشجعوننا على ذلك. على أن تلك الخطم قد تتغيّر، فقد تضاف خطمة، أو تستبدل خطمة بغيرها، على وفق اتفاق قادة القنيص.

وبعض مواقع الخطم لها خصوصيات لشخصيات معينة، سواء كانت من ضمن القبيلة، أو افراد لهم ثقلهم المعرفي بالجبال وتحركات الصيد.

ومن تلك المواقع، كان هناك موقع أو أكثر من موقع يرتاده شخص معيّن (مبارك سعيد حيمدية)، ومات هذا الشخص موتة طبيعية في بيته، ويحل محله في تلك الأماكن شخص آخر، ولسوء حظه أو لعدم إدراكه لختل الصيد ومكره، تضيع عليه من المنفذ عدة وعول، أي تعبر من تلك المنافذ الصيد(الوعول) إلى خارج الخطمة، وكانت خيبة القناص وأسفهم.

وبعد رجوعهم في دخلة الزامل للبلدة قال شاعرهم:

ريت عزرائيل شاور با نعدل في الحساب

نقص ع أهله وربعه والملك هووالكتاب"[٢٩٢].

(٢٩٢) بيت الشعر لأحمد عوض منصر.

و"الملك" و"الكتاب" هما الموقعين اللذان يرتادهما حيمديه.

ومقنص حليمه، وهي أطول مدة يقضيها القناصة في الجبل(ستة أيام)، يتهيأ لها القناصة بشوق وفرحة وفيها أي في وديانها يقول الشاعر:

لي خطط حليمه في الجنه يكابر

ورد القرش لاهله إذا كان باير

وكان هذا رد على شاعر آخريقول:

حليمه هانش الله ولش مضوى السعامر

ومن قطع حليمه وقع في شورعاثر

اما مناسبة قول الشاعر والردعليه، ان الأخير قنص مع قناص حليمة فلم يفوزوا بشيء من وعولها. وقنص الأول مع قومه فحصل لهم المراد أو بعض المراد من الوعول فقال ماقال تشفيا في صاحب القول.. تشفي التنافس والتعصب للفرق الرياضية بمفهومنا اليوم.

وآخر يقول:

بغيت قبه وسط "مِحفِر" عإليه في سمكها

باطرحها في الوصية بغيت قبري وسطها[٢٩٣].

و"مِحفِر" خطمة من خطم قنيص حليمة، والخطمة موقع في شعب تكون فيه مراعي الصيد، أويستكن فيه اتقاء للبرد، ويتم ترتيب الرجال – من القناصة- في

(٢٩٣) بيت الشعر لعوض مبارك باعديل.

كل منفذ من الخطمة لرد الصيد – الوعول- إلى الخطمة، حيث تجد الرماة بالبنادق من ناحية، وفي المنافذ الكبيرة الشباك من ناحية أخرى، وقد تم نصب الشباك بالقرعة- وقد أشرنا إليها-، وقبل مداخل الشباك يكون هناك رجال من ذوى الأصوات الجهيرة، وربما كان معه مايذهل الوعل عن المخارج التي بين شبك وآخر، فما ان يتخطى صاحب "لوّله" وهو مستتر في مرباة، يخرج هذا من مرباته بصوته الجهير ويلحقه الذي يليه بأصواتهما أو كان معهما شيء يذهل الوعل عن المخارج الجانبيه وراء الشبك، فيرمي نفسه في الشبك فلا فكاك منه.

لكن إن سهى أو نعس من في "اللوله" ومن يليه الذي عليه إذهال الوعل ورعبه، فقد يتخطى الشباك بمشيته المعتادة ذات الخيلاء والزهو.

وهكذا كانوا يترقبون قناصة حليمة، وتتكون الخِبرأي الفرق، وتتم ترتيباتها من قبل بأيام يتم وزن زاد القنّاصة ويحمل على ظهور الجمال، وتقرع القرعه على الشباك في البلدة لأول مقنص، ويصف المعلم مقنص حليمة من قصيدة مطلعها:

أنا ابدي بالذي رافع السبع العليه

كريم الوجه لي عطوته خيرة عطية

وفيها:

بني مغراه شوقي لكم يا آل العنيه

ومن مسراحكم يستمع دمعي خويه

مراجزكم تشوق بمن شوقه شويه

قروح أروامكم منه السوداء نديه

وكـم مـن جـيـد عـند الـدبغ جدد حذيه
مـع الله سعـفـكـم خالـقـي رب الـبرية
.....
إلى خـطـمـة لذيك الـخطـم ما هي وطيه
هو "الغيل" البرك راس شو ما هو لـويه
عسى منه تقـع يا اصحابنا خيرة عـطـيه
ومضواكم إلى" الزيرق" احسنها ضـويه
"حليمه" بكره الصبح و"الضوب" العشيه

وفي "الـمجحاف" زف السمر بالمربعيه
وثاني يـوم مـقـنـص "حليمتنا الـعـليه"
يجي منها الذي يفرح الـمنصب وزيه
وعاد "الـقـفـل" تـفـرح مـناصبه الـهـيه
وعـنـد "الـكـهـد"ما باالـمـبابيت الـــدفـيه
يـبـيّـت فـــيـه مـن كان مـاعـنـده دريه
وثالث يـوم "مـحـفـر" وتمكـن له سـريه
لـحيث الـصيد يلـحق طـرق سمـحا بتيه
ولا له نـوم يرقـد إلى الشـمـس الـضحيه
"وللـفـجـيت" روحـه تـقـع مـنكـم بـتيـه

ورابـع يـوم نرجـى مـن "الـعـليا" هـديه
طـري يا اصحاب من لـحـم لـوراك الـطريه
وفــرحـه لي وصلـتو واعـضاكـم صـحـيه
ويـوم الــزف واوجاهــكــم سـمــحا بـتيه[٢٩٤]

ويوم الزف أو الدخله هو يوم وصول القناصة إلى البلدة، حيث يسبقهم المبشر بالجميلة، وقبل انحدارهم من الجبل، يطلقون الرصاص نحو البلدة إشعارا بفرحتهم"بالجميلة"، حيث يستقبلهم أهل البلدة وغيرهم، وخاصة الآباء والأطفال أبناء القناصة فهم متلهفون لهدية القنيص (خاصة قنيص حليمه) من الجبل، والهدية عصا مخططة بانحناءة في الرأس، تؤخذ من أشجار الجبل كشجرة السَّلَم أو غيرها، يقشر لحاؤها، ومن بعد يلف اللحاء في العصاء لفا حلزونيا وتعرض للنار، حيث يكون منظر العصاء بعدئذ بمظهر حلزوني أبيض وأسود جميل يبهج الأطفال، ويزهو به أبناء القنّاصة مع الدخلة والزف في اليوم الثاني.

يتجمع القناصة في الوادي الرماة حملة البنادق وحملة الشباك، ومن شارك في القنيص أو ممن لم يشارك من المستقبلين، في برَع ورجَز وزامل تلقى فيه الأشعار المعددة لمزايا القنص والقناصة والصيد، ويحمل الراقصون في المقدمة برؤوس الأوعال جميعها (ذكورها والإناث)، وبعض المتفرجين من عشاق القناصه يأخذون رأس الوعل "القشعة" وربما "قبلوها" وعدوا عجرها، والبلدة وأهل

(٢٩٤) الوقائع صـ٨٨.

البلدة في فرحة مزهوة "بالنصر" على حد تعبيرهم، وفي البلدة تقام الولائم، ويلتقي عشاق القناصة من القرى البعيدة والقريبة بالقناصة المحليين ليستمعوا إلى مقنص الوعل ذا أو ذاك، وكيف خر، وكيف صعد، وكيف قتل...وهكذا، ويستمع الواله لأكثر من قول ووصف مكرر من أكثر من شخصية دون أن يمل أو يسأم، ويرتاح القناصة بقية اليوم بعد التنصورة تحت بيت المنصب أو أبو القنيص، وفي صباح اليوم الثاني يكون الزف برؤوس الوعول، وفي العصر حيث تقام الروحة في موقعها المعروف، وقد طليت قشع الوعول بطلاء أسود، وعلقت عليها الأجراس، وبعد صلاة العصر، تجمعوا تحت بيت المنصب أو الأبو للتنصورة والمسيرة بخابة ورجز إلى موقع الروحة لرقصة القنيص، أو البرعة، يتقدم الخابة حملة رؤوس الأوعال(القشع) الذكورفقط، يتناولها الراقصون إلى موقع الروحه، حيث يصطف المنصب وأبو القنيص ووجهاء البلدة من القناصة والعشاق، وصاحب المدروف(الناي) والقصّاد، ويبدأ القصاد متّبعا نغم المدروف يترنم بقصيدة من شعر المعلم عبد الحق ومن غيره، يتخللها نوع من التمويل، ثم يغيّر صاحب المدروف نغمته، ويغيّر القصاد ترنيمه بحيث يكون النغم والترنم للبرعة أو الرقصة في انسجام وتناسق مع حركة الأرجل والتلويح بالخنجر أو السكين، مع حملة رؤوس الأوعال وبعض الراقصين قد يكونون أربعة أو أكثر، قد يكونون صفين في المدارة، أو يكونون دائرة، تتخللها التنصورة – كما قدمنا–، وكان للبقارة صوت خاص "للنعيش" ينسجم مع حركة الرأس بشعره الكثيف متتبعا نغم المدروف وإيقاعات الأرجل.

وهكذا تنتهي الروحة، ويتأهب الجميع للعودة بأراجيزهم بالكيفية السابقة إلى تحت بيت المنصب أو الأبو.

وفي حالة "التقناص"، وهو أن يصعد الجبل قنّاصه في غير موسم القنص، وخارج عن المراسيم العامة لقناصة الحافة، فما يصيدونه خارج عن التشريعات أو النظام المعمول به في القنيص العام، أو قنيص الحافة، ومهما حصلوا عليه من وعول كبيرة، أو عديدة فلا يحتفل بها.

ذلك أن سوارح وعوائد وأنظمة القناصة وتشريعاتها لها القدسية في التنفيذ، ولا يمكن التساهل أو الانحراف عنها، أيا كانت الأسباب.

ذكر أحد القناصة السابقين، حدثا من الحوادث التي يتكرر وقوعها في خطم القناصة ومرجعها للجان التحكيم، فقد رمى أحد القناص من المساكين وِعْلا وأدْماه، وسار الوعل بجرحه الدامي، ورماه بعدئذ أحد الرماة من وجهاء القبائل من غير البلدة فأوقعه، ووثي الوعل (أي ذبحه) وعده الأخير من حقه، وادعى صاحب الرمية الأولى بأحقيته وفق النظام المعمول به، غير أن الأخير أنكر أي إصابة سابقة في الوعل من غيره، وعقدت لجنة التحكيم جلستها للنظر في القضية، وربما شاب قرار اللجنة شيئا من المجاملة، أو التأويل الخاطىء أو المقصود، فأقرت الوعل للأخير. واستأنف الأول الحكم أو القرار، عند عقال القناصة وعدولها، واستمعوا لقول الطرفين، وأثبت الأول أنه أول من أدمى الوعل برميته وحدد الموقع، ولم يستطع الأخير أن يدحض ما أثبته الأول، ولا أثبت سابقته في موقع آخر، فحكم للأول وإن كان مسكينا.

وواقعة أخرى-من وقائع وأحداث كثيرة- تحكي قدسية النظم أو السوارح في القنيص.. وعل جريح من بندقية شاب..تحامل الوعل بجرحه النازف أن ينجو من الخطمه، فهاهو يتعثر قبالة مناصب(منافذ) الشباك.. يرعبه من يرعبه بصوته ويكاد يحمله حملا إلى الشبك دون لمسه، وهو منهك القوى، لكنها أرعبته الصيحات المتتابعة من خلفة.. ينذر أحدهم ذاك الذي أرهب الوعل بصيحاته، أنه سيطلق عليه النار من بندقيته، أو يترك الوعل يقرر مصيره المحتوم بإرادته، لكن ذلك لم يحفل بالتهديد، فهو أعرف بتشريعات القنيص، ومع قفزة الوعل، أو "شردة الموت" حط على الشبك، فكان من نصيب صاحب الشبك.

هي قوانين وتشريعات، يقدسها القناصة ويحترمونها على ما فيها من ايجابيات وسلبيات، وهي وإن شرعت أونظمت لزمن غير زمننا، وبآليات غير الآليات الحديثة، لكنها ظلت نافذة في خطم القناصة، لم تنفذ بمثل دقتها وقدسيتها بعض القوانين المدنية في الدولة.

والقناصة هي حديث مسلاتهم، وتسلية نزهتهم، وموضوعات سمرهم ورحلاتهم، وإن تكررت على المسامع، وهي محل روحاتهم ومقيلهم، لا يسأم من ترديدها القائل، ولا يمل سماعها السامع، وقد توافقت في حب القناصة والشغف بها كل الطبقات الاجتماعية تقريبا، وهم مابين إفراط واعتدال، حتى أن بعضا ممن أفرط في حب القناصة وذِكر الوعول ومراعيها وصيدها في حديثه الخاص والعام، أن وصفوا بأنهم" ذرية وعول"!!.

في فترة سابقة منع السلطان الكثيري بتريم بضغط من وجهاء السادة، عادة القناصة عن أبناء مدينة تريم، إلا أن آل دمون بصفتهم رعايا السلطنة القعيطية لم يشملهم المنع، وكان لهم مرور في أيام القناصة في وسط تريم، مارين غربي معهد الرباط بتريم برجزهم وخابتهم، فطُلِب من القائم بالوعظ في الرباط منع آل دمون من المرور غربي الرباط بزاملهم والرجز، لتفادي الوشوشة على المستمعين للوعظ أو الدرس، إلا أن الواعظ قال اسمعوا ما يقولون في رجزهم، وكان رجزهم في خابتهم بشل جماعي:

نحمد الله الكريم لي على خلقه نِعم غيثنا حنَّت رعوده فوق لَصبارالتحَم

فقال: أيجوز أن نمنع مثل هؤلاء...

وواقع اليوم، غير الأمس.. الأمس القريب والبعيد، هناك وفاق واتفاق في عشق القناصة، لكن هناك خلاف واختلاف في الرؤى والمفاهيم..هناك تنافر أوجدته الأحداث التي مرت بها البلدة ومازالت في عرصاتها المرئية والمخفية، وذلك بتعدد الانتماءات والرؤى، واختلال المقاييس في التعامل، لا في القنيص وحده، ولكن في كل مناحي الحياة.

وللزمن دورته، ومع كل دورة ومرحلة له تقلباته، فكان نصيب البلدة من هذه التقلبات أن انشقت فئة من سكان البلدة، وسلكت مسلكا خاصا بها للقناصة، ولكل من الفئتين خصوم وأنصار، أو بمعنى آخر محافظين على العادات والتقاليد الموروثة للقناصة، ومتمردين على ذلك الموروث لأسباب، لعل لها وجاهتها في الساحة اليوم بتعدد الانتماءات، والتعصب الذميم في كلا

الحالتين من الجانبين له دوافعه وبواعثه، لكننا نرجو ونأمل أن يتم وفاق، وليس ذلك ببعيد ولا مستحيل، لو وجد في الساحة من يطاع له الأمر.

لم يعد اليوم مفهوم للقنيص بالمفهوم القديم، ربما بالاسم فقط، فلم تعد الخطم هي تلك الخطم إلا فيما ندر، وأضحى الصعود إلى الجبال بالسيارات، وأضحت القناصة أشبه بالنزهة الجبلية، بل وقيل عن بعض القناصة في بعض المناطق أنهم يحملون معهم للجبال التليفزيونات وآلات اللهو والسمر الحديثة.

أنها المتغيّرات التي طالت كل شيء، وهو ما يجب على ابن العصر أن يعرفه، ويتفاعل معه، وأن يستكين لمستجداته، طالما أنها لا تبطل حقا، ولا تحق باطلا، ولا تحرم حلالا ولا تحل حراما، ولا تلغي سارحة، ولكن تتبنى تعديلها لتتماشى مع مستجدات العصر، بحيث تلم ولا تفرق.. تجمع ولا تشتت، لها غاية وهدف عرفها الأسلاف، أكانت الغاية رياضة، أم بهجة ومتعة حسية أو معنوية، فلتكن الغاية والهدف كما هي، سواء كانت من فرقة أو من فرقتين، فالبلدة للجميع، والفرحة للجميع.

٢ – مـــداد الـحـضـر:

الحضر فرقة من المساكين، أو من يسمون بالقرار، أو الحرفيين لكونهم ملتزمين مواقع حرفهم داخل البلدة، ولهم تخصصاتهم في مجتمعهم، ولهم رقصاتهم الشعبية المعروفة بالشبواني، ويقرر أبو الحافة..حافة الحضر.. "المندر"، أو "المداد"، والذي سمي أخيرا "بالمطلع السنوي"، وسمي بعد إلغاء نظام

الحافة بالبلدة، "بيوم الأرض" (يوم ٧ اكتوبر من كل عام)، لكن حديثنا عن مداد الحضر في وقته، فبعد أن يقرر أبو الحافة يجتمع رجال الحافة عند الأبو، ويحددون اليوم، كما يحددون العدد من الرجال والأطفال، ومن تتم دعوتهم من الشخصيات الهامة والأعيان في البلدة، ويقررون حينها شعّار المدارة للشبواني من البلدة ومن غير البلدة، ونوعية الذبيحة وعددها أكانت من الماعز، أومن الضان، أو من البقر كالثور في السابق، وكم المبالغ التي يمكن تحصيلها من رجال الحضر كل على حده، وربما حصلوا على معونة من الوجهاء وهي معونة رمزية، ويتم ترتيب المندر(المداد) بأدواته ومونته وماعونه، ويترتب على البعض من رجال الحافة مهام استثنائية خاصة للقيام بها لترتيب ونجاح المندر، وتخطي النقائص، وهكذا، ففي اليوم المحدد يبكّر رجال الحافة (الحضر) بعدتهم الطبول- الهاجر "والمراويس" "والطويس" متعممين بالرماميل" الحيدرعباد"، حاملين عصيهم رافعين أزرهم إلى نصف الساق، وتبدأ المسيرة برجز الشبواني من وسط السوق – ماكان يعرف بالسوق – أو من المراغة، وتعطى لهم الأبيات الشعرية من شعّار البلدة حتى يتخطون البلدة، ثم يتجهون إلى المسيلة مشيا على الأقدام – بدون عدة- إلا من بعض المدعوين على مراكيبهم من الحمير، وتحت ظل أشجار النخيل في المسيلة حيث قد هيأ المواقع للنزل رجال سبقوهم. وهناك يتم الذبح ويتوافد الرجال ويحتلقون "بالتفل" التي عليها لحم الذبيحة أو الذبائح، ويكون من القصّاد والمغنين القصيد من أشعار المعلم أو غيره، ومن الرواة رواية ألأشعار والمناسبة التي قيلت فيها تلك الأشعار، ومن المنكتين

النكت، بمزح بريء، ورضاء وسرور وجذل.. ببهجة ومرح تسود الجميع، ومن يستحم في ماء المسيلة تحت السد، وعلى فكرة كانت المياه تحت السدود في المسيلة لا تغبها إلا في النادر، حتى لو انقطعت عنها السيول عدة سنوات، ويتناولون وجبة الغداء، ولكل فرد نصيبه من اللحم، وذلك بعد أداء صلاة الظهر، وقد تخرج "شلل" أو فرق من البلدة أخرى لها موقعها المجاورغير مرتبطة بالحضر، ومن بعد صلاة العصر تبدأ حركة الرواح، ويتم لملمة الرجال في صفوف في الطريق العام بعيدا عن تشابكات سعف أشجار النخيل القصار، (حينها لاوجود مطلقا لشجرة السيسبان في المسيلة ولا في البلدة) وتبدأ الروحة برجزالشبواني، ويتبارى الشعار في أقوالهم، ممن هم من أهل البلدة أو من المدعوين من غير البلدة حتى إذان المغرب، وفي المساء تقام سرية بالرجز ومن ثم يتم الشبواني (الفرِق)، ويتبارى الشعار في المدارة حتى ساعة متأخرة من الليل، وهكذا تعيش البلدة في فرحة، حتى وإن لم يكن من حافة الحضر، فالفرحة فرحة سكان البلدة عامة.

كما أشرنا أنه بعد إلغاء نظام الحافة، استعاض أولياء الأمر في البلدة "بمداد الحضر" بما سمي بـ "يوم الأرض" وهو في اليوم السابع من شهر اكتوبر، وأسسوا لجنة الأ لعاب الشعبية عوضا عن مهام أبو الحافة للشبواني، وكانت مكونة من: خميس سعيّد بن محفوظ، وعبد الله عيسى الزبيدي، وخميس سالم باخريصه، وخميس عوض باحشوان، واستمرالإحتفاء به على نهج "المداد" بالنسبة للشبواني، وقد يكون "المداد" في المسيلة، أو في غيرها من المواقع المهيأة

بطبيعتها للنزهة.. حيث تتكون فرق من رجال البلدة، كل فرقة بمونتها وماعونها وفي الأغلب ذبيحتها وعلى حسابهم الخاص، ويعودون عصرية ذلك اليوم برجز الشبواني (العدة).. من هو داخل الرجز ومن هم خارجه، وقد يكون المداد في البلدة لايتعداها، وتتكفل بجزء من مصاريفه الدولة أوبعض المنظمات الجماهيرية (كتعاونية الفلاحين حينها)، وبدعوات خاصة لوجبة العشاء لمسئولين في الدولة وبعض مدراء مؤسساتها في المديرية، ومسئولي التنظيم السياسي الحاكم، واللجان الشعبية (حينها)، والشعّار لوجبة العشاء، وبعد تناول العشاء، يتجمع عشاق اللعبة(الشبواني) حيث تبدأ السرية، ومن ثم السمر مع الشعار في المدارة.

بعد قيام الوحدة، تسمى: "بالمطلع السنوي للحافة"، وهو من مهام لجنة الألعاب الشعبية بالبلدة، حيث تحرك بعض أعضائها لكثير من الشخصيات بالدعم للمطلع السنوي، وكان آخر مطلع للبلدة عام ٢٠٠٧م وقد شاركت فيه فرق الشبواني من كل الحويف تقريبا بتريم وبعض من حويف سيون وشبام.

وقد حضر جزءا منه محافظ المحافظة حينها (عبدالقادر علي هلال)، وأمر فيها برصف ساحة الأفراح الشعبية وما حولها.

ومع أنه لم يعقبه مطلع آخر في البلدة بعد ذلك لأسباب متعددة، إلا ان فرقة الألعاب الشعبية تشارك الحويف الأخرى في الوادي في مطالعها السنوية كمشاركة، أو بعدتها كاملة.

٣- مداد البقارة:

وللبقاره مداد خاص بهم، والمداد معروف، نزهة ترفيهية تقوم بها بعض الحويف والفرِق أو البشكات الخاصة، سواء للمسيلة، أو غيرها.

أما البقارة و"مدادهم" فهو خاص بهم، سواء من كان منهم بدمون أو من عيديد(الخليف) أو تاربه أو السويري وغيرها من الأحياء، ومن القرى المجاورة التي يسكنون فيها، والمعروف أنهم كانوا يتجمعون في منادرهم إما عند حصاة "باصاع" من الناحية الشمالية الشرقية(شرقي المشروخه) من دمون، أو إلى مولى عيديد، أو إلى أطراف المسيلة في "وشيحه" مثلا، أو في المسيلة نفسها، أو يختارون موقعا آخر، والمعروف عنهم أنهم يتقاسمون زعامة المنادر وقيادتها، بقّارة دمون، وبقارة الخليف(عيديد)، أي سنة يتزعم المندر ويقوده بقّارة دمون، وسنة أخرى يتزعمه ويقوده بقّارة الخليف، وهم يتوجهون إلى الموقع بخابتهم التي تشبه خابة الحافة ورجزها، وتتميّز بالنعيش، وهناك يكون مدادهم، ويقال إنه قد اجتمع في المداد خمسة وعشرين رجلا منهم نعّاشة بشعور رؤوسهم الطبيعية الطويلة. وفي ظل حصاة باصاع في دمون، أو في ظل حصاة أخرى في عيديد، أو في ظل شجرة الإثل في "وشيحه"، أو تحت ظل أشجار النخيل في المسيلة أو في غيرها من الشعاب والوديان يكون متنزهم بالغناء والقصيد والزفين (الرقص) على لحن بني مغراه، ولهم لحن متميّز بصوت معروف سواء كان في رجزهم وخابتهم الخاصة، أو عند المشاركة في رقصة الرزيح مع غيرهم، بنغمة تتمدد من حناجرعذبة الصوت قبل أن يبدأ الشل بالقصيد مثل:

ياهيلمان هو ليا..

بالي بلا يابالي بلا بلبالي..ياهيلمان هوووليا

عينت بارق في القبله ونا في هود ياهيلمان هوليا آي يابالي.. الخ

وفي العصرية يعودون بأراجيزهم ونعيشهم إلى مواقعهم أو الموقع الذي انطلقوا منه، ولمدادهم شهرة شعبية واسعة، حيث يتجمع الأهالي من كل القرى المجاورة ومن أحياء وضواحي المدينة للتفرج على ما يقدمه البقارة في خابتهم من تناغم وانسجام وحركات مع أصوات الشلالين المعروفة بجهورتها وحركة الرأس المتمايلة مع الشعر الكثيف يمنة ويسرة وانحناءة بحركة متناسقة مع وقع الأقدام الشابة بالأرض.

والقصادة من البلدة من البقارة: سلمان علي بكر، وعوض سلمان بكر، وربما شاركهم غيرهم من قصادة البلدة، أو من بقارة الأحياء الأخرى لمدينة تريم وضواحيها، خاصة في مدادهم.

ويقول السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب:" أنهم يتفقون بينهم على موعد بعد تشقيق الأرض بصرع الشتاء، ويخرجون فيه إلى أحد الشّعاب بأ بنائهم وأبقارهم، ويذبحون ويأكلون بعد إعلام رؤساء الحافة التي سيخرجون في شعابها"[٢٩٥].

وأن أسفنا على فقدان تراث شعبي سواء كان من تراثنا الشعبي، أو من تراث مجلوب تأقلم وأصبح في طور من أطوار تاريخنا جزءا من تراثنا

(٢٩٥) بن شهاب: عادات بادت صـ ٦٥، ٦٦.

وسوارحنا، وأسفنا لفقدان هذا التراث بحركاته وأراجيزه التي تعبرعن خاصية المهنة لهذه الشريحه وتجسيدها في حركة النعيش.

ومن التغييرات التي حدثت في المجتمع بناسه ومهنه، فمن كانوا يدعون بقارة بمهنتهم فقد انتفت عنهم صفة البقارة المهنية (أي شق الأرض)، فقد امتهنوا مهنا أخرى بعد أن قامت بشق الأرض المركبات، واغترب البعض منهم، وأعتقوا أنفسهم من شق الأرض ومكابدة الثيران، وتملكوا عوضا عنها السيارات الكبيرة وغيرها. وبسطوة المفاهيم الجديدة والآلات الحديثة لم يعد أحد يرسل شعره، ولا عرف مهنة آبائه، ولا حافظ على لبس كان من خصوصياته، وربما جهل الجيل الجديد من أبنائهم كيفية النعيش، وما تعنيه كلمة البقارة، واندمجوا مع مجتمعهم واختفت حالة التميّز إلا فيما لا يكون تميّزا.

٤ – عادات الزواج:

ربما مصادرنا عن عادات الزواج القديمة في البلدة شحيحة، إذا لم تكن معدومة، وما عرف عن بعض العادات، إنما أخذ بالتلقي عن أب وعن جد، أو عن وصف مبتور، أو نتف من مؤلفات قديمة، وكنت أود أن أعرف شيئا عن عادات الزواج في شعر المعلم عبد الحق- مثلا- في وقته، إلا انه – في ديوانه المسمى الوقائع- أطنب في وصف الوقائع العسكرية بين المتحاربين في زمنه، كما طال واستطال في وصف القنيص والقناصة، وربما بعض المراثي، لكنه لم يتطرق لوصف ولو حالة واحدة من عادات وأفراح الزواج التي لابد وأنها كانت تقام في وقته.

لكن تواتر مكونات الأجيال السابقة وتوارثها، أبقت شيئا مما كان عليه السلف، وإن طاله شيء فيما بعد، من التنقص والمبالغة والتغييروالتهذيب تبعا للراوي وتطورالزمن.

ولكل زمن ومرحلة في التاريخ الإنساني ناسها وعاداتها، تشكلها بيئتها بأمنها واستقرارها، أو خوفها وهلعها، وغناها وفقرها، وفي كل الأحوال وعلى مسنون الحياة والأحياء، أن لمراسيم الزواج فرحة، وله طقوس وشعائر، كعادات أو عوائد راسخة قد يمسها شيء من المبالغة والترف، أو قد تكون بنسبة متواضعة حسب الإمكانيات المتاحة.

ولعل الفوارق الطبقية التي هي جزء من التركيبة الاجتماعية، لها دور كبير في تنوع الأفراح وعوائد وعادات الزواج وغيرها في البلدة.. فأفراح السادة- مثلا- ليست كأفراح القبائل، وأفراح القبائل ليست كأفراح غيرها من الشرائح الطبقية الأخرى، فلكل طبقة طقوسها في الأفراح، وإن اتفقت في كثير من مظاهرها ومقاصدها، وإذ خصصنا عنواننا بالزواج في عمومه بين كل الشرائح، حيث لا يوجد هناك خلاف جوهري بين الطبقات، إلا في تنوع احتفالاتها سواء في مراسيم الزواج أوماتعلق وارتبط به.

فالزواج تبدأ مراسيمه العامة بالخطوبة، ثم الزواج، ثم الولادة والختان، وما يتخلل ذلك من تفرعات أخرى.

ثمة توافق في مسيرة أفراح ومراسيم الزواج، فالخطوبة عند كل الشرائح الطبقية، وهي أن يبدأ الحديث بين الأب والأم عن من يختارونه من فتيات الأسر

كزوجة للولد. ولم يكن للولد رأي، وحتى وان استشير، فهو يرجح رأيهما في أغلب الأحوال إذا لم تكن في عمومها، وكذلك البنت لا تستشار ولا رأي لها، بل إنها تبقى جاهلة أنها خطبت ومن خطبها، ناهيك عن موعد زفافها، إلا في حالات استثنائية، والمعروف أن الاستثناء ليس قاعدة.

عندما يتفق الأبوان في اختيار البنت من تلك الأسرة، ترسل الأم امرأة إلى أم الفتاة، أو قريبة لها بالرغبة في خطوبة البنت، وهنا تبدأ المشاورة في أسرة الفتاة، والتعرف على أسرة الخاطب والعريس، وفي واقعنا أن البلدة ومن فيها لا يحجبهما حاجب للتعارف عن بعضهما البعض، ولكن قد تختلف الآراء بين أسرة الفتاة في القبول أو الرفض لمن خطب، فإن اقر الرفض اعتذروا بعذر ليس فيه جرح كرامه، وإن قبلوا، قيل أرسلوا الخطيب..كان إرسال الخطيب بسرية تامة، حيث يتم الإتفاق مع أب الفتاة أو ولي أمرها على تحديد المهر، وتحديد موعد الزواج، ودفع مقدم المهر(الجهاز)، ومن ثم تحجب الفتاة إن كانت مازالت طليقة ترتاد الشارع لصغر سنها، على وفق عادات شريحتها الطبقية، وإلا فبعض الشرائح تبقى البنت طليقة تخرج من البيت في أي وقت تشاء سواء لقضاء حاجة أسرتها، أو إلى مزرعتها حتى ليلة "حكاها"، وبعض الشرائح تحتجب البنت في سن معينة، ولا تخرج من بيتها، ولا يراها في بيتها من زوار البيت إلا من كان قريبا.. قرابة رحم، بل وتحتجب حتى من بعض الفتيات والنساء الأجانب.

كان من يتولى مهام الخطوبة لبعض الشرائح الطبقية شخصيات معروفة، بحيث تتمكن من تلافي وحل أي مشكلة تحدث بين العائلتين قبل وفي أثناء

الزواج، وربما تواصل والد الفتى أو الخطيب مباشرة مع والد الفتاة، أو ولي أمرها دون أي اتصال مسبق من أية جهة.

والزواج بين الشرائح أو الطبقات الاجتماعية يتم في عمومه بتوافق، أو تكافؤ طبقي وأسري متعارف عليه، إلا إن له خروجا محدودا عن هذه العمومية أو التوافق الطبقي، فالسيّد لا يزوج بنته إلا سيّدا مثله، ولكن السيّد قد يتزوج من شاء من كل الشرائح الطبقية الأخرى، والشيخ لا يتزوج إلا من شبيهة له في النسب أو العلم، وربما تزوج من شريحة طبقية أدنى، والقبيلي يتزوج من صنوه، وربما تزوج من غير طبقته، والمساكين والحرفيين أكفاء لبعض بتوافق نسبي في المهنة أو الحالة الاجتماعية، هذا على التركيبة الطبقية في البلدة.

حتى وقت قريب كانت الفتاة..أي فتاة – في الغالب– لا تعرف شيئا عن خطيبها، ولا موعد زواجها، فقد تفاجأ بليلة "الحكا"، وكانت تخجل وتغضب من كلمة "عروس" أو ذكر زواجها من مثيلاتها، وربما قطعت الصلة مع من تفوهت بمثل هذه الكلمة، وقد تتزوج البنت القاصر في بعض الطبقات في سن الحادية عشر من سنها، ويتم بلوغها الشرعي في بيت الزوجية بعد سنوات، وبعض شرائح المجتمع أو الطبقات تتزوج الفتاة مع سنها المؤهل للزواج، ولكن بزوج في سن والدها وربما أكبر من سن والدها، وتعرف جيّدا أسرة الفتاة أن من تقدم لخطبتها مزواجا، ولديه زوجة وأولاد، وربما أحفادا من زوجة أو زوجات أخر في سن ابنتهم وربما أكبر، فيرتضونه، لأن انحصار المفاهيم في الكفاءة بالنسب، والنسب وحده مع قلة الذكور وكثرت الإناث، جعلت الأهل يقبلون

بأي رجل من طبقتهم، لكي تتحرر الفتاة من سجن العادات في البيت، ولو لشيخ هرم، أو مزواج صاحب مزاج معروف.

مراسيم الزواج في كل الطبقات تبدأ مع اختلافات بسيطة في ظاهرها، على وفق عوائد وعادات كل طبقة، لكنها متفقة في الأسس أو الإطار العام للمراسيم.

قبل مراسيم الزواج أو حلول الموعد، وربما قبل الخطوبة يتم في بيت أهل العروس، الإعداد والتحضير لأثاث وحلي العروس ولبسها ولوازم الفرح، سواء بالشراء المتدرج أو بتصنيع ما يمكن تصنيعه وتجميعه، وإن كان في السابق كل ذلك يبدو-لنا-متواضعا وبسيطا لكل الشرائح تقريبا، انما للظروف المعيشية الصعبة التي يعيشها من يعيشها لا تبدو بالبساطة التي تبدو لنا.

والأثاث فهو من "المكل"[٢٩٦] ، "والمسارف" "والقفف"، و"الوسائد" و"الملابس"، و"الحلي" وكانت من الفضة، ومن غيرها من الخرز، وهي عبارة عن "الهلال" "والمعنى" "والراعي"، و"مطل"، و"حزام" بدلا عن النطاق، و"أقراط" و"مريّة" وغيرها، (وهناك أسر من الطبقات لها امكانيات خاصة، تشذ عن هذه القاعدة العامة).

واللبس – فساتين العروس- ربما هي لاتزيد عن ثلاثة أو خمسة مع النقاب والمعارق- والمعرقة هي الثوب الداخلي-، وكل لبس لخاصيته، إضافة إلى قميص الصلاة والخمار، وما يتوجب لزينتها في تلك الفترة.

(٢٩٦) جمع مكيل-وهو الحصير المنسوج من السعف أو خوص النخل

أما أهل العريس فيقومون بتهيئة منزل العريس خاصة، وما يتطلبه من نورة للجدار، وتهيئة موقع الفانوس أو"الكرهبان" فيما بعد، أو دهن الباب والنوافذ، وبعض الشرائح جعلت للنوافذ شبك من أقصام النخل، وربما زين المنزل بشيء من النقوش البدائية غير المنسجمة وتهيئة البيت بصورة عامة.

وقد حدد أهل الدارين-دار العروس ودار العريس- الذبائح ونوعيتها كل على حده، ويتم إعلافها بصورة استثنائية والعناية بها، وربما تم عزلها عن بقية الأغنام لتسمن ويكثر شحمها ولحمها، وتطيب بذلك السّمَن الوجبة، وكانت الأغنام من "التلد" أي الأغنام البلدي، سواء من الخرفان، أو التيوس، وقد تأتي التيوس من الجهة الشرقية(حدرى) ومعروفة التيوس بأنها "أم ساق" وهي ذات جسم وبدنة أبرز وأرفع من التيس البلدي.

حين يتم تحديد الموعد للزواج، يتم إشعار "الكوبره" "والمعقدة" "والمحنية" "والمشترحه"، ويبدأ بالتحضيرللوازم الولائم من بر وبهارات وسمن وحطب، فيطحن من الذرة والبرما يطحن، بما يكون منه للوجبات أو للفطور، والأرز – في الفترة المتأخرة ينقى من شوائبه، ويعيّن الطباخ، وربما عيّن الطباخ مساعديه لبعض الشرائح.

إنما هذا تعريف مختصر، قد نتناول التفاصيل في البعض فيما بعد، ويتحدد موعد الزواج بين الطرفين مباشرة، أو بواسطة الخطيب، وبتحديد المدعوين المروحين (حراوة) والمصبحين (صبحه)، وتكتب الدعوات من قبل أسبوع، ويبدأ بتوزيعها على المدعوين أهل العروس قبل يوم من توزيع دعوات أهل

العريس، وفي السابق كانت الدعوات شفهية عند بعض الشرائح، والدعوات تحدد ليلة المرجة، ويوم العرس وفيه الحراوه، ويوم الصبحه بالنسبة للعريس، وبالنسبة للعروس تحدد ليلة الحكا، ويوم العرس وفيه الحراوة، والمصبحين إلى بيت العريس يوم الصبحه.

أما العقد..عقد القران فيتم عند بعض الطبقات قبل يوم أو يومين، أو أكثر من بدء المراسيم، وكان العقد يتم في بيت المأذون الشرعي، وبعض الطبقات يتم العقد قبل تناول عشاء الحراوة في بيت أهل العروس.

ولعل مما يجدر بنا الوقوف عند العقد لنعطي إشارة لمن ولى عقود الأنكحة في البلدة، فأول ما عرف ممن تولى عقد الأنكحة في البلدة هو:" السيّد حسين بن عبد الرحمن بن شهاب الدين، والمهر على ما قرره السيّد عمر المحضار (توفي سنة ٨٣٣ هـ) -بالنسبة للسادة-وهو خمس أواق فضة، وبقي السادة على هذا المقرر في عقودهم "[٢٩٧]، وكذلك بقي بعض المشايخ كالسادة على ذلك إلى اليوم. وقد جعل مهرغيرهم – من غير السادة-خمس أواق عدي نقدا، إلا إن هذا المهرالأخير لم يعد معمولا به منذ زمن طويل.

وتولى بعده عقد الأنكحة ابنه السيّد عبد القادر بن حسين بن شهاب الدين، ثم ابنه السيّد محمد بن عبد القادر بن شهاب الدين، ثم السيّد علي بن محمد بن شهاب، ثم السيّد عمر بن أحمد المشهور، ثم ابنه السيد عبد الله بن عمر المشهور،

(٢٩٧) ابوبكر بن علي بن شهاب: رحلة الأسفار-مخطوط-صـ ١٧.

ثم – حاليا–محمد سالم صبيح، (خريج كلية الشريعة) الموكول الرسمي لعقد الأنكحة من قبل السلطة.

ولا تحديد في الوقت الحاضر للمهر المدفوع، أو المتفق عليه عند كل الطبقات، انما لكل طبقة عوائدها، حتى وإن أعلن تحديد المبلغ عند العقد لأغلب الشرائح تقريبا.

والمعروف أن الموقع الذي يتم فيه العقد، يحدد من قبل أهل العروس في الوقت الحاضر، وفي الأغلب يتم العقد في المساجد باستثناء السادة، والبعض من الشرائح الطبقية الأخرى، أو في بيت العروس أيضا، أوحسب طلب ذوي الزواج.

تبدأ مراسيم الفرح من عصر ليلة الحكا، وعصر ليلة المرجه (أو المريه كما ننطقها) عند البعض.

فمن الصباح تعبأ "الأوردة" على "السلم" والقرب الكبيرة بالماء للشرب لتبريدها، ويطيّب الماء بإضافة مدقوق شجرة الشنان[٢٩٨]، والأوردة هي قِرَب كبار من جلد الثور المدبوغ، والسلم ثلاث هراوات من خشب العلب المدور القوي تربطها من الأعلى حلقة معدنية، ينتصبن الثلاث كأعمدة مائلات توضع الأوردة في رأس كل هراوة من فوق الحلقة الحديدية.

في عصرية ليلة "الحكا"–سواء كان الحكا عصرا أو في المساء–، فالرجال في المطبخ من وقت الظهرللذبح وتفصيل لحم الذبائح، وقدّ البعض منه، ليشكل "المغاضيف" بعد تمثيلها وطيها سواء بأمصور الذبيحة(الأمعاء)، أو ما ينتزع من

(٢٩٨) شجرة جبلية لها رائحة زكية نفاذة.

جدار الأمصور(لحو). ولطبخ وجبة العشا، وقد كانت وجبة الولائم من الهريس، والهريس من البر ودقيقه، والسمن، ومرق اللحم ولها خبط وخلط ودعك في القدور، يتناوبه الرجال الأشداء بترنماتهم.

وبعد مرحلة وجبة الهريس، ووجود الأرز، كانت الوجبة من الأرز بماعرف عن طبخة الـ"مونه"، وهي تعتمد على الأرز وعلى مرق الذبائح السمان بالدرجة الأولى إضافة إلى البهارات المعروفة، وبعد نضج الطبخة في القدور النحاسية الكبيرة يذر عليها شيئا من السمن البنادري[٢٩٩] .

يتم حكا العروس إما العصرية، أو بعد إذان العشاء، (وفي الوقت الحاضرالبعض في الصباح) وذلك بدعوة العروس من مخدعها أو غرفتها في البيت، أو استدعائها من بيت عم أو خال، أو جار فتباغت في أي ردهة من البيت بمن تغطي رأسها بغطاء من قماش جديد، والأغلب مستعمل، وقد يكون من مخلفات أب، أو أم، أو جد، أو جدة. وهناك من ينتظر تلك اللحظة من النساء القريبات والمدعوات فما أن يضع الغشاء على الرأس والوجه يتبادرن بالتعاييط(يحجرن) بأصوات معروفة، ويفقع طبل المشترحات، وقد تكون هناك بعض الاختلافات البسيطة في الكيفية بالنسبة لكل طبقة وعوائدها ووعيها.

كانت أغلب الفتيات تقاوم، وتصرخ وتبكي وتتشنج، وتتجاوب بعض الأمهات مع بكاء البنت فتبكي الأم وتنتحب، ومن ثم تؤخذ البنت –كعروس–إلى الغرفة المهيئة للشرح، وقد انتقلت الفتاة من مرحلة في حياتها إلى

(٢٩٩) سمن حيواني صومالي بنكهته المتميّزة.

مرحلة أخرى تحت لعلعة التعابيط المتواصلة مع تواصل الشرح والغناء والزفين والنعيش والرقص بالأكف والمراقيص. بعدئذ تهيأ العروس بالغسل-إن لم يكن قد تم قبل ذلك عند بعض الشرائح-، ويتم دهن شعر الرأس بزيت السمسم وتمشيطه، وتقوم المحنية بحنا(خضاب) كفي العروس وقدميها، مع استمرار الرقص والزفين مع الغناء، يتخللها فترات راحة قصيرة، وربما ترنمن المشترحات مع المدعوات "بالخيبعان" عصر هذا اليوم أو في المساء، وقد لايكون هناك خيبعان لبعض الشرائح. ثم تناول وجبة العشاء سواء كانت من الهريس وتخصير اللحم، أو من أرز "المونة" وتخصير اللحم.

كان المدعوات ليلة الحكا بمحدودية الأقارب والأرحام، وكذا المدعوين من الرجال، ويتم أولا تقديم وجبة العشاء للرجال، في الصحاف والجفان، ويوضع في وسطها السمن البلدي(عكه) فبعد اكتمال وجود المدعوين يقوم من يقوم بغسل الأيدي وبعد الغسل يتم فرش التفل، ثم تقدم الجفان بما فيها، ويؤذن لهم بالأكل، ويتم التخصير- سيأتي تفصيله-، وبعد تناول الوجبة يتم غسل الأيدي أيضا، ثم بعد فترة الجفان والصحاف، قدمت الوجبات في صحون من النحاس المبيّض بالرصاص، وبعد ذلك جاء دور "التباسي" للأرز وهي صينية(طبق) مدورة كبيرة من المعدن المطلي.

بعد تناول وجبة العشاء قد يكون هناك شرح متقطع للسمرأو للرقصة، والبعض من القريبات يقمن بقرش البصل، أي نزع الطبقة الفوقيه من البصلة، وتقطيعه، وكذا قراشة الثوم، ولهن في ذلك أهازيج وغنا جماعي و تتخلل ذلك تنصورة مثل:" وِدْرك على صحبك وابشِر بما يسرك والله(واللا) سو عيييييو".

في اليوم الثاني، أي يوم العرس، يفقع الطبل من الصباح بخروج العروس من الطهارة (من الحمام) أي بعد غسل خضابها، وربما غيّرت لبسها، وتحمل العمات والخالات للعروس فرش العروس والمساند ويدرن به دورات في محيط الغرفة مع الترنم بإيقاعات الشرح والغناء، فيضعنه حيث المقرر له، فيكون مقعد العروس. وتقوم المحنية بعدئذ بردف الحناء(الخضاب) من جديد، أي الإعادة بتتبع النقش الأول، ويلوّن بعض النقش منه بالأسود(شب مع الإسمنت)، ويتم ظفر(تعقيد) شعر الرأس كله من قبل "المعقدة" بظفائر دقيقة مجزأة بخدود في الجانبين من الرأس والخلف، مع شرح متقطع، أو رقصات متقطعة إلى مابعد صلاة الظهر.وقد يستمر الغناء مع الطبل حتى تناول وجبة الغداء، علما بأن الشرح حينها يقال له شرح عِجِل، بإيقاعات خاصة وزفين خاص يسنده الرقص في الغالب بالمراقيص الخشبية وبالأكف.

وكانت "الرّكْزَه" تتم في صباح هذا اليوم، وتشارك في شرح "الركزه" المدعوات وغير المدعوات لولائم الزواج، وبعد الإنتهاء تعود غير المدعوات إلى بيوتهن. وقد تم تأخير توقيت"الركزه" في وقت متأخر إلى وقت الظهر بحيث لم تشارك فيها إلا المدعوات لوجبة الغدا. و"الركزه" مقطع شرحي خاص للنساء، يعقبه في الوقت الأخير، أو في أثنائه "الخيبعان" عند البعض، أو "الهداني" الذي حل محل الخيبعان. وسيأتي تفصيل الخيبعان والهداني لاحقا.

أما الرجال فهم في شغل وحركة نشطة للتحضير لوليمة عشاء الحراوة من ذبح وطبخ كما بيناه سابقا، وكان عشاء الحراوة يتم تقديمه للمدعوين عصرا على وفق التوقيت الصيفي والشتوي، وبنفس الطريقة أو الوتيرة السابقة.

وتجيء الحراوة يتقدمها العريس والأقرباء مع ما يرافقها من أهازيج الفرق سواء كانت من "خدام السقاف" للسادة، أو الزامل للقبائل، أوفرقة الزربادي، أو "الخابة" أوالعدة "الشبواني" لغيرهم، وربما إكتفى البعض بالمسير العادي، وتلتم مع المدعوين من قبل أهل العروس، وتقدم لهم وجبة العشاء بين الساعة الرابعة والخامسة عصرا.

وكان بعض المدعوون أكان من قبل أهل العروس، أو من قبل العريس – البعض منهم-يأخذ خصاره-لحمه المخصص(حصته) له معه إلى بيته لأولاده سواء تم وضعه في ثبانه، أو حمله بيده ملفوفا بلف معيّن، ويكتفي هو بالأكل سواء كانت هريسة أو أرز المونة.

وتتناول المدعوات العشاء عقب تناول الرجال وجبتهم، ونادرا ما يكون مع الحراوة من قبل العريس النساء، إلا ماكان في الأوقات المتأخرة من عدة نساء لاتتعدى أصابع اليدين.

وبعد تناول وجبة العشاء..عشاء الحراوة لجميع المدعوين تهدى للبعض ممن لم تصلهم الدعوات "طُعمة" من الوجبة، أي جزء من الوجبة، وبعدئذ يدق الطبل بالشرح "للجَمَالة" أي أن كل المدعوين قد تناولوا وجبتهم بدون نقصان.

وفي المساء-مساء اليوم الثاني-وما زلنا في بيت العروس، فقد يكون هناك سمر مع شرح متقطع، لأن أهل العروس منشدهين بترتيب المسرى أو "السرية"، وفي إنتظار الوافدات من قبل العريس، وتهيئة العروس لمغادرة بيتها إلى بيت الزوجية مع متطلباتها أو بتولها، وفي المراحل الأخيرة كان بعض من

البتول لغرفة العروس يسبقها إلى بيت الزوجية أو غرفتها في بيت الزوج بأيام أو يومين حيث توضع ماعونها في غرفة خاصة للزوج- وَضِيع- خاص أو "كبت" ويتم إغلاقه من قبل أهل العروس ويكون معهم المفتاح إلى هذه الليلة.

يأتي العريس مع ثلة من قومه، (وتفد معه النساء بالأهازيج والغناء، سنأتي على ذلك عند العودة) وفي مقدمتهم الخطيب، حاملين قهوتهم في "الكُعدة"، حيث يستقبلهم أهل العروس، وربما قَصَد(غنّى) من له إلمام بشيء من قصيد الدان للسمر، وربما استضيف مغني (قصاد)، وتدور القهوة من الكعدة في السابق للسمار، وحل محل القهوة الشاي وغيره فيما بعد، ولكن من بيت العروس، حتى يحين موعد السرية، ويحددها الخطيب في السابق، أوالإنتهاء من التهيئة ولم البتول في "البقش" أوفي صناديق خشبية مستوردة مطرزة بتشكيلات نحاسية- عند بعض الشرائح، أو صناديق محلية من شغل النجار، أو معدنية سواء من القصدير - من عمل الحداد - أو من غيره، وربما نقشت جوانبها بنقوش مشكّلة من عدة ألوان وغيرها، والبُقْشه هي قطعة قماش مربوعة يوضع في داخلها شيء من الملبوس أو غيره، ثم يتم لفها وربطها بأطرافها للحمل، وذلك قبل وجود الشنط المعروفة اليوم.

وعلى إختلاف البتول في مراحل معينة من مراحل البلدة، وبإختلاف الشرائح الطبقية، واختلاف حالتها المادية، فإنها متفقة بالتسمية بتول المرأة على ما في هذا البتول من تفاوت في كل مرحلة وعند كل طبقة.

ففي السابق كان بتول المرأة، وقد أشرنا إلى بعضه سابقا، والبعض منه كالهاون ومدقه (المنحاز وقصرته)، و"المحماس" و"المسارف" و"المراوح

اليدوية"، و"المركن"، والمركن وعاء خزفي يوضع فيه الماء في غرفة العروس، واستبدل فيما بعد بمركن "نحاسي"، و"الفانوس"، ومن أدوات الزينة:"مشط خشبي"، و"البرشوم"، والكحل (الاثمد) وزيت السمسم، و"الدراي"، و"ماء الورد"، وبعض الكتل من "الحَفْرَة"، و"الحتيكة"، و"اللِّجِن"-الغسه- و"الحناء"، وغيرها من أشباه ذلك، وذلك قبل أن تتوفر العطورات والصوابين وأدوات الزينة عامة لكل الطبقات.

ولعل شيئا من هذا البتول قد لحقه التفصيل والتفنيد في غير هذا الموضع، والبرشوم هي مادة معاملة محليا لتحمير الشفاة للعروس، و"الدراي" وهي كلمة هندية تعني نوعا من الطيب الهندي المستورد في السابق، لكنه-الدراي- صنع محليا في تلك المرحلة وهو خليط مكون من "الحافور"، و"مسك الطيب"، وهيل، وزعفران، وماء الورد، يعامل بالطحن ويمتزج بمقادير أهل الخبرة ويقرص منه أقراصا صغيرة وله رائحة عطرية نفاذة، ويستخدم أيضا مع ظفر شعر الرأس (التعقيد)، ويتم تصنيعه بعيدا عن السكن. وماء الورد يعامل محليا من أزهار البصيلة الجافة والقرنفل وغيرذلك، وأما الحَفرة فهي طين بيضاء مائلة إلى الصفرة تكون في منخفضات مجاري السيول كالمسيلة وبعض الوديان وهي بمثابة الصابون لغسل الملابس.

هذا البتول الذي يرافق العروس في مسيرتها إلى بيت الزوجية في السابق، ويهيأ للعروس من قبل العريس جمل، (وقد يكون غيره عند بعض الشرائح كالحصان) وتعتلي العروس الجمل البارك بهودجه، أو "محمله" بإعانة العم أو

الخال ومع أحدهم، وموكب من الرجال والنساء حولها حاملين على رؤسهم البتول، و كحراس لموكب النساء، وما أن ينهض الجمل يمسك العريس ابهام قدم رِجل العروس، ويخطو معها بخطوات الجمل، ولا يفك مسكته للإبهام إلا بوصولها، وقد أناخوا الجمل، وحمل العروس من هودجها الخال أو العم.

والموكب مع الجمل وماحمل تحف به النساء بأهازيج وغناء ورقص بالمراقيص الخشبية وبالأكف، سواء التي من قبل العروس أو من قبل العريس الوافدات، وهن في ذلك الموكب يترنمن ويتمايلن مع اللحن والطبل في الروحة والعودة بصوت جماعي شجي مثل:

ياساري الليل عاده ليل بانستريح تعالقت أني وأمي كسرنا السفيح

ماهوسفيح العشاء ذلا سفيح الرضيح

أو:

سريّعي[٣٠٠] باقـلِب عـثاكيلـه عيني عليه.

سريعي باتحذى وباسري له عيني عليه

ومع العودة بالعروس:

بتنا ودعتش الله ما على فراقش بصير الله الله في جوارش الصغيّر والكبير

أو:

والصغيّر غلب ما يسير قالت أمه هاتوله بعير

(٣٠٠) السريعي نوع من أنواع النخل.

أو:

نبه العاشق وقل له لا تنام الليل كله

أو:

ياصغيّر لا تنام إلا بقلس الحزام

تضاف إلى هذه الأبيات أبيات أخرى قد تكون ارتجالية من المغنية، وقد تعطى لها من البعض، وتعتسف بعض الكلمات بطول حروفها أو قصرها لتسويغها لتناسب مع اللحن، والنساء يطولن الطريق لأكثر من سبب.

وعندما يقترب الموكب من بيت العريس يغيّرن اللحن والقصيد:

وسع دارك جاك الخير هومي هما ياهومي[٣٠١]

جيناك يادار الخير " "

وخطبت بنت النوبي " "

وخطبت ما قنعوا بي " "

ماشي بقش في ثوبي " "

أو:

ذا دار من يامحلاه الله يسلم مولاه

دار السعاده دخلناه "

فيه العويله يامحلاه "

فيه الشبشبه والحناه "

(٣٠١) الهومي: اسم صنم من ديانات جاهلية حضرموت، يقول إبن عبيد اللاه في كتابه بضائع التابوت:" و إلى اليوم وأسماء بعض اصنام الوادي دائرة على ألسنة العامة مذكورة في اشعارها وأغانيها السائرة منها الهومي".

وترد المستقبلات في دار العريس:

رحبوا بالصغيّر جاء مرحبين وياسهلين

أو:

ألفين يامرحبين بالغزل يوم يجين

فتحولهن سدتين سده على ورقتين

وقد أوردنا الأبيات حسب ما تلقيناهن.

ما أن تصل العروس إلى عتبة (مردم) باب مدخل بيت الزوجية، وقد استعد أهل العريس بذبيحة، فتذبح على قدمي العروس، ويفرق دمها في مدخل البيت، ويتم كسر مصب من خزف (ابريق) عند القدمين، ويذكر السيّد أحمد بن ضياء: "أن الزوجة(العروس) عندما تضع رِجلها في المردم ويأتي الزوج(العريس) ويضع رِجله اليسرى على رجلها اليمنى، (والرِّجِل يقصد بها القَدَم)، وهناك شخص آخر يذبح رأس غنم ويأتي به مذبوحا ليصب دمه فوق رِجل الزوج والزوجة، ولحظة قصيرة أخرى هناك امرأة تحمل وعاء خزفيا داخله حب منوع من بر وذرة ورز وغيره بيدها، وبيدها الأخرى بيضة دجاجة وقارورة فيها دِهن، فترمي بكل ماتحمله بقوة فينكسر الوعاء الخزفي ويتطاير الحب وترمي بالبيضة فتنكسر وتسكب وراءها الزيت(الدهن)، وتقول بسم الله تدخلي بيتك بالبركة والنور، فيدخل الزوجان وفي أقدامهما آثار الدماء."[٣٠٢].

(٣٠٢) بن ضياء: عادات بادت صـ٢٢.

تدخل العروس غرفتها بعد غسل الرِّجل من آثار الدماء في بيت العريس مع القريبات والكوبرة ومساعدتها، بعد أن تركت المستقبلات والمودعات لها يواصلن الشرح والغناء، ويدخل العريس مع المرافقين له من الرجال غرفة الرجال لاستئناف السمر حتى يحين موعد الدخول.

وفي وقت آخر بعد هذه المرحلة، فهي وإن احتفظت بأهازيجها النسوية في المسرى والرجوع، فقد انفصل عنها الرجال بمسيرة للمسرى خاصة ببعض الرجال مع العريس، وكذا بالرجوع دون أهازيج وقبل زفة العروس.

تهيأ العروس في غرفتها "للدخلة" وبما أن العروس – في الغالب- هي غرة جاهلة، تجهل الكثير عن الزواج، وعن بدء علاقتها بشاب غريب عنها، قد لا تعرفه مطلقا، ولا تعرف حتى اسمه، فيملأ الخوف والرعب رئتيها، ويضطرب قلبها هلعا كأنها منتظرة سفاحا يمزق شرفها.. فهي منذ ليلة الحكا، وهي تحوّر وتأول الكلمات والجمل التي تأتي عفوا أو قصدا من قريبات أو صديقات سبقنها للزواج، وربما هي مع جهلها وسذاجتها، عدته حالة فرح لا يعدو ذلك، لذا فإن "الكوبرة" تلقنها الكثير مما قد يحدث في تلك الليلة، وتعرّفها أنها حالة طبيعية مرت بها كل زوجة، وكل أم، محاولة التخفيف من اضطرابها وسقمها وجزعها، وتعاود التذكير بين فترة وأخرى بما عليها الإلتزام به في ليلة دخولها، والكوبرة في كل الأحوال ترى الحالة النفسية للعروس التي تهيئها ومدى اضطرابها ورعبها وجزعها، أو جهلها، والتهيئة للعروس في ليلة دخلتها تأخذ وقتا طويلا نسبيا، يشرح السيد أحمد بن ضياء بن شهاب هذه التهيئة:" هناك عادات ثقيلة جدا تتعب الزوج والزوجة معا (يقصد العريس والعروسة)،

فالزوجة تتحمل أشياء ثقيلة متعبة، تبقى متحملة بذلك الثقل أكثر من ساعتين تقريبا.. باقية في فراشها..لا يمكن أن تتحرك..جالسة متربعة، ويديها على فخذيها، مثقلة بالحلي الثقيل والمربط، وعلى رأسها ما يسمونه "العصابة"، وهذه العصابة هي لباس مكون من شعر صناعي، وعليه أنواع من الحروز والودع ما يصل إلى نصف نحرها، وفوق العصابة يوضع تاج فضي ثقيل يسمونه "الكعوكع"، وربط آخر يشد بخيط يوضع عليه ما يسمى(باهي الخد)، يتدلى فوق جبينها، وفوق عنقها توضع شبكة متعددة يسمونها المراري، ثم تلبس الحلي الأخرى على صدرها من أسفل العنق إلى أن يتجاوز أسفل صدرها فوق الأثواب التي لبستها، وهذه الحلي يسمونها "الراعي" "والشهر" "والنجم" معلق على صدرها مربوط من الوراء كل قطعة على حده، ثم على يديها اليمين والشمال حلي آخر، هي "الحبوس" "والمطل" "والخواتم" كل قطعة على حده، وفي رجليها أيضا حلي آخر هو:"السموط" "والخلاخل" كل قطعة على حده، إذا علمنا أن المرأة الخاصة بهذا العمل- أي بلبس العروس وتهيئتها- تسمى "الكوبره" ومساعدتها لا ينتهي عملها هذا بأكثر من ساعتين، لنا أن نتخيل تعب الزوجة(العروس الفتاة) بهذا الحمول الثقيل حتى يأتي الزوج(العريس) فيخلصه منها، والكوبره تعد أوعية خاصة للزوج ليضع كل شيء في محله، وبعد أن تعد الكوبره ومساعدتها(وتتم تهيئة العروس ويتم من جديد تلقينها بما يجب عليها الإلتزام به وما سيحدث) تأذن لأهل الزوج، بأن يسمحوا للزوج (العريس) بالدخول[٣٠٣].

(٣٠٣) بن ضياء: عادات بادت صـ ٢٥.

لقد أغفل الأستاذ بن ضياء الحالة النفسية التي تعيشها حينئذ الفتاة (العروس) مما هي عليه من رعب وخوف لجهلها المفرط فيما هي مقدمة عليه، بحيث تتناسى الحمل الذي على جسدها بثقله وتعقيداته بالحيرة والريبة التي تشتت ذهنها ولا تأبه لغير هواجس الرعب التي تنتابها، ولقد كانت الكثيرات في مثل تلك الليلة عندما يختلي بها العريس تصرخ وتستغيث منتحبة باكية طالبة النجدة، وهي لم تستوعب ما قالته "الكوبره"، ولعل من تعليمات الكوبره أن لا تفتح عينيها، ولا تتحدث مع العريس، ولا ترد على تساؤله، ولا تستسلم له إلا بعد مماطلة وتمنع، ومن ثم تستكين لما سيبدر منه فهو من حقه.

ولقد عانينا ومن هم في سننا في ستينيات القرن الميلادي الماضي وقبلها بإرباك وحيرة، من مثل تلك التعقيدات في تجريد العروس مما حملت، كالعصابة وما احتوت وما فوقها وبجانبها وتحتها، وأنى "لعريس" أن يستوعب في ليلة دخوله تلقين الكوبره في أن يضع كل تلك الأشياء بعد فك ربطها من مواقعها المختلفة في الأواني المعدة لها، لذا فقد كان الكثير يفشل ويقطع الأربطه ويكوّم تلك الأشياء في الموقع الذي يختاره بنفسه.

على أن هذه الأشياء التي تهيأ بها العروس هي من أدوات ووسائل عمل "الكوبره"، وليست من حلي أو تجهيزات أهل العروس.

وأذكر أنه كنا نعد قائمة للمدعوين في زواجنا في نهاية ستينيات القرن الميلادي الماضي (١٩٦٨م) - مع قلتهم- إلا أن تبادل الآراء واختيارالأولى والأقرب من المدعوين، واختلاف الآراء من أب وأم وعم وخال وأخ، واستبدال

هذا بغيره، وذاك صنو هذا، وهذا لم يشرفنا بدعوة، وصنوه دعانا، ويرضى من هؤلاء من يرضى، ويسخط منهم من يسخط، وتتشعب الآراء ويسري الليل، وينطوي، ونحن في إعداد المعازيم والمدعوين، وها نحن بطلائع الفجر، وقد أذن المؤذن لأذان الفجرالأول، والتذكير الذي كان يتلى من المآذن قبل الأذان.. أفاجأ بالتعاييط (الحجير)..فقلت لمن حولي ماذا تعني هذه التعاييط في وقت الفجر، فقيل لي إنه الدخول..دخول العريس على عروسته في هذا الوقت كما هي العادة.. حينها استنكرت ورفضت أن يكون دخولنا في مثل تلك الساعة من الفجر، وقررت أن لا أدخل على العروسة إلا الليلة الثانية، وحاولوا إقناعي، فلم اقتنع، وللشباب غشم وهوى، ولست غشيما أو صاحب هوى، ولكنها عادة سيئة يجب أن تحارب وتلغى، فمساوئها ونكدها ليست محصورة في شخصين أو عدة أشخاص، إنما هي تجتاح أكثر من أسرة بأفراد شبابها والشيوخ تظل ساهرة لا يغمض لها جفن، وفي الصباح ينتظرها ما ينتظرها من عمل..حاولوا أن يقنعوني بأن لا آخذ المبادرة، ولكني تعصبت لرأيي ولا أدري من أين جاء تعصبي حينها، فأنا لا أرفض طلبا لأبي أو أمي، وتحدث أخي الأكبر – غير الشقيق – مع الخطيب في اليوم الثاني، وربما تكررت نفس الأجوبة عن العوائد والعادة، ولكن الخطيب– خميس سعيّد بن محفوظ– حمل الرغبة وأوصلها لأهل العروسة، ووجد والدها و ابن عمه معا، وطرح الفكرة ورغبة العريس، في أن يتغيّر موعد الدخول، وموعد "السرية" وهو ما سمي في السابق "بالكعده"، – ولم تعد حينها الكعدة، فقد أزاحها الزمن وحل محلها الشاي، وإنما هي سريّة بلا كعدة– وبعد أن تبادلا النظر والد العروسة وابن عمه، قالا بصوت واحد..

ليأخذها من المغرب، ويجنبنا والجميع شر السهر، وهكذا تمت الموافقة، ولعلي كنت أول من زفت إليه عروسته إلى بيته من طبقتنا الساعة الثانية عشر ليلا، وتم الدخول بعدها بساعتين تقريبا، لكنه قبل إذان الفجر الأول بساعتين تقريبا.

في السابق كان قبل الدخول أي دخول العريس على عروسته يدخل على الخالة أم العروس ويهدي لها قهوتها، وهي في السابق عبارة عن مواد القهوة وهي من البُن والزنجبيل والسكر، وربما أعطاها مع هذا شيئا آخر من النقود وغيره، وهو مايسمى "شوفة الخالة"، بعد ذلك كان شوف الخالة صباح اليوم الثاني (الصبحة) أو الصباحية حيث تقوم الخالة بتقديم الفطور، أو ماهو في معناه للعريس في مخدعه بشيء من الحلويات (كاللابيس) وغيره مع الشاي، ويهدي لها وفق امكانيته، وعوائد طبقته، أكانت نقدا أو غيره.

وقبل دخول العريس على عروسته وقد تزينت، سواء بالزينة السابقه العصابة وما تلاها، أو الزينة مابعد العصابة إلى اليوم تقريبا عند اغلب الشرائح، يلقي نظرة على العروس المحارم خاصة أب العريس وجده، وربما أهدى لها شيئا(تخودها) وغالبا من الحلي، وكذا أب العروس وأخ وعم وخال وغيرهم من المحارم.

إلى هنا وقد أدخلنا العروس إلى بيت الزوجية بمراسيم وفرح الزواج المعتاد، مع إيجازنا وربما اختصارنا للبعض لنأتي على التفصيل فيما بعد، بل وتجاوزنا بعض العادات في المراسيم لعدم وجود المصادر التي نستند إليها سواء ممن كتب أو من ذكرى بعض المسنين من ذكريات من سبقوهم لعدم ترابطها، وربما لإختلافها في كل مرحلة مع اليسر والعسر.

ومراسيم فرح العريس كما سبق تبدأ من عصر ليلة المرجه عند البعض، أو بعد صلاة العشاء عند البعض الآخر.

ينظم أهل العريس ترويحة "العصر" تحت مسمى "العراض" أكان العراض زربادي، أو عدة شبواني، أو خابة أو زامل حتى قبيل إذان المغرب.

وفي العصرية أو قبلها في مطبخ العريس ينتظم الرجال من الشباب والكهول لذبح الذبائح وطبخ العشاء، وتعبئة أوردة الماء للشرب على السلم والقرب الكبيرة للتبريد، بنفس الطريقة في بيت العروسة، والطبخة من الهريس كذلك، علما أن المدعوين هم من الأقارب جدا على محدوديتهم.

بعد صلاة العشاء ربما بساعة أو أكثرأو أقل يتوافد المدعوون لتناول وجبة العشاء، وبعض الشرائح كالسادة وهم يتجمعون يكون هناك سماع من منشد، أو من "خدام السقاف"، وبعدئذ تقدم الوجبة، وبنفس الطريقة من دخول المغاسيل لغسل الأيدي، ثم فرش التفل، وتقديم الوجبة، مع التخصير في السابق، وبعد تناول وجبة العشاء- أكانت من الهريس في السابق أو من الأرز المونه مع التخصير(أو من الزربيان، أو من الهريس(الدوعنية) مع الأرز وغيره في الوقت الحاضر)، ويتم أخذ أوعية الأكل والتفل، ومن ثم تدخل المغاسيل مع أوعية صغيرة بها مسحوق "الحتيكة"- قبل تواجد الصابون- حيث يتم غسل الأيادي، وتدار المباخر بالدخون، بعدها يكون سماع من منشد، وسماع آخر من فرقة الزربادي من آل باصالح أو غيرهم دون زفين، أو زفين مخصص، وتدار القهوة، ويدار أيضا محمص البن على الحاضرين، ويدار الشاهي أيضا في الفترات

الأخيرة، ثم تكون مرجة " العريس"- الكلان-، سواء من قبل فرقة خدام السقاف أو آل باصالح وغيرهم، فيفرش مفرش على الأرضية مع المساند- التكاي- ويوجه العريس في قعدته إلى القبلة، وتعرك قدمي العريس بالحناء، بعدئذ ينصرف كبار المدعوين ليستأنف السمرالعادي سواء من فرقة الزربادي أو غيره، بأستثناء خدام السقاف، كبقية الطبقات.

ربما يكون هناك بعض الاختلاف في مسار أفراح ليلة المرجه وما تخللها من سماع وغيره عند البعض لظروف خاصة، انما الوصف على غالب مايعتاد في البلدة في ماضيها وحاضرها أيضا.

التميّز هنا في بعض عوائد السادة أنها احتفظت بعاداتها القديمة جدا رغم اختلاف الوقت، وناسه، وآليات العوائد المتبعة في كل المناحي الأخرى المتجددة تبعا للزمن أو العصر الذي تعيشه.

أما الطبقات الأخرى، فتتناول وجبة العشاء بنفس الطريقة والزمن أو بما يقرب منها، وبعد تناول الوجبة، يكون السمرعلى شيء من الرقصات الشعبية كالشبواني، فتكون سرية بالرجز، ثم إلى مدارة الشبواني الفرِق حيث يتم أولا "مرجة العريس" – الكلان-على ايقاع طبول الشبواني بترنم خاص.

ويبدأ السمر بالفرِق – الشبواني-ثم يتناول شعار المدارة شِعرهم الارتجالي في السابق، والمعد من قبل كل شاعر في الأوقات الأخيرة إلى وقت متأخر من الليل دون رقصة الفرِق.

ومن يحبذ فرقة الزربادي فتبدأ الترنم بالناي والطبل والتغني بقصائد شعرية تخضع أبياتها للحن الفرقة وإيقاعاتها، ويتناوب الزفين في المدارة المجيدون لكل زفين، فهناك ترانيم بإيقاعات خاصة لزفنات معينة، يقال لها مدخل ومخرج- سنستعرضها في الرقصات الشعبية-، وكان الزفانون يشعرون قائد الفرقة برغبتهم، وبالترتيب الأول والذي يليه، ولكل زفنة-مدخل ومخرج- مبلغ من المال للفرقة- شلن واحد- ولكل مَقطَع يقوم للزفين اثنين أو ثلاثة وربما أربعة، وقد يحل محل أحدهم غيره.

في نهاية السمر يبرز العريس أمام الفرقة مع حملة الفرش والمساند والحناء المخبوط بالماء والدهن في الأوعية، ويظل العريس واقفا إلى أن ينهي قائد الفرقة مقطَعه.

يتم حناء العريس – الكلان-بقصيد وترنم خاص من الفرقة، حيث تنهض كل الفرقة من قعدتها وتدور بالعريس بأهازيجها، ويشارك فيها من أراد المشاركة بعمل دورة أخرى، أومع الفرقة، وبعد الإنتهاء يقوم المشاركون من صحبه وذويه بحمل العريس، وبصوت جماعي تكون التنصوره:" كلان ياسين عليك رب السماء يحمي عليك عيييييو سو عيييييو. وبالمرجه-غالبا-ينتهي السمر.

وسمرة للمرجة ببني "مغراه" وفي السابق كانت تقام خابة إلى موقع السمر، وفي موقع السمر يكون هناك المغني أو"القصاد" ببني مغراه بطبل واحد(مرواس) ويتناوب الزفانون الزفين على إيقاع الطبل ولحن المغنى بحركات معروفة متنوعة وفقا للحن، وقد يشترك عدة زفانين بازدواج في الزفين. ومن بعد تتم مرجة – العريس-الكلان وتكون مسك الختام.

وسمرة رقصة "الظاهري" أو "القطني" كما يسمى، وهو مكون من مزمار وهاجر ومرواسين، ومشترحه -زفانة-أو أكثر، ومراقيص خشبية مع الراقصين، وفي أثناء السمر تتم مرجة العريس، ويستمر السمر إلى وقت متأخر من الليل، وقد يصل إلى الفجر.

ويشارك العريس في مثل هذه الرقصات أو بعضها، وقد لايشارك ويكون متفرجا.

وفي هذه الليلة هناك شرح للنساء في بيت العريس، قد تقوم به المشترحة من بيت العروسة، حيث تأتي من هناك لتقوم ببعض الوصلات الغنائية الشرحية، حتى تتم مرجة العريس في بيته، وقد تكون مشترحة أخرى-غير تلك-كما في الفترات الأخيرة.

قبل المرجة للعريس عند الرجال، تكون أولا مرجة العريس عند النساء، وتتخلل مراسيم مرجة النساء، النعيش فوق رأس "الكلان"-العريس- من قبل المحارم، وربما نعشت البعض من خلفه، وقد غطي وجه العريس في أثناء ذلك. وبعد المرجة يتم الترنم الشرحي بالخيبعان، أو الهداني فيما بعد.

في اليوم الثاني بالنسبة لمراسيم أفراح الزواج هو المسمى يوم "العرس"، ويقال له يوم "الغسة" بالنسبة للعريس، ذلك أن بعض الشرائح تقوم بغسل رأس "الكلان" وجسمه بالغسة[٣٠٤] تحت قرع الطبول والمرازح أو النعيش، وإطلاق النار، على وفق انتماء العريس الطبقي وعوائده. بعد ذلك، وقد تناول

(٣٠٤) هي أوراق السِّدر المجففة والمطحونة.

المدعوون وجبة الغداء، وهي من الأرز بعد تواجده -غالبا في المدة الأخيرة- ويطيّب بمدقوق الحنيد، وهي نفس الوجبة للغداء تقريبا في بيت العروس.

وبعد صلاة العصر مباشرة، ينتظم المدعوون والمتفرجون للزربادي أو الظاهري أو الزامل أو بني مغراه أو غيره، حيث تقرع الطبول مع الغناء والزفين، وتتم مرجة "الكلان" "العريس" أولا عند النساء حيث يغطي وجهه بغطاء يحجب نظره عن الأجنبيات، وتقرع طبول النساء، ويترنمن بغناء وقصيد المرجة، ويقمن المحارم بدعْكِ قدميه بالحناء، وبالنعيش على رأس العريس، وربما شاركن غير المحارم في النعيش، خاصة وأن وجه العريس مغطى، أو من خلفه، ومن ثم يعاد الترنم بالخيبعان أو الهداني،

و"الخيبعان" قصيدة تتلى بنغم خاص وبإيقاع الهاجر والمراويس والرقص بالأكف والمراقيص، ويتخلله الزفين والنعيش، وتبدأ بتكرار من تتلوه بتكرار كلمة "خيبعان" مرات أربع أوثلاث، وبعد تلاوة كل بيت أو نصف البيت يرددن النساء ككورس "ياخيبعان"، وكمثال للقصيدة التي تتلى، وتكتبها شاعرة أو شاعر، وفي الواقع أن أبيات "الخيبعان" مكررة-تقريبا-في معناها عند الكل، تذكر محاسن العروس والعريس وأهلهم وأقاربهم بذكر حسن مثل:

ياخيبعان ياخيبعان ياخيبعان وترد الحاضرات: ياخيبعان

أبديت بعظيم المنن ياخيبعان

عالم بسري والعلن ياخيبعان

واثني بغوثي في المحن ياخيبعان

بو فاطمه جد الحسن

و...

أبوي ذخري والمكن

يعطي هول من غير من

وفي الأخوان:

سالم في أوصافه تعن

محفوظ لي ماله ثمن

صالح وسط قلبي سكن

عثمان لا شاف المحن

وأعمام يجلون الحزن

لحبابتي عندي مكن

وهكذا....

ربما عددت الأخوات والخالات والعمات بأسمائهن. (ولعله – أي رقصة الخيبعان أو تلاوته تختلف في توقيتها، في بيت العروسين.

وهناك "الهداني" وهي نسخة أخرى من الخيبعان إلا أنها تبدأ بـ:

هديني ياهداني يودن....(بدلا من خيبعان) ونفس الأبيات والطريقة في الأداء، واختلاف في اللحن والإيقاع.

ثم تكون المرجة "للكلان"- العريس – مباشرة عند الرجال، بعد مرجة العريس عند النساء، حيث يتقدم حملة الفرش على بساطته في القديم مع المساند(التكاي)، وتتوقف الفرقة الراقصة عن رقصتها، للتهيئة لرقصة الحناء،

ويفرش على الأرض، وقد يكون الفرش سلقة من خوص، وبطانية، كما هو في السابق، ثم مفارش مطرزة، واخيرا على كرسي، - باستثناء السادة- ويوجه العريس في قعدته للحناء إلى القبلة، ويقف خلفه بعض الأطفال حاملين المراوح اليدوية، وكان في السابق تقف من الخلف إمرأة كهلة يقال لها الشحاذة تحمل مبخرة، بخورها من اللبان "البدوي" تطلب من الحاضرين الصلاة على النبي، وفي الوقت الأخير يحمل المباخر الأطفال وراء العريس مع المراوح، ويدعك قدمي العريس شابان من قومه أو صحبه على أن لايكونا قد تزوجا اثنتين، وربما يتبادل دعك القدمين أكثر من شخصين، أما السادة فمفرشهم من المفارش المطرزة، ولهم أشخاص معنيون لخدمة العريس كحمل المروحة والشحاذة(أي الدعوة أو الطلب من الحاضرين بالصلاة على النبي) ودعك القدمين، ولهم أجرة وخلاسة العريس(أي لبس العريس السابق)، ولكل فرقة غناء بنغم ولحن خاص للمرجة، وربما اتفقت أبياتها حول صوت الحناء ولحنها للعريس، ويوضع – عند أغلب الطبقات- ما عدا السادة وبعض المشايخ- في حضن العريس صينية(معشرة) في السابق، وفيما بعد رداء، يحمله اثنان متقابلان على يمينه وعلى يساره يضع المدعوون فيه طرحهم أو مساعدتهم للعريس بعد دورة أودورات بها على رأس العريس، والتي تعد دينا عليه يجب الوفاء به في عرس الآخر، وفي القديم كان يقف عند رأس الكلان من يحزر المبلغ المطروح من المدعو فيشهره، وفي المدة الأخيرة يوضع الطرح في مظروف عليه اسم صاحبه، وكان البعض في الأوقات السابقة، طرحه من العملة النقدية المعدنية من فئة شلن أو النصف شلن يتم لصق الإسم المكتوب في ورقة بالتمر.

والطرح والحمل والتخاويد هو في معنى واحد سيأتي التعريف للحمل والتخاويد بعد ذلك.

ويدور الراقصون مع أصحاب الطبول بالعريس راقصين ومتبرعين ومرددين الأبيات الشعرية الخاصة لهذه المناسبة مع تنوعها، وتختتم بـ: "حنوله..غلب ما يحني..مرددينها مرات..فيتوقف الطبل فيؤخذ العريس من قعدته حملا ويرفع إلى أعلى بسواعد شابة قوية من صحبه وأقربائه، وينهون ذلك بتنصورة جماعية مثل:" عيييييو كلان ياسين عليه..رب السماء يحمي عليه..عيييييو..سو..عييو" محاولين بصراخهم الصاخب أن يضعوه وسط أذنيه.

قد يكون هناك ما يقال له صوت "الكلان" أي زفين العريس سواء في مرجة المساء أو العصر، فيزفن مع العريس صحبه وربما أخذوا من دورة أو دورات ليحل محلهم غيرهم، وقد يدور محبو العريس وأقرباؤه على رأسه مبلغا من المال يعطى لقائد الفرقة.

وبعد ذلك قد يتوجه العريس لتبديل ملابسه- وقد يكون قد تم تغييرها للحراوة، ولبس العريس وفق انتمائه الطبقي، فالسادة وبعض المشايخ يلبس العريس جبتين(طويلتين) بلوني الأخضر والأحمر ورداء على الكتف، وكتف عليه منديل وفيه سبحة مربوطة، واللون الأخضر من فوق "للحراوة"، ومن تحته اللون الأحمر يرى، واللون الأحمر يكون من فوق "للصبحة" والأخضر من تحته يرى، وعلى الرأس ألفية منسدلة من جانب في وجهه خيوط مفتولة متدلية من الألفية(هَذب) ومن خلفه كذلك، (والألفية أشبه بالعمامة إلا إنها لاتنتقض)

وللطبقات الأخرى إما إزار وعمامة، أو حاسر الرأس بوفرته متمنطقا بلمشته، أو بصارون وكوفية(قلنسوة) أو عقال، وليس هناك تقليد للبس معيّن باستثناء السادة وبعض المشايخ، ويسيرون مع المدعوين من قبل العريس – الحراوة- إلى بيت أهل العروس، بسماع من خدام السقاف- للسادة- بتوقيع طيرانهم وقصبهم(المداريف) ولهم حركة منسجمة مع النغم ودقة الطيران في مسيرتهم، إذ يتجهون صوب العريس وكبار المدعوين فينحنون عند أقدامهم خافضين رؤوسهم ويرتفعون، ويعودون إلى مسيرتهم بصوتهم الجماعي المنسجم مع الإيقاع بدون رجز.- في المدة الأخيرة أبعدت تلك الحركة وهي الإنحناء أو الجثي عند الأقدام.

أما الخابة-لغير السادة -فهي في الغالب بدون أي إيقاع أو طبل وإنما بضرب الأرجل على القاع في مسيرتهم، لكن البعض قد يشاركهم المزمار في الخابة، أونعيش البقارة، أو زربادي، وهو معروف، وكذا الشبواني، أو زامل بإطلاق الرصاص، وفقا وعوائد طبقة العريس وانتمائه حيث يستقبلهم أهل العروس في مداخل الأبواب، (وتستقبلهم النساء بالتحاجير-التعاييط-من شرفات المنازل-) بأستثناء القبائل فيستقبل زاملهم بزامل تحت البيت، ويردون بإطلاق الرصاص مرحبين بهم من قبل أهل العروس.

وعند البعض من الشرائح- كما أسلفنا- يتم عقد القران قبيل وجبة الحراوة، وقد يسبق العقد نشيدة من منشد، أو مأخذا من خدام السقاف، وفي أثناء العقد يدوررجل أوأكثر على الحاضرين بقبضة يده من الفحيط على

الحاضرين (والفحيط سمسم أبيض منزوعة طبقة الأولى)، وهي في السابق عند كل الطبقات – تقريبا– اثناء العقد، ومن ثم بعد العقد ينشد منشد – بالنسبة للسادة وبعض المشايخ– بعدها–عند كل الطبقات– يدار علي المدعوون بدءا من صدر المجلس، وفيهم الوجهاء وكبار السن والعريس ورجال الحراوة(أي الوافدين المدعوين من قبل أهل العروس) "بالمغاسيل"[٣٠٥] لغسل أياديهم، وما أن تغادر فرقة المغاسيل الموقع، تدخل فرقة أخرى تفرش التفل(جمع تفال) ويليها مباشرة حملة الأكل(الوجبة) في أوعيتها، وحملة اللحم في اللقنة، ويتناولون وجبة العشاء مع كل المدعوين من الطرفين، وفي أثناء تناولهم العشاء يدارعليهم بماء الشرب المبرد من القرب والأوردة في دنون كبيرة من القصدير، وكانت في السابق تقدم وجبة عشاء الحراوة في حدود الساعة الرابعة عصرا إلى الساعة الخامسة على وفق التوقيت الصيفي والشتوي.

وبعد تناول الوجبة وأخذ المتبقي في الأوعية والتفل، يعود حملة المغاسيل مع أوعية فيها"الحتيكه"[٣٠٦] لغسل الأيدي بعد الأكل. والحتيكة هي بمثابة الصابون في الوقت الحاضر، ثم يبخر المدعوين ببخور العود المعروف(دخون).

وفي بيت العريس عندما يزيد العدد عن المروحين المحددين على الاتفاق بين العائلتين، فإنه يعيّن المروحين إلى بيت أهل العروس كتبعة للعريس، ويشعر الآخرين بالمكوث لتناول وجبة عشاء الحراوة في بيته. أما وجبة الحراوة سواء في

(٣٠٥) المغسال: إبريق كبير فيه الماء ووعاء ملتقى لماء غسل اليدين.

(٣٠٦) مسحوق من شجرة جبلية منظفة.

بيت العروس أو العريس، فهي من الأرز – في وقتنا القريب، وإن كان في السابق لعدم وجود الأرز كان من نتاج البلد برا أو غيره مع اللحم- واللحم في حالاته السابقة بالتخصير سواء مع مطبوخ البر(الهريس) أوغيره، أو مع بداية وجود وطبخ الأرز للولائم، والتخصير هو إعطاء لكل فرد من المدعوون ثلاثة "مغاضيف" "وفصل" أو "شرقه" والمغضاف عبارة عن لحم مقدود مع شحم مقدود أيضا، مع جزء من الكرش(المعدة) مقددة، وهو بطول حوالي ١٠ سم، أو أطول قليلا بلفة محكمة، وتطوى بخيط غزل، أو بخيط(لحو) من أمصور(أمعاء) الذبيحة، وبالأمصور لمغضاف الفؤاد(الرئة)، والفصل وهو من مفاصل الذبيحة من الغنم مرتب ومهيأ في عرف المشاركة والجزارين بصفة معروفة، والشرقة هي من أضلاع الذبيحة عبارة عن ثلاثة أو أربعة أضلاع من جنب الذبيحة تقسم نصفين (الأعلى و الأسفل)، وكان المدعوين من يأكل حصته من اللحم أو بعضها، ومن يأخذها معه إلى بيته كاملة، وطريقة "التخصير": يحمل أحدهم على رأسه "لقنا" من النحاس فيه اللحم وربما أكثر من شخص، فيجلس قريبا من الموائد مقعيا ويتناول "معلم" خبير خاص، اللحم من فوق "اللقن" الذي على رأس حامله ويضعه في " مقراف"[٣٠٧] ، حصة كل فرد شرقه أو فصل – حسب الطلب أحيانا- وثلاثة مغاضيف)، وهناك من يقوم بتوزيعه على المدعوين كل على حده، وهذه الهيئة كانت بصفتها وكيفيتها مع ولائم ووجبات الزواج، لعشاء ليلة الحكا، ولعشاء ليلة المرجة ولوجبة الحراوة، ولوجبة الصبحه.

(٣٠٧) وعاء معدني من قصدير.

أما من يقوم بالمهمة..مهمة المطبخ، وغسل الأيدي والإعداد لتناول الوجبة وغيرها مما ورد ومما سيرد، فهو في بيوت الوجهاء من السادة وبعض القبائل، من أفراد الحافتين.. المطبخ وما يترتب فيه من عمل، من حافة المساكين، والدير من حافة الحضر. كان ذلك في السابق بمهام متفق عليها.. أما بقية الطبقات فهم متعاونون بعضهم البعض يقدمون خدماتهم مقابل خدمات غيرهم لهم.

وفي أثناء العودة من بيت أهل العروس نادرا ما يكون رجز من خابة أو غيره إلا في حالات استثنائية..

وفي المساء يهيأ الرجال-بعض الرجال-والنساء للسرية إلى بيت العروس بعمل القهوة في الكعدة سابقا، وبالتهيئة العامة للبس النساء، - وقد أوردنا مسيرة السرية وعودتها- وربما يكون هناك شرح نسائي متقطع، أما الرجال فهم في سمر آخر لذبح ذبائح وليمة "الصبحه" صباح الغد، وكان في الغالب أن يتم ذبح الذبائح وتهيئة لحم الذبائح واعداده بفهم معالمة(خبراء) في ذلك، ويتم صف "الفصول" و"الشرق" في مشك خاص لكل "حِلقة" أكل أو تفال أو حِلقتين، الفصول والشرق مع بعض، والمغاضيف مع بعض، وذلك حين كانت تقدم وليمة الصبحة في الصباح.

ومن الرجال من يبقى في سمر خاص مع العريس..

في مدة أخيرة يتم الذبح بعد الرجوع من السمر من بيت العروس، وبعد تلك المدة بعد صلاة الفجر.

وربما كان للتوقيت الصيفي والشتوي دور أو سبب في اختلاف توقيت الذبح.

في الصباح، يتم تناول الصبوح(الفطور) للمدعوين سواء في بيت العريس أو بيت العروس لليوم الثاني(العرس) واليوم الثالث(الصبحة) من خبز تنار مع القهوة المحلاة بالسكر، وخبز يختلف باختلاف الزمن أو المرحلة فإن كان من طحين الذرة أو جريشه في وقته أو من طحين البر في الوقت المتأخر.

يتجمع المدعوون أهل العروس أي الذين يسمون المصبحين من الرجال في بيت أهل العروس، ويجئ العريس بمعية الخطيب وبعض من أقاربه إلى بيت أهل العروس، حيث يتم تجمع المدعوين ولشرب القهوة أو الشاي، ويدار الدخون ايذانا بالمغادرة، ثم يسيرون معا إلى بيت أهل العريس، ولكل طبقة عاداتها، فمثلا السادة بخدام السقاف، وغيرهم بالشبواني، أو الزربادي، أو الخابة، أو الخابة مع نعيش البقارة، أو بالزامل واطلاق النار، أو بدون ذلك كماهو في الوقت الحاضر لأغلب الطبقات- باستثناء السادة-. ولا داعي لتكرار الكيفية التي يتم فيها تناول الوجبة وما قبلها وأثناؤها وما بعدها فهي نفس الكيفية لوجبة الحراوة.

عندما يتوافد المدعوون لبيت العريس، ومن لم يضع طرحه مع المرجه، ربما سلم الطرح لأب العريس أو أخيه، إضافة إلى "الحَمِل"، والحمل كالطرح معونة تقدم كرد دين استحق وفاءه أو هو قرض لأهل العريس عليهم الوفاء به، ويستلم الحمل شخص لديه مكيال يكيل به ما يحمل إليه من طعام (بر أو ذره)، ويسجله بكميته ونوعيته، وربما تقبل أيضا غير ذلك، وكان بعض الأقارب يهدي ذبيحة أو أكثر لقريبه.

بعد تناول غداء الصبحه يتجمع المحارم..محارم العروس "للتخاويد"(والتخاويد بمفهوم الطرح)، ويتوجهون إلى غرفة العروس، حيث تجلس بزينتها غاضة بصرها، ويدوّرعلى رأسها من أراد أن يتخوّد به، ثم يضعه على مقدم ثوبها، وهناك امرأة تحزر تخاويد الكل فتشهره فيما بعد، هذا من خالها وهذا من عمها وهكذا، أكان نقدا أو حلية أو لبسا..ثم يجئ دور النساء في التخاويد، وذلك بقرع الطبول والشرح. على أن هذه تتم وفقا لنظام وعادات الشرائح الطبقية، ففي بعض الشرائح تتم عملية التخاويد للعروسة يوم العرس في بيت أهلها، من المحارم والمقربين، والبعض ليس لهم توقيت معيّن ولا وقت محدد في أيام العرس.

وتتجمع النساء المدعوات للشرح والغناء والرقص والزفين، ومن ثم تهيأ وجبة الأكل، فيقف الشرح وتتناول النساء وجبتها في دار العريس سواء المدعوات من قبل أهل العريس أو المصبِّحات من قبل أهل العروس.

بعد تناول النساء وجبة الغداء، (غداء الصبحة) وبعد تناول كل المدعوين وجبتهم، وإرسال الطعام لمن حجبه عذر من المدعوين، يعلن أهل البيت "الجَمَاله"، وهي تعني أن صاحب الوليمة قد تجمّل مع مدعويه بلا نقصان، وهنا تفقع طبول المشترحه، وتتوالف النساء خاصة أهل العريس وأقاربه والجيران ومن حضر، وتترنم المغنية بتخميسة الجمالة بمرافقة الطبول والرقيص والصوت الجماعي وبضرب الأرجل على الأرض:

يالله بالجماله ونحنا كذ تجملنا وترد المجاميع يالله بالجماله

وربنا كذ حضر معنا "

جانا محوِّل من القبله "

السيل جاء من جميع الروس "

السيل ديّح من الشحره "

شل التشاريع والعجله يالله بالجماله

وتوضع مع هذه الأبيات، أبيات(مجازية) تتوافق بصورة أو بأخرى مع الرجز والإيقاع فقط، وللنساء تنصوره، وهي ما أوردناها في قراشة البصل سابقا.

وفي عصرية ذلك اليوم..يوم الصبحه..تتأهب النساء لحضور "الظله".. المدعوات للزواج وغير المدعوات، حيث يقام شرح المشترحات وتتنافس النساء في الزفين على إيقاعات الطبول وأغاني المغنية المشترحة، وتعطى للمشترحة مقابل الزفين وهو مبلغ لا يحدد، أو محدد بوقته، وليس هو الأجرة الذي تستلمه من صاحب العرس، وقبيل الإنتهاء تدخل العروس بلباسها وكامل زينتها، حيث يتم زفينها مع أقربائها، ويترافق زفينها بصوت "الشحاثة" التي تحمل المبخرة "باللبان" أو "العلك" وتصدح بصوت مترنم بالصلاة على النبي، وتطلب من الحاضرات الصلاة على النبي، وتنتهي الظله وبانتهائها انتهت مراسيم الزواج وطقوسه العامة.

في المساء قد يدعو أهل العريس أهل العروسة لتناول وجبة العشاء، لكن الواقع أن الكل مرهق من السهر ومن التعب المتواصل للأيام السابقة.

في اليوم الذي يعقب يوم الصبحة، يقال له "العُقاد"، ويقال له حينها يوم "الصّفه" ويظهر أن الإسمين مجازيان، فإن كان يوم "العقاد" فيه إعادة ظفر الشعر للعروس(تعقيده) فربما هو أقرب للواقع، وإن كان ما سمي بيوم "الصفه"، أي صف بتول الزوجة العروس في غرفتها، فذاك لا يحتمل لبساطة البتول – حينها- ولكنه ربما لإدخال الأنس على الفتاة الغريبة في بيت الزوجية، حيث تأنس بوجود أهلها، ولا يكون هنا من المدعوين إلا أقرب الأقربين للعروسين.

وقد بقي المسمى(العقاد) إلى الوقت الحاضر، وبقي له عزومة محدودة أغلبها من النساء القريبات للعروس وأهل بيتها وربما شمل بعض المحارم لها في بيت العريس.

بعد ذلك.."الخطرة"، والخطرة تكون بعد الزواج بأسبوع، وربما أكثر من أسبوع، لكن الذي كان من سوارح البلدة وعوائدها، أن لا تخرج العروس من بيت الزوجية مطلقا إلى أي مكان قبل أن تدخل بيت أبيها، الذي لابد من عمل وليمة لدخولها بيته لأول مرة بعد زواجها، وكان المتعارف عليه أن من يدعوهم أهل العريس من أهل العروس ليوم "العقاد" أو يوم "الصفة"، أو لعشاء مساء الصبحه، على أهل العروس أن يدعو مقابلهم من أقرباء العريس يوم الخطرة، وتتوج عزومة الخطرة بشرح من المشترحات وطبولهن، غير أن هذه الوليمة في السابق ليست مقيّدة أو ملزمة للكل، فيكفي لخروج الزوجة (العروس) من بيت الزوجية أن تتناول وجبة غدا أو عشاء بمعية زوجها في بيت أهلها.

وقبل أن ننهي ماكان من سوارح أهل البلدة وعوائدها في الزواج نود أن نشير إلى أنه كان هناك نظام متبع في البلدة أقرته الحافة بالنسبة لولائم الزواج أو

مايشبهها من الولائم المشابهة، فعلى صاحب الوليمة أن يدعو أبو الحافة، والقائم بغسل الأموات للرجال والقائمة بغسل الأموات من النساء، ومن يقوم بالنبأ، وقد انتهى ذلك تقريبا مع انتهاء الحافة ونظامها.

كان ذلك في زمن أوطور من تاريخ البلدة، لكن التعديل والحذف في بعض العوائد تحتمه ظروف البلدة أو المجتمع المادية والعصرية، فما عدل وحذف استبدل بغيره تماشيا مع المستجدات التي تطرأ على مفاهيم المجتمعات في كل مرحلة، وقد تسارعت المفاهيم والرؤى في الوقت الحاضر، وأضحى التغيير والتبديل كالموضة الحولية، والقليل أو أقل من القليل من احتفظ في المجتمع بشيء من عوائده السابقة.

ولهذا لم نأت على عوائد وعادات الزواج في الوقت الراهن، فهي إن احتفظت بجوهر عوائد الزواج من فرح وطقوس، فقد طال الكثير من الطقوس والأفراح التغيرات، على وفق متطلبات الزمن، وفي هذا العصر أضحت المتغيرات سريعة..سرعة الزمن نفسه، ولم يعد هناك مقياس أو مقارنة بين القديم في البتول أو الحلي أو اللبس- مثلا- أو في وجبات الأكل وتوقيتها، والعوائد الأخرى، إنما قد نأتي على بعض مما كان للمقارنة، أو للتطور في بعض العادات بتصنيفها حسنة كانت أو سيئة.

وفي فترة سابقة من مرحلة من المراحل التي مرت، كان الشرط الأساسي لعقد القران تحديد سن الزوجين، بحيث لا يتعدى الفارق بين العريس الشاب والعروسة الشابة، أكثر من عشرين سنة، وهي الفترة التي ألغت الزواج بالثانية،

إلابأسباب معينة كالعقم أو المرض المزمن. وموافقة العروس شرط أساسي في اتمام العقد، وموافقتها بإقرار منها شفهيا أمام المأذون الشرعي (المعقد). كما ان الطلاق لاينفذ إلا بموافقة الطرفين (الزوج والزوجة).

هي مرحلة خرجت من مسار عوائد وسوارح القرية، بل ومن الكثيرمن المفاهيم الشرعية.

والأثاث والحلي في الوقت الحاضر، وماسمي ببتول المرأة فحدث عنه ولا حرج، فقد نافس الذي لايجد ممن يجد، وفاخر من ليس لديه شيء، بمن يملك الأشياء، بمعنى أن الفقير والمسكين ومحدود الدخل، برز في المظهر بمظهر القادرين على ذلك، بحيث أرهقت كثير من الأسر بالديون ورهن مساكنها، أو بيع مقتنياتها، في سبيل المباهاة والمفاخرة لأثاث غرفة العريس، وتبتول العروس من عدة شاي وقهوة حديثة بتشكيلاتها ولوازمها، إضافة إلى الفساتين والحلي الذهبية والعطورات، وأدوات الزينة والتزيّن.. اليدوية والكهربائية، بما يمكن أن يسمى ويندرج تحت نعت الإسراف والتبذير والترف، فربما فستان واحد بالآلاف وربما بعشرات الآلاف للبسة واحدة.

تزامن هذا مع تعلم البنت ووعيها، واستيعابها لكل المستجدات المرحلية الحديثة، فهي الآن – في الأغلب وعند أغلب الشرائح الطبقية–لها رأي في المتقدم لخطبتها، وربما اقتنعت باقتناع والديها، وقبلت الخطوبة، وربما احتفلت بالخطوبة مع الصديقات والزميلات بصورة أو بأخرى، ولكنها قد تتحرى هي بنفسها عن الخطيب وسلوكه ومهنته وخلقه، فترفضه رغم الموافقة التي تمت، ولهذا فهي

تهيئ نفسها لليلة الحكا، وقد شاركت في كتابة الدعوات للوليمة، ووضعت قائمة خاصة لدعوة الزميلات والصديقات بدون خجل. وبما أنها قد عرفت العريس فهي سترد عن أسئلة العريس ليلة الدخلة، وربما سألته، وإن جاء الرد والسؤال بحذر حسب ما تقتضيه هيبة اللقاء الأول.

وثمة شيء آخر اختلف تماما عما كان في سابق العهد، من شرح نسائي عِجِل كما كان يسمى، إلى شرح تطور إلى أن وصل إلى ماهو عليه من استحداث كالزفين اللحجي أو الرقص الهندي وغيره في سمر وحفلات النساء، وقد ابعدت المراقيص الخشبية تماما من المحافل الشرحية النسائية تقريبا، بل وهناك من رفض بعض آلات الشرح القديمة كالهاجر والمرواس، واستبدلها بالطيران والدفوف، ونقل البعض الغناء بالميكرفون.

ومع الاستحداث طال الخضاب أو الحناء، فقد كان خضاب العروس خاصة والنساءعامة لايتعدى كفي اليدين والقدمين، فهو في الوقت الحالي وصل إلى اعلى الكتفين وإلى الساقين بألوان متنوعة وبمواد مع الحناء أخرى.

ولم يعد لعملية التخصير- في ولائم الزواج- وجود إلا في الذاكرة، فقد انتهت عملية التخصير منذ ستينيات القرن الميلادي الماضي وانتهائها بفعل شخص قرر تجاوزها في زواج إبنته[٣٠٨]، ومع أن الزوج عمل بنظام التخصير، الا ان الإنهاء لم يتجاوزه بعد ذلك متجاوز، واستبدل بالتخصير (فصل وثلاثة مغاضيف للفرد) بأن يوضع فوق "التبسي" ستة فصول مع ثلاثة أو أربعه

(٣٠٨) زواج كرامه عبد الشيخ (زوعه) الجابري على بنت محمد بن سعيد بن عمران التميمي سنة ١٩٦٢م.

مغاضيف، ثم إلى خمسة فصول ثُم إلى أربعة، وإلى ثلاثة فصول- عند البعض في الوقت الحاضر-، والبعض مازال يضع الستة الفصول أو الخمسة في مناسبات خاصة أو لبعض المدعوين، لكن من غيرأهل البلدة.

أيضا عملية الغسل أي غسل الأيدي قبل وبعد الأكل، مع أنه مازال يعمل به، إلا أن هناك مغاسيل عامة متنقلة مع الصابون توضع قريبا من موقع وجبات المدعوين لغسل أيديهم بأنفسهم.

وشيء آخر حول الوجبة وقصر مراسيم الزواج، فقد اكتفى أهل العروس بوجبة الحراوة ظهرا، كوجبة عامة للمدعوين، ووجبة الحكا إن كانت فهي للأقارب جدا، ويتم الحكا للعروس الصباح، ووجبة الحراوة غدا ظهرا. كذلك وجبة العريس، فقد اكتفى البعض بوجبة المرجة للرجال بعد صلاة العشاء ووجبة الصبحة للنساء الظهر، ووجبة للمصبحين صبحة – عند البعض-بعد صلاة الظهر، وربما اكتفى البعض بوجبة واحدة للمرجة والصبحة. وذلك لأن المدعوين لتلك الوجبات يتراوح بين بضع مئات، وقد تصل إلى ألف وألفين عند البعض، وقد يتضاغف العدد، عند البعض، وإن لم يكونوا من سكان حينا أي ليسوامن أهل البلدة.

وبقيت التخاويد للعروس عند الغالبية من الأهل والأقارب، وانتهى عند الكل الحِمل، وبقي عند البعض الطرح، يعطى في مظروف لأهل العرس.

كما أن هناك توجها حثيثا لوجبات الأكل من المطابخ الخاصة، بدلا من الطبخ في البيوت، ومع أنه مازال من يحبذ الطبخ في البيوت، إلا أن من يحبذ ذلك إلى تناقص، واكتفى من طبخ الملحقات للوجبة في البيت فقط "كالصمبل" وغيره.

وهناك توجه أيضا مازال محدودا لنقل المراسيم..مراسيم الزواج المختصرة إلى "الصالات"، خاصة وجبتي الحرواة والصبحة، وتعقبها "الظلة" عصرا في الصالة حيث خُصِّص للعروس وطاقم الشرح والزفين منبر أو مسرح خاص، وتتكفل "الصالة" بما يلزم، طبعا بمبالغ محددة، ومقر الصالة في المدينة.

لمحة طالت أم قصرت، وفت بما كان أو لم تف، لكنها ربما أعطت قراءتها بعض مما كان للذكرى.

٥ – إنتظار المولود والولادة

لعل من أهداف الزواج ومقاصده الطبيعية والشرعية طلب النسل، وكان العروسان–في الأغلب–ينتظران باكورة نسلهم بعد السنة الثالثة إلى الخامسة تقريبا، وبدون تدخل ما، وكانت النساء يرضعن أولادهن حولين كاملين أو أكثر، ولا تحمل المرأة إلا بعد ذلك أو أكثر، وأيضا بدون تدخل في أغلب الحالات.

والإعداد للولادة وما بعد الولادة يتم من قبل أهل الزوجة، إلا أن هذا لا يعني عدم الإعداد من قبل الزوج، فمثلنا العامي يقول:" إذا ولدت المرأة حبل الرجال".. ويتم الإعدادعلى وفق النظام الطبقي المعمول به في البلد، فبعض الطبقات تلد البكر عند أهلها، والبعض ممن تلد في بيت زوجها، وتقوم "بنفستها" الأم لفترة عشرين يوما، تاركة زوجها وبيتها وأولادها، إلا من خطرات قصيرة، وهي من العادات السيئة، وهي وإن لم تكن كذلك في كل الشرائح في الفترة السابقة، لكنها موجودة ربما بمدة أقل.

ومن الإعداد لإستقبال المولود، المهد وهي "الهداه"، والهداه معمولة مابين النجار والدباغ، فهي مكونة من إطار خشبي طوله حوالي ٧٠/ ٦٠سم وعرضه حوالي ٤٠/ ٥٠ سم تقريبا، وجرمه في حدود٢/ ١ سم وارتفاعه في حدود ٥ سم، والإطار به ثقوب من فعل النجار- طبعا- متقاربة بين كل ثقب ٤/ ٥ سم، وعزز الإطار بعود معالج مدور في انحناءة القوس يربط جانبي مقدمة الهداة، وقد تتدلى طرفاه لتشكل محملين لمقدمة الهداة، وعود آخر في منتصف الإطار من الخلف، وقد يتدلى ليشكل المحمل الثالث للهداه ويرتفع بانحناءة ليثبت في أعلى العود المقوّس، ويبرز منه شيء كمسكة لليد التي تحرك الهداه في حدود٢٠سم، وتقوى الهداه - أو تعزز- أيضا بعودين على جانبي عود الوسط، تثبّت في الإطار من أسفل، وفي الأعلى بالعود المقوس، ويكون للهداة اربع قوائم في اركانها، وقد تكون هناك في الوسط من الخلف، لحمل المهد بارتفاع حوالي ٣٠ سم، وهذا من عمل النجار، أما عمل الدباغ فهوسقف سطح الإطار بجلد مدبوغ من جلود الأغنام، ويتم ربطه بسير من الجلد أيضا يمررفي الثقوب التي ثقبها النجار في الإطار، وفي وسط السقف الجلدي يثقب الدباغ دائرة صغيرة لخروج براز الطفل وبوله بمقياس يعرفه الدباغ، وقد تكون الدائرة المثقوبة في الإتجاهين. ويهيأ مع الهداة المفرش للطفل، والبساط، هي وصلات من قماش مستعمل تغطي سوءة الطفل، والبعض لتصفية مخارج الطفل من بول وغائط، إضافة إلى"السّفِيح" من الخزف الذي يستقبل الخارج

من الفتحة في وسط الهداة، و"المِلْخا"[٣٠٩]، "ومِسْفر"[٣١٠]، إضافة إلى ملابس الطفل الصيفية، أو الشتوية، وغطاء للمهد (الهداه) أيضا، و"العُكوس"، و"الحُبوس"، و"السُّخمَه"، و"الحَقَب"، و"الحِجِل".

و"العكوس" ملفوف من مسحوق "الحبة السوداء" و"المر"في قطعة قماش شفّافه كالململ توضع على أنف الطفل لمنع الروائح العطرية النفاذة وغيرها، فحين تشم الأم مثل هذه الرائحة تضع العكوس في انف الطفل، بمفهومية أن الروائح العطرية مضرة للطفل.و"الحبوس"[٣١١] ، و"السُّخمَه"[٣١٢] ، (وفي الوقت الحاضر ربما كتب لفظ الجلاله الله منها أو من غيرها في جبهة الطفل). و"الحقَب"[٣١٣] ، وقد يستغنى عن الجلد بأي ربط آخر من غير الجلد كالقطن. و"الحِجل" من مصنوعات الحداد وهو اشبه بالعضاد من الحديد يوضع في ساقي الطفل لكي يحفظه من الجن.

(٣٠٩) هي عبارة عن قطعة خشبية صغيرة بها مقبض وأنبوب مفتوح، أو من الخزف، يوجر به الطفل السائل سواء كان لبنا أو غيره بواسطة الأم.

(٣١٠) المِسفِر: قطعة من جلد الغنم المدبوغ توضع فوق رجلي حامل الطفل، أو تحت فراشه بحيث تحفظ سائله من إحدى السبيلين،

(٣١١) تشكيلة من خرز صغير منوع فيه الأبيض والأسود والوردي والوَدَع، وتوضع في ساعدي الطفل.

(٣١٢) كتلة صغيرة تشبه شكل الكلية في رسمها، مكونة من مسحوق الشمار، وحبه سوداء، وتزموته، وصبر، ومر، ونيل(حوير) الذي يلونها بالأسود، وفص ملح صغير، وحبتين من فلفل أسود، يعمل في وسطها سير صغير من جلد أو من غزل مفتول، وتبلل بالماء، ثم يؤخذ من مكوناتها بطرف الإصبع شيء، يوضع في فتحتي الأنف للطفل، وقد تزين جبهة الطفل برسمة ما -في السابق-من هذه السخمة، وتعطى له من منقوعها شربا لمغص البطن.

(٣١٣) سير من جلد مدبوغ صغير من صنع الدباغ يربط به حقو الطفل.

والفرحة بالمولود تعم الأسرتين، يسري جذلها والسرور لكل أفراد الأسرتين، والولادة تتم بصورة طبيعية دون تدخل في الغالب، وإن حصل التدخل فهو – في الغالب للبكر–وربما لتطمينها، وللإيناس كصاحبة التجربة الأولى، وآلام المخاض شديدة ومتنوعة وليس لها قياس، ولعل في تفسير تلك الآلام وشرحها تخفيف من هولها على الفتاة التي تلد لأول مرة، وربما تدخلت القابلات ذوات الخبرة عندما تتطلب الحالة ذلك للبكروغيرها.

بعد الولادة مباشرة، وقد استعدت الحامل أو القابلة أو المرأة التي تكون قريبة بجانبها بموس وخيط مفتول (حثمه)، وإلا نودي على من لها سابق معرفة "لقطع الصر" من الجيران، والصرهو الحبل السري وفصله عن المشيمة (اللمات)، ويربط الحبل السري المتصل بالمشيمة بفخذها حتى خروج المشيمة.

يستهل استقبال المولود في البيت "بالتعاييط"، ولهم في ذلك عرف، فإن كان المولود ذكرا، فهناك ثلاث تعاييط متوالية، وإن كان أنثى فمرتين فقط، وكل من وصلت للتهنئة من الأقارب أختا، أوعمة، أو خالة، وغيرهن تكررت التعاييط وفق العرف، بحيث أن من يسمع التعاييط يعرف أن المولود ذكر أو أنثى، ويؤخذ المولود في طبق من خوص، أو في خُبرة، ويلف بلفافة أو أكثر من القماش على جسده بدون غسل، ويترك الوجه مكشوفا، على وفق الانتماءات الطبقية، فلكل طبقة – تقريبا– لها عوائدها عند الولادة التي قد تختلف في بعض النواحي وإن كانت متفقة في أغلبها.

ويؤخذ الرجال المشيمة في وعاء من خوص (قفه أو ما يشبهها) في الغالب وتغمر بالرماد، فإن كان المولود ذكرا حفروا حفرة قريبا من باب مدخل البيت (في الشارع) ودفنوها مع الموس ومسمار حديد وشيئا من القُطن(العطب)، وإن كان المولود أنثى بحثوا الحفرة في مدخل البيت مباشرة (في الضيقه) وواروها بالتراب مع الموس والمسمار والقُطن. ولهم في ذلك فهم معيّن.

أما الفهم الذي يروي الآباء والأمهات أن البنت مهامها في خدرها أو بيتها يلفها الستر والحياء، والذكر السعي والتجوال في الأرض لأهله، والحديد (المسمار) لحفظ المدفون من الجن، والقطن كجزء من حنط الميّت، والمشيمة جزء إنتزع من إنسان..هكذا..وربما هناك تفسير آخر لفئة، أو منطقة أخرى. وقد انتهى الدفن للمشيمة ومارافقها في تلك المواقع أو مواقع أخرى في الوقت الحاضر، وإنما ترمى في الأغلب في مواقع الزبالة.

وقد يحتفل بالمولود بوليمة للأقرباء، وفي الغالب قد لا يحتفل للضائقة المالية التي يعيشها اغلب سكان البلدة في طور من أطوارها، وحتى العقيقة لم يكن يولم بها إلا البعض، أو بعض البعض، وسواء كانت في اليوم السابع أو قبله أو بعده وفيه يسمى المولود.

ويتم ختان البنت في الثلاث أو الأربع الأيام الأولى، وتقوم بمهمة الختان نساء لهن دراية وخبرة، ومع الختان للبنت تثقب أذني البنت ثقبا في شحمة الإذن، ويوضع في الثقب خيطا أسود. ويبرأ جرح الختان بعد أيام قليلة. أما ختان الولد فيكون بعد سن الخامسة إلى السابعة.

وتسمية المولود على وفق الانتماءات الطبقية، فالبعض يحدد اسم المولود أكان ذكرا أو أنثى منذ أن تحمل المرأة، والبعض يكل الاسم إلى الجد أو الجدة – أب والد الطفل وأمه- والبعض يختار الإسم والد الطفل أو أمه، والبعض- في السابق- ربما اكتفي بتسمية الطفل من أحد الوجهاء والصالحين، والبعض يحدد ثلاثة أسماء مختارات من الأب والأم والجد أو الجدة مثلا، ويكتب كل اسم من الأسماء الثلاثة في ورقة صغيرة وتلف الورقة عدة لفات، وتضرب كالقرعة، وتعطى لطفل أو الأكبر سنا، فتؤخذ إحدى الورقات فيكون الأختيارالأول بما فيها من اسم، وتتم هذه الكيفية ثلاث مرات، والإختيار يكون للاسم الذي يكون في الورقة الأخيرة التي تفتح، وربما يتكرر الإسم ثلاث مرات متوالية، وعليه تتم قراءة الفاتحة، ويكون هو الإسم للطفل أو الطفلة.

وكانت القهوة وحدها هي التي توزع ليلة "السمو" أي تسمية المولود وعند البعض فقط، ثم تطورت إلى توزيع الحلوى، وفي الوقت الراهن فقد تشكلت وتنوعت هدايا "السمو" وغلفت الهدايا بأغلفة مختلفة من أكياس نايلون، أو بلاستيكية، وقرطاسية وحوت بداخلها من الشوكلاته والنعانع والعلكة وغيرها، وطبعت بطاقات تعريف باسم المولود بخط ملون جميل.

وفي "نفسة" المرأة، في الأيام الأولى من الوضع يعطى لها "شريم" تضغط به أسفل بطنها لتخفيف الألم ما تسميه "العاصر" وهو ما تبقى من آلام الولادة، وكانت وجباتها-النفساء-من الخبز- البر- مع اللخم، ونادرا ما يكون اللحم، إلا لبعض الشرائح الطبقية، وربما عملوا للنفاس الهريس، أو العصيد، كوجبة

واحدة قد لا تتكرر في نفستها، وفي العشرين يوما من ولادتها تمسح جسمها "بالوَرِس" أو "الهرد"، والورس ثمر لنبات له نكهة ولون أحمر/ أصفر، و"الهرد"، هو الكركم، فيصفر جسمها وينعم ملمسه. وفي السابق كانت المرأة تباشرعملها الطبيعي في بيتها بعد الأسبوع الأول من الولادة تقريبا، خاصة إذا لم يكن لديها في البيت نافع قريب، وإن تأخرت ففي الأسبوع الثاني.

وكانت المرضعات من قريبات المولود وجيرانه، أو من غيرهن يبادرن برضاعة الطفل بمبررات كثيرة مثل بكاء الطفل، أو عدم إدرار لبن الأم، أو لآصرة القربى بين الأسرتين.

وكانت تتم حلاقة شعر رأس الصبي، بعد سنة أو أقل، والبعض يخصص لها وقتا من شهر معيّن-مثل العشرالأولى من أيام شهر محرم-وبعض الشرائح توزن الشعر بعملات نقدية معدنية، من ذات القيمة المتدنية، ويتم تفريقها على الأطفال، أو التصدق بها، ولم يسعفني أحد بالتساؤل إن كانت هناك شرائح تزن الشعر بذهب أو فضة، أوبعملات نقدية من فئات كبيرة من عملات النقد الورقية، إلا بالظن.

أما في الوقت الحاضر، فلا شيء مما كان، فأغلب عمليات الولادة تتم في المستشفى، وقبل الولادة تتم مراجعة الأطباء أو الطبيبات منذ بداية الحمل، وقد أعقب نموذج المهد-الهداة-السابق مهد كامل من عمل النجار بالنوعية القديمة، دون تدخل للدباغ، ثم كان من عمل الحداد بقضبان (أسياخ) من حديد بشكل وتشكيلة متطورة نسبيا، وبعدذلك أعقبها مهد مستورد، أو بصنع محلي، مقلد للمستورد في الوقت الحاضر.

ويكفينا سرد ماكان، وحاضرنا المعاش معروف ولا ثبات ولا رسوخ لعوائده، ولا مقتنياته سواء للمولود، أوعوائد أم المولود.

٦ – عادات الختان

تتم عملية الختان للذكر في السنة الخامسة إلى السابعة–زادت أو نقصت قليلا–من عمر الفتى، وقد كان البعض من ينتظر الوقت الذي يتم فيه ختان أبناء الوجهاء الأثرياء، ليتم ختان إبنه معهم، فهو لن يدفع شيئا مقابل أجر الختان، وما يعطى له مع الأجرة، إضافة إلى أن المختون مع إبن الوجهاء يحصل على عطية ما، سواء من لبس، أوهدايا أخرى كالحلويات وغيرها من أهل المختون من الوجهاء للمختونين مع إبنهم قبل ذهابهم إلى بيوتهم، فكان ما يختن إبن الوجهاء إلا ومعه ثلة من أبناء الطبقات الفقيرة الأخرى.

لكن الذي عليه البعض أن يوم ختان الولد يوم مشهود بالنسبة للأهل والأقارب، فيعطى لهم إشعار بيوم "القَطِب" أي يوم الختان، فيتواجد بعض الأقارب في البيت مع "القطب"، وقليل منهم من يحضر "القطب" لكي لايروّعوا الطفل، وعادة ما يكون "القطب" في السطح، وبعض الأطفال يصاب بالفزع والهلع، وربما غافل أهله وهرب من البيت، ويتم البحث عنه ومطاردته من قبل إخوته وأقربائه وحمله وإعادته إلى البيت، والختّان[٣١٤] في واقع الأمر ملم بتهدئة الطفل وتطمينه وعدم تخويفه، ويبذل محاولة كبيرة في التهدئة والسكينة، وشغل بال الطفل عن الكيفية ووسائلها، ولا يظهر منها للطفل إلا الوسائل التي لا ترعبه فإذا اطمأن الطفل، ألهاه بالنظر إلى ما فوقه كطير مار أو غيره، وما أن

(٣١٤) اشتهر من يقوم بالختان في البلدة من آل باسلماء من مدينة تريم.

يرفع الطفل رأسه ومن حوإليه مستعدين لرفع رأسه فيتناول الختان الموس بسرعة ويقطع القلفة التي قد قدرها، وحجز حشفة الذكر بعصب وحلقة تمر فيها القلفة التي يراد قطعها، فيشعر الطفل بنزف الدم، وربما تألم من القطع وصاح، وربما خوفه منظر الدم، أو شعر بحرقة "الآيدين"، أو ما يقال له حينها "باكوفيتين" لوقف النزيف، فاستمر في البكاء واستطال، وأبكى الأم وبعض الأخوات، وربما أغمي عليه، ويحجرن النساء، أي يعيطن، وربما أطلق بعد القطب وابل من الرصاص على وفق انتمائه، ويتحامل الطفل في مشيته.. يرفده من يرفده..فاركا رجليه إلى أن يجلس على فرشه المعد له، وهو عبارة عن فراش وثير نسبيا، عليه غطاء من قماش موصول من وسطه بخيط إلى أعلى، كوتد للخيمة من خارج الخيمة، وحوالي رجليه مساند مربوطة بهذا القماش من الجانبين في المساند، ومن خلفه على رأسه المساند يتكئ بها، وبعد أن يثبت في موقعه، تنهال عليه الهدايا من الأقربين والمحبين..من يعطيه الحلويات، ومن يعطيه الملابس، ومن يعطيه الدفاتر والاقلام والألعاب وغيرها. ويتوافد المهنئون والمهنئات والأطفال، وتدار القهوة، وأعطي للختان أجرته مصحوبة بشيء من "الكبابيس" وهي لب نبق الدوم، مع "الفحيط"، وهو السمسم المقروش، وغير ذلك.

وخوفا على الطفل من الروائح العطرية المضره-حسب الاعتقاد السائد حينها-يكون للطفل "عكوس" اثنين ترتبط بخيط وتعلق في عنقه متدلية إلى صدره، ثم يضعها على منخريه، والعكوس هي عبارة عن بذور الحبة السوداء،

والمُر، يكوّم منها ما يسد فتحة الأنف وتربط في قماش أبيض خفيف، تقيه شر الروائح العطرية. وكذا الخوف من تململه وتقلبه في نومه لكي لا يمس الجرح أو ينكأه، فالكثير من الآباء كان يربط رجلي الطفل بالمساند، وكثير من الأمهات تظل ساهرة ترقب إبنها في تحركاته اللا إرادية في أثناء نومه، وبعض الأطفال يظل ساهرا متوجعا من ألم أو من غير ألم.. لم يكن هناك شيء من المهدئات للألم، وإضافة إلى العكوس.. ربطت في عنق المختون بضعة من الحروز والتمائم تقيه شر العين والحسد.

ومن التوقي أو الوقاية من ملامسة الجرح يوضع تحت الذكر(القضيب) المختون وفوق الخصيتين"مَعْمَعْ" والمعمع هو محمل السنبلة المقوس من قصبة الذرة، يشد بخيطين إلى حقو الطفل، حيث يمنع تلامس الجرح في القضيب مع الخصيتين، ويدهن بزيت النارجيل المشمس.

في اليوم الثاني تقام مأدبة الختان، يدعى فيها الأقارب ومن لهم صلة والجيران، وهي تختلف من طبقة إلى طبقة، ومن شريحة من الطبقة عن شريحة أخرى من نفس الطبقة، ويعطى المدعوون للوليمة المختون الهدايا أو "طرح" من النقد، ويذكر أن أحدهم أولم لختان إبنه ثمانية أيام بلياليها دعوة عامة لكل أهل بلدته تريم وما جاورها. لكن على مستوى بلدتنا هي وجبة واحدة وليست عند كل الطبقات.

يبقى الطفل المختون يمشي فاركا قدميه لفترة أسبوعين أو أقل أو أكثر دون غسل لجسمه كاملا حتى يسقط "العِرق" كما يقال، والعِرق هي لحمة رقيقة من

مخلفات القلفة تحت الذكر، وبسقوط العِرق تحصل السلامة للطفل، والكثير من الأطفال تلتهب جراحات الختان لأكثر من سبب، لكن لهم وصفات شعبية من تجاربهم تتعافى جراحهم والتهاباتها طالت أو قصرت.

وقد اختزلت هذه العادة بكل توابعها، في الوقت الحاضر، وذلك بختان الطفل من قبل المساعد الصحي في الأسبوع الأول من ولادته، وكذلك البنت في المستشفى.

٧ – عادات الوفاة

في حالات الوفاة، ومن حضر الوفاة، يسجى الميّت فوق سلقة(حصير) من الخوص وتربط فكيه وقدميه، وتوضع يديه فوق بطنه، وذلك بعد نزع ثيابه ويدهن بزيت السمسم، ويوضع فوق البطن قطعة من حديد، ويتم إشعارالأقارب أولا، ثم إشعار أبو حافة الحضر، وأبو حافة المساكين، ويتبادر أهل الميّت بإحضار الوصية، إن كانت للمتوفى وصية، حيث يعيّن البعض موقع قبره في وصيته، أو مايمكن تنفيذه من الوصية قبل الدفن، ومن ثم يقرر وقت الجنازة، ويتم إشعار حافر القبور والمغسل من قبل الحافة..حافة الحضر.. ويتم إحضار القراء وأجزاء القرآن الكريم للقراءة، كما يتم إحضار ماعون الغسل و"الشطفة" و"الشمط" والجنازة إلى بيت المتوفي، وثم النبأ على كل بيت من بيوت البلدة، بأستثناء الفلاحين والعمال، لكونهم عند مزارعهم، أو في مواقع اعمالهم، ولا يتخلف منهم أحد في بيته إلا لعذر ما، والنبأ هو إشعاربأسم المتوفي أو اسمها إن كانت امرأة وموقع العزاء، أكان في البيت أو في المسجد، وموعد

الصلاة على الجنازة، ويتوافد الناس على بيت المتوفي لتقديم التعازي، وقد سبقهم إلى بيت المتوفي أجزاء القرآن الكريم، وكان بعض القراء بالأجرة، أما المعزون فيقرؤون ما استطاعوا من الأجزاء، بل تظل القراءة على الميّت طول الليل إلى الصباح إن توفى العصر- مثلا-، ولايتم الدفن في المساء- أي بالليل- إلا في حالات الوفاة الإستثنائية لضرر المتوفي، وبإذن من ناظر المقبرة، ويختم القرآن بدءا من سورة الضحى ويكبر الجميع عند نهاية السورة إلى سورة الناس(الله أكبر)، وما تعارف عليه أهل البلدة بعد ذلك بالختم، وهو ما رتبه الشيخ ابراهيم بن علي بن ابي المكارم محمد الخطيب، حيث يبدأ من الفاتحة وأول سورؤة البقرة إلى المفلحون، والهكم اله واحد، وآية الكرسي، ثم، لله مافي السموات وما في الأرض إلى آخر السورة[٣١٥]، وهو معروف مشهور، وإهدائها بعد تلاوة الخطبة المعروفة إلى روح الميت، وتستمر القراءة، وبعد أن يتم غسل الميت، والغسل المعمول به، هو أولا غسل جسد الميّت بالماء الصافي، ثم مع دلكه "بالحتيكة"- وقد اشرنا إلى الحتيكه-، ثم مع الغسه- اللجن- وهي أوراق السدر بعد تجفيفها وطحنها، عدة غسلات، وأخيرا الماء المذوب فيه الكافور، (والكافور معروف) وفي الأغلب سبع غسلات. وقد يطلب بعد ذلك بعض الأقارب إلقاء نظرة أخيره على ميتهم، ثم يتم تكفينه بالمتعارف عليه على وفق مذهب الإمام الشافعي، والمعمول به في البلدة والمدينة، كسد المنافذ بالقطن،

(٣١٥) عمر علوي الكاف: الخبايا في الزوايا صـ ١٣٨.

وذري الكفن بأوراق البصيلة الجافة، وورق الحناء الطرية، والكافور المدقوق، ثم يوضع الميّت بعد تكفينه في "الشطفه"[٣١٦]، وقد يصلى عليه في البيت، ويتم ختم الختمة بقراءة السور، والتكبير نهاية كل سورة، وتقرأ الخطبة(خطبة الأموات) والميّت في "الشطفة" قد يكون ممددا بين المعزين، أو في موقع آخر، وبعد الإنتهاء من الخطبة وترتيب الفاتحة أو الفواتح، يكون النعش في مدخل البيت (الضيقه) غالبا، حيث تحمل الشطفة بميتها إلى موقع النعش ويوضع فيه، ويسدل على النعش الشمط، ويثبت في إطار النعش، وتترك من الشمط وصلة منه في مقدمة النعش، ويقف حمالة النعش وترتب الفاتحة، ومن ثم تغادر الجنازة (النعش) البيت، بتشهيده (أشهد أن لا إله إلا الله وحده..واحد وحده.. لاشريك له..) ممن يخطمها أي ممسكا بتلك الوصلة، من الشمط في مقدمة النعش، وترتفع أصوات النائحات من البيت عند سماع ذلك، والشمط من إسمه ما خالط بياضه سواد، وهو هنا قماش كان ومازال لبعض الجنائز بلونين، لكنه ليس بالضرورة ما وافق التسمية، فقد يكون الشمط بأكثر من لون ولا سواد فيه، واستخدم شمط آخر بلون أخضر تقريبا، وفيه آيات من القرآن الكريم مطرزة(آية الكرسي)، ويتناوب حمالة النعش حمله بالتذكير بالصلاة على النبي، أو بقولهم اذكر الله ياغافل، مع تكرار التشهوده، ووصلها بـ "واحد وحده لا شريك له"، ولعل هذه "التشهودة" استحدثت مع الجنائزبأستحداث

(٣١٦) الشطفة هي من مصنوعات خوص النخل، أو السعف على هيئة خاصة بوسط وجناحين، يوضع في وسطها الميّت بعد تكفينه ويغطى بالجناحين، ويوضع في النعش.

الذكر"لأخدام السقاف" مع الجنائز، إذ لا توجد مثل هذه الطريقة مع الجنائز إلا في تريم وضواحيها، فبعد انتهاء من يختم الجنازة من التشهودة(أشهد أن لاإله إلا الله وحده..واحد وحده..لا شريك له..) في جنائز السادة فقط، ترتفع أصوات أخدام السقاف بالذكر، "واستحدث الذكر- حسب رواية المشرع الروي- خلف(أمام) الجنائز السيّد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي مولى الدويلة الشهير بمولى خيله، واستمر عمل الناس عليه واختلف الناس فيه، فمنهم من استحسنه ومنهم من استهجنه، والذي عليه أصحابنا أن الصواب كما في المجموع ما كان عليه السلف من السكوت حال السير متفكرا في الموت وما يتعلق به، وفناء الدنيا ذاكرا بلسانه سرا، لا جهرا، لما روى البيهقي أن الصحابة رضي الله عنهم كرهوا رفع الصوت عند الجنائز... وكره الحسن وغيره قول المنادي مع الجنازة استغفروا لأخيكم، ومن ثم قال إبن عمر لقائله: "لاغفر الله لك"[٣١٧].

والشاطري يقول عن الذكر لأخدام السقاف:" أما في الجنائز قيقومون برفع أصواتهم بالذكر الحزين الذي يستدعي الخشية والإعتبار أمام الجنائز بتريم منذ أوائل القرن العاشر، حيث ابتدع هذا الذكر السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله مولى خيله، ولكن العلامة أحمد بن حسين العيدروس خالفه، فلم يستحسن العمل به لنفسه، ولا لأتباعه من بعده، ولعل وجهة نظره أنه يرى في هذا شيئا من الإبتداع بالنسبة لهذا الموقف"[٣١٨].

(٣١٧) الشلي: المشرع الروي جـ٢ صـ١٣١.

(٣١٨) أدوار التاريخ الحضرمي جـ٢ صـ ٥٤.

وفي مسجد جامع مشهور تقام الصلاة عليها، فإن كان العزاء في المسجد(مسجد جامع مشهور) يقرأ المعزون – طوعا- كل على حده، جزء من القرآن الكريم أو اكثر، وهي أجزاء منفردة، ويختم وتقرأ خطبة الأموات كما تقدم، ووفق النظام السائد حينها كانت الجنائز لغير السادة يصلى عليها في الضاحية من المسجد(صحن مؤخرة المسجد)، وبالنسبة للسادة فمدخلها إلى الرواق الداخلي في مقدمة المسجد (الحمام)، مع أخدام السقاف الذين يتقدمون النعش بالذكر(وقد أبطلت هذه العادة بدخول كل جنازة إلى الداخل)، (وغالبا ما يكون عزاء اموات السادة وبعض الوجهاء في البيوت) وللعزاء- يدار الدخون والقهوة، سواء كان في المسجد أو في البيت-، وعندما يبدأ دير القهوة بدءا بمن يتصدرالمجلس، يبدأ الختم بقراءة سورة الضحى، ويتناوب الحاضرون السور إلى سورة الناس مع التكبير (الله أكبر) نهاية كل سورة، حتى الختم المعروف، ولهم في ذلك نظام وتوقيت معروف، وتقرأ بعد ذلك الخطبة المعروفة، وترتب الفاتحة، ماعدا السادة، فلهم ترتيب فواتح لسلفهم، ثم الدعوة للصلاة على الميت بتعيين جنسه، إن كان ذكرا أو أنثى، وبعد الصلاة يحمل النعش أهل البلدة بالتناوب، وكانوا في السابق يجنبون سير النعش الجزء الشرقي من الطريق الواقعة بين بيت سعيد باني سابقا، وبن ذياب حاليا، وبيت آل بامزروع في الجانب البحري (الجنوبي) من مسجد جامع مشهور، كما كانوا يتجنبون سير النعش فيما كانت تسمى "الساقيه" في شحرة آل عقيل، ويمررون الجنازة(النعش) بين الديار. ويتبع النعش- في السابق- بعض كبار السن إلى حوالي مقبرة بريح – سابقا-

سدة محبوب- مدرسة دمون حاليا- حيث يقفون يرتبون الفاتحة ويدعون للميت بغفران الذنب، ويعودون إلى البلدة، ، ويتدافع أهل البلدة لحمل النعش مارين بالنويدرة إلى منترة هاشم التي هي بين حافة السحيل وحافة السوق، حيث يصلى على الجنازة من جديد في مسجد جامع تريم- إن وجد من يريد الصلاة، كذلك الصلاة في جبانة تريم، إن وجد من يريد الصلاة عليها-، وبعد الخروج من الجبانه قد يحول المحول إذا كانت شخصية الميّت ممن يتوسم فيه الصلاح والولاية من السادة أو من المشايخ وغيرهم، فيقف المشيعون مع حملة النعش الذي يوجه إلى القبلة، ويحول من يخطم الجنازة أو غيره، والتحويل هو ما أوردناه سابقا: (حول..حول.. حولاه، وكل وادي ضمان...الخ) وتتميّز جنائز أهل البلدة بكثرة المشيعين من كل الطبقات في السابق لأي ميّت عادي، أكثر من أي حافة، أو حي آخر من أحياء تريم، في تشييع الجنائز العامة، وثم يوارى الميّت في قبره، وباحث القبر يؤذن، وربما خرج مع الميّت الملقن (قريب أو وجيه صالح) في قبره، ولكل قبيلة موقع في إحدى مقابر تريم، وبعد الدفن يطلب باحث القبرمن الحاضرين قراءة سورة الفاتحة، واحدعشر من سورة قل هو الله أحد والمعوذتين، وبعدئذ يلقن الميت التلقين المتعارف عليه: ياعبد الله إبن أمة الله الخ...، ويتم تنفيذ الوصية إن كانت للميت وصية بقراءة ختمة "الوحشة" عند القبر، أو حسب طلب الأقرباء للميّت، حيث يتم توزيع أجزاء القرآن على الحاضرين من يريد القراءة ثم يختم، وينادي منادي قبل ذلك أي بعد الدفن مباشرة من حول القبر بإشعار الموجودين بموقع قراءة التسابيح والختم، -

للعلم بعض الطبقات تقرأ التسابيح والختم عند القبر، والبعض يولم للختم- وينهض المشيعون، ويحمل النعش أحد الرجال المكلفين بحمله على رأسه مع محتوياته إلى موقعه بالبلدة، والبعض – أو حسب الوصية- يطلب قراءت ختمة أو أكثر عند القبر في صباح الثلاث الأيام الأولى، وكذا تقرأ على الميّت التسابيح في مسجد مشهور لليلتين متواليتين قد تبدأ قبيل إذان العشاء وتستأنف بعد الأذان حتى إقامة صلاة العشاء، وكانوا في الليلة الثالثة تكون التسابيح في البيت عند البعض، وفي الليلة الثالثة عصرا الختم في مسجد جامع مشهور.

وربما وصى المتوفي بقراءة "التهاليل" على روحه، وغالبا ما تتم في البيوت، وكان الميسورون يجعلون شيئا من أراضيهم وغلتها وقفا للتهاليل.

إلا أنه في الفترة الأخيرة، ابطلت بعض هذه العادات على وفق مفاهيم ذوي الميت. وفي السابق كان باحث القبر يكتب اسم المتوفي المقبور في كتلة من الطين المتماسك وتاريخ وفاته، يضعها في جانب من تراب القبر، ريثما يتم تنوير القبر، ويتم بعدها كتابة المعلومة في الشاهدة التي توضع في أعلى القبر عند رأس المتوفي، ومعلوم أن للذَّكَر شاهدتين، وللإنثى ثلاث شواهد. أما في الوقت الحاضر فيدوّن موقع المقبور في مدونات رسمية خاصة تحدد موقعه من جيرانه.

والشواهد من جبل الفريط..وموقع الجبل غربي المقبرة، وحجر الشاهدة أشبه بالرمل الأحمر والأصفر المتماسك، وتتم الكتابة والنقش فيه بعد التهيئة، وتختلف الشواهد في حجمها بين كبيرة قد تتعدى المتر في الطول والنصف متر في العرض، ومتوسطة، وصغيرة، وربما بحسب الطلب من ناحية ووجاهة المقبور

من ناحية أخرى، وربما نبش قبر واعيدت شاهدة المقبور، فوق المقبور الجديد وبقي اسم المقبور الأول في الخلف وفي الواجهة اسم المقبور الجديد.

في السبعينيات الميلادية من القرن الماضي أبطلت الحويف، وأبطل تلقائيا ما كان من ضمن نظام عوائدها حول الميّت، وبقيت بعض العوائد كخطم الجنازة، والتشهودة، وألغي النبأ تحت البيوت، واستحدث حينها بنبأ عام بالميكرفون في مداخل الشوارع، وهو في الوقت الحاضر يتم نبأ عام في ميكرفون مسجد جامع مشهور، وبين نبأ في المساجد بعد أداء الصلاة للمصلين، أكانت صلاة الفجرأوالظهر، أو العصر، أو العشاء. وقد ترتب الفاتحة بعد أداء الصلاة المفروضة للميت حديث الوفاة في مسجد مشهور، حتى يتم توقيت العزاء والجنازه، فيكون النبأ.

ويتم في الوقت الحاضر حمل النعش من بيت المتوفي إلى المسجد الجامع (سواء كان جامع مسجد مشهور، أو مسجد الجامع) من قبل المشيعين، ومن المسجد بعد الصلاة عليه إلى موقف قريب حيث يتم الإنتقال به مع المشيعين بالسيارات إلى جبانة تريم للصلاة عليه، ومن ثم إلى مثواه الأخير.

وفي الفترة الأخيرة كان أموات الجانب الجنوبي(البحري) من البلدة تتم الصلاة عليه في مسجد بلفقيه، وحسب طلب ذوي الميّت أو وصيته قد يقام له ختم في المسجد، كما قد تم فيه ختم وعزاء للميّت للغائب.

كما تمت الصلاة على الميّت في مسجد الهدى بالمشروخة، وهي اول صلاة تقام على ميّت في المسجد.

وحسب المفاهيم التي طرأت على البعض من أهل البلدة فهناك من بقي على العادة القديمة كالتشهودة، وكذا التسابيح والختم وقراءة القرآن للعزاء ومارافق ذلك، وهناك من ألغاها، ومنهم من اكتفى بالختم فقط.

في حالة وفاة طفل يتم غسله وتكفينه والصلاة عليه، إن صادف وفاته قرب صلاة جماعة من الصلوات المفروضة في المسجد صلوا عليه، أو مع وجود جنازة لميّت بالغ، وإلا صلى عليه بضعة اشخاص ويحمل بالأيدي أو بسيارة خاصة إلى مقبرة ذويه، وإذا كان الطفل تجاوز السابعة من عمره، فللأطفال نعش خاص، ويصلى عليه كغيره من البالغين، إلا إنه لا تسابيح ولاختم له.

كما تتم الصلاة على الميّت الغائب من أ بناء البلدة وغيرهم، وغالبا تكون الصلاة بعد صلاة الجمعة، وربما طلب أهل الميّت الغائب عزاء في البيت، وختم في المسجد، وصلاة الغائب تكون في مسجد جامع مشهور.

٨ – مظاهر اللباس وصوره

الزي وهو هيئة اللباس ونوعيته للإنسان، ولباس أهل البلدة في تلك الفترة، يختلف باختلاف الانتماء الطبقي في المجتمع، ولعله مما لا يخطر على بالنا أن أغلب الآباء والأجداد كانوا يلبسون من نسيج "محاويكهم" ومن منتجات أرضهم الزراعية من القطن، بلونها الأبيض، ويصبغونها من محاصيل أشجار وحشائش أرضهم(الحوير) النيلة بلونها الأسود، أو بغيرها من الألوان، وكانت الملابس وتفصيلها على وفق التصنيف الطبقي، أوالحالة المادية للابس، والبعض

ممن يستورد ملابسه من غير البلدة كوجهاء البلاد وأغنيائها والمهاجرين، فيلبسون من المستورد على وفق انتمائهم الطبقي، فللسادة- مثلا- وبعض المشايخ، الجبة "والكوت" والقمصان الداخلية، والعمامة، والألفية التي تحل محل العمامة، ولبس "الصاروم" إلى نصف الساق تحت الجبة مع الحزام، أو بدونها، والأردية من الصوف أو القطن، أوالحرير، ورجال القبائل: إزارهم السباعية المصبوغة بالنيلة، أو المشكلة بألوان "وهذابيل" مفتولة في أطرافها، وقد لاتتجاوز الركب، ورداؤهم السبيغة (الصبيغة)، تتوسط حقوه ويرسلها من كتفيه كالصليب.. تتدلى "الهذابيل" في مقدمته، أو وراء ظهره، متمنطقا بالخنجر(الجنبيه)، وفي حزامه مرود للكحل، وعلى كتفه السيف، ويبقى شعر رأسه بوفرة كثيفة الشعر قد يرسلها إلى مؤخرة الرأس، وقد يزيّن عضده "بعضاد"(حلقة معدنية)، والكهل والشيخ يتعمم بعمامة، وربما غطى رأسه "بصماده"، والصماده مايلفه الرجل على رأسه من قماش غير العمامة، ونادرا ما تجده غطى ظهره بقميص إلا في حالة اشتداد البرد أو لبعض المناسبات.

وغالبية أبناء الطبقات.. أغلب لبسها من نسيج البلدة من القطن...إزار وعمامة ورداء من الكاره القطنية، ومن وضع على رأسه قلنسوة، (كوفيه) فهي في الأغلب من عمل يدوي محلي، والبعض يكتفي بالرداء يلتحف به إتقاء للبرد، ومن استخدم الحزام فمن الجلد من صنع الدباغ، والكثير يكتفي بربط الإزار بالحقاء(الحقَب)، وربما لبس البعض ببعض الملابس المستوردة من غير البلدة محليا أو خارجيا، أكانت بالشراء، أوهي هبات من الآخر المقيم أو المغترب..

مستعملة أو جديدة، ويحتذي من احتذى بأحذية من صنع الدباغ محليا، والكثيرون يسيرون حفاة، والوجهاء قد يحتذون بحذاء مستورد.

وعندما استخدمت الساعات مع الوجهاء في البلدة، كانت ساعات الجيب (كما يقال لها حينها) وهي ساعات مدوره بلون فضي في الأغلب بغطاء وبأرقام لاتينية وتعبا يدويا، وترتبط بسلسلة إلى جيب القميص أو "الكوت"، وفيما بعد إلى فتحة خاصة في الحزام، وقد تكيس في كيس من القطن.

وقد اعتاد وتعود البعض من كل الشرائح تقريبا عادة التدخين، سواء تدخين (مزيز) التمباك(التبغ) الغيلي أو الحمي بالرشبة (النارجيله)، أو بلف السيجارة السوداء المعروفة حينها "بأبوفيل"، ولا توجد غيرها، أو من اتخذ من التمباك والرماد السوكة(المضغة) التي توضع بعد التهيئه تحت الشفة في حنكه، وهناك من اتخذ من التمباك بعد سحقه جيدا يستنشقه ويضع شيئا منه في منخريه وهو(النشوق).

ولهذا فقد اتخذ البعض مع الزي كيسا صغيرا للتمباك(التبغ)، أولتمباك مسحوق مع الرماد، أو صندوق صغير من معدن أو غيره فيه سيجارة ملفوفة أو غير ملفوفة مع ورق اللف، واضعا إياه بارزا على عطفات عمامته أو صمادته، أو بين عطفات إزاره، أو جيب قميصه، ومن جعل للرشبة جرابا من جلد أو من قماش واضعا إياه على كتفه في حالة تنقله. وأصحاب النشوق يضع علبة النشوق المعدنية-في الغالب- في عطفات العمامة أو في جيب قميصه.

أما النساء.. فنساء الوجهاء خاصة السادة وبعض المشايخ وبعض القرار فلباسهن خارج البيت من سروال طويل وقميص أسود ونقاب يغطي الرأس

وأكثر الوجه، وقد يسدل منه شيئا يغطي الجبهة، وتبقى العينين مكشوفة، وكذا الكفين، وربما القدمين، وبحذاء مستورد أو محلي الصنع، وفي داخل البيوت لباس لكل مناسبة خاصة أو عامة، واللبس بتفصيل من "ذيل "وقَدْمه" مع الحزام، والحزام عبارة عن صفائح فضية، من صنع الصائغ المحلي بحجم الصفيحة ٢X٤ سم تقريبا أو عريضة بحجم ٤X٤سم تقريبا، ولكل صفيحة إطار عليه نقش صغير، وصفحة مصقولة، وفي جانبيها من الخلف حلقتين أمامية وخلفية لتمرير شريط من القماش المفتول لإنتظام الصفائح فيه على وفق طول الحزام وقصره، وفي طرفي الحزام "قرصتان" وهما على هيئة قبة صغيرة مجوفة من الداخل إحداها بكلاب والأخرى بحلقه للربط، وكانت النساء قبل ذلك تتخذ نطاقا من الجلد، أو من القماش، أو من الجلد والقماش معا قبل الحزام، ثم حزاما من القماش تخاط فيها الودع، وقد استبدلت بعدئذ الأحزمة الفضية بسلسلة من الفضة، في طرفيها ما يقال لها "شمسه" والشمسه في الأصل نوع من القلائد، ولعلهم اختاروا تلك التسمية لأنها تتوسط الحزام في جسم المرأة، وقد كانت من الفضة ثم استبدلت بالذهب، وهي بحجم صغير جدا حلت محل القِرِص للحزام، وليست بشكلها ولا قريب منها، وقد تكتفي بعض النساء بربط شريط من القماش على خصرها بدلا من الحزام ويعطي المراد من الحزام وهو شد الثوب بالخصر. (في الفترة الأخيرة حل محل ذلك الحزام من الذهب الخالص – عند القادرين–وإن كان استعماله للمباهاة أو للزينة فقط). أما بقية نساء الشرائح الطبقية خارج المنزل، فغالبا عليهن لبس السواد (بركاله) "بذيل" قد يمسح

الأرض، إذا لم ترفع المرأة طرفه إلى الحزام ويقال لها "تشموره" أو "تشكوله"، و"قدمِة" الثوب إلى نصف الساق أو أقل قليلا، وهو لبس الخروج من البيت سواء لمواقع العمل كالزراعة – مثلا– أو جلب الماء، أو الحطب، أو المشاوير الخاصة، وقد تتقمص المرأة في مشاويرها بقميص(صولي) أصفر أو أحمر فوق ثوبها "البركاله" أو غيره، وقد ترى خياطة يدوية لشعق رَتَق بخرقة من غير لون اللبس في الثوب بخيط أبيض أو بلون آخر بارز بتعاريج مشوهة غير منتظمة.

وهذا اللبس الأسود وصفته سواء كان من عقوبات معن بن زائدة الشيباني على أهل حضرموت، أو من ضرورة اقتضتها في زمنها، حيث لاينسج غيره، وأضحت عادة، وزيا للعام والخاص. وغالبا ما يكون الوجه سافرا وكذا الكفان والقدمان، والرأس مغطى بنقاب، وقد يحجب النقاب الفم و الأنف وتبقى العينين والجبهة ظاهرة، وفي أثناء عملها اليومي سواء في المزرعة أو في البيت فإنها تستخدم "تكتوفه" والتكتوفه: هي خيط مفتول أو حبل صغير مربوط يشد أكمام ثوب المرأة بضمها حول الرقبة حتى لا تعرقل أو تعيق تلك الأكمام عملها، خاصة في الزراعة أو "الطحين" أو "الرهي"، وتستخدم المرأة مع الثوب في كثير من المناسبات ما تسميه "معرَقَة"، وهي "كالشلحة" في مفهومنا اليوم، وقد تكون هذه "المعرقة" قميص النوم، أما حليها فتبع لانتمائها والحالة المادية التي تعيشها، فالحلي من الذهب قليلة الإستعمال إلا لبعض البعض من القادرين، أما عامة الناس، فحليهم أسورة من فضة، و" مرية" من فضة أيضا وحجول للأرجل من فضة ووزغ (أقراط) للأذن فضية أيضا، وقد لا تقدر بعض الشرائح

على التحلي بالفضة، فتكون تلك الحلي أو بعضها من الخرز بألوانه الزاهية، أو من معادن أخرى رخيصة الثمن، وللأصابع خاتم قد يكون من الفضة أو مجرد حلقة معدنية، أو غيرها مما تواجد في الفترة الأخيرة من أنواع مصنعة معروفة، وذلك قبل التحلي بالذهب في الوقت الأخير.

ولباس المرأة سواء كانت "البركالة" أو "المعلوم" في السابق، أو غيرها وهو من نسيج الحويك المحلي، أو من أنواع الأقمشة التي لبستها المرأة من مصادر أخرى، بنوعية "الذيل والقدمة"، تزين مقدمتها (قَدمِه) بما يسمى "التَّل" وهو شريط مصنوع بألوان متنوعة، يناسب لون اللبس، ويوضع في قدمِة الثوب ولا يتجاوزها، وكذلك يزيّن هذا الشريط أكمام الثوب، وعلى دائرة الرقبة، والبعض تكتفي بشريط من القماش الأبيض-مثلا- في تلك المواقع من الثوب بدلا من "التل".

البعض من الشرائح الاجتماعيه لا تترك لبسها البركاله أو القميص حتى يغبر ويتغيّر لونه من دوله، أو من تعرضه للشمس، وربما ترقع الثوب بأكثر من رقعة، ورتقت أشعاقه بأكثر من لون من خيط المخيط، وليس هذا عن لبس المرأة فقد يشاركها كذلك الرجل والطفل والطفلة.

أما الأطفال، - لبعض الشرائح- كان الكثير منهم يجوبون الشوارع في سن الرابعة إلى السادسة عراة تماما، لا يغطي أجسادهم لبس، اللهم إن كان هناك "حقب" من جلد أو من غزل في حقوه، وربما علق البعض في رقبته حروز" عدة ارتبطت بسير، والبنات الصغار حتى سن الرابعة تقريبا تخرج عارية تماما إلا من ستارة على قبالتهن من صنع الدباغ، والستارة عبارة عن سيور جلدية تغطي

سوءتها الإمامية مربوطة بسير في حقوها، وفي ثقب شحمة الاذنين خيط أسود أو حلقة معدنية صغيرة، وفي رجلي الطفلين "حجل"حلقة معدنية، وربما حلق رأس الطفل كاملا أو ترك في وسطه "قمزوز" (والقمزوز: وصلة من الشعرفي جزء أو أجزاء من الرأس) أو "سبيبه"[٣١٩]، تبقى بعد حلاقة شعر الرأس، وفي وقت اشتداد البرد يكون اللبس للأطفال من الكاره مصبوغة بالنيله على قامة الطفل والطفلة بأكمام طويلة.

ومع هذا اللبس أو الزي سواء للرجال أو النساء أو الأطفال، كانت الأجساد مع اللبس مأوى ومرتعا للقمل والصواب خاصة في الرأس، فلا تكل الأيدي من فلي القمل وقتله بين الأظافر خاصة من شعر الرأس، وترى اللبس يعرض تحت أشعة الشمس ليدب القمل من حرارة الشمس ويبرز للعيان من مخدعه ويكون مصرعه، ولم تكن هناك أي حصانة منه، أو محاربة له بأي شكل إلا القتل بتلك الطريقة، فهو يتنقل في الفرش وفي اللبس ومع الملامسة بين الطفل ووالديه أو أشقائه أو العكس.

وفي فترات متأخرة وقد تواجدت بشكل أو بآخر المستوردات من الأقمشة وغيرها، استبدل لبس المرأة من "ذيل وقدمه" إلى فساتين، ودروع، ومن اللبس الخارجي (سروال وقميص أحمر وأصفر) إلى قميص أسود، ثم إلى شقة-لبس أسود من شقين بأكمامه الطويلة-، ثم العباية، ثم إلى لبس خارجي متعدد بتعدد الموضة، واما اللبس الداخلي لانستطيع حصره ففيه البنطلونات، بأشكال ونوعيات وأسامي

(٣١٩) السبيبه: وصلة من الشعر متصلة في رأس الصبي من المقدمة إلى مؤخرة الرأس.

مختلفة، وكذا الفساتين ماقصر منها وما ضاق، وما اتسع..ماكان من قطعة واحدة وماكان من قطعتين كالإزار والقميص وماكان من اكثر من قطعة.

و..غني عن التعريف لبس الحاضر عامة بأثمانه الغالية أو الرخيصة ونظافته، سواء للرجال أو النساء أوالأطفال، إضافة إلى نظافة الجسد عامة.

٩ – نمط بناء المساكن

مساكن أهل البلدة كغيرها من مساكن مدن وبلدات المنطقة، من اللِّبن(المدر) الطين المخلوط مع التبن، المعروف للكل، وأبوابهم والنوافذ على بساطتها من خشب الإثل في الغالب، وخشب السقف من جذوع النخل، أو من خشب العلب، أوالأراك، وغيره.

وكانت البيوت القديمة للبلدة في أغلبها بسيطة للغاية، تجانس وتوائم بساطة المعيشة التي يعيشها سكانها، فهي على صغرها وكثرة ساكنيها(من ثمانية إلى ستة عشر فردا تقريبا) من الأخوة وأبناء العمومة، فهي تتكون من طابقين إلى ثلاثة طوابق، كل طابق لا يتعدى في الغالب ثلاث أو أربع غرف، ففي الطابق الأرضي يكون المدخل من باب "الضيقه" وهو مدخل للسكن، والباب من خشب الإثل – غالبا– وله قالودة في واجهة الباب لاغلاقه بالقليد، و"قرقاعة" للطرق، وله "قالودة" من الداخل لإغلاقه من الداخل، دون أن يكون لها قليد، معدة لفتح الباب من أعلى البيت ووسطه، حيث يربط طرفها– القالوده– بخيوط مفتولة غليظة، سواء من حبل أو من غزل(مجَر/ غلَق) متصل بكل طوابق البيت ليتم به فتح باب المدخل للطارق، ويلي المدخل(الضيقة) غرفة

تسمى "ميسمه"، ولا يكون لها نوافذ وإنما كوة صغيرة عند السقف وربما كوتين أو ثلاث، وتكون تلك الغرفة مخصصة لزير التمر، وبعض المقتنيات الخاصة لذوي الحرف، وكذا "الدِّس" موقع يكون أسفل الرقاد ينتفع لحفظ بعض الأشياء، وقد يكون المطبخ ودرع الغنم، وموقع "الرحى" و"الضاحه" من ضمن الطابق الأرضي، وهذا تقتضيه سعة المساحة للبيت، والرقاد الذي يصل طبقات البيت، فهو تبع لمساحة البيت وتخطيطه فقد تكون الرقدة(المرقاة) بطول ٤٥سم، وعرض ١٥ سم وارتفاع ٥/ ٦ سم- بزيادة أو نقصان يسير- وفي كل فصل قد توجد كوة أو فتحة كبيرة. أما الطابق الثاني وغرفه تسمى"غِيَل" جمع "غيله"، وقد تكون الغيلة بسهم(عمود) أو سهمين، وتطلى جدرانها بالنورة بعد تمليسها بالطين والتبن الناعم، ويضم الطابق الثاني الحمام، وربما أيضا الطابق الأرضي يكون فيه حمام في بعض المساكن، وسعة الحمام لاتتجاوز في الأغلب ١x٢ متر تقريبا، ويؤسس للحمام مع ساس الدار موقع لمخرج البراز تكون جدرانه الأرضية من الحجر، وتؤسس فتحة تبقى بتأسيسها للحمامات مع كل طوابق البيت، وفي الحمام تكون دكة مرتفعة عن ارضيته وفيها فتحة لمخرج براز الإنسان، وقبالتها منحدر إلى الميزاب (المرحاض) يقال له "سحسوح" لخروج البول والماء، وقد يكون مخرج الماء من ضمن جدار البيت يتم طرقته بالنوره، وبجانب الدكة (حوبة) حوض صغير مخصص للفقاش(الكتل الطينية للإستنجاء). ولايستقبل قاضي الحاجة القبلة ولا يستدبرها، فدائما اتجاهه في الحمامات إما إلى الشمال أو الجنوب، حسب تخطيط كل حمام تقريبا في البيوت القديمة، وفي السحسوح في أرضية الحمام، منصتان متجاورتان منفصلتان

بحوالي عشرة سنتيمتر، وبارتفاع مثله تقريبا سعة قدمي الإنسان يعتليها للتبول، وموقع في ركن الحمام لزير الماء، "ومصب"ماء من الخزف للإ ستنجاء، وقد يكون الحمام الوحيد في كل طابق في أغلب البيوت، وأغلب الحمامات مطروقة قاعتها بالنورة وجزء من جدرانها، أو كل جدرانها عند البعض في بعض الطوابق، ومن ضمن غرف الطابق الثاني غرفة الإستقبال تجاوزا للمسمى، ففيها "المغسي"، كالشماعة اليوم يمتد بين السهمين لتعليق الثياب، وقد يكون لحجب النساء عن الرجال في الجانب الآخر، والغرفة في الأغلب لبيوت العامة لاتتجاوز السهمين (العمودين)، وفيها دكة(رقدة) القهوة، وهي بمساحة رقدة الرقاد المربوعة تقريبا، وفي الدكه سَفَن، والسفن حجرة مدورة معمولة ومغروزة في الرقدة، لتكون تحت المنحاز أي المدق (هاون) في أثناء الدقاقه، وموقع الدِّكه، في جانب من ركن الغرفة، بجانبها فجوة في الجدار بعكوف وبزخرفة، وبرفوف ومواقع معمولة ومطروقة بالنوره بإتقان لماعون القهوة، وهناك فتحة في الجدار صغيرة لنفث الدخان من موقد القهوة، (مصباه) وفي الدكة تلك تعمل القهوة، ويتم غسل الأواني فهي تكون في الغالب بجانب مخرج الماء، أو ما يقال له "سحسوح". حيث يكون موقع "مركن" فيه ماء، قد يكون المركن من نحاس أو من خزف، وموقع لِكِلاّب القربه ومحمله قبالة الخلفة (النافذة) بقرب دكة القهوة، وتعلق القربة، أو الشنه[٣٢٠]، مع دن الشرب، هذا مع أنه قد تكون في البيت ما تسمى "مقدّمة" بها حاملات لقرب الماء لتبريده للشرب.

(٣٢٠) الشنه هي القربة القديمة بها ماء الشرب.

والمقدّمة التي أشرنا إليها هي في بعض من البيوت القديمة، أو أغلبها ويكون فيها مغسي، وتربط حبال بالمغسي وفي أطرافها كلاّب القرب المحملة بالماء، وقد تستخدم لغسل الميّت، وذبح الذبائح.

وفي بعض البيوت قد جعلوا من تحت عطفات الرقاد في الطابق الثاني "تيحه" وهي مخزن صغير بسعة مربوعة رقاد تقريبا، وذلك لحفظ بعض الأشياء، وفي الطابق الثالث إن حصل في بعض البيوت فالغرفة تسمى "مرواح"، والمرواح يكون من سهم واحد، أو بدون سهم، لصغر مساحته فيكتفى بمد قاسم، وأغلب الغرف سواء الغِيل، أو المراويح يكون لها مخرج ماء(سحسوح) في داخلها، وربما لهذه الغرف سواء الغيل، أو المراويح جعلوها في داخلها أو قريب منها "خزانة" كمستودع صغير، كما يكون لبعض الغرف تلك "عماري"، وهو الدولاب المحفور في الجدار وله باب.

ومن بعد المرواح قد تكون هناك في الطابق الرابع غرفة أو أكثر وتسمى "غُلب "، وبعد ذلك السطوح، وربما بجانب الغلب سطح أو أكثر من سطح. ومن لم يكن له طابق رابع فقد يتخذ من بعض السطوح إما مطبخا أو درع الغنم، أوجعلها للنوم والسمر في فصل الصيف، وفي بعض البيوت تؤسس سطحة "ريم" له مدخل خاص أو من إحدى الغرف للسمر وللنوم في الصيف، وللمناسبات إذا كانت مساحتها مناسبة. وبسقف نهاية الرقاد في أعلى البيت يقال لها "تيرمه".

والمطبخ كما قدمنا قد يكون في أسفل الدار وقد يكون في أعلاه في السطوح، وهو عادة مكون من جحلة(زير) فيه الماء، و"مرهى" و"عالي"، وأثافي (تناصيب) في منصة صغيرة بارتفاع ١٥سم أو أكثر أو أقل قليلا، وقد تكون

الأثافي ثلاثا أو اثنتين مختلفات الحجم، والتنار(التنور) إن كان في غرفة في أعلى البيت مسقوفة فله فتحة في السقف لخروج الدخان، وللمطبخ رِف محفور في داخل الجدار أو رِف من الخشب معلق بالجدار لوضع أواني البهارات فيه وما تحتاجه ربة الدار للطبخ.

ونادرا ما تطلى جدران المطبخ أو ترش بالنورة، فتكون جدرانه من آثار دخان الطبخ سوداء.

وقد يكون للبيت "حوش" فناء أمامه أو خلفه "حيوه" مسوّرة ومدخل منها إلى البيت ببوابة كبيرة "سده"، وللبيت مدخل فرعي آخر من خلف أو من جانب الدار يقال له "مسلف".

أما الأثاث العام لهذا البيت إضافة إلى ما ذكر، فالمكل كفرش للغرف (جمع مكيل) والتفل (جمع تفال) كسفر للأكل ولمهام أخرى، والمساند (التكاي) وقد تكون محشوة بليف النخل، أو بثمر شجرة "الرا"، و"اللحاف " كغطاء وقت البرد قبل أن تعرف السلاميد (البطانيات)، وآنية القهوة من الخزف أو من الخشب، والأباريق قد تكون من القصدير وأواني الشرب من القصدير أيضا، أو من الخزف، كذلك أواني الأكل، وسراج إلاضاءة الفانوس، وقاس خمسية، وكل ذلك صناعة محلية.

هذه لمحة عن مساكن الإنسان العادي في البلدة وأثاثه المنزلي في مدة من تاريخه، غير أن هناك في البلدة مساكن الأثرياء والوجهاء في تلك المدة أو بعدها بقليل، تختلف شكلا ومضمونا عن تلك المساكن، وإن توافقت في مواد بنائها

الأولى، وبعضا من أوانيها، فهناك في البلدة في تلك الفترة أكثر من عشرين بيت – تقريبا–تختلف عن مساكن القرية العامة لسعتها وتخطيطها الداخلي ورونقها من الخارج، وكثرة غرفها الواسعة، المزخرفة بتشكيلات متنوعة.. أم أربعة وأم ستة اسهم (أعمدة)، وسعة مداخلها واستخدامها لخشب الحمر(السدر) القوي المتين لأبوابها ونوافذها مع الزخارف والنقشات والتناسق الفني في تلك الزخارف، وتخصيص قسم للرجال، وللضيوف أو الزوار بمداخله الخاصة، وقسم خاص للنساء مع تخصص المدخل لكل منهما، وطلاء الجدران بالنورة والزخرفة في الغرف وطلائها بألوان أخرى، ولأغلبها ساحة مسورة قبالة البيت مدخلها ببوابة كبيرة(سدة)، وللبعض بخلفية البيت أو بجانبه جرب مزروع بالنخيل وغيره، وللجرب بئر، إضافة إلى بئر خاصة في بعض البيوت في وسطها للإستقاء، ولتلك البيوت في أسفل الدارمايقال لها "شمسه"، وغالبا ما تتوسط المبنى، ولا سقف لها، وهي تستخدم كمطبخ للمناسبات وغيرها. إضافة إلى الأثاث المستورد الذي لا يختلف كثيرا عن أثاث البيت الحديث، إلا من تغيير طفيف في الشكل الذي لابد منه في التحديث، مواكبة للعصر، وقد بقيت هذه البيوت، أو بعضها (كقصور) إلى الوقت الحاضر، بما لها من فخامة، ومتانة، وإن شاب البعض منها شيء من الإهمال في وقت متأخر لأكثر من سبب.

أما سكان المساكن العامة تلك فهي من أسر مكونة من أب وأولاده أو أبناء عمومه، يعيشون في كنف العاقل وتحت رعايته وتوجيهاته، يعملون معا على وفق مهنهم، مختلطين في مسكنهم رجالا ونساء، –باستثناء السادة والمشايخ

وآخرين-لا تستر المرأة وجهها من الأقارب غير المحارم، مسدلة النقاب على رأسها، وعيشتهم عيشة كفاف وقناعة، وتوقير للكبير، وشفقة على الصغير، تقبل أيادي كبار السن في الصباح يوميا، وتقبل أيادي الكبار من صغار السن للكبار في البلدة عموما. ونادرا ما يفترق الإبن عن أبويه وإخوته.

وقد ألمحنا لمساكن اليوم بحداثتها لعامة سكان البلدة في الوقت الحاضر في موقع آخر من نهاية البحث أو القراءة.

١٠ -نظام وجبات الأكل

وجبات الأكل هي في الأغلب من انتاج البلد، وهي تختلف من بيت إلى آخر، باختلاف العصر والمرحلة، واختلاف حالات اليسر والعسر، والرخاء والشدة مع كل الشرائح، كذا اختلاف الفصول والمناسبات، ولسنا معنيين بالتفصيل أو التحديد، بقدر مانود التعريف بمجمل أو عامة الوجبات المعروفة في البلدة في وقت ما.

كانت حبوب الذرة بأصنافها الثلاثة (شتاء، وصيف، وموسم) سيدة الموقف ومستحوذة على غالب قوت أهل البلدة، ثم المسيبلي والكنب، وربما كان هناك صنف آخر من حبوب الذره لوقت معيّن "كالبتية"[٣٢١] ، وكذا "الحَقْبَه"

(٣٢١) البتيه من صنف الذرة بلونها الأحمر والأصفر وهي منقولة من الهند ومن السودان، وقد تم زرعها في البلدة لفترة وجيزة، وربما هي دخيلة على البيئة فلم يحالفها الرسوخ أو الإستقرار في البلد عامة، أو هناك أسباب أخرى.

وهي من صنف الذرة، لكنها دخيلة عليها أيضا، إذ لم يزرعها المزارع، إنما نبتت كالعشوائية في حقول الذرة، ومع أن هيئتها هيئة قصبة الذرة، إلا انها غير مرغوبة من قبل المزارع، فحاربها بإقتلاعها من حقول الذرة، وميّز البعض قصبتها من قصبة الذرة- صيف أو شتاء-، وفي الوقت نفسه اتخذ من حبها وجبة مؤقتة في وقت وجودها وتكاثرها.

إضافة إلى التمر الذي عليه الاعتماد لكل الطبقات تقريبا، والبر (القمح) الذي غالبا ما يكون وجبة للميسورين من كل الشرائح، أو للمناسبات الخاصة والعامة، ووجبات من الدخن، وهو أشبه بالبر إلا أن حبته أدق، وكذا الشعير، وهو دخيل-في الأغلب-ينبت مع زراعة البر، وتوجد وجبات استثنائية لوقت الشدة، فقد تكون وجبة البعض من الحَتِيْ[٣٢٢]، بل وربما اكتفى البعض في وقت الشدة بوجبة من جهوش الشتاء، أو جهوش البر. وجهوش الشتاء وهي: حين يبدأ نضج سنابل الشتاء في الحقل يتم جز بعض السنابل، وتهدى لمن تهدى له ويتم تعرضها للنارلمدة قصيرة، ثم تدرس السنابل باليد فتنتثر الحبوب من السنبلة وتملح وتؤكل، وكذا مع سنابل البر.

ووجبات الذرة بأصنافه الثلاثة فهي إما "جريش" و"رهي"- وقد سبق وعرفنا الجريش والرهي- فتقرص وتنضج في التنار، وبعد نضجها تفت "بقصرة" المنحاز- مدق الهاون- سواء في تفال، أو في المنحاز نفسه، وسواء كان

(٣٢٢) الحتي هو مسحوق قشرة النبق- الدوم- ينقع بالماء ويؤكل.

المنحاز من خشب، أو من حجر، أو من جذع النخلة، ثم يوضع الخبز المفتوت جيدا في الصحفة أو الجفنة، وهناك في القِدِر فوق الأثافي خليط مغلي من الخضار كالضدح والبصل والطماطم والدباء والباذنجان والفلفل الحار والفقوز، أو ما يحصل من ذلك في وقته، وغير ذلك من الخضار، وربما وضع عليه شيء من سمن العكة(السمن البلدي المستخرج من شحم الغنم) وكرّس هذا الخليط مع الخبز المفتوت بالمَقْدح، وهذه الوجبة تكون في الأغلب وجبة عشاء وتسمى "المكرّس".

وقد تكون من طحين "الرحى" فبعد نضج أقراصها من التنور، تفت فتيت أنعم وتسقى بمثل ذلك الخليط أو أقل منه، وفي الوجبتين قد يكون مع الوجبتين إما شيء من مخزون "المحشي"، أو من "اللّخم"، أو "القديد"، أوأطراف حوت اللخم (الزعانف والفقر والغضاريف والرأس بعد تفصيله)، وقد يسقى المفتوت ذلك بمغلي الماء والملح فقط، أو مع مغلي(محار) أطراف حوت اللخم.

والفطور(الصبوح) يكون من طعام الذرة المجروش، أو المطحون من ذرة أو بر(قمح) في الغالب، مع القهوة المحلاة بالسكر، وسواء كان الفطور في البيت، أو في موقع العمل كالمزرعة أو غيرها.

أما التمر فهو وجبة الغداء المثالية لأغلب الشرائح الاجتماعية في وقت من الأوقات، مع أن البعض قبل أن يفطر لابد له فطور أولي من التمر، يمده بالطاقة لمزاولة عمله العضلي، إذا كان ممن في بيته تمر مخزّن في أزياره.

ووجبة الغداء تكون مع التمر، وإدامه إما ان يكون من سمك العيد المجفف-الساردين-أو من المنتوج-الوزيف-صغار العيد، وقد يسحق هذا

الوزيف ويوضع فيه شيء من البهارات كالملح والفلفل، ويكون إداما لذيذا. أو قديكون مع التمر مرق(محار) من اللخم، أو من القديد، أو من أطراف حوت اللخم كالزعانف والرأس والفقروالغضاريف الأخرى. وقد يكون مع التمر "البغزيز"، وهو السمك المملح بطريقة ما، بنوعيه "البندري" و"الغيظي". كانت هذه وجبة الغداء لكثير من الشرائح في البلدة، وقد لايجد البعض في وقت ما، مثل أي من هذه الوجبات، فيكتفي بوجبتي العشاء والفطور، وقد يكتفي البعض في بعض الأوقات بوجبة واحدة، ولو من ضيرة عشب القضب.

وهناك وجبة للعشاء وللغداء أيضا من البر، وربما تكون لمناسبة خاصة، أو للميسورين، فبعد ان يطحن البر في الرحى و يعجن ويقرص، وينضج في التنور يفت بقصرة – مدق – في تفال أو في المنحاز، ويهيأ لهذا المدقوق أو المفتوت خليط مشكل تسمى "الفَحقَة"، وخليط "الفحقة" عبارة عن شيء يسير من البصل والفلفل والقرفة- دار صيني- والهيل وسكر، في صحفة صغيرة من الخشب، وتحمى في النار "الرّضْفَة" حتى تحمر أو قريبا من الإحمرار، و"الرضفة" عبارة عن كتلة صغيرة من الحديد بمقاس حوالي ١.٥X٤X٤ سم تقريبا، ثم تؤخذ وتوضع في ذلك الخليط المهيأ- الفحقه- فتغلى تلك الخلطة بحرارة الرضفة، بعدها يتم خلط الفحقة بفتيت البر، فتكون له رائحة نفاذة يسيل لها لعاب من استنشقها، ولها مذاق ممتاز مع فتيت البر، ثم يهيأ فتيت البر في جفنة ويسقى بمرق لحم، أوغيره، حسب امكانية صاحبه، وربما ترك الفتيت لوجبات أخرى بهذه الكيفية خاصة للرحلات كزيارة نبي الله هود وغيرها.

ومن البر(القمح) يكون الفطور مع القهوة المحلاة بالسكر، وقد تكون أقراص البر سواء للعشاء أو للفطور من الخبز المرقّق(ليّن)، وهي أقراص رقيقة جدا من طحين البر بهيئة كبيرة، وتفصل في الجفنة قطع صغيرة نسبية وتنقع في الجفنة إما بمرق اللحم، أو بغيره من مرق الخضار.

ولا تختلف (وقعتا) وجبتا طعام المسيبلي والكنب في الكيفية، مع كيفية وجبة طعام الذرة، إلا أن لكل منهما مذاقه الخاص، وقد تتكون الوقعة(الوجبة) الواحدة من مخلوط طعام الذرة والمسيبلي، أو من طعام الذرة والكنب.

هناك وجبات خاصة للمناسبات الخاصة، أو لوقت خاص لوجبة واحدة، مثل "الشُّربة" وهي من البر المجروش، أو المطحون طحنا غير كامل، وهي معروفة إلى وقتنا الحاضر، وكذا العصيد، وهي من دقيق البر والتمر والحيدوان، وفي سطح الوجبة- العصيد- سواء كانت في جفنة، أو صحن يوضع في أعلاها فنجان، أو تحفر حفرة ويوضع فيها سمن عكة، أو سليط سمسم، تغمس فيه كل لقمة يتناولها الآكل، وهي وجبة معروفة إلى اليوم، والهريس، والتعريف بالهريس أنه في السابق كانت وجبة الولائم، وولائم الزواج خاصة- من الهريس، ومع الهريس يتم التخصير باللحم لكل فرد- وقد أشرنا إليه- ومعنى ذلك أن تلك الهريس لم يخالطها اللحم في طباختها كالهريس المعروفة لدينا اليوم(دوعنية)، والهريس القديمه هي من مجروش البر ومن دقيقه، إضافة إلى السمن ومرق اللحم والبهارات، ويتناوب الرجال الأشداء ضرب الهريس في القدر، حتى يتم ذوبان الطعام المجروش مع الدقيق.وهناك "الهرسي"، والهرسي عبارة عن رز

ودقيق البر، ولها – الوجبة- في الغالب مناسبة خاصة عند البعض، ولم يعد لهذه الوجبتين (الهريس والهرسي) وجود إلا في الذاكرة، وربما بعض المسنين في الوقت الحاضر تاقت نفسه للهرسي فطبخها.

وهريس اليوم بمفهوم "الدوعنية" هي من بر "منحوز"، والبرالمنحوز هو البر المنزوع منه قشرته الأولى بعملية نحز خاصة، يضع مع اللحم والبهارات والثوم، في قِدر بمبنى يحيط بالقدر من كل جوانبة بالرمل، ويوقد عليه بالنار من تحت القدر حتى إذا بلغ ما في القدر درجة الغليان الشديدة، استبعدت النيران اللاهبة وبقي الجمر تحت القدر وسدت المنافذ من تحت القدر، واحكم إغلاق رأس القدر ويبقي على الجمرفقط. ثم بعد ساعات ثمان أو أكثر أو أقل يفتح رأس القدر ويتناوب الرجال الاشداء ضرب ما في القدر بالمعصاد(المعصد)، حتى يستحيل ما في القدر إلى هريسة. في الوقت الحاضر كان البديل بالرجال وجود معصاد كهربائي يفي بالغرض.

بعد وصول الأرزالمستورد وتواجده بشكل أو بآخر، كان هناك من حاول أن تكون له منه وجبة ولو ليوم واحد في الأسبوع(الجمعة)، أو أيام الأعياد، ومن حاول أن تكون له تلك الوجبه من الأرز وللظروف المعيشية الصعبة التي يعيشها الكثير في البلدة، كان طبخها مع كثير من الخضار بحيث بالكاد ترى حبة الأرز من بين الخضار المطبوخة مع الأرز.

هذه كانت في الغالب وجبات سكان البلدة في وقت من الأوقات، وربما لم نتناول غيرها مع وجودها.

وأظن أنني في غنى عن التعريف عن وجبات الأكل اليوم في كل بيت تقريبا، سواء من تعدد الأصناف مع كل وجبة، وأغلبها من الأرز بأنواعه، والملحقات التي تتبعه، أو مكملة له، سواء في الوجبات اليومية، أو في المناسبات الخاصة والعامة، ومابقي من وجبات البر، فواجب الحمد والشكر على واهب النعمة لعباده سبحانه وتعالى في عصرنا، حين نقارن بما كان عليه ممن سبقنا.

١١ -واقع الـمـرأة الاجتماعي

المرأة في البلدة، سمو في عفة وطهر، ورحمة ورقة قلب وعطف وبركة، إدارة حصيف في البيت والرزق.. هي في حياتها الأسرية أما وأختا وزوجة وبنتا.. هي رفيقة عُمرْ وشريكة حياة للرجل.. تعيش حياتها مع رجلها أكان زوجا أو أبا أو ابنا أو أخا، حياة رضا وقناعة وترابط بود وصفاء عشرة وحسن تدبير، تزاول الأعمال بتفان وحب وإخلاص، تشترك في مثل هذا السلوك كل النساء من كل الطبقات، مع الاختلاف في الأعمال التي يقمن بها باختلاف انتمائهن الطبقي، فالنساء اللواتي تبقى في البيت تزاول الأعمال المنزلية، وبعض المهن كالغزل والشطف والخياطة، وسواء كانت الخياطة باليد كما هي في السابق، أوبالآلة اليدوية للخياطة في الوقت المتأخر، و"الرهي" و"الطحن" و"الرضيح"، وغيرها من الأعمال الخاصة في البيت، كنزح الماء من الآبار داخل البيت، وأما بعض نساء الطبقات الأخرى فتجلب الماء من المنازح في القرب ما يكفي من في البيت يوميا، وتشارك الرجل في أعماله سواء في المزرعة أو في غيرها من الأعمال

اليدوية الأخرى كالشطف وفحس(فتل) الحبال وغيرها بجنب الرجل، إضافة إلى جلب الحطب من الوديان أو من المزارع، وتوفر للأغنام الحشائش من المزارع، وعليها جلب "الفقاش"[٣٢٣] للإستنجاء في الطهائر(الحمامات)، إضافة إلى الأعمال المنزلية من كنس، وغسل ملابس، و"طحن" و" جريش ورهي" و"رضح" أما الطحين فكانت أغلب البيوت بها(رحى) طاحونة، والرحى هي عبارة عن حجرين (من الحجر الخاص بقوته ومتانته) مدورين منحوتين متوازيتين، بها حَفِر (نَقِر) صغير للطحن، وبوسط الحجر الأعلى فتحة صغيرة توضع فيها وصلة من الخشب معالجة يقال لها "السنكره"، وتترك لها فتحات صغيرة من جانبيها لإدخال الحبوب المراد طحنها، وبها ثقب في أسفلها، وفي الحجر الأدنى (الأسفل) أيضا فيها فتحة صغيرة موازية لفتحة الحجر الأعلى وتوضع فيها خشبة معالجة يقال لها "سنكره تحتية" مع"الكلع"[٣٢٤]، ، والسنكرة التحتية مهيأة لرفع الحجر وانخفاضه، وللرحى مبنى خاص يكون في الغالب في أسفل البيت، وتطحن الحبوب يدويا بتحريك الحجر الفوقي، بواسطة ممسك من الخشب معالج مثبت بثقب في الحجر الأعلى، وينتثر الطحين في أسفل المبنى المعد للرحى.

وتترنم المرأة وهي تطحن على الرحى وتدندن بأغاني متداولة، وربما اعطيت لها أبيات وهي تطحن في بعض الحالات الخاصة.

(٣٢٣) الفقش من الطين الصلب.

(٣٢٤) الكلع: وصلة من خشب معالج به نتوء صغير يدخل في ثقب السنكرة الفوقية لتدوير الحجرين.

لكن هناك مايشبه المتفق عليه في الحالات العامة الدائمة للطحن للدندنة والترنم بابيات مثل:

يافتاح افتح لنا بابك..واجعلنا من جملة طلابك..يامطلوب.. يافتاح...

هذا عندما يكون الطحين في الصباح الباكر، ولها ترنمات أخرى في أوقات أخر.

وأما "الجريش" و"الرهي"، فهو جرش الطعام الذرة (بعد وضعه في الماء لفترة قصيرة) أي سحقه سحقا خشنا بواسطة "المرهى" و"العالي"، والمرهى والعالي حجر من صنو حجر الرحى(الطاحونة)، "فالمرهى" عبارة عن حجر معالج مستطيل مخروط الشكل بحفر(نقر) صغيرة من قبل المعالج في ظاهره، والعالي من حجر صغير بقدر ممسك الكفين أو أطول قليلا بحيث يتم مسكه بالراحتين بإرتياح، ويتم أولا جرش الحبوب، ثم تعاود المرأة "الرهي" للحب للمجروش بنفس الكيفية السابقة، ليصير مسحوقا ناعما، وقد يكون مع المسحوق ثوم أو غيره، ومن ثم يؤخذ مسحوق الحب من "التفال" تحت "المرهى" ويعجن ويقرص، ويوضع في التنار(التنور) الذي تم تسخينه بإشعال النار فيه لينضج.

والرضيح: ففي أغلب البيوت "ضاحه"، وكانت هناك في البلدة "ضاحات" عامة في بعض المواقع، وهي عبارة عن حجر من الأحجار الصلبة تكون مغروزة في الأرض، وقد لا تكون مغروزة، وتجلس قبالتها المرأة-أو أكثر من امرأة-وقد وضعت نوى التمر في وعاء به ماء وتأخذ من ملء كف اليد، وتضعه فوق الحجر فترضه بحجر في كفها، يقال لها "المرصعة" بكل ما أوتيت من قوة، تسحق به

النوى كعلف لتسمين الأغنام، وليسهل على الأغنام ابتلاعه، وربما رضحت مع النوى بعض أوراق الأشجار "كالشويلة" وهي معروفة بالنسبة لأهل البلدة.

وتوفير الماء من المنازح بواسطة القرب، فكل امرأة من غير الطبقات المحجوبة في بيتها، تأخذ قربها للسبق في إحدى المنازح، والمنازح هي من الآبار التي عليها بكرة (عجلة) ودلو ورشاء (حبل) للنزح تفرعت أغلبها من آبار المساجد، حيث توجد للبئر"تشروعتين" في موقعين للبئر مختلفتين، الكبرى لغرب المسنا لتعبئة برك المسجد، والثانية جانبية يقال لها منزحة، فمنزحة مسجد شهاب الدين، ومنزحة مسجد مشهور، ومنزحة مسجد السكران، ومنزحة مسجد بلفقيه، ومنزحة مسجد سواده، وهناك منازح خاصة في بيوت خاصة، ومنازح أخرى كمنزحة بئر باشامخة، ومنزحة بئر رجب محفوظ، ومنزحة آل عمره، ومنزحة مزروعه وغيرها، مما لم تسعفني الذاكرة حينها، وهذه المنازح للاستقاء للبيوت المجاورة لها، فالنساء تبكر للسبق، فكل امرأة تضع سبقها من القِرب وتملأ قربها على وقتها وتذهب بالأولى للبيت وتعود للثانية، وقد تكرر العملية بسبق آخر، وبعض البيوت في المرتفعات الجبلية وبعيدة عن مواقع المنازح، وقد يحدث الشجار بين النساء عن السبق وكل تدعي الأولوية، وتحمل المرأة القربة المليئة بالماء مع كبرها إلى الطابق العلوي برضا وبدون أي تذمر، والكثيرات ممن يوفرن الماء في البيوت، يتوجهن إلى المزارع أو إلى الوديان للاحتطاب.

ولم تعد هناك منازح إلا من آثار لها إن بقيت في بعض المواقع.

المرأة هنا وفية خدومة صابرة محتسبة، يسافر عنها زوجها مغتربا.. يتركها مع طفلها أو أطفالها بلا ميرة وبلا سؤال سنوات طوال، لا تخرج من فيها إلا الدعوات التي تبتهل إلى الله أن يرزق زوجها ويعيده إليها سالما غانما، وربما ألح عليها الأب أو الأخوة بطلب الطلاق من القاضي الشرعي، لكون الزوج لا يعرفها هي وطفلها أو أطفالها بشيء فترفض، وتتحامل وتجهد نفسها بأعمال فوق طاقتها لكي تربي الطفل أوالأطفال تربية سليمة كريمة، حتى لا يحس ولا يشعر الأطفال بفقدان العائل المسافر، وإن استشعروا فقدان العطف والحنان من الأب، ومما يؤسف له أنه ربما عاد الزوج بعد عشرين سنة أو أكثر أو أقل قليلا، وطلق المرأة واستبدلها بغيرها، وإن كان حدوثه نادرا.

المرأة هنا في سلوكها العام، تشقى لتسعد الرجل، وتتعب مع استراحة الرجل، وربما جاعت ليشبع الرجل، لاتنظر إلى غيره، ولا تترك بيتها وأولادها، إلا أن تركها الرجل، تعيش للرجل عمرها كله، أكان أبا، أو زوجا، أو أخا، أو ابنا.

ومع أن المرأة وهذه حالها في السابق أمية غير متعلمة، بالكاد إن أدت صلاتها، وقد حفظت شيئا من السور القصار مع الفاتحة، إلا إنها مع العفة تقية ورعة في الأغلب، وإن استثنيا بعض النساء المتعلمات، فإنما هو تعليم لايتعدى المعرفة بقراءة القرآن وبعض القراءات للمناسبات المعروفة في البلدة سواء الدينية أو غيرها.

ولا مقارنة بتعليم البنت في السابق وتعليمها في الوقت الحاضر، كما لاتصح أي مقارنة بماكانت عليه المرأة في السابق، وماهي عليه الآن، إلا في عفتها وسلوكها العام التي حافظت عليه.

١٢-المجاعة وأثرها

المجاعة التي نعنيها هي التي حدثت من سنة ١٩٤١م إلى سنة ١٩٤٥م. يذكر المؤرخ الأستاذ محمد بن عبد القادر بامطرف:"أن المنطقة الواقعة بين القطن وقبر نبي الله هود أكثر المناطق تأثرا بالمجاعة"[٣٢٥].

والبلدة(دمون) في تلك المنطقة، ومع أننا نعلم جيّدا أن البلدة لم تكن بلدة غنية في مرحلة من مراحلها السابقة، كغيرها من البلدات في المنطقة، إلا إنها لاتخلو من تمويل مادي من أثريائها في المهجر، الذين ربما أنعشوا البلدة بإنتعاش من فيها من العمال والحاشية، ولو لمدة محدودة.

والمجاعة وأسبابها معروفة، سواء الجفاف الذي حل بالبلاد عامة، أو بقطع الموارد المالية من مهاجر الأثرياء وقت اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتم وقف المشاريع الإنمائية الخاصة في البلدة، والبلدة جزء من البلاد، حيث كان التأثير على البلدة وسكانها قاسيا ومريرا، هذا إذا إستثنينا الفلاحين أو البعض منهم، وبعض التجار، أما بقية القطاعات الأخرى كالحرفيين وعمال البناء والتشييد، والحاشية التي كانت تبعا للأثرياء فقد طالها الجوع والفاقة فنزحت الكثير من القطاعات الحرفية إلى وجهات مختلفة من المنطقة، إضافة إلى الهجرة، متلمسة ما يسد رمقها.

واضطر الأثرياء وغير الأثرياء حينها إلى بيع الكثير من ممتلكاتهم، سواء من حليهم أو من عقارهم ونخيلهم، بأبخس أثمانها، (حتى قيل رطل تمر برطل فضة) بعد أن أتو على مدخراتهم لتوفير مايسد رمقهم من غول المجاعة التي أضحت تحصد الأرواح حصدا في كل موقع.

(٣٢٥) الهجرة اليمنية صـ ١٠٨.

كان الشباب والشيوخ والأطفال والنساء يتساقطون من إعياء الجوع بإغماءات متنوعة تطول وتقصر في الشوارع والمساجد، ناهيك عن البيوت من مسغبة شديدة، ومن يسعفهم بمنقوع التمر(المريس)، أو بتمر مرزوم(صيم)، لكي يستعيدوا شيئا من حيويتهم، مما جعل الكثير من الجياع يتظاهرون بالإغماء أمام بيوت المحسنين الذين لهم يد بيضاء في تلك المدة لإنقاذ الأنفس من غائلة الجوع، وطرد شبح الموت عنها.

ولقد ذكر لي والدي -غفرالله له-أن ممن سقط من الجوع ولم يدركه أحد بشيء بقي يفحص محله بأنَّة متحشرجة وبحركة مريضة تضعف وتضعف إلى أن يفارق الحياة.

ومن يخرج من بيته يمشي، قد يعود محمولا وقد فارق الحياة، ومن يعود إلى بيته قد يجد بعض من في البيت قد فارق الحياة، بل إن النوح في كل بيت -تقريبا-كل ساعة وكل حين، حتى خفتت الأصوات من الجوع الذي أنساها مصيبتها في أب أوأخ أو زوج. ولم نجد للبعض ثمن الأكفان والحنط، فكفن البعض في إزاره والرداء، وبعض النساء في قميص الصلاة، وتعب المشيعون وحملة الجنائز إلى المقابر بتريم، إذ قد وصلت في يوم واحد إلى اربع، ولم يستطع البعض دفع أجرة حافر القبر، ومعروف أن مقبرة تريم لها حافرخاص للقبور، فكانت مقبرة "باحميد" القريبة-شمالي البلدة-إلى جانب المقبورين أيام الحروب بين قبائل البلدة وغيرهم، هي المقبرة للمعسرين حيث يتم حفر القبر أقرباء الميّت وغيرهم من رجال البلدة.

وللأسف لم نجد من وثق عدد الأموات من البلدة في تلك المجاعة.

ولقد ذكرنا المحسنين فقد كان ممن وفقهم الله لإنقاذ الأنفس ولو بشق تمرة، وهناك في الجانب الآخر من تجار الكوارث كانت ثمة أنفس مريضة استحوذت على الكثير من مدخرات الجياع مقابل الشيء اليسير مما تملك من قوت.

كانت هذه حالة البلدة وسكانها أيام المجاعة مما اضطر الكثير من السكان إلى الهجرة، سواء الهجرة الداخلية إلى القبله (غرب حضرموت) أو إلى الساحل، أو إلى الخارج.

ولعلنا تجاهلنا مطابخ المحسنين في مدينة تريم التي قدمت للجياع بماعرف "بوقعة الشربة" أو "حوش الشربة" وغيرها من مواقع الأكلات التي يتم توزيعها للجياع، أوالطعام الذي يوزع من الحنطة، وهرول الكثير من سكان البلدة نحوها الرجال والنساء والأطفال.

١٣- الهجرة ومردودها

الهجرة خيار صعب لسكان البلدة، وحيث لايوجد البديل ولو في أدنى مستوياته عند البعض، سواء من الناحية الأمنية في مرحلة ما، أو من الناحية المعيشية في كل المراحل فكانت هي الخيار بكل مآيسيها وكربتها.

وقد هاجر من هاجر من أفراد الطبقات الاجتماعية المختلفة في البلدة، سواء كانت هجرة داخلية أي إلى مدن الساحل مثلا، أوهجرة إلى ما وراء البحار، وسواء كانت الهجرة قبل المجاعة أوفي أثنائها أو بعدها.

وكان سيل الهجرات في المراحل الأولى إلى شرق آسيا، خاصة من طبقة السادة وبعض القبائل والمشائخ والقرار نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر آل

بن نبهان، وآل بشير، وآل بامزروع، وغيرهم، ثم كانت الهجرة وخاصة بعد المجاعة الأخيرة إلى شرق افريقيا لكونها أقل كلفة وأقرب رحلة على السفن الشراعية، ومآسي الرحلات على السفن الشراعية، كما يصفها المسافرون أقرب للعذاب، فالمعاناة تتابع من سوء الأحوال الجوية، إلى سوء التغذية، إلى سوء المعاملة، وازدحام المسافرين في السفينة بأمراضهم وبإختلاف الأمزجة، وتباين الطبائع، وكان الكثيرمن أبناء البلدة لقي حتفه في رحلات السفر تلك، ومثواهم الأخير في غياهب البحر.

ولقد تركت الهجرة أثرا نفسيا سيئا عند كثير من الأسر المفارقة لعائلها، أو أبنائها، فقد يغيب الابن في مهجره سنوات وقد استدان رب الأسره لسفره، وربما رهن بيته، أو باع نخلته، عله يرفده من مهجره بشيء لتحسين معيشته واسرته، ولكن الأغلب في أكثر المهاجرين خيبة الظن مما أملوه في الأبناء من هجرتهم.

وربما طلبت الزوجة أو ولي امرها الطلاق من زوج لم يستشعر مسئوليته نحو أسرته.

لكن الكثير من الزوجات يرفضن الطلاق سواء لتربية الأطفال، أو حفاظا على عهد تم بينها وبين زوجها، على أمل العودة بما يستر الحال من مال وإن قل.

ومع الوفاء بالعهد من الزوجة، قد يكون النكث به من قبل الزوج.

والكثير ممن هاجر كوّن له أسرة في مهجره سواء كانت من أسرسواحلية المولد، حضرمية النسب، أو من جنسية سواحلية وغيرها، والقليل النادر..النادر جدا ممن هاجر وبمعيته أسرته من البلدة.

ومن كوّن له أسرة في مهجره وترك أسرته في البلدة وله طفل أو أكثر شب الطفل وتزوج وأنجب ولم ير الأب ابنه ناهيك عن أحفاده إلا من صورة فوتوغرافية، وربما اجتمعا بعد ثلاثين أو أربعين سنة، وفيها ظلت الزوجة وفية لعقد الزواج، وقد أفنت شبابها في تربية الأطفال الذي تجاهل رب الأسرة المهاجر مسئوليته الشرعية والإنسانية والاخلاقية نحوها.

وإذا استثنينا المردود الاقتصادي أو المادي من المهاجرين إلى شرق آسيا، أو البعض منهم، فإن المردود من مهاجري شرق افريقيا لا يكاد يذكر في قليل أو كثير، إنما هو مردود يجلبه المهاجر معه ربما بالكاد يسد رمقه لأشهر معدودة، وربما لأقل، والناجح في هجرته من بنى بيتا أو امتلك نخلا، وقليل ماهم، ومن تموّل مالا هناك من البعض لمدة، انتهى بنهايته وبدده من بعده أولاده، فلن تجد لهم بقايا أثرا يشار إليه من مردود مهجرهم في البلدة، ولا في مهاجرهم.

وتختلف مدة الإقامة في مهاجرهم تلك، فمن يمكث سنة أوبضع سنوات، ومن يمكث عشرات السنين، ومن تطيب له الإقامة هناك فيختار المهجر وطنا له ولأولاده.

أما الهجرة إلى الدول المجاورة في الوقت المتأخر من نهاية القرن العشرين الميلادي، فهي لا تختلف عن مردود الهجرات السابقة، اللهم إن كان التوسع في إقتناء الأثاث المنزلي أو اللباس، أو بناء بيت للسكن، أو إمتلاك نخل. وهو مما قد تحصل عليه البعض ممن لم يهاجروا.

ومع أن الكثير أخذ أسرته إلى مهجره، وربما امتلك شيئا هناك، لكن عند المقارنة بالمردود المالي وغيره للكثير من المغتربين في بعض المناطق الأخرى من الجهة الحضرمية، فإن مردود أغلب مهاجري البلدة لايتعدى ما ذكرناه.

الفصل الخامس

الأوضاع التعليمية والدينية والثقافية

١- الأوضاع التعليمية.

٢- الأوضاع الدينية.

٣- مساجد البلدة ومصلياتها.

٤- السقايات (المرابد).

٥- الأندية والفرق الرياضية.

٦- النشاط الثقافي والتراثي.

٧- الألعاب التراثية اليدوية.

أولاً - الأوضاع التعليمية

لم نستطع الحصول على أي مصدر يعطينا صورة أو فكرة عن "معلامه" أو "علمه" بدمون قبل إغراء آل سلمه للمعلم سعيد عبيد عبد الحق (١٢١٣-١٢٨٩هـ)، وذلك ليفتتح بها مدرسة قرآنية لأ بنائهم وأ بناء قبائل آل تميم الأخرى القاطنة في القرى المجاورة[٣٢٦].

"وعن السيّد عمر بن علوي الكاف ذكر أن من تلاميذ السيد العلامة عبد الله بن علي بن شهاب (شيخ العبادلة السبعة الموجودين بحضرموت في عصره (١١٨٧-١٢٦٤هـ): السيد علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم المعروف بالأدعج في كتابه"فيض الله العلي" الذي ترجم فيه لمشايخه وقال:" إنه كان في مبتدأ طلبه العلمي يذهب إليه ماشيا من عينات إلى بلدة دمون بالقرب من تريم في سبيل التلقي عنه.

وليست بلدة دمون التي أشار إليها هذا السيد في هذه القولة كانت وطنا لذلك الإمام، وإنما كان في بعض السنين يخرج من تريم إليها للاصطياف بها."[٣٢٧] .

ويذكر السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب أن السيد هارون بن عبد الله بن علي وإ بنه عبد الرحمن بن هارون يتعهدان دمون ويقيمان فيهما المدة الطويلة، وفتح السيّد عبدالرحمن(١٢٦٢هـ - ١٣٠٥هـ) مدرسة " معلامة" في بيته لتعليم

(٣٢٦) بامطرف: المعلم عبد الحق صـ ٢٣.

(٣٢٧) تحفة إلاحباب صـ٥٩.

الصغار، فانخرط سعيد بن سعد بن نبهان في تلك المدرسة، فدرس عند هارون القراءة ثم القرآن[٣٢٨].

لكن الشيخ سعيد بن سعد قد تعلم مبادئ القراءة في علمه أو مدرسة قبل ذلك، ولعلها مدرسة المعلم سعيد عبد الحق، فقد ذكر السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب على لسان المقدم سالم بن عوض قوله:" وبيتنا أيضا لا يبعد كثيرا عن المعلامة التي بدأ تعليمه فيها – أي الشيخ سعيد بن سعد–ثم تحول إلى عند آل بن هارون يدرس عندهم"[٣٢٩]، ومع أنه لم يذكر من كان يدرّس في تلك المعلامة، إلا أنها لم تكن غير مدرسة المعلم عبد الحق، إذ ان بيت المعلم بحري مسجد المشهور – كما يقول في إحدى قصائده–ومعروف موقع بيت المقدم سالم بن عوض قربه من مسجد مشهور (في الجانب البحري الشرقي)، ولم يذكر من كتب عن الشيخ سعيد أنه تلقى مبادئ تعليمه الأول عن المعلم، أو ذكر ذلك ولم نطلع عليه، إلا أن سنه والزمن الذي تلقى فيه تعليمه الأول يؤكد تلقيه في مدرسة المعلم إذ لا يوجد – حينها– غيرها.

ومن خلال مدرسة المعلم وحسب تقريره في قصيدة له، أنه درّس بها مائتين طالبا في دمون لم نرَ من هؤلاء من واصل تعليمه، ونبغ في علم من العلوم في عصره أو بعده بقليل، هذا إذا استثنيا الشيخ سعيد بن سعدبن نبهان.

(٣٢٨) الإعتراف بالإحسان–مخطوط –صـ١٨.

(٣٢٩) الإعتراف بالإحسان صـ ١٠.

وبعد وفاة المعلم واصل ابنه سالم القيام بمهمة التعليم في دمون، فقد ذكر السيّد أبوبكر بن علي بن شهاب:" أنه قرأ على المعلم سالم بن سعيد بن عبد الحق، وكان عمر السيّد حينها في حدود العشر سنوات"(٣٣٠).

ومدينة تريم القريبة، بها الزوايا والمجالس التعليمية، سواء في البيوت الخاصة، أو في المساجد وغيرها، ليست بعيدة عن طالب العلم من دمون.

غير أن الحالة الاجتماعية في وقت المعلم – مثلا- غير مهيئة لحمل بعض رجالها العلم، ولا تحصيله، خاصة حملة السلاح، فما عُرف من مدرستها أو من وعظِ مرشديها، إلا ما تسترشد به في أداء الشعائر، من صلاة وصوم ونكاح وموت، لكنها لم تستشعرها كسلوك في سيرتها – والإستثناء إن حصل ليس قاعدة-، ولعل هناك مفاهيم للعوائد والسوارح – وما وجدنا عليه آباءنا- أقوى من أي نهج آخر يبعدهم عن عوائدهم وسوارحهم، ولعل أهم عوائد المفاهيم وسوارحها تلك: الظلم والجهل الذي يتحلى به كل ظالم ومبطل للحق في أي عصر، وهو يعي تماما ما يقوم به، وقد قيل: " إن من صفته الجهل والظلم لا مطمع في استقامته واعتداله البته"(٣٣١).

والظلم الذي يعيشه رجال المجتمع القبلي ضرورة من ضرورات الحياة على وفق الفهم الذي نشأوا عليه، والحالة العامة التي تعيشها مجتمعاتها المجاورة، ولا تستقيم الحياة..حياة البداوة إلا به، وهو أصل كل شر، في أي مجتمع قديمه وحديثه.

(٣٣٠) رحلة الأسفار-مخطوط-صـ ٢.

(٣٣١) ابن القيم: مدارج السالكين جـ١ صـ ١٨٣ .

وفتح الشيخ سعيد بن سعد بيته للتعليم إضافة إلى حلقة له في مسجد شهاب الدين المجاور لبيته، وممن أخذ عنه الشيخ علي بن عبيد موسى باغوث، والسيّد علي بن شيخ بن علوي بن شهاب، وغيرهم، ولعل تعليم الشيخ سعيد بمثابة تعليم لأفراد من طلبة العلم يطلق عليها التلقي أو الأخذ عن الشيخ، ولم تكن لها صفة مدرسة نظامية وفق مفهوم وتعريف المدارس أو "العِلم" بأية صفة غير ما ذكر.

"وقد افتتحت مدرسة الإقبال -بعدئذ- التي أسسها السادة آل شهاب من طابق واحد، و"درّس فيها السيّد علي بن شيخ بن علوي بن شهاب، وهو من تلاميذ الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان كمدرسة حديثة!، وقد توفي عام ١٣٥٤هـ." (٣٣٢)، ولم نتحصل على تفصيل عن تلك المدرسة الحديثة وتلامذتها التي درّس فيها بن شهاب.

ووسع السيّد الثري أبوبكر بن علي بن شهاب بمساعدة أخوانه في المهجر- المدرسة بهدم البناء القديم للمدرسة التي بناها السيّد عبد الله بن محمد بن شهاب الدين وتوسعته وقام ببناء المدرسة من طابقين، وتعيين الشيخ سالم سعيد بكير للتدريس فيها، وذلك لتعليم الطلبة الكبار، ودرس فيها السيّد عبد الرحمن بن عبد الله بن شهاب، لكن يبدو أن الطلبة الكبار هاجروا، أو تحولوا إلى الأربطة الأخرى في تريم أو غيرها، وبقي القليل منهم، أما الطلبة الصغار فقد أوكل لتعليمهم الشيخ عبدالله سعيد باغوث وعمر أحمد بن عمران (دحيدح) في القرآن ومبادئ الفقه.

(٣٣٢) بن ضياء: الإعتراف بالإحسان صـ ٣٦ .

ومدرسة الشيخ عبدالله سعيد باغوث هي الأقرب أن تكون بعد علمة أو مدرسة المعلم سعيد عبد الحق، وابنه سالم كمدرسة نظامية في عصريهما، ولعل المدرستين للمعلم وابنه، والشيخ باغوث على نمط واحد، بحيث لا تتعدى الدروس مبادئ القراءة والكتابة (التهجيء)، والقرآن الكريم، وشيئا مما يحتاجه الفرد لأداء صلاته وشعائره الدينية.

انتظم في صفوف مدرسة أو علمة الشيخ عبد الله سعيد باغوث الكثير من أبناء دمون من كل الشرائح الطبقية الموجودة فيها، وبإستثناء ممن يطلب التوسع في العلم والمعرفة من بعض الشرائح ممن واصل تعليمه في مدينة تريم، وكانت مدرسته لتعليم مبادئ القراءة إلى ختم القرآن الكريم، وما تيسر من معرفته عن الصلاة والصوم والزكاة والحج والنوافل والمسنونات.

ولعل نظام المدرسة وطريقة الدراسة فيها، هو ما استمر لوقت تعليمنا عند الشيخ أحمد بن عمر الزبيدي في الخمسينيات من القرن الميلادي الماضي.. يبدأ الطفل تعليمه من اللوح الصغير، وفيه يتعلم الحروف الهجائية من الألف إلى الياء، ثم اللوح الوسطي أو الأوسط، ويتعلم فيه الطفل الحروف المربوطة بحركات الفتحة والكسرة والضمة، والمد..الخ.. ثم اللوح الكبير، وفيها الجمل والكلمات المتداخلة بحركاتها وحروف مدها..الخ. ثم الإنتقال إلى القراءة في المصحف، وحينها يقال للطفل:" دخل الختمة".

وثمة مدة زمنية ما بين المعلم الشيخ عبدالله سعيد باغوث والشيخ أحمد بن عمر الزبيدي، حيث قام بالتدريس بعد وفاة الشيخ باغوث كل من السيّد عمر

أحمد المشهور، والسيّد علي بن محمد بن شهاب، والسيّد عمر بن شيخ بن شهاب، والسيّد طاهربن حسن الشاطري، لكنها لمدد قصيرة، حيث قام بمهمة التدريس الأهلي بعد ذلك الشيخ أحمد بن عمر الزبيدي في أحد البيوت الخاصة، ثم في نفس المدرسة..مدرسة الإقبال، التي بناها وأوقفها للتعليم السادة آل شهاب.

وطريقة التعليم عند الشيخ أحمد بن عمر الزبيدي لا تختلف عن سابقتها في المدرسة الأهلية عند الشيخ عبد الله سعيد باغوث، إلا في بعض أنشطة الطلاب، وما اقتضته بعض المتغيرات الزمنية، وإن كانت طفيفة.

وطريقة الإحتفاء بدخول الختمة وختمها كنهاية المرحلة التعليمية في المدرسة، فسنورد ما كنا عليه، وما يتوجب على الطلبة- حين إنتقالهم من اللوح الكبير إلى "الختمة" أي للقراءة في القرآن الكريم، وكذا حين ختمها أي قراءتها كاملة.

ذلك في وقت الشيخ أحمد بن عمر الزبيدي..وقبل مغادرة اللوح الكبير يشعر الشيخ طلبة اللوح الكبير بأن يوم كذا (يحدده) الإنتقال إلى الختمة، ويتوجب على الطالب إحضار مصحف "الختمة" مع "التساريح"، وشيء من النقد للشيخ، و"التساريح" هي إحضار "مصرى" من حب الحنظل (الفقوس) المحمص، وربما أكثر لمن عنده القدرة، وكذلك النقد، فمن يعطي الشيخ شلنا واحدا، ومن يعطيه أكثر، وربما البعض لا يعطيه شيئا، واذكر أننا حين انتقلنا من اللوح الكبير إلى الختمة كنا ثلاثة عشر طالبا، وتحتفل المدرسة بانتقال طلبة اللوح الكبير إلى الختمة، وتعطل الدروس، ويقرأ المولد في المدرسة، وتقسم "التساريح"، أو جزء منها لعموم طلبة المدرسة، كذلك يجيء بعض الطلبة بأقراص من خبز مطحونا

ومجروش الذرة، أو البر، خاصة من أسر الطلبة المزارعين، وغيرهم من المقتدرين، مع القهوة المحلاة بالسكر، وتشمل الفرحة والزهو الشيخ والطلبة وأهل الطلبة وأمهاتهم أكثر، بعدها تبدأ مرحلة القراءة في المصحف من سورة الفاتحة ومقرأ من سورة البقرة- حسب ترتيب المقارىء المعروفة بتريم- ويستمع الشيخ لكل طالب على حده، وإذا تجاوزت غلطات الطالب في المقرأ الأربع إلى الخمس، يطالبه الشيخ بالإعادة في اليوم الثاني، وعند تكرار الغلطات كان الشيخ يستخدم عصا أو سوطا للضرب، والضرب المبرح حينا. ومن تجاوز قراءة المقرأ بدون غلطات، أو غلطات محدودة يستمر في اليوم الثاني بقراءة المقرأ الثاني الذي يليه، وهكذا، وكان التنافس على أشده بين الطلبة، وكنا - أو البعض منا- "نردِّد"، بمعنى نذاكر المقرأ الذي علينا قراءته عند من هم أكبر منا سنا وأعرف وأقدم في المدرسة، ونبكر من بعد صلاة الفجر إلى عند من "يردد" ويستمع لنا، لكي نقرأه بدون غلط أمام الشيخ ونتجاوز التكرار، ونتفادى الضرب، وحين تتكرر غلطات الطالب في القراءة بعد دخوله الختمه "ينتكس" أي يعود إلى اللوح الكبير بأمر الشيخ، وهي عادة متبعة في مدرسة الشيخ، أن كل طالب تتكرر غلطاته "ينكس" من موقعه إلى الأدنى، ومن يبدي فهما مميّزا في لوحِهِ يرتفع إلى اللوح الأعلى متجاوزا دفعته.

وكنا نحن الطلبة في الختمة، وقد يشاركنا الطلبة الصغار، ننهي الدراسة الصباحية بنشيد ابتهالي جماعي للسيد عبدالله بن حسين بن طاهر (تـ ١٢٧٢هـ)

ياربنا اعترفنا بأننا اقترفنا وعلى لظى أشرفنا

فتب علينا توبة تغسل كل حوبة

واستر لنا العورات وآمن الروعات....الخ

كما كان علينا حفظ عقيدة العوام للسيد أحمد المرزوقي (توفي بعد سنة ١٢٨١هـ) وهي:

ابدأ بسم الله والرحمن وبالرحيم دائم إلاحسان

فالحمد لله القديم الأول والآخر الباقي بلا تحول.....الخ

وربما قرر الشيخ قراءة المولد الشريف للطلبة خاصة يوم الخميس، سواء كان في شهر ربيع الأول أو غيره من الشهور. ويترنم بعض الطلبة بإنشاد بعض النشائد المعروفة والمتداولة لمثل هذه المناسبة في البلدة والمدينة.

كانت هذه طريقة التعليم الأهلي، وللشيخ رهبة وهيبة، وكان له مع العصا سوطان، أحدهما بغزل مفتول، وآخر مع الغزل المفتول سير من جلد مربوط بثقب في عود معالج، وربما قيّد الطالب وضربه، وربما خلع قميصه وضربه ضربا مبرحا، لذا كانت هيبته والرعب من مواجهته، حتى في الأماكن العامة، وأوجد في الكثير من الطلبة نوعا من الكبت والحذر، مما يمكن أن يعبر عما في نفسه في فهم الدرس أو الاستفسار عما غمض عليه، وإن تجرأ بسؤال ذكي، ربما قوبل بالسخرية أو بالتحقير، هذا إذا لم يتوافق مع وجهة نظر الشيخ أو رؤيته وفهمه، فكل هَم الشيوخ والمربين في تلك المدة من ذلك الزمن، أن يكون الطالب نسخة من شخصية الشيخ ومن فهمه وفهم مجتمعه، بدون تخطي المفاهيم.

كان الشيخ ونظام تعليمه صباحا، وعصرا، وبرسوم للشيخ في الشهر شلنا واحدا على كل طالب، ونظرا للحالة المادية الصعبة للكثير من الطلبة وأسرهم، فقد يهل الشهر وشهر غيره ولم يدفع البعض، رغم مطالبة الشيخ المتكررة، والبعض من

المزارعين يكتفي بإعطاء الشيخ شيئا من منتوج مزرعته عوضا عن الشلن بقيمته أو بأقل أو بأكثر، ولم يفصل طالبا من المدرسة بسبب عدم دفع الرسوم المقررة.

وتستمر القراءة في المصحف بقراءة المقرأ كل يوم، وربما قرأ الطالب أكثر من مقرأ، ويحيل الشيخ بعض من يقرؤون إلى بعض الطلبة القدامى في المعلامة للإستماع حتى نهاية الختمة..حيث يشعر الشيخ الطالب أو الطلبة المعنيين بأن ختم الختمة سيكون يوم كذا (يحدده الشيخ)، وهنا على كل طالب من الطلبة المعنيين إحضار "تساريح" ختم الختمة، وشيء للشيخ كما هي مع دخولها، أما العلوم الأخرى فهي كما أسلفنا لا تتعدى أركان الصلاة، وسننها وما تعلق بها من وضوء وغسل، والصوم والزكاة والحج. وأغلب الطلبة كانوا بعد ختم القرآن يكتفون بذلك، ويقال له ختم الختمة، إلا أن البعض من الطلبة-في هذه المدة وقبلها بقليل-يتجهون صوب مدينة تريم حيث مدارسها النظامية الحديثة بعلومها العصرية- كمدرسة باذهيبه، ومدرسة الكاف التي اندمجت بعد بمدرسة جمعية الأخوة والمعاونة، والبعض إلى الأربطة الدينية.

١ - مدارس التعليم الحكومية:

في نهاية الخمسينيات من القرن الميلادي الماضي افتتحت أول مدرسة حكومية بالبلدة (دمون)، وكان أول من افتتحها وأول مدير لها من أبناء المكلا هو الشيخ سعيد عبد الله باضاوي سنة ١٩٥٨م وبقي فيها الشيخ أحمد بن عمر الزبيدي مدرسا-مع آخرين-بوظيفة حكومية، بعد أن تم إغلاق المدرسة الأهلية تلقائيا بافتتاح المدرسة الحكومية في مقرها.

وقد التحق الكثير من طلبة دمون بالمدارس بمناهجها العصرية في مدينة تريم، كمدرسة باذهيبة، ثم مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة، وبقي البعض فيها حتى افتتاح المدرسة الحكومية بدمون.

في عام ١٩٦٦م افتتحت مدرسة متوسطة في بيت السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب في عهد السلطنة القعيطية، وبعدالإستقلال تحولت إلى مدينة تريم.

في أواخر حكم الدولة القعيطية أرسلت بعثات من الطلبة إلى دولة السودان لإستكمال مرحلة الثانوية العامة، ومن ضمن الطلبة الذين واصلوا تعليمهم الثانوي في السودان بمنح دراسية، من دمون الأخ علي حسن التميمي، من الدفعة الأولى، وخميس عوض حمدون من الدفعة الثانية، وإلى السعودية صالح بن سالم بن عوض التميمي من الدفعة الأولى.

والتحق كثير من أبناء البلدة بالمدارس المتوسطة سواء في القطن قبل الإستقلال، أو في سيون بعدالإستقلال، والتحق فيما بعد، البعض من الطلبة بالكليات في تخصصات متعددة، أو معاهد في المكلا أو في عدن، وكذا بعض الفتيات، وقد تم إلزام البعض بالدراسة.

٢- العودة للمعلامة:

في فترة وجود المدرسة الحكومية كانت هناك كتاتيب(معلامة) أو عِلِم للنشء، وربما كانت رفضا من بعض الأسر للتعليم الحكومي، أو لتقوية مدارك الطفل في تعلم الحروف الهجائية على الطريقة القديمة ليتسنى له استيعاب المنهج

الحكومي، أو لعدم استطاعة أب الأسرة أن يوفر لابنه أو ابنائه مقابل قيمة الدفاتر وتوابعها إضافة إلى قيمة اللبس المدرسي الخاص.

فقد افتتح الشيخ علي بن سعيد الزبيدي " معلامة" في عزلة مسجد شهاب الدين واستمرت مدة، ثم افتتح بعده الشيخ محمد عبدالله موسى باغوث " معلامة" لتعليم الأطفال في بيته، ثم " معلامة" عبدالله بن عمر بن عمران (دحيدح) التميمي في بيت "ناصر"، ثم افتتح "معلامة" للنشء أيضا في مزرعته (الجبلية) عبدالله بن عمر بن حيمد سعد، بعد أن عمي بصره إثر حادث، ولعل معلامة المذكورلكونه أعمى اكتفى بتلقين الطلبة السور القصار من سورة الضحى إلى سورة الناس مع سورة الفاتحة، والوضوء وأركانه والصلاة وكيفيتها وأركانها... الخ. ومع ان التعليم في فترة ما بعد الإستقلال كان إلزاميا، إلا إن مثل هذه العلِم الأخيرة كانت للتقوية في مخارج الحروف وكتابتها، أو لتعليم الأمور الدينية وتحفيظ السورالقرآنية القصار، خاصة وأن مدارس الدولة في فترة الحكم الإشتراكي قد تعمدت فيما بعد إضعاف وإهمال المادة الدينية من مناهج المدارس.

٣- معلامة للنساء:

بقي أن نشير إلى أن ثمة عِلما للبنات على محدودية الطالبات فيها ومحدودية ما يتعلمن، فقد كانت لتلك العلم توجيه وميزة خاصة في تعليم الصغار من البنات، الكثير من أمور دينهن، إضافة إلى حفظ بعض سورمن القرآن الكريم

والقراءة أيضا، ومن هذه العلم علمة الشيخه مسعد بنت عبد الله سعيد باغوث، والشيخه سلطانه بنت سعيد الزبيدي، والسيدة سيده بنت مشهور بن عيدروس بن شهاب، والسعد بنت مبارك بن عمر بن عبوده، وابنتها لبنى بنت عوض بن قصير، وربما هناك غيرهن، إنما لم تكن في كل الحالات علما منتظمة، ببرنامج للتعليم العام، إلا لمدة محدودة لبرنامج مقتصرعلى كيفية الوضوء وأداء الصلاة، و تحفيظ بعض من السور القصيرة، وربما كتابة الحروف الأبجدية، وقد تتوقف هذه العلم لمدة زمنية، لسبب أو بدون سبب، لتعاود مرة أخرى.

٤ - المدارس التعليمية بعدالإستقلال:

ظل مبنى المدرسة الأهلية (مدرسة الاقبال) مع بناء الطابق الثالث هو المبنى الوحيد للتعليم الأساسي، مع ازدياد كبير للطلبة.

تبنت المنظمات الجماهيرية ممثلة في اللجنة الفلاحية ومنظمة لجان الدفتع الشعبي، بناء مدرسة، (مدرسة حي الفلاحين) على أنقاض مقبرة "مولى بريح" في الجانب الجنوبي من البلدة، ووضع حجر الأساس لها حينها رئيس الوزراءعلي ناصرمحمد. بمبادرات جماهيرية طوعية بالاكراه، بدورات على سكان البلدة تنظمها الوحدات السكنية التابعة لمنظمة الدفاع الشعبي، وافتتح المبنى للدراسة عام ١٩٧٦م بدور ارضي، وتم الحاق مبنى ادارة قائم المنطقة الشرقية-دمون- المجاور لها لاستيعاب الطلبة.

ومع تزايد الطلبة، تم بناء الدور الثاني للمدرسة (حي الفلاحين) بمبادرات جماهيرية بالوتيرة السابقة، وافتتح المبنى للدراسة عام١٩٨٦م.

وبعد الوحدة، تم بناء مدرستين اضافيتين نظرا للإقبال على التعليم، وكثرة السكان، وقد اضطرت ادارة التربية والتعليم في وقت سابق إلى نظام الدراسة لفترتين صباحية ومسائية للطلبة والطلبات، قبل أن يستكمل بناء مدرسة بلقيس بالوادي..وادي البلدة، ويتم في الوقت الحاضر تجهيز الطابق الثاني للمدرسة وقد قام ببناء المدرسة فاعل خير من غير أبناء البلدة.

أصبحت في البلدة أربع مدارس (عام ٢٠١٥م)، مدرستان للبنين، مدرسة دمون الأساسية ومجموع طلبتها ٨٥٠ طالبا، ومدرسة الوادي الأساسية ومجموع طلبتها ٧٥٠ طالبا. ومدرستان للبنات، مدرسة بلقيس الأساسية، ومجموع الطالبات بها ٧٥٠ طالبة، ومدرسة أروى[٣٣٣]، ومجموع الطالبات بها ٤٩٠ طالبة. علما أنه بعدالإستقلال مباشرة كانت في البلدة مدرسة خاصة للبنات في مبنى المدرسة الأهلية القديم، لكنها لم تدم أكثر من سنة دراسية، حيث كانت التغييرات السياسية والأيديولوجية للمرحلة الثورية، فقد أقرت تلك المرحلة الدراسة المختلطة (بنين وبنات) في كل مدارس الجمهورية، وبعد الوحدة تم الفصل بين الطلبة والطالبات.

وفي البلدة مدرسة ثانوية هي ثانوية عمر بن الخطاب لأ بناء البلدة وابناء الأحياء المجاورة.

والتحقت الكثيرات من الطالبات بثانوية تريم للبنات، والبعض إلتحقن بالجامعة في سيون، وتخصصن في تخصصات متنوعة.

(٣٣٣) تسمت فيما بعد بمدرسة السيدة خديجة.

إضافة إلى فتيات انتسبن إلى كلية القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وأخريات التحقن بمعاهد صحية وغيرها.

ومما تجدر الاشارة اليه إنه حتى نهاية ٢٠١٧م نال أكثر من ثلاثين طالب من طلبة البلدة على شهادات الماجستير والمخرجات، والدكتوراه والبروفيسور في التخصصات العلمية والطبية المختلفة من داخل الجمهورية ومن الخارج.

٥- حلقات التدريس والتحفيظ:

وتعددت بعد الوحدة حلقات ومراكز الدراسة الأهلية للنساء والأطفال من الجنسين، سواء كانت لقراءة القرآن الكريم، أو لتحفيظه، أو تحفيظ سور منه، وما لابد منه من التوعية الدينية سواء في العبادات والشعائر أو التوعية العامة بأمور الدين، وكذا رياض للأطفال والفتيات الصغار كتعليم اساسي يسبق المرحلة التعليمية الأساسية في مدارس الدولة، وقد استفادت الكثيرات من النساء وواظبن على الدراسة باختيارهن، ومع أن بعض هذه الحلقات والمراكز برعاية بعض الجمعيات الخيرية، والبعض بانتماءات مذهبية أو حزبية، إلا أن حصيلتها يصب في قالب الوعي الديني ومنه التوعية الأخلاقية عامة.

وحصيلة مراكز التحفيظ في البلدة (٢٠١٧/ ٢٠٠١٨م) حوالي عشرين حافظ، وخمسون حافظة من ابناء البلدة.

كان من يدير الحلقات والتدريس ببعض الحلقات من الرجال، لكن بعد تخرج الكثيرات من الطالبات والنساء من مدارس الدولة، سواء الأساسية أو

الثانوية، أو من الكليات الأخرى في تخصصات مختلفة، أوكل إليهن التدريس، وبقي الكثير من الرجال يشرفون ويديرون تلك الحلقات بصفتهم الشخصية، أو بانتدابهم من قبل لجان أو هيئات أخرى.

ولقد حاولنا حصر هذه الحلقات، أو بمفهوم قديم (العلم)، وربما وفقنا على الأغلبية إذا لم نقل الكل، إلا أننا عجزنا عن تسلسل الافتتاح أولا بأول، ويكفي أن نورد مواقع الحلقات أو مسمياتها، وحيث إن البعض تسمت بأسم الموقع التي تتم الدراسة فيه، وربما انتقلت منه إلى موقع آخر وبقيت التسمية القديمة. وقد اكتفينا بكلمة "الحلقة" أو "الحلقات" رغم تحفظنا على التسمية، لكونها المشهورة بالتعريف، وربما – مجرد افتراض–أنها في البداية تكونت حلقة أو حلقات، كحلقات الأطفال التي مازالت في بعض المساجد بعد المغرب، ولم تعد كذلك. أو هي التسمية تيمنا بمسمى الحلقات التي كانت في العصور الإسلامية الأولى التعليمية، وبعض تلك الحلقات صباحا للأطفال والفتيات الصغار أو عصرا.

- حلقة مسجد مشهور اطفال.
- حلقة مصلى مسجد مشهور للنساء والفتيات.
- حلقات دار الأرقم نساء وفتيات وروضة أطفال. (بين دمون والنويدره).
- حلقات مسجد النور نساء وفتيات اطفال.
- حلقات دار السيّد طاهر بن علي نساء وفتيات.
- حلقات دار الدعوة –كان موقعها غربي مسجد السكران–نساء وفتيات.

- حلقات في دار آل عمران نساء.
- حلقات في دار-تحت التاسيس-خميس علي بامزروع نساء وفتيات (مسجد الفتح حاليا).
- حلقات في مسجد التقوى نساء وبنات واطفال.
- حلقات دار القادسية نساء وفتيات.
- حلقات آل سلمة نساء وفتيات.
- حلقات دار الهدى نساء وفتيات.
- حلقات مسجد حمد أطفال.
- حلقات مسجد الرحمة نساء وفتيات وأطفال.
- حلقات مسجد الريان.

رياض الأطفال:

شملت بعض مواقع الحلقات رياض للأطفال وأوردنا ذلك دون الفصل من الحلقات:

- روضة دار الأرقم.
- روضة مسجد النور اطفال وفتيات.
- روضة آل سلمه اطفال.
- روضة الأمل أطفال من الجنسين.
- رياض الجنة نساء وفتيات.

٦- فصول محو الأمية:

فكرة محو الأمية، أو تعليم الكبار قد تم تنفيذها في البلدة في وقت سابق رعاها نادي العروبة في نهاية ستينيات القرن الميلادي الماضي، إذ افتتح فصلا لمحو الأمية لتعليم الكبار في المساء، علما بأن البعض كان يقرأ القرآن، لكنه لايقرأ كتابا غيره، ولا يستطيع الكتابة، وكان لي شرف التدريس فيه عند افتتاحه، وقد ضم عند افتتاحه بضعة من الرجال، كهولا وشبابا، أذكر منهم: سعد سالم بن حيمد سعد، وقد تولى فيما بعد خطبة الجمعة في مسجد جامع مشهور، ورجب مبارك باغزال، ورجب باقرنون، وسالم عوض بامعبد، وأحمد عوض حيمد سعد، وربيع عبيد باومن وغيرهم، وباشرت التدريس لبضعة أشهر بعدها غادرت البلدة إلى المكلا حيث وظيفتي، ولا أذكر أن أحدا استمر بعدي في التدريس.

٧- فصول محو الأمية للنساء:

في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي- بعد الإستقلال-افتتحت الدولة فصول محو أمية للنساء، وكان التسجيل والانخراط فيها إلزاميا للكل، بأستثناء ممن لها عذر قبلته وحدتها السكنية، إذ المسئولية انيطت -حينها- بالوحدات السكنية بتحديد اسماء المتأهلات للدراسة في محو الأمية، ومن رفضت الدراسة، حرمت الأسرة من مخصصها الشهري من مادة السكر، والذي يوزع من التعاونيات الإستهلاكية بالبطاقة التموينية التي تصدرها الوحدة السكنية.

ومع أن هيئة التدريس في فصول محو الأمية من أبناء البلدة، ومن المدرسين في مدارس الدولة، إلا أن التعليم بالإكراه لا يعطي ثمارا أو نتائج ملموسة يكون لها أثرا من آثار التثقيف أو محو الأمية، إضافة إلى أن الغاية والهدف من فصول

محو الأمية ربما كان –حينها– بالدرجة الأولى والأساسية في تلك المرحلة. مرحلة الثورة الديمقراطية.. هي التوعية السياسية على وفق السياسة العامة للتنظيم الحاكم –الجبهة القومية–.

لكن هذا لايعني أنه لم تستفد من تلك الفصول من انتظمت في تلك الفصول، فلا غرو أن تكون هناك فائدة عند البعض، وعند البعض قد تكون فائدة مؤقتة للتخرج من تلك الفصول بحمل المتخرجة شهادة التخرج، وهذا يكفي.

مقترح لعقاب المتغيبات عن الدراسة:

على سبيل التوثيق للحالات التي تستحق التوثيق للتعرف على مفاهيم مرحلة من المراحل التي مرت بها البلدة، كان هناك اجتماع عام دعت له منظمة الدفاع الشعبي بالحي(البلدة)، وكثر الغياب من بعض المنتظمات في صفوف محو الأمية، وربما حصلت على مبتغاها من مادة السكر من مواقع أخرى، فشدد الخطيب المتحدث بأسم الدفاع الشعبي على الإلتزام بمواصلة الدراسة، وطلب من المجتمعين أن يعينوه بمقترح يحدد نوع العقوبة على من لم تلتزم بالدراسة، رفع أحدهم يده وربما هو الوحيد، وطُلب منه إبداء مقترحه فرد بحماس منفعل: الإعدام.. الإعدام.. فورا حتى لا تعرقل المسيرة!!.

ضجت القاعة بالتصفيق والصفير، وعم الصخب.

لكن من اقترح هذا الإقتراح هو من العمال الكادحين، ولم يكن اقتراحه جاء عفويا أو زلة لسان، لكنه قارن بين من لم تكن له آلية أو طريقة أخرى لتوفير مادة السكر ولديه أطفال، فصراخ الطفل ودموع الأم، وعبرة الأب الذي لاحيلة له، هي أقرب للإعدام.

ثانياً: الأوضاع الدينية

البلدة جزء من المجتمع الحضرمي، فوضعها الديني جزء من الوضع العام ومرتبط به في كل عصر، وفي كل مرحلة، والمذهب الذي تستمد منه علوم الفقه، والأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والعلاقات العامة وغيرذلك هوالوضع العام للمذهب السائد في المرحلة، ومع أننا لانستطيع الجزم بما كان عليه مذهب مجتمع البلدة حين كان المجتمع الحضرمي بتعدد مذاهبه ومرجعياته، إلا إننا نجزم أنه قبل سريان المذاهب كان مرجعيتهم الكتاب والسنة، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم، فعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذه الجهة اليمنية كزياد بن لبيد الأنصاري ومعاذ بن جبل وغيرهم، لم تكن لهم مرجعية إلا كتاب الله عزوجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واجتهادهم بما يتوافق مع القرآن والسنة.

غير أن حضرموت كغيرها من البلدان الإسلامية تمذهبت بعض مجتمعاتها بمذاهب تلك المراحل، كمذهب الأباضية، والحنفية، وغيرها.

وساد مذهب الإمام الشافعي منذ القرن السادس الهجري تقريبا في الجهة الحضرمية، حيث لم يعدهناك أي مذهب آخر في البلاد يحتكم إليه، في الأقضية والعبادات والمعاملات، وإن استثني شيئ من المعاملات عن فقه الإمام الشافعي في مسألة من المسائل الفرعية فلا يختلف حولها اثنان من العامة أو الخاصة.

ونقرأ في مرحلة أو مدة من تاريخ البلدة، أنه مع تديّن بعض سكان البلدة والتزامهم بأداء العبادات والشعائر، المفروضة والنافلة، والسنة والمستحبة، إلا

إن هذا التدين لا يخلو من خروج عن القواعد الشرعية، وانتهاك للمحارم، وقد وصف أحوالهم السيّد عبد الله بن علوي الحداد بقوله:" فظاهر أحوالهم يمنع أن يقال بأسلامهم، وباطنهم يمنع أن يقال بكفرهم."(٣٣٤) .

كما ان فيهم – وإن كان نادرا – كما يقول الشاطري من عرف بالاستقامة والعلم والخير والانصياع لتعاليم المرشدين والوعاظ والعلماء."(٣٣٥) .

وهو مما ينطبق على أفعال بعض من شرائح الطبقات في مجتمع البلدة في أكثر من عصر، وفي غيرها من المجتمعات.

وباستتباب الأمن وهيبة السلطة ومرجعيتها في أحكامها ونظامها الشرعي بمرجعية فقه الإمام الشافعي إنتفت عنهم مظاهر الخروج والانحراف عن القواعد الشرعية، والشذوذ ليس قاعدة، وإن يكون وجوده في كل عصر لازمة من لوازم كل عصر، ويعلم الله وحده بالسرائر.

في نهاية سلطة الحزب الإشتراكي، وخاصة بعد أحداث يناير١٩٨٦م بدأ في الأفق فهم بمسمى الصحوة الدينية، انتظمت تحت هذا المسمى حلقات في المساجد لتلاوة القرآن الكريم وللتعليم الديني، وذلك بعد صلاة العصر، وبعد صلاة المغرب، وبعد صلاة العشاء، وبعد صلاة الفجر، على اختلاف منظمي تلك الحلقات في المساجد، وتم استقطاب الكثير من فتيان وشباب البلدة، وتواصل أرباب الحلقات في مختلف المناطق بأشرطة الشيوخ الدعاة، والكتب

(٣٣٤) أحمد عبد الكريم الحساوي: تثبيت الفؤاد جـ٢ صـ ٢٢٤.

(٣٣٥) أدوار التاريخ الحضرمي جـ ٢ صـ ١٣٨.

والكتيبات من الدول المجاورة، وتم تداولها بصورة سرية في الأغلب، ومع أنه لم تصل مخالب أجهزة الأمن السياسي- حينها أمن الدولة- إلى أي من شباب البلدة الذين يديرون حلقات المساجد، فقد أخذت تلك الأجهزة الكثير من بعض المناطق الأخرى إلى سجونها في تلك المرحلة، ولم تطلق سراحهم إلا بعد الإعلان عن الوحدة اليمنية.

ولم تكن للصحويين في البلدة مرجعيات ظاهرة إلا الكتب والأشرطة، والسماع من أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة الأخرى، وكان لهذه الوسائل تأثير قوي على مسار وسلوك ومفاهيم الكثير من الشباب، فكان الرفض لبعض المفاهيم الموروثة، والرفض للواقع المعاش بمآسيه وانحرافاته.

ولقد واجه هؤلاء الشباب انتقادات ومضايقات شديدة من قبل المحافظين على الموروث.. بل منعوا حتى من أداء الصلوات في بعض المساجد في غير أوقات الصلاة فيها، وهي صلاة التراويح في شهر رمضان، لا لكونها صلاة، وإنما لأنهم ابتدعوا صلاة لم تكن هي الصلاة المعروفة في مساجد البلدة، فصلاتهم للتراويح أدوها بثماني ركعات فقط، وفي كل ركعة يقرأ الإمام مقرأ أو صفحة كاملة أو أكثر بتلاوة غير معهودة (تجويد/ ترتيل) في البلدة، ولقد سمعت من أحد أئمة المساجد مستنكرا صلاتهم بقوله: إنهم يريدون نشر مذهب(الإمام) أحمد بن حنبل!.

وقد انتسب للشباب..شباب الصحوة – كما قيل حينها- من انتسب.. من عرف شيئا عن الصحوة، أولم يعرف شيئا.. قرأ أو سمع، ومن لم يقرأ ولم يسمع.. فقه شيئا أو لم يفقه شيئا، وإنما تبعا لأخ أو صديق أو قريب، أي بتأثير الآخر، أو

باستحسان الرفض كرفض، والكثير لديه رغبة ملحة عن قصد في التمرد على الثقافة أو الفهم الموروث وأسبابه معروفة.

وأصبح الإنتساب للشباب "الصحوي" كالتباهي بين الكثيرين، إذ لا تجد سلوك البعض يتفق مع مفاهيم الصحوة المعلنة، والأفعال التي يقومون بها، أو التي هم عليها في مرحلة سابقة.

في هذه المدة أو المرحلة كان المد المذهبي محدودا في البلدة، لكن بعد الوحدة تمدد، واستطال وتنوع.. أضحى المد من الصحوات الدينية، ولا أقول الصحوة لتنوعها واختلافها في الطرح والإنتماء، وأياكان مفهوم الصحوة وانتمائها ومقصدها، فقد قبل البعض المفاهيم الصحوية رغبة في التمرد على المألوف، وما نشأواعليه من تقليد لمذهب الإمام الشافعي ومنظريه، وعن كثير من التقاليد والعادات في البلد، أو لعله العناد، ولم يكن بأي حال من الأحوال- عند الكثير- نتيجة علم واجتهاد وقناعة، وربما نقول أن هناك عوامل أخرى غير منظورة، والكثير ممن انتسب لهذه الصحوة أو تلك، أي ما عد صحوة على وفق المفهوم اليوم، لونظر الناظر إلى سلوك البعض وحقيقة أحوالهم الظاهرة، ناهيك عن باطن أمرهم، وخبايا معيشتهم وسيرتهم، لوقف على ما يوجب الازدراء والمقت لمثل هذا الانتساب الذي ينافي عنوانه وما دل عليه.

خبط وخلط:

كان للبعض من تلك المكونات الصحوية ظاهر، هو التديّن، وباطن هو الهوى والعناد..أراد نقل تجربة، أو الأصح تقليد مذهب، أو بعض من مضامينه في الفروع، بزرعه في تربة غير تربته، ومناخ غير المناخ الذي نشأ فيه وانتشر، دون

معرفة علمية وفقهية لهذا المذهب أوذاك، ودون تهيئة سابقة، أومرونة في التعامل، فكانت الحصيلة شتات وخلاف بين المجاميع الصحوية، حيث تفرقت بينهم السبل في الآراء والمفاهيم الذاتية لأداء المنقول وتقليده، فكل فريق زعم بتصحيح وإصلاح بعض المفاهيم التعبدية لمجتمعه، والكيفية الخاطئة لبعض الشعائر، وبإختلاف في الفهم والرؤى، فكانت الفرقة بين الصحويين بعضهم البعض من ناحية، وبين مجتمع البلدة من ناحية أخرى، بل بين أفراد الأسرة الواحدة في البيت الواحد، وذلك لوجود الراسخ والثابت في الأفئدة، إضافة إلى عدم الخلفية المعرفية للكثير ممن أراد نقل التجربة، أو تقليد المذاهب الأخرى، غير ما اعتاد وعرف.

وفي كل الأحوال فإن للشتات والفرقة مسارات تخفى على الناظر والباحث، على الأقل عندما يرى الخبط والخلط والحيرة في المسارات التي لم تحدد الهدف والقصد.

رفض الدخيل على الشعائر سجية:

اتذكر موقفا قد يعطي صورة مناسبة لرفض أي دخيل غريب على الشعائر التعبدية في مجتمع ما قبل الوحدة.

بعد إعلان الوحدة مباشرة، أمّ المصلين في صلاة المغرب بمسجد جامع الشرج بالمكلا شيخ من المغتربين أو المقيمين، وربما بجنسية سعودية، ولم يجهر بالبسملة، ويعلم الله وحده إن كان قد أسرها، وما ان أتم الصلاة، إلا وضج المسجد باصوات المحتجين من المصلين، فأضحى المسجد بمن فيه ساحة لفوضى الجدل والخصام والاحتجاج والغضب، لايمكن وصفها، بل أعاد البعض الصلاة، ولحسن الحظ أنه لم يعتد على الشيخ، وكنت على موعد عمل مع صاحب

متجر في سوق الشرج، وجلست مع صاحب المتجر، وسألني رأيي في الفوضى التي حدثت في المسجد، وقلت أخطأ الشيخ حين أم الناس وهو يعرف أنهم على مذهب الإمام الشافعي، وفاجأني الشيخ الذي أم المصلين في المسجد من جانب آخر في المتجر- مقاطعا حديثي- دون أن أراه أو يراني بقوله: إنني أخطأت فعلا، وحاولت أن اعتذر، وابرر ما أقدمت عليه، لكن مع الصخب والغضب الذي ساد في المسجد لم ينصت إلي أحد.

ذلك أن من صرح بأن الصلاة باطلة بدون البسملة فإنه على مذهبه (مذهب الإمام الشافعي)، ومن جادل بصحة الصلاة بإن الإمام أسرها فعلى مذهب الإمام أحمد وغيره، لكن من يستطيع إقناع العامة في المسجد خاصة من كبار السن - في ذلك الوقت- بصحة الصلاة بدون بسملة، أوباسرارها على مذهب آخر.

وموقف آخر:

كنت قد حضرت بعد إذان العشاء وقبيل الصلاة في مسجدعمر بالمكلا درسا يلقيه شابا يرى من سحنات وجهه ونحافة جسمه وطلاقة لسانه أنه على خلق وعفة وطالب علم، وكان درسه عن الوضوء، وقال من جملة ما قال من أركان الوضوء، مسح جميع الرأس، ومن لم يمسح جميع رأسه بطل وضوءه، ومن بطل وضوؤه، بطلت صلاته.. الكثير ممن يستمع لدرسه مادا عنقه نحوه.. ينصت في ظاهره.. أكان من الشباب أوالشيوخ..من يعي ومن لا يعي، وربما بدون اكتراث لما يقول، وإلا لكان لقوله صدى من البعض، وكنت أعرف صديقا ملازما لهذا الذي يلقي الدرس، وبعد أن أدينا صلاة العشاء، جلست مع صديقه وقلت له

اخبر صاحبك أن كلا من في المسجد تقريبا على مذهب الإمام الشافعي، وعندهم في أركان الوضوء مسح جزء من الرأس، وليس كله، وقد أبطلت صلاتهم، وقد صلاها من صلاها ممن هم في المسجد لأربعين سنة أو أكثر، ناهيك عن ممن سبقهم، فعلى الأقل يقول عند الإمام الشافعي كذا، وعندالإمام أحمد كذا، لكن إبطال صلاة الجميع بما فيهم الآباء والعلماء، لفهم خاص من مذهب معيّن خطأ. واعتذر عما قال، وقرر أن لايلقي درسا بعد ذلك كما أخبرني صديقه.

تعدد الانتماءات المذهبية:

تكاثرت الأطراف – الصحوية-بمسمياتها، وتعصبت هذه الأطراف لإنتماءاتها، وتحكمت الأهواء في مسيرتها، لأنها قبلت ما قبلت، من أفكار ورؤى عن براءة وسذاجة، أو رغبة في التمرد والعناد – عند الكثير-لاعن وعي وعلم يوائم بين الكائن وماكان، والجديد المرغوب فيه، يجد له نفوذا كبيرا في ذوي البراءة والسذاجة، لسنا غريبين عنها.

وإن آزرت السلطة مذهبا من المذاهب، -كما حدث بعدئذ-فلن ترتفع صيحة أو شكوى، هكذا على مدار التاريخ في كل المجتمعات، غير ان الإنسان العادي لن يترك التقيّد بماعرف ونشأ عليه عن معرفة أو تقليد لمذهبه.

ثمة رغبة صادقة في الإصلاح، وفي إصلاح بعض المفاهيم السائدة وبعض العادات والعوائد المختلف حولها، من قبل كوكبة من خيار الشباب في البلدة، لكن الآلية أو الطريقة لنهج الإصلاح التي سلكوها، واختيار التوقيت الخاطىء في الطرح لبعض رؤى الإصلاح، وعدم الدراسة النفسية للمجتمع الذي يمكن

هديه وإرشاده لنهجهم، كانت من ضمن العوائق في عدم قبولها عند البعض، أو الإستخفاف والإستهانة بها ممن قبِلها ورضي بها، وأغلب من امتثل للطرح ومضامينه بدون خلفية معرفية، إنما كان القبول بها تأثرا، أو تقليدا، أو تبعية، أوكما يقال رب مفتون بحسن القول من غيره، مما جعل الكثير منهم يتأرجح في مفاهيمه وشعائره وتقليده بين أكثر من جهة لأطروحاتها، دون التمييزوالفهم، فتراه مع هذه الجهة مدة، ومدة مع الجهة الأخرى، وربما تعددت الجهات وأطروحاتها وهو منساق وراء هذه أوتلك، دون علة أو دليل من علم أو قناعة، إلا التبعية أو المجاملة، أوالتخاصم مع تلك الجهة، أو فقدان مصلحة.

وسبب آخر – أيضا- ربما هي المركزية المتعالية، سواء بسلطتها أو بقدسيتها، فالتوجيه المركزي الديني لايناقش، أويتم له نقاش سطحي لا يتواءم مع الواقع المعاش لمن في البلدة بفهمه وسيرته، فليس من السهل، وربما هو من المستحيل إقناع من يعيش في خريف عمره بمفاهيم ورؤى مذاهب أخرى- أيا كان فيها من صحة وصواب-، ولعل من اضطر لقبولها ومتابعتها مهادنة أو مجاملة، هو في الواقع لم يغيّر من طقوس شعائره التعبدية كما نشأ عليها، مما حدا بمن لم يداهن ولم يجامل أن أطلق صرخاته الغاضبة – في المساجد- التي تتهم هؤلاء (الصحويون)- بتنوعهم- بإبتداع دين جديد، وربما تركوا لهم المسجد، وأدوا صلاتهم في مسجد آخر، وان بعد عنهم، رغم عاهتهم وشيخوختهم، هذا عن المسألة التعبدية، إضافة إلى أن هناك سخطا يسود الكثير من كبار السن نحو المفاهيم الوافدة الجديدة، وعن عدم رضاهم بالسلوك الذي انتهج، ولقد ساد العلاقة بين الكثيرمن مختلف طبقات

مجتمع البلدة شيء من التوتر والقلق، كما ساءت العلاقات الاجتماعية والأسرية من جراء بعض السلوك، على وفق الفهم المغلوط للصحوة.

ونقرأ في مرحلتنا الحالية أن الأوضاع في المفاهيم الدينية التعبدية في الفروع هي للشتات والتفرق، بحيث يستعصي على الباحث فهم الوضع الديني للبلدة بتقليد أي مذهب من المذاهب المعروفة، كما كان عليه في السابق.

مساجد البلدة ومصليات النساء:

هناك تساؤلات واستفهامات تزداد وتتشعب، ولا يوجد لها رد من أي مصدر، إلا تلك المصادر التي تتيه بنا، وتزيدنا حيرة فوق حيرتنا.

ذلك أننا منذ القرن الأول إلى القرن الثامن الهجري تقريبا لم نجد أثرا أو ذكرا لمسجد في البلدة، -أقصد البلدة القديمة-وإن إستقراء تاريخ البلدة من مدونات التاريخ، يعطينا معلومة – رغم اقتضابها-أن البلدة كانت مدينة عامرة، أوكانت بلدة بسكانها الأصليين والوافدين إليها، وممن وفد إليها ممن لهم صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم، أو شبه صحبة، ومعروف أن صحابة رسول الله لايختارون موقعا إلا وأسسوا فيه مسجدا، إذا لم يؤسس فيه مسجدا، إقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

إضافة إلى أن البلدة مجاورة لمدينة تريم، سواء كان هذا موقعها، أو أنه كان لها موقع آخر قريب منها، فإن الحوادث التاريخية التي تعاقبت على المدينة والبلدة، تؤكد المجاورة والقرب بينهما، وإن استجلاء تلك الأحداث، تعني أن البلدة كان

لها استقلال ضمني عن المدينة في كثير من أدوار التاريخ، وأن ساكنيها ومن نزح إليها من ولاة وحكام وعشائر، كانوا على وفق انتمائهم لمجتمعاتهم محافظين متدينين ملتزمين بشعائرهم وطقوسهم الدينية، فليس من المقبول عدم تأسيس مسجد قبل تلك المدة الزمنية، أي قبل القرن الثامن أو التاسع الهجري، ولعل ما يخفف عنا الحيرة، أنه في مدينة تريم مثلا لم يذكر من أرخ لمساجد تريم اسم مسجد ولا موقعه قبل مسجد الوعل الذي تأسس عام٤٣هـ، والمعروف أن عامل النبي في المدينة- تريم- الصحابي زياد بن لبيد الأنصارى- رضي الله عنه-، أعلن وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبيعة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بعد أداء صلاة الظهر حتى صلاة العصر في المسجد- بتريم -، وذلك في سنة اثنتي عشرة من الهجرة.ولم تفدنا المصادر الموثوقة بموقع المسجد، ولا إسمه، ولا هيئته.

وتاريخنا-تاريخ حضرموت-عامة فيه أطوار ومراحل لم يكشف عنها بعد، لعدم وجود المصادر، إما لضياعها وفقدانها أو لإتلافها، لكننا نأمل أن يكتشف الأثريون في حفرياتهم شيئا يوضح بعض ما نود معرفته، غدا أو بعد غد، هذا إن تمت حفريات في المنطقة، أو المناطق المجاورة.

وتاريخنا -تاريخ حضرموت- كما يذكر السيد مصطفى عبدالرحمن العطاس: "بوجه عام لازال يعاني من فجوات زمنية كبيرة لم يعثر الباحثون والمؤرخون عن أي معلومات مفصلة وموثقة حولها."(٣٣٦).

(٣٣٦) صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت، محاضرة للعلامة المؤرخ عبد الله بن حسن بلفقيه، تحقيق وتقديم مصطفى العطاس صـ ٢١.

والمساجد القديمة في البلدة في موقعها الحالي، أسسها السادة من العلويين بوقف منهم، ولها آبارها وأوقافها التي ترفد عمارتها وصيانتها، ولها نظارة يقومون بشؤونها وعمارتها سواء منهم، أو ممن ينوب عنهم، وقد بنيت بأسلوب أو طراز المساجد بتريم، على وفق زمنها الذي شيّدت فيه، وهي من اللبن، وأعمدتها من السواري الطينية، ومطلية بالنورة، ولكل مسجد صحن – ضاحية مكشوفة وبرك للوضوء، لفصلي الصيف والشتاء، وبين برك الوضوء مجاز للتنقل والانتظار، ومنارة للأذان، واختلفت أشكال المآذن لمساجد البلدة، ولكل منارة(مئذنة) قاعدة خاصة تتسع في الأسفل، وتصعد بدرج دوار في المآذن المخروطية(المدورة) ويضيق في أعلى المئذنة، يتخلله- الدرج- فتحات متتابعة دورة الدرج، وهناك مآذن على شكل مربع، وقد لايكون للمسجد منارة إلا سطح المسجد (كمسجد بلفقيه)، وهذا بالنسبة لشكل المساجد القديمة قبل التغيير والإضافة للبعض في الوقت الحاضر، كمسجدي مشهور ومسجد بلفقيه. وكل المساجد من داخلها وخارجها مطلية(مطروقة) بالنورة، وذلك لمقاومة العوامل المناخية والأمطار.

ولقد كان لمسجد جامع مشهور مغمس (بركة مكشوفة) لغمس الأرجل وللتطهر-الوضوء-قبل الدخول إلى صحن المسجد كالكثيرمن المساجد في المدينة في وقت معيّن.

وفي المسجد الجامع(مشهور) حيث تقام صلاة الجمعة والعيدين منبر للخطيب من خشب في فرجة من الجدار القبلي للمسجد محاذيا المحراب، مكون

من درجات ثلاث يرتقي الخطيب درجتين، ويخطب قائما في الدرجة الثانية مرتكزا على عصا في أثناء الخطبة، ويجلس على الدرجة الثالثة، وللخطيب باب خاص للدخول منه، قريبا من المنبر، وكان عند دخوله من الباب يقف قبالة الصفوف الأمامية مسلما، ثم يصعد المنبر للسلام العام.

ولم يؤسس للمساجد القديمة -غير الجامع-منبر، كما استحدث المنبر في المساجد الحديثة أو بعضها دون أن يرقاها خطيب.

أما المساجد الجديدة فالبعض منها وفقا للإنتماءات والرؤى المذهبية، فقد يكون هناك محراب لا على هيئة المحاريب المعروفة في المساجد القديمة، وإنما فرجة في الجدار القبلي، وقد يكون فيها منبر من خشب، بثلاث درجات لخطيب الجمعة. وقد يكون المنبرفي مساجد أخرى موصولا بدرجات بناء من المحراب – أو من الجانب الآخر-إلى المنبر المبني بارتفاع متر أو أكثرأو أقل تقريبا.

ومساجد البلدة اليوم، سواء المبنية بالطين والتبن أو بالحجر أو بالإسمنت فهي عامرة بمصليها، ومعمورة بأثاثها من فرش ومكبرات صوت، ومراوح كهربائية وإضاءة قوية، ومكيفات للصيف، وللبعض سخانات لماء الوضوء في الشتاء، وغير ذلك مما يعد من راحة المصلين في المساجد، ولنتذكر أن المساجد القديمة، لم يكن للبعض فرش، وإن كان للبعض فرش فلجزء من المسجد، وكان فرشها الحصير من الخوص بعمل يدوي محلي، وإن وجد شيء من الفرش القطني للمسجد فإنما يفرش جزء من المسجد للمناسبات الخاصة.

وكان للمساجد ميفى(كير) لتسخين ماء الجوابي(البرك) في فصل الشتاء، وذلك بتثبيت طبق من معدن النحاس، في إحدى الجوابي، علما بأن الجوابي متصل ماؤها ببعض من أسفلها، وللمساجد جوابي لفصل الصيف، وجوابي لفصل الشتاء، ويقع الميفى أسفل جوابي الشتاء محفورا بنفق في الأرض، ويتم إشعال النار في الميفى، والوقيد بجذوع النخل، بعد تجزئتها وتقطيعها، وتظل الجذوع متقدة مدة من الزمن يتم فيها تسخين ماء الجوابي في فصل الشتاء، علما بأن أغلب سكان البلدة، كان وضوؤهم وغسلهم في جوابي المساجد، إلا من له عذر شرعي استبقاه في البيت، أو في موقع عمله لبعض الفروض كالمزارعين.

وغني عن التعريف أن أغلب المساجد القديمة والحديثة قد تخلت عن "الجوابي"-البرك للوضوءبأستحداث الصنابير(الحنفيات) للوضوء، وإن بقيت بعض الجوابي، بمفهومها القديم في بعض المساجد، واستحدث معها مايشبه الخزانه للتبول والإستنجاء. وقد تم تسخين الماء في بعض المساجد بالسخانات الكهربائية.

في المدة الزمنية الأخيرة، بعد الوحدة، حيث كان الاتصال والتواصل مع الفرق المذهبية سواء ممن في الشمال أو غيرها من البلدان المجاورة وغير المجاورة، فقد تم بناء مساجد وفق الانتماء المذهبي الجديد، أو التأثر ببعض المفاهيم حول البناء وماحواه. وقد أبطلت في كثير من تلك المساجد، مما كان قد اعتاد في هيكلة المساجد القديمة، وماكان من ذكر بعد الصلاة أو اجتماع في مناسبات دينية خاصة، على وفق فهم القائمين عليها.

مساجد البلدة

١ – مسجد الشيخ علي بن أبي بكر السكران:

لم يكن مسجدا عند تأسيسه.. كان مصلى للشيخ علي، فقد ذكر السيد محمد علي خرد(ت٩٦٠هـ): أن الفقيه محمد باصهي قال: كنت عنده- أي عند الشيخ علي- في مصلاه الذي يصلي فيه بدمون ليلا." [٣٣٧]، مما يعني أنه كان مصلى في حياة الشيخ، وليس مسجدا.

أسسه الشيخ علي بن أبي بكر السكران (٨١٨هـ - ٨٩٥هـ)، وموقعه معروف بين الغويضة ودمون، وأن من قال أن نخل الشيخ علي كان قريبا من مسجده، كان الأحرى أن يقول مصلاه، ودمون كانت مصيفا للسادة في وقت الخريف، وموقع المسجد كان للمصيفين عامة، وما عرف أن مزارع دمون كانت كلها – تقريبا- مصيفا لأثرياء تريم في فترة من تاريخها، وموقع المسجد يبتعد كثيرا عن البلدة اليوم، لكن ما نخمنه حاليا ونراه، لن يكون كحاله منذ ستمائة عام، ولغياب المصادر دور في عدم التعريف أو التفسير لكثير من تساؤلات اليوم، ومن ضمنها موقع المسجد الذي هو أقرب لموقع دمون القديمة.

والمصادر التي تحدثت عن المسجد، لم تتطرق إلا عن تأسيسه، ومن عمره وزاد فيه بعد تأسيسه، ولم تذكر متى أصبح مسجدا بعد أن كان مصلى.

(٣٣٧) غرر البهاء الضوي جـ٢ صـ ٥٩١.

وذكرت المصادر أن السيّد أبوبكر بن علي بن شهاب عَمَره ووسعه في الجانب (اليمين) الأيمن، وجعل له ثلاث سواري، وتمت عمارته عام ١٣٥٣هـ.

ويذكره السيّد عمر أحمد المشهور في كتيبه:" أن للشيخ علي بن أبي بكر السكران مسجدا معمورا حتى الآن ويصلى فيه!، ويقال له الشرقي تمييزا له عن مسجده الذي بتريم (في حافة السوق بتريم)، ويوجد بجانبه- أي المسجد الشرقي بدمون-أراضي زراعية ونخيل تسقى من بئره مع برك - جوابي- المسجد المذكور، كما يوجد بجانب المسجد مكان للنزهة بناه الحبيب أبوبكر بن علي بن شهاب[٣٣٨].

وعن السيّد عمر أحمد المشهور أن تسمية وادي دمون بوادي الشيخين هما الشيخ علي بن أبي بكر السكران، والشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس، لأن لهما آثارا وأراضي وآبارا ومساجد معروفة بذلك الوادي[٣٣٩].

والملاحظ هنا تسمية وادي دمون بوادي الشيخين، فهل كان الوادي-وادي دمون-يروي أراضي البلدة، وليس هو البلدة، كما هو في مفهوم البعض، لعل في الرد على التساؤل يؤكد موقع البلدة في غير موقعها الحالي.

ومع أننا لم نجد مصدريحدد الوقت الذي أضحى فيه المصلى مسجدا، فعلينا اعتباره مسجدا على وفق المراجع التي تتحدث عنه كمسجد.

(٣٣٨) المشهو: بغية من تمنى صـ ٥.

(٣٣٩) المصدرالسابق صـ ٨.

وبين تأسيس المسجد وعمارته الأخيرة في حدود الـ ٤٥٠سنة، وهي فترة ليست بالقصيرة، ولم يذكرأحد ممن تحدث عن المسجد رواده، أو جيرانه ومن تعود الصلاة فيه، ولو لمدة قصيرة من تلك المدة الزمنية عند التأسيس وبعده، ولعلي أو لعل غيري يجد مصدرا ليرد على هذه التساؤلات التي تطرح نفسها حول الموقع وحول رواده وعامريه بالصلاة عند تأسيسه، ولسنا نعوّل على رواده.. رواد التبرك بالمسجد ليلة ختمه في ليلة الحادي عشر من شهر رمضان.

فوجود مسجد بدون رواد أو مساكن قريبة منه، يوجب التساؤل، إلا أن بقي مصلى، كما هو عند التأسيس.

وليلة ختمه في شهر رمضان هي ليلة الحادي عشر، وتخصيص ليلة لختمه من ضمن تساؤلنا أيضا.

وحالة المسجد اليوم وقد اتخذه المزارعون الذين حولوه مخزنا لأعلاف الأغنام من الشجر وقصب الذرة وغيرها، وقد تدثر المسجد لإنعزاله عن السكنى في تلك البقعة، ولم يجد من يعمره من جديد، على كثر عمار المساجد في هذه الفترة، ربما لعدم عمارته من المصلين، أي عدم وجود سكان مجاورين للمسجد(٣٤٠).

وفي صغرنا كان البعض من أهل البلدة في ليلة ختمه في شهر رمضان يخرجون مساء للركوع فيه تبركا كما هي عادة من سبقونا، ولم تعد لتلك العادة في هذا الوقت حضور من أي نوع.

(٣٤٠) في عام ٢٠١٥م-٢٠١٦م تمت عمارة المسجد من قبل جمعية الرأفة الخيرية بتريم كما تم فيه الختم ليلة الحادي عشر من شهر رمضان سنة ١٤٣٧هـ، وربما صلى فيه في الوقت الحالي بعض المزارعين الذي حواليه.

٢- مسجد مشيخ:

أسسه السيد مشيخ بن عبد الله بن علي بن ابي بكر السكران[٣٤١].

وموقع المسجد جنوب مسجد الشيخ علي، جد المؤسس للمسجد. وهو اليوم أقرب لمنطقة الفجير من البلدة، وهو من المساجد القديمة المهجورة، والبعيدة عن السكان، وهو من ضمن تساؤلنا حول اختيار الموقع.. أكان موقع للنزهة والتصيف، أو كان موقعا لسكان تلك المنطقة. فهو أقرب لمزرعة الدكين-حاليا-، والدكين كانت من اقطاعيات سالم غرامة (تـ سنة ١٢٢٦هـ) وقت هيمنة يافع على تريم وما حولها.

ولعل دمون القديمة كانت في تلك الأصقاع، إذ تم حرقها سنة ٨٩٠هـ من قبل آل كثير، وتم عمارتها من جديد من قبل الصبرات سنة ٨٩٣هـ. ومع أننا لم نجد مصدر يؤرخ تأسيس المسجد، إلا أن مؤسسه توفى سنة ٩٧٦هـ. ولم نتحصل على مصدر-رغم بحثنا- على أي موقع آوى النازحين من دمون القديمة، قبيل وأثناء القرن الحادي عشر الهجري.. فهل كان لهذا الموقع علاقة بسكان دمون – القديمة-المنكوبة حينها.. ربما.. هو استنتاج لقراءة مرحلة لا مصدر يرفده. والمصادر التاريخية المدونة تشير إلى دمون القديمة إلى القرن العاشر الهجري[٣٤٢] .

(٣٤١) باغوث: الدرر الثمينه في تاريخ مساجد تريم صـ ١٨٠.

(٣٤٢) المسجد تم تأهيله وترميمه في الوقت الحاضر من قبل جمعية الرأفة الخيرية بتريم.

٣- مسجد جامع مشهور:

وهو أقدم المساجد في البلدة، وكان في وسطها، قبل تمدد العمران في الآونة الأخيرة، أسسه السيّد محمد الملقب المشهور بن أحمد بن محمد بن شهاب الدين، قال عنه السيّد أحمد بن ضياء:" أن أحمد والد السيّد محمد تزوج عند قبيلة آل عمران بدمون، فأنجب إبنه محمد (الملقب المشهور)، وكان هذا العلامة محمد المشهور دأبه الدعوة إلى الله وتعليم البادية، فطلب من أخواله آل عمران قطعة أرض، فلما أعطوه بنى فيها مسجدا وحفر بئرا للشرب، وجعل عند البئر أحواضا لشرب الماشية والأغنام، ترغيبا للبادية الذين يأتون ببضائعهم وأغنامهم إلى سوق تريم، فيقيلون أو يبيتون عند تلك البئر والمسجد."[٣٤٣] .

وذكر السيّد عمر بن علوي الكاف عن مؤسس المسجد:" وكان محمد المشهور هذا شريفا عفيفا وليا مجذوبا توفي بتريم آخر سنة ١١٣٠هـ، وكان من الأوابين، وهو أحد الأوتاد الأربعة الذين قال فيهم القطب الحداد:"وددت لو تفرقوا في أرباع البلاد كي لايدخلها شيطان. وأم السيّد محمد المشهور هذا طفلة بنت كوس بن سلمة من آل عمران"[٣٤٤].

وكان وجود تلك الأحواض المنقوبة في الصخر، موجودة عند منزحة البئر إلى عهد قريب، ولعل وجود البعض منها مازال حتى الآن. "وقام بتوسعة

(٣٤٣) الإعتراف بالإحسان صـ ٢٣.

(٣٤٤) الخبايا في الزوايا صـ ٦٤.

المسجد حفيده السيّد محمد بن علوي بن محمد المشهور (المتوفي سنة ١٢١٩هـ). وقام بتوسعته فيما بعد السيّد حسين بن عبدالرحمن بن شهاب"[٣٤٥].

"وممن عمرهذا المسجد أيضا السيّد أبوبكر بن علي بن شهاب فعمره وركب له ثلاثة أبواب كبيرة، وأراد أن يعمره عمارة أكيدة فلم يستطع، لإنشغاله ببناء مسجده بدمون..مسجد السكران، ثم تكفل بعمارته السيّد عبد القادر بن حسين بن شهاب ووسعه وزاد في المسجد نحو الربع، وارتفع سقفه، وأوقف له السيد عبدالقادر دارا ببتاوي"[٣٤٦].

وعن سعي السيّد أبي بكر بن علي بن شهاب لتوسعة المسجد يذكر في كتابه رحلة الأسفار:" أن المحب سعيد عبد الله بامزروع داره بحري(جنوب) المسجد وعلى نية خرابه طلبت منه أن يعطي كمه(عدد) أذرع بثمن، ما رضي إلا أن تعطونا الدار حق علي بن سهيل من "بيتي وبحر"، با أعطيكم ذراع بذراع، فخاطبت علي بن سهيل قلت له بغينا منك الدار من غير ثمن، لأنه ملك أهلك بغينا لهم الثواب في الآخرة. وجوابه لي: إذا حصلت لي بيت با آخذه وأنا أعطيكم الدار، وبعد الوساطات رضي أخو علي بن سهيل بقوله إن شاء الله يحصل مطلوبكم، وحالا أخبرنا سعيد بامزروع بأن البيت حصل لما عزم على صلاح البيت حقه أخذنا منه على موجب كبرالبيت الذي من علي بن سهيل...

(٣٤٥) بن ضياء: الإعتراف بالإحسان صـ ٢٣.

(٣٤٦) باغوث: الدررالثمينة في تاريخ مساجد تريم صـ ١١٤.

ويضيف السيّد أبوبكر بن علي بعد أن وفق الله السيّد عبد القادر بن حسين بن شهاب في توسعة المسجد المقررة:" توفق العمل حتى أتانا سيدي البقية الباقية أحمد عبدالرحمن السقاف أخبرته بأن قصدنا ادخال الساقية في المسجد وبانصلّح ساقيه بجنبها، قال أصل تعطون مثل الذي تأخذونه ذراع بذراع، ونظرالمكان، وكذلك شاورنا الشيخ ابوبكر الخطيب "وجبته"(جئت به) إلى المكان فكان جوابه مثل جواب سيدي الحبيب أحمد."[٣٤٧] .

ولقد ذكرت سعي من أراد توسعة المسجد حينها، ومن أراد توسعة المسجد في وقتنا – كما سيأتي– وبنفس التعلة السابقة، لكن لكل زمن ناسه.

ومع أنه لم تذكر المصادر التي اقتبسنا منها المعلومات عن مؤسس المسجد تاريخ تأسيسه، إلا أن تاريخ وفاة المؤسس سنة ١١٣٠هـ.

وهو المسجد الجامع لهذه البلدة، وقد تعاقب الإمامة والخطابة فيه على وفق ما تحصلنا عليه من مصادر: المعلم سعيد عبيد عبد الحق، ومن بعده إبنه سالم، والشيخ عبد الله سعيد باغوث، والشيخ عبد الله علي باغوث، والشيخ محمد عبدالله باغوث، وسعد سالم بن حيمد سعد، وصالح عبد الله باغوث، والسيّد عيدروس بن مشهور بن شهاب، والسيّد علي بن حسين بن شهاب، وحاليا السيد عبد الرحمن بن علي بن شهاب إمام المسجد ويتولى الخطابة عند غياب السيد محمد بن علي بن شهاب خطيب الجمعة.. إضافة إلى السادة السابقين من

(٣٤٧) صـ١٤٨، ١٥٠ بتصرف يسير.

آل شهاب أو من غيرهم، حيث لم تفدنا المصادر بالتفصيل، ومنهم: "السيد أبوبكر بن عمر بن علي بن شهاب محتسب االإمامة لله تعالى، توفي عام ١٢٨٦هـ."[٣٤٨]، والسيّد حسين بن عبدالرحمن بن شهاب(توفى عام ١٣١٠هـ) [٣٤٩]، وإبنه السيّد عبد بن حسين بن شهاب (توفي عام ١٣٦٧هـ)[٣٥٠]، و إبنه السيّد محمد بن عبد القادر بن شهاب(توفي عام ١٤٠١هـ)، وغيرهم من آل شهاب الذين تناوبوا الإمامة والخطابة فيه قبل من ذكرنا، أوفي أثنائها، أو من بعدهم ممن لم تذكرهم المصادر، ولم تكن لهم صفة من صفات الوظيفة للإمامة.

في السنوات الأخيرة من القرن الميلادي الماضي ازدحم المسجد بالمصلين، ولم يعد يسعهم خاصة أيام الجمع و الأعياد، فكان الكثير من المصلين يؤدون الصلاة في الشوارع القريبة من المسجد، وقد حاول أهل البلدة أن يجدوا حلا لتوسعة المسجد، فكانت بعض الآراء والتوجهات لشراء البيت الكائن غربي المسجد، فقيل إنه لأغياب في المهجر وبينه وبين المسجد طريق، وقيل بإضافة بيت المسجد من الناحية الجنوبية مع بيت آل بامزروع، على أن يعوض البامزروع بالبيت المجاور لهم من الناحية الجنوبية، وهو بيت السيّد زين بن عبد الله بن شهاب، وهو مؤمم، على أن يشترى منه للمسجد، لكنها كانت مجرد فكرة قوبل جزء منها مع المجاورين في البداية بالترحيب، ورفضت منهم في النهاية، - والتاريخ يعيد

(٣٤٨) بن شهاب: رحلة الأسفار صـ ٢.

(٣٤٩) المصدر السابق صـ١٧.

(٣٥٠) المصدر السابق صـ١٨.

نفسه مع المجاورين كما أسلفنا عن توسعته السابقة، لكن لكل عصر ناسه- وأخيرا اتخذت اللجنة قرارا ببناء طابق ثان للمسجد، وأوعد بعض المغتربين في السعودية أنه سيجد الممول للطابق الثاني، وطُلب تقرير ووصف كامل لمواصفات الطابق الثاني، وأوكل إلى المعلم المقاول رجب خميس باهادي أن يضع التقرير اللازم للطابق الثاني، إلا إن المعلم باهادي بعد أن تفقد المسجد أكثر من مرة، نصح بأن يبنى مسجد في موقع آخر، وأقترح أن يكون المسجد البديل هو مسجد علي بن شيخ(مسجد سواده)، فهو وسط البلدة من ناحية، ومن ناحية له جهات ثلاث (أمامه ووراءه وعن يمينه) ساحات كبيرة للتوسعة تكفي لفترة خمسين سنة لإحتواء الزيادة من سكان دمون، وستقل التكلفة عن بناء الطابق الثاني لمسجد مشهور، وحسب رأيه ووجهة نظره حينها قوله: "ونجنب الجيران من عيون عفوية أو مقصوده لمنازل الجيران القريبة من المسجد في طابقه الثاني"، ونُقلت الفكرة والإقتراح للسيّد محمد بن عبدالقادر بن شهاب، بصفته أحد أحفاد علي بن شيخ، وعاقل السادة آل شهاب، والقائم على مسجد مشهور، غير أن السيّد المذكور صرفهم عن الفكرة، وهو يعلم كما أشار إليه المفاوضون أن الأرض مؤممة، وأنها أضحت من أملاك الدولة، وقد توزع أراضي سكنية – كما حدث بالفعل- لكنه، أشارإلى موقع آخر، ولعل السيّد كان يتورع أن يأمر ببناء مسجد في أرض يمتلكها ورثة أغياب، وإن صرفتها الدولة بحكم قانون التأميم ففيها الشبهة، أو بالأحرى هي مغتصبة، وإن تكن من الدولة، أو ربما له رأي آخر لم يصرح به.

توقفت اللجنة القديمة لإنسداد المسالك أمامها، إلا أن المساعي لم تتوقف للتوسعة، وهي وإن لم تكن حسب المطلوب للمسجد، فقد ضم المقود الذي في شمال المسجد، وألغيت جوابي(برك) الوضوء في المسجد الصيفية والشتوية وعددها(١٤) وبركة ظاهرة(مغمس)، واستبدلت بأربع فقط، وثلاث مقالد للإستنجاء، وحل محل البرك حنفيات للوضوء وكل الجوابي والمقالد وموقع الحنفيات في نهاية المسجد من الشرق الشمالي.

في المدة الأخيرة تم سقف ضاحية المسجد، لكن مع هذه التوسعة لم تستوعب المصلين، إلا بعد أن أقيمت أكثر من صلاة جمعة في مساجد أخرى بعد ذلك.

وتقام صلاة العيدين في المسجد، إلا انه في الفترة الأخيرة أقيمت صلاة أيضا للعيدين في مصلى في الوادي، وخصص – في المصلى –جزء للنساء بساتر وقت الصلاة والخطبة.

وليلة ختم المسجد حسب عوائد البلدة هي ليلة الثالث عشر من شهر رمضان.

٤ – مسجد بلفقيه:

أسسه السيّد العلامة عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بلفقيه، ولد هذا السيّد عام ١١٠٥هـ وتوفي عام ١١٦٢هـ[٣٥١]، ويقع المسجد في الناحية الجنوبية من البلدة في شِعِب متاش.

بقي المسجد مهجورا، حيث خلت مباني الشِعب من سكانها وبقيت أطلالا لخرائب مدة من الزمن، حتى قيّض الله جيرة للمسجد من أبناء البلدة لشراء

(٣٥١) باغوث: الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم صـ ٨٣.

الأراضي المجاورة للسكنى، فعمر أولا بالمصلين، وكانت له بئر وجرب شرقي المسجد، فتمت توسعة المسجد من قبل الساكنين حوله أكثر من مرة، والمرة الأخيرة أضيف الجرب للمسجد، وتمت التوسعة الحالية بهدم أجزاء منه، وكذا هدم الأعمدة الطينية(السواري) وبناء أعمدة صغيره، وببناء ما تهدم مع الإضافات من الناحية الشمالية والشرقية، وتأسيس المنارة.

تناوب الإمامة فيه بعد عمارته من الساكنين الجدد حوله الشيخ عمر عبد الله باغوث، ثم الشيخ أحمد مبارك باغوث، وفي الوقت الراهن إبنه الشيخ سعيد أحمد باغوث، الذي ترك إمامة المسجد لأبناء المنطقة، واكتفى بالأذان والإقامة.

وليلة ختم المسجد هي ليلة سبعة عشر من شهر رمضان بدون ختم.

٥- مسجد علي بن شيخ

ويسمى مسجد "سواده"، ولعل التسمية لكونه في أرض بئر سواده، ويقال له أيضا مسجد بن شهاب، أسسه السيّد العلامة علي بن شيخ بن محمد بن شهاب الدين المولود بتريم عام ١١٣٦هـ، والمتوفي بالشحر ١٢٠٣هـ، وكان السيد قد انتقل للسكنى بدمون وبنى المسجد قريبا من مسكنه..بقي المسجد مهجورا مدة من الزمن، ثم عمر بالصلاة وهو في حالة تدثره بإصلاحات طفيفة، وفي عام ١٤٢٨هـ قام بهدمه وبنائه وتوسعته السيّد محمد (جمل الليل) بن عبد الله بن محمد بن شهاب، حيث أضيف إلى المسجد الجرب الواقع في الجزء الشمالي التابع للمسجد، وقد أحاطت بالمسجد المباني السكنية الجديدة من الجهات الثلاث، بحيث تتعذر توسعته بعد ذلك، تولى الإمامة فيه في المدة

الأخيرة السيّد علي بن محمد بن شهاب، الذي مد المسجد بماء للوضوء من بئر بيته، بواسطة الأنابيب المعدنية، وحاليا إبنه طاهر بن علي بن شهاب.

وقد تم استحداث ليلة لختمه هي ليلة تسع من شهر رمضان.

٦– مسجد شهاب الدين:

أسسه السيّد الثري أحمد بن محمد بن عبدالله بن حسين بن شهاب الدين المتوفي عام ١٣٠٨هـ[٣٥٢]، كما أسس بلصقه من الناحية الغربية الشمالية (النجدية) مصلى للنساء.

ويذكر إبن عبيد اللاه أن السيّد المذكور نجع إلى جاوه، وجمع ثروة طائلة، حتى كانت له قرية في جانب بتاوي تسمى:"مينتيغ"، وهو الذي أعان السيّد علي بن محمد الحبشي على عمارة الرباط – بسيئون– بأربعة عشر ألف من الريالات[٣٥٣].

وعنه يقول السيّد عمر بن علوي الكاف:" إنه هو الذي أنشأ وعمر مسجد الرياض بسيون بجانب رباط الحبيب علي بن محمد الحبشي"[٣٥٤].

والمسجد يقع في الناحية الغربية الشمالية من دمون، بمنارته الطويلة التي لا توجد على هيئتها منارة في المساجد القديمة بدمون.

لم تسعفنا المصادر ولا من سألنا عن من تناوب الإمامة في المسجد، وقيل: إن علي بن عبيد موسى باغوث تولى الإمامة فيه، وقيل أيضا عبيد علي موسى باغوث،

(٣٥٢) الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم صـ ١٦٩.

(٣٥٣) إدام القوت صـ٥٥١.

(٣٥٤) تحفة الأحباب صـ ٧١ .

ولكون المسجد قريبا من بيوت السادة آل سهل والسادة آل عيديد، وبيوت آل بن نبهان، وكذا تردد إليه من جيران المسجد السيد أحمد بن عبد الله المشهور، وكذا إبنه القاضي السيّد عمر بن أحمد المشهور، والشيخ سعيد بن سعد بن نبهان، فربما أم المسجد في الفترة السابقة أحد منهم، إضافة إلى أحفاد مؤسس المسجد.

لكن من ادركناه إماما في المسجد لبعض فروض الصلاة، خاصة المغرب والعشاء والفجر: الشيخ سالم علي باغوث، ثم الشيخ علي بن سعيد الزبيدي، ثم عبيد محمد ربيحان، ثم عبد الله عمر بن عمران (دحيدح) ثم السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب (من أحفاد المؤسس). وفي الوقت الحاضر يتناوب الإمامة فيه بعض من جيران المسجد لبعض الفروض، إضافة إلى السيّد علوي بن أحمد بن ضياء شهاب.

وللمسجد خاصية في صلاة التراويح والوتر في شهر رمضان-سابقا-، إذ تقام الصلاة فيه آخر الليل، بحيث يخرج المصلون من المسجد لتناول السحور قبيل إذان الفجر بأقل من الساعة.

ولصلاة آخر الليل شيء من الروحانية التي لاتجدها في صلاة أول الليل، ومع قلة المصلين الذين يؤدون صلاة التراويح والوتر آخر الليل في هذا المسجد، وهي بعوائد ما بعد الصلاة من قراءات وابتهالات وأدعية كبعض المساجد التي تقام فيها الصلاة أول الليل، وربما كانت روحانيتها لمشقة القيام في آخر الليل.

ومن شرقي المسجد كان "المطبل"(المسحراتي) الذي يفقع "الطاسة"- الطبل- لتنبيه النائمين للسحور يبدأ مسيرته ليجوب شوارع دمون كلها- أو أغلبها- وسطها وجنوبها وشمالها.

وختم المسجد ليلة ثلاثة وعشرين من شهر رمضان.

٧ – مسجد السكران:

يقع المسجد من الناحية الغربية لمسجد جامع مشهور، أسسه السيّد أبوبكر بن علي بن أبي بكر بن شهاب الدين عام ١٣٤٧هـ، كما أسس بجانبه من الناحية الجنوبية مصلى للنساء(٣٥٥).

ولم تفدنا شيء من المصادر عمن كان فيه إمام خاص يؤم فيه المصلين كل الصلوات، لكن تناوب الإمامة فيه من جيران المسجد الكثير لبعض الصلوات. وكان السيد عيدروس بن أبي بكر بن شهاب إبن المؤسس يؤم المصلين فيه في شهر رمضان، وكذا السيّد حسين بن شهاب الدين، وكانا يبدءان صلاة التراويح في المسجد بسورة التكاثر، وسورة الإخلاص، وهي السورة الثابتة في الركعة الثانية من كل ركعتي التراويح. ثم تولى الإمامة لصلاة التراويح، السيد حسين بن زين بن عبد الله بن شهاب، وتولاها لفترة مؤقتة السيّد ابوبكر بن عيدروس بن شهاب–حفيد المؤسس–، وتركها إثر خلاف مع المصلين، وتناوب الإمامة آخرون بدون تعيين سواء في شهر رمضان أوغيره من الشهور. وكان نصيب عمر(عباد) الجابري القيم على المسجد ونخله في جربه والقائم بملء جوابيه بالماء، والإمام في المسجد.

وختم المسجد ليلة تسعة عشر من شهر رمضان.

(٣٥٥) باغوث:الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم صـ ٩٢.

٨- مسجد النور بالغويضة:

الغويضة، هي "حوطة" على وفق مفاهيم الحوط في السابق، لآل باشعيب، وهي أقرب للبلدة، والحوط لها حكم خاص[٣٥٦]، لكنها لاتستثنى أحيانا من ظلم بعض المغيرين.

ومسجد النور أسسه الباشعيب حوالي سنة ١٢٠٠هـ.

وكان المسجد معمورا بالمصلين حين كانت الغويضة بسكانها من آل باشعيب وآل باغوث وآل بالولو، وغيرهم، وقد اقيمت صلاة الجمعة فيه، وتولى الخطبة فيه الشيخ علي بن عبيد موسى باغوث، وأما وقد رحل عنها سكانها من الباشعيب والباغوث وغيرهم، فقد هجر وتدثر[٣٥٧]، وهو في الوقت الحاضر أجزاء منه آيلة للسقوط[٣٥٨].

---

(٣٥٦) ينقل عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف عن الشيخ محمد باجمال، قال بعض العلماء: كان مشايخ الجهة أهل التربية في حضرموت، ينفردون بأنفسهم عن القرى، ويسكنون بأهإليهم في حافات منفردة، قريبة من القرى، يسمونها حوط. يسكن عندهم فيها من سلك طريقهم، وتشبّه بهم، في الإنقطاع عن العلائق، والإنفراد عن الخلائق، والصبر على الفقر. وتكون الحوطة بهذا الوصف محترمة جدا، معظمّة بين الناس، لاتهتك حرمتها في شيء أصلا، حتى لو جنى جان على أحد، والتجأ إليها يتركونه مادام فيها، إحتراما لها، وإن عظمت الجناية. وتكون هذه الحوطة عند أهلها وسكانها متميّزة عن غيرها بالصيانة من الفواحش، والمعاصي، وعن ذكر الدنيا.... وتكون معظمة بالديانة، وإظهار شعائر الدين فيها، وقلوب أهلها مؤتلفة على البر والتقوى والإنصاف فيما بينهم، ولا يتركون أحد يسكن عندهم إلا إن تشبه بهم، فيسلك طريقهم، يطلبون بالإنفراد، والفرار عن مشاهدة الراغبين في الدنيا، فضلا عن أهل المنكرات. (بضائع التابوت جـ ٢ صـ ١٧٤).

(٣٥٧) في عام٢٠١٥م-٢٠١٦م تم ترميم المسجد من قبل جمعية الرأفة الخيرية بتريم.

(٣٥٨) باغوث: الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم القديمة صـ١٩١.

٩ – مسجد مولى الوسط:

رغم اننا مازلنا في البحث عن من أسس المسجد، وهل هو في موقعه مسجد أو مصلى، لكن الذي نعرفه ومن عرفنا به أنه مسجد، والذي نعرفه عن مؤسسين المساجد في المدة الماضية أنه لا يؤسس مسجد إلا وله وقف ما، ولهذا المسجد وقف عبارة عن "جرب" في الوادي يزرع، ولم يفدنا أحد بأن للمسجد وقفا غيره، إلا ما يجود به البعض من الصدقات، وبعض النذور، وهي قد تفي بعمارة البئر من رشا (حبل) ودلو وتصفيتها وتعميقها وغيره وربما لعمارة بسيطة، وليس لدينا تاريخ تأسيسه، إلا أنه يوجد في الجدار القبلي(الغربي) مانصه:" المعلم سالم علي باني / صفر١٣٣٧هـ، والمعلم باني، معلم نوره أي أنه قام بنورة المسجد، ولا نستبعد أن تكون النورة بعد البناء أي بعد التأسيس بفترة قصيرة، وربما بفترة طويلة، وحيث تم بناؤه في موقعه لمن يتنزه، أومن يزور القبر المخفي حوله ويتبرك به، إلا انني – أيضا- لم أتوفق في معرفة من عمر المسجد وبناه، وسواء كان من بناه وأوقفه للصلاه مسجدا، أو مصلى فواقعه – كما اشرنا- أنه منعزل عن السكنى في السابق، وإنما هو في موقع للنزهة والمدادات وغيرها، وتقام فيه الصلاة للمريدين لهذا الموقع من الرجال والنساء، كما لم يفدني من سألت عن من اكتشف القبر ومتى، ولم أجد مصدرا أرجع إليه.

في فترات أخيرة، كانت "بشكات" فرق معينة تجعل ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان إفطارا لها في الموقع، أي حوالي المسجد في المسيال المحاذي للمسجد، واستمرت سنوات تقام في المسجد الصلوات المفروضة والمسنونة، من

تراويح ووتر وغيرها، فارتأت بشكة "دعور"[٣٥٩] أن تكون هذه الليلة ليلة ختم المسجد، فكان الختم على هيئة الختومات في مساجد البلدة من قراءة السور والتكبير، وقراءة دعاء الوتر، وديرالقهوة والدخون، دون قراءة ما اعتادوا قراءته ليلة الختم في مساجد البلدة.

واشتهر بعدئذ ختم مسجد مولى لوسط (مولى الوسط) ليلة ٢٥، واستحوذ السادة – فيما بعد–على القيام بالختم في تلك الليلة، أي ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان، وتناوبوا الإمامة فيه، ولكنها لفترة سنوات قليلة، وانتهت في المدة الأخيرة.

وقد كانت هذه المنطقة.. منطقة لوسط خالية من المباني السكنية، فخططت مساكن من قبل الدولة، وتم البناء في البعض، وتمت محاصرة المسجد والمبارد (المباني) التي حوله للمنادر والنزهة، وتم تخطيط موقع لمسجد آخر، وهو مما يغيّر المفهوم للموقع كمنتزه.

١٠– مسجد النور:

يقع المسجد في الناحية الشمالية الغربية من دمون في ما تسمى شحرة "آل عقيل".

تأسس المسجد في عام١٩٦٩م بمطالبة من سكان المنطقة تابعها مع الوزارة..وزارة العدل والأوقاف لحكومة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب عندما كان رئيسا للمجلس القروي بدمون.

(٣٥٩) فرقة(بشكة) من بشكات البلدة.

بدأ العمل تطوعيا في المسجد، وبتبرعات من المواطنين المقيمين والمغتربين، وكان بناؤه على هيئة المساجد القديمة، حيث السقف جملول والأعمدة – سواري–طينيه، ثم نقض السقف القديم والسواري، ووسع المسجد من الناحية الجنوبية، وذلك بتوالي التبرعات للعمل في المسجد من أهل الخير.

تولى الإمامة فيه والقيم عليه منذ تأسيسه أحمد عوض باعديل، وقد أم الناس لصلاة العشاء والتراويح والوتر مع ختم المسجد المعتاد في المساجد في شهر رمضان لعدة سنوات السيد عبدالرحمن بن علي بن شهاب.

ونظرا لبعد المسافة عن مسجد جامع مشهور، وازدياد عدد السكان المجاورين للمسجد، وضيق مسجد جامع مشهور، فلم يعد يستوعب المصلين للبلدة يوم الجمعة، طالب سكان المنطقة بإقامة صلاة الجمعة فيه، وتم الحصول على الموافقة من الجهات المعنية بإقامة صلاة الجمعة فيه. وكانت أول صلاة جمعة تقام فيه هو يوم ٢٨ من شهر شعبان عام ١٤١٢هـ الموافق ٢٢/ ٢/ ١٩٩٢م. وهي الجمعة الثانية في البلدة.

تولى إمامة المسجد وخطبة الجمعة فيه كرامه عبيد بن حيمد سعد، حتى الوقت الحالي، وتم بناء طابق ثاني فيه لتعليم النشء.

ليلة ختمه في شهر رمضان هي ليلة واحد وعشرين، بدون ختم.

١١- مسجد جامع دمون:

على إثر ازدحام مسجد جامع مشهور، وفشل اللجنة السابقة في إيجاد آلية لتوسعة المسجد، سواء ببناء طابق ثان للمسجد، أو إيجاد موقع آخر يحل محل

الموقع الحالي للمسجد، تولت لجنة أخرى متابعة بناء مسجد جامع يسع المصلين في البلدة(دمون)، كان ذلك في نهاية الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي.

وقد قررت اللجنة بناء المسجد في أراضي آبار "الجبالي والأسباع"، القريبة من مسجد جامع مشهور، وأراضي تلك الآبار مؤممة.

بعد موافقة منظمة الحزب الإشتراكي اليمني الحاكم بالمركز(تريم)، تتابعت موافقات الدوائر الأخرى..المحكمة الجزئية بسيون..لجنة شئون المساجد.. المحافظ (رئيس المكتب التنفيذي لمجلس الشعب المحلي، عضو اللجنة المركزية للحزب).. إدارة العدل والأوقاف..وزيرالعدل والأوقاف، وتم بعد التوجيهات صرف وثيقة باسم العدل والأوقاف ببناء المسجد شريطة أن يتحمل القائمون تمويل وتكلفة البناء، وعلى حسابهم الخاص، وتم تصميم الخارطة للمسجد بمساحة ٥٠x٨٠ متر مربع، وكانت القيمة المقررة للأرض حسب التعريفة من إدارة الاسكان- حينها- بقيمة المتر المربع دينار واحد بها مجموعة قيمة أرض المسجد أربعة ألف دينار(٠٠/ ٤٠٠٠).

تم صرف وثيقة من ادارة الاسكان للمسجد باسم ادارة العدل والأوقاف بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٩٨٩م. وبدأ العمل في المسجد في سنة ١٩٩٢م.

وأراضي الجبالي والأسباع مشاعة بين وقف خاص(٣٦سهما)، ووقف تهاليل وقراءة وسقاية (٢٦٩ سهما)، ووقف مساجد (٢٣٦.٥ سهما)، وملك خاص (٩ أسهم).

كان هناك متصدق قد أوعد ببناء المسجد من المغتربين، لكنه تلكأ وسوّف لأكثر من سبب، وربما كان أهم الأسباب وأقواها، من أوصل إليه المعلومة أن الأرض مغصوبة، وأن رئيس اللجنة للمسجد هو من رموز مرحلة الانتفاضات.

والأرض وما هي عليه كتصنيف مشاع بين شركاء لا يمكن قسمتها أو تخصيصها، وإنما يتم قسمة "العجيز" أي حصة ملاك الأرض من المحاصيل الزراعية، بنسبة الأسهم للملاك. وقد أشكل الأمر على من سعى أو حاول السعي لتبرئة أرض المسجد من الشبهة، وهل يجوز بناء مسجد في تلك الأرض وهي بهذه الحالة..حالة المشاع..فكان العلامة السيّد عبدالله محفوظ الحداد – بالمكلا- بعد اطلاعه على تفصيل الأرض بنسب الملاك والأوقاف، أفتى بجواز البناء في مساحات أوقاف المساجد، على أن يقوم القائمون على المسجد بشراء أي غرس في تلك الأرض من أصحابها.

ومع أن مساحة المسجد تلك قد شملها من وقف غير المساجد حسب ما بيناه بأعلاه، وقد كانت اللجنة جادة في تبرئة الأرض تلك من نظار أوقافها ومن ملاكها، لكنني لست على يقين من تبرئة ذلك، وحاولت الحصول من عضو اللجنة الثاني، وعضو اللجنة الثالث، فلم يفدني أحدهم بما سألت لضياع الوثائق المتعلقة بذلك حسب قولهم.

وقد بدأ العمل في أساسات المسجد، بتبرعات من المواطنين وغيرهم، وتطوع البعض للعمل فيه، لكن المسجد ومساحته الكبيرة، تتطلب الشيء الكثير، فالمبلغ المطلوب لبناء المسجد حسب التقرير المعد من قبل المعالمة في حينه،

هو أكثر من أربعمائة وأربعة وسبعين ألف دينار(٠٠/ ٤٧٤٠٠٠) بما يعادل – حينها– حوالي مليون واربعمائة دولار تقريبا.

وقيل إنه قد تم قبل ذلك رسم خريطة للمسجد، وتم تقدير تكلفة البناء على أساس أن هناك متصدق لبناء المسجد، سواء كان فردا أو هيئة أو جمعية، لكن حال بين التنفيذ أو التصديق على التمويل أسباب، ربما كان من ضمنها بعض الأسباب المشار إليها سابقا، ولم تنجح المساعي الحثيثة من قبل المغتربين من أبناء البلدة.

لكنها نجحت بعد ذلك في إقناع ممول آخر لبناء المسجد في جزء من أرضيته.

وكان من بين اللجنة عضو، السيّد علي بن حسين بن شهاب وهو القائم بالإمامة والخطابة في مسجد جامع مشهور. وقيل إن السيّد زين بن عبد الله بن شهاب هو من وضع حجر الأساس للمسجد، وهو ما اتخذ فيما بعد ذريعة أو حجة من قبل من أفتى ببطلان صلاة الجمعة في مسجد جامع مشهور، ولعله تجاهل الواقع السياسي والأمني والنفسي حينها، أو تعمده لإصدار فتواه تلك، فرئيس اللجنة وبعض أعضائها من رموز مرحلة الإنتفاضة والثورة الديمقراطية، ولم يمسسهم سوء بعد الإقصاء، وعادوا إلى وظائفهم القديمة، ومازال النظام الذي احتضنهم وشجعهم في الماضي قائما، والسيّدين المذكورين هما من ضحايا تلك الرموز والنظام معا، سواء كان ذلك في اعتقالهما أو التشهير بهما، أو احتلال بيت أحدهما كسكن شخصي، أو احتلال جزء من بيت الآخر الذي يسكنه، والبيتين لم يشملهما قانون التأميم، فكان الانصياع منهما لما أرادت اللجنة ورئيسها.. قد يكون انصياع مكره لاعن قناعة.

أخيراً وقد تغيرت الأوضاع، وأصبحت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، جزء من الجمهورية اليمنية، وألغي قانون التأميم، وأعيدت الأراضي المنتفض أو المستولى عليها إلى ملاكها، ولو بإصدار القوانين، واقتنع أحد المغتربين (من غير أبناء البلدة) بتمويل بناء جزء في المسجد، من الناحية الشرقية واستمرالعمل فيه.

لكن من عارض قيام المسجد في موقعه، لم يدع فرصة واتته، إلا واقتنصها للتشويه والتشكيك في نزاهة أرضية المسجد من غصب واعتداء، سواء في داخل البلد أو خارجه، وقد استصدروا أمرا من صنعاء بإيقاف العمل فيه وهدم المبنى، ووصل مندوب وزارة العدل والأوقاف من إدارة العدل في المكلا لتنفيذ الأمر، فلما رأى المسجد قائما، وعامرا بالمصلين رفض تنفيذ الأمر.

وقيل إنه أعطيت للسادة الخيار في إمامة المسجد وتولي الخطابة فيه للجمعة، لكنهم رفضوا فيما بعد، وللرفض قد يكون له مبرراته بالنسبة للسادة.

وكان هناك اتفاق مع اللجنة السابقة عند افتتاح المسجد على أن ما ترتب من عادات البلد في مسجد الجامع مشهور، كالعزاء للأموات والتسابيح والختم، يلتزم القائم بإمامة المسجد بإقامته حسب طلب صاحب العلاقة، وما اعتادته البلدة أيضا من قراءات معروفة في المناسبات كقراءة المولد النبوي في الثاني عشر من شهر ربيع أول، وغيرها أن تقام في المسجد، على وفق ما اعتادته البلدة.

في سنة ١٩٩٨م تم افتتاح المسجد بالصلاة فيه، وأقيمت صلاة الجمعة رغم عدم تكامله، وقد احتضنه من احتضنه من المنتمين لحزب التجمع اليمني للإصلاح، في كنف صلاحيات عاقل الحارة، فمنهم الإئمة للصلاة والخطابة، وهي الجمعة الثالثة في البلدة.

لكن القائمين على المسجد برعاية عاقل الحارة نقضوا الإتفاق الذي تم مع اللجنة السابقة، وتم تجاوزه أو الغائه عند أول بادرة مما اعتادته البلدة من عوائدها، فقد تم إعلان وفاة لميّت(ميتة)، وبأن العزاء في المسجد(الجامع)، وأخذت أجزاء القرآن الكريم من مسجد جامع مشهور بمعية من يتلو الخطبة للأموات المعروفة.

لم يدع القائمين على المسجد الفرصة لقراءة أي سورة من السور المعروفة في العزاء، بل اقيمت الصلاة على الجنازة، رافضين اقامة العزاء المعروف والمعتاد في مثل هذا الموقف، والمتفق عليه، والمعلن عنه.

والعزاء المعروف والمعتاد هو قراءة القرآن الكريم بأجزائه الثلاثين من قبل المعزين – سواء في المسجد أو في البيت–ومن ثم توهب ثواب القراءة للميّت وبخطبة معروفة.

وأيا كان علة الرفض، فقد بررالانقسام في البلدة.

منذئذ يصلى على بعض الأموات في المسجد دون العزاء المعروف وغيره من العوائد المعروفة.

ويتناوب الإمامة فيه شباب من خيرة شباب البلدة، الشيخ صالح علي عبد الحبيب التميمي، ومحمدعوض ربيحان، وعمر خميس بامعبد، وخطبة الجمعة الشيخ: عمر خميس بامعبد.

لم يخصص للمسجد ختما ولا ليلة لختمه بالمجاز كغيره، ربما لقربه من مسجد جامع مشهور.

المساجد الجديدة في مواقع التوسع العمراني للبلدة[٣٦٠]

١٢ – مسجد الهدى:

يقع المسجد في "المشروخه" وهي منطقة سكنية جديدة في شمال البلدة، منطقة في سفوح جبال البلدة الشمالية، اكتملت أراضيها بالبناء السكني في المدة الأخيرة، ومع أن أرضية المسجد صرفت من مكتب وزارة الإسكان، إلا أن الأرضية يدعي في ملكيتها السادة آل شهاب، وقد تنازل آل شهاب للمسجد شريطة أن تعطى لهم نظارة المسجد، وإمامته خاصة في شهر رمضان، وقد تولى الإمامة للمسجد في شهر رمضان السيد عيسى بن أحمد بن شهاب لفترة قصيرة، إلا أن سكان المنطقة أراد وا أن تكون لهم الإمامة، فتنازل عنها السيّد عيسى.

وقد تم بناء المسجد من فاعل خير، أو فاعلين خير، أشرف على البناء من الممولين الشيخ عيسى كرامه الزبيدي.

والمسجد وهو أوسع المساجد في منطقة المشروخة، إلا انه لم تقام فيه صلاة الجمعة بعد.

والإمام فيه في الوقت الحاضر الشيخ سعيد كرامه الزبيدي.

وليلة ختمه في شهر رمضان هي الليلة التاسعة بدون ختم.

(٣٦٠) مساجد جديدة يجري العمل فيها مثل مسجد جامع لوسط، مسجد آخر في منطقة الحَرْيِه استكمل بناؤه.

١٣ – مسجد التقوى:

يقع المسجد في الجانب الشمالي من منطقة باحميد، وأراضي المنطقة من أملاك الدولة، قام بالبناء وكذا ترتيب الإمام-**بالتناوب**-فاعل خير، وقد تناوب الإمامة فيه، ثلة من غيرابناء البلدة، إضافة إلى بعض من أبناء البلدة.

وينسب المسجد-في الوقت الحاضر-إلى "السلفية"، ومع أن للسلفية مراجع متعددة، وولاءات للشيوخ معروفة. لكننا نكتفي بما يقال في انتسابه للسلفية.

وهو جامع تقام فيه صلاة الجمعة، وهي الجمعة الرابعة في البلدة.

١٤ – مسجد العباس:

في الجانب الشمالي من البلدة غرب منطقة المشروخه، في منطقة "كديّد"، وهي منطقة كمنطقة المشروخة في سفح جبل، وهي من أراضي الدولة، قام بالبناء فاعل خير، والإمام فيه في الوقت الحاضر(بدون تعيين) عمر هادي بن سهيل التميمي[٣٦١].

١٥ – مسجد الرحمة:

في منطقة المشروخة غربي وشمال مسجد الهدى، بتمويل من فاعل خير.

١٦ – مسجد الرحمن بمنطقة باصاع:

في الجانب الشرقي من منطقة المشروخة، أوقف أرضية المسجد ورثة عمر ومبارك عوض آل بكوره آل سلمه التميميين، وتم بناؤه من فاعل خير.

(٣٦١) في عام ٢٠١٧م تم اقامة صلاة الجمعة فيه، وهي السادسة في البلدة.

١٧ – مسجد أحمد:

مسجد تأسس في عام٢٠١٠م، ويسمونه مسجد الأحمدين، أما عن التسمية فإن الأرضية أوقفها لبناء مسجد أحمد سعيد سالم ربيحان، وبناها مسجدا أحمد محمد ربيحان وأخوانه، فالمسجد جمع الأحمدين، لكن تسميته مسجد أحمد.

يقع المسجد فيما يسمى بمنطقة باحميد في الجزء الغربي منها.

١٨ – مسجد الريان:

في الجانب الغربي الجنوبي من منطقة باحميد، القائمون عليه ثلة من شباب المنطقة.

١٩ – مسجد الفتح:

موقعه شرقي مسجد النور في شحرة آل عقيل، وكان بيتا تحت التأسيس، تم شرائه من ورثة مالكه خميس علي بامزروع، والقائمين عليه شباب من المنتمين إلى السلفية، واعتبر مسجدا جامعا حيث تقام فيه صلاة الجمعة، وهي الجمعة الخامسة في البلدة.

٢٠ – مسجد ابراهيم

في منطقة كديّد في الجانب الغربي منها، والقائمين عليه شباب من المنتمين إلى السلفية.

٢١ – مسجد الفاروق: في منطقة كديِّد

٢٢ – مسجد السلام: في منطقة كديِّد

أسسه الأخوة عبيد كرامه عمر(الحجار) باغزال واخوانه، وافتتح فاتحة شهر رمضان سنة ١٤٣٩هـ

٢٣- مسجد الأحمد: في منطقة كديد

٢٤- مسجد سعيد: في منطقة الحَرْية

يلاحظ أننا تجاهلنا أسماء بعض أئمة المساجد الجديدة، وذلك للتناوب الحاصل للإمامة فيها من قبل افراد ربما دون تعيين.

مصليات النساء:

في البلدة أكثر من مصلى للنساء.. البعض منها مجاورا لمسجد، والبعض ملتصقا به، والبعض منفرد عن المساجد، أو في البيوت الخاصة، وهي:

١- مصلى النساء شمالي مسجد جامع مشهور.

٢- مصلى النساء لصق بمسجد شهاب الدين من الناحية الغربية الشمالية.

٣- مصلى النساء لصقا بمسجد السكران من الناحية الجنوبية.

٤- مصلى النساء بمزروعه.

٥- مصلى النساء في بيت السيّد محمد بن عمر بن شهاب.

٦- مصلى النساء في بيت السيّد محمد ضياء أحمد بن شهاب.

٧- مصلى النساء في بيت عوض عبيد باشامخة بشحرة آل عقيل.

٨- مصلى النساء في بيت السادة آل شهاب الواقع في بئر شجانع، وحاليا بيت أولاد حسن بامزروع.

٩- مصلى بالولو في الغويضة.

وربما هناك غير ماذكر، خاصة في بعض البيوت لم نعرف موقعه، وهذه المصليات قد تلاشت عمارتها، وتدثرت، وبقي رسمها واسمها يحكي ماضي البلدة التي كانت فيه النساء تؤدي صلاتها جماعة في المصلى الخاص، وغيرالصلاة من مجالس الذكر والموعظة، وكل مصلى له عمارة-كعمارة لمسجد تقريبا-من بئر تعبأ برك المصلى بالماء، ومحراب بهيئة المسجد، على صغر مساحتها، وموقعها المستور، لحجب الأنظار في الداخل.

السقايات (المرابد):

ربما كان إختيارنا موقع السقايات (المرابد) بعد المساجد والمصليات لوجود السقايات بجانب المساجد، وربماهي كانت لرواد المساجد، كما هو الحال اليوم وجود البرادات في المساجد، فقد كانت سقاية بجانب مسجد جامع مشهور والأقدم منها محاذية له في الجانب الشرقي، وسقاية بجانب مسجد بلفقية أيضا في الجانب الشرقي الشمالي منه، وقد تم مسح السقايات تلك ولا أثر لها، وسقاية في مسجد شهاب الدين في الجانب الشرقي الشمالي من المسجد، وما تزال موجوده وإن تدثرت، وسقاية عبد الله علي في شِعب باحميد في الجانب الشمالي، وهي الآن شرقي مسجد التقوى الجديد، وكانت بجانبها بئر، وهي في سبيل المارة إلى الجبل والوادي شمالي البلدة، وهناك سقاية في جنوب البلدة للسبيل أيضا بجانب بيت آل الخيامي من الناحية الجنوبية وما زالتا ظاهرتين.

والسقاية أو "المربدة" كما نسميها بمبناها الطيني المطروق بالنورة من الداخل والخارج، وهي مصدر الشرب للعامة والخاصة في موقعها في مرحلة من المراحل التي مرت بها البلدة كغيرها من البلدات، سواء كانت في الطرق النائية عن المدن أو في داخلها، وللسقاية مبنى خاص بقبة في اعلاها، وحوض في الوسط للماء، ولها فتحات في أغلبها مثلثة في أكثر من جانب، أما إذا كانت السقاية منفردة كسقاية عبد الله علي شرقي مسجد التقوى فتكون الفتحات من الجهات الأربع وذلك لدخول الهواء وخروجه لتبريد الماء، وللسقاية باب صغير بحيث يسمح لعامل النظافة والإصلاح أن يدخل منه ولوعلى بطنه أو حبوا، وللسقاية مخرج للماء، ويتم تعبئتها بالماء إذا لم تكن موصولة بعتم(ساقية) من بئر المسجد مباشرة، سواء كان في الصفائح بالمعرص، أو بالقرب الجلدية من فتحة الباب.، ولكل سقاية" مقدح" وهو وعاء خشبي بمقبض طويل ومحفور في الوسط بحيث يتناول به الماء من أراد الشرب من السقاية، قبل أن تتوفر أواني الشرب المعدنية.

وكانت السقايات ولها عمالها الذين يقومون بتعبئتها بالمياه ونظافتها، ولها أوقافها ممن أسسها ومن المتصدقين الآخرين، ولم تعد لبعض السقايات أثر إلا بقايا هيكل مثل سقاية مسجد شهاب الدين، وسقاية عبد الله علي، وسقاية الخيامي، وغني عن التعريف بالحاضر الذي تفنن المعاصرون في البديل ببرادات كهربائية – عوضا عن السقايات–سواء في المساجد، وفي مواقع كثيرة من شوارع الأحياء وساحاتها.

ثالثاً: الأندية الرياضية

نادي العروبة:

في عام ١٩٥٨م كانت فكرة تأسيس ناد بالبلدة يسمى النادي الثقافي، ثم في عام ١٩٦٢م اغلقته السلطات القعيطية، وتم تعديل الإسم إلى النادي الرياضي، وفي عام ١٩٦٤م سمي باسم نادي العروبة الثقافي الاجتماعي الرياضي.

لكن قيل إن في البلدة كان قبل ذلك ناديا (لم يذكر لي تسميته) ومن مؤسسيه المرحوم صالح بن أحمد بن نبهان، لكن لم يفدنا بغير هذه الإفادة أحد، ودون أي تفصيل آخر حول نشاط النادي أو المؤسسين الآخرين وبقية الأعضاء، ومع أننا حاولنا الحصول على معلومة من غير من أفادنا من عقال البلدة لم يفدنا أحد ممن سألنا أي افادة تؤكد أو تنفي تلك الإفادة.

ونادي العروبة بدمون، تأسس عام ١٩٥٩م، "وجاءت فكرة اشهار النادي – نادي العروبة–عندما تم تعيين الأستاذ عبد الله عبد الكريم الملاحي مديرا لمدرسة دمون الابتدائية في عام١٩٦٠/ ١٩٥٩م، حيث دعا إلى لقاء خاص لمجموعة من شباب أبناء البلدة، وطرح عليهم فكرة تأسيس هذا النادي، ليمارس الشباب من خلاله بعض النشاطات والألعاب الرياضية، وإنشاء مكتبة بالنادي للقراءة العامة، لتحفظ أوقات فراغهم، والاستزادة من العلم والمعرفة، بدلا من التسكع في الشوارع، وإهدارالوقت فيما لا يفيد.

وقد تم وضع النظام الداخلي للنادي بعد أن رحب الشباب بهذه الفكرة، وكذا اللوائح التنظيمية لتسيير نشاطاته. وتابع الملاحي وحسن أحمد بامزروع استخراج الترخيص من السلطة المحلية، أبان عهد السلطنة القعيطية، وأصبح للنادي مقر، وكانت أول هيئة إدارية له من الأخوة:

١- أحمد عيدروس بن شهاب رئيسا.
٢- عبد الله عبد الكريم الملاحي سكرتيراً.
٣- كرامه مبارك بن سهيل أميناً للمال.
٤- حسن أحمد بامزروع عضو إداري
٥- عبيد سالم التميمي "
٦- أحمد ضياء بن شهاب "
٧- أحمد علي الجابري "

وبعد إطلاق الحريات، وتكوين الأحزاب في عهد السلطنة القعيطية تم تغيير اسم النادي إلى نادي العروبة الثقافي الاجتماعي الرياضي١٩٦٤م[٣٦٢].

في البداية حين تسمى النادي.. نادي العروبة الرياضي الثقافي، على وفق قانون النوادي حينها بمنع أي نشاطات سياسية أو ثقافية، لإندراج السياسة في الثقافة، أو العكس، وكان هناك ثلة من الشباب الرياضيين – غير المحترفين- للنادي نذكر منهم: محمد بن عبيد بن عمران، أحمد عوض منصر، أحمد حسن الحامد، عبدالله سعيد التميمي، عاشور سالم باشاخة، عبيد عاشور باصبيح، عاشور

(٣٦٢) محمد علي باحميد: صفحات مشرقة من تاريخ الرياضة الأهلية بوادي حضرموت صـ ٣٦٩ .

محمد محروس، ومبارك سعيد(زوعه) الجابري، ورجب قحطان الجابري، واحمد عبد الله التميمي، ورمضان محمد بامزروع، وسالم عوض (عباد) الجابري، كرامه عبد الشيخ(زوعه) الجابري، سليمان أحمد الجابري، عمر محمد ربيحان، وغيرهم ممن لم تسعف الذاكرة ممن سألنا عن أسمائهم، وربما تداخلت بعض الأسماء في الرعيل الأول من الرياضين مع الرعيل الثاني أو العكس، حيث لم نجد مصدرا إلا ذاكرة البعض.

ثم كان هناك فتية من الرياضيين للنادي مع بعض من سبقهم مثل سعيد سعيّد ربيحان، محمد عبد الكريم بن شيبان، سعد بن محمد بن نبهان، عمر سعيد البكر، عبد الله مبارك التميمي، مطران مبارك با صبيح، سعيد سالم باصبيح، عبد الله مبارك (زوعه) الجابري، علي حسن التميمي، خميس سعيد بلعجماء، كرامه سعيد الجابري، رمضان محمد بامزروع، سعيد أبوبكر الزبيدي، عبد الله عمر المشهور، أحمد مبارك ربيحان، أبوبكر سعد بن نبهان، صالح سالم التميمي، محمد شيخ الحامد، علي حسين بن شهاب، علي حامد بن شهاب، سليمان عمر التميمي، مبارك رزيق بادباه، خميس منصور التميمي، هادي سعد بن نبهان، خالد حسن التميمي، سالم عمر التميمي، أحمد علي التميمي، رجب خميس بامومن، كرامه بركي وغيرهم.

وهذه الأسماء الرياضية سواء تلك التي مارست الرياضة في نادي العروبة الرياضي، أو نادي العروبة الرياضي الثقافي الاجتماعي أو فيهما معا، فلم يكن هناك رياضي ثابت(محترف)، فقد تضطرهم تنقلات الدراسة-بالنسبة للطلبة-أو الوظيفة الحكومية، أو ظروف طلب المعيشة إلى النقلة إلى موقع آخر.

ومارس النادي نشاطاته الأخرى غير الرياضية فافتتح مكتبة ساهم فيها بعض الأهالي، حيث امتلأت رفوف المكتبة بمختلف الكتب الثقافية والسياسية والدينية والمجلات العربية، والصحف المحلية، ومع أن رواد المكتبة قليلون جدا، ومن يستعير الكتب للقراءة أقل من القليل تشهد على ذلك سجلات الاستعارة، وفي المدة الأخيرة تم العبث بكثير من الكتب القيمة سواء ما كان من إتلافها أو فقدانها.

ونظم النادي الاحتفالات تحت مقره في المناسبات الدينية والوطنية، وإحياء بعض الحفلات الفنية، والمسرحيات التمثيلية، وتم إصدار مجلة حائطية، وافتتح فصل لمحو الأمية للكبار.

وأشيرهنا إلى أن الهيئة الإدارية التي أشيرإليها عند تأسيس النادي لم تستقر كلها في البلدة، فقد غادرت بعض القيادات البلدة طلبا للمعيشة، وبقي البعض، يقومون بمهام من هاجر، وقد خاض النادي عدة مباريات مع أندية الداخل، وكانت له الغلبة، كما كان له التعادل والهزيمة، ومن ضمن نشاطات النادي الرياضية غير كرة القدم، كرة السلة، والكرة الطائرة، ولعبة الشطرنج.

وللنادي مشجعون بحماس أسوة بالمشجعين المبرزين لكل الأندية الرياضية، إذا لم يتفوقوا عليهم لولا خلو يدهم من تجسيد تشجيعهم ماديا للاعبين، لكن واقع البلدة وسكانها حينها الكل مشجعا ومتحمسا للنادي ولاعبيه.

ومع التحول السياسي من حكم سلاطيني إلى حكم جمهوري، كان هناك تحول في المفاهيم، وفي العلاقات العامة، وذلك مما أدى إلى ممارسات جديدة على

الفهم الرياضي، فقد كان الفهم العام للأندية أن الكل متساوون في الحقوق والواجبات، وهي في لوائحها ونظامها لا تعترف بالتمييز الطبقي أو العنصري..لا في إدارتها ولا في ملاعبها، حتى وإن اعترفت به في نظامها الاجتماعي، فالكل يعيش مع النادي أكان إداريا أو لاعبا أو مشجعا بوئام وإخاء وانسجام، خاصة أنه لا يوجد منافس للنادي، ومع التحول برزت بوادر في الأفق الرياضي توحي بأن تغييرا عاما بدأ يلوح في الأفق، وبأن التغيير سيشمل بصورة أو بأخرى لوائح الأندية ونظامها.

"وقد كان النادي عضوا في اللجنة الرياضية بالوادي، ولذلك خاض العديد من المشاركات في المنافسات الرياضية التي نظمتها ورعتها اللجنة الرياضية، وفي إحدى تلك المنافسات حصل على كأس ٩ يونيوعام١٩٧١م."[٣٦٣] .

كانت الانتخابات للأندية وسيلة ومظهر من مظاهر استقلاليتها، وهي- الانتخابات- تجربة ديمقراطية تتم بنزاهة وشفافية، وبإجراءات لا يدب إليها خلاف أو شك لعلانيتها ووضوحها للكل، ولا تخضع لأي إرادة فوقية، أو جانبية إلا إرادة الأعضاء.

" وفي ٩ أكتوبر ١٩٧١م تم انتخاب هيئة إدارية للنادي تحت إشراف مكتب العمل والشئون الاجتماعية بسيون، -وحينها لم يكن هناك تدخل من قبل المكتب في سير الانتخابات إنما لتوثيقها-وقد مثل المكتب بعض أعضاء النادي

(٣٦٣) المصدرالسابق صـ ٣٧٠.

وهما صالح سالم التميمي وأحمد مبارك باشامخه، وقد ضمت تلك الهيئة في عضويتها الاخوة: صالح سالم التميمي، علي حسن التميمي، علي عبيد التميمي، سعيد أبوبكر الزبيدي، أحمد مبارك باشامخه، عبدالله عوض بن نبهان، أحمد عمر التميمي، عبد الله مبارك (زوعه) الجابري، سالم صالح بن نبهان"[٣٦٤].

كان أعضاء الهيئة الإدارية من المدرسين، وتم نقل الكثير منهم إلى مناطق أخرى غير البلدة، وكانت التحولات السياسية تجرى بسرعة العواصف، مقتلعة الثوابت التي رسختها الأنظمة واللوائح للأندية وغيرها.

في عام ١٩٧٢م عقد اجتماع في النادي لإسقاط الهيئة الإدارية المنتخبة، وحلت محلها هيئة إدارية جديدة قيل حينها أنها مؤقتة، وقد تكونت من:

١- مطران مبارك صبيح رئيساً.
٢- سعيد سالم باشامخه نائب رئيس.
٣- أحمد مبارك باشامخه أمين عام.
٤- علي شيخ باشعيب أمين عام مساعد.
٥- صالح مبارك التميمي مسؤول ثقافي.
٦- رمضان رجب حيمديه أمين مال.
٧- عبدالله عمر دحروج مسؤول رياضي.
٨- عبد الله سعيد الجابري إداري.
٩- سليم سعيد باشامخه إداري.

(٣٦٤) المصدر السابق صـ ٣٧٠.

في بداية عام ١٩٧٤م تم استبدال الإسم..اسم نادي العروبة الثقافي الاجتماعي إلى اسم نادي الشعب الثقافي الاجتماعي الرياضي، بضم بعض الفرق إليه، وقد خضعت المؤسسات الجماهيرية والرياضية للضم وللتوجيه السياسي، وأصبحت القرارات إلزامية بدون جدل أو نقاش، وأضحت إدارة الانتخابات للأندية بالتعيين، وإن اتخذت شكلا من أشكال التمثيل الإنتخابي وهيكلته بتفاسير المرحلة الثورية، وكان رئيسه أو الأمين العام مطران مبارك باصبيح، وبعضوية رجب يادين وآخرين، وقد ضم فريق النصر بتريم وفريق الزمالك.

ولقد حاولت جاهدا أن اعرف من في الهيئة الإدارية من البلدة مع مطران، إلا أنني لم أوفق.

ولعل نادي الشعب الجديد لم يكن له تأثير، وليست له جماهير شعبية ترفده، ولا انجازات تبقي له أثر يذكر، من أي نوع، حتى أن الكثير الذين عاصروا مرحلته لا يعرفون عنه شيئا، إلا بعض الأعضاء من الهيئة الادارية من تريم.

وكان قد انتسب بعض رياضيي البلدة إلى النادي الأهلي بتريم، نذكر منهم:

أحمد مشهور بن شهاب، عبدالله عمر المشهور، مبارك كرامه بن سهيل التميمي، محفوظ محمد ربيحان، عبد الحافظ رمضان قبان، علي حامد بن شهاب وغيرهم.

وكان بعدئذ قرار توحيد الأندية، أو ضمها، فكان نادي الوحدة بتريم الذي ضم نادي الشباب والأهلي والعروبة، فلم يعد ناد في البلدة يزاول نشاطه، إنما فرق رياضية تحت سقف نادي الوحدة بتريم.

وقد تكونت بعد ذلك فرق رياضية في البلدة، كفريق الشعب، وفريق الأحرار، وفريق العروبة، وفريق الشباب، وغيرها من الفرق الصغيرة.

١- فريق الشعب الرياضي:

في صيف عام ١٩٧٨م أسس الفريق بمسمى فريق الشغيله الأخ صالح سعد حيمد سعد، والذي كان يضم في صفوفه من كل شرائح البلدة، وخلال مدة لاحقة تم دمج الكثير من الفرق الرياضية في الساحة، وأبرزها فريق الأهلي، وفريق التلال، ثم فريقي الصداقة وفريق الزمالك، وقد شكلت هذه الفرق الأربعة رافدا كبيرا للفريق.

انضم الفريق لنادي الوحدة الرياضي عام ١٩٩٢م، بعدها تم تغيير الإسم من فريق الشغيلة إلى فريق الشعب عام ٢٠٠٢ م.

يمتلك الفريق قاعدة جماهيرية عريضة، كما يمتلك ملعبا خاصا، وملعبين آخريين يزاول فيها نشاطاته الرياضية الأخرى، كرة قدم، وكرة سلة، وكرة طائرة، إضافة إلى أدوات ألعاب القوى ويمتلك مقرا خاصا به.

حصد الفريق خلال الفترات السابقة عدة بطولات في المجالات الرياضية والثقافية، وهو مشارك في الجانب الاجتماعي والألعاب الشعبية.

رئيس الفريق في الوقت الحالي زكي عمر بامعبد.

٢- فريق الأحرار:

تأسس الفريق عام ١٩٧٩م، تحت إشراف نادي الوحدة الرياضي الثقافي الاجتماعي بتريم.

وكان الفريق قد ضم ثلاث فرق رياضية صغيرة في البلدة هي: فريق "الشرارة" ويرأسه شهاب الدين علي بن شهاب، وفريقين من "شحرة آل عقيل"

فريق في الجانب الشمالي يرأسه عبدالله أحمد حيمديه، وفريق في الجانب الجنوبي يرأسه عبد الله عبيد حيمد سعد.

وكانت فكرة الإندماج بين قادة تلك الأفرقة وبعض الأعضاء، فتوحدت في فريق سمي فريق الأحرارعام ١٩٧٩م وبقي يواصل نشاطه الرياضي.

تميّز الفريق بأنشطته الرياضية المتعددة، -كرة القدم- كرة الطائرة- ألعاب الساحةوالميدان- تنس الطاولة- كرة اليد- الشطرنج. وحقق الكثير من البطولات، وكذا فعالية الشباب المنتسبين إليه بخدماتهم الاجتماعية، وممارسة المفيد في وقت فراغهم.

وقد وصل عدد الأعضاء المنتسبين للفريق اربعمائة وخمسين عضوا.

رئيس الفريق في الوقت الحالي عمر عبد الله باشعيوث.

٣- فريق العروبة:

تأسس فريق العروبه عام ١٩٨٩م، وأول رئيس للفريق المرحوم سالم عوض باموامن.

تم دمج فريق الشباب مع فريق التضامن عام ١٩٩٧م.

للفريق انشطة رياضية، وثقافية، واجتماعية تتمثل في: كرة القدم، وهي من أهم أنشطته، وكرة الطائرة، وكرة السلة، وألعاب القوى.

ففي الجانب الثقافي شارك في عدة مسابقات تقافية، ومسابقات في حفظ القرآن الكريم، وفي الجانب الاجتماعي شارك في الكثير من اللقاءات والرقصات الشعبية.

رئيس الفريق الحالي حسن عيدروس بن شهاب.

٤- فريق الشباب:

بدأ الفريق عند التأسيس في عام ١٩٩٥م بامكانية محدودة، وبمكونات بسيطة بمسمى فريق "الصقور"، وتم ترتيب وضعه بوضع اللوائح التنفيذيه لنشاطاته، وتكوين هيئة إدارية منتخبة يترأسها لطفي مبارك عمر بامطرف.

في عام ٢٠٠٨م تم تحويل الإسم من فريق "الصقور" إلى فريق "الشباب"، وفي نفس العام تم انتخاب هيئة إدارية جديدة برئاسة أحمد سعيد ابوبكر الزبيدي.

في عام ٢٠١٣م انضم الفريق إلى نادي الوحدة الرياضي بتريم معلنا عن نفسه كفريق رابع بدمون.

استطاع الفريق أن ينظم العديد من الدوريات من كرة القدم، وشارك في مختلف بطولات نادي الوحدة.

حقق المركزالأول في بطولة الألعاب الشعبية.. تأهل الفريق إلى مصاف الدرجة الأولى لفرق نادي الوحدة عام ٢٠١٥م.

يمارس الفريق العديد من الأنشطة الرياضية أبرزها كرة القدم-كرة الطائره-والتنس-والسله-وكرة اليد-والشطرنج وغيرها، ومازال الزبيدي يترأس الفريق.

الفرق الرياضية في الأحياء الشعبية:

في نهاية السبعينيات من القرن الميلادي الماضي انطلق دوري الأحياء الشعبية، وكان حي الفلاحين(دمون) من ضمن الفرق القوية بين أحياء مركز تريم، وقد حصل فريق حي الفلاحين على الكاس عام١٩٨٠م في نهاية الدوري

مع فريق السويري، وحصل على الكاس بالنقاط رغم هزيمته في المباراة النهائية مع حي اكتوبر(السوق) – في أوائل ثمانينيات القرن الميلادي الماضي، وذلك عند افتتاح ملعب الوحدة. وكان الفريق يتصدر المجموعات إلى النهائي أو قبل النهائي، وكان يضم كوكبة من خيرة اللاعبين على مستوى الوادي، نذكر منهم صالح عوض ربيحان (ابوصلوح) وسعيد سالم صبيح، وحسين المشهور وغيرهم، حيث تم إختيار البعض منهم للعب في نادي الوحدة، والبعض منهم في منتخب حضرموت مثل مبارك بن سهيل. ومن المميزين بالأداء في لعبهم سعيد سالم صبيح(سعدان) حسين عمر المشهور، صالح العبد العطاء التميمي. وقد اختير الرياضي أحمد مشهور بن شهاب مدربا لنادي الوحدة [٣٦٥] .

لنا كلمة:

مع أننا لانحبذ طرح رأي خاص حسب قراءتنا لواقع البلدة السياسي والإجتماعي، إلا اننا ربما اقحمنا أنفسنا بطرح رأي للواقع الرياضي، كجزء من الأطروحات في هذا الشأن، وهو وحدة أو إتحاد هذه الفرق في فريق واحد، ولو للتمثيل الخارجي، خاصة أن الأنشطة موحدة تقريبا، وأن في اتحادها قوة ومنعة، وفي اتحادها تحسين الأداء الرياضي في كل الأنشطه، وإحراز النصر على الفرق المنافسة في الأحياء الأخرى، وفي اتحادها صلابة القاعدة التي ترتكز عليها الفرق، لتصل إلى الغاية التي تشرّف البلدة ولاعبيها.

(٣٦٥) مدونة حسن أحمد الحامد.

وجهة نظر تبناها غيرنا من قبل، لكن لا ندري ما الذي أربكها أو أفشلها..

كل سكان البلدة-تقريبا-يتحرق شوقا ولهفة وحماسا لإتحاد الفرق الرياضية ووحدتها.. حقيقة لا نجهلها أن لكل فريق أنصارا، وربما رافق الأنصار شيئا من التعصب، لكن في التفرقة ضعف وخور..حماسة تخبو هنا، وتشتعل هناك.. وتفتر الحماسة وتنكفيء الشعلة لتوالي الهزائم، أو عدم تحقيق النصر المرجو، مما يؤدي إلى انطواء البعض أو العزلة والتلاشي.

نأمل اتحاد الفرق أو وحدتها، بما ينسجم وطموحات الرياضيين وأهل البلدة، حتى لايضيع جهد كل فريق سدى، وحتى لا يتبخر حماس الأنصار، وتتلاشى الدوافع لنصرة الفرق.

على رؤساء الفرق ولجانها التضحية في سبيل الرفعة بخصائصها الرياضية، وعصمة الرياضة عامة من الخور والتفتيت والإضمحلال.

هناك وحدة المطلب بين مطمح الرياضيين وسكان البلدة، وأي شذوذ عن هذا المطلب فهو سطحي مؤقت لا يعبر مطلقا عن طموحات كافة الرياضيين ولا الأنصار والمشجعين، خاصة عند تكرر الهزائم في الملاعب أو سلبية النصر مع الفرق المنافسة.

لنا في البلدة سابقة في وحدة الصف الرياضي، زهت وازدهرت في وقت ما..ذخيرة حية في الذاكرة، وعتادا للنجوى، واذا كانت أدوات الأمس ليست كأدوات اليوم، وفرص اليوم متاحة أكثر من فرص الأمس، فليكن لنا فريق

واحد كامل متكامل يمثل البلدة ويشرفها..ليس ذلك ببعيد..بل هو أقرب من القريب، إذا اتفقت النوايا والطموحات.

ليسأل كل عضو في فريق من تلك الأفرقة..إداريا كان، أو رياضيا، أو مشجعا.. أيهما أفضل وأولى: الإتحاد أو الفرقة[٣٦٦] .

(٣٦٦) مضى على هذه الكلمة أكثر من عام وهي في موقعها لم تنشر، ولم يطلع عليها غيري، إلا أنها – كماذكرت فيها–أنها من ضمن طلبات الكثيرين من أبناء البلدة وتوجهاتهم للم الفرق في فريق واحد. وقد وفق الله القائمين على هذه الأفرقة بتأسيس منتخب رياضي من تلك الأفرقة الرياضية، وقد تم انتخاب لجنة تأسيسية للأفرقة تلك، بتاريخ ٩/ ٩/ ٢٠١٥م وتم توزيع المهام، بحيث يتولى المنتخب تمثيل البلدة في المباريات الدورية مع فرق المديرية وغيرها، وأعضاء اللجنة هم:

لطفي سالم حيمد سعد رئيس.

فهمي عاشور بامعبد نائبا للرئيس.

صالح سالم العبد علاقات عامة.

نزار صالح باعبيد أمين عام.

شعيب محمد التميمي أمين عام مساعد.

منير عبد الله باشعيوث مسئولا للأنشطة.

نزيه سليم باشامخه "

محمد أحمد التميمي "

هود عبد الله بشير مسئولا ماليا.

فهمي صالح باعديل "

نزار أحمد باخريصة مسئولا ثقافيا وإعلامياً.

عبد الله أحمد مؤمن "

ماجد علي بريكان مسئول منشئات.

ولعل هذه هي النواة لاتحاد الأفرقة أو وحدتها، أو هي البذرة لتكوين فريق واحد.. بمسمى ناد دمون، يحي اسم دمون في الرياضة كما كان لها في يوم من الأيام ناد – تحدثنا عنه–كانت له صولة النوادي وجولتها في الساحة الرياضية الحضرمية في الداخل والساحل، بل وأنني أتطلع إلى أكثر من ذلك، وهو أن تعاد اللحمة والود بين أبناء البلدة من جديد كما كانت في السابق، بعد الفرقة والشتات واختلاق الإحن والضغائن التي أدمت القلوب، ونغصت العيش، وحيرت العقول، ولكل إنسان مقامه ورؤاه، وانتماؤه لبلدته ومجتمعه جزءا من انتمائه لوطنه وأمته بما يرضي الله ورسوله.

رابعاً: النشاط الثقافي والتراثي

١- شعراء البلدة وأدباؤها:

لا أجيز لنفسي المبالغة أو الغلو الذي يحيل الحبة إلى قبة كما يقال في المثل، وأقول في البلدة شعراء وأدباء بالمفهوم الذي يعرف من الشعر الفصيح، وأدب مرقوم أو مروي من الأديب الأريب، لكن وعلى وفق وضعية البلدة التاريخية، ربما كان هناك أدباء، وشعراء في عصر من عصورها القديمة وما بعدها، قلت ربما لأنه لا يوجد أثر ولا بقايا أثر، ولا أي مصدر يؤكد وجوده في القديم، لكن الذي عليه حياة المجتمعات البشرية قديمها وحديثها، حضرها وبدوها، لايخلو عصرا من عصورها من وجود شاعر يقول الشعر، وأديب يروي الحكايات والأقاصيص والروايات، بأحداثها ومغامراتها وعجائبها وخوارقها من انس وجن وعفريت، بحيث يكون لها نوع من التأثير والمتعة في نفوس المستمعين، سواء أجاد في الحبكة والسرد، أواتخذ من التنوع في الأحداث تشويقا للسامعين لمعرفة المجهول من بقية الحدث، وربما كانت الحكاية تروي احداثها كعظة وعبرة..عُرِف القاص أو لم يعرف..بقي له أثر أو لم يبق له شيء يذكر، فكل الحكايات الشعبية التي رواها القصاص، وحكتها العجائز كمحازي لم تدون، وهي نوع من أنواع الأدب الشعبي.

ولست ممن يمكن أن يحدد المفهوم العام أو الخاص للشعر أو الأدب، لكن الشعر والأدب كفن له صلة ورابطة لبيئة الشاعر ومجتمعه، ومصدر إلهامه لتصنيف

فكرة عامة أو خاصة، أوعاطفة، أو لقضية من القضايا الإنسانية والشخصية والنفسية وطرق التعبيرعنها بإثارة الوجدان وتصويرأحوال النفس في مجتمعها، أو محلقة بعيدا.. بعدا متصلا غير منفصل عن طبيعة الشاعر وثقافته ووعيه، بالسليقة أوبالموهبة، وهو أداة معبرة عن طريق الكلمات، سواء كان في نظم مركب موزون مقفى، أو في قالب نثري معبر، فلإنتقاء الكلمات والجمل تأثير أشبه بتأثيرالإيقاع والنغم الموسيقي.

والمعروف – كما يقال– إن لغة الشعر هي لغة العاطفة، ومرده إلى الشعور والذوق لا إلى الفكر والعقل كماهو في النثر.

هذا المفهوم العام المعروف للشعر والأدب.

هناك موهبة شعرية تتجلى بوضوح في قول الشاعر أو الناثر، في أي عصر وفي أي مجتمع من المجتمعات الحية، فيتخير اللفظ والعبارة بتعبير إيحائي أو إلهامي، بتناسق بديع مع خوالج النفس وإحساساتها والانفعالات، حيث تبرز إبداع الشاعر أو الناثر وتميّزه.

وحيث لم نجد في شعراء الفصيح في بلدتنا من امتلك تلك الموهبة التي تسجل في شعرها خطرات النفس العاطفية والوجدانيه، وقال ما يمكن ان يقوله شاعر بعواطفه واريحيته، إلا أننا لانجزم بعدمه، فربما قال نفر من الناس الشعر، لم يروه راوٍ، ولا دونه كاتب، أو لم نطلع عليه.

لذا كان الشعر الشعبي هو المسيطر على قول شعار البلدة..هذا بوصفه شعرا بالمفهوم الشعبي.

ولعل أبرز خصائص الشعر الشعبي: العفوية والبساطة، وطريقة أشعار الدان الغنائي، وأشعار المداره والزامل إرتجالية، تأتيهم ألفاظهم ببديهة سمحة، ومعانيه وما ترمز إليه سهلة الفهم لعشاق هذا الفن وإن تأول.

وبما أننا لم نجد مصدرا لشاعر أو أديب قديم، بشعره الفصيح(الحكمي) أو الشعبي (الحميني) ننسبه للبلدة، - بأستثناء المعلم سعيد عبد الحق- يروى مع شعار المدينة، بكل تقسيماته من الغزل، والمدح، والرثاء، والفخر، وغيره، فما وجد من شعرشعراء البلدة الفصيح أو الحكمي قليل، وبتخصص في نطاق محدود كالشعر(أو النظم) الإبتهالي أو التعليمي أو الرثاء، والمدح وما إلى ذلك، لكن الأغلبية من شعراء البلدة بشعر شعبي تداوله العامة وبعض الخاصة في وقت معيّن، أنسوا به وتناقلوه، وشغف به البعض، في أسمارهم ومحافلهم، ولست معنيا بتدوين هذا الشعر ولا بتصنيفه وتوصيفه، وإنما يعنيني أن أذكر شعراء البلدة، المروي عنهم الشعر سواء كان الفصيح (لحكمي) والشعبي (الحميني)، على وفق المفهوم الشعبي العام لهؤلاء الشعراء، ومع أن الكثير من شعر الشعراء (الحكمي والشعبي) قد فقد من ذاكرة الرواة، حيث لم يدون منه إلا القليل، فلم يبق إلا اسم الشاعر، وقليل من شعره إن وجد.

فمن شعراء البلدة:

السيّد العلامة علي بن شيخ بن شهاب، إضافة إلى تبحره في كثير من العلوم، غير أنه لم يحفظ من شعره إلا قصيدة وحيدة عن زيارة نبي الله هود عليه السلام، ومطلعها:

مقاصد الخير مفتاح العنايات وطالع اليمن باد في العبادات[٣٦٧]

(٣٦٧) السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين جـ٢ صـ ٢١٥.

- الشيخ العلامة سعيد بن سعد بن نبهان، وكثير من قصائد شعره تعليمية.
- المعلم سعيد مبارك عبد الحق. - سالم مبارك باشامخه، - سالم مبارك باحشوان. - أحمد بن علي الجابري. - السيّدعبد الله بن محمد بن شهاب.
- السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب، وله تصانيف أدبية أخرى.
- السيد محمد (جمل الليل) عبد الله بن شهاب.- عوض بن علي بن قصير.
- أحمد بن عمر الزبيدي. - السيّد عمر أحمد المشهور. - سالم حميد عمره باعبيد.
- عوض مبارك باحشوان. - عبد اللاه عمر بامطرف.

وربما هناك غيرهم..

ولم اطلع على شعر البعض منهم.

ولم يتجاوز إنتاج البعض منهم إلا ما قيل في أسمار الدان، أو المساجلات الشخصية، أو القصيد في المناسبات – كالقنيص–، وفي رجز الشبواني، والزامل وغيره، بأستعارات معروفة متداولة، وانتحال قول ومعنى لآخر، وبتكلف واعتساف عند البعض، بحيث إن بعض القول من بعضهم، قد لايسمى شعرا بأية صفة بل هو أقرب إلى النظم.

لهذا لم يتجاوز شعر هؤلاء الزمن الذي قيل فيه ومحيط البلدة.

ولعل لعدم تجاوز شعرهم غير البلدة أسباب أخرى، خاصة لبعض أقوال المجيدين.

وفي وقتنا الحاضر هناك شعراء من صنو من سبقهم في البلدة، وشعراء أبناء عصرهم وزمنهم، وقد اختلف الزمن وأهله، سواء بثقافتهم أو بالتقدم العلمي

والإعلامي والتواصل مع كل المستجدات الإقليمية والعالمية، بحيث تشحذ القرائح وتستوعب الواقع، بما يحلق بأخيلتها إلى فهم رقيق الحواشي والمعاني المنظورة وغير المنظوره، بقول بديع بليغ، بطراوته وحلاوته، سواء في العواطف، أو في إبراز المشاكل بالنقد والتحليل، أو برؤية حدس، أو ظن، بوضوح أو رمزية، فقد يكون في هؤلاء، أو البعض منهم البذرة التي تثمر نتاجا بالعواطف المشبوبة في قول نفخر به كشعر له مكانته في المحافل الأدبية، وهو مانأمله ونرجوه من بعض شعراء الوقت الحاضر في مجتمعنا اليوم.

ومن هؤلاء الشعراء:

- أحمدعبد الله بامزروع رحمه الله.
- محمد فرج بن نبهان.
- حسن أحمد الحامد.
- صالح العبد العطاء التميمي
- صالح عبد الرب الجابري.
- عبد الله عمر بامزروع.
- أحمد مبارك باعبيد.
- علي عبيد التميمي.
- صالح سعيد التميمي (الزويد)
- طاهر عوض بشير.
- يحي كرامه الزبيدي.
- أيوب سعيد بن جميل.
- مروان صالح سعيد التميمي.
- معمر هادي حيمديه.
- زكي سالم باعديل.
- عمر هادي بن سهيل التميمي.
- محمد سعيد باصبيح.
- حاكم سعيد بن سهل التميمي.
- أحمد عمر ربيحان.
- وليد سليم بن مخينيق.

وغيرهم كثير ممن لم يبرز له قول في زف أو زامل أوغيره، بل اكتفى بقول له واحتفظ به لنفسه، أو لبعض خاصته.

ومع هذا فإن إطلاق كلمة شاعر على الكل، ربما تسمية غير موفقة، بعد أن أوجزنا مفهوما للشاعر، ولا أستميح لنفسي أن أطلق عليهم مسمى آخر، لكن هذا لايعني الحط من شأنهم، فهم شعار البلدة، وهم يتصدرون المحافل التي تقام بأفراحها وأتراحها بقول يعجز عن قوله الكثير من المتعلمين الأكاديميين، بلغتهم السمحة التي يعرفها العامة والخاصة، وقد ترنم وغنى بنظم البعض بعض الفنانين المحليين. وللأسف لم أطلع على شعرالكثير منهم ولا نظمهم، وليس هؤلاء المذكورون كل شعراء البلدة في الوقت الحاضر، إنما هؤلاء من استطعت التعرف عليهم، أوعرفني بهم من سألت، فهناك بكل تأكيد غيرهم.

وفي البلدة نساء قلن الشعر، ومازال البعض يذكر شيئا مما قلن، لكننا لم ننوه بأسم أي منهن، وذلك لأسباب لا تخفى على من عرف مفهوم صيانة المرأة في أعراف وعوائد مجتمعنا.

٢- أنماط الفن في البلدة:

الفن تعبير وجداني أو عاطفي يعبرعن ما يختلج النفوس من مشاعر وأحاسيس سعيدة كانت أو حزينة، للأفراد والجماعات، وسواء بصحبة آلات وأدوات، أو بدونها.. هناك صوت ينبعث من الداخل..من أعماق صدورنا.. تترجمه، أنامل فنان، أو آهة عاشق، أو أنّة محزون.. تخيل الرسام أو رآى فأبدع في النقل والوصف..ودندن المطرب ولحن الآهة والأنة، بنغم حنجرته مع آلة أو بدونها، فيكون لحنا شجيا قوي التأثير في النفوس..يستشعر المرء فيه النشوة والطرب، وفيه السلوان عن كرب وهم.

وكل شعوب العالم على مافيها من اختلاف وتباين في الطبع والخلق، فإنها تتفق في التغني والترنم بفهمها ومفهومها على وفق عوائد بيئتها وعاداتها.

ونحن إذ ننتحل كلمة الفن، ربما لأنه ليست لدينا كلمة تومىء إلى ما أردنا التحدث عنه بالنسبة للبلدة.

فالفن في مفهومه المعروف والمتداول اليوم كما يقول الدكتور خالد عبد الرحمن الجربي:" كل عمل إنساني يتطلب إنجازه بمهارة خاصة وتقتضي حِذقا معينا ودِربة متميّزة"(٣٦٨)، كما يقال عن فن العمارة، وفن الصحافة، وفن الرسم، وفن الغناء والرقص والتصويروغيره.

١- الفن التشكيلي:

مع أننا لا نستطيع الجزم بوجود فن تشكيلي مثلا، أو فنان تشكيلي، يرقى إلى مستوى الفنانين المعاصرين في الفن التشكيلي عامة مثل الرسم، والنقش، والنحت، وغيرها، إلا أن البلدة لم تخل من فنان، أو فنانين برزوا في فن الرسم، ورسموا لوحات مميزة لشخصيات إسلاميه ذات شهرة عالمية، ورسومات ذات مناظر طبيعية أخرى، مثل المرحوم بإذن الله، خميس عوض حمدون، والمرحوم بإذن الله أبوبكر عيدروس بن شهاب، لكنها كانت كالطفرة في وقت، إنتهت بتقلبات الأوضاع.

وكان المغفورله بإذن الله عمر أحمد بامزروع قد امتهن فن التصوير الفوتوغرافي في البلدة، وفي غيرها، وقد أبقى صورا طبيعية رائعة تنم عن ذوق فني رفيع.

(٣٦٨) الفن- الواقع والمأمول صـ ١٥.

لكن هذا لايعني خلو البلدة من فنانين في الرسم والنحت – مثلا–، بل بوجودهم وبمواهبهم، لكنها في نطاقها الشخصي.

وهناك فنانون في الرسم موجودون على الساحة حاليا برسم لوحات رائعة في الجدران الخاصة–مثلا–، وكذا بعض التشكيلات في الغرف والصالات المنزلية، وغيرها، مما يؤكد وجود المواهب الفنية، ولو في النطاق الشخصي أو المهني مثل الفنان سالم عوض بامزروع، وسالم محمد باومن، وغيرهم.

٢– الفن الغنائي:

لم تسعفنا المصادر عن مطربين سابقين في البلدة، ولا أغاني بالمفهوم الفني الذي نعرفه اليوم..إنما الموروث الذي تناقلته الأجيال جيلا بعد جيل، من تغني بالقصيد في المناسبات الخاصة، كأفراح الزواج والختان والقنيص وغيرها، وفي وقت الراحة، أو في أوقات العمل ومزاولة المهنة، يعطينا فكرة عامة عن غناء وأهازيج تلك المرحلة أو المراحل السابقة، فللمزراع في مزرعته ترنم خاص لكل حالة من حالات أصول مهنته، أو مهمة من مهماتها، وللسناة في المقود ترنم، ولتأبيرالنخل ترنم، وللحصاد ترنم، وللرعاة ترنم، وللنجار ترنم، وللحداد ترنم، وللبقار ترنم، وللجمّال ترنم، ولعمال البناء ترنم، بل تجد من يترنم منفردا بصوت شجي أو غير شجي متسليا به، أو مستمدا منه النشاط دفعا للملل وكسرا للرتابة.

والترنم لم يكن مقصورا على المناسبات تلك، أو على ذوي المهن، فالسماع والإبتهالات والأناشيد والمدائح الدينية غناء بآلاتها أو بدون آلة، تشنف له الاسماع وتسكر الألباب، وربما من نشوة السماع كان التواجد والتمايل والرقص.

وكذا النساء فدندتهن مهيجة، وبنغمات حناجرهن الرقة والعذوبة، وهن أكثر ولعا بالغناء في مناسبات الأفراح العامة ومجالسهن الخاصة، أو في مهنهن المنزلية وغيرها.

نعم هو غناء.. متوارث.. يدخل فيه ومعه التعبير المتجسد بالحركات الإنفعالية، والرقصات الشعبية كالزفين والرزيح -مثلا- والدان وغيرهما، وهو اصدق مثال للفن الغنائي الفطري الذي يترجم الأحاسيس والمشاعر بالكلمة والنغمة والحركة.

عرفت البلدة هذا الفن الغنائي بأسلوبه القديم، وعرفت الإيقاع بالطبل أو بالناي أو بالمزمار..هي آلات زمنها ووقتها..وعرفت الغناء بدون آلة كما قدمنا وهو "الدان"..والدان الذي كان سلوة العشاق لفن الغناء وبهجتهم في السمر.. يجتمعون للمغني أو المدندن في سمر أو مقيل أو رقصة (كالشبواني) يبتدع من يبتدع لحنا لقافية من شاعر تحكي مشاعر خاصة أو عامة، فيرسخ اللحن بترديده بدندنة.. فيترنم به صاحب الصوت الشجي..وحواليه شعار يتحاورون بشعر – في الأغلب شعر شعبي- ارتجالي مفهوم المقصد والعبارة، وإن ألغز فيه وورّى.. بتفاعل رهيب مع الأبيات الرائعة أكانت عاطفية، أو سياسية، أو اجتماعية..يتم تداولها فيما بعد بألحانها العذبة فتسري في طبقات المجتمع سري النار في الهشيم.. تغنى بها ودندن فيما بعد الكبير والصغير، والغني والفقير، والمتعلم وغير المتعلم، وربما ساءت البعض كلمات هجاء أو شتم وانتقاص في حق فئة أو شخص معيّن، قيلت في وقت الإحتقان بين الفئات المختلفة أوالأفرادعلى قضية ما، أو

المتحاربة على قضايا، أو المتصارعة على مصلحة، أو من أنصار هؤلاء وأولئك، فتثير زوبعة في مجتمعها، وربما ادت إلى خصام وقطيعة، و إلى دعوى وحكم، و إلى عراك وقتل.

بل كان من قصيد القصاد بلحن للقصيد -في وقت من الأوقات-ما يستطيع أن يغيّر وجهة نظر فئة إلى الضد، فإن كان طلبها المصالحة والسلم، فوصل إلى مسامعها قول القصاد (من شاعر) استنكفت ودعت للحرب والإنتقام بقول من قصاد ردد أبيات الشاعر.

٣- فن الدان:

غير أنه في الزمن الأخير، خاصة بعد استتباب الأمن، كان الدان وسمر الدان هو المسيطر على عشاق هذا الفن ورواده، وإن انتفت عنه بعض ملامح تلك الفترة.

وحتى وقت قريب نتذكر مسامر عشاق الدان مثلا في سمراتهم ومقايلهم الخاصة التي جمعت عشاق هذا الفن من الدان..نتذكر تلك الأسمار التي جمعت الشعار بأطيافهم المختلفة (سيّد، شيخ، قبيلي، مسكين)، مع صوت باللحن الشجي الأخاذ الذي يعبر تعبيرا صادقا مما يعتمل في الأنفس من شجون وأشجان وولع، وما يعتريها من مآس وأحزان، أو من فرح ومرح وابتهاج، وتساؤل عن حاضر أو مستقبل بكيفية مشوقة تستثير الدهش والإعجاب والتحفز.

وإذا كان لابد للشعر من متلق يسمع الشعر ويتفاعل معه، فإن لتلك الأمسيات الشعرية للدان حضورا محدودا، وإن كان لهؤلاء الحضور من الحس

والذوق للكلمة والصوت، من رهافة الحس، ورقة المشاعر، مايفوق إحساس الكثيرين وتذوقهم للشعر في المجتمعات الراقية.

يخبرني أحد المسنين أنه في ليلة ما، نصَت أحدهم لصوت هيجه..تتردد أصداؤه في هدأة الليل..تحمل النسمات ترانيمه، وقد أخذته سنة من نوم، فيتسمع كالحالم أو الواهم للصوت، ويوقظه الصوت الشجي، فينهض من غفوته، ويأمر أحد أبنائه أن يتتبع الصوت من أين، وتتبع الولد الصوت إلى حيث أتى إلى البيت الذي فيه السمر، وطرق الباب، ودخل عليهم، وهم على ضوء مسرجة من القاز، فعرف نفر من السامرين الوصي ومن كلفه بالبحث، فقيل له أخبر من أوصاك أن فناجين الشاي بها ماء صاف، أي بدون شاي كما رآها، وإنما يتسمعون إلى حنة المعالق المعدنية في الفناجين الزجاج.

فأخبر الوصي وصيه بما قيل وشاهد بأم عينيه، فأخذ الأب شيئا من الشاي، وشيئا من السكر، وسرى.

وربما هذا الموقف يعطينا تجسيدا للحس والذوق الفني ووله المحبين لهذا الفن، رغم الحياة المعيشية الضنكة التي يعيشها أهل البلدة، ومحدودية حضوره.

ومع أن هناك كلمات لشاعر قد لاتكون بمستوى فني لفحول الشعراء الشعبيين، لكن اللحن والترنم به من ذوى الحنجرة التي تستطيع التفاعل المريح مع المد والتمطيط والتخفيف والتفخيم، مع الصوت الحسن، قد يمنح الكلمات–وأيا كانت بساطتها أو ركتها–قوة وإشعاعا وإشراقا وقبولا لدي المستمع.

كان شعراء الدان في تلك المرحلة باجتماعاتهم الدورية بحضور الكل أو البعض، أو بعض البعض في البلدة، أكانوا في سمر أو مقيل أو نزهة، نذكر منهم:

سالم مبارك باحشوان، مبارك سالم سويدان، عبد الله بن محمد بن شهاب، أحمد بن ضياء بن شهاب، عوض بن علي بن قصير، أحمد بن علي الجابري، أحمد بن عمر الزبيدي، عبد اللاه بن عمر بامطرف وغيرهم.

اما "المغنين" فنذكر منهم: رجب محفوظ باشعيوث، فرج خميس ربيحان، وسالم بن صالح التميمي، وسعيد مبارك حيمديه(الدموني). وربما هناك غيرهم من الشعار والمغنين، قبل هذه الفترة أو معها، لم يفدنا أحد بغير من ذكرناهم، وذكر لنا البعض غير من ذكرنا لكن لم يؤكد ذلك من عاصرهم، ولا هناك مصدر-عرفناه-لنرجع إليه.

أما عشاق هذا الفن وحضوره في السمر ليسوا بالكثرة، إنما هم افراد لايتجاوزون اصابع اليد أو اليدين.

وفي الفترات الأخيرة كان المغنون للدان من غير البلدة، ومن الأحياء المجاورة للبلدة.ولسنا بحاجة إلى التأكيد أن هؤلاء شعار ومغنون هواة لامحترفون.

وللأسف الشديد، وعلى تعدد سمرات الدان في البلدة، وتنوع ألحانها من شعار البلدة وغيرهم، إلا أنه لم يدون هذا الشعر إلا القليل منه، أو أقل من القليل، وإن دون بعضه فهو-ربما- مع الضنين به، ومما بقي في ذاكرة البعض، وتناقله بعض الناس وحرّفوا بعض كلماته، وأضيف إليه شيئا ونسب من غيرهم إلى أشعارهم شيء، واقتصر من تذكر مبدأ، ولم يتذكر الرد، أو العكس.

ورغم سؤالنا وبحثنا عن من توسمنا لديهم من شعر الدان من أسر الشعار وأقربائهم، ومن يمكن أن يكون قد حفظ من أشعارهم شيء، إلا أننا لم نجد إلا القليل جدا.

ونحن نذكر ماتيسر منه، وإن كان فيما-نعتقد-لايمثل إلا حالات بسيطة من مقولات سمر الدان في البيوت، لكننا لم نجد من وثق شعر سمر الدان، وربما من وثق القليل منه، أتلفه الزمن، أو تغذت به الأرضة كماقيل.

ففي سمر دان بين الشاعر سالم مبارك باحشوان، وأحمد بن علي الجابري، والسيّد أحمد بن ضياء بن شهاب، والمغني....

بدأ باحشوان بقوله:

باسين باسمك يامجلّي همنا بحق ياذا الجلال اسألك تستر الحال

يافرد يارحمن جمّل حل الجميله ولي دعاك العبد تقبَل

واجعله عند الناس مقبول

الجابري:

لك ياصمد انوي وصلي رجائي بالحَبِل اتصالي تعلم بكل ماهو على البال

وكن لعبدك لاتهمل لك به وسيله وفي العمل يتقن ويغفَل

يوخذ بذرع العرض والطول

بن ضياء:

تميت في حيد محلي مكّنت في العشقه حلالي باذوق طعم القار والحال

مضني وكل من رام يبذل تأتي سهيله لشياء من آخرها وأول

مبدأ تعتّب دار من دول.

وفي ليلة سمر أخرى كان المغني فيها سالم بن صالح التميمي(بعطه)، والشعار أحمد بن علي الجابري، والسيّد عبد الله بن محمد بن شهاب، والسيّد أحمد بن ضياء بن شهاب:

وافتتح السمر أحمد بن علي الجابري على لحن سعيد مرزوق في " ذا فصل نظمه في السمر واحكام":

ذا فصل بوصالح حكُم مغناك لك قلب سالي مفتسِح الله يبارك

لابك تعب ذولا ولا بك شَغِب من ذولاك شف بن علي منهم خذا في الخاطر اشكوك.

السيّد عبد الله بن محمد:

زين النظر لي حرّك الشباك بالود خذ قسمك بحق عمك وخالك

شفته رقص بيده وطرّب ياحمد واعطاك شاهي من القاطع وجاب الأكل مَعْبوك..

وفي سمر آخر كان من الشعار عوض بن علي بن قصير، وأحمد بن علي الجابري، وكان المغني فرج خميس ربيحان:

بن قصير:

سلام يابراد مابين العدد وجديد بالقرطاس فيك الرّسم والشبّه

حتى فناجينك معالقهن ذهب والقو عليهن مية بواب.

الجابري:

ياغصن تتمايل إذا شي نود هب والزهر يساقط من العنقود للهِبّه

يهناك ع المعيان من تحتك شرب في سماك أمطار وسحاب.

ومن سمر آخر فيه من الشعار مبارك سالم سويدان، وعبداللاه عمر بامطرف وأحمد بن علي الجابري، والمغني من الحاوي، على لحن "سال سمعون وادينا وطابت مراعيه":

مبارك سالم:

شعار آخر زمن ماله في الشعر خِبره فيهم إلا شقابه مثل بِدوان يافع

ماتفند كلام الفرد لو باتهاذيه

عبداللاه:

كل واحد سكن في شرج سنجار عنده ليش تأمر على لشخاص واليوم تابع

خل هرجك يقع في وسط محْجَر نقاديه.

أحمد بن علي:

قل لي وقت لا تبخل علي بالمنيه ناس صقعان ما سمعوا على الباب قارع

خلبوهم كما لي في خويله تروّيه

كل كذاب لاتأمنه إن جاب كِذبه قالوا الذيب كَل يوسف وهذي الطوالع

جابوا الدم لإباهم وكلّ نظر فيه.

ومن سمر دان آخر مع عوض بن قصير، وعبداللاه بامطرف:

بن قصير:

سلام لك يابيت عد ما رعد حن وعلى الذي قطّعك والقى الساس والمدرَه

وجاب طينك والقواسم من بِيَن وسرّح العمال يبنون

عبد اللاه:

روّحت في المسيال في عرض حُمش السِّين واقف كما إنسان عاصع الجمره

وايش البصر عقلي اشتحن واقف كما انسان مشحون.

في الواقع المؤسف لعدم تدوين شعر الدان ضاع من الذاكرة إلا القليل جدا، عند البعض، بل بعض البعض، وقد تخون الذاكرة بوضع قول لغير قائله، فإن وجدت من يرفض قول منسوب لشاعر، لا تجد من يصححه. لهذا اكتفينا مما استطعنا جمعه -على قلته- بأسناده دون تصحيح لقول.

وللأسف لم يعد لسمار الدان في البلدة سمر، ولا لمغنين الدان ذكر، فقد تجاوزه الوقت إلى غيره.

٤- الطرب والغناء:

أما الطرب..بالمفهوم الذي نعرفه اليوم.. أي وجود فرقة بآلاتها للغناء في تلك الفترة، فلا توجد. لكن هناك هواة للفن والطرب، وكان في طليعتهم المرحوم صالح بن أحمد بن نبهان الذي هو أول من خاوى وتر العود بلحن متداول، واحتضنه احتضان الواله العاشق في البلدة، متمردا على عوائد البلدة، وتزمت بعض رجال المدينة المؤثرين على ولاة الأمرفيها، بحيث منع الطرب العلني بآلاته الموسيقية في المدينة، فكان الهواة للفن والطرب يحيون سهراتهم الغنائية في بيته، وكان من ضمن رواد تلك السهرات الفنان ابوبكر سالم بلفقيه في مطلع بدايته الفنية وغيره من أبناء المدينة تريم، ومن أبناء البلدة.

وبما أن سهرات الطرب العامة ممنوعة في تلك الفترة في مدينة تريم، فكان إحياؤها في البلدة مرات في مناسبات خاصة، في حوش -مسرح -دار بن ضياء، وقد أحيا بعض تلك السهرات الفنان ابوبكرسالم بلفقيه، وغيره من فناني مدينة تريم.

يمكن الربط بين هاو للطرب بعوده (القنبوس)، وهاو آخر للطرب-"بالكمان" (الربابة) على اختلاف في التوقيت والكيفية-، فهنا في البلدة كان هناك هاو آخر بآلة فنية أخرى، ربما لو اجتمعا لكان-إن جاز التعبير-كل منهما مكمل للآخر.. هو عازف الربابة (الكمان) المرحوم سعيد بن سهل التميمي، وهو قد يترنم بأغنية متداولة في حينها، عازفا عزفا بدائيا موفقا، دون آلة إيقاع أخرى فيجتمع حوله ومعه من عشاق نغم الربابة من يستلذ النغم وتطربه الأغنية.

ومع حصر العود والربابة مع شخصين منفردين لم يجتمعا قط للعزف معا، لانجوّز لأنفسنا أن نطلق عليهما لقبا، أوصفة من صفات المبدعين الفنيين، ولا أن ننعتهما بفن عازف في فرقة فنية معروفة، لكننا هنا نؤرخ لآلات الفن الحديثة التي دخلت البلدة أول ما دخلت، ومن أدخلها بصفة هاو أو فنان، على وفق فهمنا أو تصورنا لفنه، لإرساء أول لبنة فنية حديثة-وإن جاءت متأخرة جدا- لهذه البلدة، وإن لم تثمر، أو تبنى عليها قاعدة فنية كما كنا نأمل حتى الوقت الحاضر.

أما في الوقت الحاضر ففي البلدة فنانون..مغنون..محاكاة للغير وتقليد، أي بترديد الأغاني القديمة أو الحديثة من غيرهم، وإن برز البعض في الضرب على الآلات المصاحبة للفرقة الموسيقية، فهو لايتعدى التقليد والمحاكاة، دون الإبداع، وإن نسب شيء من لحن أو عزف لهؤلاء، فهو- بكل أسف- إما تراثي، أو مسروق أضيف إليه شيء من التقاسيم، أوحذف منه شيء.

ولعل في طليعة المغنين والعازفين على العود الفنان: خالد أحمد بن محفوظ، وهناك الكثير من الضاربين على الطبل، ومن تميّزمنهم مثل المرحوم محفوظ محمد

ربيحان، الإيقاعي المتميّز شارك في فرقة حضرموت في عدن أكثر من مرة، وأيضا في الاحتفالات التي تقام بمناسبة اعياد الثورة والإستقلال وغير ذلك من المشاركات، وأيضا عازف آلة الكورديوم سالم عوض بامزروع، أو النافخين على بعض الآلات، أوالمرددين(الكورس) لبعض الأغنيات.

وهناك الكثيراليوم من أبناء البلدة مع فرقة "سمار" التي تحيى بعض حفلات الزواج في البلدة وغيرها، سواء في الغناء، مثل الفنان هاني عاشور بامعبد، والفنان عبد الله مبارك ربيحان، أو العزف، والإيقاعات الأخرى.

وقد أبرزت مهرجانات الزواج الجماعي الفنية مواهب من البلدة ماكان لها أن تبرز بذلك البروز المتميّز بتنوعه، سواء في الكلمة المعبرة من الشاعر، أو الأداء الغنائي المتفاعل، أو التمثيل المسرحي الغنائي بتناسق وترتيب لكل اوبريت، بشكل اتسم بالاجادة والنبوغ فاق كل تصور، واستحوذ على مشاعر واحاسيس الحضور بالانسجام والتناغم الكلي بين أداء الفنان المطرب، والممثل، أوارتباط الموسيقى بالرقص من تراثنا الشعبي. وهي ظاهرة تقبلها الجمهور بصورة طبيعية لأنها جزء من نسيجنا التراثي الفرائحي أو الغنائي.

ومع كل مهرجان تبرز مواهب جديدة مضيفة الى المواهب دفعة جديدة، وتزداد اصالة وتألقا في الأداء، والمبدعون في كل الأحوال باستطاعتهم تقديم الأجمل والأفضل، ونكتفي بالتعميم دون ذكر الأسماء للكثرة بتنوعها.

ووراء اكتشاف وابراز ونجاح هذه المواهب، بادائها الرائع والمتميز في المهرجانات، هي الشخصية الألمعية المتألقة بنبوغها الاستاذ حسن أحمد الحامد

فيما يقدمه، كشاعر، وملحن، ومخرج في كل اوبريت من كلمة معبرة، أو لحن يتسلل للمهج، أو تمثيل ببراعة واتقان دور، أشعل العاطفة وحفزها، وذلك باسناد الأداء لمن يمتلك المواصفات الملائمة للموقف، بحيث أعطى كل موهبة ما يميزها في الأداء سواء في الغناء أو في التمثيل. كما أننا لانبخس غيره ممن شارك في الشعرأو اللحن، مثل الملحن فاروق باصبيح، مع أن الكثير من تلك الألحان ربما يصاحبها التكرار في بعض المقاطع أو الاقتباس من الغير، أو من التراث.

ولعلي هنا انوه أنه لا يوجد من هؤلاء فنان- مطربا أو ممثلا-تأهل تأهلا جامعيا – مثلا- أو من معهد للفنون، وإنما هم هواة عشقوا هذا الفن، واتقنوا فيه دورهم.

٥- الفن المسرحي:

أما الفن المسرحي أو التمثيلي رغم بدائيته لا أقول في البلدة فقط، وإنما قد يشمل التعريف كل مدن الوادي وقراه.

وفي البلدة مثلت مسرحيات تاريخية ودينية وسياسية، لطلبة المدارس في مسرح حوش بن ضياء، وساحة نادي العروبة، ولقد مثلت على المسرح رواية "تاجر البندقية" المترجمة، ومعروف عن الرواية أن مؤلفها شكسبير، وقد اختصرها وعدل بعض حواراتها مدير مدرسة دمون الإبتدائية حينها الأستاذ عبد الله عبدالكريم الملاحي، ومصمم ديكور المسرح مع التغيير المباشر المتزامن للأحداث، ومصمم الملابس المرحوم عمر بن صالح الخيامي التميمي، وكان الملقن من وراء المسرح السيّد أحمد بن ضياء بن شهاب، وكان أول من اعتلى

المسرح من الطلبة: سعيد ابوبكر الزبيدي، أحمد مبارك ربيحان، خالد حسن التميمي، مبارك رزيق بادباه، عبدالله عمر المشهور، وغيرهم.

كما مثلت على المسرح أيضا من قبل الطلبة، وفي ساحة نادي العروبة روايات تاريخية ودينية وهزليه، وسياسية، كتبها أو أعدها للمسرح بعض المدرسين كالسيّد حسين عبد القادر بلفقيه وأحمد مبارك باشامخة، وعلي عبيد التميمي وغيرهم.

فمثلا كتب قصة المسرحية "الشهيدة خديجة سالم" أحمد مبارك باشامخة، ومثل الأدوار فيها سعيد سالم صبيح، وعبد الله محفوظ بامزروع وعلي سويدان، وحسن عيدروس، ومحمد نبهان وغيرهم، وقد نجحت نجاحا في البلدة، مما شجع القائمين على المسرح لعرضها في القطن، وقسم. ومسرحية أخرى بعنوان: "صيانة الوطن"، ومثل أدوارها سالم عبيد بامعبد، سعيد صالح التميمي، سعيد سالم صبيح، حسن عيدروس شهاب وغيرهم.

وممن أخرج بعض المسرحيات أحمد مبارك باشامخة، علي عبيد التميمي، عبدالله محفوظ بامزروع، مع دورهم في التمثيل. ومن الممثلين المسرحيين أيضا: عبدالله عمر (بن دحروج) التميمي، كرامه سعيد فرج الجابري، صالح مبارك التميمي، عمر عوض الجابري، عبد الله سعيد الجابري، وعلي كرامه باني، وغيرهم.

وهناك الكثير من الممثلين شاركوا في أكثر من مسرحية، وفي أكثر من مرحلة من مراحل الدراسة، مثل: سليم سعيد باشامخه، كرامه عاشور بن حيمد سعد، مطران مبارك باصبيح(الشعبي)، وحسن أحمد الحامد، ونبهان صالح بن نبهان، علي هادي بكر، وعبد الله محمد بن شهاب، وعمر كرامه باني، وأحمد سالم حيمد سعد، ومحمد فرج ربيحان، وعبد الله سعيد الشاعر، وغيرهم.

وممثلين آخرين لم نجيء على ذكرهم، فقد طال الذاكرة النسيان حتى مع من شاركهم في التمثيل، ولم نستطع تقييد التسلسل في تلك المراحل للممثلين والمسرحيات لذلك السبب.

وللمسرح لجنة من الطلبة تعني بشئون المسرح، سواء الشأن التمثيلي واختيار الممثلين، أواختيارالرواية أوالقصة المسرحية التي يراد تمثيلها في حينها.

وأكرر-بكل أسف-أنني لم اتوفق في التسلسل للمسرحيات ولا الممثلين، ولا تخصصات من في لجنة المسرح، بل ولامضمون تلك المسرحيات حتى ممن كتبها وأخرجها، لعدم وجود مصدر نرجع إليه إلا ذاكرة بعض الممثلين، بل إن بعض الممثلين نسي الدور الذي قام به، والبعض لم يتذكر الزملاء الذين شاركوه في التمثيل-كما أشرنا إلى ذلك، بل البعض يذكر أنه مثل، أو أخرج المسرحية أو كتبها، ولا يذكر الدورالذي قام به، ولا المسرحية التي كتبها أو التي أخرجها.

كما مثلت مسرحيات هزلية وكوميدية هادفة من بعض الممثلين في الموقعين أيضا، وإن تكن إرتجالية (بنت وقتها) إذ ليست لها قواعد فنية يلتزم بها الممثلون، أي لم تكن لها قصة، أو رواية، أو سيناريو يلتزم به الممثل، ولا بروفات سابقة للتمثيل، إلا قبيل العرض، حيث يتم الإعداد لها بتوجيه الممثلين لما يمكن أن يكون من حوار لغرض أو هدف معيّن.

وكان المرحوم عمر بن صالح الخيامي التميمي، يقوم بالتوجيه والإرشاد العام للممثلين الهزليين، ومن ثم تكون الحركات مع الحوار للممثلين على وفق فهمهم لإضحاك الناس، وإدخال السروروالبهجة على المتفرجين، وهو الغرض

الرئيسي من المسرحية، وان كان فيه سمة من سمات التنبيه، أو العرض لبعض السلبيات الخاصة في مجتمع البلدة، ومشكلاته اليومية، وكان الممثلين وهم:

خميس حميد عمره باعبيد، أحمد مبارك بن محفوظ، عمر سالم بامزروع (النعمي)، عوض سالم باشعيوث، خميس مبارك باغزال، خميس سالم مسلم، وغيرهم. وبنجاح تمثيلهم الكوميدي الرائع في البلدة، قاموا بالتمثيل الكوميدي مع فرقة نادي العروبة إلى بعض المناطق في الوادي.

وربما بتنقلات الطلبة في مراحلهم التعليمية، أو الوظيفية فيما بعد، وكذا الممثلين سعيا وراء لقمة العيش، وبموت المرحوم عمر بن صالح الخيامي، إضافة إلى تقلب الأوضاع العامة في البلد، كان ذلك من أهم وأبرز الأسباب التي حالت دون استمراره ناهيك عن تطويره.

وقد ذكرنا المرحوم عمر صالح (الخيامي) التميمي، فقد كان نابغة في تفكيره وابداعاته، لو تأهل لصقل تلك الموهبة في تعامله مع المسرح، ومع الفكرة التي يحاول توصيلها إلى مجتمع فيه من السلبيات الشيء الكثير، لكان شيئا آخر في تاريخ البلدة.

ولعل من مواهبه النادرة التي لا تخطر على بال الكثيرفي ذلك الحين، أن بعض مدرسي الطلبة في المدرسة الحكومية الوافدين من الساحل، ادخل بيضة بعد أن غمرها بخل وربما بشيء آخر، فلانت البيضة وتمددت ومررها في عنق زجاجة، وما أن استقرت البيضة في بطن الزجاجة وزالت عنها المادة عادت إلى هيئتها الأولى "بيضة" تتدحرج وسط الزجاجة من أسفل إلى أعلى والعكس، وكانت عملية بمظهرها أذهلت الجميع لاستحالة دخول بيضة في عنق زجاجة دون كسر، ولما شاهدها عمر الخيامي حل اللغز وكيفية الدخول.

وأوعد أن يأتي بما هو أغرب من ذلك.

وفي شرقي بيته مزرعة "الجبلية"فاصلا بينهما الشارع، استأذن من المزارعين بأن يقوم بعملية خاصة من بعض الأشجار السابحة، وكان معه الإذن، فحضن غصن مزهر ببرعم من شجرة يقطين (دبا أرضي)، ووضعه في زجاجة وهو لايتعدى أصبع اليد في داخل الزجاجة، وبقي يراقبه يوميا عدة أسابيع فنمت الثمرة مع ما يصاحبها من زيادة في الحجم إلى أن ملأ داخل الزجاجة، فقطف الغصن الذي يغذي الثمرة (قحزوز الدبا)، وحمل الزجاجة بما فيها من ثمرة طرية غضة، وسأل أولئك كيف تم إدخالها في الزجاجة؟!..وحار من حار، ودهش من اندهش، وتعجب من تعجب، وإن لم يتوصل إلى معرفة الكيفية التي بها أدخل "القحزوز" إلى الزجاجة أحد، خاصة وأنهم قد تأثروا بحل لغز البيضة.

رحم الله العم عمر، فله أشياء كثيرة من مثل هذه وأغرب منها، ونكتفي بما أوردناه.

٣- الرقص الشعبي:

الرقص والألعاب الشعبية، ومفهومه الذي نوجزه والمتعارف عليه، هو ما يعبر تعبيرا صادقا بالحركة والكلمة والإيقاع عن ما يعتلج في خوالج الراقصين من فرحة وسعادة في المناسبات الخاصة والعامة في البلد، وبلدتنا كغيرها من البلدان لها رقصات متوارثة، أو منقولة عن غيرها..أضافت إلى المنقول شيئا، أو حذفت منه شيئا.. اختلفت أو اتفقت في الكثير منها أو القليل، لكن الهدف والغاية واحدة وهو التعبير عن مشاعر الغبطة والفرح والسرور.

ورقصاتنا – في أغلبها–والزفين، تتميز بالسرعة والحيوية والعاطفة المشبوبة المصاحبة للإيقاعات، وهي تحكي مجتمعا في أغلبه عماليا زراعيا قبليا، بخلاف مجتمع مقيّد بعاداته الرتيبة أو المحافظة في الزوايا أو المجالس الخاصة، كزفين بعض رقصات الزربادي وايقاعاتها وأناشيدها الإبتهالية –مثلا–، لكنها مثل كل الرقصات رغم رتابتها فهي مفعمة بالمرح والنشاط والعاطفة.

وكل الرقصات تعبر عن مشاعر وأحاسيس كل طبقات المجتمع وإنفعالاتها المتباينة، وهي في عموميتها رقصات للمرح والتسلية.

من هذا الموروث من الرقص أو الألعاب الشعبية، الكثير قد بدأ في التلاشي، ومنه ما تلاشى تماما، وهناك من الموروث ما استحدث فيه شيء، وما استحدث فيه من غيره، بتجديد يواكب الزمن وتطوره، دون الأخلال بأصوله، وهناك الدخيل الجديد، وهناك ما ظهر لوقته ومرحلته، وانتهى بانتهاء مرحلته.

لكن ما بقي وإن قل نأمل المحافظة عليه كتراث شعبي له مذاق وأصالة خاصة تعبر تعبيرا صادقا عن وجدان شعب في أفراحه وتساليه.

١– الرزيح:

رقصة شعبية اختص بها سكان تريم ودمون خاصة في وقت ما، وكانت هذه الرقصة من مسليات أيام الأفراح في الأعياد، والزواجات والمناسبات الأخرى المشابهة.

تضم الرقصة أغلب شرائح المجتمع الحرفي والزراعي في البلدة تقريبا، والرقصة ليس لها طبول من أي نوع ولا ناي، وربما في مقاطع قصيرة رقص –

تصفيق- بالأكف. إنما معولها وضبط إيقاعاتها بالأرجل على الأرض، وبلحن المقطوعات الشعرية الشعبية التي تنسجم مع الإيقاع.

يبدأ سير" الخابة" برجز من الموقع المحدد لسيرها مترنمين بترجيع تخميس معروف بلحن معروف يأخذه "الشلال" من مقطوعة، أو مقطوعات شعرية منسجمة مع "الخبة"، أو المسيرة، مع ضرب الأرض بالأرجل مثل:

"سبحان من لايفنى ولا يزول ملكه"٠

أو:

" تسل ياقلبيي شف الدنيا مخلاه"٠

أو:

" ساعة من العافيه ماهي قليل"٠

وغير ذلك، حتى وصولهم إلى الموقع الذي تقام فيه رقصة "الرزيح"، ويقف الراقصون في دائرة كبيرة، ويتوسط الدائرة "القصاد" أو "الشلال"، أكانوا ثلاثة أو اكثر، أو أقل، فقد كان قصاد الرزيح في البلدة في وقت الذاكرة: سلمان علي بكر، وعوض سلمان بكر، ومبارك سالم ربيحان، ورمضان سالم ربيحان ومبارك فرج قبان وغيرهم، ويبدأ الشلال ببيت من مقطوعة شعرية مناسبة للرقصة، ليردد الراقصون التخميس، مثل التخميس: **"يالصالحين"** أو:" **يالله بالجنة"،** أو:**" نبي محمد يانبي.. نبي محمد"،** بلحن لكل تخميس معروف وبأبيات قصيدة شعرية شعبية معروفة، ويقومون بحركات رشيقة متميزة وهم وقوف في البداية كحركة التهيؤ والإستعداد للجُند، ثم بانحناءة قصيرة مع عطف الركب وتقديم

الرِّجل وتأخيرها، وبتغيير نغمة القصاد..ترتفع القدم عن الأرض ارتفاعا قصيرا، وتدق الأرض بقوة مرات متتابعة، بإيقاع متناغم مع الشل، ويخرج أفراد من مختلف محيط الدائرة في الوسط فيقفزون على إيقاع الغناء الجماعي عدة قفزات قوية، ثم يعودون إلى صفهم أو مواقعهم في الدائرة، وتسترجع تلك الرقصات المتناسقة بضرب الأرجل الشابة القوية على الأرض مكونة إيقاعا ينسجم مع "شلال" المقطوعة الشعرية، بتنوع المقطوعة واللحن أيضا، ويطلق"الهواك" العنان لحنجرته بصوت مديد، بين كل مقطع من مقاطع الرقصة يعطي زخما للراقصين. والخروج من الدائرة إلى وسطها بتجدد الضرب بالأرجل بحركة جماعية قوية متناسقة، ثم العودة إلى صفوفهم..أما كبار السن وهم أعشقهم للرقصة فتكفيهم انحناءة خفيفة مع عصيهم في وسط الدائرة.

يتخلل هذه الرقصة مقطع أو فصل "لنعيش البقارة"، وقد سبق التعريف بالبقارة، وتأتي هذه الرقصة بنغم ولحن يتناسب مع حركة الرأس مع إنسدال الشعر من اليمين بانحناءة إلى محاذاة الركب ثم إلى اليسار، في تناسق فني عجيب، ويبدأ الشلال وغالبا مايكون من البقاره بصوته الشجي وحركاته المتوائمة مع اللحن بـ:

بالا بالي.. بلا..يابالي.. بالا بالي بلا بلبالي.. (وترد المجاميع)..**ياهيلمان هوليا..**

بالي بلا بالي.. ياهيلمان هوليا

آه يابالي... ياهيلمان هوليا

ويضع الشلال على اللحن والتخميس القصيدة المناسبة.

والنعيش يكون مع شلال رقصة الرزيح، أو في مقدمة " الخابة"، -وقد أوردنا مثالا لذلك في مداد البقاره-ولمثل هذه المناسبة وغيرها من مناسبات الأفراح الأخرى يحتفظ البقارة بشعور رؤسهم ويعتنون بها عناية خاصة من دهن وتنظيف وتسريح ولفها بعمائمهم، والمباهاة بعضهم البعض بكثرة الشعر وطوله.

ومن المؤسف المؤلم أنه لم تعد لرقصة الرزيح في البلدة من يقوم بها في فرح أو مناسبة رغم أن عشاقها والمجيدين لها من أ بناء البلدة كثيرون، وكذلك نعيش البقارة، تلاشت واضمحلت بتلاشي واضمحلال مهنة البقارة.

لكنها بقيت (رقصة الرزيح) في حافة عيديد(الخليف) دون نعيش البقارة إلى هذا الوقت.

٢- بني مغراة:

رقصة بني مغراة، تقام في الأفراح، خاصة أفراح الزواج، وهي تتكون من "قَصّاد"(مغني) مع طبلين"مرواسين"، وقد يكتفي بمرواس واحد.. القصاد بقصائده الشعبية المعروفة عند الخاصة والعامة سواء بالشعر الحميني أو الحكمي، ويتناوب المدارة الراقصون (الزفانون) أكانوا اثنان أو أربعة أو أكثر، وحركاتهم تبعا لإيقاع الطبل، فإن كان راقصان فهما يسيران في اتجاه واحد معا، طلوعا ونزولا، بحركة رشيقة واستدارة عجيبة، وربما حصلت منهما استدارات كثيرة في انسجام تام بين حركة الزفين(الرقص) والإيقاع، وإن كان الراقصون أربعة أو أكثر ففريق طالع في المدارة وفريق نازل بنفس الحركة.

ومن أدركناه من القصاد لبني مغراة في البلدة رمضان سالم ربيحان – رحمه الله– ، وقد كانت هذه الرقصة مع الرزيح هي السائدة في البلدة بين الفلاحين وغيرهم من بعض أصحاب المهن الأخرى. ومع أن الرقصة أو اللعبة–بني مغراة – مازالت تتواجد في بعض المناسبات، خاصة مناسبات الزواج في البلدة، إلا أن من يحييها من غير البلدة، والزفانون أو الراقصون بتنوع انتماءاتهم الطبقية من أبناء البلدة.

٣- الشبواني:

يقال إن تسمية هذه الرقصة نسبة إلى شبوه عاصمة مملكة حضرموت القديمة، وسماها بعضهم رقصة الحرب والسلم، بقسميها مسيرة العدة (الرجز أو الخابة)، والرقصة في المدارة الشبواني (الفَرِق)، ويقال إنها وصلت للداخل من الساحل، ومن يقل غيرذلك، ولم نجد مصدرا بعد يؤرخ وصولها للداخل، ولا بداية وجودها في الساحل.

وقد ذكر الاستاذ أحمد عوض باوزير في تمهيده لكتاب:"رقصة العدة" للباحث عبد الله صالح حداد، أن رقصة العدة من الألعاب الشعبية التي تميزت بها محافظة حضرموت، وإذا كنا لانستطيع تحديد زمن ظهورها لتعذر الحصول على دلالات تثبت ممارستها في عصور معينة، فإن الرقصة بما احتوت عليه من حركات وإيقاعات موسيقية تنم عن عراقة واصالة تمتد جذورها قرونا طويلة.

ويذكر الشاطري الشبواني فيقول:" يقال إنه منسوب إلى شبوة"(٣٦٩).

(٣٦٩) أدوار جـ٢ صـ٧٥.

ويعلق السيد بن ضياء على ما أورده الشاطري من أنه منسوب إلى شبوة بقوله:" إن هذه المقولة غير صحيحة، لكن الواقع أن هذه "اللعبة" جاءت من الهند بعد منتصف القرن الثالث(عشر) بسبب اتصال السلاطين بالهند وخاصة القعيطية بالشحر والمكلا"[٣٧٠]، ولم يذكر لذلك الزعم مصدرا.

والسيد محمد (سعد) علوي العيدروس يقول:" إن هذه "اللعبة"- الشبواني- عرفت في الساحل عن طريق الهجرات المتتابعة إلى الهند، ثم انتقلت إلى مدن الوادي"[٣٧١].

وعن الشبواني يقول إبن عبيداللاه:" وكثيرا ما سمعت من المعمرين أن اللعب المسمى اليوم بالشبواني منسوب إلى شبوه، وان كندة في ميعة بيانها وفصاحة لسانها، هي التي سنت المطارحات الشعرية في أفراحها بذلك الأسلوب التي لم تنحل صنعته حتى اليوم، وان انحط من جهة صياغته وبلاغته وضعف تركيبه وعاميته، فكل ينفق ماعنده"[٣٧٢].

ويضيف إبن عبيداللاه:"وكان شعراؤه- الشبواني- في عهد السلطان عوض بن عمر القعيطي(ت ١٣٢٧هـ) ليسمعونه مر الكلام فلا يأنف، ولا يزيد على التبسم، وكثيرا ما يجمعهم لذلك اللعب ليتعرف ما يقول عنه الناس، حتى يستن في المكارم، وينحجز عن الملام، غير أن أهل النفوذ لما كثرت معايبهم، قيدوا بعد

(٣٧٠) عادات بادت صـ٤٦.

(٣٧١) الألعاب في مدينة تريم صـ٩.

(٣٧٢) بضائع التابوت جـ١ صـ ١٠٨.

ذلك من حريته (الشعر) تغطية للسوءات، فلحقها من التصنع والملق وتشويه الحقائق مالحق جرائد النفاق"[٣٧٣].

وأهل الساحل يسمون "العدة" كتسميتنا للرجز أو الخابة، وللفِرق الشبواني، شواني، ولم أعرف بعد ماهي نسبة الرقصة بـ"شواني".

والشبواني كما يقول إبن هاشم:"من أحسن الألعاب الحضرمية المسلية، لماحواه من النظام البهيج الرائق، الأمرالذي لايحويه غيره من الألعاب الحضرمية الأخرى، ولما يترنم به لاعبوه من الأغاني الشيقة المقبولة لذي السمع والطبع، وأيضا لما فيه من تباري الشعراء، وقول الشعر بالبديهة الرامزة إلى الوقائع الحالية"[٣٧٤].

ورقصة الشبواني- العدة والفرق- تقام في أغلب مدن الداخل والساحل، وهي الرقصة الشعبية التي يرتاح إليها الكثير من أبناء الحارات، ويتنافسون في الإعداد والدعوات لها، وربما استعر الخصام لسبب أو آخر حولها، وترتب على ذلك قطيعة بين الفرق من نفس الحارة، واقالة "أبو" وتنصيب غيره، وربما أدت الخلافات حول اللعبة بين حافة وأخرى إلى قطيعة وعراك وشجاروقتل في بعض الحويف، كان هذا الذي يحدث في الماضي لكثير من الحارات والحويف، سواء في الداخل أو الساحل، ولعل مازال له بقايا وإن اختفت الكثير من أسباب الخلافات بين الحارات، وبقيت البقايا من الخلافات الجانبية بين رجال الحافة الواحدة.

(٣٧٣) المصدر السابق صـ ١٠٨.

(٣٧٤) ابن هاشم: رحلة إلى الثغرين صـ ٥٠.

تبدأ الرقصة أو اللعبة أول ما تبدأ بالإعلان عنها، وذلك بالتحضير لها بضرب الطبول-الهاجر والطويس-كإعلان عام في موقع ما من الحافة أو الحارة المعروفة لبدء الإنطلاقة.. يتجمع عشاق الرقصة، ويعطي الأبو-مقدم الحافة- التعليمات بالبدء، فينصّر المجتمعون تنصوره معروفة.. ("واللا كب".. "واللاكب")، وقيل: صحيحها "واللوك هم.. واللوك هم"[٣٧٥] .

يصطف الحاضرون صفين متقابلين، ويقال للصف شنف حاملين عصيهم مسنديها على كتوفهم، متعممين برماميلهم المعروفة "الحيدرعباد"، حيث يعطي الشاعر للصفوف الأمامية بيت من الشعر، ويعطي الصفوف الخلفية بيتا من الشعر آخر، يردده بينهم ثم يرتجزون به، بإيقاعات خفيفة تتناسب ومسيرة (العدة) الخابة (الرجز) حتى الوصول إلى موقع الفرِق (الشبواني) كان ذلك في السابق قبل الإستحداث والتجديد الذي طرأ في الرقصة.

لكن بعد التحديث في الوقت الحاضر بعد مسيرة العدة (الرجز أو الخابة) شوطا لابأس به، يقف الشاعر مرة أخرى هو أوغيره أمام الصف معلنا حضوره

(٣٧٥) التنصورة واللاكب واللاكب هي المعمول بها في رقصة العدة والفرق، لكن من أخبرني بأن صحيحها "واللوك هم..واللوك هم" أراد منها أن جماعة العدة، ولو الشاعر لقول شعره. وقد أورد الباحث عبد الله صالح حداد في كتابه " رقصة العدة" عبارات للتنصورة من مدن الساحل تبتدىء بعبارات مختلفة، باختلاف الموقع، وتتم التنصورة وهي: واللي كم.. واللي كم.. وهي عبارة مصحفة من عبارة والله كم..والله كم..، أما ما يسبق التنصورة فلكل حي من الأحياء في مدن الساحل له عبارته الخاصة بحيه مثل تنصورة حي عقل باعوين في الشحر: عوين كم من قبيلي كسرنا نابه..واللي كم، واللي كم.. وحي الحاره في المكلا: حاره غلابه... ولم تكن لتنصورة مدن الداخل عبارة تسبقها مثل مدن الساحل.

لإلقاء بيتين من الشعر، فيتم التوقف، وتتم التنصوره بـ "والا كب والاكب".. ينتظم اللاعبون في صفين متقابلين تاركين فراغا في الوسط بينهما لمرور الشاعر والعُدة-الطبول-ويعطي الشاعر قوله للفرقة الأولى التي تقع في المقدمة بلحن وتخميس خاص، ويلقّنه لمن في مقدمة الصفوف مرات، حتى يتم الحفظ وتضرب الطبول.. الهاجر والمراويس والدف، لترسيخ اللحن والإيقاع، مع حركات الأرجل المنسجمة مع دقات الطبول وتمايل الأجساد، وهي في موقعها، ثم ينتقل الشاعر إلى الصفوف الخلفية، ويتوقف ضرب العُدة (الطبول)، ليعطي للفريق الثاني بيت آخر بنفس اللحن ولنفس التخميس، ويكرره عليهم حتى حفظه وتضرب الطبول حتى ترسيخ اللحن مع الإيقاع، ويعاود الفريق الأول في الصفوف الأمامية التغني ببيته مبتدئا بالتخميس، ويعقبه مباشرة "الشل الجماعي" من الصفوف الخلفية بالتخميس ومن ثم البيت الشعري، وهكذا، ويستمر ضرب الطبول، مع الترنم بالشعر، وتلتم الرجال في صفوف، في كل صف من ثمانية أشخاص إلى عشرة وربما أكثر أو أقل، وبحركات متناسقة منسجمة مع إيقاع الطبول متمايلين بأجسادهم وبحركة عصيهم بأيديهم ملوحين بها فوق رؤوسهم..بخطوة بالأرجل لليمين إلى الأمام، وخطوة لليسار للخلف.. لا تغيب الإبتسامة عن شفاههم..يستدير الصف (الشنف) الأمامي لمواجهة الصفوف الخلفية، وهم بنفس الحركة لفترة وجيزه.. وفي حالة ترقب "للكسرة".. يشير عليهم مقدم "الطلعة" من وسط الصف الأمامي ورافعا يده كإشارة للصفوف المقابلة، وقد يكون مع رفع اليد أو حركة معروفة، ويتجاوب مع مقدم "الطلعة" من في الشنف للتهيؤ للكسرة، فترتفع

فترتفع العصي ملوحة في الهواء بحركة مهددة، ويقومون بحركة منسجمة مع الإيقاع بدق العصي بانحناءة في الأرض، فيتجهون بحركة سريعة لمواجهة الصف المقابل من الصفوف الخلفية، وقد اتجه نحوهم بنفس السرعة على نفس الإيقاع الصف الأمامي للصفوف الخلفية كإلتحام المتحاربين، في تناسق بديع رائع، وباستدارات عجيبة شجية أخاذة، وبحركات منسجمة متفاعلة مع الإيقاعات وحركة العصي باليدات، ثم العودة السريعة بنفس الحركة المنسجمة مع الإيقاع، ويخطو الصف الأمامي خطوات إلى الأمام والخلف بدورات قصيرة، بحركة تهزالمشاعر، مع إيقاع الهاجر والمراويس، وتنساب الأجسام متتبعة خطوات الأرجل والأيدي بتلقائية رائعة متوائمة مع الإيقاعات..حينها تتمايل الأجساد، وتتطاول الرقاب، وتتسع الإبتسامات على الشفاه، وترتفع العصي من جديد، ويشير صاحب الطلعة من جديد ليقوم اللاعبون بحركة ودورة قصيرة أشبه بالحلزونية مع وقع الأقدام بهمة الشباب في الأرض مكملة إيقاع الهاجر، ويواجه اللاعبون في الصف الأمامي، الصف الأمامي لصفوف االخلف، والعصي مسندة على الأكتاف، وتوجه وهي كذلك على الكتف إلى الأمام، وكأنها تحدد الضربة للعدو، ونفس الحركة يقوم بها الصف المقابل من الصفوف الخلفية..لوحة حربية في رقصة العدة-الشبواني-لايشك فيها من راقب الحركة من البداية مع الإيقاعات وتمعنها.

يلتقي الصفان بحركة مواجهة ويقفزان معا، ويفترقان بحركة خفيفة برشاقتها، ويوجهان أسلحتهما "العصي" إلى جهة بعضهم البعض، ويعودان

ليتواجها من جديد ويقفزان معا وتوجه العصي إلى الأمام، وثم إلى الخلف، ثم أشبه بغرزها في الأرض، وكل ذلك يتم بإيقاعات الطبول، ثم يستعد اللاعبون لقفزة خفيفة تصطك معها العصي في الأعلى، ويدور " لاعيبة" الصف الأول إلى الأمام حيث يتم التحرك، واستئناف المسيرة أو الرجز.

ربما تغيّر الوصف بعض الشيء، أو اختلف ترتيب السرد في البعض لأسباب تقتضيها ظروف مسيرة العدة من ناحية، كوقتها وموقعها، لكنها في كل الأحوال لا تتعدى هذه الحركات، وإن أضيفت لها حركة، أو حذفت حركة، فذاك مرهون بتفاعل وانسجام اللاعبين مع الإيقاعات واللحن المترنم به للشعر.

تبدأ مسيرة العدة، أو الرجز – كما قدمنا-من جديد، قد تتوقف مرة أو مرات أخرى لبيت من شاعر، أو"لكسرة" أخرى.. وهي في طريقها إلى "الساحة" أو "المدارة" بنفس النهج السابق المتناغم المتناسق مع الإيقاعات.. الهاجر والمراويس والطويس والدف، وربما كانت هناك هاجرين معا، وقد يتقدم العدة.. عشاق "العدة" من كبار السن يلوحون بعصيهم ويتمايلون مع "حنة" الهاجر، والكل مبتهج لايدع ابتسامة البهجة والحبورالغامرة من شفتيه، والكل تتمايل أجسادهم مع حركة الرأس واليدين بمسيرة رتيبة في انسجام متكامل مع الإيقاعات وحركة من اللاعبين موحدة، وأي إخلال من قبل "العدة" (الطبول) خاصة الهاجر يخل بتوازن وحركة الراقصين وتفاعلهم وانسجامهم مع الإيقاعات.

هذا هو الرجزأو رقصة العدة بعد تحديثها، وهو الرجز-العدة-إلى الشبواني، وقد كان الرجز بدون هذه الحركات وبدون مقدم الطلعة، وإنما مسيرة رجز-عدة-

بحركات متسقة مع الطبول تلك -بدون دف -وبإيقاع لا يتغيّر تقريبا، وإنما استحدثت تلك الحركات واستحداث مقدم "الطلعة" و"الكسرة" أو التطوير للرقصة في فترة من القرن الميلادي الماضي، وقيل إن أول من استحدثها "باحْجَر" من مدينة شبام، أما من أدخلها إلى رقصة العدة(الشبواني) إلى البلدة فهو عاشور سالم باشامخه، (مقدم الطلعة) ولم يفدنا أحد بمقدم طلعة قبله في البلدة.

وهكذا ينتهي الرجز إلى المدارة التي يقام عليها الشبواني حيث يأمرهم المقدم-أبو الحافة-"بالتنصورة" علامة التوقف أوالإنتهاء، فيجلس المشاركون في الرجز مكونين فرقتين متقابلتين وبعد راحة قصيرة تبدأ رقصة الشبواني.

ينتصب في وسط المدارة شخص أو شخصين من ذوي الأصوات الحسنة الشجية يدندنان ببيت من الشعر، بلحن خاص تدور عليه الرقصة في الشنف الشبواني، وغالبا ما يكون من بحر المثمون مثل:

با سين بسم الله بسم تريم هي ورجالها وبسم دمون الذي فيها الدحاميل الرجال[٣٧٦]

بعد أن يدندن المغنين بهذا اللحن، يصوّت أحدهم بأعلى صوته ومده قائلا:

"مرحيب يامرحيب" فيرد عليه من الفرقتين كل على حده: طيّب سوي كلام طيّب والا كب، والا كب.

ينتظم الرجال في صفين متقابلين من الكهول والشباب المجيدين لرقصة الفرق (الشبواني)..تتوسط الفرقتين في الجانب الأعلى العُدة..تضرب الطبول

(٣٧٦) بيت الشعر لصالح ربيع بالسود.

بإيقاع خاص معروف يتماشى مع اللحن للفرق، وكل صف يؤخذ شطر من البيت الذي دندن عليه المغنون، وبخطوة بالأرجل لليمين، وخطوة لليسار، ورقص بالأكف منسجمة مع إيقاع الهاجر، وقد ينسل اثنان من صف واحد أو من الصفين إلى وسط المدارة، يبدآن بقفزة معا، ويدوران في المدارة دورة رشيقة خفيفة متناسقة مع إيقاع الهاجر ينهيان ذلك بعد عدة دورات بقفزة معا.

ويشعر من يتوسط الفرقة في الصف بالتهيوء لحركة مباغتة فيهرولون من في الصف على إيقاعات الهاجر والطبول إلى واجهة الصف المقابل أقرب للالتحام به، ثم يعودون بحركات منسجمة بخطوات متوازية منحرفة لليمين واليسار وللخلف، وربما تابع البعض إيقاع الهاجر بالرقص بالأكف إلى أن يصل الموقع، حيث تتشابك الأيدي مع السواعد في الصف، وتستمرحركتهم تلك مع خطوات الأرجل المختلفة، وينحو نحوهم بعد هنيهة الصف الآخر، ويقوم بنفس الحركة.. ويتحرك الصف الأول من جديد بعد إن استقر الصفان في موقعهما وقد انفرجت الأكف، ولوحوا بها في الهواء متفاعلة ومنسجمة مع إيقاع الهاجر حتى قرب الالتحام بالصف الثاني، وبأسلوب العودة السابق، وهكذا إلى أن تختتم الرقصة، وهم يترنمون ببيت الشعر ذاك، في رقصة متوالية سريعة بالأكف، وينصّر، بـ "ولا كب..ولاكب."، وهذه رقصة الفرق أو الشبواني.

بعد الرقصة يقوم في وسط المدارة الاثنان من ذوي الأصوات الشجية الحسنة، وقد يلحقهما ثالث يقال له "الملقن" يكون صاحب حافظة قوية، وأكثر استيعابا لما يلقيه الشاعر في المدارة، ليلقنه للمغنين الذين يرددون ما يقف عليه

الشاعر من بيت.. يبدأ المغنون بالدندنة بلحن معروف، وقد شنف الحاضرين من الراقصين والمستمعين إذانهم للدندنه، ومتلهفين بلوعة لما يقوله الشاعر المجيد من شعر إرتجالي.. ينهض الشاعر، وأول من ينهض شاعر الحافة- إن وجد- ويبدأ بطرح شعره على المغنين، وفي الأغلب يبدأ بذكر الله والثناء عليه أو بالرجاء، ثم يثني بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والسلام على الحاضرين، والثناء لأصحاب المناسبة وأولياء الأمر. و...ثم يفصل.. أي يقول ذا فصل.

أو ذافصل والثاني ويحدد في الفصل وجهة نظره في الطرح، ثم يقوم شاعر آخر على نفس الوزن والقافيه، ويقول قوله، وربما شاطر الشاعر السابق وجهة نظره، وربما عارضه بوجهة نظر أخرى، ويقوم آخر، وآخر من الشعار، وواقع الشعار السابقين أن شعرهم إرتجالي في المدارة، يدور حول موضوع معيّن، بوجهة نظر الشاعر، أو وجهة نظر حافته.

وبما أن لكل شاعر وجهة نظر معينة خاصة به، وله إنتماء سواء لحافته، أو قبيلته، أو لولي الأمر، ولشاعر آخر وجهة نظر أخرى مغايرة تماما للأول، فقد يحدث خصام وجدل شعري إرتجالي في المدارة شيّق يعبر عن مشاعر الأنصار ممن حضروا واستمعوا، وقد يتحول هذا السجال الشعري إلى خصومة بين الأنصار، أو نقد عام لممارسات خاطئة، ولو بوجهة نظر الشاعر، وربما ادى مثل هذا الشعر إلى قطيعة، أو إلى حبس الشاعر، أو توقيفه من قول الشعر في المدارة. وربما كنى الشاعر ورمز بحيث يكون لقوله أكثر من معنى وتأويل، وأكثر من فهم عند من فهم القصد، أو ممن لم يفهمه.

ولشعّار ذلك الوقت رموز أشبه بالأحجية يعرفها من يعرفها، ويفسرها من أراد تفسيرها على فهمه، والمعنى-كما يقال في بطن الشاعر-، وقد أصبحت كثير من أبيات شعر قيلت في مدارة الشبواني، تناولها من تناولها من خاصة الناس وعامتهم على أنها رؤية استباقية لما سيحصل، أوأنها ترجمة صحيحة لما حصل في مرحلة، أو مراحل أخرى، ومن يتفاءل بقول، ومن يتشاءم من قول، وربما صادف قول الفأل أو الشؤم واقعا ما، ولو بعد حين، فقيل وقد قال الشاعر كذا.

ولهذا السجال أو المساجلة الارتجالية في المدارة، تعطى راحة للشعار برقصة الشبواني (الفرق)، وقد تتكرر راحة الشعار وتتكرر الرقصة مرات في تلك السمرة الليلية، وقد تستمر المساجلة إلى فجر اليوم الثاني.

وللأسف لم يعد لهذه الرقصة (الفرِق) من اللعبة وجود في كثير من فرق عدة الشبواني في الداخل، وهي أصل المسمى(الشبواني) وهي مازالت في بعض فرق عدة الشبواني في الساحل.

وبإلغاء الرقصة (الفرق) أو تجاوزها عند الكثير من الفرق في الداخل، تم استحداث المساجلة الشعرية الحالية، بأن يحضّركل شاعر قصيدة كاملة متكاملة، وفي نهايتها يطلب من الشاعر الذي بعده النهوض إلى المداره، فيثني الشاعر على أبيات من قبله، ويقول أبياتا بقافية الشاعر السابق، ويبدأ بعدئذ بفصل آخر بقصيدته أوطرحه، سواء باتفاق في وجهات النظرأو اختلاف، وهكذا، وربما تساجل الشعراء في نهاية المطاف مساجلة ارتجالية، لكنها تفتقد في أغلبها الحرارة التي تؤججها بأريحيتها وسجيتها تلك التي تأتي بتلقائية وببديهة سريعة حول

الموضوع الذي يناقش برمزيته، أو بوضوحه، وربما تشاءم البعض من قول، وتفاءل بعض آخرمن قول، لكن بفقدان تلك الميزة الأريحية التي كانت.

واللعبة أو الرقصة لم يكن لها وقت محدد، فقد كان الرجز مثلا مع عواد الوجهاء من السادة ظهر يومي العيدين، أو استقبال البعض من سفر، أو لمهمة عامة، وقد تكون من ضمن أفراح الزواج للبعض، ومرافقة "العريس" إلى بيت العروس أو غيره، وقد يكون في الصباح وقد يكون في الضحى أو بين الظهر والعصر، وقد يكون لريحه معروفة أو سرية بالمساء.

ورقصة الشبواني هي تاج المطالع للحويف ورونقها، وتتجمع عدة عدد في مطالع الحافة، أو بعض المناسبات الخاصة للحافة، وقد تقتصر بعض الحويف على المشاركة ببعض من شبابها المجيدين للرقصة.

وغني عن التعريف اليوم أن الرقصة انحصرت في مثل هذه المناسبات – تقريبا–في أوقات الريحه، والسريه، وما يعقبها من سمر للشعار.

٤– رقصات القنيص:

المعروف أن قناصة الوعل رياضة شتوية، أي أن برنامجها شتوي، وأن لهذه القناصة نظما وقوانين وتشريعات وعادات ورقصات، لمن أحب هذه الرياضة وعشقها واشترك فيها، ملتزما بكل أنظمتها وقوانينها وعاداتها، ورغم المعاناة التي يتكبدها القانص والتعب والصعود في الجبال، و الإنحدار في شحَرِها وشعابها وأوديتها، وقطع المسافات الطويلة مشياعلى الأقدام، في الليالي الشتوية

القارسة البرد الحالكة الظلام، إلا أن القانص يعد القناصة رياضة مهذبة للنفس وترويحا عنها، وإطراح لقسوة الحياة وهمومها، والإبتعاد عن مفاتن الدنيا وصخبها ورونقها، وان صيحة في شِعب وبرعة في هضبة جبل، متعة وبهجة، وترويح عن النفس لا يعدلها متعة، ولا يقاس ببهجتها مقياس مادي آخر.

ولقد تحدثنا عن القناصة في الجبل بما فيه الكفاية من قبل.

وفي مواقع مبياتهم في الجبل سواء كان موقع واحد كقنيص "الدرج"، أو أكثر من موقع كقنيص "حليمه"، يكوّنون حلقة يتوسطهم القصاد وصاحب الناي، فيدندن القصاد (المغني) على نغم الناي، وتبدأ الرقصة، أو البرعة من الرجال بحركات رشيقة متناسقة.. من ينشر خنجره، أو سكينه، ومن يحمل بندقيته، أو عصاته أو يلوح بكفه.. الكل بما يحمل ملوحا به يمينا وشمالا، وحملة الخناجر بحركة للأعلى وبخفضها إلى محاذاة البطن، بحركة متسارعة منسجمة مع حركة الأرجل ووقعها في الأرض الجبلية ولحن المغني وصدح الناي، وبين لحظة وأخرى تتم هوكة جماعية للراقصين مثل (نحن الأسود الغلابه.. كم من قبيلي كسرنا نابه).

وفي حالة صاد القناصة شيئا من الوعول، بقشعها الكبار، يبتهج القناصة ويزين السمر ويحلو، فتكون الرقصة أو البرعة بقشع الوعول، مع القصاد والناي(مدروف) في موقع المبات بفرحة غامرة، وسمرة رائعة، بتلويح الخناجر والسكاكين يمينا وشمالا في الهواء منسجمين منتشين متمايلين مع من يترنم بأشعار المعلم وغيره، ويتناوب الراقصون حمل القشع في سرور وجذل متناسين تعبهم ونصبهم.

وعند العودة..

يرسل أبو القنيص أو من ينوب عنه من الجبل ما يقال له "مبشّر" لمنصب القنيص، وأبو القنيص، هذا إذا لم يكونا مع القناصة، فإن كانوا أشعروا من المهتمين بالقناصة فأقعدتهم الشيخوخة أو استبقاهم عذر، وينشر الخبر في البلدة لإستقبال القناصة بجَمِيلتهم(الجميلة محصلة الصيد من الوعول)، دون ذكر للعدد، ولا اسم الصياد، فيهرع الناس لإستقبالهم في الوادي من الصباح الباكر موقع نزولهم من الجبل، ويتم إشعار أهل البلدة عامة من قبل حملة السلاح القناصة في هذا الصباح، بإطلاق الرصاص الكثيف من مواقع انحدارهم من الجبل إلى الوادي..وادي البلدة.. فيتجمع القناصة وقد استقبلهم أهل البلدة وغيرهم من عشاق القناصة، متشوقة في تلهف لرؤية قشع الوعول، وبالسؤال عن صحتهم، وعن الكيفية التي تم بها قنص الوعول ومواقعها...الخ. ثم تكون:

١- الدّخلّة:

تنتظم – في السابق-فرق ثلاث من القناصة..فرقة الرماة بالبنادق بزامل، وفرقة الظاهره، وهم رماة من غير القبائل، وفرقة حملة الشباك والطوع.. أما فرقة الرماة فتصطف حاملة بنادقها، بهيئتها ولبسها في الجبل.. كفرقتين في صف واحد..يعطيها الشاعر بيت شعر، لكل فرقة نصف البيت، وربما أعطى لكل فرقة بيت فيه تمجيد للقناصة أو واقعة مثيرة، وفرحة بالجميلة..ويردده الرجال بلهجة فيها اللكنة البدوية، وإن لم يكن من يرددها من سكان البدو، ويسير الموكب..موكب الزامل الزف..مرددا ما تلقاه من شعر مثل:

"ود القريزي حطها..عكاز ماتصلح نصب

والله ما اتعكّز بها.. لوكان في رجلي عصب"

ويتبارى الشعار في قول الشعر..

وتطلق الأعيرة النارية من البنادق بنوعياتها المختلفة وهي في ساحة الوادي، وتتوقف عن إطلاق النار عند دخولها مداخل البلدة.

ويتوقف الزامل في موقعه المحدد بتنصوره..

أما فرقة الظاهره فهي بالرجز أشبه، وترتجز بقول شاعر مثل:

"قال بداع القوافي ربنا خلاقها لي كلت شنه عليكم في الحقيقة ساقها"

أما حملة الشباك والطوع فتكون في الخلف، وهي الأكثر نشاطا وهمة برجزها وهي ترج الأرض بأقدامها المتحذية-كغيرها-بحذاء من الجلد من الصنع المحلي الخاص بالجبل.. مترنمة بشعر شاعر أو شعار تتبارى في القول عن القناصة والقناصين ومواقع القنص، فمن قول الشاعر في هذا الرجز:

"ريت عـزرائيل شـاور بانعـدل فـي الـحساب

نقصع أهله وربعه"والملك" هو"والكتاب"

وقد سبق أن أشرنا إلى هذا القول في (قناصة الوعل).

وهذه الفرقة -حملة الشباك والطوع -قد تكون من صفين أو أكثر، لها رجز خاص أشبه بخابة الرزيح، تعتمد على الصوت السريع المقتضب بتنهيدة غير مكتملة، مكملة الضرب على الأرض بالأرجل، والذي يردده المرتجزون وكأنهم في مطاردة وعل منحدرين معه في المنحدرات الجبلية، وعلى كتوف البعض

الشباك، بفردتين فردة من الشبك في الأمام على الصدر، والأخرى في الخلف على الظهر، والبعض الأخر حاملين الطوع، وقد تم ربط طوعتين أو أكثر بغزل قوي من صنو غزل الشبك. ويتقدم الصفوف حملة القشع يتقدمهم الأكبر، متناوبة البرعة في مقدمة صفوف الفرق الثلاث.. تسير الفرق الثلاث برجزها إلى شوارع البلدة، وقد تستقبل بالتحاجير(التعاييط) من قبل النساء في البيوت أوفي الشوارع، حتى موقع ومحلة المنصب، أو أبو القنيص حيث تتم الدخلة بالتنصورة لأهل الشباك..

"طوع لوشار الزهية نحن دمار الصيد المربعية..عيييو سو عيييو"

أو:

زايد وفينا الزايد شيخنا عقيل مطهر..عيييو سو عيييو

وهو ما يعني الإنتهاء، من "الدخله " لفرق القناصة الآتية من الجبل بهيئتها بالجميلة، فرق الزامل، والظاهره، وحملة الشباك ويعود الكل إلى بيوتهم.

في الوقت الأخير ألغيت فرقة الظاهرة، واندمجت مع حملة الشباك.

٢- الزف:

في صباح اليوم الثاني يكون "الزف".. يخرج القناصة وغير القناصة إلى الوادي برجزهم حاملين قشع الوعول.

وفي الوادي يصطف الرجال مترنمين باشعار الشعار في فرقة واحدة، مكونين حلقة كبيرة من الرجال وحملة القشع ببرعة وسجله (على قول المعلم)، ثم يتحركون برجز وإيقاعات الأرجل على الأرض إلى موقع محط حملة الزواد من الجمال أو الجمل من الجبل (والزواد هو ماتبقى من الزاد، وغالبا مايكون ما

فضل من التمرأو من فتيت خبز البر، ومن غطاء وفرش للقانص)، وفي الموقع تتكون حلقة كبيرة من الرجال تتوسطهم ساحة للبرعة على نغم الناي، أو المزمار.. يتبع القصاد نغم الناي، أو المزمار وتكون البرعة من الرجال من حملة قشع الوعول، والملوحين بخناجرهم أو سكاكينهم، في تناغم وانسجام مع اللحن والنغم وفي النهاية بالتنصورة المعروفة، ثم يحمل كل متاعه. (وهذه البرعة عند محط جمل الزواد قد انتهت منذ مدة).

وقد كان يوم الزف يوم مشهود، ويحضره الكثيرون من غير سكان البلدة، وهو يعد يوم عيد في البلدة، خاصة عندما تكون قشع الوعول كبيرة، فتكون في بعض البيوت ضيافات، ودعوات للكثير من خارج البلدة. (وكانوا لايزفون بالقشع الصغيرة).

٣- الريحه:

وفي العصر-في اليوم الثاني-تكون رقصة "الريحه"، وتبدأ الخابة أو الرجز من موقعها المحدد، سواء كان من تحت دار المنصب للقنيص أو"الأبو"، أو موقع آخر، ويتوجه المشاركون برجزهم وخابتهم، دون حمل عصاه أو طوع أو طبل، إلا حملة قشع الأوعال (الذكور) التي طليت بالسواد، وأوصلوا بين القرنين أجراسا صغيرة تعطي نغما مع تمايلها بيد الراقص، مترنمين:

نحمد الله الكريم لي على خلقه نعم غيثنا حنت رعوده فوق لصبار التحم

أو:

"شيخنا مولى الكثيب من اهترى به مايخيب"

برجز خفيف إلى وصولهم إلى الموقع الذي هيأ للريحه.

يجلس القصاد وصاحب الناي وأبو القنيص وعقال البلدة ووجهائها، ووجهاء البلدات الأخرى، وترص قشع الوعول قبالتهم، الأكبر ثم الذي يليه، ويبدأ صاحب الناي بنغم طويل متفق عليه مع القصاد، ويبدأ القصاد بالدندنة متبعا لحن الناي وبموال طويل لبعض الكلمات من بيت القصيدة، ثم يقلب الصوت مع تغيير نغمة الناي، وينهض الراقصون وحملة القشع إلى المدارة، ويصطف للبرع، أو الرقص، الشباب والكهول، ويسترسل المغني في التغني بصدى الناي المتناغم مع حركة الأرجل الضاربة للأرض التي انتظمت في المدارة.. حاملة قشع الوعول أو ناشرة خناجرها أولمشها، أو سكاكينها أوعصيها – لكبار السن- ملوحة بها في الهواء بحركات منسجمة متناسقة تدور في المدارة مع بعض، وقد تفترق فرقتين، ولكن في الأغلب أنها تكوّن حلقة من اللاعبين، يتناوبون البرع أو الرقص بحيث لا تختلي الحَلَبة، أي المدارة من اللاعبين، معتمدة في برعتها ورقصتها على إيقاع القصاد، وصدى الناي وضرب الرِّجل للقاع، والتلويح بما تحمله بيدها، أكان خنجرا أو غيره، وقد يتخلل الرقصة "البرعة" تنصورة جماعية من الراقصين: "احنا الغلابه كم من قبيلي كسرنا نابه والاسو عيييو"، ومع أن المغني أوالقصاد يغني بقصيدة من قصائد المعلم عبد الحق في الأغلب، التي تصف القنيص ومواقع القنص، وهي وإن كانت تبتدي قصائده ببني مغراة، إلا أن رقصة القنيص هذه تختلف عن رقصة بني مغراة في غير برعة القنيص.

وكان لهذه الرقصة مقطع لنعيش البقارة حيث يختلف اللحن قليلا، مواكبا حركة الرأس للنعيش، فينظم للحلبة أو المدارة بعض من ذوي الشعرالطويل المنسدل على الأكتاف، ليزيدوا الرقصة بهجة وروعة وفرحة.

وفي الزمن الأخير، ونظرا لعسيس الصيد-كما يقول المعلم-فربما مضت سنوات دون زف أو ريحه، أما نعيش البقارة فلم يعد هناك بقارة ولا نعاشه، كما أن الفرق الثلاث التي كانت، فقد أضحت فرقتين ولم يعد هناك فرقة الظاهرة ولا حملة شباك وطوع، ولابرعة عند الزواد.

وقيل إن القصاد (مغنين) كانوا يصطفون في موقع الريحه بحيث يصل عددهم إلى ستة قصاد أي مغنين يتناوبون القصيد، لكن لم يفدنا أحد بالعدد بأسمائهم، وعلى ذاكرة من ذكر من القصاد: عبيد أحمد باشعيوث، ومبارك سالم ربيحان، ورمضان سالم ربيحان، وصاحب الناي (المدروف) حسن أحمد الحامد، ثم مشارك من تريم (مختلف في اسمه)، ثم سالم بن صالح التميمي، ثم مبارك بن صالح التميمي، وحاليا سلمان شيخ باشعيب، وبعد وفاة القصاد رمضان سالم ربيحان – رحمه الله- غنى في الريحة أحمد(هود) عبدالله بامزروع غفر الله لجميع من توفى.

وفي الوقت الحاضر القصاد(المغني) من غير البلدة، ولم يتغنى بقصائد المعلم عبد الحق كما هو سالف القصاد من البلدة.

وغني عن التعريف أن هذه الرقصات قديمها وحديثها لاتتم إلا بحصول "الجميلة" من القنيص والوعول الذكور خاصة، إلا أن الرقصة بقيت في الجبل كعادتها بقنص شيء من الوعول أو على أمل القنص.

٥ – الظاهري:

هذه الرقصة، وتسمى "بالقطني" أيضا، ويقول إبن عبيد اللاه:" إنها لم تأت إلا من أرض الظاهره"(٣٧٧). وهي كانت–ولعلها مازالت لمن يطلبها–من تخصصات أفراح القبائل في الأغلب–بالنسبة لبلدتنا–، وليس لهذه الرقصة قصيد ولا تحضير، إنما يصطف اللاعبون أوالراقصون في دائرة وقد هيأ المزمّر(نافخ المزمار) مزماره قبالة ركن من اركان أي بيت أو خرابة قريبة من موقع الرقصة لأداء النغمات التي تتطلبها الرقصة، وللرقصة المصاحبة للمزمار هاجر ومرواسان، يزاولون الضرب مع النفخ في المزمار قياما وبحركات منسجمة مع الرقاصين، ومع أغلب الرقاصين مراقيص من الخشب للتصفيق بها أو بالأكف، فبنغماته المهيجة للشجون على تنوعها يبدأ الزمار" أو المزمر بالنفخ على مزماره ذي القصبتين بنفس طويل لا ينقطع، وفي فتحات قصبتي مزماره يسد بأنامله ما يسد، ويفتح ما يفتح، ليرسل النغم الشجي باللحن الذي يريد، وتتبعه العدة الأخرى من الهاجر والمراويس والرقص بالأكف والمراقيص الخشبية، وتضرب الأرجل بالأرض بقوة، وترتفع الأزر إلى ما فوق الركبة، وتسيل الأجساد بعرقها، وتتبلل الملابس بالعرق، وترى الراقصين سكارى من نشوة الرقص وما هم بسكارى.. وتجيء الراقصة..المرأة "المشترحة" من خلف الصفوف وتدخل المدارة وتدور دورة أو دورتين اعتياديتين، مستعرضة جسدها

(٣٧٧) بضائع التابوت جـ١ صـ١٠٩، هي اليوم من مديرية حوره وهي شرقي قعوضة إلى جهة الجنوب (إدام القوت صـ٢٣٥).

المغطاء بثوب أسود (ذيل وقدمه) في الغالب، ووجه مغطاء في الغالب وعينيها والجبهة مكشوفتين، وربما كشفت البعض عن وجهها كاملا، وقد سبقها للمدارة رجل لدورة منفصلة كإشارة للرقص مع "المشترحة"، ثم يقفان معا أمام المزمر والهاجروالطبول المشاركة، وبحركة رشيقة من الإثنين يتجهان إلى أسفل المدارة، ويعودان إلى أعلى بحركات متناسقة موحدة مع إيقاعات الهاجر ونغم المزمار، وبعد دورتين أو أكثر يأخذ الرجل بكفه، كف (يد) المشترحه (الزفانه)..تكون المشترحة مواجهة

للرجل، والرجل مواجها لها، أي حركتها الراقصة في مشيتها للأمام وهو مواجها لها بمشيته الراقصة للوراء، ويدوران معا في الحلبة أي المدارة دورات، في انسجام وتناسق مع الإيقاعات، ويأخذ الدورغيره، والراقصون يحفون بهما من خلفهما بحركات أقرب للبهلوانية، إلا أنها في انسجام مع الإيقاعات، وقد يقوم الراقصون بحركات شهوانية أخرى مع المشترحة، وبكلمات شرحية غير محترمة، دون اللمس، وقد يصوت اللاعبون أو الراقصون معا بمقطع من كلمات لقصيدة شعبية مغناة، وهذه الرقصة المسماه بالظاهري أو القطني، وإن كانت من الرقصات التي كانت في مرحلة هي المستحوذة على أفراح القبائل، إلا أن طاقمها من غير البلدة، بأستثناء من أجاد ضرب الهاجر من البلدة كرمضان محمد بامزروع في بعضها، والمزمر لها مبارك سعيد (زوعه) الجابري في البعض أيضا.

غير أن هناك تغييرا في لبس المشترحات في الوقت الحاضر، ربما تبعا للزمن فالمشترحات وأزيائهن تبعا للعصر والموقع، فلم يعد اللبس الأسود، وإنما تشكلت

الألوان، وازدانت النقاب "بالهذابيل"(أذبال بعثاكيلها) المنسدلة في أطرافها بألوانها المتعددة، أضافة إلى الأجراس الصغيرة في الحزام الفضي، وغير ذلك من مكياج لما انكشف من الوجه.

٦ – الزربادي:

من عرّف لعبة الزربادي، قال:" لعل الإسم أتى من واضع بعض أصواتها، ويسمى زربادي"[٣٧٨]، ويقول السيّد أحمد بن ضياء:" كانت فرقة الزربادي موقعها بالغرفة، ومن أراد الفرقة (فرقة الزربادي) يطلبها من الغرفة."[٣٧٩]، ثم انتقلت إلى سيون بتكوين فرقة آل باصالح للزربادي، وتسمت فرقة "البطيق" أيضا، بعدئذ تكونت فرق أخرى للعبة في المدن والقرى، وعلى ما قيل عنها فإن انتشارها حديث عهد.

وتتكون الفرقة من صاحب ناي، وهاجر، واثنين مراويس والثالث أقل طولا في حجمه من المراويس يقال له "مرفع".

ولعل لعبة الزربادي هي التي كانت-ومازالت رغم المستجدات-اللعبة التي تحيي أغلب الأفراح لكل الشرائح الطبقية في البلدة وغيرها من البلدات المجاورة، أو مع غيرها.

تبدأ الفرقة أول ما تبدأ بتحديد القصيدة ولحنها مع صاحب الناي، حيث يرسل الناي نغماته الشجية للحن القصيدة المطلوبة، ثم يضرب صاحب الهاجر

(٣٧٨) العيدروس: الألعاب في مدينة تريم صـ١٩.

(٣٧٩) بن ضياء: عادات بادت صـ ٤٩.

هاجره وتتبعه المراويس، ويشدو بأبيات القصيدة المطلوبة، سواء كان المغني صاحب الهاجر، أو غيره من طاقم الفرقة، أو بصوت جماعي، وهوالأغلب في الأغاني أو القصائد الإبتهالية أو الصوفية القديمة. وينهض من الراقصين اثنين أو ثلاثة يدورون بحركاتهم- رتيبة كانت أو سريعة- على إيقاع الهاجر والمراويس طلوعا ونزولا في المدارة، بحركات متناسقة رشيقة لطيفة فيها القفز وفيها الدورات، وفيها الإنحناءات، وهذه الحركات تبع لإيقاع العدة(الطبول)، وفيها أيضا التنوع لنوعية الرقصة أو"الزفين"، فما يقال له "مدخل"، "ومخرج"، وما يقال له "معلوي" "وحدري" "وموزعي" "وكويتي" وغيره، ولقد تفنن أصحاب الفرق في اختيار قصائد الغناء الحديثة المغناة من قبل الفنانين المحليين وغيرهم، ليواكبوا الرغبة للاعبين والمستمعين، كما نهجت الفرق المتعددة للزربادي، نهج لعبة بني "مغراه" مثلا، أو الرقص "اللحجي" أو "المهري" أو"الشرحي" وغير ذلك لتحقيق رغبات اللاعبين.

وفي الغالب تنتهي الرقصة، برقصة الحناءعلى العريس، بشل جماعي وهي في السابق:

"حنوله غلب مايحني" وفي الوقت الحاضر:"طاب ليلك ياعريس". ولكل شل أبيات تقال.

وفي البلدة تكونت فرق قديمة وحديثة لهذه اللعبة، إلا انها سرعان ما تنتهي لأسباب كثيرة، في مقدمتها "الشته" أي الهجرة لطلب لقمة العيش، وعدم استقرارأفرادها في البلدة.

وقد تكونت فرقة الزربادي الأولى قبل أكثر من سبعة عقود- وفق المصادر التي لم تذكر فرقة قبلها- وهي من:

- السيّد: حسن بن أحمد بن عقيل الحامد.
- صالح سالم بامزروع.
- محمد عوض بامزروع.
- أحمد بن عوض (المصب) التميمي.
- علي عوض بامزروع.

وتكملة للفرقة من الزفانين الراقصين للعبة، وربما حل البعض محل البعض في ضرب بعض الطبول مثل: محمد سالم ربيحان، ومحمد سعيد ربيحان، وعبيد سالم بامؤمن، وشيخ بن سلمان باشعيب وغيرهم.

فالعهد بهم وبفرقتهم قديم، والذاكرة لكبار السن تمحي خاصة المسنين الذين عاصروا الفرقة.

ولهذه الفرقة طرفة يرويها كبار السن، ونقلها البعض عن من قبلهم من المسنين، بحيث يغلب على الحادثة- الطرفة- غير المألوفة وقوعها، "قيل إن هذه الفرقة، اتخذت لها موقعا في مسجد جامع مشهور، في ليلة حالكة الظلام، بعد أن أحيت سمرة في مكان ما، ونفخ صاحب الناي في نايه، وضرب(فقع) اصحاب الطبول طبولهم، وترنموا بالنشيد أو القصيد الذي يأتون به في المناسبات الأخرى، واختلف فهم السامعين الذين كانوا متجهين للمسجد في الربع الأخير من الليل، فمن قائل أنهم الملائكة، ومن قال إنهم البركين(من الجن) في المسجد يضربون دفوفهم، وتخوف البعض من الدخول إلى المسجد، لكن من عرفهم واستنكر فعلتهم وأراد عقابهم على جرأتهم بالطبول في المسجد، وقيل- أيضا- إن

أحد الوجهاء تدخل وقال دعوهم، فإنما هي صبوة شباب. ويبرر البعض بما فعلوه هؤلاء بأنه كان ذِكْرا مثل ذكر خدام السقاف بطبولهم ونايهم في داخل المسجد.

أما الفرقة الثانية تأسست في سبعينيات القرن الميلادي الماضي من:

- سعيّد مبارك ربيحان(المبسوط). - كرامه عمر حيمد سعد.
- صالح سعيد باعديل. - عمرعبيد ربيحان.
- أحمد فرج ربيحان، سالم فرج ربيحان.

وقد أحيت الفرقتين في وقتيهما سمر أفراح داخل البلدة وخارجها. وانتهت الفرقة بنفس الأسباب والمبررات السابقة، وهي "الشتة" خارج البلدة بحثا عن عمل، أو الهجرة.

ومن يحييها في البلدة اليوم هي من فرق مدينة تريم، بتنوعها.

٧ - قـفـزان:

القفزان لعبة أو رقصة مسروقة من رقصتي الظاهري ومن بني مغراة، وهي رقصة، إن كانت قديمة، أو حديثة، باسم مبدعها – قفزان–فإنما استحدث فيها–كما أعتقد–مالم يكن في سابقتها، وذلك في مرحلة معينة من أواخر القرن الميلادي الماضي، استهوت الكثير من الراقصين، والكثير من أصحاب الأفراح، وطغت على بقية الألعاب أو الرقصات الأخرى عند بعض الشرائح أو أجلها في تلك المرحلة.

تتكون الفرقة من مغن وصاحب مزمار وهاجر ومرواسين ودف.. أشبه بعدة الظاهري، إلا أن الفرقة في هيئة جلوس بني مغراة، وأقرب إلى إيقاعاتها،

ويبدأ المزمر بمزماره مرددا نغما للأغنية المطلوبة، و تمديد نغم المزمار حينا، ويبدأ صاحب الهاجر بالضرب على هاجره بإيقاع أشبه بإيقاع بني مغراة إلا أنه أ سرع، ويتغنى المغني أكانت امرأة أو فتى بأغنية شرحيه تتوافق مع الرقصة، وتدخل الراقصة أو المشترحة- غير المغنية- إلى المدارة وتدور لحالها، ثم تبدأ رقصتها بالدوران مع رجل جنبا إلى جنب، بحركات راقصة غير محترمة، وربما رافقهما من الراقصين اثنين أو أربعة يقومون بحركات راقصة فاحشة، وبإثارة من الراقصة بحركات تكسّر فاضح أكثر فحشا وتهتكا، وهو الإستحداث في الرقصة.

ومع أن هذه الرقصة، لم تؤسس لها فرقة في البلدة، إلا أن من أبناء البلدة من شارك سواء بالغناء أو بالطبول، وتفنن الكثير من أبناء البلدة في رقصتها، وهذه الرقصة لم يكتب لها الاستمرار في أفراح أهل البلدة، وانتهت من البلدة بانتهاء مرحلتها.

٨ - المخدرة:

لم تكن هذه التسمية من التراث الشعبي في شيء، لكن ربما لأن الموسيقى تخدر الجسم بتأثيرها على حواس الإنسان وعاطفته، وربما انتشى مما يسمع فغاب عن وعيه، أوانسجم في شبه غفلة عما حوله من سماعه وتفاعله مع النغم أو الصوت الحسن والكلمة المعبرة الرقيقة، فكانت التسمية..وهو مجرد إفتراض.

وإذا كان الغناء والتغني والطرب عامة وآلاته قديم في المجتمعات الإنسانية إلا أن التشكيلة الجديدة أو الطاقم الذي يضم مسرح المخدرة، ربما هو الجديد في شكله المتطور - نسبيا- في المجتمع الحديث، وهو منقول عن الغير، وسواء تم

النقل من الساحل أو من بعض مدن الداخل أو من الخارج، فهو قد استهوى الكثير ممن يحي أفراح زواجه، ومن يهوى السماع للأغاني بأنغامها وبإيقاعاتها، ويتكون طاقم المخدرة من صاحب العود، والربابة والطبل والناي والمزمار وغيرها من الآلات الموسيقية الرائعة التي تتجدد وتتنوع في نغماتها، وتستبدل بغيرها من الآلات الالكترونية وآلات النفخ الأخرى، ولخصائص الصوت الحسن والمنسجم مع النغم الصادر من الآلة، والكلمة الملحنة المعبرة عن العواطف والإحساسات لها وقع خاص يرتاح الإنسان لسماعه ويتفاعل معه. وقد يكون الصوت وحده مؤثرا قويا يغني عن بعض الآلات الموسيقية في حالات من الغناء، كأغاني الدان –مثلا–.

وأغاني المخادر–هنا–في أغلبها أغان قد غناها مشاهير الفنانين القدماء أو المعاصرين.. قلدهم كثير من فناني المخادر، سواء بصوته، أو بالصوت مع شيء من الآلات، أو ركب لحنا من الألحان المعروفة لقصيدة أخرى في وزن تلك القصيدة، ويبدأ الفنان في غالب المخادر بقصيدة مغناة من التراث.

وقد رافق المخادر والغناء فرق للرقص..سواء الرقص بالأكف، أو "الزفين" على الأنغام المنسابة من تلك الآلات الموسيقية بألحانها المعروفة والتي يقال لها " شرحيه"، وهي في الغالب تؤدي رقصا "لحجيا" أوغيره من الرقصات المستحدثة، وربما اخترع الراقصون رقصات هي خليط من عدة رقصات تراثية أو أجنبية.

وتتوج هذه المخادر برقصة الحناء للعريس(الكلان) حيث تخصص الفرقة لحنا ونغما خاصا للمناسبة..مناسبة الحناء.. فتعزف الموسيقى بآلاتها المتنوعة وبالنغم

والصوت والكلمات المعبرة والممجدة "للعريس" بحيث يتحول فيه الأقربون والأصدقاء "للعريس" والمتفرجون إلى فريق متكامل بدائرة واسعة تحف به، راقصة بالأكف، متمايلة مع النغم.. هاتفة مرددة الأهازيج والأغاني من الفرقة بحماس وفرحة، وتنوع في الرقص بتنوع اللحن والقصيد إلى ساعة متأخرة من الليل.

ومع أنه لم تتكون فرقة كاملة "لمخدرة" من البلدة، إلا أن المشاركين في المخادر من أبناء البلدة بتنوع اختصاصاتهم الموسيقية، وكذا الفنانين والمشاركين في الغناء من الهواة، لا يكاد يغيب أيا منهم عن تلك المخادر في البلدة.

في الوقت الأخير استحدثت آلات "للمخادر"، وغيبت آلات أخرى، وذلك بتنوع الفرق وانتماءاتها، وبقيت البعض على ماهي عليه من آلاتها القديمة، ولأصحاب الأفراح التي تقام أذواق وأمزجة، وربما انتماءات ما، مما أوجد تلك الفرق المتعددة.

٤- الألعاب التراثية اليدوية:

١- الألعاب اليدوية للكبار

هناك ألعاب يمارسها الرجال والشباب والأطفال، وكذا الفتيات، غير تلك الألعاب الرياضية التي تمارس من ضمن أنشطة النادي ككرة القدم وغيرها، وهناك ألعاب أخرى غير الألعاب الشعبية التي تمارس من قبل رجال الحافة وبعض الشرائح الاجتماعية، وقد تحدثنا عنها مثل "الشبواني" "والرزيح ""وبني مغراه" وغيرها.

وثمة ألعاب أخرى تمارس وقت الفراغ، والبعض لها أوقات معينة في السنة، والبعض بدون تحديد، والبعض منها يعتمد على الدراية والفكر، والبعض على القوة العضلية واللياقة البدنية للاعب، والبعض لقوة ملاحظة اللاعب، وأخرى تعتمد بالدرجة الأولى على حظ اللاعب.

١ – لعبة الورقة (الترب):

ومن ضمن الألعاب التي تمارس: "الورقة" وننطقها حينا "باليكّه" وحينا "بالشاليشه"، أو"القِراطة" أو "الكوتشينه"، ولعبة التُّرب (حسب التسمية المعروفة في البلدة) وكانت لها رجالها الحذاق في إدارة لعبها، كما أن لها أنصارا بحماس قوي متجدد، وكان للاعبيها الذين يتناوبون اللعب أنصار وخصوم.. يحتدم الشجار والخصام بين اللاعبين، فيحتدم الشجار والخصام مع الأنصار والخصوم، كان ذلك وهم يلعبون لعبة"الترب" بالورقة، واللعبة تتكون من فريقين كل فريق ثلاثة أو أربعة أشخاص..تضرب القرعة في من يأخذ الورقة ويوزعها على أعضاء الفريقين، ويبدأ السؤال من يوزع الورق على من يليه من اليمين ويكون من خصومه، واللعبة معروفة ولها حساباتها وتكهناتها، وقد يهيمن على اللعبة السكون والهدوء، فلا تسمع إلا وقع الورق في الأرض، والكل يفكر أو يخمن، أو يلقي نظرة تعجّب للوفاق أو الإتفاق والمرونة في اللعب، لكن خطأ من بعض اللاعبين في اللعبة، قد يهيج بعضهم ويمزق السكون والهدوء، وتتعالى صيحات الغضب والشتيمة، وقد يفقد بعض أعضاء فريق المخطىء أعصابه، فيرمي الورق ويصرخ، وربما بطش بيده، وهكذا تزداد ضراوة اللعب

وحماس المشجعين، وتحدي المنتصر، وبعد اكتمال الرقم للعدد الذي يصل إلى الثلاثين أو الواحد والثلاثين، فتكون "الهوكة" على المهزوم، ويخرج الفريق المهزوم من اللعبة منكسرا، ويقال لحصيلة الهزيمة "كوت" للمهزوم، وككل مهزوم يحاول تبرير هزيمته بشيء آخر. وتحل فرقة أخرى محل الفرقة المهزومة، وهكذا.

وهذه اللعبة لعبها الكثير من الشباب والكهول والشيوخ أيضا، وليس لها وقت محدد أو موقع خاص، فقد يلعبها كثير من الناس في الشارع عصرا، أو في ترويحية عصرية لموقع ما في البلدة، وربما لعبها البعض في الصباح إلى الظهر، سواء في أحد البيوت، أو عند بعض الحرفيين، أو في المنتزهات والمنادر، إلا أنها كانت أكثر ما تكون وتلعب بتعدد الفرق "والبشكات" للعبها في ليالي شهر رمضان، حيث يستمر لاعبوها من بعد أداء صلاة التراويح في المسجد، حتى وقت السحور، وببرنامج لكل "بشكة" أو "شلة" أو فريق للسمرمن مجيدين اللعبة كل ليلة في بيت أحد من أفراد "البشكة" بالتناوب طيلة الشهر.

وبما أن للعبة ولاعبيها أنصارا وخصوما، فتراهم في مجالسهم يتحدثون عن هزيمة الفريق، وعن الخطأ الذي ارتكبه اللاعب، وعن تلافي الخطأ من قبل لاعب آخر، وهو ما يحصل مع أنصار الفرق الرياضية اليوم.

ومع أن هناك لعب أخرى بالورقة غير "الترب"، قد يلعبها الشباب، وحتى العجائز والشابات والأطفال في البيوت للتسلية وتمضية الوقت. إلا أن لعبة "الترب" هذه استحوذت على الكل تقريبا في وقت من الأوقات.

ولعل في بعض لعبها الممنوع أو المشبوه، لما يتخلل اللعب من رهان وغيره، إلا ان هيمنة لعبة "الترب" بالورقة وخلوها من المشبوه والممنوع، هوالذي جعل اللعبة في الصدارة، وألعاب أخرى بالورقة، مثل "التربين"، و"الـ ١٤٨"، و "كن كان" وغيرها، وشهرة تلك الألعاب محدودة.

واللعبة – الترب–في الزمن الأخير تلاشت من المجالس ومن اللعب بها، سواء في شهر رمضان أو في غير شهر رمضان. وربما بقيت لعبة بالورق مع من يلعبها كالأطفال أو الفتيات في البيوت.

٢– لعبة الكنستا:

ادخلت للبلدة لعبة بالورقة حديثة تسمى "الكنستا" أو الكنستة"، وأدخلها للبلدة علي بن حسن التميمي، ومصدرها–حسب تعريفه لنا–عندما كان في السجن المركزي بالمكلا مع المتهمين بلا تهم، سواء المسئولين السابقين في السلطنة القعيطية، أو المصنفين ككهنوت واقطاع، ويمين رجعي...الخ تلك التسميات في مرحلة الثورة الديمقراطية.

فكان يلعبها من حذق اللعبة من المسجونين، وتعلمها غيرهم، فكانت مبعث تمضية وقت، أو قتل الوقت–على حد تعبيرنا–.

ومن بعد تعلمها نخبة من ابناء البلدة والمدينة، استحوذت على كل لعبة بالورقة في حينها، وكان لها برنامجها الأسبوعي في اللعب والموقع. وتولع بها محبيها ولا عبيها، وتكونت للعبة أنصار وخصوم وجدل حول مسارها.

واللعبة تتكون من مجموعتين من ورق "الكوتشينة" (١٠٨ ورقة). وتوزع على اللاعبين، ولها حساباتها، واحتساب مفردات الورق.

واللعبة افتقدت في المدة الأخيرة لاعبيها وانصارها.

٣- لعبة الـطـيبان:

وهي -أي الطيبان- من عود سعف النخيل البالغ، اذ تقطع من العود أربعة طيبان (أعواد) صغيرة لا يتجاوز طولها في حدود ٢٥/ ٢٨سم وعرضها ١سم بالتقريب، وتملّس، وبمقاس واحد، واللعبة من فريقين، والفريق قد يكون مكونا من شخص أو اثنين أو أكثر، وقبل بداية اللعب ترسم على الأرض الصلبة مربعات بفحم أسود عدد ٣٠ مربعا، لكل فريق اثنا عشر مربعا، ويبقى الوسط بستة مربعات فارغة.. يختار كل فريق نوع خاص من الحصى الصغير، والآخر نوى التمر – مثلا- أوغير ذلك، يكون بإختلاف اختيار الفريقين، ويضع كل فريق في مربعاته بما اختاره، وقبل بدء اللعب تضرب القرعة، والقرعة في هذه الحالة، يلتقط أحد اللاعبين ثلاث حصوات صغيرة أوغيرها كنوى التمر مثلا، ويختفي بها عن الأعين يضع في كف يده واحدة أواثنتين، ويطبق عليها أنامله، ويقول للاعب "خس" أو "تم"، والخس تعني واحدة، والتم تعني اثنتين، فإن قال اللاعب "خس" وفتح كفه ووجد حصوه واحده- خس- بدأ اللعب، وإن وجدها اثنتين بدأ اللعب الآخر، أو قال "تم" ووجدها اثنتين بدأ اللعب. ويبدأ اللعب بحركة يد اللاعب بإدارة الطيبان ومساواة أجزائها وتقليبها في

يده ورفعها في الهواء، يكرر ذلك مرات ثم يرمي بها إلى الأرض، فإذا برزت العيدان كلهاعلى الوجه قيل "عربية"، ويعاود اللعب، فإن انكفأت الطيبان على الظهر قيل "ست"، وإن برز أحد الطيبان على وجهه قيل "ولد"، وإن وقف طاب على حرفه أعيد رفعه في الهواء وعلى مسقطه يحتسب وفق وضعيته الأخيرة، وإن برزت اثنتان على وجهها قيل مات، فينتقل اللعب للفريق الآخر، وتتنقل الأحجار في المربعات الفارغة أولا، حسب ما تمليه الطيبان "عربية" ٤ "ست "٦" "ولد" " واحد١" "ثلاثة ٣"، وبتنقل القطع في المربعات سواء في الموقع العام، أو موقع الخصم، وتحصد ما يقابلها في طريقها من قطع الخصم وهكذا إلى النهاية، وفي النهاية كان يشترط في اللعب الضرب للمهزوم بطاب أو بغيره، ولمدة يقررها المنتصر، كجولة لأحد اللاعبين إلى مكان معيّن، يعينه المنتصر، ويستمر الضرب حتى رجوعه.

واللعبة كما ترى هي لعبة حظ تقريبا، وكانت هذه اللعبة أكثر ما يستحر لعبها وينتشر في الأزقة في عصر شهر رمضان، وقد انقرضت تماما.

٤- لعبة الضمنة:

وهي لعبة حديثة – نسبيا- أدخلت للبلدة في وقت متأخر..هي لعبة "الضمنه" أو "الدومنه" وهي لعبة لها حساباتها وحدسها، وقد استمكنت من الكثير واستحوذت في الزمن الأخير على كل لعبة كانت يزاولها سواء من الشباب أو الشيوخ، وتطوى في لعبها الساعات دون ملل، ولها لاعبوها

بإحتراف تقريبا وبحماس ووله، وهي التي حلت محل أغلب الألعاب التي كانت، وللاعبيها أماكن متعددة في مواقع مختلفة من البلدة تضم المحترفين والمناصرين والمتفرجين، ولهم نظام في تناوب اللعبة ليحل لاعب جديد محل اللاعب المنهزم وأضحت اللعبة معشوقة أصحاب المنادر أو التجمعات الأخرى كل في موقعه، وقد يمكث اللاعب في لعب الضمنة ساعات أربع أو خمس متواصلة تقريبا دون ملل.

وقيل إنها أدخلت إلى البيوت لتلعبها الفتيات باقتدار في حساباتها وحدسها الذي لا يخيب وبحماس لا يقل عن حماس الشباب والشيوخ.

وبما ان للعبة حساباتها وحدسها الذي لايخيب عند البعض، فقد يخطيء صاحب الحدس، ويخطيء في الحساب ويخسر اللعبة من لم يخسرها في أكثر لعبه، فترى الصخب واللوم من العضو الآخر والحشود من المتفرجين، وتستثير في المنهزم الانتقام من الخصم في لعبة أخرى ولو بعد حين.

٢- الألعاب اليدوية للصغار:

١- الـصـواب

ويقال له "الشادوف"، وهو من أعمال وصنع النجار، وهو من خشب الإثل أو العلب(السدر)، ويشكل بتشكيلة مخروطية ومدببه وفي نهايته مسمار مثبت وربما جعل له النجار لونين أحمر وأبيض من خشب السدر، ويعمل للبعض أيضا ثقبا صغيرا في أعلاه متصلا بثقب مثله في جانبه ليكون لدورانه صوت مميّز

"كالشنشنة"، يلف اللاعب "الصواب" بخيط من الغزل المفتول إلى نصفه أو أكثر قليلا، ثم يطلقه اللاعب بحركة من اليد متوازية للرمي فيدور الصوب بهمة "وهمهمة" وربما "شنشنة" إلى أن يتم دورته، ويتم اللعب مع الآخر أو الآخرين بتجميع أكثر من صوب على عدد اللاعبين في دائرة يخطها على الأرض اللاعبين، ويرمي اللاعب صوبه باتجاه ما يختاره من صوب في الدائرة فإن أصابه وأخرجه من الدائرة أصبح من حقه وهكذا.

وقد يأخذ اللاعب الصوب من دورته في الأرض بحمله بالخيط المغزل ويتم الصوب دورته في راحة يد اللاعب.

ومازال الشادوف أو الصوب مع الأطفال لكن بدون لعبته.

٢- الكعارير:

"الكعرورة" أشبه بالكرة الصغيرة جدا من الحجر، وكان موقع تواجدها بالنسبة للبلدة، في الناحية الشمالية الشرقية قبيل الوصول إلى منطقة "الغبرة" في هضبة الجبل الشمالي، حيث كان يوجد منها الكثير بأحجام مختلفة، وفي طفولتنا كنا نرتاد ذلك الموقع بحثا عن "الكعارير" الحجرية فنجد الصغيرة والكبيرة، والملتصقة مع مثيلتها، وقد يوجد منها في اماكن جبلية في غيرهذا الموقع، لكن المعول عليه في صغرنا هو هذا المكان، والبحث عنها يتطلب الطلوع والنزول، ورفع بعض الأحجار، وقد أضحى الموقع-اليوم-مخططا سكنيا.

أما طريقة اللعب بها، فعلى اللاعبين قبل البدء باللعب هو حفر حفرة على بعد حوالي ثلاثة أمتار أو أقل قليلا، من موقع الرمي، وتوضع له إشارة من حجر أو خط على الأرض، ويبدأ اللعب بضرب القرعة من يكون اللاعب الأول، ثم الذي يليه وهكذا، ويبدأ رمي "الكعرورة" من كل لاعب "بكعرورته" من المسافة المحددة حسب الإشارة إلى الحفرة، فالذي يضع "كعرورته" في الحفرة، أو الأقرب منها إلى الحفرة، وذلك بتحديد الأقرب مسافة ذرعا "بالشبر"، يقوم هذا اللاعب برمي بقية الكعارير كل على حدة، حتى يبعدها عن الحفرة واذا أخطأ في اصابة أحد الكعارير، يتوقف عن اللعب، وإن أبعدها كلها ترمى الكعارير مرة أخرى.

٣- القِلِــة:

القِلِه، أو لعبة القله يمارسها أكثر من شخص، والقله عبارة عن عود قوي من سعف النخل أو من غيره في حجمه، بطول في حدود ستين سم تزيد قليلا أو تنقص، وعود آخرصغير بطول عشرين سم أو أقل قليلا، ويوضع في مقدمة ساحة اللعب ما يقال له "مد" من حجر يرتكز على الأرض، ويتقدم اللاعب حامل العود إلى جنب "المد"، ثم يضرب العود الصغير بالعود الكبير، وهو في الأرض حتى يرتفع في الهواء ثم يضربه بالعود الكبير الذي يحمله ويدفع العود الصغير بقوته باتجاه اللاعبين، فإن تلقفه أحد منهم بيده فمعناه غلب اللاعب و"قتله"، أي أوقفه عن اللعبة، وتحول مكانه، إن كانت اللعبة من شخصين، وإن

كانوا أكثر فيجلس "المقتول" دون لعب، حتى تتم اللعبة بنصر فريقه أو هزيمته، حيث يعاود اللعب من جديد، وإن لم يتلقفه أحدهم رمى كل واحد من اللاعبين العود الصغير نحو الهدف "المد"، فإن أصابه يأخذ محل الأول لكونه المنتصر، وإن لم يصبه أحدهم، فيخط لكل من رمى العود نحو المد خطا، وتحتسب المسافة للرامي، ويستمر اللعب ويعد الفائز في اللعبة من حصل على الرقم الأكبر.

٤- عِـظِـيـم لي سرا:

هذه اللعبة يبدأ زمنها من مساء التاسع من شهر محرم، وقد تستمر طوال الشهر أو أقل منه، لكون مدار اللعبة على عظمي "ساق" "وساعد" رأس الغنم المذبوح في عيد الإضحى، حيث تحتفظ الأسر"بالكرعان" (والكراع معروف)، وذلك لتكون من ضمن وجبة يوم التاسع من شهر المحرم(تاسوعا) ويتم طبخه مع الدجر، ويحتفظ الأطفال بالعظم (الكراع) إلى المساء، فيتجمع ثلة منهم، وكل واحد معه من تلك العظام (العظمان) عدد لابأس به، ويقيمون "مدا" وربما قيل له "شوع"، وهو في الغالب من حجر مستطيل منتصب في الأرض، ويبدأ اللاعب من جانبه حيث يلمس العظم "بالمد" مرات، قائلا بصوت أقرب للصريخ:" عِظِييييم لي سرا.. فيرد اللاعبون بعد أن تهيئوا وكل أخذ موقعا معينا لاستقبال العظم:"عِظّم لبوه"..فيرمي العظم بكل قوته ليصل إلى ابعد مسافة، وربما لأقصر مسافة، وبما أن اللعبة ليلية وغالبا ما تكون في زقاق ضيق، ومع أن تلك الليالي من الليالي المقمرة إلا أن العظم ورؤيته المشابهة للتراب وفي ليل،

يضيع في الزقاق فيظل اللاعبون يبحثون عنه، ومن وجده مع البحث لا يظهره ولا يشعر غيره، وربما هال عليه التراب أو أخذه خلسة ووضعه في ثبانه، ويتحيّن الفرصة المناسبة للوصول إلى عند المد(الشوع) فيعتبر العظم غنيمة، وإن شعر به الآخرون صارعوه وأوقفوه وحاولوا أخذ العظم منه، ومن يأخذه يجري له ما جرى لغيره، ولا يفوز بالوصول إلى "المد" إلا المخادع أو القوي، وكثيرا ما يكون العظم مع أحدهم وهو يبحث معهم، ويناوش ويسير سيرا بطيئا، ويتوقف للبحث وإذا قارب "المد" هرول ومس "المد". لكن إن رمى اللاعب "العظم"، وتلقفه أحد اللاعبين بيديه، فيكون من نصيبه، ويحل محل اللاعب الرامي.

وقد يحصل اللاعب على الكثير من العظام تلك في ليلته، سواء ممن لقفه بيده أو وصل بالعظم إلى الشوع بسلام. ويتباهى بعد انتهاء اللعب بالعظام فيرصها رصا مزدوجا كالمبنى، ولم يعد لهذه اللعبة ذكر إلا في ذاكرة كبار السن.

٥- ريس بيد:

قبل اللعبة، يجب التحضير لها، والتحضير هو: عمل كرة أو عدة كرات من بقايا الثياب القديمة، تدوّر كالكرة بمسكة اليد، وتحاك بغزل مفتول بتكوين مربعات صغيرة في دائرة الكرة، بحيث تحفظها من التمزق والتناثر في وقت اللعب. ثم ينصب "مد" أي "علم" كالهدف من قصعة يتم خسفها، أو قطعة خشب بطول ٢٥سم وعرض١٦سم وهي أرقام تقريبية افتراضية، قد تزيد أو تقصر، واللعبة من فريقين..الفريق اللاعب، والفريق الخصم المهاجم..أما

الفريق الخصم فهجومه إسقاط الهدف، أو"قتل" اللاعب، وقتل اللاعب هو أن يرمي الكره اللاعب من عند الهدف، فيتلقاها أحد اللاعبين من الخصوم باليد قبل وصولها إلى الأرض، فيتوقف القاذف عن اللعب باعتباره قُتِل، ويلعب غيره، أوإسقاط الهدف برمي الكرة التي وقعت على الأرض من مسافة قريبة أو بعيدة.

يبدأ اللعب بحمل الكرة بيد اللاعب وهو موليا ظهره(مقفي) ويقول بأعلى صوته: ريس... ويرد عليه أعضاء الفريق الآخر بقولهم: ريس.. ويرمي الكره بعد أن يقذف بها إلى الأعلى ثم يرميها بيده بقوة إلى الخلف بحيث يريد إيصالها إلى أبعد مسافة من الهدف، ويعيد الفريق الكرة بتسديدها إلى الهدف محاولا إسقاطه، فإن سقط الهدف سقط اللاعب وحل محله غيره من فريقه، وهكذا، وبعد رمي اللاعب الكرة "بريس"، يواجه اللاعبين قائلا: بِيد..ثم في الثالثة.. بيدين.. وفي الرابعة "شَرَنْقَح" ويمرر الكرة من بين فخده إلى الهواء فما أن تصل إلى يده فيقذفها..وفي الخامسة "عَبس" ويضرب الكرة بقدمه، والفوز لمن لم يسقط هدفه ولم تلقف له كرة.

وهذه اللعبة كسابقتها أصبحت من الذكريات.

٦- قفز العوشر:

وهي لعبة رياضية بدنية فيها شيء من الخطورة، وهي وإن انتهت كغيرها من الألعاب التي كانت، إلا أنها كانت لها في يوم من الأيام، أو فترة من فترات تلك الأيام، حديث الفتوة والشباب، بمن اجتاز ومن سقط، ومن عجز، ومن خاف

وارتبك.. هكذا كانت..كانت امتحانا صعبا لقدرات الشباب على القفز وتخطي الحواجز بالتدرج.

وتبدأ اللعبة بالقرعة من يجلس لها في بداية اللعبة، فيجلس على الأرض صاحب الحظ..أيا كان حظه.. فيمد رجله، ويمر فوقها فريق اللعب قفزا-ولا تحديد لعددهم، لكنهم في الأغلب من خمسة إلى سبعة، وبعد مرور اللاعبين قفزا، يضع قدم رجله الثانية فوق قدم رجله الأولى، فيقفز اللاعبون، ثم يضع فوق القدمين شبرا..ثم شبرين..ثم يقوم وينحني ظهره انحناءة الركوع، فيمر اللاعبون قفزا، ويرتفع قليلا..قليلا.. وهكذا إلى أن يستقيم معتدل القامة.

واجتيازه في كل تلك الحالات خاصة الأخيرة منها، فيها نوع من الصعوبة والخطورة أيضا، وفي كل الحالات وأي قفزة من تلك القفزات إن لمس اللاعب (القافز) شيئا من أعضاء المحتكم فإنه يحل محله، وهكذا تبدأ اللعبة من جديد.

٧- الصونج:

لعبة الصونج وهي لعبة "الهوكي" المعروفة عالميا، في أدوات اللعب، وكيفية اللعب، لكن الاختلاف ربما في أدوات اللعبة المطورة هناك، سواء من ناحية الملعب، أو العصا الضاربة، أو الكرة.

ويقال إن هذه اللعبة أو شبيهة لها وجدت في نقوش الفراعنة المصريين قبل ٤٠٠٠ سنة، وقد لعبها الكثير من شعوب العالم على مدار التاريخ، وإلى اليوم.

واللعبة في البلدة بأدواتها المتواضعة وهي: كرة صغيرة معمولة يدويا من قماش تحاك بغزل مفتول، وعصا تشبه العصا الضاربة في لعبة الهوكي، وإن لم

تكن في هيئتها بعد المعالجة، تكون من شجرة السدر(العلب) بكتلة في الرأس خفيفة منحنية انحناءة قصيرة جدا، والملعب أي زقاق أو ساحة. يقف اللاعبون فريقين، كل فريق باتجاه، ولكل فريق مرماه، تحدد المرمى، حجرين صغيرين يكون بين الحجر والحجر حوالي مترين أو أقل أو أكثر، أما إن كان الملعب زقاقا له منفذان فكل منفذ هو المرمى..تضرب القرعة..يبدأ الأول بضرب الكرة من فوق كوم من الطين، أو من فوق حجر، من عند المرمى وحيثما حلت بعد القذف، يتناوبها اللاعبون من الفريقين بعصيهم أو بمضاربهم تلك، كل يحاول أن يصلها إلى مرمى الخصم، ولا يجوز لمسها باليد، فمن لمسها يتوقف عن فريقه من اللعب، إلا الحارس الذي يقف عند بداية اللعبه، فله أن يردها بمضربه، أو يمسكها بيده ويعيدها للملعب من جديد. وهي لعبة خطيرة إذ كثيرا ما تخطيء الضربة الكرة وتصيب ساق اللاعب، والمهزوم في اللعبة بالأهداف التي في مرماه.

وقد أضحت اللعبة من الذاكرة.

٨- الخية:

لعبة الخية، تخط دائرة في الساحة، وفي وسطها يُدق مسماركبير أو "رفقة" من خشب قوي، ويتم ربط حبل بها مما يمكن اللاعب من الدوران في الدائرة وهو ممسكا الحبل. واللعبة مكونة من عدة أشخاص، وكل لاعب يضع شيئا من ملابسه، كالرداء، أو الإزار، أو القميص، أو الكوفية(القلنسوة) وسط الدائرة. ويحاول اللاعبون أخذ ملا بسهم من الدائرة بشتى الطرق، بما فيها ضرب

اللاعب بشيء من الملابس مما ليست في الدائرة، كالرداء أو الكوفية، إضافة إلى المخاتلة والمخادعة، ليتسنى لهم أخذ ما في الدائرة، وحارس الدائرة ممسكا بالحبل، لايدع لهم فرصة لأخذ شيء، ويحاول الامساك بكل من يحاول، فإن أمسك بأحدهم يحل الممسوك محله، وهكذا.

واللعبة من الألعاب التي أضحت في الذاكرة.

٩- راوندس:

اللعبة تتكون من فريقين متساويين في العدد، ويتم وضع علامات ثلاث أحجار أو غيرها، بحيث تكون علامات على شكل مثلث، بين كل علامة أو حجر أو غيره حوالي ثلاثة متر تقريبا، كما يتم إحضار كرة صغيرة من القماش معمولة.

تضرب القرعة بين الفريقين، ويبدأ اللعب الفريق صاحب الحظ بالقرعة، حيث يقف، ويرمي بالكرة بكل قوته، فإذا وقعت الكرة على الأرض، وأخذها الخصم يحاول أن يرميه بها، بينما الآخر من فريقه يحاول استكمال الدورة بالمرور على الأعلام الثلاثة، وذلك بوضع قدمه على كل علم، فإن استطاع من معه الكرة من الفريق الآخر أن يصيبه بها يعتبر ميتا، وإن وقعت الكرة قريبا منه، فيقف فوق أحد العلمين الأول أو الثاني، ويقوم أحد إخوته برمي الكرة، وينتهز الواقف ويكمل بقية الدورة، ويذهب زميله إلى العلم الثاني، أو يكمل دورته ان استطاع، وإذا مات واحد من الفريقن يستطيع أحد رفاقه إحيائه، وذلك بقيامه بثلاث دورات تامه دون أن تمسه الكرة، ولكنها صعبة.

وتدور هذه اللعبة على هذه الكيفية حتى يموت الفريق بأكمله، (والموت هنا يعني الهزيمة) فيخرج من المثلث ليدخل المثلث الفريق الثاني، وهكذا.

وهذه اللعبة كأخواتها في الذاكرة.

١٠-رمـي المخابيط:

أولا التعريف "بالمخباط"، وهو "الخشرة" أو الوعاء النحاسي الذي كان يحتوي البارود وعلى رأسه الرصاصة، ويتم حشوها في البنادق للرمي فتنطلق الرصاصة وتبقى "الخشرة" أو الوعاء المعدني من النحاس، فيلتقطه الأطفال من مواقع إطلاق النار- الرصاص- كما في حالات زواج أبناء القبائل أو العودة من القنيص- ويحتفظون بها للعب، وطريقة اللعب هو اجتماع ثلة من الأطفال كل واحد لديه شيء من هذه المخابيط، وترص المخابيط عن كل واحد مخباط في أرض صلبة، حيث تستقيم ويخط وراءها خط قد يبعد حوالي المتر تقريبا، وهناك يكون علم للموقع الذي يكون منه الضرب أي الرمي، والرمي يتم بما يسمى "بالقته" والقته أو"المنطاب" – على تعبيرنا- هو عبارة عن "مشعاب" أي عودين منفرجين من أصل عود واحد من إحدى الأشجار، يقشر ويهيأ ويربط في رأس كل عود سير من مطاط عجل السيارات وترتبط بسير من الجلد(ديم)، كل سير في ثقب من "الديم"، بربط من المطاط قوي، وتوضع في وسط الديم حصاة صغيرة، ويقبض "المشعاب" بيد، و بأصبعيه السبابة والإبهام يتم مسك الديم مع الحصاة التي في الديم، ويمط السير المطاطي، ويمده إلى النهاية مصوبا رميته

نحو الهدف، ثم ينهي قبضته من الديم، فتنطلق الرمية أصابت الهدف أو لم تصبه، فإن أصابته وابتعد عن الخط المرسوم، أخذ المخباط، وعاود الرمي، وإن لم يصبه رمى بعده الذي يليه، وهكذا، وفي فترة من فترات هذه اللعبة، وهي لعبة تعليم الرماية، كانت هناك آلة غير "القتة" أو "المنطاب"، وهي (بندقية) وتقوم بنفس الآلية للمنطاب، إلا إنها أقصر مدى للرمي، والآلة مكونة من عود سعفة نخلة معالج مبرأ من ظاهره، أو من عود خشب آخر طوله حوالي ستين سم أو أقل قليلا، وفي نصفه أو أكثر قليلا يثبت بربط من المطاط عود صغير لا يتعدى عشرة سم، وتربط في أعلاه سير مطاطي من عجل السيارة، ويصنع لهذه "البندقية" رصاص خاص من حرف الصفائح (التناك) القصديرية القوية، أو من بقايا ورش الحدادين من الحديد الصلب بطول ٥ سم تقريبا ويقوس الرأس على شكل (٢) بحوالي٢سم، ويوضع تحت العود الصغير المثبت جيدا في نصف العود الطويل عودا صغيرا جدا ليتمكن من رفعه من الأمام بضغطه من الخلف لوضع الرصاصة، وحين يتم وضعها ينهي عملية الضغط من الخلف فتكون الرصاصة في قبضة العود، ومن ثم يمط السير المطاطي المثبت في أعلى العود إلى الرصاصة، ويسدد رميته إلى المخابيط ويرفع العود بضغطه من جديد لتنطلق الرصاصة نحو الهدف" المخباط"، ويكفي لإسقاطه فقط، وتستمر اللعبة والمنتصر دائما هو من يحصل على غنيمة أكثر من المخابيط.

وهذه اللعبة كغيرها تلاشت ولم يعد لها وجود إلا في الذاكرة لكبار السن.

١١- المريكوزه:

من أجل الإعداد لهذه اللعبة يتم تحضيرسبع حصيات قابلات للرص بعضها فوق بعض، فترص ويقال لها "نَصَع"، وتحضر "كرة "من قماش محبوكة، وينقسم اللاعبون إلى فرقتين، وتتم القرعة على من يبدأ اللعبة، وهو رمي الكرة لتصيب النصع، فإن اصابته تفرق الجميع، ففريق يحمل الكرة ويضرب بها الخصم، ومن يحاول إعادة "النصع" إلى وضعه قبل إصابته أو الأصح إسقاطه، فإن أصابته الكرة قبل أن يتم ترتيب النصع قُتِل أو أنهزم، وإن تم إصلاح النصع ولم تصبه الكرة، فهو وفريقه المنتصر، علما بأن الكل يحاول أخذ الكره، لهد النصع أو إعاقة ترتيبه، والآخر إبعاد الكره بأي طريقة قبل أن تصل ليد الخصم.

وهذه اللعبة أضحت في الذاكرة.

١٢- حامل أمه، ويقال لها " التبن":

تتكون اللعبة من عدة أشخاص، تضرب القرعة فتعطى لمن كانت من نصيبه الكره، ويكون في داخل الكرة حصاة صغيرة أو غيرها، فيعيّر من قبل اللاعبين "بحامل أمه ما يستحي"، وهو يحاول أن يصوب الكرة إلى أحدهم بكل قوته، وكل لاعب يتحاشى أن يكون هدفا للكرة، فضربتها موجعة، وذلك بالهروب والمخاتله، فإن أصاب أحدهم واستطاع أخذ الكرة، أو أخذها غيره، يفعل فعله، وهكذا.

وهي من الألعاب التي أضحت في الذاكرة.

١٣- ياقريب مقعد:

اللعبة كغيرها من اللعب تتكون من فريقين، وكل فريق يعيّن مسئولا أو أبًا لفريقه، وتتم القرعة، فالفريق صاحب الحظ بعد القرعة يغيب عن الأب إلى موقع معيّن، يختفي فيه (الفريق)، ويجلس أعضاء الفريق الآخر على الأرض، ويدور ويبحث ابو الفريق الجالس على الفريق المختبي، ويجد من يجد منهم فيطارده ويحاول اللحاق به وامساكه وينتهز الفرصة بقية أعضاء الفريق الآخر ليأتوا إلى أعضاء فريقه الجالسين يلوصون – يفركون- اذنهم، وهؤلاء يستنجدون بأبيهم بقولهم" ياقريب " ويترك المطاردة لينقذ أعضاء فريقه، فإن أمسك بأحدهم أو أخذ شيئا من ملبسه، فقد أوقفه عن اللعبة، وهكذا تتم مطاردة الفريق، والفريق يلوص الأذن إلى أن يوقف أعضاء الفريق كله باللمس أو أخذ شيء من ملبسه، ثم يحين الدور على الممسوكين للقعدة، وهكذا..

وهذه اللعبة كأخواتها في الذاكرة.

١٤- دخلنا مره..خرجنا مره:

موقع اللعبة في البلدة بين أكوام الرمال القريبة من الوادي، لكنها قد تأتي بتكويم التراب في أي موقع من البلدة، وتكويم التراب في أي المواقع يكون في الوسط، حيث يحتلق اللاعبون به، ويتسمى كل لاعب باسم مستعار، فيبدأ أحدهم بمد سبابته إلى كوم التراب وهو يقول: دخلنا مره، فيتبعه اللاعبون بإدخال سبابتهم إلى كوم الطين قائلين دخلنا مره، ويخرج سبابته من كوم الطين ويقول خرجنا مره، فيتبعه اللاعبون بقولهم خرجنا مره، ويستمر مرات وقد يسرع، فيخدعهم، فيقول

دخلت وحدي ولا أحد يدخل معي، فيخطيء بعضهم، ويدخل معه من يدخل، فيضرب المخطيء من قبل اللاعبين حتى يتذكر اسمه المستعار فيصرح به، أو يقول خرجت وحدي ولا أحدا يخرج معي، فمن خرج يضرب حتى يأتي ويتلفظ باسمه المستعار، والاسم المستعار احيانا- هنا- يستعصى حضوره.

وهذه اللعبة أيضا في الذاكرة.

١٥- الفرفاره:

لم تكن هي لعبة، لكن الأطفال اتخذوها وسيلة للتسابق والإبداع في الصنعة، فمكوناتها من قصب الذرة، حيث تقشر القصبة ويبقى لبها، ثم يثقب وسط القصبة التي قد يكون طولها بين العشرين سم أو حواليها، ثم تقصص ورقتان بطول وعرض في حدود ٦/٧ سم تقريبا، وتثبت الورقتان بشوك من شوك شجرة العلب في طرفي القصبة واحدة باتجاه إلى الأعلى والأخرى بالاتجاه إلى الأسفل، ويمرر في الثقب عود موصول بقصبة ذره وعلى رأسه وصله من لب القصبه يمنع خروج "الفرفاره"، وهذه تكون مع المتسابقين يدوّرها الهواء.

وأخرى بنفس الهيئة إلا أنها تثبت في عود من جريدة نخلة أو غيرها ويربط بمدور الفرفاره "خرزه" مربوطة بخيط، وتحت الخرزة مثبته قصعة طماطم فارغة-مثلا- أو غيرها شبيهة لها، ويتم تثبيت العود الحامل للفرفاره بما فيه في جدار "الريم" السطح مستقبلة الهواء فتدور الفرفارة.. يدورها الهواء، وبدورتها تدور الخرزة مارة بالقصعة فتحدث (قربعة وصرقعة).. صوتا مزعجا طول الليل عند مهب الرياح.

٣- الألعاب اليدوية للنساء والبنات:

١- الـنـقـيـلــه:

لعلها اللعبة الوحيدة التي تشترك فيها كبار السن من النساء، وصغار السن في البيوت أو في المتنزهات في السابق، ولعل كلمة متنزهات بالنسبة لحاضرنا فيها من التجاوز أو المجاز الشيء الكثير، فمتنزهات النساء سابقا كانت إلى "مشهد" أو "مزار" بعيد عن التجمعات السكانية، وبما أن النساء أغلب اجتماعاتهن في الرقص والغناء، بعد قراءة المولد أو الحضرة، فقد يلعبن مثل هذه اللعبة إذا تجمعن، أو البعض منهن، لكنها في الأغلب لعبة المتوحدات في البيوت من كبار السن، مع البنات أو الحفيدات من صغار السن، واللعبة في حد ذاتها تنسجم مع كبار السن وصغار السن لتمضية الوقت أو لقتل الفراغ – كما يقال–، وتتكون اللعبة من حفرِ حفر صغيرة في الأرض الصلبة في السابق، ثم صنع النجار للعبة طاولة صغيرة من الخشب بها مربعات عشر، لكل لاعبة من الاثنتين خمس مربعات تضع في كل مربعة أربع حصى صغيرة يقال لها"زرع" وربما حبوب بن بقشره، أو نوى التمر أو غيره، وأخيرا –أي في الوقت المتأخر– من المدورات الزجاجية الصغيرة(كعارير)، وليس من الضروري اختلاف مايوضع، فكل يعرف مربعاته وتنقلاته، وتبدأ الأولى باللعبة بأخذ ما في أحد المربعات ووضع حبة واحدة في كل مربعة تليها، فإن صادفت آخر حبه مربعا فارغا، تتوقف عن اللعب لتلعب غيرها، وإذا كملت في المربع الرابعة، أخذت الأربع من نصيبها، أما إذا وضعت الحبه فوق مافي المربع فتأخذه إلى المربعات التي تليه كل حبة في مربع، وهكذا والتي تحصل على زرع أكثر هي المنتصرة في اللعبة.

٢- الـكـورت:

هي لعبة للبنات، تتجمع فيها عدد من الفتيات، وتختار إحداهن أو بضرب القرعة بينهن، ويحددن مكانا معينا للشوع والإختفاء، أما الشوع فهو الذي تقف فيه البنت المختارة أو بالقرعة إلى أن تختفي بقية البنات في مواقع الإختفاء وتولي لهن ظهرها فتصيح قائلة "كوووورت" فيكون الرد من البنات المتخفيات: نعم.. بعدها يتم البحث عن المختفيات من قبل البنت المختارة، والبنات المختفيات كل واحدة منهن تحاول أن تصل الموقع المحدد (الشوع) دون أن تمسها يد البنت المختارة، فإن لمست إحداهن حلت محلها، وإلا عاودت اللعبة.

٣- طـب طاب الـعطـب:

تتجمع عدة بنات في موقع، وينتصبن قائمات وقد اخترن اثنتين منهن باسمين مستعارين، وأما البقية فيبقين في حلقة أو طابور، والفتاتان متقابلتين تضربا راحتيهما معا قائلتا:" طِب طاب العطب لي ما ينُطب"..تارة في راحتي كل منهن في راحتي الأخرى وتارة تضع راحتي كل منهن في صدرها.. ثم تستأذن إحدى الفتيات للدخول بينهن فتسألان من تريدين فتاتي بالاسم المستعار، فيقال لها ما حمولك فتقول حمولي – مثلا–حطب، فيؤذن لها بالدخول وهن يقلن: "ياحيا بالحطب..ياحيا بالحطب "، وهكذا تتوافد الفتيات وكل فتاة تستأذن بحمول معيّن.

٤- أول و ثاني:

تجتمع فتاتان أو ثلاث أو أكثر لممارسة اللعبة في الزقاق أو الساحة تحت البيت وتخط خطوطا عبارة عن عشر مربعات في ناحيتين كل ناحية فيها خمس مربعات يفصلها خط، وتحمل كل فتاة لاعبه ما يقال له (تير) وهو عبارة عن شيء مدور قد يكون من خشب أو حجر أو من معدن بقطر ٤/ ٥ سم ترميه بعد شمه في أولى المربعات وتقفز خط المربع برجل واحدة والرجل الأخرى مرفوعة، وتدحق التير وتستلمه بيدها وتأخذه وتدور برجلها الواحدة على المربعات وترتاح بالرجلين في نهاية المربع الخامس مع السادس، وتعاود العبور على بقية المربعات بتلك الكيفية، وبعد خروجها من المربعات بدون أخطاء ترمي "التير" إلى المربع الثاني وهكذا إلى العاشر فإن تجاوزت العشر المربعات بدون أخطاء رسمت خطا على إحدى المربعات يكون من حقها فيما بعد أن تخط رجليها معا، وعلى اللاعبة بعدها، أن تتجاوزه بالقفز، وكل من أدت لعبها بمهارة حق لها أن تخط لها مربعا يكون من نصيبها. وأخطاء اللعبة هو أن لا تلامس اللاعبة أي من خطوط المربعات فإن لامست شيء منها أو حطت قدمها الأخرى على الأرض، أو أخطأت مس التير بقدمها، فيكون انتهى دورها.

٥- الحفيرة:

تجتمع فتاتان أو ثلاث أو أربع للعب، ويقمن بحفر حفرة صغيرة في الأرضية الصلبة لتستوعب "دَي" كل واحدة منهن، "والدّي" هو مايوضع في

الحفرة من كل واحدة وقد يكون هذا "الدي" من صغار الحصى، أو نبق الدوم، أو نوى التمر، أو البن بقشره (جفل) وغيره، وتبدأ اللعب الأولى منهن برفع البرك (والبرك عبارة عن حصاة مدورة أو شبه مدورة أو من كتلة أخرى شبيهة) في الهواء، وفي أثناء ارتفاعه تأخذ اللاعبة من الحفرة ما تستطيع باصابع كفها وتضعه على حافة الحفرة وتستلم "البرك" الهابط من ارتفاعه، وتعود لرفعه للهواء وتعيد اللاعبة ما وضعته على حافة الحفرة وتدع واحدة وتستلم البرك الهابط، وما تركته على حافة الحفرة يكون من نصيبها، سواء كان واحدا أو اثنين حسب المتفق عليه في اللعبة، وسواء تركته على حافة الحفرة أو ضمته بكفها، واذا سقط البرك في أثناء هبوطه، أو تركت أكثر من واحدة، أي أكثر من المتفق عليه أو أقل أو لم تخلف اللاعبة شيئا على حافة الحفرة ينتهي لعبها، وتلعب الأخرى، والمنتصرة من يكون لها العدد الأكثر من "الدي" الذي أحرزته من اللعبة.

بهذا أوجزنا شيئا من الألعاب التي كانت، ومع أننا لم نذكر الكثير مما كان يمارس كلعبة في البلدة، إما لأننا لم نجد من يعيننا على تفاصيل البعض، أو اننا لم نستحضر من ذاكرتنا غير ماذكر، وما أوجزناه فيه الكفاية، وقد تلاشى أغلبه.

٤- المنتزهات السياحية:

من التجوز أن نقول إنه كانت بالبلدة منتزهات سياحية، على مايعرف اليوم بالمنتزهات السياحية الحديثة، وإن جاز لنا التعبير بالمنتزهات فإنما هي منتزهات وقتها أو زمنها.

وبما أن البلدة وموقعها وما حوته من أشجار ونخيل بظل ظليل، وجو منعش، وماء عذب، وصفت بأنها مصيف لأثرياء تريم، وما المصيف إلا منتزه صيفي، فتكون في هذه الحالة منتزها سياحيا عاما، لكن لغير سكان البلدة، لأن المنتزهات تكون في غير الموقع الذي أنت ساكن فيه.

لكن لسكان البلدة منتزهاتهم التي يرتادونها في وقت الصيف خاصة، وهي بخاصية أهل البلدة في طور من أطوار مراحلها وحسب مفاهيمها، ومنتزهات البلدة هي:

١- مولى لوسط:

و"مولى لوسط" وموقعه في الناحية الشمالية الشرقية من البلدة في شعب مسيال الماء من الشِحَر في الشمال، حيث يوجد هناك قبر "مخفي" أي مجهول صاحبه..اقيمت حوله "المبارد" مفرد "مَبْرد" للتبرد في وقت الظهر، والمبرد عبارة عن مبنى من أربعة جدران بفتحات واسعة ومدخل، وملتصق به مطبخ، ولكل مبرد ساحة أمامه لقضاء وقت العصرية والمساء حيث يجتمع فيه المتنزهون، ويوجد مسجد، وحمامات منفصلة.

كان هذاالمنتزه الصيفي الذي يهرع إليه الكثير من سكان البلدة.. العائلات، والفرِق، من الرجال ومن النساء، بقصد الزيارة للقبر، والترويح عن النفس، وغالبا ما يقرأ في نزهتهم المولد النبوي، أو بعض الحضرات، أو قراءة البردة، فضلا عن التغني بالقصائد المتداولة مع الرقص والزفين خاصة للنساء، والشباب، وتحلية كل ذلك بالنكات والطرائف من كل الأطراف المتنزهة كل على ما يناسب الفهم من حيث الجنس والسن.

ويتم في المنتزه الذبح عند البعض، والطبخ، وشرب القهوة والشاي وغير ذلك، وكل على حسب مقدرته.

لكن شِعب لوسط قد أصبح مخططا سكانيا في الوقت الحاضر، وتم فيه بناء البيوت السكنية، وسكنها من اكتمل بناء مسكنه، ولم يعد موقعا مناسبا للنزهة.

٢- عين الغبره:

تقع "الغبره" في الناحية الغربية الشمالية من البلدة، والغبره موقع به عين ماء كان يجري ماؤها في ساقية صغيرة إلى بركة كبيرة، استبدلت الساقية في المدة الأخيرة بأنابيب ممتدة إلى البركة، وحوالي البركة مواقع ممهدة للمتنزهين، غير أنه لايوجد موقع يستظل به في وقت الظهيرة، إلا نصب خيمه أو البحث عن فيء صخرة كبيرة يستظل بظلها بعض الأفراد.

والموقع رغم بعده إلا إنه كان منتزها للعائلات، والفرِق من الرجال يقضون فيه أياما، أو بعض يوم.

وقد سبقت الاشارة إلى الموقع في هذه القراءة(٣٨٠)، كمنتجع قديم للاستجمام والنزهة، فقد كان السيد عبدالله علوي الحداد، يخرج إلى ذلك الوادي والغبره التي فيه على سبيل التنزه والتروح بمن معه من الأولاد والأصحاب والفقراء، تصفية للخاطر. وهو مما يعني أن الموقع كان مهيأ للنزهة والاستجمام حيث كانت تحف بالموقع اشجار النخيل، وغيرها من الاشجار المعمرة والمثمرة يستظل بظلها المتنزهين.

في الوقت الراهن استغل ماء العين في البركة للزراعة وإن كانت زراعة محدودة، لكون الموقع جبليا، أولأن الماء يكاد يروي الرقعة المزروعة فقط.

وهو مازال منتزها لبعض الفرق والعائلات.

٣- رزم ناصر:

وموقعه من الغبره في الناحية الغربية الجنوبية، وقل من يرتاده إلا بعد هطول الأمطار، وتدفق السيول، فيكون الموقع مؤهلا للنزهة للرجال لنقاوة الجو ورطوبته، ومنظر جريان الماء في السواقي، أو بقايا الماء الرقراقة التي تتلألأ مع اشعة الشمس التي تغمز من بين الفرج بين الصخور الشاهقة التي تظلل ما يشبه الصهريج الطبيعي في تلك البقعة.

وفي الموقع تحت الصخور الكبيرة أماكن ممهدة تمهيدا قديما بفعل فاعل للنزهة، إذ ان الموقع الذي هو فيه وحواليه إنما هو سفح جبل بكل الأحجار والصخور الكبيرة والمتوسطة والصغيرة من غير الحصى، ولولا التمهيد في تلك المواقع لما أمكن الجلوس فيه، أو الإستراحة في ظل تلك الصخور.

(٣٨٠) صـ ، بعد التنسيق توضع رقم الصفحة

وفي المرتفعات الجبلية للموقع يوجد صهريج طبيعي تظلله الصخور الكبيرة، منحوت من الصخر يصب فيه شلال من مياه الأمطار فيحتفظ بالماء مدة طويلة، وفيه يكون الإستحمام بماء السماء بصفائه وبرودته ونقاوته.

وثمة مواقع أخرى شبيهة تكون للنزهة في أيام هطول الأمطار وتدفق السيول، مثل "المخفي" وموقعه غربي مولى لوسط، و"الغييله" شرقي مولى لوسط وذلك في المرتفعات الجبلية.

٤- المنتزهات الحديثة:

استحدثت في البلدة منتزهات حديثة، وهي المسابح، وفيها مسحة من المسابح الحديثة في الدول المجاورة، بماء طبيعي متجدد، وتضم إلى جانب حمام السباحة بعض مراجيح الأطفال وغيرها، وصالات للقيلولة، وغرف خاصة، وحمامات ومطابخ.وفي فصل الصيف تزدحم الطلبات للإستجمام في المسابح من كل مناطق الوادي أعلاه وأسفله.

وفي البلدة ثلاثة مسابح هي كالآتي:

- مسابح بامطرف.
- مسابح الماهر.
- مسابح ربيحان.
- مسابح الباغوث.
- مسابح فن للنزهة.

الفصل السادس

شخصيات خالدة من البلدة

١- السيّد علي بن شيخ بن شهاب

٢- المعلم سعيد عبيد عبد الحق

٣- السيّد أحمد بن محمد بن شهاب

٤- الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان

٥- السيّد ابوبكر بن علي بن شهاب

٦- الشبخ عبد الله بن سعيد باغوث

٧- السيّد عمربن أحمد المشهور

٨- السيّد أحمد بن محمد ضياء بن شهاب

٩- عبد الله بن سعيد بعطه التميمي

١٠- خميس سعيّد بن محفوظ

شخصيات خالدة من البلدة

ترددت كثيرا وأنا أزمع التعريف عن شخصيات كان لها أثر ما في هذه البلدة، وتهيبت القول في ما لا أعلم إلا ما يقال عنها.. المصادر شحيحة ومحصورة، وعلى شحة المصادر فإنها لا تعطي إلا جانبا من حياة الشخص، وقد تجد الغلو الذي لا يريح الضمير ولا العقل، أو قد تجد فيها رأيا شخصيا للكاتب، قد لا يكون لرأيه ذاك أي صلة، أو صفة من صفات المترجم له، وهو ما زخرت به كتب السير وترجمة الشخصيات الكثيرة في محيط بلدتنا، فالبعض ممن ترجم له يجرد من إنسانيته وبشريته، فلا هو إنسان من سكان الأرض، ولا يجوز أن يكون إنسانا من سكان أهل السماء، وغاب عن الكثيرين ممن ترجموا للبعض أنهم يترجمون ويصفون حالة أو سيرة لشخص..من البشر.. بشر ككل البشر..بشر مثلنا يأكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب..يخطئ ويصيب وينتصر وينهزم، ويفرح ويحزن، ويأثم ويتوب، ويحب ويكره، ويغضب ويرضى.. بشر اختصه الله بخاصية ولم ينتزع منه بشريته.

يقول إبن عبيداللاه:" ومن عاداتهم-المترجمين للسير-تناسي البشريات بالجملة، ذلك دأبهم لحسن ظنهم، لا يذكرون سوى المحاسن، وفيه بالحقيقة ظلم للتاريخ، وإن كان أهل السرائر الصافية يحسبون أنهم يحسنون صنعا"(٣٨١).

من سوءات الترجمة لحياة الأشخاص..سواء كان هذا المترجم له، من الشخصيات العالمة أو العاملة في مجال علمها، أو كان داعيا، أو زاهدا، أو ثريا،

(٣٨١) بضائع التابوت جـ ٣ صـ ٧٧.

أو أديبا، أو شاعرا، أوغير ذلك...أن المترجِم يسبغ على تلك الشخصية من الألقاب والصفات ما يعجز العقل عن استيعابه، في أن تكون مثل هذه الصفات لبشر يعيش في الأرض ويتعايش مع بشر من مثله.

المبالغة في تقدير ووصف البعض، وغمط وتزييف صفات البعض..شيء سود صحائف المترجمين في مجتمعنا لمن ترجموا لهم، وربما جهلنا أو جهل البعض منا، البواعث والدوافع، لكننا لا نطمئن في كل الأحوال من مترجم تجاوز حدود الوصف للإنسان كإنسان، بل إنه يثير فينا الحيرة والدهشة، خاصة إذا كنا نعرف المترجم له، سواء مما ترك من أثر، أوعرفناه في حاضره، فإذا تجاوز الوصف ما عرفناه عن المترجم له في حاضره، أو أهمل عمدا ما هو أجدر بالتنويه له، فأي ثقة أو مصداقية لسيرة من لا نعرف في حاضرنا أو في الماضي البعيد.

نحن نتأثر بما قيل ويقال، ونعلم جيّدا أن في حياة كل منا، فيها ما يسوء، وما يسر، وأن للكل خطايا وهنات مقصودة حينا، وعفوية حينا، وليس أحد منا كبشر معصوما من زلل أو خطأ، إلا من عصمه الله، لكن أضحت الكلمات بلا معنى.. وبلا مدلول..كلمات تعطى بسخاء لمن يستحقها ومن لا يستحقها، فلا تدري أي رابط يربطها بتلك التي ارتبطت بالإسم.. فمثلا كلمة الإمام.. العلامة.. الشيخ.. الولي... الخ، تقارن بين مدلول كلمة إمام – مثلا–ومن عرفناه من الإئمة في تاريخنا الإسلامي، ترى العجب في من أطلقت عليه اليوم وقبل اليوم من شخصيات مجتمعنا، وكذلك الشيخ في مفهومها السابق والحاضر، وكذا الأستاذ.. وغيرها من الألقاب التي أطلقت بسخاء لمن يستحقها ومن لا يستحقها، عن قصد أو عن غير فهم لمدلول الكلمة وما تعنيه.

وكنت أود وأنا أقرأ أي ترجمة للشخصية التي يترجم لها صفات حقيقية من واقعها المعاش، لا إنشائية تنتقي الكلمات الخواء للإطراء والمديح..كنت أريد أن أعرف كيف وصلت هذه الشخصية بما وصلت إليه من تفرد وتميّز في مجتمعها، حتى ليخيل لي وأنا اقلب سيرة البعض في الكتب، أن من ترجم له يجهل ما قيل عنه، ولو بعثه الله من موتته وقرأ ما كتب عنه لأنكرها..أنكر تلك الأوصاف والصفات التي نسبت إليه، ووصفته بما ليس فيه، وما لا يجوز أن يكون صدرعنه.

ما نرجوه من تراجم الشخصيات أن نعرف صفة للمترجم صحيحة سليمة بعللها وأسبابها وعوامل تكوينها، بعيدة عن المبالغة في المدح والإطراء التي تجرد المترجم من بشريته وإنسانيته..نريد أن نعرف ونحن نقرأ تراجم السيّر لتلك الشخصية وما قيل عنها من سخاء وكرم ونبل وبذل وعطاء غير مسبوق- مثلا- من أين وكيف..

لعل السؤال سيظل مطروحا دون الإجابة عليه، خاصة لكل من ليست لديه علة ظاهرة تخرس المتسائل وتفحمه بإبراز العلل والوسائل..هناك عوامل لتكوين الشخصية..عوامل كثيرة تبدأ من الوراثة والتربية والثقافة والبيئة، وانتهاء بالخبرة والتجربة بعد المعرفة والممارسة في كل مناحي الحياة..هناك الشبه وهناك الفرق..حياة الناس كلها متشابهة تخضع لقوانين الحياة والكون بصورة أوبأخرى، لكن هناك فرص تنتهز، وهناك مواهب..هذه الفرص وتلك المواهب هي التي تصنع الفرد، وتبرز التفاضل..هي التي تهيئ الفرق بين الإنسان والإنسان.

لكنني أقدمت على ما أقدمت عليه لعدد من شخصيات البلدة، على وفق المصادر المكتوبة دون أن أتجرأ أن أزيد أو أنتقص شيئا، رغم ما وددت أن أقول ما يمكن قوله، بلا تجن أو شطط، وإنما هي مواقف يكبو فيها الإنسان ويعثر، ولكل جواد كبوة، وليس يعيبه أن يكبو وينهض ويتجاوز الكبوة، بقدر ما يعيبه في كبوته أن نسقطها من سيرته، ولا نبرز إلا ما وجدنا له من ذكر المحاسن، والمحاسن وحدها، حتى وإن كان في ذكر السيئ منها هو التعبير السليم عن الواقع المعاش، وعن الحقائق التي يعيشها الفرد، وفيها العظة والعبرة والندم، وتجاوز المساوئ بقوة الإرادة وعزم أولى العزم.

ما أردته من غيري، لم أوفق في تجاوزه، ومع يقيني أن بعض الهفوات والهنات التي يقع فيها الأشخاص لا تلصق بهم عيبا، ولا تخدش لهم فضلا، ولا تنتقص من مكانتهم قدرا، لكن ذكر المحاسن بدون إفراط ومبالغة، مع العوائق والمساويء، أوالإنحراف المؤقت ربما هو التدرج الطبيعي في حياة الإنسان، والأعمال بخواتيمها.

ولا تخلو البلدة من شخصيات أثّرت وتأثرت..برزت أو استترت..ثمة شخصيات من أبناء البلدة، وشخصيات أخرى استوطنت البلدة وأضحت من معالمها، وكانت ممن خلد التاريخ ذكراها، بمآثرها وآثارها الباقية، وسيرتها العطرة، وما قدمته لبلدتها من خير وعلم، وماقامت به من أعمال يصب في قالب مصلحة البلدة ومجتمعها، واذا كنا قد اخترنا بعض الشخصيات فإن ثمة شخصيات غفلها الزمن، لكنها موجودة بوجود مجتمعها في عصرها وفي كل

عصر..شخصيات قدمت لهذه البلدة مهجها وأرواحها، وهناك شخصيات أخلصت وتفانت في خدمة البلدة ومجتمعها.. مخلصة..صادقة..أمينة.. وفية في إخلاصها لبلدتها ومجتمعها، ذكرها التاريخ أو لم يذكرها..عرفها الكثيرفي عصرها، وجهلها البعض في غير عصرها، لكنها قدمت لبلدتها ولمجتمعها مايمكن أن تقدمه من غال ونفيس تمتلكه، ولوبعاطفتها راجية ثواب الله وحده، ولها منه الجزاء.

ومع نقص المصادر وشحة المعلومات عن كثير من شخصيات البلدة التي كان لها أدوار خيروعطاء مختلفة في مجتمع البلدة، فقد اكتفينا بما أوردناه عن بعض شخصياتها على وفق ما حصلنا عليه من مصادر.

١- السيّد علي بن شيخ بن محمد بن شهاب الدين

في تاريخ الشعوب، وتاريخ المدن، هناك مآثر وآثار لرجال تحكي بجلاء مكارمهم والمحامد التي قدموها لبلدهم وأمتهم..مآثر وآثار تدل على عظمة صنائعهم وأحوالهم وحالاتهم التي تستوجب الإشادة بهم في وقتهم وفي غير وقتهم..انتفع بها معاصروهم وانتفع بها غير معاصريهم.. إنما بقيت أثرا يحكي مساهمتهم وحبهم لوطنهم ولأمتهم، من هذه الشخصيات في البلدة – دمون– السيّد الجليل والعالم الشهير: علي بن شيخ بن محمد بن شهاب الدين، ترك وراءه تراثا ومآثر لهذه البلدة وغيرها، ما لم يتركه أحد غيره من قبله..كانت حياته بعد ما سكن دمون مليئة بالفضائل والمكارم لهذه البلدة وأهلها..همه استتباب الأمن والاستقرار في تلك البقعة التي كانت تعصف بها الأهواء..أهواء العصبيات من الأقوياء، المتناحرة على استغلال الضعيف والمتمسكن، حيث قل من تجده ينصر مظلوما، أو يدفع ظالما، أو يسعف بائسا، ولا من ينقذ مستغيثا من فظائع الفوضى ولا شناعتها، فكان اختيارالسيّد الجليل والمصلح الكبير سكنه بدمون، وربما كان اختياره للإصلاح والاستثمار لأراضيها، وربما الجمع بينهما، وربما بعد الاستثمار وامتلاك الكثير من أراضيها، فقد "قام بجمع الفخائذ المتناحرة في البلدة، ووفق بينهما على سلطة، وأب واحد في الخير والشر، تجمعهم القبيلة (آل سلمه) تحت قيود ومعاهدات بينهم"[٣٨٢]، وهذه من أعظم المنن لسكان البلدة

(٣٨٢) المشهور: بغية من تمنى صـ ٢٣.

التي أضحت تحت سلطة لعشيرة واحدة بدلا من سلطات متعددة كل سلطة بجبروتها ترهق المواطن بمطالبها.

ولد السيّد علي بن شيخ بن شهاب الدين بتريم عام ١١٣٦هـ يقول عنه السيّد عمر بن علوي الكاف:" هوالإمام الحبر الهمام العلامة الشهير ذو العلوم الزاخرة والفنون الباهرة والأموال الوافرة، إلى ماله من الرئاسة العلمية والمشيخة الصوفية، ولد بتريم، وبها كانت نشأته وتربيته، وكان في تلقيه العلمي مثابرا على الأخذ عن أبيه، والعلامة السيّد عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وغيرهما، حتى بلغ الغاية القصوى في العلوم، وصار مفتي زمانه، متبحرا في ثمانية عشر علما، منها الفقه والحديث، والنحو والصرف، والمنطق، وعلوم البلاغة الثلاثة، كما يروي عنه تلميذه العلامة الحبيب عبد الله بن علي بن شهاب"

"وقد انتفع الناس بعلومه، كما انتفعوا بثروته المبذولة للقاصي والداني، وفي اصلاح ذات البين، وفي إخماد الفتن.

وكم دفعته هذه النزعة الإصلاحية إلى التنقل في البوادي القريبة والبعيدة، وكان من نتائجه تصحيح زهاء مائة نكاح فاسد.

وقد حدثته نفسه بالانتقال إلى سكنى "وادي تنعه" بالقرب من قبر نبي الله هود عليه الصلاة والسلام، لكن منعه شيخه السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه خوفا على مستقبل ذريته من البداوة وضياعها فيها"[٣٨٣].

(٣٨٣) تحفة الأحباب صـ ٧٧.

"وكان والده السيّد: شيخ بن محمد بن شهاب الدين من ذوي العلم والثراء، والسابقين إلى الخيرات بلا مراء، وكان في طليعة من تخرج عليه ابنه السيّد علي بن شيخ، ولما كان من كبار الأغنياء المثرين، فقد كان في حياة مترفة وعيش ناعم"(٣٨٤).

ومن كان هذا حاله ومحيط عيشته، فلا غرو أن يصل إلى ما وصل إليه من تبحر في العلوم، وإغاثة الملهوف بنزعته الإصلاحية.

لكنه لم يصل إلى هذه الدرجة من التحصيل العلمي بطرقها الممهدة المعروفة للتحصيل، ولا بجاه ثروة والده، بل تحمل في سبيل تحصيله العلمي ما يأنف منه الكثير من أبناء الناس العاديين، ناهيك عن أبناء الأثرياء والوجهاء، فلقد ذكر السيّد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف:" أن الحبيب عبد الله بن أحمد بن عمر الهندوان، أن غالب أهل تريم يحضرون دروسه، ولما جاء إليه الحبيب علي بن شيخ بن شهاب الدين، رده مرارا من تحت الباب، لما توسم فيه من النخوة، لثروة أبيه ومحبته الفخر، وبعد مرات كثيرة أعطاه شيئا من الدراهم يشتري بها ما لا يليق حمله من السوق، فامتثل أمره، وجاء بالحاجة، وهي المسمى عند آل حضرموت باللخم يحمله في كمه، فقبله بعد ذلك وجعله من أخلص تلاميذه"(٣٨٥).

ولعله بعد ذلك أو قبله، "تملك الكثير من أراضي دمون وسكنها ورغّب-حسب تعبير إبن عبيد اللاه- آل تميم في سكنى دمون لحمايتها، وكان أكثر دمون ملكا للسيّد علي بن شيخ، بشهادة الوثائق الكثيرة المشاهدة بإنتقال الأملاك عنه وعن ورثته"(٣٨٦).

(٣٨٤) تاريخ الشعراء الحضرميين جـ٢ صـ ١٤٥.

(٣٨٥) بضائع التابوت جـ٢ صـ٢٣ .

(٣٨٦) إدام القوت صـ ٥٥١.

كانت حياة السيّد الجليل.. حياة مملوءة بالفضائل والمكارم، أهمها إغاثة الملهوف، وخدمة الوطن والأمة واستتباب الأمن والاستقرار في المثاوي والقرى، وإرساء القواعد السليمة والفهم الصحيح للدين الحنيف وشعائره.

"وكانت له عناية بحفظ أنساب العلويين رجالا ونساء، وتدوينها مستقصيا الحواضر والبوادي"(٣٨٧) .

"وقد ترك هذا العالم الجليل وراءه تراثا ضخما من الذكر الحسن، والصدقات الجارية، فمن مآثره، مؤلفاته عن الشجرة العلوية الكبرى في أربعة عشر جزءا عن ثمانية عشر مجلد.

ومن صدقاته الجارية: مسجده بدمون..(مسجد سواده) مسجد علي بن شيخ.

"ومسجد سرور بالنويدرة من تريم، ومسجد الماس، وترميم مسجد جده الشيخ علي بن أبي بكر السكران، وتوسعة زاوية جده المذكور التي إلى جانب مسجده"(٣٨٨).

"ولقد قام بتجديد سواقي دمون وسدودها، حيث تروى جميع الأراضي البيضاء التي تزرع في أي موسم، وتسمى تلك السواقي أو السد حاليا بـ:" مضلعة علي بن شيخ"(٣٨٩).

توفي في الشحر عام ١٢٠٣هـ ودفن بها، في داخل قبة العلامة أحمد بن ناصر بن الشيخ أبوبكر(٣٩٠)، وعقبه في دمون وفي غيرها.

(٣٨٧) شمس الظهيرة: تحقيق محمد ضياء بن شهاب جـ ١ صـ ١٤٧.

(٣٨٨) الكاف: تحفة الأحباب صـ٧٩.

(٣٨٩) المشهور: بغية من تمنى صـ١٠.

(٣٩٠) الكاف: تحفة الأحباب صـ٧٨.

٢- المعلم سعيد عبيد عبدالحق

مصدرنا عن حياة المعلم، هو كتاب الأستاذ القدير المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف، تحت عنوان " المعلم عبدالحق"، والإقتباس منه، والنقل لمفرداته وسرد أقواله بما علل وفسر، والذي أكد في منهج بحثه للكتاب، أنه لا يدون تاريخا، ولكننا نعرض اعمالا أدبية، ولا نتعرض للتاريخ الا حيث تلتقي حوادثه أضواءاعلى مضامين الأبيات الشعرية.

لكن الواقع..واقع القراءة أن الأستاذ بامطرف ترجم سيرة شاعرنا المعلم عبد الحق، لم يدونها غيره، وكانت المرجع لكل من تحدث أو كتب عن المعلم، وأوضح وبيّن سيرة المعلم منذ دخل البلدة حتى وفاته، وفسر الكثير والكثير جدا من أشعاره السياسية والإجتماعية، وما السيرة إلا تاريخ، وغني عن التعريف صاحب الكتاب وأسلوبه المتميّز، فهو بشهرته الواسعة ومؤلفاته القيمة في غناء عن التعريف به.

وإن كان لنا مصدر آخر فديوان الشاعر المسمى:"الوقائع فيما جرى بين آل تميم ويافع"، أما ما تلقيناه من شيوخ وعقلاء البلدة ممن تحدث عن المعلم فلم يفدنا بشيء فكل ماقيل عنه كما يقال:" تحصيل حاصل".

سعيد بن عبيد بن مبارك عبد الحق متصلا نسبه بالمشائخ آل عبدالحق من حوطة علي بإقليم الواحدي (محافظة شبوه). مولده سنة ١٢١٣هـ. وفي مدينة تريم تلقى تعليمه اللغوي والديني..غادر تريم في شبابه هو وأمه إلى البلدة (دمون)

تحت إغراء آل سلمه التميميين ليفتتح بها مدرسة قرآنية لأبنائهم، وأبناء قبائل آل تميم الأخرى القاطنة في القرى المجاورة للبلدة، وليكون إماما وخطيبا لمسجد جامع مشهور.

وقد أطلق عليه أهالي البلدة لقب "المعلم" لذلك لقيامه بمهمة التعليم والخطابة والإمامة في المسجد، وصار علما عليه في الإقليم الحضرمي كله.

وقد أطلق هو بدوره على البلدة إسم " الشِّحره" و"الشّعب"، و"الشِّعب الوِرِب" و"الشِّعب النوير"، وبقيت هذه الأسماء للبلدة حتى الوقت الراهن يصفها من يصفها باسم من هذه الأسماء في المناسبات الخاصة والعامة كشعرالزامل والأراجيز الأخرى المشابهة.

كانت أشعار المعلم في قصائده حتى وقت قريب على كل لسان تقريبا، منها وبها يضرب المثل في كثير من حالات الزمن المتقلبة، أو التي تعتري حالات الولاة والأمراء، والأفراد والجماعات، وكانت زينة المجالس، وحلية سمر السمار، وهي مترنم القصاد في الأفراح والرقصات الشعبية وغيرها، وذلك بترديد ابداعاته الشعرية التي تجانس كل حالة في كل عصر، وتتواءم مع أنفاس ودخائل الأجيال المتعاقبة في كثير من سيرها وحالاتها.

وإذا استثنيا مرحلتنا الراهنة، فإنما بقيت أشعاره يرددها النخبة.. النخبة في المجتمع، من لهم حس شاعري يقيّم الكلمة، وذوق فني تستلذه الكلمة المعبرة، وجانب إنساني في تلمس معاناة البؤساء في كل عصر، فإن لقصائد المعلم خطرات صادقة بقيت راسخة في الوجدان، لا في وجدان النخبة وحدها، ولكنها لكل من

سمعها ووعاها، رغم المسافة الزمنية بين عصر المعلم والعصور المتأخرة، وما تخللها من تقلبات ومن استحداثات كثيرة ومتنوعة، لأن خطرات الوجدان والمشاعر هي في الواقع خطرات الحياة في الحي أيا كان عصره ومركزه.

ولهذا بقيت قصائده بجمالها وروعة الاسلوب الشعري وسلاسته الذي ينساب من قريحته أو هاجسه في بساطة وتلقائية قريبة من الفهم للعام والخاص، بحيث تنسجم باقتدار مثالي على تتبع أحداث عصره وتفاعلاته ومستجداته من ناحية، ومن ناحية أخرى هي بموسيقاها وإيقاعاتها تهز وجدان "القصاد" والراقصين في ساحات السمر والفرح، فترتفع الأقدام جذلا ونشوة في حلقات الرقص المعروفة حينها، والممتدة إلى اليوم في حفلات القنيص وغيرها، حيث تشنف الأذان لسماعها، وتتمايل الرؤوس بإيقاع مفرداتها، وتهز النفوس رقتها وعذوبتها، وأخرى للتذكير والوعظ في محافل معينة، أو التي تردد الإشادة بفعل ما من أفعال البطولة في زمنه، بألفاظ مختارة وتصوير رائع للوقائع، كأصدق ما يكون للواقع.. لقد عرف المعلم الصدق فكان صادقا وأمينا في نعته، ودقة الوصف في الظاهر والغامض من العواطف والتصرفات المرئية وغير المرئية، فهو في شعره ناصحا أو داعيا أو محرضا، معبرا تعبيرا مباشرا بمتطلبات قبيلته، مواءمة مع مفاهيم عصره، ووعيه.

تزوج المعلم في البلدة، لكننا لا ندري عند من تزوج، وأنجب أربعة أولاد عاش منهم اثنان إلى وقت لاحق هما سالم وعوض، أما أحمد وعلي فقد توفيا في الطفولة.

وقد تولى التعليم في المعلامه ابنه سالما بعد وفاته، وما تحصلنا عليه من معلومة التقطناها من وهبة آل ربيحان أن سالم خلف بنتا ماتت متزوجة واسمها عطا الله.

ولم يعرف غيرها، وبموتها كلّت أسرة آل عبد الحق من دمون.

افتتح المدرسة، أو الأصح "العلمة" أو "المعلامة" في البلدة، كما تولى الإمامة والخطابة للجمعة في المسجد، ومع أننا لم نجد مصدرا آخر لإمامته المسجد وخطبة الجمعة من المصادر التي اطلعنا عليها، خاصة وأننا قد ذكرنا من المصادر من تولى إمامة مسجد مشهور من السادة في عصر المعلم، غير ما أكده هو من قصيدة له قوله:

والعفو في حكم القناصة للمعلم والخطيب (٣٩١)

ولم يذكر إمامته في المسجد ولا خطبته للجمعة في غير هذه الجملة، وإن تداول إمامته وخطبته من روى شيئا عن حياته في الوقت الراهن.

أما مدرسته أو معلامته، فإنه قد ذكرها أيضا بقول:

سكنت الشعب لكن لتعليم الاحبه

وفي التعليم بركة وخيرا نستعد به

بحق اقرأ عسى الحق يكرمنا بقربه

بل كان رحمه الله يفخر بأن عددا كبيرا من شباب آل تميم تلقوا تعليمهم المدرسي عليه، بيد أنه لا يكتم شعورا بالمرارة من بعض تلامذته لم يراعوا له حق أستاذيته:

(٣٩١) وفي الديوان والعذر من حكم القناصة للمعلم والخطيب.

والعكس مني قدر مائتين لي تقرأ علمتهم حد عرف قدري وحد قدار

على انطلاق اللسان الجوّة (القذرة) الحمرا بيني وبينهم آيات في الأسطار

هو المعلم.. المعلم في معلامته، يعلم تلاميذه القرآن، ومع القرآن شيئا آخر من موجبات الدين، كالصلاة والصوم والحج وما تعلق بذلك، وهو خطيب مسجد الجامع في البلدة، وحسب اعتقادنا أنه لم يتجاوز هذه الدائرة، على وفق مقررات البيئة التي يعيش في محيطها، ولم يذكر لا هو ولا غيره أن شيوخا تتلمذوا عليه في فرع من فروع العلم، غير القراءة وربما مبادئ الكتابة، وما ألمحنا إليه قبله.

وكان المعلم مع وظيفته السابقة أو السابقتين، قدعقد حلفا مع آل سلمه له ما لهم، وعليه ماعليهم:

قال الذي له زمن في الشعب عامد وحال

حالفت من فيه عاقد حلف ماهو محال

حلفي على نفسي وأيضا إن أتونا عيال

ولقد أحب دمون، وزهت به دمون، وأحبه أهل دمون بكل طوائفهم، وحمل مع قبائلها آل سلمه السلاح في شبابه وكهولته، وشارك في القتال أيام خصومتها مع القبائل الأخرى، وكان ولاؤه الأول لآل سلمه:

ثم قال من حل في شحره بها يغرى مدحي وحلانها تغري لهم لشعار

جلست معهم دخلت الضو والغدرا ولأجلهم عندي الحالي سوا والقار

فكان المتحدث، أو – على حد تعبيرنا اليوم– الجهاز الإعلامي للتحريض والتمجيد والتشهير، لقبيلة آل سلمه خاصة، ولقبيلة آل تميم عامة، بمصداقية ولائه، وقناعة اعتقاده في المواقف، لا بمراد التزلف والمجاملة، سواء كان مادحا أو ناصحا أو منتقدا أو ذاما، فقد كان عليه رحمة الله واضحا وصريحا، في قوله، وفي تحليله للمواقف الحرجة للقبيلة خاصة، وللمجتمع العام عامة، حيث لا يجهل الأثر النفسي الذي تتركه قصائده في أفئدة الخواص والعامة، وهو كجهاز اعلامي في عصره، لا يبخس من يستحق المدح والثناء، فمدح الخصوم في مواقف تستحق المدح، وذم وانتقد محبيه في مواقف لهم تستحق اللوم والنقد.

يقول في أهل المكرمة والجوده وأهل الثنا لي روعهم بدر

***

كذلك إن قلت قولي للعرب ظاهر مابين دولة وعسكر ليس أنا حاذر

وليس أنا مثل من يخفي وهو شاعر أنا امدح الخصم لا قد طير سُعدُه حام

عهوين همتي قصرت ذي السنه والعام

***

ذا قول عبد الحق لي هو مابدا جا في العتب

وليس يكذب في تحداثه كما بعض الكذب

ولا يحب الفسل ريت الفسل من روس الهبب

وكجهاز دعائي وإعلامي لآل سلمه كان ملما إلماما حسنا بأحوال عصره السياسية والإجتماعية، وله معرفة تامة بالعرف القبلي، وبنوعية العلاقات التي

تهيمن على الأحوال القبلية، كما كان على دراية واسعة بوضع حضرموت السياسي العام:

والله لاشيء ياعـــرب يغـبانا قـدنا اعـرف الادبار والاقـبالي
انصح وصحح في كلامي وأوعظ حـــد يشتغب من قـولي المتوالي
وحـد يخف الـحـمـل به غير أننا ما أطرح على مبنى ركيك اقبالي

يقول الكلمة التي يجب أن تقال في وقتها، بقوة من يعرف وقعها الإيجابي أو السلبيي عند من يعنيهم.

***

للمعلم قوة روحية موهوبة غير مكتسبة، فهو يرى الأشياء بعينيه وبإحساسه ومشاعره، ويسمع بإذنيه وبقلبه ووجدانه، ويفكر بعقله وإلهامه..يسير بخطى واثقة في طريق اختطها لنهجه، لم يجعل المصلحة الخاصة، أو المنفعة الشخصية هدفا أو غاية، إن شايع قومه وحلفاءه فهي مشايعة على حق أعتقده، وإن خالفهم أو جانب نهجهم فهي مخالفة لنهج انتهجوه على غير ما يرتضيه، وما لا تمليه عليهم مصلحتهم العامة:

أحـوال فيهـم هـينة مـا تعجـب شي منها ظاهر وشيء مدغومة
لـغزت محد من كلامي استعـنا ذا ثور ما بوشي علـى تلـقـومـه
كودي إذا ما شي صلح لي منهم باشــل نفسي لابلـد مـنظومـه
ما طارفتي الا الـقـلـم والـمـغرا ماقول شي جحله معي مرزومه

كانت أشعاره فتنة الحديث للقبائل في خلواتهم واجتماعاتهم، وامتحان بصيرتهم وإفهامهم، ومثار الخلاف والشقاق حول ما قال وما أراد من قوله.. عجب به وبأشعاره الكثير، وافتتن بأقواله أكابرالقوم وأصاغرهم، وردد عجائب وغرائب مفرداته في كل مثوى ومسكن، واحتدمت المعارك الكلامية بين أنصاره وخصومه..من حزِن وحنِق واشتحن وابتأس، ومن جذل وهنأ وفرح..- رحم الله المعلم- فقد اجتذب الأنظار من عدو وصديق.. من محب ومبغض.. هو هذا الناطق باسم قبيلته، أنصت لمقولته التي امتلكها، الفصيح والعي، ولم يكن الناطق التابع الذي يلقن قولا أو يستعيره من غيره، مصيبا كان أو مخطئا..صادقا أو كاذبا.. كان حرا بالمعنى الذي تعنيه هذه الكلمة اليوم وبالأمس، يقول ما يجب أن يقال، ولا يخشى أو يحاذر فيما يقول.

المعلم نابغة من نوابغ عصره، لأنه ظل طيلة حياته مالكا زمام نفسه التي لم يبعها للعطايا والهبات، وإن قبلها أو طلبها من الغير، فقد كانت السلاطين ورؤساء العشائر -وهم في حكم السلاطين حينها- يتبادلون معه الرسائل ويتحفونه بالعطايا، سعيا وراء نصائحه القيمة، وربما سعيا وراء مدائحه والثناء في أشعاره، بما كان يتمتع به من مقام اجتماعي مرموق في بيئته، وتلهف عام لأقواله.

وقد شغل الناس بأشعاره، وكانت الناس تنتظر أشعاره في كل مناسبة، ويتداولها علية القوم وأدناهم، إلى العصر الذي نحن فيه، فهو من الشعراء الشعبيين المتميّزين، وكان دوره ايجابيا بارزا في مجتمعه بمختلف أنشطته السياسية والحربية والإجتماعية.

غير أن ثمة تباينا في مواقف المعلم، ربما نستشعره في قول، ولا نستحضر واقعه أو عصره وبيئته، فالإيحاء من تلك الأحاسيس الغامضة التي تنتاب الإنسان أمام المواقف المتباينة..واقع الضرورة التي تفرضها المواقف المتناقضة في عصر، مليء ومشحون بالصريخ والتنادي بالحرب..هي الضرورة التي تحتمها الظروف في بعض المواقف، لأنه – مضطرا أو متفاعلا- يعطي لكل موقف رأيا أو وجهة نظر معينة، وقد يستشعر فيها نوعا من تأنيب الضمير، أو محاسبته لنفسه، ولو بعد حين، وإن لم تتعد أصول ومبادىء الشخص ومعتقده، فمن تباين أوتناقض المواقف للمعلم، إن من المهام التي أنيطت به، رسالة العلم..الرسالة التي حملها لتعليم الأحبة من أبناء القبيلة وغيرها، وفيها الخير والبركة، ولا حيلة له في تباين الموقفين:

وعبد الحق هو والزمن هبه بتبه

عمد في شعب به ريح الباروت شعبه

ولا لخلف الطمع في قفا نخله وجربه

سكنت الشعب لكن لتعليم الاحبه

وفي التعليم بركة وخيرا نستعد به

بحق اقرأ عسى الحق يكرمنا بقربه

كان المعلم التقي السخي يجود بما يحصل عليه لمن هم أفقر منه.. المتطوع بالصيام يومين من كل اسبوع، وقد عُرف بإدمان العبادة، وحفظ القرآن الكريم، وكانت له ثقافة أدبية ودينية، تعد ممتازة بمقياس عصره وبيئته، وينفق كل

الصلات المرسلة إليه، ولا يستبقي منها إلا حاجة يومه، ويجود أو يتصدق بالعفو رغم الفاقة التي كان يعانيها هو واسرته، ورغم الشجاعة التي عرف بها، فقد كان جم التسامح، لايحمل الحقد، ويغفر الزلة، وينسى الإساءة، ومفهومه في سعيه الدنيوي:

الزاد زاد التقى في الآخرة يذكر يارب متنا على الإسلام والإيمان

ومن هذا خلقه ومفهومه، فإن التباين الذي ألمحنا إليه التنادي بالحرب، والتحريض عليها ورفض الصلح بدفع الديه بدلا عن القتل والإقتتال -مثلا- إنماهي ضرورة تفرضها الحياة القبلية، أوالعرف القبلي.. ربما هو مبرر لمن هو في غير خلق المعلم وثقافته وتقاه، أولمن لم يجد وسيلة أخرى، لكن أن يكون المعلم يطرح "المشعالا" أي يشعل فتنة قد خمدت، ويضع وقِيدَة للتطاحن والإقتتال، ويحرض القبائل إذا أنسوا بالسلم أواستراحوا من الحرب، فهو الموقف الذي يؤخذ عليه، لولا وجوده في وسط معمعة الفتن، وصولة المقهور ولو بالقول، لردع الظالم والمعتدي الخارج عن العرف القبلي، يقول في صلح تم:

ما اعتار بن طناف لي حب البقش عقله انطمخ من حنة الصلصالا

ما با تبيضن الدراهم وجهه إلا إن قتل واحد من الفعالا

ياريت رأسي بايبيض وجهه حتى يكون الفعل ممن قالا

ومع هذا يزعم المعلم:

ذاقول عبد الحق ماهو مخفي ولا طرح بين العرب مشعالا

ملا حكى بالصدق واظهر فعله وليس أنا حاكم ولا فصالا

وهو – رحمه الله–الذي يمجد الحرب والإقتتال ويحرض عليها، بتبرير البيئة ومفاهيمها يقول:

تشرق وتغرب ما يصبح بادي ما كن معهم للبنادق زانه
الحرب ما يعجب إذا هو فاتر يعجب دم المقتول في ميدانه
من حل وسط القوم شل بلاهم ومن نسي- حقه عليه هيانه
يدلي على ماله بحق أو باطل من لاطعن بيده خذوا بلدانه
ثم قال من لاتعتليه الزلة أيضا ولا في حرب يغدي ضانه
ولا بدا قلبه رجف من فتنة الحرب عندي تشتعل نيرانه

ومن تنهيدة أسى لواقع ارتضاه:

بالرخص من قد باع رأسه نحنا نفرح من المقتول والقتال

ترى ما الذي يدفع بالمعلم طالب الخير والبركة من الله في دنياه وآخرته، أن يكون داعية قتل واقتتال بين الفرقاء، وكأنه لم يجد وسيلة أخرى في علمه.

إنها الضرورات التي تفرضها الحياة أو البيئة التي يعيشها الناس في مجتمع بخيره وشره، وبتباييناته في السلوك والرؤى، أو الإزدواجية في الرؤى، ولا بديل عنها.

ثم قال عبدالحق حل الصدق والكذب اضمحل
وطاب وادينا وحق الحق والباطل بطل
والكذب لي فينا نفاه الصدق لي في القلب حل
نكذب على أنفسنا وحصلنا لمن يكذب محل
رحنا متاره لحم مابين العساكر والدول
نمدح ونقبح ليس نخفى يوم خلق الله حمل

لكن:

ذا سالف الدنيا ومن هو فيها من كان في دنياه يأخذ طوله.

وربما نجد له العذر أيضا في قوله:

من حل وسط القوم شل بلاهم

فلقد كان نتاجا فريدا للوسط والزمن الذي عاش فيهما، ولم تكن له حيلة في ذلك.

عاش المعلم على تلمس الكثير من معاناة المساكين، إذا لم تجد السماء بالمطر، والمطر هي الرحمة المهداة من الله للبلاد والعباد لأنها الرخاء الذي ينعم به الكل، فلأن المجتمع مرتبط بعضه البعض، فإن خصب الأرض يعني امتداد الرخاء من الفلاح إلى أرباب الحرف الأخرى، وإن لم تجد السماء، فإن الحاجة تسود الجميع، ويتغيّر الوضع، وتستبدل المهن بمهن لم تألفها، ومشفقا عليهم من جور المستغلين:

وجار الضيم والبخس يارب السما حار

أرى المسكين ذهنه من أفعال الزمن جار

***

حويك البز منهم دموع العين زغار

كذا رجعوا من الوقت لي ذوقهم القار

تراهم في البخص منهم يسني وحد سار

***

بل يضطر الواحد من هؤلاء الذين جار عليهم الزمان بالتسول أو الاستدانة، لكن قلوبا للموسرين عليها غشاوة بخل وقسوة:

وإن قد وصل حراث مقصوده لراس الصرع دين

يقـول له شـي رهـن يضفـي مـطلبك ماهـو رهـين

وإلا شـف الـسمـحاء ولا يرثا إذا اعـيانه يـبكـين

***

وإن طرب السائل بقله ياحبايب شي عوين

هو يختفي زاد النساء ساعة يطرب يختفين

والـنهـر للسائل وفـي قـهـر الـيتيـم الآيتين

في والضحى تكفي ومن غفلاتنا نأخذ قـدين

***

يرى المعلم مشكلة زمنه وبيئته، هي مشكلة الفوارق الطبقية، إذ لم يتم صلح وإصلاح لأي مجتمع إلا بترابط أفراده..من كل طبقاته..وإن يكونوا إخوة متعاونين في الخير والمصلحة العامة، وأن يتجنبوا التجزئة والتحقير من بعضهم البعض:

ندعي وخالقنا يعاون مـن تقبض واعـتصم

بـحبلـه الـقـوى وبئس الـتفـرقـة أس النقم

***

لـو كل يد قـبضت بيد عـالخير ماجانا الـندم

ولا بقي مسكين في ذي الأرض يقتله الـعدم

كانت امتلت آصارنا أرزاق من مولى النعم

لكن ذا سيّد وذا مشيخ وذا جده الحكم

وذاك قروي عالمراوض دوب ما يجرالنسم

على نظيره معتكف في ذا بكم أوذا بكم

وذا عبر عمره يرونه رجس من جيز الخدم

***

كلا يرى صاحبه في الميزان كحة من حجم

لذا السبب جتنا المذلة والرثاثة والبكم

زادت سفاهتنا وزاد الكيد فينا والسدم

ومن جهالتنا طرحنا حرير عاشوك السلم

***

إنه المجتمع المتخلف.. المجتمع المجزأ إلى طبقات..مجتمع مفكك الأوصال.. أليست هذه الأدواء نتيجة للتخلف.. مجتمع متخلف.. لكن أي تخلف يعنيه المعلم، وأي داء استحكم في مجتمعه حتى أعمتهم بصائرهم بطرح الحرير فوق السلم..إنه الجهل.. الجهل والتعصب الذي يورث.. ربما هو التعصب الذي سار متنقلا من فئة إلى فئة، ومن مرحلة إلى أخرى، ومن عصر إلى عصر، حتى العصر الذي نحن فيه، إذ لم يزدها- فئة المتعصبين- التمدن إلا عمى..عمى الطبقية والتعصب والتفرقة، كما وصفها المعلم.

هي العصبية آفة التخلف والجهل..التعصب الذي يعمي البصر والبصيرة، والذي حدا بعميان البصيرة إلى طرح الحرير"عاشوك" السلم.

لأن غياب رجال الإصلاح، المتشبعين بروح المنفعة العامة، الذي لهم رؤية المصلح لجمع الشمل، ودرء المفاسد في المجتمع كان سببا من أسباب طرح الحرير على شوك السلم:

وين الذي يفحس الهرج لا الهرج احتدم

ويعصبون الشور عالمعروف لا الرأي انتظم

اعني رزوم العش حلالي المشاكل واللكم

صدور في كل النوائب حين حملات الزلم

ذا وقتها الأهوام مابا قول هم جملة جحم

هو المعلم رحمه الله برؤيته يصور مجتمعه في عصره وفي غير عصره، يشخص الداء، ويصف الدواء، الم يكن المعلم داعية للعمل التطوعي، ومنسقا له، لمصلحة البلدة ومن فيها، وقد أوردنا مطالبته بذلك في الزراعة.

وهو-رحمه الله-القانص، والعاشق للقناصة، والذي ترك لنا ما لم يتركه غيره عن القنيص وشعابه ووديانه وأوشاره وكلابه ورميانه. وقد استوفينا الحديث عنه في "قناصة الوعل" من هذه القراءة.

عاش المعلم فقيرا معدما على عزة نفس وشموخ رأس، ولم يكن يواري فقره وحاجته، بل كان يلقب نفسه في أشعاره بـ "شيخ الفقراء" و" رئيس الفقراء"، ويعلم أنه كان يصارع الزمن، رغم الهبات الجزيلة التي كانت تزف إليه، ويوزعها على الذين كانوا أكثر فقرا منه.

كانت قصائده-ومازالت وستظل-بمثابة واحة وارفة الظلال في صحراء الحياة وخبتها يأوي إليها المتعب المكدود في متاهاتها يجد فيها متنفسا لمعاناته وبؤسه، فيتيه مزهوا بأراجيزه، التي تجسد النصر..سواء على الخصم الحقيقي أو الوهمي، أو على اقتناص الأوعال بكبريائها وغرورها.

دوّن المعلم في أشعاره لمن عاصر من السلاطين، ورؤساء العشائر مفاخر لم يستطع خلفاؤهم من بعدهم ولا الذين كانوا يحيطون بهم أن يسلكوها في سجلات التاريخ، وما كانت مفاخرهم مهما كانت، ومهما كان تقويمها في نظرنا اليوم لتسري على ألسن الشعب لولا أشعار المعلم.

توفى المعلم رحمه الله بدمون ليلة الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة عام١٢٨٩هـ، ودفن في احدى مقابر تريم.

ولقد جمع وأهتم بطبع ديوانه المسمى بالوقائع فيما جرى بين آل تميم ويافع السيّد علي بن أحمد بن محمد بن شهاب. وحسب رأي الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف، أن هذا العنوان لاينطبق بدقة على محتويات الكتاب.

وذكر الأستاذ بامطرف أنه سأل المقدم سالم بن عوض بن سلمه عن الديوان الكامل للمعلم، فأخبره أنه علم أن مستشرقا هولنديا يدعى لندبرج اشتراه من أحد الحضارم باندونسيا.

وللبلدة دمون الفخر..كل الفخر أن تفخر بهذا الرجل الذي أضحى اسمه ملازما لاسم البلدة.. المعلم عبد الحق الدموني..رحمه الله.

٣- السيّد أحمد بن محمد بن عبدالله بن شهاب

ولد بتريم عام ١٢٥٣هـ ونشأ بها، وسافر إلى جاوا عند بلوغه الثانية عشرة، وأقام في جاكرتا، وزاول التجارة، فتقدمت أعماله التجارية تقدما عظيما، وجمع ثروة ضخمة، واشترى عقارات وأراضي واسعة، حتى عد من أثرياء العرب(٣٩٢).

وعنه يقول السيّد عبدالرحمن بن عبيد اللاه السقاف (وعده من أهالي دمون وهو كذلك) "نجع إلى جاوا وجمع ثروة طائلة حتى كانت له قرية في جانب بتاوي تسمى "مينتغ"، وهو الذي أعان السيّد علي بن محمد الحبشي على الرباط بأربعة عشر الفا من الريالات"(٣٩٣).

ويقول السيّد عمر بن علوي الكاف عنه: "هو الذي أنشأ وعمر مسجد الرياض بسيون بجانب رباط السيّد الحبيب علي بن محمد الحبشي.

كما أنه أيضا عمر الرباط المذكور، وعمر وأنشأ مسجدا بمدينة دمون/ تريم، ومسجدا آخر بنويدرة تريم في المكان الذي اشار إليه جده الشيخ أحمد شهاب الدين بأنه سيبنى فيه مسجدا ينشئه ويعمره أحد أولاده اسمه أحمد كاسمه، وتصدق على هذه المساجد الثلاثة ووقف عليها عقارات بحضرموت وجاوى"(٣٩٤).

"ومن مآثره الخيرية بناء سقاية مسبلة بدمون، وأخرى بالنجير، وبنى مسجدا في سيون على نظرالحبيب علي بن محمد الحبشي(مسجد الرياض)، واشترك في بناء

(٣٩٢) شمس الظهيرة تحقيق محمد ضياء شهاب جـ١ صـ ١٦٠.

(٣٩٣) السقاف: إدام القوت صـ٥٥١.

(٣٩٤) الكاف: تحفة الأحباب صـ٧١.

الرباط بسيون، وأوقف عليه من ماله ما ثمنه أربعة آلاف ريال(فرنصه)، وبنى مسجدا في النويدره بتريم وسماه مسجد شهاب الدين، وجعل له حائطا وقفا عليه، كما أو قف عليه أرضا ونخيلا، وبنى مسجدا(مسجد شهاب الدين) في دمون وأوقف عليه بيوتا في جاكرتا، واشترك في بناء وصدقة على رباط تريم، وبنى بيتا في وادي هود وجعله لأسرة آل شهاب الدين، وبنى في جاكرتا مسجدا".

وتوفي السيد أحمد في تريم عام ١٣٠٨ هـ عليه رحمة الله(٣٩٥).

٤- الشيخ سعيد بن سعد بن محمد بن نبهان

منحة الزمن، أو نادرة من نوادر الزمن..أرادها الله من بين مجتمع قبلي شِرعته القهر والظلم والقتل.. ألهمه الله الرشد منذ نعومة أظفاره، قال الإمام الحداد عن هذا المجتمع:" لا أقول بكفرهم، ولا أقول بإيمانهم"..كانت هذه المنحة المباركة لهذه البلدة وتلك شرعتها ونهجها في معيشتها الخاصة والعامة، فهيأ لها الأسباب وألهمها الرشاد فكانت آثاره تشهد له بالفضل والتفرد من بين بني قومه.

عاش في وسط عصر من عصور الظلم والظلام الذي ساد البلاد كلها.. عاش في مجتمع بكل مساوئه ومنغصاته، "تصابحه" "وتماسيه" المعارك الحربية والفتن والإحن بين الاخوة.. عاش.. وكان يجب أن يعيش ابن بيئته.. ابن السيّد المقدام الشجاع المطاع، وحفيد المقدم المطاع..تربى وترعرع في بيت "القبولة" وساحتها.. في بلدة تحكمها السلطة العشائرية..هي سلطة الجد والأب، وكان

(٣٩٥) شمس الظهيرة: تحقيق محمد ضياء بن شهاب جـ١ صـ ١٦٠ .

الخضوع لهذه السلطة، والرهبة من تلك السلطة، والإنقياد لتوجيهات هذه السلطة..سلطة مقدم القبيلة(طائلة) وعلى جميع أفراد قبيلته وفخائذه الطاعة والاحترام، وتنفيذ أوامرها ونواهيها، والإحتكام لمقرراتهاعلى وفق أعرافها وسوارحها، ناهيك عن مجتمع عام تحكمه القبيلة.

قد تكون بعض الأوامر أو النواهي الصادرة فيها ظلم بيّن، وحيف ظاهر، لكن لا جدال في طاعة الأمر، ولا تردد في التنفيذ بما تقرره وتمليه السلطة المهيمنة.. ربما يكون هناك من هو على غير قناعة بالأمر أو النهي، إنما الكل ملزم بالتنفيذ.. الطاعة هنا في مجتمع تحكمه الأعراف القبلية كوسيلة لتحقيق أمنها ومصالحها، وهو همها وغايتها.

والإنتماء للقبيلة يحدد هوية الشخص المنتمي للقبيلة، حيث لا يرى عيبها عيبا، ولا يرى قبحها قبحا، ولا ظلمها ظلما، ولا تنصلها لشرع الله إثما، ولا يجوز السكوت عن ما يسيء إلى القبيلة أو يهدد تماسكها، ولا إلى ما يؤدي إلى عصيان أحكامها..قبيلته هي ثقته وأمنه وأمانه، وفيها خلانه وأصدقائه وأقرانه ورفاق مغامرته، وهو مرتبط بها ارتباطا روحيا ونفسيا.

هذا الرباط، أو تلك الرابطة التي لا تنفصم عراها..رابطة متينة قوية..رابطة النسب والعصبية.

وعندما يتمرد أحد أفراد القبيلة ولا ينصاع لسوارح والتزامات قبيلته " ولا يتقيد بالأعراف والعادات المتبعة، ويصر على ذلك تتبرى منه القبيلة"[٣٩٦].

(٣٩٦) الصبان: لمحة عن حياة البادية صـ٣٤.

والتبرؤ أو النبذ أشد أنواع العقوبة لدى القبائل، وما يعنيه النبذ في مجتمع مقومات عيشه الاحتراب مع الآخر، هو تسول المكان الآمن والخضوع للشروط المجحفة التي تملى، وفي الشروط إذلال ومهانة، وطمس هوية، وحمل السلاح جزء لا يتجزأ من تكوين القبيلي..وسلاح القبيلي هو مهنته.

والحياة الاجتماعية القبلية في تلك الفترة هي حالة نشاط متجدد للقتل والحرب، والويل كل الويل إن فتر الحرب أو وهن العزم فيه، يقول المعلم:

تشرق وتغرب ما يصبح بادي ما كن معاهـم للبنادق زانه

الحرب ما يعجب إذا هو فاتر يعجب دم المقتول في ميدانه.

وشيء آخرمن مناكر العرف القبلي.. هو الثار.. والثار في العرف القبلي المطرد (الطارف غريم)، ويعبر الطارف جزءا من كل مطالب بحق[٣٩٧]، والطارف أي فرد من أبناء القبيلة أكان له علاقة بالقتل أو لم يكن له رابطة أسرية بالقاتل أو لم تكن..يكفي أن يكون من أبناء القبيلة.

والناس في البلدة تتقاذف بهم الأهواء..أهواء حملة السلاح، فتراهم يذعنون على مضض لهذا الجانب تارة ويودون في الوقت ذاته غيره، لو أن الأقدار أطاحت به ليحل محله من يكفل لهم الأمن والإستقرار[٣٩٨]، وهي حالة تعتري من ابتلي بحاكم ظالم في أي عصر، وليست له القدرة على تغييره.

(٣٩٧) الصبان: لمحة عن حياة البادية صـ٣٢.

(٣٩٨) بامطرف: المعلم عبد الحق صـ١١٧.

هناك الفوارق التي توجد بين الناس، بين أفراد المجتمع سواء في حياتهم ومعيشتهم، أو انتماءاتهم وأعرافهم، أو سحنات أجسامهم وقوتها وضعفها.. ربما هي اعتبارات اختص بها القوي الذي سيطرعلى مثوى ومجتمع ما..مكنته سيطرته بقوته أن يفعل ما يريد فعله، ويقول ما يريد قوله، وربما بقوة ماله وتعميم فكره وثقافته، استطاع أن يسخر ذلك المجتمع لخدمته بصورة أو بأخرى، ذلك أن قوى الشر والظلم في الإنسان طبعا يغلب أغلب النفوس، وليس كلها.. هذا الطبع أو تلك السجية في الإنسان إذا لم يهذبها دين أو عقل ويرشدها إلى النهج والمسارالإنساني السليم الذي دعت إليه الأديان السماوية والعلاقات الإنسانية، فإنها تصبح واقعا لابد منه ولا محيص عنه، ولا بديل غيره، حتى وإن ارتأته مراكز القوى برؤية غير الممارسة الفعلية فإن مصلحتها في بقائه.

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلةٍ لايظلم

ولعل الكثير لهم آراء ورؤى لا تنسجم ولا تتفق مع سلوك وممارسات وأعراف القبيلة، وفيهم من رجال العقل والصلاح ومحبتهم للخير، والتزامهم بالفرض من الشعائر والنوافل التعبدية، لكنهم يتعايشون في إطارها على وفق سوارحها وعاداتها، بعيدا عن شرع الله من غير الشعائر، ولهم محاكمهم الخاصة وقواعدهم العرفية في الحكم، وتستثنى أحكام الأنكحة والمواريث التي تستمد من الشريعة، مع أن البعض يحرم الأنثى من الميراث بحجج يختلقها أو بدون حجة.وهذه قراءة سريعة للمجتمع القبلي الذي عاش في كنفه الشيخ سعيد بن سعد.

كان الشيخ سعيد من صغره، كما يقول المقدم سالم بن عوض بن مبارك:" كان جلوسه وقت صغره وشبابه في بيت جده لأمه (جد المقدم سالم بن عوض بن مبارك) مبارك بن عبد الله بن سلمه لا يبعد كثيرا عن مسجد مشهور (جامع دمون) وهو دائما يرغب أن تكون صلاته في المسجد جماعة، وقد تعود على ذلك من صغره، كما تعود على القيام آخر الليل بمعية خاله عوض بن مبارك، وبيت جده أيضا لا يبعد كثيرا عن المعلامه (الكتيب) التي بدأ تعليمه فيها، ثم تحول إلى عند آل بن هارون[٣٩٩].

ولعل المعلامة هي معلامة أو مدرسة المعلم سعيدعبد الحق لقرب بيته من مسجد مشهور، وذلك لأن ميلاد الشيخ سعيد بن سعد عام ١٢٥٤هـ، فالمعلم هو صاحب المعلامة أو المدرسة لا غيره الذي أغروه آل سلمه لتعليم أبنائهم بدمون، وميلاد المعلم عبد الحق عام ١٢١٣هـ فيكون حين ميلاد الشيخ سعيد، كان المعلم قد تخطى الأربعين من عمره وهو يمارس مهنة التعليم والخطابة في مسجد جامع مشهور، وبيته القريب من مسجد مشهور، يقول المعلم يصف موقع بيته:

ياعازم اعزم من الشعب الورب فاسرح

في الحال من دار بحري مسجد المشهور

وبيت المقدم سالم بن عوض معروف، وقد تجدد بنائه في موقعه القديم.

(٣٩٩) بن ضياء: الاعتراف بالاحسان صـ ١٠.

لم أطلع على شيء من كتب الشيخ أو ممن كتب عنه، وفيها أنه تلقى تعليمه الأولي عند المعلم عبد الحق، وربما للاختلاف البيّن في رؤى المعلم ورؤى الشيخ فلم يذكره، وربما ذكره ولم نطلع عليه.

يذكر السيد ابوبكر بن علي بن شهاب:" أن والده-والد الشيخ سعيد بن سعد-فرغه لطلب العلم، وقرأعلى العلامة عبد الرحمن بن هارون بن شهاب الدين، حفظ عليه القرآن الكريم، وغيره من المتون، لأن حافظته قوية، وفاق كثير من الطلبة، ثم رحل إلى سيون، وقرأعلى كثير من الحبائب، ثم سافر إلى مكة جاور بها سنين، وقرأعلى علمائها، ثم سار إلى جاوه، وجلس في سربايه، ودرس بها وانتفع به كثير من آل العمودي وغيرهم، وتولى تدريس أولادهم، وأسس المكتبة النبهانيه"(٤٠٠).

كان الشيخ سعيد – رحمه الله- يعيش بين رجال القبائل، وكأنه ليس منهم فلا تزيا بزيهم ولا سار سيرتهم، ولا تقبل أفكارهم ولا ممارساتهم، ولعله لم يتقلد السلاح في حياته، وربما حمله في شبابه، فقد ذكر الدكتورعبد الله قادري الاهدل في مدونته يقول:" اتصلت بالسيّد العلامة محمد أحمد الشاطري، وسألته عن الناظم- يقصد ناظم الدرة اليتيمة للشيخ سعيد التي شرحها الأهدل- فقال هو من رجال القبائل في تريم!، وكان يسكن في قرية دمون، وكان يدرس على يد السيّد عبد الله بن هارون بن شهاب، وكان من حملة السلاح استعدادا لما كان

(٤٠٠) رحلة الأسفار صـ١١٧.

يحصل بين القبائل من ثارات، فإذا حضر إلى منزل السيّد لتلقي العلم وضع سلاحه في الخارج ودخل، ولما علم الشيخ – السيّد- بذلك نهاه عن حمل السلاح فتركه وواظب على طلب العلم حتى أصبح من العلماء وألف عددا من الرسائل."

غير أن السيّد أحمد بن ضياء ينقل على لسان المقدم سالم بن عوض بن مبارك بن سلمه قوله:" إن ابن عمته هذا سعيد بن سعد، رجل غريب في أفكاره واتجاهاته، فهو لا يروقه شيء مما نحن فيه، ونحن قبيلته ونعده منا، لكنه لا يحضر جلساتنا ولا يشارك في شيء، وهذا كان من صغره وشبابه، وكان يقول لنا: إن أموركم كلها على غير ما أراد الله ورسوله، وكان دائما يقول:" لمن توجهون سلاحكم؟ لإخوان لكم في الإسلام يشهدون أن لااله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلون ويصومونٍ والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار"، وإذا كانوا عصاه أو جهلة واجب تعليمهم وإرشادهم بالموعظة الحسنة، لا بالقتل، وأنتم جميعا تقولون هذا شرع القبولة، وعادات القبائل، وما هو شرع، وإنما هو حكم الطاغوت وعادات شيطانية تقتلون رجلا بريئا ما عنده ذنب وتسمونه ثارا أو نقا".(أي القصاص من غير الجاني)[٤٠١].

وسواء حمل السلاح أو لم يحمله في صغره وشبابه، فهو قد ربي في بيت مقادمة ورؤساء عشائر، ما يعيش الفرد منهم إلا شاكي السلاح ليله ونهاره.

(٤٠١) بن ضياء: الاعتراف بالاحسان صـ١٥.

لكنه تمرد على هذا الوضع وتلك العيشة، والحياة التي لا تتوافق مع عقله ومفهومه لدينه، وهو يعلم جيّدا مغبة هذا التمرد، فسوارح قومه وعاداتهم وأعرافهم هي للتقديس أقرب، وهو إبن من عرفنا من قبل أبيه وأمه، والقبيلي وانتمائه للقبولة كما يقول المعلم:

إما وشرفها إذا قد نودها نسنس وهب

وإلا كما الحراث خل السانية فوق القتب

وشرف القبوله في الإلتزام بعاداتها وسوارحها في وقت شدائدها، والحراث إذا ترك السانية فوق القتب مات زرعه.

لم يكن الشيخ تمرده عن جبن، فهو من آل بن نبهان المعروفين بشجاعتهم وإقدامهم، وحصافة رأيهم في كثير من أمور القبوله وشؤونها الفكرية والعسكرية، وما يقال: الولد سر أبيه، فإن من الحقائق الثابتة أن الأ بناء يرثون شيئا من صفات الآباء، فكانت الصفات التي ورثها الشيخ سعيد عن آبائه..صفات كريمة تحلت بها نفس زكية مؤمنة، وكانت لديه الموهبة والإستعداد لقبول المعرفة، والسير بخطى واثقة عارفة عالمة بمدلول تحركاتها نحو كل نافع.

عرف الشيخ منذ صغره كيف يروض نفسه على اقتحام مسلك وعر، رغم ما يتراءى له من عقبات وحواجز وعوائق، بهمة الرجل المؤمن، وعزم صارم لتجنب سيرة الباطل والظلم التي عليها قومه.. رجل غريب في مجتمعه..غير مطبوع على سليقة قومه، فهو لا ينظر إلى شيء مما هم عليه إلا نظرة عتاب ونقد وبغض، وإن جاءت هذه النظرة صامتة، فهو يعلم جيّدا أنهم لم يكونوا على

استعداد لتقبل نقد، أو عظة، أو موعظة حسنة، بل حتى أقربائه وأصدقائه المقربين، ليس لهم إلا ما لقومهم حتى وإن عرفوا وجاهة الموعظة وقبولها النظري لديهم.

كان الشيخ يرى قومه أو البعض منهم يؤدون شعائر الدين من عبادة وصلاة ونوافل وصوم فرض ونفل، ويدينون في معاملاتهم وممارساتهم بالعرف القبلي الذي وضعوه بغير ما شرع الله، فينتهكون به محارم الله، وهو يعلم أن مخ العبادة الورع عن محارم الله.. هي الإزدواجية التي طالت الكثير من المجتمعات والتكتلات قديمها وحديثها.. هذه الإزدواجية ضاربة أطنابها في الفرد والجماعة، باختلاف في الاشكال والمظاهر والدعاوي، وباختلاف العصر أو الزمن والبيئة.

سلوك الفرد المسلم وممارساته الاخلاقية وتقاليده وعاداته وعوائده هي المستمدة من تعاليم دينه ومعتقده كما أنزلها الله، وبيّنها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، أما أن تكون على وفق هوى الحاكم - بأية صورة كان حكمه- وتصوره، أو المتنفذ بماله وجاهه ومعتقده، أو المسيطر بقوته وجبروته وتشيعه لجنس أو مذهب أو فئة فهو الضلال المبين، وبه تاهت المجتمعات وحارت واستفحلت حيرتها وتوهانها، وشاعت الفوضى في تعاملها، واختلت موازين القيم الإنسانية، وهدرت خصائص الإنسان الذي كرمه الله.

واكب الشيخ الحياة من صغره..حياة شقاء وتعاسة ونكد..حياة خوف وقلق ووجل، لا يستطيع أحدهم أن يزعم أنه سعيد في خدره..آمنا في سربه..راضيا هني البال في يومه..كان يتساءل وهو يحاور نفسه عن قومه:" بأية نعمة يتحدثون وهم حرب على نعم الله كلها".

تلك الحالة التي أثرت -بعد عناية الله- في مسار حياته من صغره، فأنكر بعقله وبقلبه كل ما عاينه في مجتمعه من جور وحيف وظلم وتباين شنيع بين الفعل التعبدي والممارسة الفعلية في السلوك العام.

ومع أننا لم نسمع من أنه نُبذ أو انتقد أو سخر منه ومن سلوكه من عشيرته، إلا أن هذا لابد واقع في مجتمعه وعصره، غير أن لمكانة أبيه وجده من ناحية، ومن ناحية هو الوريث الشرعي- العرفي- لرئاسة القبيلة..قبيلته.. بعد أبيه، ربما كان اللمز والغمز همسا، وربما كان من ينتظرالفرصة المواتية للتشهير والنكيرعلى من تمرد على نهج القبوله وسيرها.

كان انتمائه إلى دينه أقوى وأمتن من إنتمائه إلى قبيلته، وكان تمرده -وإن يكن سلبيا-مفخرة لدمون، فقد شغل من صفحات التاريخ ما لم يشغله غيره ممن عاصره أو سخر منه.

لقد تفوقت هذه الشخصية على كل الشخصيات التي تباهى بها قومه أو قبيلته من شجاعة وإقدام وحصافة رأي ورجاحة فكر وصلاح.. هذه الشخصية فاقت على السلالة كلها، وتفردت بما لم تستطع أن توجد القبيلة بفخائذها وعشائرها أحدا مثله، لا قبله ولا بعده، واخترق كل الحواجز التي لا يتخطاها ولا يتجاوزها في عصره، إلا فئتان أو طبقتان معينة في المجتمع.

ولقد هاجر من البلدة لأداء فريضة الحج، وبعد أن أدى فريضة الحج سافر إلى جاوا حيث أسس هناك المكتبة النبهانية.

كان هذا هو الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان الذي تلقى العلم عن علماء في عصره سواء هنا-في تريم-أو في بلدان شتى، وتلقى عنه العلم طلبة سواء في بيته

أو في المسجد القريب من بيته مسجد شهاب الدين، أو في رباط تريم، وأضحوا علماء في عصرهم[٤٠٢]، وبقيت آثاره العلمية يستضيء بنورها علماء وباحثين، يشرحون غوامضها ويفندون أسرارها من بعده.

"بعد عودته الأخيرة من غربته في المهجر سنة ١٣٥١هـ، وأقعدته الشيخوخة بداره، وأصبح مأوى لطلبة العلم عنده، أصيب بحمى، فدعاه الداعي وانتقل إلى رحمة الله في ٩ جمادالأول من عام ١٣٥٤هـ"[٤٠٣]. رحمه الله.

وقبره معروف في مقبرة الفريط في الناحية الغربية الجنوبية.

من مؤلفاته:

- "الدرة اليتيمة" في علم النحو وقد شرحها الشيخ الدكتور عبدالله قادري الاهدل بكتابه" غيث الديمة في شرح الدرة اليتيمة. وشرحها أيضا الشيخ محمد صالح بن عثيمين.
- "هداية الصبيان" وقد قام بشرحها العلامة السيّد محسن بن جعفر بونمي في رسالته بهجة الأخوان بشرح هداية الصبيان، اختصره من شرح شيخ المقارىء المصرية الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني المالكي.
- "كفاية الأخوان" في علم التوحيد
- مرشد الولدان إلى معاني هداية الصبيان في التجويد"

وغيرها.

(٤٠٢) أخبرني أحد أحفاد المترجم له أن والده-سبط المترجم له لإبنته-أخبره أن الشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني مؤسس المعهد العلمي في عدن وإمام وخطيب مسجد العسقلاني بعدن تتلمذ على الشيخ في رباط تريم.

(٤٠٣) بن ضياء: الاعتراف بالاحسان صـ ٥٥.

٥- السيّد أبوبكر بن علي بن أبي بكر بن شهاب

" وجد في "بتاوي"عام ١٢٨٧هـ، غادر بتاوي بمعية والده إلى حضرموت في حدود عام ١٢٩٧هـ، وفي بلدته دمون تابع تلقيه القرآن على المعلم سالم سعيد عبد الحق، وتنقل عند المشايخ بتريم وسيون وغيرها من مدن حضرموت لتلقي العلم، ومن بينهم الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان.

عاد إلى مسقط رأسه إلى جاوا في عام ١٣١٣هـ.

ترأس جمعية الرابطة العلوية بجاوا"[٤٠٤].

كان رحمه الله ساعيا سعيا حثيثا للنفع العام بما يخص بلدته خاصة، وأمور الخير عامة، باذلا وقته وجهده وماله وراحته في سبيل ذلك، همه الإصلاح بين الناس ونشر التعليم، وعمارة المساجد، والسعي لعمارتها.. تنقل في المدن والقرى "الجاويه" في سبيل ذلك، ومن أجل بلده ومواطني حضرموت خاصة، توجه من مقره إلى سنقافوره واجتمع بإخوانه المقيمين في سنقافوره من آل شهاب من أبناء دمون، تفاوض معهم على بناء المدرسة بدمون، وطلب منهم المساعدة، ومع تلبيتهم النداء، إلا أن الله لم يوفقهم للخير. ورحل إلى "فليمبات" واجتمع بآل شهاب الدين والمحبين من أهل الجهة وأخبرهم عن نيته ببناء مدرسة بدمون وطلب المساعدة، وسار إلى بيوت البعض منهم، وقد تحصل على مساعدة نقدية من آل "فيلمبان" من غير وعد ولا إمهال.

---

(٤٠٤) شمس الظهيرة بتحقيق محمد ضياء بن شهاب جـ١ صـ١٦١.

هذه المدرسة التي أقيمت على أنقاض مدرسة قديمة بناها السيّد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن شهاب الدين نجدي(شمالي) مسجد مشهور، وأضيفت إلى مساحة البناء القديم خمسة وعشرين ذراعا أخذت بالإجارة من أرباب البئر المسماة "الشجره".

بعد قدومه إلي دمون للمرة الثانية في عام ١٣٤٤هـ، طلب من الشيخ سالم سعيد بكير المتخرج -حينها- من مدرسة الحق بتريم أن يدرّس فيها، ودرس فترة وتوقف، ثم طلب من السيّد عبدالرحمن بن عبد الله بن شهاب أن يدرس، فدرّس، وتوقف أيضا، وأعاد الشيخ سالم سعيد بكير، غير أن الشيخ اعتذر مرة أخرى لبعد المسافة بين سكنه وبين المدرسة وقلة الطلبة- ويعتقد أنهم من أبناء السادة فقط- إذ إن مبرر سفرالأولاد – كما يذكر صاحب الترجمة هو عذر الشيخ سالم سعيد. ثم طلب من علي بن حسين بن شهاب الدين أن يعطي الأولاد دروسا، أما الأولاد الصغار فيعلمهم الشيخ عبدالله سعيد باغوث، وعمر بن أحمد بن عمران في القرآن ومبادئ الفقه والدين.

- اشترى من سالم علي باحميش "دار آل محسن" وبنى على أرضيته مسجد السكران -غربي مسجد مشهور-وحفر له بئرا ومبنى بجانبه مصلى للنساء وأوقفه لله تعالى راجيا الثواب من عنده.
- صلى في مسجد جامع مشهور، فساءته الزحمة في المسجد وضيق المخارج فغيّر أبواب المسجد الثلاثة بأكبر منها في خلال أسبوع.

- فكر جادا في رفع سقف مسجد مشهور وتوسعته وطلب من آل بامزروع المجاورين للمسجد بيتهم، - وهم على وشك هدمه - بيع أرض من بيتهم لتضاف كتوسعة للمسجد، فقيل بالبدل ببيت مجاور (لآل بن سهيل) ذراعا بذراع، وحال بينه وبينهم البدل في البداية، لكن جاءت الموافقة بعد ذلك، وقد كتب للمحبين في "جاوا" بأن يعينوه بتوسعة المسجد، حيث قد شرع في بناء مسجد السكران، إلا أن الاعانة جاءت من أحدهم لا تفي بالغرض ولا بجزء منه.وفيما هو يقدم رجل ويؤخر أخرى متفكرا فيما أمله من قومه وما عزم عليه، جاءه من قبل السيّد عبد القادر بن حسين بن شهاب الدين قائلا: إن لم تكن هناك مشقة سيقوم هو بإصلاح المسجد، فرد عليه بأن المقصود هو إصلاح المسجد، وليكون على من وفقه الله هو أو غيره. وتمت توسعة المسجد وارتفع سقفه.
- قام بهدم وبناء زاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران في تريم وتوسعتها بنحو الثلث.
- عمر مسجد الشيخ علي بن أبي بكرالسكران بدمون وتوسعته.
- وهدم وبنى من جديد مسجد الماس بنويدرة تريم وتمت توسعته.
- إلى غير ذلك من مساجد تريم ونواحيها قام بترميمها وإصلاحها.
- سعى للصلح بين حافتي دمون والنويدرة التي دامت ١٨ سنه-لم يذكر أسباب القطيعة-وقد استعان بوساطة السيّد أبي بكر بن شيخ الكاف لدي السلطان محمد بن محسن الكثيري بتريم، وقد حضر مجلس الصلح في دار

السلطان مع أبوة حافة دمون- لم يذكر أسماءهم-، وقد سعى مع من توسم فيهم الإصلاح، لكن أراد الله أن يكون الإصلاح بواسطة السلطان"(٤٠٥)، قليل من كثير من جهد هذا السيّد الثري الذي نذر أغلب وقته لخدمة بلده ومواطنيه، راجيا المثوبة من عند الله، سواء في عمارة المساجد، أو المدارس أو الإصلاح بين الناس، وتكفيه مثل هذه الغايتين النبيلتين، وقد امتدحهما رب العزة في محكم تنزيله.

وله في البلد مكرمة بقيت إلى اليوم..

ومع أن السيّد لم يذكر شيئا عنها، فلقد كان ماعون الطبخ لولائم الزواج وغيرها في بيته يعطى لمن يطلبه من قدور من النحاس مبيضة بالرصاص من داخلها كبيرة، وصحون من النحاس مبيضة بماء الرصاص أيضا، إضافة إلى أكثر من لقن[٤٠٦]، ومغاسل لغسل الأيدي وغيرها، أكانت منه أو بواسطته، وذلك قبل الاستيلاء عليها من قبل منظمة الدفاع الشعبي في سبعينيات القرن الماضي.

وكان رحمه الله أول من أدخل السيارة الخاصة إلى بلدة دمون في تاريخها.

كما أنه أول من شغل مضخة للزراعة تعمل بالقاز في بئر "السريِّعِي" بالبلدة دمون، قبل مضخات الديزل.

"توفي رحمه الله بجاكرتا عام ١٣٦٣هـ"[٤٠٧].

(٤٠٥) عن رحلة الأسفار صـ ٢٠٠ لصاحب الترجمة، بتصرف يسير.

(٤٠٦) اللقن: وعاء من نحاس كان استخدامه في مناسبات الزواج وقد تحدثنا عنه.

(٤٠٧) باغوث: الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم صـ٩٤.

٦- الشيخ عبدالله سعيد عوض باغوث

من مواليد البلدة دمون عام ١٣٠٧هـ، عرف بالمعلم، ربما لكونه افتتح من جديد المدرسة أو"العلمه" للطلبة في البلدة، وهو اللقب الذي لازم المعلم سعيد عبد الحق الذي باشر التدريس أو التعليم في البلدة قبله.

انتظم الكثير، والكثير جدا من أبناء البلدة تلقوا تعليمهم البدائي إلى ختم القرآن على يد الشيخ عبد الله سعيد باغوث، وفي معلامته (مدرسة الإقبال) ومن كل الطبقات في البلدة، مع الشيخ عمربن أحمد بن عمران التميمي(دحيدح) وعمر هذا أعمى يستمع لقراءة المبتدئين في المصحف.

وقد درّس في المدرسة(المعلامة) جنبا إلى جنب مع العلامة سالم سعيد بكير، إلا أن لكل منهما طلبته.

تولى الخطابة للجمعة والإمامة في مسجد جامع مشهور، لكننا للأسف لم نجد من كتب عنه، أو حفظ شيئا من سير حياته، إلا التعليم وهيبته في المدرسة والبلدة، وما ذكرناه، لايؤدي شيئا مما أردناه، لكونه ربى جيلا كاملا من كل طبقات مجتمع البلده، هذبه وأدبه وعلمه ومحى أميته بقراءة القرآن الكريم، وهو مجهود لايستهان به في مجتمع عصره، حيث الجهل والفقر والعصبية التي تتحكم في مسار الفرد وتوجيهه. لكن لم نجد مصدرا يفي بترجمة هذا الشيخ الذي ذكراه على كل لسان تقريبا ممن كان من طلبته، غير إمامة المسجد وخطيب يوم الجمعة والتدريس بالاشتراك مع دحيدح.

واذا كان المعلم عبد الحق يفخر بأن عددا كبيرا من آل تميم قد تلقوا تعليمهم عنه، فإن غالبية سكان البلدة أخذوا وتلقوا تعليمهم عن المعلم الشيخ عبدالله سعيد باغوث، وإذا كان المعلم عبد الحق قد شعر بالمرارة من بعض تلامذته، فالشيخ عبدالله أحق بالشعور بالمرارة من طلبته أو تلاميذه، أو من البعض حيث لم يحفظ البعض له رد الجميل في حياته، ولا في أهله بعد مماته، خاصة القادرين منهم.

توفي الشيخ عام ١٣٦٣هـ مخلفا أحمد وبنات ثلاث، وقد افتتحت إبنته مسعد مدرسة لتعليم البنات أشرنا إليها من قبل.

٧- السيّد عمر بن أحمد بن عبدالله المشهور

مولده بمدينة تريم عام ١٣٣٩هـ التحق منذ صغره بمدرسة الإقبال بدمون حيث تلقى تعليمه الأولي عند الشيخ عبد الله سعيد باغوث، ثم التحق بعلمة باغريب بسحيل تريم، ثم بمعلامة أبي مريم لتحفيظ القرآن الكريم على يد الشيخ سالم محمد الخطيب.

درس وانتظم للدراسة في رباط تريم عام ١٣٥١هـ.

"من شيوخه عبد الله عمر الشاطري، وعبد الباري بن شيخ العيدروس، والشيخ سعيد بن سعد بن نبهان، وسالم سعيد بكير غيثان، وزين العابدين بن أحمد الجنيد، وغيرهم[٤٠٨]".

(٤٠٨) ابحاث ودراسات ملتقى تريم الثقافي صـ ٤٠٨.

تولى القضاء لفترة ثلاثين سنة تقريبا منذ عهد السلطان صالح القعيطي عام ١٣٧١هـ، وذلك في لواء شبام والمنطقة الشرقية التابعة للواء شبام، وكذا المنطقة الغربية ودوعن، ثم نقل إلى محكمة الاستئناف بالمكلا، ثم إلى محكمة الاستئناف بسيون، وأحيل للتقاعد عام١٩٧٣م.

تعرض للاغتيال بإطلاق الرصاص عليه قرب بيته بدمون، وكانت الإصابة طفيفة.

بعد تقاعده ولزوم بيته فترة داوم على صلاة آخر الليل في شهر رمضان بمسجد شهاب الدين إماما، إلى أن أقعده المرض.

عيّن للتدريس بزاوية الشيخ علي بن أبي بكر السكران (١٤٠٠/ ١٤٢٤هـ).

عيّن عضوا في مجلس الإفتاء بمدينة تريم

تولى أمانة عقود الأنكحة بدمون وضواحيها..

له مؤلفات (مخطوطة) مختصرة:

- إيضاح الطريق لسير إجراءات القضاء بالتحقيق
- بغية من تمنى في بعض معالم تريم الغنا.
- ترجمة لسيّدنا أبي بكر العدني.
- ترجمة لسيّدنا الفقيه المقدم.
- الدليل الوضاح فيما يجب معرفته لمتولي عقود النكاح.
- رسالة في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم.
- رسالة في الصوم.

- شرح الرسالة الجامعة.
- فتاوي.
- مقتطف من ترجمة إمام المحدثين أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري.
- منحة أهل إلايمان في شهر رمضان.
- ديوان شعر.

توفي عليه رحمة الله عام ١٤٢٥هـ.

٨- السيد أحمد بن محمد ضياء بن علي بن شهاب

ميلاده بدمون عام ١٣٤٣هـ (١٩٢١م) تعلم في صغره عند الشيخ عبد الله سعيد باغوث، وقرأ الجزءالأول من سورة البقرة، وشيئا من سفينة النجا لبن سمير، قبل ذلك عند الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان، ثم التحق بمدرسة جمعية الأخوة والمعاونة بتريم، ثم في رباط تريم.

انتقل هو ووالدته من دمون إلى حي "النويدره" بتريم.

تنقل في الوظائف الحكومية من كاتب في مكتب قائم المنطقة الشرقية بدمون، إلى كاتب في المحكمة الشرعية بدمون، ثم كاتبا في المحكمة الشرعية بشبام، إلى مغتربا للسعودية لحوالي ثلاث سنوات، وبعد عودته، استأنف التدريس (مدرسا ومديرا) في عدة مدارس في قرى الوادي ومدنه.

تم انتدابه لتأسيس جمرك "قسم" عام ١٩٤٦م.

تولى رئاسة المجلس القروي بدمون بعد السيّد محمد بن عبد القادر بن شهاب.

أحد مؤسسي نادي العروبة بدمون، وتقلد منصب رئيس النادي بعد أحمد بن عيدروس بن شهاب.

كان له دور بارز ومجهود كبير في إدخال إنارة الكهربا من شركة الكهرباء الأهلية بتريم إلى دمون عام ١٩٦٥م.حيث تعاقد مع الشركة الأهلية بعد أن أقنع سلطتي الدولة القعيطية والكثيرية بذلك.

وفي عام ١٩٧٠م بذل مجهودا آخر لتوصيل المياه من شركة تريم الأهلية إلى دمون متجاوزا العقبات التي واجهته.

في أثناء رئاسته للمجلس القروي (البلدي) حل كثيرا من المشاكل العالقة في البلدة، وألغى الرسوم المقررة على الحرفيين.

فرض ضريبة على السيارات التي تحمل الأحجار من جبال دمون، والكبس من الوادي لرفع ميزانية البلدية، وتنفيذ مشاريعها.

أنشأ مشروع خزان ماء مسجد شهاب الدين، لتمويل مسجدي السكران، ومسجد جامع مشهور بالماء، من بئر مسجد شهاب الدين ومن خزانها عبر الأنابيب المعدنية لتلك المساجد.

تم إصلاح حمامات مسجد مشهور ورفعها من مستواها السابق.

تابع وزير العدل في حكومة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية لتأسيس مسجد النور، كأول مسجد في شحرة آل عقيل، شمالي البلدة.

تم سجنه مع سجناء الانتفاضات في عام ١٩٧٢م لحوالي خمس سنوات، في السبعينيات من القرن الماضي، مما أفقده السمع، وأفرج عنه عام١٩٧٦م.

تولى إمامة مسجد شهاب الدين بدمون بعد إطلاق سراحه من السجن.

تولى الإمامة للصلاة آخر الليل في شهر رمضان بعد أن أقعد المرض السيّد عمر أحمد المشهور.

من مؤلفاته:

- الاعتراف بالإحسان ترجمة الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان (مخطوط)
- رواية شعرية حمينية بعنوان (من واقع أحوالنا) مثلت على مسرح المدرسة الابتدائية بدمون
- رواية بعنوان (كل دقسة بتعلومه) مثلت على مسرح ثانوية تريم
- المشرب الهني من المشرع الروي
- القول المبين في تجهيز أموات المسلمين..إضافات وملاحظات
- القول الجميل فيما يتعلق بزراعة الحبوب والنخيل بمنطقتنا (لم يكتمل)
- عادات بادت (مطبوع)
- الأمثلة والحكم الحضرمية
- من شريط الذكريات ترجمة السيّد عبدالله بن محمد بن شهاب وأشعاره (مخطوط).
- ذكريات من الواقع الاليم (الأيام السود).
- موعظة ودروس من حياة شيخنا مشهور بن عيدروس (مخطوط).

توفي رحمه الله في جماد آخر عام ١٤٢٥هـ.

٩- عبدالله بن سعيد (بعطه) بن سلمه التميمي

لم تكن هذه الشخصية من محتويات خطة الكتاب في فصل شخصيات من البلدة.. إنما أدرجت استجابة لطلب بعض من اطلع على مسودة هذه القراءة، بإضافة هذه الشخصية كرجل مرحلة.

ولقد نوهت لفقد هذه الشخصية، وما ترتب على فقدها ورحيلها من عالمنا من مآسي وفواجع في مجتمع البلدة، وأعتقد أن تلك الإشادة، استوفت ما يمكن أن يقال بإيجاز عن مرحلة من مراحل البلدة في تاريخها الحديث اتسمت بالاضطراب والبلبلة، فكان هو رجل تلك المرحلة الذي بحنكته وبصيرته النافذة إلى العواقب، استطاع أن يجمد، ويهدئ، بواعث الاضطراب والبلبلة.

ولقراءة مرحلة أو عصر، أو جزء من مرحلة وعصر، يشترط في القراءة، الموضوعية في فهم الواقع، بجذوره وتفرعاته.

والقارئ والمؤرخ كالباحث أو الدارس لا يستطيع أن يلم بكل خصائص المرحلة أو العصر، إلا على وفق قراءته وفهمه، بتوفر المعلومات الظاهرة المنظورة، وربما التبس عليه أمر من بواعث الوقائع في ظاهرها، فلا يقحم نفسه في نبش النوايا غير المنظورة.

وقراءتي لهذه الشخصية قديمة، فقد عايشت المقروء، وتعاملت معه، ولا أدعي أني سبرت أغواره، أو ألممت بكل جوانب سيرته، إنما هي بعض من جوانب سيرته التي تبرز بوضوح معالم هذه الشخصية التي تزخر بنبله وشهامته وشمائله الكريمة.

أذكر له موقفا من المواقف التي لا تنسى.. أنه زارني في المكتب الذي أعمل فيه بالمكلا، ليعرض علي خدماته، وهو متوجه للبلدة، وبالتحديد في نهاية الستينيات من القرن الميلادي الماضي، ولم تكن – حينها-علاقتي به علاقة قرابة أو معاملة أو جيرة، إنما هي علاقة مواطنة حين كانت البلدة في حيزها المتواضع، بتآخي وتآزر سكانها. وخدماته المعروضة.. أي إن كان لدي شيء لتوصيله إلى أسرتي، أو على الأقل رسالة. وفي تلك المدة كانت المواصلات صعبة ومحدودة، فشكرته.. وكان حديث بعض الزملاء من الموظفين، عن الخريف (أي الرطب) الذي كان في بدايته، ولم نتذوق شيئا منه بعد.. لم يكن رحمه الله يعرف أحدا من الموظفين، ولم أطلب أنا منه شيئا، ولا معرفتي به حينها تجيز لي أن أطلب منه شيئا، لكنه ما ان وصل إلى البلدة، أرسل من باكورة الخريف (الرطب من التمر) في ذلك الوقت قصعة لبن برطب منوّع من أجود أنواع الرطب، مع صعوبة المواصلات حينها، فكانت الفرحة غمرت أصحاب المكتب ومن فيه من الزملاء، حتى قال قائلهم حينها إنها هدايا من ثمار الجنة، وما أرسلها إلا كريم سخي. كانت منه لفتة نبل وكرم بأريحية سمحاء، وكان منه موقف لم ولن ينسى.

ترك – عبدالله بن سعيد- في مجتمع البلدة بكل شرائحه الطبقية ذكريات من فضائله وكرمه من مساعدة ضعيف، وقضاء حاجة مكروب، وجبر منكوب، بلا منٍّ ولا أذى، عرف ذلك من عرفه، وجهل ذلك من جهله في حينه، لكنها أضحت بعد وفاته، لمن تعقب سيرته تاج كل مكرمة ذكرت في تاريخ البلدة الحديث.

ومع أن لكل بشر هفوة وزلة.. والزلات المعدودة في الشخصيات المميّزة، لا تحط من قدرهم، ولا تخمج سيرتهم..

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

عبد الله بن سعيد.. ابن بيئته.. نشأ وتربى في مجتمعه..تعلم مبادىء القراءة والكتابة في "علمة" الشيخ عبد الله سعيد باغوث.. سافر والده إلى السواحل الأفريقيه، وأخذ معه أخويه صالح ومحمد، وتركه لصغر سنه، وتربى في كنف عمه سالم بن صالح بعطه.

توفى والده في السواحل الأفريقية، كما لحق به أخويه محمدوصالح. خلف محمد ثلاثة أولاد وبنتين. أما صالح فخلف ولدا. استقدمهم عبد الله بن سعيد، وبقي أحد أولاد محمد في السواحل، وأوعز إلى من يعلمهم العربية في بيته، ومن ثم أدخلهم المدرسة، وزوجهم.

كان عبد الله بن سعيد، محل ثقة جده لأمه، الرجل المعمر الصالح الحافظ لكتاب الله: سالم بن صالح بن دحروج بن سلمه التميمي (تـ ١٣٨٣هـ)، وهو زميل وصديق للعلامة الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان..استدعى حفيده عبد الله قبل وفاته باسبوعين تقريبا، وقال له: ستقبض لساني يوم الخميس القادم، فإذا مسكت، فإن وعاء للعسل حدد موقعه، فخذ هذا السواك، وامزج العسل بقليل من الماء، ثم اسقني منه بهذا السواك، والخميس الذي يليه سأموت فيه.. فنفذ وصية جده، ومات كما خمن..رحمهما الله.

عبدالله بن سعيد ابن بيئته – كما قدمنا- بمحاسن هذا المجتمع ومساوئه.. بإيجابياته وسلبياته.. بأخلاقيات ومفاهيم وأعراف وعادات تلك البيئة.. عاصر مرحلة ما بعد التحول.. من هيمنة الفهم العشائري، إلى عصر سلطة الدولة ونظامها. ولا يخفى أن لكل مرحلة ركائز ومفاهيم تستمد من واقعها، ولعل ركائز مجتمع البلدة-كغيرها من البلدات-متمثلة في قيمنا المستمدة من عقيدتنا، هي الجانب المشرق في مفاهيم مجتمعنا وسلوكه، خاصة بعد رسوخ سلطة الدولة وهيمنتها، فإن وجد ما يسوء، فإنما هو الفهم السيء عند البعض.

وعبدالله بن سعيد، لم تصنعه ظروف مجتمعه فقط، بقدر ما صنعته فضائله المكتسبة، من خبرته وتجاربه، واندماجه مع كل الشرائح الطبقية في مجتمعه وغير مجتمعه.

في مقتبل عمره افتتح متجرا، كمتاجر البلدة في ذلك الزمن، ورفد متجره ببعض الطلبات الخاصة للزبائن مثل سجائر اللف "أبوفيل"-قد لا يعرفها الكثير من جيل اليوم-، وكان يتسوق ذلك من مدينة شبام، وربما سار راجلا أو على دراجته الهوائية، كما يتسوق غيرها من البضائع، وأيا كان الربح المادي، فإن الربح الحقيقي من وراء تسوقه في سوق شبام، هو التعرف على تجار شبام.. أسلوبهم في التجارة.. لباقتهم في التعامل مع الآخر سواء في التسويق أو في الشراء.. اندماجه بتجار سوق حضرموت حينها.. تجار شبام.. كانت رحلاته إلى مدينة شبام للتسوق وللأخذ والدراسة لمهنة التجارة، وكانت من عوامل نجاحه فيما بعد.

ثم توظف في إدارة قائم السلطنة القعيطية بالبلدة، وأيا كانت الوظيفة.. مراسل.. على أهميتها في تلك المدة، لكونها كونت الوعي المدني لنظام الدولة لديه.. التعامل مع الآخر في ظل قوانين وأنظمة الدولة.. عرف كيد وحيل المبغض، وعرف صدق البريء وأمانته.. دروس استوعبها في مقتبل حياته، فكانت المرشد أو الدليل في سيرته المهنية وسلوكه العام، وتصرفه اللبق إزاء المواقف الصعبة والحرجة.. الخاصة والعامة التي واجهها في مسيرته.

ولفتة إلى الواقع الذي عاشه في تلك المرحلة، وخصائصه التي انعكست على أهم مميزات شخصيته.. استتباب الأمن والاستقرار بفهم المرحلة، حيث حل الود والإخاء بين كل الشرائح الطبقية في عمومها تقريبا، مع احتفاظ كل شريحة بأعرافها وعاداتها الاجتماعية بحكم تركيبة النظام الطبقي السائد.

نجح – عبد الله بن سعيد–في عمله المهني، ونجاحه باعتماده على نفسه وعلى قدراته، وخبراته وتجاربه، بصدق وعقلانية، فإن كان لفهم عصامية النجاح للأشخاص، فهو الرجل العصامي، بكل ما تعنيه كلمة العصامية.

شارك المزارعين وغير المزارعين في مكنات الزراعة في أكثر من موقع سواء في البلدة أو في غيرها.. تاجر في الأغنام وأعلافها، فضلا عن المحاصيل الزراعية.

مع هذه المشاركة، لم ينس الكثير من المزارعين والعمال كرمه ونصحه..

داهم مجتمع البلدة، مفاهيم الثورة الديمقراطية (من الأنظمة الشيوعية).. فكانت الانتفاضات الفلاحية على المكنات والأراضي الزراعية بما فيها من مزروعات، فكانت حصيلة هذا المفهوم استيلاء الفلاحين بتوجيه ومباركة

السلطة على كل ما يمتلكه من مكنات زراعية، وحصصه من أُسهم في مكنات ومحاصيلها الزراعية.

كان قد حفر بئرا، مع حفرة المكينة شرقي منطقة الفجير، وتم وضع المكينة في الحفرة، على أن يتم تشغيلها بعد ظهور الماء في البئر، غير أن ماء البئر بدأ من ظهوره ملوحة شديدة لا يصلح لاستصلاح الأرض للزراعة، تركها، وترك المكينة في الحفرة باعتبارها في مأمن.

بعد الانتفاضات قرر أخذها، فلم تكن قد استخدمت للزراعة، وما أن تم أخذها إلى بيته، علم المسئولون بالأخذ فأرغموه إلى ردها إلى الحفرة التي كانت فيها، وتم إرجاعها إلى موقعها في الحفرة، حيث صودرت.

في ليلة ١٥ يوليو من سنة ١٩٧٢م ناداه ثلة من شباب البلدة، وربما معهم غيرهم، وذلك في غسق تلك الليلة على فترتين، الأولى طلبوا منه سلاحه الشخصي، وأخذوه منه، والسلاح يستخدمه كغيره من بني عشيرته في الأعراس، وللقناصة الشتوية للوعول في الجبال.

وفي المرة الثانية في نفس الليلة أخذته من بيته وهو بلبس نومه..تم اعتقاله بتلك الهيئة..ارتعبت زوجته، وذعرت وتوجست الشر، وهرولت مذعورة إلى بيت زوج ابنتها – المجاور نسبيا- علي حسن التميمي، فتوجه إلى عمه سالم بن صالح التميمي في منطقة حصن فلوقة، فقيل له: أخذوه المليشيا، وتوجه إلى القصر يسأل فلم يفده أحد بشيء.

في الصباح عاود الكرة للسؤال عن عمه عبد الله بن سعيد، فقال المسئول في القصر آمرا أحد عسكر المليشيا.. تفاهموا مع علي، فأودع في السجن، وبقي في السجن متنقلا من سجن تريم إلى سجن الحوارث بسيون إلى سجن المنورة بالمكلا أكثر من ثلاثة وثلاثين شهرا.

صنف عبد الله بن سعيد من الاقطاع، أودع في سجن الحوارث بسيون، ومن بعد رحل إلى سجن المنورة بالمكلا، وأعيد إلى سجن الحوارث بسيون، ثم أفرج عنه، بضمانة على ألا يخرج من مدينة تريم، وهي الإقامة الجبرية.

في السجن، ومعاناة السجن النفسية شديدة قاسية على من لا جرم له.. لم يتهم بتهمة لم يكن له انتماء سياسي أو حركي.. وكانت أسرته أكثر معاناة منه.. تشيع إشاعة بالإفراج عنه، فتهيء أسرته زواج ابنته المخطوبة، فيؤجل الزواج أكثر من مرة، والخاطب يمهل ويتوعد، وأخيرا فسخ الخطوبة، وتزوج فتاة أخرى.

خرج من السجن.. أطلق سراحه بعد حوالي اربع سنوات (سنة١٩٧٦م).. على ألا يغادر البلدة إلا بتصريح أمني..

في عام١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) عزم إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، وما زال قرار الإقامة الجبرية في البلدة ساري المفعول عليه.. لم يسمح له بالسفر إلا بضامن يضمن رجوعه، فأحضر الضامن، زوج ابنته علي حسن التميمي، ومن شروط الضمانة، أن الضامن سيؤخذ بدلا عنه إن لم يعد.

خرج عبد الله بن سعيد.. بنفس الروح التي كانت قبل السجن.. بنفس السجايا.. لا غل ولا حقد.. بل كان يؤكد لكل من أراد أن يغرس النقمة في الأفئدة.. إنما هم-أي الفلاحين-أدوات لتنفيذ برامج الدولة.

خرج من السجن وقد فقد الكثير من أملاكه، بل إنه أقرب للتاجر المفلس، لم ينهزم، ولم تثنيه أو تحبط مساعيه الحالة الحرجة التي واجهته.. لم تختف ابتسامته، ولم يتهرب من مساعدة الآخر في ظل تلك الظروف وان استدان من غيره. وكرجل مرحلة استطاع بخبرته وحركته الدؤوبة، وحسه التجاري، أن ينشط في السوق، رغم القيود المفروضة على حرية السوق.. تاجَرَ في سلع لم تكن من صنو تجارته القديمة تمشيا مع متطلبات الزبائن.. خاض برجاحة عقله وتقديره سوق وتسوُّق البيوت في تلك الفترة، مع ما تبقى من المسموح به من تجارته السابقة، بنفس السجية المعهودة.

بقي مراقبا من قبل أجهزة الأمن حينها، ففي عام ١٩٨٢م تسوق من تجار تلك المرحلة وهم تجار الشنطة، واشترى من أحد البدو من المناطق الشرقية (حدرى) أقمشة متنوعة، وأوصلها البايع إلى بيته، فيفاجأ من البيت حملة تفتيش من قبل أجهزة الأمن، وفي عدم وجوده في البيت، وكانت أسرته تحضر لزواج الأولاد، والتحضير للزواج يعني ترتيب لوازم الزواج من كساء وفرش وأواني وغيره، وكانت الحملة شملت تفتيش الغرف الخاصة والمخازن، فامتدت أيديهم لأخذ لوازم ماحضر للزواج، بعد أن تم حجز الأقمشة المتجر فيها، وبعد لأي من حوار وجدال، وبرهنة الأسرة بما أعد لزواج الأولاد كغيرهم في مثل تلك الحالة، تركوا ذلك، وأخذوا القماش المتاجر فيه، واخذوا عبد الله بن سعيد إلى السجن، وتم الإفراج عنه بضمانة علي حسن التميمي، وتمت مصادرة الأقمشة.

ومما يؤكد سجيته، وما استحقه من وصف أن يكون رجل مرحلة، وذلك بعد خروجه من السجن، ومعاناته فيه، فله موقف مغاير لطبيعة الإنسان العادي

قي مراحل الصراع القائم بين الجماعات والأفراد، وترسبات هذا الصراع على الأمد القريب أو البعيد. ففي عام١٩٨٦م كانت مدرسة الفلاحين (مدرسة دمون حاليا) لم تعد تستوعب الطلبة، فكان القرار الذي تبنته منظمة لجان الدفاع الشعبي ببناء الطابق الثاني لها.. فتم العمل بمبادرات جماهيرية من أبناء البلدة.. وتم استكمال البناء، وتوقف العمل على سقف الفصول، والمطلوب للسقف أنابيب (قصب) معدنية، ولم ترفد الدولة ممثلة بإدارة التربية والتعليم بشيء، ولا السلطة المحلية.. كان يتابع ذلك رئيس حي الفلاحين(دمون) سعيد سالم عمير باشامخة..استنفد العمل تقريبا مدخولات صندوق الدفاع الشعبي.. ولم يتوفر كامل المبلغ لقيمة الأنابيب لسقف المدرسة.. أوصدت الأبواب أمامه، لم يعد أمامه إلا اللجوء لعبد الله بن سعيد، متعهدا له شخصيا بسداد المبلغ.. لم يدعه يكمل حديثه.. أعطاه طلبه وأوعده إن انتقص من مبلغ آخر فهو لا يمانع، كان المبلغ ألف دينار.. تم سقف صفوف المدرسة، وزادت بعض الأنابيب، وكان في نية رئيس الحي أن يبيع الزائد من الأنابيب ويسلم المبلغ لعبد الله بن سعيد، كجزء من المديونية، ولما علم بذلك قال أنا في حاجة الأنابيب لسقف "خدِر" القبيلة في شعب نبي الله هود، وأعطيت له بسعر أعلى من سعر الشراء، كسداد للمديونية.

ومن مواقفه التي ظهرت بعد موته، أن لأم ابنا يتيما ذكيا، متفوقا في مدرسته، لكن ملبسه رث قديم مرقع، طلبت من عبد الله بن سعيد، إزارا مستعملا غير مرقع لابنها، أرسل لابنها لبسا جديدا متكاملا.

إنه وهو في السجن وصلت إليه أكثر من معلومة أن بعض الشباب من أبناء البلدة، في أوقات متفاوتة، عازمون على الزواج، وهو أعرف بأحوالهم، فأوعز إلى من يبلغهم أن زريبة غنمه بما فيها من أغنام، طوع طلباتهم بمديونية لا يحدها إلا اليسر، بل وأقرض البعض وهو في سجنه.

وكانت فكرة مشروع مياه المساجد الثلاثة في داخل البلدة: مسجد شهاب الدين، ومسجد السكران، ومسجد جامع مشهور، بإقامة خزان ماء فوق سطح البئر، يعبأ من بئر مسجد شهاب الدين، "بماطور" كهربائي، ويمول المساجد الثلاثة حاجتها من الماء في برك المساجد، فكان منه الدينامو (الماطور) الكهربائي لرفع الماء من البئر إلى الخزان.

لن نتمادى في سرد مكارمه غفر الله له، خاصة صدقاته للفقراء الخفية التي يوصلها شخصيا إلى بيوتهم سرا، وإنما أوردنا القليل لنرفد به حجتنا أو برهاننا على أنه رجل مرحلة.

بعد اعلان الوحدة مع الشمال، وصارت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية جزءا من الجمهورية اليمنية، وكانت القوانين الصادرة بعودة الأملاك الخاصة إلى أصحابها، ربما أعيدت بعض الأملاك التي بقيت على حالها قبل الانتفاضة، لكن الأحوال تغيرت والمفاهيم تبدلت، ورؤى الناس تلونت، فكانت الاختلافات يحار فيها أرباب الرشد، فقد انتشرت النعرات، واستعر الصراع الفئوي واحتدم، وتم نبش زلات وعثرات قوم، كانوا هم أداة كغيرهم، وشحذت الألسن بالتجريح ونشر المثالب والنقائص، وتوعدت بالويل والثبور،

لكن ذلك في ظل هيبة رجل المرحلة، لم يتعدَّ القول الهامس، وربما الوقح في بعض المواقف المغيّب عنها.

كان التحدي في المفهوم العام في كيفية تغيير طبائع الأفراد لكي تتلاءم مع مفاهيم الوافد والواقع.. واقع مجتمع البلدة، التي ظلت منذ استقرار النظام وسطوة الدولة في تعاون وتراحم.. لا انقسام ولا تفاخر ولا تنابز، ولا إثارة للفتن أو الحقد، مع قراءة ذلك الواقع بأن طبقة المساكين (على وفق التصنيف الطبقي السابق) وهم العمال والفلاحون هي الطبقة الاجتماعية الأدنى في هرم السلم الاجتماعي، وإن تكن الطبقة الرئيسية في البلدة، في سابقها وحاضرها. ولقد تجاوزت هذه الطبقة ذلك المفهوم، في حاضرها بحيث أصبحت من رواد الثقافة العامة، سواء الدينية، أو الاقتصادية والسياسة وغيرها، وهو مما يعني تجاوز المفهوم الطبقي السابق، والتقييم العام لمجتمع البلدة.

حرص رجل المرحلة على فهم الواقع الجديد، حرصه على فهم ما سبقه من فهم لمجتمعه. فشجع شباب عشيرته على العمل.. أي عمل شريف يبعد عن صاحبه التسكع وغوائل البطالة، ولا يتوانى في تقديم مساعيه ومساعدته لكل من طلب المساعدة لإقامة مشروع مهني أيا كان.

ذكر لي أحدهم أنه زاره وقد افتتح متجره في مدينة تريم، مبتهجا ومباركا وناصحا ومعرضا خدماته لصاحب المتجر، فبعد لقائه، لاحظ عدم وجود كرسي في المتجر، زاره في اليوم الثاني وبمعيته على دراجته النارية كرسيين للجلوس، أخذهما وهيأهما في المتجر بقوله: لا بد من وجودهما.

كان يبغض الكسالى والمتهوسين، واجترار الذكريات المبنية على الوهم.. حاول أحد ابناء عشيرته ابتزاز صاحب متجر.. هدده بسلاحه إن لم يلبِّ طلبه، ربما لبى طلبه مرة وأخرى تحت التهديد، عرض مشكلته مع المبتز على أحد سكان البلدة، فأرشده إلى رجل المرحلة.. عرض عليه مشكلته ومعاناته.. أخبره إن عاود سوِّف في طلبه، واوعده، واشعرني، ولسوء حظ المبتز، وقد وصل حسب الموعد.. يرغي ويزبد.. مهددا ومتوعدا صاحب المتجر، فباغته من خلفه.. أحس بلطمات في صماخه، وتوالت في الخدين من وجهه.. انكسرت شوكته.. تأسف بأنه لم يقصد الأذية.. لكن عبد الله بن سعيد هدد وتوعد إن عاد لصاحب المتجر أو غيره، سيكون معه شأن آخر.

هذا هو عبدالله بن سعيد استحق بصدق أن يعد رجل مرحلة، فهو مع دماثة خلقه، واشراق وجهه مع كل من يقابله، كانت المهابة لشخصه رسخت، فلم تمتد يد بأذى لفرد ممن في البلدة، ولا جهرت الألسن بالإساءة على مسمع منه.

ترحمنا عليه بعد وفاته، وربما كان يتوجس من مستقبل ضعف الدولة وتخاذل هيبتها، فكان يتحسس الأحوال ويتنقل بين فئات مجتمع البلدة.. مرشدا ومعينا.. يصلح بين الفئات، والأسر، والأفراد المتخاصمة، باذلا قصارى جهده في الصلح.

تلاحقت بعد وفاته المآسي في ليال حالكة السواد.. لم يعد يبان لسكان البلدة مسلك، ولا يستقيم لهم شأن.. و حقا صدق فيه قول الشاعر:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر.

للرجال النجباء، ذوي الشهامة والنبل، حدس لايخيب، ونبوءة لا تخطىء، فكأنه قد استشعر بدنو أجله.. لم يشتكِ مرضا، ولا وهن جسمه، ولا أقعدته الشيخوخة.. ربما تراءى له إحساس لا نجد له تفسير إلا الربط بنبله وشهامته وسجاياه الكريمة، فقد عمد في أواخر أيامه إلى كشف اسماء المديونين من الغرماء في دفاتره، ينتقي منهم المعسرين، وذوي الأسر الكبيرة، فسدد مديونيتهم، وأوصى بنيه في وصيته المكتوبه، أن كل صاحب مديونية ممن تبقى في الكشف، لا يطالب بما عنده، فان وفى مديونيته بدون مطالبة فاقبلوها، وأي مطالب بدين علي لا يوجد اسمه ممن هم في الدفاتر فأوفوه حقه دون مناقشة. بعد وفاته جاء بعض المدينين، بمبالغ مديونيتهم لأولاده، وقد سدد ديونهم، فلم يقبلها الأولاد تنفيذا لوصية والدهم.

رحم الله عبدالله بن سعيد، (١٩٢٨-٢٠٠٧م) كان موته -أثر حادث مروري-فجيعة مؤلمة للبلدة وسكانها، وغير سكان البلدة، وقد احتشدت الحشود للصلاة عليه، لم يسعها جامع البلدة (مسجد مشهور) وامتلأت الشوارع القريبة من المسجد وأزقتها، جاءوا من وسط المدينة وأطرافها، معزين ومواسين، فهو بحق رجل مرحلة.

خلف من الأبناء: سعيد، وخالد، وعارف، وأحمد، وفيصل، وصالح، وهادي، ومن البنات ثلاث: زينه، وزبيده، وأحلام.

١٠ - خميس بن سعيّد بن مبارك بن محفوظ

ترددت كثيرا أن أضم هذه الشخصية كعلم من أعلام البلدة في الوقت الحاضر، لسبب ما، أو أكثر من سبب، لكني وقد راجعني البعض، خاصة وأنني قد نوهت أن ثمة شخصيات قدّمت لهذه البلدة مهجها وأرواحها..شخصيات أخلصت وتفانت في خدمة البلدة ومجتمعها.. مخلصة..صادقة..أمينة، وفية في إخلاصها لبلدتها ومجتمعها، قدمت لبلدتها ومجتمعها ما يمكن أن تقدمه من غال ونفيس تملكه، من جهد وعناء، في قضاء حاجة، أو السعي لها، ولو بعاطفتها راجية ثواب الله وحده.

لكنني لم أجد مصدرا يعينني على التعريف بتلك الشخصيات المغمورة في طيات التاريخ، وكل ما حصلت عليه، قد تناولته عن البعض، في بعض المواقف.

تلك المواقف الفريدة التي تومئ عن قوة الشخصية في تعاملها مع الأقوى، وإن كانت سلبية، وحينها ارتأى لي أن هناك مواقف أخرى ايجابية في عصرها، لكن غفلها الرواة لسبب من الأسباب، وحيث لم يكن هناك مصدر مكتوب أو مروي تستند إليه، إلا ما تناقله العامة والخاصة في مواقف أحادية معينة، أوردناها بمناسباتها في قراءتنا.

ومجتمع البلدة الحديث الذي تحدثنا عنه، أو الأصح قرأنا شيئا عنه، منذ القرن الثاني عشر الهجري وما بعده، أن عامة من فيه – من غير طبقة السادة والمشايخ-يسود طبقاتها الجهل والأمية، فالبحث عن مصدر مكتوب أشبه بالعبث، حتى من غير طبقاتهم.

والجهل بالكتابة أو الأمية، لا تعني الجهل بالخير، أو الجهل بالشر، أو النفع أو الضر، ولا الجهل بمصالح المجتمع، وما يقيم الحياة المادية والمعنوية، بل إنك لتجد من هؤلاء الأميين من هو أقدرعلى فهم المصالح العامة ونفعها، واتقاء السيئ من الأفعال والأقوال والشرور، من بعض المتعلمين في كثير من التخصصات.

من هنا، ومن واقع كل المجتمعات البشرية، ومن كل الشرائح الطبقية..تجد مأثرة ومنقبة.. مآثر ومناقب لشخصية أو شخصيات هي قدوة مجتمعاتها، وهي نبراس للتوجيه والنصح بفعلها وسيرتها، أكان عن تجربة مكتسبة، أو عن عقل بحكمة موهوبة، بسلامة نظر، وصفاء قلب، ونقاوة ضمير.

ولعل من هذه الشخصيات.. شخصية المترجم له: خميس بن سعيّد بن محفوظ.

هذه الشخصية التي عايشنا معها مرحلة من الزمن، بذلت في سبيل بلدتها من ذات نفسها، ما لم يبذله غيرها من ذوي الجاه القادرين على البذل والعطاء.. شخصية اتسمت بالبساطة، والسماحة، وعدم التصنع..يحتفي بمن يلقى، ويتحدث معه حديث ود لمحب وصديق، أكان هذا المحتفى به قد عرفه مسبقا، أو عرفه كعابر سبيل، جمعتهما المصادفة في سفر، أو في مجلس ما.

كان رحمه الله حسن العشرة..طيّب القلب..مشرق الوجه دائما..مرسلا نفسه على سجيتها، بأريحية مرحة مقبولة، من غير تكلف وتصنع.

لا ترى تقطيب جبهته، ولا عبوس واكفهرار وجهه، إلا إن ضيّع القناصة صيدا من الوعول في المقنص، أو عملا سيئا قام به فرد طائش من أبناء الحافة، أو البلدة مما يسيء إلى الحافة خاصة والبلدة عامة.

ورغم ظروفه المعيشية الصعبة فهو جواد سخي مضياف، لا يكاد يخلو بيته من ضيف في كل مناسبة للحافة أو للبلدة.

لم يعرفنا أحدا عن طفولته وشبابه، إلا إنها لا تبعد كثيرا عما كانت عليه طفولة وشباب أهل البلدة، من الإلتزام بالواجبات الدينية، واحترام عقلاء البلد، وتنفيذ مجمل العوائد والسوارح في البلدة، وممارسة الألعاب التي كانت، وقد ذكرنا شيئا منها.

وبما ان أسرته تمتهن مهنة الحدادة (القشطرة-حسب تعبيرنا)، فكا ن يقضي يومه في "محدادته"، وهي مهنة، مدخولها في حينه لا يكاد يفي بطلبات الأسرة، وقد أوجزنا التعريف بها في المهن.

ومنذ يفوعته، حتى قبيل شيخوخته التي أقعدته عن مهامه، أو بعض مهامه الخيّرة، وبما أنه من أبناء "الحضر" أو "القرار" على مفهوم النظام الطبقي في البلدة، أي تواجده في مقر عمله بالبلدة، فهو السباق نحو كل صريخ..سواء كان صريخ غريق أو حريق، أو نواح ميّت، فهو المبادر والمساعد والمواسي والمشارك بإخلاص وتفان.

لم يغب أبدا عن حادثة غرق أو حرق، ولم يغب عن جنازة ميّت من أهل البلدة، وهو فيها معافى، فهو من حال الوفاة مع أي فرد من البلدة مشاركا حتى بسواعده مع غيره يضع الميّت في مثواه الأخير في قبره.

كان ولعه بالقنص منذ نعومة أظفاره، بل في أقصى حدود الوله والعشق للقناصة، ملما بجبال وشعاب القنص، عارفا بسوارح ونظم وعادات القناصة.

وبما أن غالب من كان في البلدة من هواة القنص، وكان والده من أبوة (مقدم) فرقة القناصة، فقد اختير من قبل عشاق القناصة ورجاله من كل الطبقات "أبو" للقنيص خلفا لمحمد عوض بامزروع في نهاية القرن الرابع عشر في حدود عام ١٣٨٥هـ.

ومهام أبو القنيص الموكولة تحمل شرف القيام بإعداد التجهيزات لرحلات القنص، وتحديد الموعد بالتشاور مع وجهاء القناصة، وكان رحمه الله عندما يتحدد موعد القناصة لا يهدأ له بال، ولا يغمض له جفن في دعة، حتى يتم ترحيل زاد القناصة للجبل، فقد كان يعي المسئولية التي أنيطت به، ويخشى اللائمة من تقصير في المهام، ولو فيما لم يكن من مهامه.

ومنذ شبابه، ومع مهنته، كان يقوم بالطباخة للمناسبات العامة والخاصة كولائم الزواج وغيرها، وكان مميّزا في طبخه، على مطالب تلك الفترة.

في عام ١٣٨٥هـ انتخب كأبو-مقدم-لحافة الحضر، حسب التصنيف الطبقي حينها، حتى عام ١٣٨٧هـ. إذ دب خلاف بينه وبين بعض أعضاء الحافة.

والخلاف والاختلاف واقع بين الأسر والجماعات، ووجوده واقع بصورة أكبر بين التكتلات كالحافة، في كل وقت – تقريبا-كقاعدة عامة في كل المجتمعات لاختلاف المشارب والرؤى، وبما أن الأبو يتم بالانتخاب المباشر كممارسة للديمقراطية بكل معانيها ونزاهتها وشفافيتها، فاسقط من الأبوة-المقدم-من قبل منتخبيه. لكنه ظل مخلصا وفيا لحافته مقداما في كل ما يكل إليه من أمر من الحافة، سباقا لتنفيذ المهام العامة للحافة.

وعندما ألغي نظام "الحويف" بعد الإستقلال مباشرة، وبالتحديد عام ١٣٩٠هـ. ظل واجهة لأ بناء البلدة، وطليعة من طلائعها، ومرجعية لعوائد الحافة والبلدة وسوارحها التي لم يشملها المنع الساري على نظام الحويف.

وعيّن رئيسا للجنة الأفراح الشعبية، حتى وفاته، وإن تغيّر الإسم من الأفراح الشعبية إلى الألعاب الشعبية.

ومع هذا فإنه لم يحصل على ما يستحقه من تقدير ووفاء، لخدماته لبلدته وأهلها، ولا ذكر البعض له شيئا من مساعيه لهم ولغيرهم، بل تجد منهم النكران والجحود، فلم يحفظوا له جميل خدماته، ولا حسن رعايته، لكنه مع ذلك لم يتذمر، ولم يعول على من تجاهل مركزه، وتناسى مساعيه، لأنه لم يكن حاقدا ولا حاسدا ولا طامعا في صلة.

لم يحصل على ما حصل عليه غيره من أبناء البلدة من قطع أراضي سكنيه- مثلا-للسكنى كصاحب أسرة كبيرة، وتقدم كمواطن عادي بطلب قطعة أرض لسكن شخصي، وظل واقفا متابعا طلبه، ممتنعا أن يتخذ من منصبه أو جاهه وسيلة من وسائل الضغط من أية جهة رسمية فوقية، وهو في أمس الحاجة إليها، لكبر أسرته، وضيق سكنه، وعندما اختيرت له قطعة أرض في موقع يليق به، اختطفها أحدهم، وأعطيت له بدلا عنها قطعة أخرى في موقع آخر، ولم يحتج، ولم يحرك ساكنا، ولم يقل شيئا. فلم تكن خدماته للبلدة لمصلحة شخصية، ولا كانت وسيلة من وسائل الربط للمنفعة الخاصة.

في المدة الأخيرة قررت الدولة معاشا شهريا لأبوة الحويف في المديرية (تريم)، وطلب منه التسجيل والتأكيد، وتم تسجيله، واستكمل كل الاجراءات المطلوبة، وتابع المسئولين في تريم وسيون، ولما كثرت المتابعة، وكثرت المواعيد، توقف عن المتابعة وهو في أمس الحاجة لأي مبلغ نظرا لشيخوخته، وقصر نظره وكثرة اسرته، ولم يشأ أن يشكي حاله لغيره، ولا أن يوسط من يستطيع أن يعينه على الحصول على المقرر كغيره من أبوة حويف المديرية، ومات رحمه الله، ولم يستلم فلسا من مقرر أبوة الحويف.

هذا هو خميس سعيّد، بشيء من سيرته في خدمة بلدته ومجتمعه، وليست كل شيء، وإنما أثبتناها مع أعلام البلدة من الشخصيات، لأنه ممن عاصرناه، باتفاق عام -حتى من المختلفين معه-أنه قد خدم البلدة وأهلها..خدم حافته..خدمة صادقة..مخلصة..خدمها بفكره وذهنه، وعرقه ومهجته، على المفهوم الوطني والاجتماعي والإنساني، لا يعول على ثناء ولا يؤمل في عطاء.

وإن أخذ عليه شيئا في سيرته في وقت من الأوقات، كالمداهنة، أو نافق في بعض المواقف، فإنما كانت ضرورة من ضروريات الوقت، للم الشمل، وتجاوز الوقيعة.

وهو وإن جامل البعض، وتجاهل الإساءة من البعض، فإنما هي طبيعة الأبرار في كل وقت، فلا يتحامل على من أساء إليه، ولا يحقد، فهو ينسى الإساءة بطبعه، وأي جفوة حصلت بينه وبين غيره، فهو السباق إلى المصالحة بود ونقاء سريرة، وبعد روية.

في أواخر أيامه قبل الرحيل عن هذه الدنيا، وقد أقعده المرض في الفراش، وعرف بدنو أجله، زرته مع أحد النشطين من أعضاء لجنة الألعاب الشعبية، (عبدالله محمد بشير) وتلاقت أكفيهما، فما أن عرفه شد على كفه بقوة مودع، وينتفض جسده، وتخنقه العبرة، وتدمع عيناه، وهو مازال ضاغطا على يد الآخر موصيا إياه بكلمات باكية متقطعة:.. الله في البلدة..الله الله في البلدة، وأهل البلدة.. فلم نشعر إلا بالدموع تتساقط في مآقينا مدرارة، دون أن ننبس بكلمة..

توفاه الله بعد يومين من زيارتنا له، وقد ناف على التسعين من عمره، من مواليد (١٩١٩م) وذلك في ٨ من شهر ذي الحجة من عام ١٤٣٤هـ (٢٠١٢م) وله من الأولادعبد الله، وسالم، وعبد الحميد.

الخاتمة

نختتم -بعون الله- الكتاب بتلخيص للقراءة العامة في تاريخ البلدة، مع جزمنا أن البلدة القديمة لم تكن في موقعها الحالي، ولكنها لم تبعد عن هذا الموقع كثيرا.

وأكرر طلبي من ذوي الاختصاصات في مجال التاريخ والآثار، لاجراء دراسات شاملة كاملة، عن البلدة القديمة (دمون) موقعها..سكانها.. آثارها المخفية.

والبلدة اليوم قد تضاعف سكانها ومساكنها اضعافا مضاعفة، حيث كانت كما وصفها عمر المشهور إنها شِعب "ماقص"، وقد اتسعت رقعتها من الجنوب الشمالي لمنطقة "المطار" مرورا بشعب "متاش"، إلى "كشف الغبره" شمالا، ومن الشمال الشرقي إلى "الحَرْيِة"، مرورا "بكديِّد"، و"المشروخة"، و"باصاع" و"لوسط"، وشرقا إلى منطقة "الفجير"، وقد اكتملت البنايات السكنية وسكنها سكانها، من أبناء البلدة ومن الوافدين إليها من الأحياء المجاورة، وذلك في أغلب تلك المواقع سواء كانت المباني من المواد الطينية أو الإسمنتية أو من الأحجاروالإسمنت، والبنايات بحداثتها وأثاثها العصري في أغلبه.

وأضحت عيشة الناس في عمومها-تقريبا-عيشة رخاء واستقرار معيشي، وربما قلنا أن ثمة ثراء وأثرياء في سكان البلدة، بحيث تستحيل المقارنة بين ما كان عليه سكان البلدة في عهدها القريب والبعيد من تاريخها، وما عليه سكانها اليوم من انتعاش معيشي شمل الكل تقريبا ولو في ظاهره العام.

ومن بديهات اصحاب المال -إلا من عصمهم الله – الطمع والأنانية والغرور، هو سلوك ينشأ ويترعرع مع نماء المال، أو هي مشاعر تتدخل لتدير العلاقة مع الآخر.

فإن "من سنن الكون وناموسه من ناموس الطبيعة -كما يقول ابن عبيداللاه- إنه لاتجد أهل مدينة في المسكنة أو يتقاربون في الكفاف إلا كان الغالب عليهم الوداد والصفاء والوئام والإخاء، ثم لا يبرحون حتى ظهر المال وجاءت الثروة لبعضهم أن تنشق عصاهم، ويندق فيهم عطر منشم، ومن ذلك تنكسف النفوس، وتبدل البشاشة بالعبوس"(٤٠٩).

ولكل زمن ناسه بسلوكهم ومفاهيمهم، وهي سلوك كل عصر بمفاهيمه، حتى وإن استبقى كل عصر مفهوم المواطنة والعقيدة في ظاهر العبادات والشعائر، فربما انحرف عن مفهوم المواطنة من اكتفى بمفهوم أننا ابناء وطن واحد لنتحاب أو نتآخى، وإنما يجب أن يعرف كل منا مواطنة الآخر.. بادراك مجهوده، ومجهود الآخر لمصلحة وطنه. كما ان الانحراف حاصل في جوهر العبادات، كالمعاملات المشبوهة، والتعاملات المزدوجة مع الحرص على اداء ظاهر العبادات والشعائر.

ولعل هذا مما يفسر لنا وجود الفُرقة العامة لسكان البلدة، أو يفسر سبباً من أسبابها.

(٤٠٩) السقاف: بلابل التغريد صـ ٩٩، ١٠٠.

فالمال أو الثراء، وتعدد وجها ت النظر، والازدواجية في التعامل جزء من أجزاء التغيير الطبيعي في سلوكيات الناس، بعد الانتقال من المسكنة والفقر ووجهة النظر الواحدة، إلى الانتعاش المعيشي والثروة، وتعدد وجهات النظر، ولو بمعناها المتواضع.

فرغم التمايز الطبقي في البلدة السائد في نظام البلدة الاجتماعي في عهدها القريب قبل هذه النقلة أو القفزة، كانت العلاقة بين سكان البلدة، علاقة وشائج أخوية.. كان التراحم والتلاحم.. تراحم وتلاحم رضاء وإطمئنان.. كانت العلاقة مع بعضهم البعض علاقة مواطنة صادقة، حتى لا يكاد مجلس من المجالس الخاصة أو العامة في أفراحها وأتراحها، إلا وتجد رجالها جنبا إلى جنب بود صادق، وألفة وصحبة، بدون كلفة أو استعلاء، ولكل منهم خصوصيته في عاداته وسوارحه مع عشيرته وأهل بلدته، والكل يحترم خصوصية الآخر، وهي قاعدة عامة لمجتمع البلدة في عهدها القريب من تاريخها، والشاذ ليس من القاعدة.

وإذا كانت مثل هذه العلاقة الاجتماعية في أغلب طبقات المجتمع، فإنما هي حصيلة طبيعية لعلاقة الأسرة بأفرادها.

فقد كان البيت الواحد ببساطة البناء، ومحدودية أثاثه يجمع بين ثنايا جدرانه، الخمسة، أو العشرة، وربما العشرين فردا هم الأشقاء وأبناءهم، وأبناء الأبناء منضويين جميعا تحت رب الأسرة تلك، مؤتمرين بأمره، منتهيين بنهيه، لا أقول إنه طاغ مستبد، بل هو أب رحيم مشفق، عادل عارف بمدلول العدل والإنصاف، والأسرة بكاملها تجله وتحترمه، ولاتعصي له أمرا، وبتجلة رب

الأسرة احترمت كل من هو أكبر سنا منها، سواء كان من طبقتها أو من غير طبقتها، وأعانت من يطلب العون، واستعانت بغيرها فيما يجب الاستعانة به، لم تختلف في فهم يرضي الرب عزوجل، أورؤى تعود بالخير على مجتمعها ووطنها.

ولعل البدائل الحديثة للمعرفة والفكر والثقافة والتواصل، ولوسائل المهن والحرف من ضمن الأجزاء أو الأسباب للتغييرالسلوكي في مجتمع البلدة، فقد كان مجتمع البلد بتقليد عام لمذهب الإمام الشافعي، فكانت الآراء والأفكار والإجتهادات للمذاهب الأخرى وخلفياتها حصيلة التقنية العصرية والفكر الوافد بعد الوحدة، برابط ما، أو بدون رابط، وكانت المهن أو الحرف في الأغلب عضلية وجماعية، فيكون التعرف عن خصائص البعض وطبائعهم بحكم المواقف والتوافق والتجمع الجماعي في المهنة وما تفرع منها، فاضحت اليوم المهن بالآلات الحديثة التي تقوم بعملها بالكهرباْء، ولها من الضجيج والضوضاء ما يستحيل معها التحدث مع الآخر، إضافة إلى اختزال العمالة في كل مهنة اعتمدت على الآلات الكهربائية، وأتقنت عملها واسرعت في انجازه.

لعل السلوك العام في السابق وراء التراحم والتلاحم والتعاضد الذي كان في مجتمع البلدة، ونقيضه ما استجد من سلوك فيما بعد ذلك.

فأحداث كل عصر لها توقيتها بعصريتها وتفاعلها مع مستجدات العصر ومفاهيمه، وكل مرحلة من عصر تطوي صفحات من المأثور وتنشر صفحات جديدة، كما أن سلوك أهل كل عصر يختلف عن سلوك أهل عصر سبقه، لكن يظل الجوهر بنقاوته وأصالته. هي القراءة لما سبق في تاريخ البلدة، لقد كانت

عيشة البلدة اجتماعية بمعناها الحقيقي والعملي، فأصبحت عيشة من في البلدة فردية محضة..كل فرد تقريبا يعيش عالمه بفرديته.. بفكره وسلوكه، بحمقه وطيشه، أو بعناده وهواه.. الأب والابن في اختلاف، والأخ وأخوه في اختلاف.. اختلاف في الراي.. اختلاف في الرؤية، واختلاف في المذهب، اختلاف في المهنة، واختلاف في العلاقة مع الغير. لم تعد ترى بشاشة وجه الأخ مع اخيه، ولاصدق المودة والمحبة، ولا القريب مع القريب، سواء كان أكبر منه أو أصغر منه.. لم يعد يحترم الصغير رأي الأب، ناهيك عن الغير..أصبحت الوجوه عليها غبرة، بنفوس منقبضة، وكيد وزيف وختل، مع الأخ الشقيق، والصاحب والرفيق، والجار والمار.

هو المستجد مع المفاهيم الوافدة.

وليس هذا سلوك طبقة معينة بقدر ماهو سلوك عام تقريبا لهذا العصر، إلا ممن اصطفاهم الله من بين كل تلك الطبقات.

قيم جديدة لعصر جديد..استحكمت في الأنفس دون تحديد، لم يعد هناك اتفاق على رؤى معينة إلا بالمصلحة أو المنفعة، أكانت مادية أو معنوية.. قد تجد من لايتفق من هؤلاء حتى على بر والديهم، وإن تظاهر من تظاهر منهم بالاحترام الكاذب لمن هم أكبر سنا، وإن تمذهب البعض منهم بمذاهب الغلو المتدين في الظاهر، أو بحسن خلق المنافق مع الآخر.

علاقة انفصمت عنها عرى الطاعة للأب وللعالم وللعاقل، وتحكمت فيها التبعية أو الموالاة الفئوية أو الحزبية وغيرها دون روية، وغياب من يطاع له أمر

سواء من العائلة، أو العشيرة، أو القبيلة، أو السلطة الحاكمة، هو أحد الأسباب وأقواها فيما آلت إليه البلدة من فواجع ومآسي.

ولعل أفجع الفواجع، ومأساة المآسي، الحاصلة في البلدة، هوما لم يورد في القراءة، ربما نتيجة الإحباط من هول المصيبة أو الكارثة التي حصلت، وربما لإعطاء الفرصة السانحة للقراءة المتأنية، ومع أن وقائعها حصلت وقد تم تسويد الكتاب، لكن هولها وشناعتها فاقت كل مصيبة وكارثة وفجيعة حصلت في البلدة، وفي غيرها من البلدات المجاورة، لا في تاريخها القريب، ولا في تاريخها القديم، ومع تخوفنا فيما سبق من قراءة، لما يمكن أن تجره الأحداث المأساوية من تبعات في البلدة، وغياب العاقل، والدولة، وممثل الدولة في البلدة، إلا أن ماحدث تجاوز كل تصور يمكن ان يحدث في مثل تلك الظروف، بل وفي أسوأ من هذه الظروف، لهذا فإننا نختتم بها القراءة لتاريخ البلدة.

ثمة جرحا سيظل جرحا.. ستبقى ندوبه الظاهرة والمخفية.. جروحا في الجوانح والعواطف.. جروح الضحايا والمتعاطفين مع الضحايا.. الناقمين على كل مبطل ومفسد، وكل من آوى مبطلا ومفسدا..ستبقى الأنفس تئن وتتوجع، وتتألم للذكرى والتذكر.. للعظة والعبرة، واسترجاعها في الذهن قصدا وعفوا.. ستبقى كية في القلب تدميه، وغصة في حياة مجتمع تكبته في افراحه وبهجته، وشوكة في ضمير كل فرد، بضمير حي تؤرقه وتعذبه.

جريمة ارتكبت في حق مواطنين صالحين.. بكل ماتعنيه كلمة المواطن الصالح، سواء بحسن الخلق، أو السيرة الحسنة، والعلاقة الطيبة مع الكل..

انزعج واضطرب من هولها كل من في البلدة..صعد الزفرات أسى وأسفا، وأرسل العبرات حزنا وكمدا، وأصطكت الركب ذعرا وخوفا، واحتبس الدمع في عيون، وسال الدمع مدرارا في مآقي، وصوّت بالنشيج والنحيب مكظوم، وارتفع عويل وصريخ..ارتجفت القلوب، واسترجعت الألسن وحولقت، وبهت العاقل وحاكى نفسه بين مصدق ومكذب، وتبلدت المشاعر، سواء ممن في البلدة من كل طوائفها، أو ممن سمع بماجرى في البلدة من غير أهل البلدة، فالمعروف عن البلدة وسكانها شيء آخر..المعروف عن البلدة وسكانها وشائج متينة، وبعلاقات منسجمة راضية، فكان وقع الخبر مهولا ومروعا.

الجريمة جريمة حيث كانت وحلت، وفي أي مظهر برزت أو استترت، وإن اعظم الجرائم وأنكأها، تلك الجريمة التي لاتجد لها مبررا، ولا مسوغا.. جريمة بشعة بل أشد بشاعة من كل مستبشع، وحيث لا تجد من ندد بالجريمة ممن يلزم ويراد منه التنديد الإيجابي من وجهاء البلدة وعقالها، تستشعر تجاه مواقفهم بالتخاذل والانكسار، لأن الجريمة بفظاعتها ونكارتها أقرب المسالك، وأقصر الطرق للاحتراب..إحتراب أهل البلدة، فلا رد للاعتبار إلا الأخذ بالثار، مع ثائرة أهل الضحايا وهياجهم، على وفق العرف أو المفاهيم الوافدة.

لم تكن للبلدة وسكانها سابقة احتراب أو إقتتال فيما بينهم، وقد هيأت الظروف الدواعي والأسباب، وقد حاز الضحايا الوسيلة والذريعة، فلم تعد هناك موانع للرد، والبادىء أظلم، لكن عقال الضحايا كانوا هم المانع لإشعال فتنة قد تأتي على الأخضر واليابس، كان تصرفا حكيما سليما لمن نظر بفطنته وبصيرته إلى العواقب الوخيمة، فكان اللجوء إلى الدولة.

قتيلين وجريح.. لاتجد سببا ولا مبررا للقتل، كما لاتجد سببا للسكوت المطلق ممن رعى القاتل أو القتلة.

قتيلين وجريح هما إخوة، لأب واحد، لاتربطهما بالقاتل أو القتلة مشكلة ما..ليسوا من أهل المشاكل، ولا من أهل الإحن.. إنها العنصرية التي زهت في غير وقتها، وهي العصبية التي نمت في غير محلتها، سواء كانت في فهم فرد، أو فئة، أو طائفة.

استدرجوا الضحايا إلى موقع، فغدر بهم.

ولا عذر في غدر.

القتيلين هما: صالح وعلي أبناء عمر بن سالم بن محفوظ، والجريح هادي بن عمر بن سالم بن محفوظ..شيعت جثماني القتيلين عصر يوم الخميس في ٢٠١٦/١/٧م.. قتل صالح في الحال برصاص القاتل يوم٣/ ١/ ٢٠١٦م، ونقل علي إلى مستشفى سيون ليفارق الحياة يوم ٦/ ١. وكانت الصلاة عليهما في جبانة تريم، وذلك لكثرة المشيعين، فلن يستوعبهم مسجد من مساجد البلدة ولا الساحات في البلدة.. ازدحمت جبانة تريم بالمصلين..لم يفصل بين المصلين فاصل..الأجساد متراصة، لا في مصلى الجبانة، ولكن في كل الشوارع العامة والطرقات والازقة القريبة من الجبانة من الجهة الجنوبية والشمالية والشرقية، من الشرق إلى مابعد مسجد الجوهري ومن الجنوب إلى مابعد فرزة سيارات الأجرة إلى سيون، ومن الشمال إلى تحت البيوت في الأزقة المجاورة..لم يعد هناك موقف لمركبة في تلك المواقع.

وعلى وجود الصالحين والعلماء والوجهاء، وذوي الحالات الخاصة، في المدينة تريم في السابق والحاضر، وعلى الحشود التي تتجمع لتشييع جنائزهم من مختلف المناطق..لم يسبق هذا التجمع حشد لتشييع ميّت مثل هذا الحشد..لم يكونا القتيلين ذوي جاه أو مال او مركز..لكنها رسالة من شعب يرفض الظلم الذي رافق المفهوم للعنصرية والعصبية الوافدة..شعب استنكر واحتج على عمل خسيس قذر، لم يقدم عليه أكثر المبطلين في تاريخ البلدة.. شعب يمقت كل ما يهدد السلم الاجتماعي، وأمن الفرد وكرامته.

إنها قراءة لموقف مهيب بتلك الحشود التي لاصلة لها بالمقتولين، لكنه الرفض للسلوكيات السيئة في كل مجتمع، لايقرها عقل ولا عرف ولا دين.

الحقيقة مرة، وأمر منها السكوت عنها، وذلك عندما تكون جناية لأمن وحياة المواطن، وفي غياب السلطة بمفهومها الحضاري والمدني، انقلب كل شيء إلى ضده، وهي القراءة، أو هي الخلاصة التي يمكن أن نستنتجها من القراءة في السلوك والقيم والمفاهيم لهذه البلدة، في تاريخها القديم والحاضر.

وأخيرا..أكرر القول أن قراءتي لتاريخ البلدة هو جهد المقل، فإن شابها شيء من القصور أو السهو او الخلط، فارجوا اعانتي بالتصحيح لتجاوز ذلك، وله الشكر مني والمثوبة من الله تعالى.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم:

أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي بمناسبة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية.

- إثبات ماليس مثبوت عبد الخالق عبد الله البطاطي.
- إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت عبدالرحمن بن عبيداللاه السقاف.
- أدوار التاريخ الحضرمي محمد أحمد الشاطري.
- الاستقلال الضائع عبده حسين الأدهل.
- الاعتراف بالاحسان (مخطوط) أحمد محمد ضياء بن شهاب.
- الأغاني أبو الفرج الأصبهاني
- الإقطاعيون كانوا هنا محمد عبد القادر بامطرف.
- الألعاب في مدينة تريم محمد علوي العيدروس.
- الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت د. عبدالله سعيد الجعيدي
- الأيام والليالي السود(مخطوط) أحمد محمد ضياء بن شهاب.
- الإيلاف في تاريخ الأحقاف عوض مبارك بامومن.
- البرقة المشيقة علي بن ابي بكر السكران.
- البيان والتبيين أبي عثمان عمروبن بحرالجاحظ.
- التذكير المصطفى لأولاد المصطفى ابوبكر العطاس بن عبد الله الحبشي.
- الجامع محمد عبد القادر بامطرف.

- الجوهر الشفاف (مخطوط) عبد الرحمن محمد الخطيب.
- الخبايا في الزوايا عمر علوي الكاف.
- الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت سالم أحمد بن جندان اختصره د. عمر محمد باحاذق.
- الدرر الثمينة في تاريخ مساجد تريم خالد سعيد باغوث.
- الدليل القويم في ذكرشيء من عادات تريم حامد بن محمد بن شهاب الدين.
- الروض الأنف عبدالرحمن السهيلي.
- السلطنة القعيطية في حضرموت حسن علي باسمير.
- الشامل علوي طاهر الحداد.
- الفن والمأمول د.خالد عبد الرحمن الجربي.
- المختصر في تاريخ حضرموت محمد عبد القادر بامطرف.
- المشرع الروي محمد بن ابي بكر الشلي.
- المعلم عبد الحق محمد عبد القادر بامطرف.
- الوقائع فيماجرى بين آل تميم ويافع ديوان المعلم سعيد عبدالحق.
- الهجرة اليمنية محمد عبدالقادر بامطرف.
- أنساب الأسر الحضرمية أحمد حسن العطاس.
- بضائع التابوت(مخطوط) عبد الرحمن بن عبيداللاه السقاف.
- بغية من تمنى في معالم تريم الغناء(مخطوط) عمر أحمد المشهور
- بلابل التغريد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف
- بلاد الأحقاف رموز وكنوز سالم علي الجرو

- بهجة الزمان وسلوة الأحزان محمد بن زين بن سميط
- تاريخ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
- تاريخ الدولة الكثيرية ج ١ محمد بن هاشم
- تاريخ الشعراء الحضرميين عبد الله محمد السقاف
- تاريخ حضرموت – العدة المفيدة سالم محمد بن حميد/ تحقيق عبدالله الحبشي
- تاريخ حضرموت (شنبل) أحمد عبد الله شنبل
- تاريخ حضرموت صالح علي الحامد
- تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام د.سرجيس فرانتوزوف تعريب د.عبد العزيز جعفر بن عقيل
- تاريخ حضرموت السياسي صلاح البكري
- تاريخ القبائل اليمنية حمزة علي لقمان
- تاريخ اليمن القديم محمد عبد القادر بافقيه
- تأملات عن تاريخ حضرموت السلطان غالب بن عوض القعيطي
- تثبيت الفؤاد أحمد عبد الكريم الحساوي
- تحفة الأحباب عمر علوي الكاف
- تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت عبد القادر محمد الصبان
- جني الشماريخ علوي طاهر الحداد تحقيق: د.محمديسلم عبدالنور
- جواهر الأحقاف محمد علي باحنان
- حضرموت دبليو اتش انجرامس ترجمة د. سعيد عبد الخير النوبان
- حضرموت والجوار القبلي محمد عوض محروس

- دائرة المعارف الإسلامية
- رحلة الأسفار (مخطوط) ابوبكر بن علي بن شهاب
- رحلة إلى الثغرين محمد بن هاشم
- رسول الله خاتم النبيين د.عبد العزيز ابراهيم العمري
- رقصة العدة عبد الله صالح حداد
- رياض الصالحين الامام يحي بن شرف النووي
- شم النسيم في تاريخ نويدرة تريم(مخطوط) أحمد بن سعيد بن سالم باعديل
- شمس الظهيرة تحقيق محمد ضياء بن شهاب
- صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت محاضرة عبد الله حسين بلفقيه تحقيق: مصطفى العطاس
- صفحات مشرقة من تاريخ الرياضة بوادي حضرموت محمد علي باحميد
- صفحات من التاريخ الحضرمي سيعد عوض باوزير
- صفة جزيرة العرب حسين بن أحمد الهمداني تحقيق: محمدعلي الأكوع
- عادات بادت أحمد محمد ضياء بن شهاب
- عادات وتقاليد حضرموت الغربية ميخائيل روديونوف ترجمة د. علي صالح الخلاقي
- غرر البهاء الضوي محمد علي خرد
- قنيص الوعل عبد الرحمن جعفر بن عقيل
- كنده ودورها في الجزيرة العربية عبدالله مرعي بن محفوظ
- لسان العرب ابن منظور

- لمحة من حياة البادية عبد القادر الصبان
- مختارات من الأدب العامي الحضرمي روبرت سرجنت
- مختارات من الشعر الشعبي الحضرمي سالم محمد باوزير
- مختارات من كتابة شيخ الصحافة الحضرمية علي أنيس الكاف
- مدارج السالكين ابن القيم
- ملاحظات على ماذكره الهمداني محمد عبد القادر بامطرف
- من أشعار حسين حامد المحضار محمد سالم باحمدان
- نثر وشعر من حضرموت روبرت سارجنت ترجمة سعيد محمد دحي
- نقش التابوت في من حل من الصحابة في حضرموت سالم أحمد بن جندان
- نيل الأوطار محمد علي الشوكاني
- وداعا أيها الماضي خالد ابوبكر باراس

- **الصحف والمجلات:**
- صحيفة الأيام الصادرة تاريخ ٦/ ١٠/ ١٩٩٦م
- ملحق صحيفة الثورة الصادرة تاريخ ١٥/ ٧/ ٢٠٠٧م
- مجلة لواء الإسلام الصادرة في مارس ١٩٦٧م.

الوثائق والمخطوطات:

- وثيقة من حافة الحضر
- وثائق من أضابير مقدم القنيص

الفهرس

مستهل الكتاب ٤
الإهداء ٥
شكر وتقدير ٦
تقديم ٩
المقدمة ٢٣

الفصل الأول

١ - الخلفية الجغرافية للبلدة ٣٧
الموقع والتاريخ ٣٧
سور دمون ٣٨
دمون القديمة ٣٨
قرية بريح ٤٥
غيل دمون الغبره ٤٦
٢- بين دمون تريم ودمون الهجرين ٥٤
شخصيات سكنت البلدة وزارتها ٧٢

الفصل الثاني
الأوضاع السياسية في البلدة

الوضع السياسي في تاريخها القديم ٧٥
الوضع الساسي في عصرالسلطة الراشدية ٧٧

الوضع السياسي في عصر سلطة آل يماني ٧٨
الوضع في عصر السطة الكثيرية الأولى ٨٠
البلدة في القرن الحادي عشر الهجري ٨٢
سلطة قبيلة آل سلمه ٨٢
البلدة تابعة للسلطة القعيطية ٩١
في مرحلة السلطة القعيطية ٩٥
في مرحلة الثورة ٩٨
بعد التحرير وإعلان الجمهورية ١٠٢
في الخطوة التصحيحية ١٠٤
في برنامج الثورة الديمقراطية ١٠٨
تصنيف سكان دمون ١١٠
الكهنوت والإقطاع ١١٢
تصنيف غير موفق ١١٧
أعداء الثورة ١١٨
سالمين قائد مسيرة انتفاضة من البلدة ١٢١
شباب البلدة وتنفيذ البرنامج الثوري ١٢٢
اللجنة الفلاحية ١٢٤
اللجنة الشعبية ١٢٥
منظمة لجان الدفاع الشعبي ١٢٦

من غرئـب المرحلـة ١٢٨
المبـادرات الجماهيريـة ١٣٢
فصول محـو الأميـة ١٣٣
بعد السجن.. سـجن أكـبر ١٣٦
نهاية مرحلـة سـالمين ١٣٨
إيجابيـات المرحلـة ١٤٢
بعد مرحلـة سـالمين ١٤٥
تباشـير التحـول ١٤٨
البلدة في الجمهوريـة اليمنيـة ١٤٩
البلدة في ظل الوحـدة ١٥٠
إحباط مسـيرة الوحـدة ١٥١
الحرية في عصر الوحـدة ١٥٤
الحرب والإنفصـال ١٥٥
البلدة وعاقل الحـارة ١٦٠
الـرئيس في البلـدة ١٦٢
البلدة وانتخابات المجـالس المحليـة ١٦٣
الانتعـاش الاقتصـادي في البلـدة ١٦٤
فترة رخاء ورفاهيـة البلـدة ١٦٨
من ثـمار الوحـدة ١٦٩

التكـتلات الفئويـة ١٧١
العنصرـية في البلـدة ١٧٢
القـات في البلـدة ١٧٨
إنتشـار السـلاح ١٧٩
مآسي حمـل السـلاح ١٨١
ظـاهرة التعصـب ١٨٤
التعصب للأحـزاب والمـذاهب ١٨٦
البحث عـن الـذات ١٨٧
سلوك المتشـددين ١٨٩
غلو عن قصد وعن غـير قصـد ١٩٠
فتـوى التعصـب ١٩٢
عصـبية القبيلـة ١٩٤
مساوىء تجاوزها مجتمـع البلـدة ١٩٥
مـن المـتهم ١٩٦
مآسي البلـدة ١٩٩
أحداث تعقبهـا أحـداث ٢٠٠
الشخصية التي غابت عن البلـدة ٢٠٥
الأحداث الدامية في البلـدة ٢٠٦
ومأسـاة أخـرى ٢١٠

عود على بـدء ٢١٢
البلدة مـوطن سـكانها ٢١٢
السياسـة والعنـاد ٢١٤
محـاولات الصـلح ٢١٥
مظاهر التقليد السلبي لحـل المشـاكل ٢١٦
لماذا فشلت لجـان الصـلح ٢١٨
التخوف من تداعيات الأحـداث ٢١٩
ايجابيات المرحلة في عصر الوحـدة ٢٢٠

الفصل الثالث

الحالة الاقتصادية والمعيشية ٢٢٩
المهن والحـرف السـائدة ٢٣٢
مهنة التجـارة ٢٣٢
مهنة الزراعـة ٢٣٦
آبـار البلـدة ٢٥٠
مهنة البقـارة ٢٧٣
مهنـة الجمالـه ٢٧٨
مهنة عمال البناء والتشـييد ٢٨٠
مهنة عمال الوظائف المدنية والإداريـة ٢٨٨
مهنـة الحـدادة ٢٨٨

مهنة النجـارة ٢٩٢
مهنـة الدباغـة ٢٩٩
مهنة الخياطـة ٣٠١
مهنـة الصـياغة ٣٠٢
مهنـة الطـب ٣٠٤
مهنة السـقائين ٣٠٩
مهنـة الطباخـة ٣٠٩
مهنة التوثيـق ٣١٠
مهنة النحالـة ٣١٠
مهنة النقل بالسـيارات ٣١٤
محطـة توزيـع ٣١٥
المطاعم والمطابخ والمقـاهي ٣١٦
الصـناعات في البلـدة ٣١٨
صـناعة الخـزف ٣١٨
صـناعة الجـير ٣٢٠
صناعة الخوص والسـلال ٣٢٢
صناعة نسيج الملابس (الحويك) ٣٢٥
الصـناعات الحديثـة ٣٢٦
صناعة الثلج والإيسـكريم ٣٢٦

صناعة المكيفات والبرادات ٣٢٦
صناعة السلاح ٣٢٧
الورش الحديدية ٣٢٧
الكسارات ٣٢٧
المياه الصحية ٣٢٨
مصنع الأكياس البلاستيكية ٣٢٨
تربية الدواجن ٣٢٨
المؤسسة الاعلامية ٣٢٩
استديو ابداع ٣٢٩

الفصل الرابع

الحالة الاجتماعية/ اطلالة على السكان ٣٣٣
سكان البلدة ٣٣٣
التركيب الاجتماعي ٣٣٥
السادة ٣٣٥
المشايخ ٣٣٦
القبائل ٣٣٦
القرار والمساكين ٣٣٨
الألقاب السائدة ٣٤٥
صورة لمجتمع البلدة ٣٥٠

سطوة الحكـام والقبائـل ٣٥٣
القبولـة وأعرافهـا ٣٥٣
مفهوم الشرـاحة والشـايم ٣٥٥
سطوة حمل السـلاح ٣٥٦
غشم القبائـل ٣٥٧
ومثال آخـر ٣٥٩
خطيب الجمعـة محـرج ٣٦١
حالة من حالات الإبتـزاز ٣٦١
المسكوت عنـه ٣٦٢
شهامة رجـال القبائـل ٣٦٣
واقـع الحـال العـام ٣٦٥
سطوة السـلطة الحاكمـة ٣٦٧
الحالة الاجتماعية في عصر السـلاطين ٣٦٨
نماذج من صـور التكافـل ٣٧٣
المجلـس القـروي ٣٧٧
نظـام الحافـة ٣٦٨
الـزواج الجماعـي ٣٩٤
العـــادات ٤٠٢
عادات الاحتفـالات الدينيـة ٤٠٨

شـهر محـرم ٤٠٨
عيد مـدخل السـنة ٤٠٨
تاســـوعا ٤١١
عاشـــورا ٤١١
شـهر صـفر ٤١٢
شـــهر ربيـــع أول ٤١٥
الإحتفال بالمولـد النبـوي ٤١٥
شهر رجـب ٤١٦
عيد رجـب ٤١٦
ذكرى ليلـة الإسراء والمعـراج ٤١٦
شهر شعبان/ زيارة نبي الله هـود ٤٢٠
الشـــعبانية ٤٢٨
شهررمضـــان ٤٢٩
حـــول ٤٤٣
شهر شوال/ عيد الفطـر ٤٤٦
شهر ذي القعـدة/ التكـابير ٤٤٩
شهر ذي الحجة/ عيد الأضـحى ٤٦٥
احتفالات العـادات الاجتماعيـة ٤٧١
قناصـة الوعـل ٤٧١

مـداد الحضرـ ٤٩٨
مداد البقـارة ٥٠٢
عادات الـزواج ٥٠٤
انتظار المولـود والـولادة ٥٤٦
عادات الختان ٥٥٣
عادات الوفـاة ٥٥٦
مظاهر اللباس وصـوره ٥٦٤
نمط بناء المسـاكن ٥٧١
نظام وجبات الأكـل ٥٧٧
واقع المـرأة الاجتماعـي ٥٨٣
المجاعة وأثرهـا ٥٨٨
الهجـرة ومردودهـا ٥٩٠

الفصل الخامس
الأوضاع التعليمية والدينية والثقافية

الأوضاع التعليمية ٥٩٥
مدارس التعلـيم الحكوميـة ٦٠٣
العـودة للمعلامـة ٦٠٤
معلامــة للنســاء ٦٠٥
المدارس بعد الاسـتقلال ٦٠٦

حلقات التدريس والتحفيظ ٦٠٨
ريـاض الأطفـال ٦١٠
فصول محـو الأميـة ٦١١
قصول محو الأمية للنسـاء ٦١١
مقترح لعقاب المتغيبات عـن الدراسـة ٦١٢
الأوضـاع الدينيـة ٦١٣
خبط وخلـط ٦١٦
رفض الدخيل على الشـعائر سـجية ٦١٧
وموقـف آخـر ٦١٨
تعـددالإنتماءات المذهبيـة ٦١٩
مساجد البلدة ومصليات النسـاء ٦٢٠
مسـاجد البلـدة ٦٢٦
مسجد الشيخ علي بن ابي بكـر السـكران ٦٢٦
مسـجد مشـيخ ٦٢٩
مسجد جـامع مشـهور ٦٣٠
مسـجد بلفقيـه ٦٣٥
مسجد علي بـن شـيخ ٦٣٦
مسـجد شـهاب الـدين ٦٣٧
مسـجد السـكران ٦٣٩

مسجد النور بالغويضه ٦٤٠
مسجد مولى لوسط ٦٤١
مسجد النور ٦٤٢
مسجد جامع دمون ٦٤٣
المساجد الجديدة / مسجد الهدى ٦٤٩
مسجد التقوى ٦٥٠
مسجد العباس ٦٥٠
مسجد الرحمة ٦٥٠
مسجد الرحمن ٦٥٠
مسجد أحمد ٦٥١
مسجد الريان ٦٥١
مسجد الفتح ٦٥١
مسجد ابراهيم ٦٥١
مسجد الفاروق ٦٥١
مسجد السلام ٦٥١
مسجد الأحمد ٦٥٢
مسجد سعيد ٦٥٢
مصليات النساء ٦٥٢
السقايات ٦٥٣

الأنديــة الرياضــية ٦٥٥
نادي العروبـة ٦٥٥
فريق الشعب ٦٦٢
فريــق الأحــرار ٦٦٢
فريــق العروبــة ٦٦٣
فريــق الشــباب ٦٦٤
الفرق الرياضية في الأحيـاء الشـعبية ٦٦٤
لنــا كلمــة ٦٦٥
النشاط الثقـافي والتراثـي ٦٦٩
شعراء البلدة واداباؤها ٦٦٩
أنماط الفـن في البلـدة ٦٧٤
الفــن التشــكيلي ٦٧٥
الفــن الغنــائي ٦٧٦
فــن الــدان ٦٧٨
الطرب والغنـاء ٦٨٤
الفن المسرـحي ٦٨٧
الــرقص الشــعبي ٦٩١
الــــرزيح ٦٩٢
بنــي مغــراه ٦٩٥

الشـــبواني ٦٩٦
رقصـات القنـيص ٧٠٧
الدخلـــة ٧٠٩
الـــزف ٧١١
الريحـه ٧١٢
الظـــاهري ٧١٥
الزربـــادي ٧١٧
قفـــزان ٧٢٠
المخـــدرة ٧٢١
الألعـاب التراثيـة ٧٢٣
الألعاب اليدوية للكبـار ٧٢٣
لعبـة الورقـة ٧٢٤
لعبـة الكنسـتا ٧٢٦
لعبة الطيبـان ٧٢٧
لعبة الضـمنة ٧٢٨
الألعاب اليدوية للصـغار ٧٢٩
الصـــواب ٧٢٩
الكعـــارير ٧٣٠
القلـــة ٧٣١

عظيم لي سرا ٧٣٢
ريس بيـد ٧٣٣
قفز العوشر ٧٣٤
الصـــونج ٧٣٥
الخيـــة ٧٣٦
راونـــدس ٧٣٧
رمـي المخـابيط ٧٣٨
المريكـــوزه ٧٤٠
حامل أمـه ٧٤٠
ياقريـب مقعـد ٧٤١
دخلنـا مـرة ٧٤١
الفرفـــارة ٧٤٢
الألعاب اليدوية للنسـاء ٧٤٣
النقيلـــة ٧٤٣
الكـــورت ٧٤٤
طب طـاب العطـب ٧٣٣
أول وثـــاني ٧٤٥
الحفـــيرة ٧٤٥
المتنزهـات السـياحية ٧٤٧

مولى لوسط ٧٤٧
عين الغبرة ٧٤٨
رزم ناصر ٧٤٩
المنتزهات الحديثة ٧٥٠

الفصل السادس

شخصيات خالدة من البلدة ٧٥٣
السيد علي بن شيخ بن شهاب ٧٥٨
العلم سعيد عبدالحق ٧٦٢
السيد أحمد بن محمد بن شهاب ٧٧٨
الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان ٧٧٩
السيد أبوبكر بن علي بن شهاب ٧٩٠
الشيخ عبدالله سعيد باغوث ٧٩٤
السيد عمر أحمد المشهور ٧٩٥
السيد أحمد محمد ضياء بن شهاب ٧٩٧
عبدالله بن سعيد (بعطه) بن سلمة التميمي ٨٠٠
خميس سعيّد بن محفوظ ٨١٣
الخاتمة ٨٢٠
المصادر والمراجع ٨٢٩
الفهرس ٨٣٤